ألفاظ الحياة الثقافية

في مؤلفات أبي حيّان التوحيدي

ـنة صالح الشذر

ألفاظ الحياة الثقافية

في مؤلفات أبي حيّان التوحيدي

دكتورة
طيبة صالح الشذر

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم
أ . د . محمود فهمي حجازي
أستاذ علم اللغة بكلية الآداب
جامعة القاهرة

هذا الكتاب ثمرة عمل علمي جاد على مدى سنوات من البحث اللغوي ، يعد أول ما يظهر للمتخصصين في الدراسات العربية من جهود باحثة اهتمت منذ تخرجها في جامعة الكويت بعلوم اللغة ، وتخصصت في علم الدلالة بكلية الآداب في جامعة القاهرة . إن الربط بين الدرس اللغوي والتاريخ الثقافي للأمة العربية سمة مميزة لمدرسة من الباحثين ، تنتمي إليها مؤلفة هذا الكتاب . وفي هذا الإطار أعدت رسالتها لدرجة الماجستير عن ألفاظ الحضارة العباسية في مؤلفات الجاحظ ، ثم رسالتها للدكتوراه عن ألفاظ الحياة الثقافية في مؤلفات التوحيدي . وجمعت في هذين العملين جانبين مهمين من المفردات الدالة على العصر العباسي . وبهذا التحديد تخصصت الباحثة في علم الدلالة ، وتناولت بالتحليل تراث العربية في عصر ازدهار الحضارة الإسلامية .

إن هذه الرسالة محاولة واعية بضرورة الدراسة اللغوية لنصوص العربية الفصحى على مدى القرون . لقد اهتم عدد كبير من اللغويين المحدثين بلهجات عربية حديثة أو قديمة ، وكان من الضروري أن يظهر ، في إطار وعي ثقافي عربي ، اتجاه جديد يحقق الربط بين التراث والمعاصرة في الدراسة اللغوية . ولهذا قام باحثون في كلية الآداب بجامعة القاهرة - ينتمون إلى أكثر الأقطار العربية في المشرق والمغرب - بدراسات لغوية في نصوص العربية من الجوانب الصرفية والنحوية والدلالية ، وذلك على أساس الإفادة من المنطلقات المنهجية العامة لعلم اللغة الحديث ، وتهدف هذه الجهود إلى دراسة بنية العربية وتاريخها في إطارها الثقافي .

اللغة العربية من أهم لغات الحضارة الإنسانية ، ومع هذا كله فإن اتجاهات التأليف المعجمي في الوطن العربي الحديث لم تكد تتخذ مناهج جديدة ، واقتصرت على تلخيص المعجمات القديمة . ولن نتمكن من تجديد حقيقي لصناعة المعجم العربي إلا بدراسات دلالية في نصوص العربية على مدى القرون . تمدنا هذه الدراسات بمداخل جديدة وبدلالات مستحدثة وبشواهد موثقة وبمحاولات لتعرف الدلالة في ضوء هذه الشواهد . قامت الباحثة في إعدادها لهذه الرسالة بجمع مادة موثقة من كتب التوحيدي ، اختارت منها ألفاظ الحياة الثقافية ، ثم صنفتها في مجالات دلالية ، ثم بحثتها في نسق ثقافي . أفادت الباحثة من المعجمات العربية واهتمت في تحليل المفردات والتراكيب بالتغير الدلالي والوسائل اللغوية الأخرى لتنمية المعجم العربي .

وبهذا كله أعدت المؤلفة هذه الدراسة الجامعية ، فنالت أرفع تقدير من جامعة القاهرة ، وناقشها - إلى جانب المشرف - عالمان كبيران من أعلام الدراسات العربية ، وهما أ . د . يوسف خليف أستاذ الأدب والثقافة بكلية الآداب جامعة القاهرة وأ . د . محمد عوني عبد الرءوف أستاذ علم اللغة وعميد كلية الألسن بجامعة عين شمس .

وبعد ، فإنه ليطيب لي أن أقدم للقراء والمتخصصين هذا الكتاب المهم في الدراسات اللغوية . هذا الكتاب أداة فهم لثقافتنا العربية في القرن الرابع الهجري ، إنها بداية جادة لباحثة تعد رائدة في الدراسة الدلالية للنصوص العربية الإسلامية بجامعة الكويت . وسيجد الباحث في هذا الكتاب صلة بين علم اللغة والثقافة العربية الإسلامية ، وبحثا موثقا لألفاظ مهمة في تاريخنا الثقافي ، وإسهاما علميا في بناء المعجم التاريخي للغة العربية .

والله الموفق ، ، ،

أ . د . محمود فهمي حجازي

المقدمـــــة

تسهم هذه الرسالة في إيضاح السبيل لبناء معجم تاريخي للغة العربية ، وتوضح الوسائل التي أفادت منها العربية للتعبير عن العلوم والثقافة والمذاهب والفنون . وإذا كانت اللغة من أهم مظاهر الثقافة ، فاللغة أيضًا مفتاح لفهم الثقافة . ودراسة ألفاظ الحياة الثقافية في نصوص التوحيدى تعد من أهم الأدوات لفهم القرن الرابع الهجرى ، ويكشف أبو حيان في كتاباته جانبا مهما من جوانب إزدهار استخدام العربية في القرن الرابع الهجرى .

لقد تنوعت الدراسات المعجمية في السنوات القليلة الماضية ، وكثرت الدراسات التي تتناول التطور اللغوى لألفاظ التراث العربي ، فظهرت المعاجم المتعددة لدراسة الآثار الشعرية والنثرية لتراثنا الغني بعطائه . وهذه الدراسة تتناول ألفاظ الحياة الثقافية في مؤلفات أبي حيان التوحيدى ، وقد يكون في هذه الدراسة شيء جديد ، وهو أنها تلقى قدرًا من الضوء على الحياة الثقافية في القرن الرابع الهجرى ، وعلى طبيعة الحضارة الإسلامية في ذلك العصر . والنصوص المقتبسة التي استشهدت بها من مؤلفات أبي حيان تعطينا صورة عن البيئة الثقافية في القرن الرابع الهجرى وما كان يستخدم فيها من ألفاظ ثقافية .

وهناك عدة مؤلفات ورسائل جامعية وأبحاث قدمت لدراسة مؤلفات التوحيدى، من الجوانب الأدبية والفلسفية والفنية ، فمن جهود الباحثين الدارسين في هذا الحقل الأساتذة : د . أحمد الحوفي ، د . زكريا إبراهيم ، و د . إبراهيم الكيلاني ، و د . إحسان عباس ، و د . عبد الأمير الأعسم ، ومن الدارسين من اتخذ من التوحيدي موضوعًا لرسالته للدكتوراه أمثال : د . عبد الرزاق محيى الدين وكانت رسالته بعنوان (أبو حيان التوحيدى : سيرته وآثاره) ، وعبد الواحد حسن

الشيخ ، وكانت رسالته بعنوان (أبو حيان التوحيدى وجهوده الأدبية والفنية) ، ودراسات للمستشرقين تناولت حياة أبى حيان وآثاره ، وكتب فى الموضوع نفسه مقالات عديدة فى الدوريات العربية . وحصر هذه الجهود الدكتور عبدالأمير الأعسم فى الدراسة التوثيقية التى أعدها عن التوحيدى وكتابه (المقابسات) .

وهذه الرسالة أول بحث يكشف عن مؤلفات أبى حيان من الناحية اللغوية ، ولعل أهم جديد فى هذه الرسالة أنها أول دراسة جامعية تبحث المجالات الدلالية فى مؤلفات التوحيدى ، مستقصية وجود المصطلحات الثقافية فى هذه المؤلفات ، وموقف المعاجم العربية منها وخاصة ما جاء فى اللسان من معنى بدوى قديم وما أورده أبو حيان من معان اصطلاحية حضارية ، والخروج من ذلك كله بحقائق تعيننا على فهم المراحل اللغوية التى مرت بها هذه المصطلحات .

ويقوم منهج البحث فى الدراسة على أساس جمع المادة من كتابات التوحيدى وتصنيفها فى ضوء نظرية المجال الدلالى ، ثم تعقب اللفظة فى طورها اللغوى العام واستقرائها بعد أن تدخل ميدان الثقافة مقترنة بمجال معين ، وبيان ما يحدث لهذه اللفظة من تغير بعد دخولها ميدان الحياة الثقافية الرفيعة .

تتناول الدراسة الألفاظ ذات الأصول العربية والألفاظ الأجنبية من حيث التغير الدلالى الذى طرأ عليها بتخصيص وتعميم المعنى ، أو بانتقالها من مجال دلالى إلى مجال آخر . وتوضح هذه الدراسة العلاقات الدلالية بين الألفاظ كالترادف والتضاد والاشتراك اللفظى وتعدد المعنى والتغير الدلالى واستحداث ألفاظ جديدة عن طريق الاشتقاق ، والقضايا اللغوية الناتجة عن استعمال الألفاظ ذات الأصول الأجنبية ، وترتبط الطبيعة الدلالية للموضوع بالطبيعة اللغوية فى حدود ارتباط المسألة الحضارية بالنص الأدبى .

لقد اعتمدت فى الرسالة على مؤلفات التوحيدى ، ولكننى ابتعدت عن النقول التى أخذها التوحيدى من الشعراء القدامى ، ولم أدخل فى بحثى هذا الآيات القرآنية

والأحاديث النبوية . وكذلك الألفاظ الأساسية العامة للحياة اليومية . ولم أدخل أيضًا ألفاظ الأدب المكشوف الذى تناوله أبو حيان في كتابه البصائر والذخائر . هذا وقد اعتمدت على كتابات أبي حيان المطبوعة والمحققة ، أما غير المعروفة فلم أدخلها في رسالتي هذه ، ولم أدخل رسالة السقيفة في البحث ، إذهى مشكوك في نسبتها إلى أبي حيان .

تقع الرسالة في قسمين ، الأول دراسة والثاني معجم . أما الدراسة فتحتوى على تمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة . وكان التمهيد مخصصا للتعريف بالتوحيدى وآثاره وعصره والتعريف بالموضوع وقضايا المصطلح وعلاقته باللغة والثقافة . وجاء الباب الأول بعنوان (الألفاظ الثقافية العامة) ، وقد قسمته إلى أربعة فصول . كان الفصل الأول منها بعنوان : (المشتغلون بالثقافة) ، والفصل الثاني بعنوان : (أشكال العمل الثقافي) وهذا العمل متنوع الاتجاهات في عصر أبي حيان . والفصل الثالث كان بعنوان : (دور العلم والمؤسسات الثقافية وأنشطة هذه المؤسسات) ، وفي مقدمتها مجالس المقابسات . أما الفصل الرابع فكان بعنوان : (وسائل العمل الثقافي) ويشتمل على ثلاثة أقسام الأول منها عن الكتب وأنواعها وأقسامها ، والثاني عن أدوات الكتابة ، والثالث عن الخط وفنونه وتوابعه .

وتطلبت طبيعة البحث أن تقسم المصطلحات إلى مجموعتين أساسيتين تتناول المجموعة الأولى مصطلحات العلوم العربية والإسلامية ، وتتكون المجموعة الثانية من المصطلحات الفلسفية والعلمية ، وقد اعتمدت في تقسيم المصطلحات على الأساس العام المعروف في ذلك العصر ، كما يتضح في كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي ، فقد قسم الخوارزمى كتابه إلى مقالتين إحداهما لعلوم الشريعة وما يقترن بها من العلوم العربية ، والمقالة الثانية لعلوم العجم وغيرهم ، وعلى هذا الأساس قسمنا البحث ، فهناك الباب الثاني ويتناول مصطلحات العلوم العربية والإسلامية ، ويشتمل على ثلاثة فصول ، الفصل الأول منها ويقسم إلى مبحثين ،

يتناول الأول المصطلحات اللغوية والنحوية ، ويلاحظ أن أباحيان قد استخدم ماااستخدمه النحاة من مصطلحات نحوية أساسية مثل الرفع والنصب والجر ، ويشمل هذا القسم أيضًا مصطلحات عيوب اللسان والمصطلحات الخاصة بالكتابة العربية . والمبحث الثاني من هذا الفصل يحتوى على مصطلحات الأدب والبلاغة . أما الفصل الثاني فهو بعنوان : (المصطلحات الدينية) ، ويتناول رجال الدين وأحكام الدين الفقهية والشرعية والمذاهب والنحل السائدة في ذلك العصر . وكان الفصل الثالث بعنوان : (مصطلحات الصوفية) وهو خاص بما يدور في عالم التصوف من إشارات ورموز لا يعرفها إلا المتصوفة ومن بلغ مقاماتهم من مريدين .

وكان الباب الثالث بعنوان : (مصطلحات العلوم الفلسفية والطبيعية) ويشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول ، الأول منها بعنوان : (المصطلحات الفلسفية والمنطقية) ، وقد عرف التوحيدي في عصره بأنه فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة ، فهذا الفصل يشتمل على أكثر من عشر مجموعات دلالية تبحث في الفلسفة والعلة والجوهر والمادة والصورة والهيولى والمطلق والمتناهي وغيرها من المصطلحات الخاصة بالفلسفة والمنطق ، وكان الفصل الثاني بعنوان (المصطلحات النفسية) ، وهذا الفصل يوضح الأمور الخاصة بالنفس البشرية مثل : المزاج والاعتدال والانفعال وغيرها .

أما الفصل الثالث فكان بعنوان (المصطلحات الطبية والعلمية) ، ويحتوى هذا الفصل على ثلاثة أقسام ، الأول خاص بالمصطلحات الطبية ، والثاني يتناول مصطلحات علوم الرياضيات والفلك والتنجيم . وهذه المصطلحات لها مدلول حضاري في ذلك العصر ، واهتم القسم الثالث بمصطلحات علم الموسيقى . وتناول هذه المصطلحات الخاصة بالموسيقى بهذا الباب هو مجرد تسجيل أنها وردت عند أبي حيان ، وليس لها تغير دلالى في إطار العربية ، لأنها مصطلحات

ثابتة ، ومازالت تستعمل الآن بنفس المعنى القديم . ومن الملاحظ أن المصطلحات الخاصة بالفلسفة والمنطق والطب والطبيعة والفلك والموسيقى والهندسة تكون مجتمعة كيانا متكاملا ، وهذا هو التقسيم الذى عرفه عصر التوحيدى .

المادة الأساسية في هذا البحث كتابات أبي حيان التوحيدى ومنها كتبه « الإمتاع والمؤانسة » تحقيق أحمد أمين طبعة القاهرة ، و « الصداقة والصديق » تحقيق على متولى طبعة القاهرة ، و « الإشارات الإلهية » تحقيق عبد الرحمن بدوى طبعة القاهرة ، و « مثالب الوزيرين » و « البصائر والذخائر » تحقيق إبراهيم الكيلاني طبعة بيروت ، و « المقابسات » تحقيق محمد توفيق حسين طبعة بغداد ، أما الرسائل فمنها : « رسالة في علم الكتابة » و « رسالة الحياة » وهما من تحقيق إبراهيم الكيلاني وطبع دمشق ، ثم « رسالة في العلوم » ملحقة بكتاب « الأدب والإنشاء » طبعة مصر .

واعتمدت على مراجع ودراسات متنوعة منها : ما كتب عن أبي حيان من كتب ورسائل جامعية وبحوث من جانب العرب والغربيين الذين ترجمت أعمالهم إلى العربية ، ومنها المعاجم وتشمل معاجم عربية وغير عربية ، فمن المعاجم اللغوية « لسان العرب » وقد اتخذته مرجعًا أساسيًا ، وهذا المعجم يمثل اللغة العربية في المراحل الأقدم ، أى لغة الأعراب ، وهناك معاجم لغوية أخرى أمثال « أساس البلاغة » ، و « القاموس المحيط » ، و « تاج العروس » . ومن المعاجم الأجنبية « معجم الألفاظ الفارسية » لآدى شير ومعجم اشتاينجس ، واعتمدت أيضًا على « كشاف اصطلاحات الفنون » للتهانوى ، وقد اخترت معجم التهانوى لأنه يمثل المصطلحات عند الصوفية والمتكلمين والكلمات ذات الأصول غير العربية ، وأفدت - أيضا من كتب التعريفات مثل « مفاتيح العلوم » للخوارزمي و « كتاب النجاة » لابن سينا و « التعريفات » للجرجاني و « الكليات » لأبي البقاء و « اللمع » للطوسي و « الرسالة القشيرية » للقشيرى ، وغيرها كثير . وتطلب

البحث الرجوع إلى كتب في النحو واللغة والأدب ، وكتب في الفلسفة والعلوم والتصوف والفقه والطب والموسيقى ، وكتب في التاريخ وفي مقدمتها كتاب الحضارة الإسلامية لآدم ميتز ، وكتابَيْ « فجر الإسلام » ، و« ضحى الإسلام » لأحمد أمين ، وهذا كله إلى جانب كتب الدراسات المعاصرة في فقه اللغة وبنيتها .

ولعل من أبرز الصعوبات التي واجهت البحث أن المعاجم العربية العامة وفي مقدمتها « لسان العرب » لا تعطى بالضرورة الكلمة الموجودة عند التوحيدى ، فإن جاءت الكلمة في المعاجم فكثيرا ما نجد المعنى المذكور لها لا يطابق المعنى الذى أورده التوحيدى ، أو لا تعطى المعنى المنشود بشكل كامل يمكن للباحث أن يطمئن إليه .

* * *

وأخيرًا فإنني أتقدم بالعرفان الصادق والشكر المفعم بآيات التقدير لأستاذى الجليل الأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازى الذى كان له الفضل في إخراج هذه الرسالة على هذا الوجه ، ولذا أجدني أمام فضله السابغ وكرمه البالغ ، مهما أوتيت من جوامع الكلم – لا أوفيه حقه من الشكر ، وأضرع إلى الله أن يبقيه ذخرًا للعلم والعلماء ، والطلاب والمريدين .

* * *

التمهيـــــد

أولًا : التوحيدى : حياته ومؤلفاته :

شغل أبو حيان المؤلفين والناقدين والباحثين قديمًا وحديثًا ، فكتب عنه واقتبس من كتبه ياقوت الحموى(1) والذهبي(2) والعسقلاني(3) والسيوطى(4) وكتب عنه من المحدثين بروكلمان(5) وآدم ميتز(6) ومرجليوث(7) ومايرهوف(8) ودى بور(9) وخير الدين الزركلى(10) وزكى مبارك(11) والسندوبى(12) وأحمد أمين(13) وعبد الرحمن بدوى(14) ومحمد كرد على(15) وألف عنه كتبا عبد الرزاق

---

(١) إرشاد الأريب ، ياقوت الحموى ج ٥ ص ٣٨٠/٤٠٧ .

(٢) ميزان الاعتدال ، للذهبي ج ٤ ص ٥١٨ تحقيق محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب القاهرة ١٩٦٣م .

(٣) لسان الميزان ، العسقلاني ج٦ ص٣٦٩ ، ص ٣٧٢ .

(٤) بغية الوعاة للسيوطي ص ٣٤٨ ، ص٣٤٩ .

(٥) تاريخ آداب اللغة العربية بروكلمان ج ١ ص ٢٨٣ ، والملحق ج ١ ص ٤٣٥ .

(٦) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى ، آدم ميتز ج ١ ص ٣٩٣ .

(٧) دائرة المعارف الإسلامية مادة توحيد ج ١ ص ٣٣٣ .

(٨) التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ، ترجمة عبد الرحمن بدوى ص ٨٨ / ٨٩ ، القاهرة مكتبة النهضة .

(٩) تاريخ الفلسفة في الإسلام ، ترجمة محمد أبو ريدة ص ١٥٦ ، القاهرة مطبعة مؤسسة التأليف والترجمة والنشر .

(١٠) الأعلام ، خير الدين الزركلى ج ٥ ص ١٤٤ الطبعة الثانية .

(١١) النثر الفني في القرن الرابع ، زكى مبارك ، ج ٢ ص ١٣٢ ، ص ١٤٤ مطبعة دار الكتب القاهرة .

(١٢) مقدمة المقابسات ، حسن السندوبي القاهرة ١٩٤٩ .

(١٣) مقدمة الإمتاع والمؤانسة أحمد أمين .

(١٤) مقدمة الإشارات الإلهية عبد الرحمن بدوى .

(١٥) أمراء البيان ، محمد كرد على ، ص ٤٤٥ ، ٤٩٩ الطبعة الثالثة – دار الأمانة بيروت ١٩٦٩م .

محيى الدين[١] وأحمد الحوفى[٢] وإبراهيم الكيلاني[٣] وإحسان عباس[٤] وزكريا إبراهيم[٥] وعبد الواحد حسن[٦] وعبد الأمير الأعسم[٧] وبحوث ومؤلفات عدة قدمت من مستشرقين أفادوا من علم أبي حيان وترجموا له[٨] .

هو على بن محمد بن العباس ، وأبو حيان كنيته التي اشتهر بها شهرة أجمع عليها كنسبته التوحيدى . وقد غلب عليه تلقيبه بالتوحيدى لأن أباه كان يبيع نوعا من التمر يسمى التوحيد[٩] ويرى ابن حجر العسقلاني أن هذا اللقب يحتمل أن يكون نسبة إلى التوحيد الذي هو الدين ، لأن المعتزلة يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد[١٠] ولا يستطيع المرء أن يرجح رأيا على آخر في تلقيبه بالتوحيدى ، لكن الذي يثير التساؤل أن أبا حيان نفسه لم يعرض لهذا اللقب في كتاب من كتاباته على كثرة ما ذكر كنيته . ولم يشر من قريب أو بعيد إلى نسبه .

واختلف الباحثون في تاريخ مولده ومدة حياته ، ولم يتفق المؤرخون على تحديد هذه التواريخ ، والاختلاف حول تاريخ المولد لشخص في تلك العصور المبكرة من الأمور المألوفة ، خاصة إذا كان هذا الشخص من أسرة غير معروفة ، وجملة كلام

---

(١) أبو حيان التوحيدى ، سيرته وآثاره ، عبد الرزاق محيى الدين .
(٢) أبو حيان التوحيدى أحمد الحوفي .
(٣) أبو حيان التوحيدى إبراهيم الكيلاني .
(٤) أبو حيان التوحيدى إحسان عباس .
(٥) أبو حيان التوحيدى فيلسوف الأدباء زكريا إبراهيم .
(٦) أبو حيان التوحيدى وجهوده الأدبية والفنية عبد الواحد حسن الشيخ الهيئة العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٠ م .
(٧) أبو حيان التوحيدى في كتاب المقابسات ، عبد الأمير الأعسم ، دار الأندلس بيروت .
(٨) أبو حيان التوحيدى ، الأعسم ص ٢٥ ، ٢٦ أكد الأعسم أن ما كتبه ياقوت عن أبي حيان يعتبر بحق إلى وقتنا هذا ، هو أفضل مصادرنا على الإطلاق .
(٩) تاج العروس مادة « وحد » ج ٤ ص٥٣٦ .
(١٠) لسان الميزان العسقلاني ج ٦ ص ٣٦٠ .

المؤرخين أن التوحيدى ولد بين سنتي ٣٠٢ ، ٣١٠ هـ وتوفى بعد سنة ٤٠٠ هـ وقبل سنة ٤١٤ هـ على وجه التقريب[١] ولم يشر أبو حيان إلى ميلاده ، والوثيقة الوحيدة التي تؤرخ لنا حياته هي رسالته التي بعثها إلى القاضى أبي سهل على بن محمد يخبره فيها بأنه أحرق كتبه ، ويشير في رسالته هذه أنه في عشر التسعين ولم يتمها بعد في رمضان ٤٠٠ هـ فهذه الرسالة هي الدليل على أن التوحيدى كان حيا حتى ذلك التاريخ، وكل التواريخ التي تشير إلى وفاته قبل سنة ٤٠٠ هـ[٢] نهملها، فهي مغلوطة، ورسالته إلى القاضى أبي سهل التي احتج بها ياقوت على أنه في عشر التسعين تعنى أنه ولد سنة ٣١١ هـ. أما بعد كتابته لرسالته هذه فلم نسمع له خبرا على الإطلاق، وأحسب أنه توفى فى سنة ٤١٤ كما يشير الشيرازى .[٣]

عاش أبو حيان شبابه وبقية عمره في كنف الدولة البويهية في جو مشحون بالاضطراب السياسى ، وعلى الرغم من هذا الاضطراب لم يقف حائلا دون ازدهار الحركة العلمية بفضل تشجيع أمراء هذه الدولة . ومن هنا نجد ألوانا من التفكير تدفع بمدارس فكرية وعقائد فلسفية واتجاهات مذهبية ومدارس كلامية ، ونرى أثر ذلك عند تناولنا ألفاظ الحياة الثقافية في مؤلفات أبي حيان التوحيدى ، ولابد أن يترك هذا الازدهار الثقافي بصمات واضحة على لغة ذلك العصر ، فإذا هي صورة حية لما أصابها على أيدى أعلام الثقافة العربية والإسلامية ، من تغيير في مفرداتها وتراكيبها ، وأيضا إثرائها بمادة غير عربية في كل الفنون والآداب والفلسفة والعلوم . فقد كانت الحواضر الإسلامية في العصر العباسى تغص بالعلماء ، وتزدان بالمفكرين والحكماء في كل مجالات العلوم . وفي هذا الجو المزدهر حضاريا قضى أبو حيان فترة طويلة من حياته

---

(١) أبو حيان التوحيدى سيرته وآثاره ، عبد الرزاق محيى الدين ص ١٠ . وانظر لسان الميزان ج ٦ ص٣٦٩ .

(٢) بغية الوعاة للسيوطى ص٣٤٨ وانظر مفتاح السعادة . لطاش كبرى زاده ، ج ١ ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٣) أبو حيان سيرته وآثاره عبد الرزاق محيى الدين ص ١٣ .

في بغداد حاضرة الدولة العباسية ، وعبر عن ثقافتها الغنية ، وحضارتها الخصبه ، ومجتمعها المزدهر أروع تعبير .

كان عصر أبي حيان أحفل العصور الإسلامية برجال العلم ، وكان أساتذته خير هؤلاء الرجال في كل فن من فنون الثقافة ، وما كان يبخل على نفسه بورود الموارد المختلفة ، ولا يخشى عليها من دراسة المذاهب الموافقة والمخالفة ، يلتقى بأصحاب كل مذهب ومقالة ورأى ونحلة ، فلا يتحرج أن يروى عن كل محدث في أى موضوع . أمضى أبو حيان حياته الطويلة متعلما ومعلما ، وانصرف إلى الثقافة انصراف المتعبد المتزهد ، فكان العلم على اختلاف فنونه ، هدف حياته ، وكان ذا قابلية فريدة للاختلاط بشتى البيئات الثقافية والاجتماعية ، عرف الوزراء ، والكتاب والفلاسفة والفقهاء ، والنحويين واللغويين ، والمتصوفة والزهاد والمترفين والفقراء ، وحضر حلقات الدرس ، ووصف ذلك كله في كتاباته أدق وصف وأمتعه .

وكانت ثقافته موسوعية شاملة التقطها من بطون الكتب وأفواه المتحدثين ، وقد غاص التوحيدى في بيئة القرن الرابع الهجرى وسبر أغوارها فتتلمذ على أيدى عظماء ذلك العصر ، سواء في الفلسفة أو المنطق أو الفقه أو اللغة أو النحو ، بل أخذ من جميع فنون عصره العلمية ، ويحق لنا القول مع ياقوت بأنه كان متفننًا في جميع العلوم من النحو واللغة والشعر والأدب والفقه والكلام ، كثير التحصيل للعلوم في كل فن حفظه ، واسع الدراية والرواية(١) ونجد العسقلاني أيضًا يعترف بفضل أبي حيان ويذكر أنه كان لغويًا ، نحويًّا شاعرًا(٢) .

أما معارف أبي حيان الأخرى فهى بلا شك متنوعة بتنوع أساتذته وشيوخه

---

(١) معجم الأدباء ج ١٥ ص ٥ ، ص ٦ .

(٢) لسان الميزان ج ٦ ص ٣٧ .

فلم يتوقف الرجل عند فن واحد[١] ، ولذا سمى بالجاحظ الثاني بل زاد على ذلك حتى قالوا إنه أجزل من الجاحظ لفظًا ، وأوسع علما لأن الجاحظ عاش في القرن الثاني وسجل كثيرا من معارف عصره ، وأبو حيان عاش القرن الرابع ودون كثيرا من علوم عصره ، وشتان بين قرن نشأ فيه العلم وقرن صار فيه العلم ناضجا ، فجاء إنتاج التوحيدى أغزر ثقافة وأكثر ألوانا من إنتاج الجاحظ ، وإن كان أبو حيان معجبا بالجاحظ إعجابا شديدا ومعتزا بكتاباته اعتزازًا عميقًا ومتبعًا لطريقته في التصنيف والتأليف[٢] هذا وقد وضعه المؤرخون إلى جانب المكانة البارزة التي يحتلها الجاحظ في الأدب العربي[٣] .

جمع أبو حيان بين التراث اليوناني من جهة ، والثقافة العربية من جهة أخرى ، وتتلمذ على كبار المفكرين والعلماء وزعماء الفكر في القرن الرابع الهجرى . ولعل خير أستاذ نبدأ به باعتباره أول من أمد التوحيدى بالفقه هو القاضي أبو حامد المرووذي وقد وصفه أبو حيان فأجاد الوصف ، وقرب إلى الأذهان صورة هذا العالم كما أوضح سبب تعلقه به فقال : لأنه أنبل من شاهدته في عمرى وكان بحرا يتدفق حفظا للسير وقياما بالأخبار واستنباطا للمعاني وثباتا على الجدل ، وحبرا في الخصام[٤] وكان أبو حيان كثيرا ما يلقبه بالقاضي ، خاصة عندما ينقل عنه أو يسمع منه رأيا فقهيا ، فمن ذلك قوله سمعت القاضى أبا حامد المروروذى يقول في كتاب أدب القاضى[٥] ذلك هو أبو حامد المرورذى الفقيه الأديب أستاذ التوحيدى الذي كان يصرف القول تصريفا ويخلص المحض من الممذوق ، ويميز

---

(١) أمراء البيان ج ٢ ص ٥٤٢ .
(٢) البصائر والذخائر ج ١ ص ٥ وانظر مجلة المجمع العربي مجلد ٤٠ ج ١ ص ٣٢٥ .
(٣) تاريخ الأدب العربي حب ص ٣٨ .
(٤) البصائر والذخائر ج ١ ص ٣٠٥ .
(٥) البصائر والذخائر ج ١ ص ١٠٠ .

اليقين من الشك[١] وبجانب تتلمذه على أبي حامد وأخذه الثقافة الإسلامية عنه ، فإنه أخذها أيضًا عن كثيرين غيره منهم محمد بن على بن إسماعيل القفال الشافعي الذى كان أوحد عصره في الفقه والكلام والحديث واللغة والأدب ، كما أخذ أبو حيان الفقه أيضًا والحديث على يد زكريا النهرواني القاضى[٢] كما درس الفقه والحديث والقرآن والتصوف في بادئ أمره على يد ابن القطان الشافي[٣] .

أما عن ثقافة التوحيدى اللغوية فقد تتلمذ على يد كثيرين من علماء اللغة والنحو ، وإذا ذكرنا السيرافى والرماني كفانا عناء ذكر الآخرين . فقد تتلمذ أبو حيان زمنًا طويلا على أبي سعيد السيرافي وكان هذا إمام وقته ، وحجة عصره . علما بالنحو ، وشرح الكتاب لسيبويه في ثلاثة آلاف صفحة ، وقرأ أبو حيان عليه هذا الشرح ، وقد لعبت شخصية السيرافى بما حوته من علم ومعرفة وزهد وتصوف وتقشف دورا كبيرا في حياة أبي حيان ، فكان دائم التعلق بأستاذه هذا ، وكثيرا ما نعته بكل ما استطاع من عبارات المدح والثناء ، فهو عنده شيخ الدنيا[٤] وشيخ الدهر وقريع العصر ، العديم المثل[٥] بل هو عنده عالم العالم وشيخ الدنيا ومقنع أهل الأرض[٦] وهو عنده أيضا أجمع لشمل العلم وأنظم لمذاهب العرب ، وأدخل في كل باب ، وأخرج من كل طريق ، وألزم للجادة الوسطى في الدين والخلق ، وأروى للحديث ، وأقضى للأحكام وأفقه في الفتوى[٧] وكان أبو حيان يثبت أقوال أستاذه السيرافى فيقول : قال شيخنا أبو سعيد الإمام نضر الله وجهه—

---

(١) البصائر والذخائر ج ٣ ص ٢١٧ .
(٢) أبو حيان التوحيدى ، إبراهيم الكيلانى ص ١٥ .
(٣) البصائر والذخائر ج ٢ ص ٤٧٥ .
(٤) مثالب الوزيرين ص ٢٤٨ .
(٥) معجم الأدباء ج ٨ ص ١٥٣ .
(٦) المقابسات ص ١٧٥ .
(٧) الإمتاع ج ١ ص ١٣٩ .

المصادر كلها على تفعال بفتح الفاء[١] ومن يقرأ كتب التوحيدى على اختلاف أنواعها سوف يجد أن السيرافى كان رافدا ثريا أمد أباحيان باللغة فظهرت آثارها في كتبه ، وحق الكيلانى في قوله أن من يتدبر نفسية التوحيدى ويطلع على آرائه الأدبية وأفكاره الفلسفية يظهر له انعكاس آراء السيرافى وأفكاره في عقلية تلميذه[٢] .

ودرس أبو حيان اللغة والكلام والمنطق على عليّ بن عيسى الرمانى وهو أحد أئمة اللغة والأدب والمتكلمين على طريقة المعتزلة ، وكثيرا ما كان التوحيدى يلقبه بالشيخ الصالح[٣] أو النحوى ، عندما يسمع منه أو يروى عنه أو يحضر مجالسه للتعليم ، وقد أخذ عنه العلم سماعا وقراءة ومجالسة[٤] والتوحيدى مدين لأستاذه الرمانى بتكوينه العقلى والمنطقى فقد كان كثير النقل لآراء أستاذه في الكلام والمنطق واللغة والنحو ، وكان للرمانى أثر في تخريج التوحيدى في علم الكلام وتنشئته من الناحية العقلية والمنطقية[٥] .

ودرس التوحيدى الحكمة والفلسفة على عظماء عصره من الفلاسفة العلماء فمن أساتذته في الفلسفة والمنطق أبو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستانى وهو أعظم علماء زمانه ، وكان أبو حيان كثير الملازمة لأستاذه والأخذ عنه وتدوين كلامه ، وكانت الفلسفة عند أبي سليمان السجستانى تعنى علم النجوم والأفلاك والمجسطى والمقادير وآثار الطبيعة والمنطق ، الذى هو اعتبار الأقوال

---

(١) الإمتاع ج ٣ ص٢، ص٨٣، ١٢٩، ٢٤٠، وانظر البصائر ج٢ ص٣١٨، ص٣٥٧، ص٥٩٢، ٦٠٨ .

(٢) أبو حيان التوحيدى ، الكيلانى ص ١٤ .

(٣) المقابسات ص ١٨٧ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة ج ١ص ١٠٨ ، ج ٣ ص ١٣٠ .

(٥) أبو حيان التوحيدى زكريا إبراهيم ص ٣٦ .

بالإضافات والكميات والكيفيات(١) أخذ أبو حيان الكثير من هذه الثقافة اليونانية وكانت طريقته في الأخذ عن أستاذه السجستاني متنوعة بتنوع الظروف المتاحة له فمرة بالسماع والسؤال وأخرى بنقل الأقوال وحضور المجالس التي كان يعقدها المنطقى لتعليم الفلسفة والمنطق ، وطريقة أخرى تميز بها عن رواد مجالس أستاذه فقد كان يقرأ على أستاذه كتب اليونان أو يملي عليه ما أراده(٢) .

وكان أبو حيان يحضر كل مجلس فيه الفلسفة والعلم اليونانى أمثال مجالس القومسي(٣) وغيره من علماء هذا الفن ، ولعل رسالة الحياة لأبي حيان تعتبر أكبر دليل على مدى تبحره في الثقافة اليونانية ونقله من معظم فلاسفتها(٤) .

ودرس أبو حيان الفلسفة أيضا على يد أستاذ آخر هو يحيى بن عدى المنطقى الذى انتهت إليه رياسة أصحابه في وقته وزمانه بعد أن تتلمذ على يد متّى والفارابى ، حتى صار علما فردا ، وأوحد دهره في صناعته(٥) وقد أفاد أبو حيان من دروس يحيى بن عدى والتي تجد وصفها في كتاب المقابسات(٦) ، وقد نعته أبو حيان بالأستاذية(٧) وكان يلازمه ويحضر مجالسه ويدون ما يدور بها فقد حضر مجلس يحيى بن عدى سنة إحدى وستين وثلاثمائة مع البديهى(٨) .

وتتلمذ أبو حيان على كتب من لم يمكنه رؤيتهم(٩) ولعل خير من قرأ كتبهم

---

(١) الإمتاع ج ٢ ص ٦ ، ج ١ ص ٣٩ .
(٢) الإمتاع ج ٢ ص ١٥١ .
(٣) المقابسات ص ١٧٢ .
(٤) ثلاث رسائل لأبي حيان تحقيق الكيلاني ص ٥١ .
(٥) الفهرست لابن النديم ص ٣٨٣ .
(٦) أبو حيان التوحيدى ، الكيلانى ص ١٦ .
(٧) الإمتاع ج ٢ ص ٣٨ .
(٨) المقابسات ص ١٥٦ .
(٩) البصائر والذخائر ج ١ ص ٥ .

واستفاد منها أيضا وظهر أثرها في كتاباته أستاذه الجاحظ لأنه وجد في كلامه وروايته له الشفاء والتأدب والمعرفة فيقول : أنا اللهج أيدك الله بكلام أبي عثمان ولى فيه شركاء ، من أفاضل الناس ، فلا تنكر روايتى لكلامه ، فإن فيه شفاء ، وبه تأدبا ومعرفة[1] . وهكذا نجد أبا حيان قد أتيح له أن يتصل بأعظم علماء عصره ، ومفكرى زمانه مما أكسبه ثقافة موسوعية نرى أثرها فيما وصل إلينا من كتاباته .

مؤلفات أبي حيان :

صنف التوحيدى كتبا ورسائل كثيرة حتى عد بين القلائل في عصره ممن اشتهروا بكثرة التأليف ، ولم تكن كتاباته تدور حول موضوع بعينه ، بل تناولت شتى فنون المعرفة في عصره ، حتى عدت أشبه بدوائر معارف موسوعية ، تعرض على صفحاتها ما تفتق عنه الفكر في العصر العباسى من معارف متنوعة . .

وتعد كتابات أبي حيان خير دليل على ثقافة عصره ، تلك الثقافة التي دلنا التوحيدى على ينابيعها الأصلية المتنوعة[2] إن التعرض لمؤلفات التوحيدى يستوجب الإشارة إلى الجهود التي بذلها عدد من الباحثين والدارسين في إعداد قوائم لكتاباته نذكر منهم السندوبى في مقدمته عن أبي حيان في تحقيقه لكتاب المقابسات[3] وفي هذا المجال نذكر الاهتمام الكبير الذى أولاه محمد كرد على لمؤلفات التوحيدى حتى صار مرجعا لدارسى التوحيدى في العالم العربي[4] ومن الدارسين من بذل الجهد الكبير في دراسة مؤلفات التوحيدى ، أولهم وأقدمهم

(١) البصائر ج ٢ ص ٢٧٩ .
(٢) البصائر والذخائر ج ١ ص ٤ ، ٨ .
(٣) مقدمة المقابسات ، السندوبى ص ١٨ . القاهرة ١٩٢٩ .
(٤) أمراء البيان محمد كرد على ج ٢ ص ٤٨٨ .

عبد الرزاق محيي الدين الذي قدم عرضا ممتازا لمؤلفات التوحيدى اعتمد فيه على متابعاته لقوائم السندوبي ، وكرد على ، مع نظرة نقدية في مراجعة عنوانات الكتب المنسوبة أو التي لم تصح نسبتها إلى التوحيدى[1] وبعده جاء إبراهيم الكيلانى فقدم قائمة بأعمال التوحيدي كان أقل من محيى الدين . ثم جاء ثالثهم عبد الأمير الأعسم فقدم حصرا وافيا لمؤلفات أبي حيان المخطوطة والمطبوعة والمنسوبة أيضًا[2]، وهذه الدراسة البيليوجرافية ملحقة بدراسة عميقة لكتاب المقابسات وأهميته من بين مؤلفات أبي حيان .

مؤلفات التوحيدي المطبوعة :

١) **البصائر والذخائر** : معنى الاسم البصائر جمع بصيرة ، ومن معانيها في اللغة الفطنة والحجة والعبرة وكل منها صالح هنا في بصائر أبي حيان ، والذخائر جمع ذخيرة ، وهى ما أدخر ، فمعنى الكتاب إذن الفطن أو الحجج أو العبر والذخر النافع المدخر ، والكتاب فيه ألوان شتى من المعرفة وليس له منهج موضوعى فجاء الكتاب حشدًا عجيبًا من المعارف والحكم والمعلومات ، ففيه مسائل في اللغة والتصوف والنوادر والتاريخ والشعر والحكمة والفكاهة والمجون . ويعتبر كتابه هذا من أحفل كتبه بمسائل اللغة والاشتقاق وله في عرضها هناك أسلوب خاص كأن يذكر الكلمة ويتبعها بما جاء على حدها في المقاطع وعدد الحروف ثم بما يمكن أن يدحل عليها من إعجام ، ونقط ، وحركات إلى ما يشابهها ، ثم يبدأ بشرح المفردات واحدة واحدة ، مستطردا إلى ذكر شواهد الورود وقلما تخلو صفحة من صفحات البصائر من مسألة لغوية[3]

---

(١) أبو حيان التوحيدى سيرته وحياته عبد الرزاق محيي الدين ص ٤٧ .

(٢) أبو حيان التوحيدى ، عبد الأمير الأعسم ص ٧٨ .

(٣) البصائر ج ٣ ص ١٢٠ ، ج ٤ ص ١٣ ، ح ١ ، ص ١٤٩، ١١٣، ١١٤ ... الخ .

وهذه المسائل والمعارف نثرها أبو حيان نثرا لا يقتضيه ارتباط موضوعى وقد أحس بذلك أبو حيان فقال : إنما نثرت هذه القرائح على ما اتفق[1] وذكر أبو حيان أنه جمع كتابه هذا في خمسة عشر عاما مما سمع وقرأ . وعنى التوحيدى في المقدمة بذكر المصادر التى قرأها واستمد منها مادة كتابه فذكر فى المقام الأول كتب الجاحظ الذى تأثر به في حياته الفكرية ، ثم أتبعها بكتاب النوادر لابن زياد ، وكتاب الكامل للمبرد ، وكتاب عيون الأخبار لابن قتيبة ومجالس ثعلب وأوراق الصولى وجوابات قدامة هذا إلى جانب غيرها مما جمعه من أفواه الناس وحفظ ما نطقوا به ، وللتوحيدى ميزة مهمة في كتابه هذا وهى أمانته العلمية وحرصه على التحقيق ونقل الكلام الصحيح وما أكثر ما يمر القارئ في تضاعيفه بأمثال هذه الجمل : هكذا حفظته من المجالس أو قد حفظت من غير معرفة ثم سألت العلماء فوضح الجواب وغيرها ويقرر أبو حيان في تصديره لكتابه هذا أيضا أنه أورد فيه أمهات الحكم وكنوز الفوائد نقلا عن كتاب الله عز وجل وسنة رسوله[2] .

وللكتاب قيمة في الكشف عن محصل مطالعة التوحيدى وتجاربه، وعن اتجاه نواحى الثقافة في عصره .

٢) كتاب الإمتاع والمؤانسة :

مصدر ثمين لدراسة تراث التوحيدى والحياة الفكرية والاجتماعية في زمن بنى بويه . ولا نجد أبلغ عبارة من عبارة القفطى في وصفه لهذا الكتاب حين قال : هو كتاب ممتع على الحقيقة لمن له مشاركة في فنون العلم ، فإنه خاض كل بحر ، وغاص كل لجة[3] .

---

(١) البصائر ح ١ ص ٥٠ .

(٢) البصائر ج ١ ص ١٣ .

(٣) تاريخ الحكماء للقفطى ص ٣٨٣ .

وقد يكون من الحديث المعاد أن نقول إن كتاب الإمتاع والمؤانسة قد انفرد بإيراد وثيقتين هامتين : الأولى منها هي النص الذى كشف لنا عن مؤلفى إخوان الصفا، وقد نقله القفطى عنه، والثانية هي المحاورة الممتعة التى دارت بين أبي سعيد السيرافى ومتى بن يونس القنانى حول المفاضلة بين النحو العربى والمنطق اليونانى ، وهى تصور لنا قصة النزاع بين النحويين والمناطقة . وتظهر قيمة الكتاب فى ما يضمه من أفانين المعرفة والثقافة ما يعبر عن عقلية صاحبه الموسوعية ، ويلقى الضوء على الحالة الثقافية للعراق في القرن الرابع الهجرى . ومن يتصفح كتاب الإمتاع والمؤانسة يجد أن ليس للكتاب موضوع واحد ينسقه فى فكرة أو حول فكرة ، وإنما هو أفانين من المعرفة والثقافة لا يربطها رابط موضوعى . وهو ضرب رفيع من أدب المسامرة ، لأنه إجابات عن أسئلة شتى كان يعدها ابن سعدان فى نفسه ، أو كان يلقيها عفو الخاطر على صاحبنا ابن حيان في مجالس الإمتاع .

٣) المقابســـــات :

سمى أبو حيان كتابه هذا أخذا من قبس العلم بمعنى اقتبسه واستفاده . وأقبسه فلان العلم إذا أعطاه إياه ، يريد أبو حيان أن كلا منهم قبس من صاحبه أو أقبسه . وصفه كرد على فى أمراء البيان فقال : المقابسات اسمه من صيغة تفاعل من قبسه أو اقتبسه علما وخبرا ، أى أن كلا منهما أقبس صاحبه علما وصاحبه أقبسه من علمه[١] ويقول عبد الرزاق محيي الدين في وصفه للمقابسات : الكتاب أقوم مؤلفات صاحبى، وأحفلها بمسائل الفلسفة والاجتماع ، وأدقها تصويرا لما كانت تعج به بغداد آنذاك من بحوث الفلسفة الإلهية والطبيعية ، ومن تناول كل مسألة حتى مسائل اللغة الأدب بمعايير فلسفية نفسية[٢] ويقول عبد الأمير الأعسم في

---

(١) أمراء البيان محمد كرد على ج ٢ ص ٥٤٧ .

(٢) أبو حيان التوحيدى عبد الرزاق محيي الدين ص ٢٣٠ .

دراسته لكتاب المقابسات : إن كتاب المقابسات مصدر خطير في الكشف عن مناحٍ متعددة في اتجاهات مفكرى القرن الرابع الهجرى ، وإن المقابسات تؤرخ للأفكار الفلسفية التى كانت منتشرة في الدوائر الثقافية ببغداد ، وإن للمعلومات المتناثرة فى مطاوى المقابسات قيمة كبيرة في إعادة فحص مجمل الحركة الفكرية في القرن الرابع الهجرى[1] .

ويحتوى كتاب المقابسات على ١٠٦ مقابسة تختلف طولا وقصرا ، وتبحث كل واحدة منها فى موضوع مستقل ، تدور أحيانًا حول موضوعات فلسفية كالعلة والمعلول ، والصورة والمادة ، والهيولى والاسطقس ، وتتطرق أحيانا أخرى إلى موضوعات نفسية وأخلاقية كحديث النفس وما يغلب عليها ، وولوع كل ذى علم بعلمه وقضايا النفس والعقل وتستأثر مسألة النفس الإنسانية بالمكان الأول فى هذه المواضيع الخلقية وكذلك الصداقة والصديق والمزاج والانفعال وغيرها من مواضيع النفس . وهناك موضوعات أخرى متفرقة يرد ذكرها كالحديث عن النثر والشعر وأيهما أشد أثرا في النفس ، وأبحاثا وآراءً فى الأدب والبلاغة وعلاقة النحو بالمنطق ، والفرق بين طريقة المتكلمين وطريقة الفلاسفة . ومسائل أخرى متفرقة من كلام الفلاسفة المتقدمين ومن فروع العلوم المختلفة وهذا التنوع الكبير في الموضوعات التى يحتوى عليها كتاب المقابسات يدخلنا في الوسط العلمى الذى كان يعيش فيه أبو حيان مع جماعة من العلماء تجتمع غالبا حول أبي سليمان السجستانى في بيته أو تتقابل في الوراقين فى سوق أمام باب البصرة في بغداد، وكانت الجماعة مكونة من أناس مختلفى المشارب والنحل والعقائد والملل .

---

(١) أبو حيّان التوحيدى عبد الأمير الأعسم ص ٢٢٠ .

وغرض التوحيدى من المقابسات تحدد فى تصنيف أشياء من الفلسفة ، وإضافة أشياء أخرى تجرى معها، عن مشايخ العصر الذى أدركه، إذن فإن فضل أبى حيان فى كتاب المقابسات لا ينحصر فى نقل الأفكار والمساجلات التى كانت تدور فى الأوساط العلمية فى عصره ، بل هو يمتد أيضا إلى عملية تنقيح الآراء وغربلتها ، وإعادة صياغتها ، والتعبير عنها بأسلوب أدبى ناصع، وإن كانت آراء التوحيدى قد اختلطت ببعض آراء أستاذه السجستانى ، ولعل هذا مما يجعل لكتاب المقابسات قيمة كبرى فى تاريخ الصلات الفكرية بين علمين هامين من أعلام الفكر الإسلامى فى القرن الرابع الهجرى[١] . ويظهر التوحيدى منسقا في اختياره للمحاورات فتعددت طرقه فى الرواية صفّاها التوحيدى فى تركيبة اعتمدت على السماع ، وتسجيل المحاورات ، والأمالى ، وإثبات القراءات .

ونجد فى المقابسات نقولا عن أفلاطون كما ينص فى المقابسة ٦٤ وهناك جملة من المصادر يشير إليها أبو حيان فى كتابه هذا منها كتاب الثمرة لبطليموس[٢] وأيضا كان التوحيدى فى هذا الكتاب يحدد معانى الألفاظ وماجد على الكلمة من معانٍ إصطلاحية محدثة فى أبواب الفلسفة والتصوف والكلام، وقد ذكر العدد الكثير من تعريف الكلمات بحدودها الاصطلاحية[٣] .

٤) : الهوامل والشوامل :

معنى الاسم الهوامل هى الإبل المهملة المسيبة التى لا راعى لها ، فمن الجائز أن أبا حيان أراد بها الأسئلة المنطلقة الحرة التى تنتجع من يجيب عليها ، فهى إذا كالإبل

---

(١) أبو حيان التوحيدى زكريا إبراهيم ص ١١١ .

(٢) انظر المقابسة ٦٢ ص ٢٤٤ والمقابسة ٦٦ .

(٣) المقابسات ص ٣٠٨ ، ٣١٩ ، ٣٦٧ ، ٣٧٢ ، ٣٧٥ .

المسيبة التى تنتجع لتطعم لوتشبع . ومن الجائز أن تكون جمعا لهاملة من هملت السماء أى دام مطرها فى سكون . والمراد الأسئلة المنطلقة المتوالية الموجهة إلى مسكويه ، كأنها المطر المدرار .

أما الشوامل فهى جمع شامل أو شاملة ، من شمل الأمر إذا عم والمراد إذا الأجوبة الشاملة المحيطة المستوعبة لما فى نفس السائل . وهذا الكتاب عبارة عن أسئلة في موضوعات أدبية وإجتماعية وفلسفية وأخلاقية ونفسية ولغوية وجهها التوحيدى إلى مسكويه فأجاب هذا عنها ، ولا شك فى أن نصيب مسكويه من الكتاب أكبر وأوفى من نصيب التوحيدى . ويدلنا الكتاب على ما كان يشغل بال العلماء فى ذلك العصر من قضايا المعرفة وخاصة اليونانية ، التى صبغت بالصبغة العربية الإسلامية .

٥) الصداقة والصديق :

الموضوع العام للكتاب واحد وليس أشتاتا كما فى الإمتاع والمؤانسة أو الهوامل والشوامل ، لكن أبا حيان لم يبوبه ولم يقسمه أى تقسيم ، وإنما حشد كل ما يتصل بالصداقة والصديق حشدا لا تنظمه فكرة . فجمع في كتابه هذا معظم ما كتب عن الصداقة والصديق شعرا ونثرا ، لا عند العرب فى الجاهلية والإسلام فحسب بل عند اليونان والفرس وغيرهم من شعوب العجم أيضا . وقد حدد التوحيدى غايته فى وضع هذا الكتاب بقوله : سمع منى فى وقت بمدينة السلام كلام فى الصداقة والعشرة والمؤاخاة[1] .

---

(١) الصداقة والصديق ص ٩ .

٦) مثالب الوزيرين :

تعددت أسماء هذا الكتاب فهو مثالب الوزيرين وثلب الوزيرين[١] ، وذم الوزيرين وأخلاق الوزيرين[٢] ووصف أبو حيان نفسه كتابه هذا فى نص من كتاب الإمتاع والمؤانسة فقال مخاطبا ابن سعدان الوزير : على أني عملت رسالة فى أخلاقه – يقصد الصاحب بن عباد – وأخلاق ابن العميد وهى تجزع فى دست كاغد فرعونى[٣] ويصف إبراهيم الكيلانى هذا الكتاب بقوله :

وكان من أثر هذه الخصومة مع الوزيرين هذه التحفة الأدبية الثمينة التى أودعها على حد تعبيره نفسه الغزير ولفظة الطويل والقصير[٤] ويرجع السبق فى نشر هذا الكتاب للكيلانى فهو الذى نشره باسم مثالب الوزيرين .

والكتاب ليس كله هجاء ، ففيه هجاء ، وفيه وصف لأحوال الوزيرين وأخلاقهما وكفايتهما ، مع التحامل عليهما والجنوح إلى الغض من شأنهما وخاصة مع ابن عباد ، وقد بلغ هذا الكتاب الذروة فى الهجاء فهو أهجى ما أثر فى النثر العربي على الإطلاق[٥] .

٧) الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية :

هو كتاب فى التصوف ضمنه أبو حيان خلاصة تجاربه الروحية ، وأسلوبه رمزى غامض محشود بالإشارات والألغاز ، والأفكار هنا عرفانية ، والمقاصد روحية ، والألفاظ ذات مدلول تلمحه ولا تتبينه ، وتحوم حوله ولا تقع عليه ،

---

(١) انظر مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة ج ٢ ص ٣٣٢ .
(٢) انظر معجم الأدباء لياقوت ج ٧ ص١٥ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة ج ١ ص ٦٦.
(٤) مثالب الوزيرين المقدمة للمحقق إبراهيم الكيلانى ص ط .
(٥) أبو حيان التوحيدى عبد الرزاق محيي الدين ص ٤٩ .

والعبارة تراد هنا للتأثير لا لمجرد التصوير ، ولإلهاب الشعور لا لتطمين العقل[1] وأبلغ من وصف هذا الكتاب عبد الرحمن بدوى حين قال : إن الكتاب يعبر عن نفس دلفت إلى الإيمان المستسلم بعد أن عانت من تجارب الحياة أهوالا طوالا[2] هذا وقد استطاع التوحيدى أن يمزج فى إشاراته الصوفية بين كتابة النماذج للرسائل الصوفية–إذ إن الكتاب يحتوى على ٥٤ رسالة–وبين التعبير الوجدانى الذاتى ، وبهذا ارتفع بأسلوبه هنا إلى درجة لم يبلغها أى من المتصوفة من قبل[3] .

٨) رسالة فى علم الكتابة :

بحث كتبه التوحيدى الذى مارس مهنة الوراقة ردحا طويلا من الزمن فى وريقات قليلة عن الكتابة وأنواع الخطوط العربية وأنواع الأقلام وطرق القط والبرى ، ومعانى الخط مع سرد لبعض الأقوال فى الخطوط لمفكرين عرب وغير عرب . وهذه الرسالة تكشف عن سعة اطلاع ومعرفة فريدة بالخطوط وأنواعها ودقائق صنعة الخط ، وهى من أمتع وأقدم ما نشر عن الخطوط العربية وقواعدها وأنواعها . وكان التوحيدى بحكم مهنة الكتابة معنيا بهذه الصناعة مطلعا على دقائقها وأسرارها فهى ثمرة لمعرفته وتجربته معا ، وها هو يختمها بقوله : قال الشيخ أبو حيان : هذا ما انتهى إليه القول فى الخط وصفاته ، والقلم وحالاته[4] .

٩) رسالة فى ثمرات العلوم :

وهى رسالة صغيرة من خمس ورقات ملحقة بذيل كتاب الصداقة والصديق

---

(١) أبو حيان التوحيدى عبد الرزاق محيي الدين ص ٣٤٤

(٢) مقدمة الإشارات الإلهية تحقيق عبد الرحمن بدوى ص له .

(٣) مقدمة الإشارات الإلهية تحقيق وداد القاضى ص ٢٠ .

(٤) رسالة فى علم الكتابة ص ٤٧ .

وقد ألفها التوحيدى ردا على من قال إنه ليس للمنطق مدخل فى الفقه ولا للفلسفة اتصال بالدين ولا للحكمة تأثير بالأحكام وعلى من عاب المنطق وهجن طريقة الأوائل وقد أورد أبو حيان تعريفات للعلوم المعروفة فى عصره لا تخلو من دقة وحسن إحاطة مثل الفقه والسنة والقياس وعلم الكلام والنحو واللغة والمنطق والنجوم والحساب والهندسة والبلاغة والتصوف ونجد التوحيدى يقول فى خاتمة حديثه عن التصوف : ولقد لحق الطريقة حيف لكثرة الدخلاء فيها ، كما لحق البلاغة لكثرة مدعيها[1] .

ولئن كانت معظم تعريفات أبي حيان لهذه العلوم مأخوذة عن الحدود المأثورة التى كانت سائغة فى عصره إلا أننا نجد أن أبا حيان يصوغها بعبارته الجزلة الدقيقة المتوخية تحديد معالم كل علم والتمييز بينه وبين العلوم الأخرى .

١٠) رسالة الحياة :

هذه الرسالة بحث فلسفى فى الحياة والموت وقد شرح فيها أبو حيان ثمانية أصناف من الحياة .

وبعد فهذا هو أبو حيان وهذا عصره وتلك هى ثقافته وروافدها الفكرية والأدبية وهذه هى آثاره . وما تمثله من نواحى وجدانية أو فلسفية أو عدائية وكذلك تناولنا حياة التوحيدى من خلال الأشخاص الذين اتصل بهم ومدى علاقته بأعلام عصره ونوع هذه العلاقة .

---

(١) رسالة في ثمرات العلوم ص ١٩٤ .

ثانيًا : اللغة والثقافة :

علاقة اللغة بالثقافة هى علاقة تأثير وتأثر ، فاللغة تحدد الثقافة كما أنها تتحد بها فى الوقت نفسه ، ولموضوع اللغة جوانب متعددة . فقد بحث موضوع اللغة العلماء المختصون فى العصور القديمة والحديثة فكتبوا فيه كل على طريقته ، كما أن للغة تعريفات متنوعة منها التعريفات الحضارية . ومن هذه التعريفات ذات الصفة الحضارية أن اللغة منظمة عرفية للرمز إلى نشاط المجتمع[(١)] وهي أساس لكل أنواع النشاط الثقافى للاهتداء إلى معالم المجتمعات[(٢)] واللغة وثيقة الصلة بالإنسان وبيئته فهى جزء من السلوك الإنسانى[(٣)] وهذه التعريفات المتنوعة للغة تؤكد على ثلاث صفات تتميز بها اللغة : الطبيعة الصوتية ، والوظيفة الاجتماعية ، وتنوع البنية اللغوية من مجتمع إنسانى إلى آخر[(٤)] . فاللغة –إذن– عامل مهم للترابط بين جيل وجيل، وانتقال الثقافات عبر العصور لا يمكن أن يتم إلا بهذه الوسيلة ومن أجل هذا اهتم الباحثون بكتابة التطور التاريخى للغة . والمنهج التاريخى يقتضى أن نكون ملمين بأصول اللغة فنسلم بأن المادة اللغوية تخضع للتطور التاريخى ، ذلك أن المعجم التاريخى للغة ما هو ذلك المعجم الذى يتناول تاريخ حياة كل كلمة من كلمات اللغة[(٥)] .

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها تمام حسان ص ٣٤ .

(٢) علم اللغة المقارن إبراهيم السامرائى ص ١٥٩ .

(٣) اللغة والمجتمع محمود السعران ص ٣٩ .

(٤) علم اللغة العربية د. محمود فهمى حجازى ص ٩ .

(٥) علم اللغة العربية د. محمود فهمى حجازى ص ٩٦ .

هذا وقد استطاعت العربية وهى إحدى اللغات الحية التى ثبتت على مر العصور أن تكون لغة العلم خلال قرون عديدة ، فقد كتب بها المختصون من عرب وغير عرب ووجدوا أنها أمثل لغة للتعبير عن أفكارهم وأن فيها ما يمد الباحث المتخصص بطائفة كبيرة من الألفاظ الاصطلاحية ، ومن أجل ذلك نقل إليها المترجمون ثقافة الأمم الأجنبية من إغريق وغيرهم ، وكانت العربية خير وسيلة للإعراب عن حضارات مزدهرة فقد كانت سيدة لغات العالم القديم خلال قرون متلاحقة وكتب بها المفكرون من غير العرب أروع ما سطر من الفكر والمعرفة الإنسانية ومن هنا كنا قد ورثنا تراثًا ضخمًا هو مادة هذه اللغة .

أريد أن أخلص من هذه المقدمة التاريخية إلى أن العربية فى أوائل تطورها وذلك فى مطلع العصور الإسلامية قد حفلت بمادة ضخمة من المصطلحات التى تتصل بطائفة من العلوم العربية والإسلامية لقد توفرت فى العلوم العربية مادة اصطلاحية كثيرة ودقيقة أشد الدقة العلمية ، فقد كان للنحاة الأوائل مصطلحهم الذى عبر عن نضج كبير وإدراك تام لسمو هذه اللغة[1] ومثل هذا ينطبق على سائر العلوم العربية فهناك مصطلحات للبلاغة وعلومها المختلفة ، وهناك مصطلحات للعلوم اللسانية والعلوم الصرفية والعروضية . ثم بدأت العلوم الإسلامية بالظهور فى عصر ازدهار الحضارة الإسلامية فنشأت المصطلحات التى تتناول هذه العلوم على اختلاف أنواعها ثم اتسعت دائرة العلوم الإسلامية باتصالها بعلوم الأمم الأخرى مثل اليونان والفرس وغيرهم من العناصر الأجنبية التى إتصلت بالمجتمع العربي إبان العصر العباسى ، وفى تلك الفترة اجتذبت بغداد حاضرة الخلافة العباسية عددا من علماء المسلمين ليشاركوا فى إقامة الصرح الثقافى العربي الإسلامى ، وقد أدى اتصال العلوم الإسلامية بالجانب الفلسفى الوافد إلى نشوء علم الكلام وهو نواة

---

(١) اللغة والحضارة ، إبراهيم السامرائى ص ١٥٤ .

الفلسفة الإسلامية ومن هنا كانت استجابة اللغة العربية للعلوم الجديدة فكان المصطلح الفلسفى . وهكذا استطاع العرب أن يهيئوا لأنفسهم قدرا كبيرا من المعارف الإنسانية بسبب حركة الترجمة فكان للعرب هذا التراث الثقافى فى حقبة من الزمن لم يكن غيرهم مشاركا لهم وقد تم ذلك بفضل لغتهم العربية وهى مادة هذه الثقافة ومازالت معينا ثريا يمد الدارسين والباحثين بفيض من مادة تتصل بالمصطلح الذى تقتضيه ثقافتنا العربية ، ومن هنا انطلق اللغويون الأقدمون وأصحاب المعارف المختلفة لتفنيد هذه الألوان الاصطلاحية فظهرت المصنفات التى تتناول الألفاظ الإسلامية وهى كثيرة مثل كتاب الزينة للرازى وكتاب التعريفات للجرجانى وكتاب الكليات لأبي البقاء وغيرها كثير .

وقد أضافت العصور الإسلامية المتعاقبة مادة وفيرة فى ميدان المصطلح ، واتبع الأقدمون طريقين لتوفير المصطلحات الأول اعتمدوا على الأصول العربية والثاني أخذو بمبدأ التعريف وقصدوا به أن تؤخذ الكلمة الأجنبية بأصواتها وبتغير شيء من ذلك وضمها إلى العربية بحيث لا تبعد كثيرا عن أبنية العربية وبهذه الطريقة ظهرت مصطلحات الفلسفة والطب والموسيقى وسائر العلوم الأجنبية الأخرى وربما توسعوا فأخذوا الكلمة الدخيلة مجرين عليها الطابع العربى[1] .

ولما كانت ألفاظ الحياة الثقافية هى جوهر الموضوع وغرضه فالأجدر أن نبدأ بمعرفة ماهية الثقافة وحقيقتها ، ثم نبين ماذا يقصد بالمصطلح الثقافى ونشأته وتطوره حتى يقوم العمل على تصور شامل لما يهدف إليه البحث .

فالثقافة لغة من ثقف الشيء ثقفا وثقافا وثقوفة : حذقه، وثقفت الشيء حذقته . وثقف الرجل ثقافة أى صار حاذقا خفيفا ومنه المثاقفة . وثقف الخل

(١) فقه اللغة إبراهيم السامرائى ص ١٨١ .

ثقافة : حذق وحمض جدا وثقفه تثقيفا سواه وثاقفه فثقفه : غالبه فغلبه فى الحذق[1] . والثقافة اصطلاحا هى رياضة الملكات البشرية بحيث تصبح أتم نشاطا واستعدادا للإنجاز ، وترقية العقل والأخلاق والذوق السليم فى الأدب والفنون الجميلة وهى السمات المميزة لإحدى مراحل التقدم فى حضارة من الحضارات[2] . فالمثل الأعلى للتربية عن طريق الثقافة يرمى إلى تقويم الشخصية عقليا[3] . ويختلف مفهوم الثقافة باختلاف الأمم وحضاراتهم المتنوعة ويغلب على ثقافة كل أمة لون خاص يميزها عن غيرها .

ولفظة الثقافة ترد عند أبي حيان بالمعنى العام أى بمعنى تهذيب العقل وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : فخادعك على عقلك الرصين ، وينازلك فى ثقافة فهمك المتين[4] . ومن المادة « ثقف » ترد فى كتابات أبي حيان الألفاظ تثقيف ومثاقفة وكذلك الفعل ثقف يتثقف . يقول أبو حيان ذاكرا لفظة تثقيف بمعنى المهارة والحذق : وليس فى الدنيا محسوب إلا وهو محتاج إلى تثقيف ، والمستعين أحزم من المستبد ، ومن تفرد لم يكمل ، ومن شاور لم ينقص[5] . ويذكر أبو حيان لفظة مثاقفة بالمعنى الاصطلاحى أى المحاورة والمجادلة العلمية فيقول : وليكن الحديث على تباعد أطرافه ، واختلاف فنونه مشروحا والإسناد عاليا متصلا ، والمتن تاما بينا ، واللفظ خفيفا لطيفا ، وتوخ الحق فى تضاعيفه وأثنائه ، والصدق فى إيضاحه وإثباته ، واتق الحذف المخل بالمعنى ، واقصد إمتاعه بجمعه نظمه ونثره ، وإفادتي من أوله إلى آخره فلعل هذه **المثاقفة** تبقى وتروى، ويكون في ذلك حسن

---

(١) اللسان ج ١ ص ٣٦٤ . وانظر القاموس المحيط ج ١ ص ٤١٢ .
(٢) معجم المصطلحات العربية فى اللغة والأدب ص ٧٣ .
(٣) التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية ، عبد الرحمن بدوى ص ٧ .
(٤) مثالب الوزيرين ص ١٥٨ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة ج ١ ص ٦٥ .

الذكرى[1] . والفعل **ثقف** يرد عند أبي حيان بالمعنى الاصطلاحي وفى هذا المعنى يقول أبو حيان وذلك فى وصفه لكتابه البصائر والذخائر : هذا آخر الجزء الثانى وهو مقطع الكتاب ، وقد غرسْت فيه وصايا شريفة ، وحكما غزيرة ، وآدابا غريبة متى ذللت بروايتها لسانك ، وشحذت بحفظها طباعك وراسلت بمحاسنها سجراءك وثقفت بأحسنها نفسك وخبرت بعيونها آدابك ، كنت مخصوصا بالسعادة[2] . وبهذا المعنى الدال على مظاهر التقدم العقلى والحضارى يقول أبو حيان ذاكرا الفعل **ثقف** : وكان جميع ما ثقفناه ولقناه عن هذا الشيخ فى مجالس مختلفة ، بين جماعة متفاوتة ، فذلك ما استوسق هذا القدر الذى ملكته هذه المقابسة[3] . ثم الفعل يثقف يذكره أبو حيان بمعنى يفهم ويحذق فيقول فى نص من مقابساته : وليس كل وقت يوافق نشاط السائل فى سؤاله رغبة المسئول فى إجابته ، ولا فى كل حال يمكن للإنسان أن يثقف ما يقول ، ويقول ما يعمل ، ويحقق ما ينوى[4] .

وبعد هذه المقدمة عن الثقافة ومفهومها من الممكن أن ننظر إلى الثقافة العربية والإسلامية من اتجاهات متعددة كل اتجاه يمثل ركنا من أركانها وسوف نحاول فى دراستنا لألفاظ الحياة الثقافية فى مؤلفات أبى حيان أن نميز عدة مجالات لهذه الثقافة وهذا لا يعنى أن التقسيم يدل على انفصال كل مجال عن الآخر لكنه يمثل ترابطا موضوعيا بين الأجزاء المندرجة تحت كل تقسيم وكل مجال يرتبط مع المجال الآخر ليكون ثقافة معينة .

يمثل المصطلح فى كتابات أبي حيان جانبا مهما فى دراسة تاريخ اللغة . ولابد أن يؤخذ العامل الزمنى بعين الاعتبار فعمر كتابات أبى حيان تتجاوز العشرة قرون أو أكثر قليلا . واللغة لا تبقى دون تطور ، فإن ألفاظها شبيهة بالكائن الحى فى التطور

---

(١) الإمتاع والمؤانسة ج ١ ص ٩ .

(٢) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٣٤٩ .

(٣) المقابسات ص ٤٧٥ .

(٤) المقابسات ص ٤٥٣ .

والفناء، وقد ظهر تأثير العامل الزمنى هذا فى اصطلاحات أبى حيان، فمنها ما قدر له البقاء والانتشار حتى وصلت إلينا ومنها ما مات بعد ولادته بفترة وجيزة، ولا ينكر أحد ما لأبى حيان من جهود فى حفظ التراث العربى وتتمته ومحاولة بسطه لما امتاز به من الدقة والصدق فى الرواية.

والحديث عن المصطلحات الثقافية فى مؤلفات أبى حيان يعنى ما حفظ لنا عن أعلام الثقافة العربية والإسلامية فى القرن الرابع الهجرى، وإن تكن كتابات أبى حيان قد اشتملت على مرويات عن غير هؤلاء الأعلام، فإن المتتبع لكثير من هذه الآراء لا يجدها تفصح عن مرادها ولم يكن لها دور سوى التمهيد لظهور ألفاظ الحياة الثقافية على يدى أبى حيان وغيره من أعلام عصره. والناظر فى كتابات أبى حيان يجدها تضم معظم بل أكثر العلوم العربية والإسلامية. فمؤلفاته تمثل عصر ازدهار الثقافة فهى تضم أبحاثا فى النحو والصرف والاشتقاق وتضم أيضا أبحاثا فى الأدب والبلاغة وفى الكلام والحديث والفقه والعقيدة والمذاهب والملل والنحل والتصوف، وفيها أبحاث فى الفلسفة والمنطق والطبيعة وسائر العلوم الأخرى. وتحتوى هذه المؤلفات على عجائب الفكر الإنسانى وكنوز المعرفة حتى أن الناظر فى كتابات أبى حيان ليندهش وهو يفاجأ بين الحين والحين بعلوم لم يحسب لها حساب مثل علوم المتصوفة والمريدين والمحققين وعلوم الفلاسفة والمقارنة بين المنطق والنحو وغيرها.

وقد استنفذت هذه المعارف من التوحيدى جهدا عظيمًا لم يسبق إلى مثله أحد فهو قمة فى الشمول لجوانب المعرفة والإحاطة بكل العلوم عربية وغير عربية وصدق ياقوت حين وصفه فقال: فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة، ومحقق الكلام، ومتكلم المحققين وإمام البلغاء فرد الدنيا الذى لا نظير له ذكاء وفطنة وفصاحة ومكنة، كثير التحصيل للعلوم فى كل فن، واسع الدارية والرواية[1] .

---

(١) معجم الأدباء، ياقوت الحموى ج٥ ص ٣٨٠، ص ٣٨١، طبعة ٢ .

ووصفه أحد الباحثين المحدثين فقال: ربما كان أعظم كتاب النثر العربى على الإطلاق[1].

لقد كان شأن كلمة المصطلح شأن كلمة الثقافة نفسها فى الانتقال من المعنى اللغوى إلى المعنى الاصطلاحى ، وهما كغيرهما من الألفاظ التى اتخذت مدلولها العلمى الاصطلاحى بعد أن عرفت عبر أطوار عديدة بمعناها اللغوى . وهذا مما يؤكد لنا أن العلاقة بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحى للألفاظ كبيرة جدًا . وقد يكون انفصالهما فى الدلالة صعبًا للغاية .

كلمة المصطلح مأخوذة من أصل المادة « صلح » قال صاحب اللسان نقلا عن الأزهرى : الصلح : تصالح القوم بينهم ، وقد اصطلحوا وصالحوا وتصالحوا ، والصلاح ضد الفساد[2] . والثانية الدلالة الاصطلاحية وهى اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص[3] . وهذا الاتفاق هو اصطلاح قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول[4] . وقيل هو إخراج الشيء عن المعنى اللغوى إلى معنى آخر لبيان المراد . والاصطلاح مقابل الشرع فى عرف الفقهاء ووجه ذلك أن الاصطلاح افتعال من الصلح للمشاركة كالاقتسام ، ويستعمل الاصطلاح غالبا فى العلم الذى تحصل معلوماته بالنظر والاستدلال[5] .

وهناك تعريف شامل لكلمة المصطلح وهو اللفظ أو الرمز اللغوى الذى

---

(١) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع ، آدم ميتز ج ١ ص ٣٩٣ .

(٢) اللسان ج ٢ ص ٤٦٣ طبعة بيروت .

(٣) تاج العروس ج ٢ ص.١٨٣ طبعة بيروت المصورة عن طبعة بولاق .

(٤) التعريفات للجرجانى ص ٢٨ .

(٥) الكليات لأبى البقاء جـ١ ص ٢٠١ وانظر كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى جـ٢، ص٢١٧ طبعة خياط بيروت .

يستخدم للدلالة على مفهوم علمى أو عملى أو فنى أو أى موضوع ذى طبيعة خاصة[١] . وهذا الاتفاق إن تم بين جماعة من اللغويين على مسائل فى اللغة نتج عنه مصطلح لغوى ، وإن تم بين جماعة من الفقهاء على مسائل فى الفقه نتج عنه مصطلح فى الفقه ، وإن قام بين جماعة المحدثين تفتق عن مصطلح فى الحديث ، وإن كان بين جماعة النحاة صنعوا مصطلحا نحويا ونقول مثل ذلك فى سائر العلوم .

وهذا الاتفاق الذى يتم بين الجماعات المتنوعة من مفكرين وعلماء ولغويين ونحاة يبينه لنا أبو حيان فى نصوص عديدة من كتاباته موردا كلمة اصطلاح بمعنى الاتفاق وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : كان أبو حامد المرورذى يقول : القياس باطل فى اللغة ، لأن اللغة فى الأصل اصطلاح ، وفى الفرع اتباع والقياس استحسان وانتزاع ، ولو وضعت اللغة بالقياس لصرفت بالقياس ، فلما وضعت بالاصطلاح أخذت بالسماع[٢] . ويقول أيضا ذاكرا لفظة اصطلاح بمعنى اتفاق تم بين أهل اللغة : قال الزجاج : إنما سمى الخل خلا لأنه اختل بالحموضة ، قيل له : فإن العسل أيضا خل ، قال لأنه أخل بالحلاوة عن الحموضة فقال : هذا لا يلزم لأن الاصطلاح سبق بالمعنى الذى دل على الاشتقاق ولم يسبق المعنى فيقع عليه القياس[٣] . ويقول أيضا فى هذا المعنى موردا لفظة الاصطلاح : فلأن تخسر صحة اللفظ الذى يرجع إلى الاصطلاح أولى من أن تعدم حقيقة الغرض الذى يرجع إلى الإيضاح[٤] . وترد لفظة الاصطلاح فى كتابات أبى حيان بمعنى الاتفاق فى مجال المسائل الفقهية وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : لقد اختلفت الامة ضروبا من الاختلاف فى الأصول والفروع وتنازعوا فيها فنونا من التنازع فى الواضح

---

(١) لغة التقنية د. عبد الصبور شاهين ص٢ .

(٢) البصائر والذخائر جـ٢ ص ٦٦٧ .

(٣) البصائر والذخائر جـ١ ص ٣٩٠ .

(٤) المقابسات ص ٣٧٥ .

والمشكل من الأحكام ، والحلال والحرام ، والتفسير والتأويل ، والعادة والاصطلاح[١] . ويقول أبو حيان ذاكرا لفظة الاصطلاح بمعنى الاتفاق فى الأمور الدينية : اعلم أن الاضطرار موشح بالاختيار ، والاختيار مبطن بالاضطرار وهما جاريان على سننهما ، والملحوظ فيهما بالعين البصيرة معنى واحد ، وإن كانت العبارة مصروفة على معنيين إما لعسر المراد فى هذا المقصود ، وإما لضيق الإعراب عن عين الحقيقة ، وإما للاصطلاح الذى يجهل سببه[٢] . ويقول أبو حيان فى هذا المجال أيضا موردا لفظة الاصطلاح : حضرت القومسي أبا بكر المتفلسف ، وكتب لنصر حاشينكر ، وكان كثير الفضل ، فقيل له : هل يجوز أن يكون إثبات الناس للمعاد والمنقلب اصطلاحا منهم ، ومن أكابرهم ودهاتهم وعقلائهم فى بدء الدهر وسالف الزمان ثم ألف الناس ذلك ، ولهجوا بذكره مع تأكيد الشرائع له ، وتأييد الكتب الناطقة به؟ فقال : المعاد أثبت فى أنفس الناس وأرسخ فى عقولهم ، من أن يكون أصله راجعا إلى التواطؤ والتشاعر ، ومردودا إلى الاصطلاح والتنادى[٣] . وترد لفظة الاصطلاح فى نص لأبى حيان مرادفة للفظة الاتفاق وذلك فى قوله : ليس القرب والبعد ها هنا محمولين على رسم شاهدك وجارى عادتك ومعروف استعمالك ، لكنهما منسوبان إليك بحكم الاصطلاح والاتفاق ومنفيان عنه بحق البشرية والاستحقاق[٤] . وفى مجال الفلسفة والمنطق يذكر أبو حيان لفظة الاصطلاح بمعنى الاتفاق فيقول : كان المنطق وضعه رجل من يونان على لغة أهلها ، واصطلاحهم عليها وما يتعارفونه بها من رسومها وصفاتها[٥] . ويقول أيضا فى هذا المجال : فإنه إن خلا من العلة جرى مجرى الاصطلاح على غير غرض مقصود[٦] . ولفظة النسب اصطلاحى ترد فى نص لأبى حيان يقول فيه : واللسان

---

(١) المقابسات ص ٤٢٠ .
(٢) البصائر والذخائر جـ١ ص١٩٠ .
(٣) المقابسات ص ٤٢٠ .
(٤) الإشارات الإلهية ص ٣٦٠ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص ١١٠ .
(٦) الهوامل والشوامل ص ٢٦٦ .

كثير الطغيان ، وهو مركب من اللفظ اللغوى والصوغ الطباعى ، والتأليف الصناعى ، والاستعمال الاصطلاحى[1] . ومن المادة (صلح) يذكر أبو حيان الفعلين اصطلح ويصطلح . فيقول فى مثالب الوزيرين ذاكرا الفعل اصطلح بمعنى اتفق : ياهذا خلت الدنيا من الكرم والكرام ، واصطلح الناس على قلة المباهاة بالفضائل[2] . ويقول فى (الإمتاع) ذاكرا الفعل يصطلح بمعنى يتفق : قال أبو سليمان : لأن العلم والمال كضرتين قلما يجتمعان ويصطلحان[3] . وهذا الاتفاق الذى تم بين الجماعات المتنوعة من المفكرين والعلماء على استعمال ألفاظ معينة فى التعبير عن أفكارهم العلمية هو ما يعبر عنه بالمصطلح وترد لفظة المصطلح عند أبى حيان فى نصوص قليلة جدا من كتاباته وبالتحديد ترد فى نصين من كتابه (الهوامل والشوامل) وفى هذين النصين يقول أبو حيان موردا لفظة مصطلح بمعنى متفق عليه أى الاتفاق بين المعنيين بالأمر : اشتد اللغط ، وكثر الغلط ، ورجع كل إلى الشطط ، وفات الله الفهم والفاهم ، والوهم والواهم ، وبقى مع الحق علم مختلف فيه ، وجهل مصطلح عليه[4] . ويقول فى (هوامله) أيضا ذاكرا لفظة المصطلح بمعنى المتفق : وعلى ذم الناس البخل ومدحهم الجود ما سبب اجتماعهم على استشناع الغدر ، واستحسان الوفاء مع غلبة الغدر وقلة الوفاء ؟[5] . وهل هما عرضان فى أهل الجوهر ، أم مصطلح عليهما فى العادة ؟ فالمصطلح إذن لفظ محدد يستخدم للدلالة على ظاهرة معينة وقد تتعدد المصطلحات للدلالة على ظاهرة واحدة وقد نجد المصطلح الواحد عند أكثر من فئة من العلماء ، ولكننا نجده بمعان مختلفة أيضا ، ثم إن تتبع المصطلح ونسبته إلى قائله لا يقل صعوبة عن معرفة التطورات الدلالية التى مرت به .

---

(١) الإمتاع والمؤانسة ج ١ ص ٩ .
(٢) مثالب الوزيرين ص ٣٢٢ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة ج ٢ ص ٤٩ .
(٤) الهوامل والشوامل ص ٥٦ .
(٥) الهوامل والشوامل : ص ١٢٠ .

وقد يسأل سائل : إذا كان المصطلح ناتجا عن إجماع جمهرة من المشتغلين به فلماذا نجد الاختلاف بينهم حول الكثير من المصطلحات ؟ وجوابا على ذلك أقول : إن الاختلاف فى تقرير المصطلحات ووضعها بشكلها النهائى أمر أملته المناهج العلمية التى يتبعها طوائف هؤلاء العلماء ، ونظرا لكثرتهم والتابعين لمناهجهم كونت كل طائفة ما يشبه الإجماع على هذا المصطلح أو ذاك ، والمصطلح لا يصح أن يتغير برأى فرد ولا جماعة وإنما يتغير بإجماع أو ما يشبه الإجماع يتم بين المشتغلين به والمنتفعين بمزاياه .

والمتتبع لمصطلحات أبي حيان يواجه صعوبة فى تحديد أطرها وتعيين تاريخ ظهورها إذ إن محاولة التتبع هذه والاستقصاء لمعرفة نسبة هذه المصطلحات إلى مبتكريها يعتبر ضربا من المستحيل ، إذ لا يبعد أن أذكر مصطلحا عن أبى حيان يكون هو نفسه قد أخذه من أحد أساتذته أو علماء سبقوه ولم يكن هو السابق إلى ذكر هذا المصطلح ولكن عدم وجود الدليل على ذلك ، ولما امتاز به أبو حيان من ذكاء وقدرة على التعليل والاختراع لكل هذا فليس أمام البحث من فرض سوى نسبة هذه المصطلحات الثقافية الورادة فى كتابات أبى حيان إلى عصره حتى يقوم الدليل على غير ذلك فى ضوء دراسات لنصوص أسبق ، وما أشد حاجتنا إليها . والمتصفح لكتابات أبى حيان يجد أقواله وآراءه مبثوثة فى جميع الأبواب فهو فى أغلب الأحيان مسؤول فيجيب عن خبرة واسعة بالمعارف والعلوم العربية والأجنبية .

* * *

الباب الأول

الألفاظ الثقافية العامة

يتناول هذا الباب الألفاظ والمصطلحات الثقافية العامة لتحديد دلالاتها ودراستها فى عصر أبى حيان التوحيدى ، وهو القرن الرابع الهجرى على وجه التحديد . وسوف تحدد معانى الألفاظ التى جمعتها من مؤلفات التوحيدى من خلال سياقها ، ولذلك تتضمن بعض الألفاظ عدة دلالات يحددها السياق . وقد صنفت الألفاظ فى مجموعات دلالية وبعد العرض الإحصائى لعدد مرات الورود فى كتب التوحيدى أتناول الألفاظ والمصطلحات بعد تقسيمها إلى مجموعات أصغر فأصغر لتحديد دلالاتها ، مع مقارنة معانيها فى نصوص التوحيدى بمعانيها فى المعاجم العربية .

* * *

الباب الأول

الألفاظ الثقافية العامة

الفصل الأول

المشتغلـــون بالثقافـــة

الفصل الثانى

أشكـــال العمـــل الثقـــافى

الفصل الثالث

دور العلم والمؤسسات الثقافية وأنشطتها

الفصل الرابع

وسائـــل العمـــل الثقـــافى

الفصـــل الأول

المشتغلـــون بالثقافـــة

يحتوى هذا الفصل على المجموعات الدلالية الأساسية للألفاظ الخاصة بالمشتغلين بالثقافة وهى :

(١) الكاتب ، المُنْشِئ ، المُحَرِّر .

(٢) الأديب ، الأدباء .

(٣) المُعَلِّم ، المُدَرِّس ، المُؤَدِّب ، الأستاذ ، المتأدب .

(٤) شيخ العلم وجموعه المتعددة .

(٥) المُؤَلِّف ، المُصَنِّف ، الباحث الناقد .

(٦) الوراق ، الناسخ ، الخطَّاط ، المذهِّب ، الخازن ، الطابع .

(٧) الموسيقار ، المطرب ، الزمار المهود ، الضارب ، المغنى .

* * *

الألفاظ الخاصة بالمشتغلين بالثقافة :

ألفاظ المشتغلين بالثقافة (٤٦) كلمة ، وهى :

الأدباء ، الأديب ، الأديبة ، الأستاذ ، الأشياخ ، أهل الأدب ، أهل الكتابة ، الباحث ، الباحثون ، البحاثة ، خازن الكتب ، الخطاط ، الزمار ، الشيخ ، الشيوخ ، الشيخان ، الضارب ، الطّابع ، فرسان الأدب ، الكاتِب ، الكُتاب ، المتأدب ، المُحرِّر ، المدرِّس ، المذهِّب المشائخ ، المشايخ ، المشيخة ، المصنف ، المصنفون ، المطرب ، المعلِّم ، المعلمون ، المغنى ، المنشئ ، المنشئون ، المهوّد ، المؤدِّب ، الموسيقار ، المؤلِّف ، الناسخ ، الناقد ، النقّاد ، النُقاد ، الوراق ، الوراقون .

وفيما يلى جدول بنسبة شيوع الألفاظ الخاصة بالمشتغلين بالثقافة فى مؤلفات أبى حيان التوحيدى :

الكلمة	عدد مرات ورودها	الكلمة	عدد مرات ورودها	الكلمة	عدد مرات ورودها
الشيخ	١٦٠	الموسيقار	٥	المشيخة	١
الكاتب	٧٧	أشياخ	٤	الأدبية	١
المعلّم	٢٦	خازن الكتب	٤	فرسان الأدب	١
الكاتب	٢٥	المؤلّف	٤	الباحثة	١
المشايخ	٢٠	المعلمون	٤	النقاد	١
الوراق	١٩	المؤدّب	٣	النقاد	١
الأدباء	١٤	الباحثون	٣	الزمار	١
الأديب	١٢	الناقد	٣	الضارب	١
الأستاذ	١١	المنشئ	٣	المهود	١
الوراقون	٩	المغنّي	٣	المنشئون	١
الشيوخ	٨	المصنفون	٢	الطّابع	١
المطرب	٨	المحرر	٢	المذهّب	١
الناسخ	٧	الخطاط	٢	المدرّس	١
الباحث	٦	أهل الكتابة	٢	المتأدّب	١
المصنّف	٥	أهل الأدب	٢		
المشائخ	٥	الشيخان	٢	المجموع	٤٦

وتقسم هذه المجموعة من الألفاظ من حيث دلالتها إلى سبع مجموعات : ألفاظ خاصة بالمشتغلين بالكتابة ، وألفاظ خاصة بالمشتغلين بالتأليف والتصنيف والبحث ، وألفاظ خاصة بالمشتغلين بالوراقة والنسخ وتزيين الكتب وتخزينها ، وألفاظ خاصة بالمشتغلين بالموسيقى والطرب .

(١) الكاتب/الكُتَّاب ، المنشئ ، المنشئون ، المحرر :

أطلقت كلمة كاتِب والجمع كُتَّاب على فئةٍ اتخذها الخلفاء والوزراء والأمراء لأداء المهام المتعلقة بالأمور الكتابية فى الدولة الإسلامية ، وقد نالت الكتابة مكانة مرموقة فى رحاب الحضارة العربية الإسلامية ، واحتل الكُتَّاب مقامًا ساميًا عند خاصة الملوك وجمهرة الرعية . وكان الكاتِب يختار فى أيام الراشدين وصدر من الدولة الأموية بإعتبار النسب والقرابة من الخليفة أو الأمير لأنه موضع الثقة والأمانة ، وبتطور الدولة الإسلامية أصبح الاختيار يتم وفقًا للإجادةِ فى المهنة ، وصار من جملة الصفات التى يتم بها اختيار الكاتب أن يكون من أرفع طبقات الناس وأهل المروءةِ والحشمة منهم وزيادة فى العلم وعارضة البلاغة فإنه معرض للنظر فى أصول العلمِ لما يعرض فى مجالس الملوك ومقاصد أحكامهم من أمثال ذلك ما تدعو إليه عشرة الملوك من القيام على الآداب والتخلق بالفضائل مع ما يضطر إليه فى الترسيل وتطبيق مقاصد الكلام من البلاغة وأسرارها[١] . كان لكل وزير فى العصر العباسى **كاتِب** ، بل **كُتَّاب** يعينونه ، وكان لولاة الأقاليم ورجال الدولة كُتَّاب .

ذكر أبو حيان كلمة **كاتِب** والجمع **كُتَّاب** فى أماكن كثيرة جدا من كتاباته وعدّد أنواعَ الكُتَّاب فقال: الكُتَّاب سبعة: الكامِل، والأعزَل، والمُبْهَم، والرقاعى والمُخَيّل، والمُخَلّط، والسكيت[٢]. وتناول هذه الأنواع من الكُتَّاب

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٢٤٧ .　　(٢) مثالب الوزيرين ص ٩٥ .

وفسر معانيها فقال : « فأما الكامل : فهو الذى له فى الإنشاءِ والإملاء حظٌّ[١]. وقال : الأعزل الذى يُملى ولا يكتب ، والمبهم الذى يكتب ولا يُملى . والرقاعى : الذى يبلغ فى الرقاع حاجته ، ولا يصلح لعظم الكتابة . أما المخيل : الذى له عارضة وبيان ورواية ، وإنشاء ، ويعرف بالآداب ، ولا طبع له فى الكتابة وإذا كان عاقلا صلح لمنادمة الملوك . والمخلط : الذى يرى له فى الكتاب الواحد بلاغة جيدة وقدامه عجيبة . ووصف السكيت فقال : المخلط المتبلد ، وربما جاء بالشيء المحتمل إذا تعنى فيه[٢].

وبين أبو حيان مكانة الكُتَّاب ، فقال : وكان الكُتَّاب قديمًا : فى دور الخلفاء ومجالس الوزراء[٣] . احتل الكُتَّاب مقامًا ساميًا عند خاصة الملوك ، وعن مكانةِ الكُتَّاب . يقول أبو حيان أيضا : والمَلِك المُقيم بواسطة بلاده لا يدرك مصالح أطرافه وسد ثغوره وتقويم مملكته إلا بالكُتَّاب[٤] . وقد تقلد عدد من الكُتَّاب مراكزَ هامة فى الدولة لا تقل عن مرتبة الوزير ، خاصة بعد استحداثِ هذا المنصب الأخير فى بداية الخلافة العباسية . ويقول أبو حيان : إنه « لولا الكُتَّاب لما استقل التدبير ولا استقامت الأمور »[٥] . وكان لهؤلاء الكُتَّاب ثقافة أوسع من ثقافة غيرهم ، وكانت معارفُهم ودائرة اطلاعهم واسعة شاملة لأنهم – بحكم مناصبهم – مضطرون أن يعرفوا أحوال الناس وتقاليدهم ، وأن يعرفوا من اللغةِ والأدب وعلوم الدين والفلسفة والجغرافية والتاريخ طرفًا ، لأن كثيرًا من مواقفهم يحتاج إلى ذلك ، وقد تعرض على الخليفة أو الوالى مسائل من هذا القبيل ، يضطر الكاتب إزاءها أن يكون ملمًا بجميع ذلك[٦] وقد كانت فئة الكُتَّاب هذه ذات

---

(١) مثالب الوزيرين ص ٩٦ .
(٢) مثالب الوزيرين ص ٩٦ .
(٣) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٩ .
(٤) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٨ .
(٥) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٩ .
(٦) ضحى الإسلام جـ ١ . ص

مكانة مهمة ، قال أبو حيان : ولولا الكُتَّاب لاختلفت أخبارُ الماضين ، وانقطعت أنباءُ الغابرين[١] .

ذكر لسان العرب المعنى اللغوى لكلمة **كاتب** ، قال ابن الأعرابى : الكاتِب عندهم العالِم . قال الله تعالى : ﴿ أم عندهم الغيب فهم يكتبون ﴾[٢] ، وكان الكاتِب عندهم عزيزًا ، وفيهم قليلًا ، وقد سُمِّى بالعالِم لأن الغالب على من كان يعرف الكتابة ، أن عنده العلم والمعرفة[٣] . تكررت هذه اللفظة فى كتابات أبي حيان كثيرًا ونورد بعض النصوص التي وردت في كتابات التوحيدى والتى يصف بها الكاتِب وأدب الكاتِب . وقد يقصد بالكاتِب من تخصص فى التأليف ، ولكن أبا حيان أطلقه على من له مهارات متعددة قائلا : كما يقال إن زيدا الكاتِب كان طبيبًا ومنجمًا وذا صناعاتٍ كثيرة ، إنه الطبيب والمنجم والكاتب ، واحد فى الموضوع[٤] . وتطورت أعمال الكتابة بتطور الدولة وتعدد شؤونها فصار الكاتِب يؤدى كنه الحاجة بأبلغ من العبارة اللسانية فى الأكثر فيقول أبو حيان : واصفًا أبا إسحاق : وكان كاتب زمانه لسانًا ، وقلمًا وشمائل ، وكان له مع ذلك يد طويلة فى العلم الرياضي[٥] .

وبعد اتساع الدولة الإسلامية وازدياد مسؤوليةِ الخلفاء لم يجدوا بدا من أن يستعينوا بعدد غير قليل من الكُتَّاب وهذا ما عبر عنه أبو حيان فى أحد نصوصه فقال : إن المملكةَ العريضة الواسعة يكتفى فيها بمُنْشِئٍ واحد ولا يكتفى فيها بمائة كاتِب حساب[٦] وهكذا نرى أن صاحب القلم ، أو بالأحرى الكاتِب قد بلغ هذا الحد من الأمان والاستئمان بعد أن عهد له بتدبير المُلك وتوفير الفيء وحياصة الحريم وحفظ الأسرار وترتيب المراتب[٧] فإنه كثيرًا ما كان يلجأ إلى فرض شروط

---

(١) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٨ .
(٢) اللسان جـ ٣ ص ٢١٧ .
(٣) اللسان جـ٣ ص٢١٧ ، والآية من سورة الطور .
(٤) المقابسات ص ٣١٦ .
(٥) مثالب الوزيرين ص ٢٧٤ .
(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص٢٨ .
(٧) صبح الأعشى جـ ١ ص ٤٤ .

بعينها على الملك الذى يكتب له ، فقد ذكر أن على بن زيد الكاتِب صحب بعض الملوك فقال للمَلِك ، مشترطًا : أصحبك على ثلاثِ خلالٍ ، قال المَلك : وما هى ؟ فقال الكاتِب : لا تهتك لى سترًا ، ولا تشتم لى عِرضًا ، ولا تقبل فى قول قائلٍ حتى تسبرئ[1] .

وكانت طائفة الكُتَّاب تؤلِّف وحدة على رأسها الوزير ، بل وتتدرج فى الرقى إلى الوزارة ، معتمدة على كفايتها وبلاغتها . ومن الملاحظ أن أكثر هؤلاء الكُتَّاب كانوا من الفرس ، ذكرهم أبو حيان فى كتاباته فقال فى أحد نصوصه التى يصف بها الصاحب بن عباد موردا فى هذا النص مصطلح أهل الكتابة الذين هم من أصل غير عربى : رأيت يوما على بابه شيخا من **أهل الكتابة** والأدب ذكر أنه ورد من مصر ، وأنه أقام بها زمنًا وأن أصلَه من بلاد العجم[2] . ومصطلح أهل الكتابة يرد أيضا فى نص آخر لأبى حيان يقول فيه : حدثنى أبو الفضل الكيميائى قال : قلت لأبى الفضل بعد أن سم الحاجب النيسابورى ، ودس إلى ابن هند وغيرهم من أهل الكتابة والمروءة والنعمة : لو كَفَفْتَ فقد أسْرَفت[3] ، وهكذا نجد فى ذلك العصر المكانة الثقافية والإدارية للكُتَّاب .

ولفظة أخرى كان يطلقها أبو حيان على الكاتِب وهى لفظة **مُنْشِيء** ، فنراه يقول : فلو ظن ظان بأن مدار الملك على الحساب فهو صحيح ولكن بعد بلاغة المُنْشِيء[4] وقال أيضا : وذلك يوجد من الكاتِب **المُنْشِيء** الذى عبته وغضضته ، وهذه الدواوين معروفة والأعمال فيها موصوفة[5] ووصف المُنْشِيء فقال وأما قولك : المُنْشِيء والمُعَلِّم والنحوى إخوة فى الركاكة » فيما يتعلم الناس إلا من المُعَلِّم والنحوى وإن ندر منهم واحد قليل البضاعة من الحق[6] ، وقال أبو حيان يحدد أهمية المنشيء ويبين مكانته فى ذلك العصر :' وأشرف الناس الملك ،

---

(١) صبح الأعشى جـ ١ ص ١٢٩ .
(٢) مثالب الوزيرين ص ٢٠٩ .
(٣) مثالب الوزيرين ص ٢٥٣ .
(٤) الإمتاع جـ ١ ص ١٠٠ .
(٥) الإمتاع جـ ١ ص ٩٨ .
(٦) الإمتاع جـ ١ ص ١٠٢ .

فهو محتاج إلى البليغ والمُنشئ والمُحرِّر[1] ، ولكنه يعود فيحدد لنا هذه الأهمية وإلى أى مدى بلغت عنده فيقول : إلا أن المملكة العريضة الواسعة يكتفى فيها بمُنْشِئ واحد[2] . ولفظة الجمع مُنْشِئون[3] ترد عند التوحيدى فى قوله : يقولون : اللهم إنا نعوذ بك من رقاعةِ المُنْشِئين[4].

ولفظة المُحَرِّر التى تؤدى معنى مقاربا للمنشِئ والكاتِب ذكرها أبو حيان فى قوله : وأشرف الناس المَلك ، فهو محتاج إلى البليغ والمنشِئ والمحرِّر[5] ، ويقول أيضا ذاكرا لفظة المحرِّر : كنت يوما من الأيام عند بعض الرؤساء ، وجرى كلامٌ فى نعت الخطِّ فانبريت بكلام كنت وعيت جَلَه من البربرى أبى محمد المُحرِّر عندنا ببغداد ، وكان مُبْرِزًا فى صناعته[6] هذا النص يبين لنا المعنى الاصطلاحى للفظة المُحرِّر وهو من يمتهن الخطّ والكتابة ولم ترد لفظة المحرِّر فى اللسان عند تناوله لمادة « حرر »[7] .

ولفظة (الكاتِب) من الألفاظ اللغوية التى مرت بأطوار متعددة فى استخدامها ، وهذا ما أوضحه لنا أبو حيان فى كتاباته المتضمنة لنصوص ترد فيها لفظة (الكاتِب) بمعانٍ متعددة ، يتضح فيها المتغير الدلالى الذى حصل لهذه اللفظة . كانت لفظة (الكاتِب) تُطلق فى بدايةِ استخدامِها اللغوى على كل من يمتهن حرفةَ الكتابة[8] بجميع أنواعها خطيّة كانت أو إنشائيّة ، وبهذا المعنى وردت لفظة (الكاتِب) فى نصوصٍ كثيرة من كتابات أبى حيان ، وقد أطلق أبو حيان لفظة (الكاتِب) على بعض أعلام عصره ، فقال : سمعت أبا إسحاق الصابى

(١) الإمتاع جـ ١ ص ١٠٢ .
(٢) الإمتاع جـ ١ ص ٩٦ .
(٣) اللسان جـ ٣ ص ٦٣٢ .
(٤) الإمتاع جـ ٢ ص ٩٦ .
(٥) الإمتاع جـ ١ ص ١٠٢ .
(٦) رسالة فى علم الكتابة ص ٢٩ .
(٧) اللسان جـ ١ ص ٦٠٦ .
(٨) اللسان جـ ٣ ص ٢١٦ .

الكاتِب يقول لأبى الخطابى الصابى : اعلم أن المذاهبَ والمقالاتِ والنحل ، وجميع ما اختلف الناس فيه وعليه كدائرةِ العقل[1] ، وقال أبو حيان أيضا موردًا لفظة (الكاتِب) بمعناها الشامل أى بمعنى العالِم بجميع الأمور المختصة بالكتابة والثقافة : سمعت الخُوارزمى الكاتِب يقول لأبى إسحاق الصابى إبراهيم بن هلال لِمَ – إذا قيل لمصنِّف أو كاتِب أو خطيب أو شاعر فى كلامٍ قد اختل شىء منه ، وبيت قد انحل نظمُه ، ولفظ قلق نصابه : هات بدل هذا اللفظ لفظا ، ومكان هذه الكلمة كلمة ، وموضع هذا المعنى معنى آخر – تهافتت قوتُه ، وصعب عليه تكلفه ؟[2] .

وتخصصت وظيفةُ (الكاتِب) مع مرور الزمن ونتيجة للحاجة الملحة لمتطلبات العصر ، وفى هذا المعنى ذكر أبو حيان هذه اللفظة وقد تخصصت دلالتُها بالنسبة إلى ما ينجزه الكاتِب من عملٍ ، قال أبو حيان : يلزم كاتِب الحساب أن يعرف وجوهَ الأموال حتى إذا جباها وحصلها عمل الحساب أعماله فيها[3] ، فمعنى لفظة الكاتِب هنا هو من يقوم على جِباية الأموال ومَسْك الدفاتر أى بمعنى المحاسِب فتخصيص الدلالة هنا واضح .

وترد لفظة الكاتِب أيضا فى كتابات أبى حيان بمعنى من يقوم بكتابة الكلام المُمْلى عليه ، وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : كان أبو السلم من فصحاء الناس سمعته يقول لكاتِبٍ بين يديه وقد كَتَبَ : من إسماعيل بن عباد ، وكانت العين من إسماعيل قد تطلست ولم يكن لها بياض المشقين بتعجرف الكاتِب والقلم . فقال : ولم ياهذا عينى هكذا ينبغى أن تُكْتَب ؟ بالله أنت أعمى ![4] .

---

(1) المقابسات ص ١٠٠ .

(2) المقابسات ص ١٠٢ .

(3) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٩٨ .

(4) مثالب الوزيرين ص ٢٥٩ .

وهناك مواضع فى مؤلفاتِ التوحيدى نجدُ فيها السياقَ دالًا على كون الكاتِب -بهذا المعنى البسيط- من أصحاب الصناعات . ويصور لنا أبو حيان انحطاطَ دلالةِ لفظة (الكاتِب) فى نص من رسالته المعنونة بثمراتِ العلوم فيقول : وأما الناظِر فى الحساب المفرد بالعدد فهو شريك صاحب النجوم اللهم إلا أن يَتَفَرد فى الحِساب بالعمل ، فحينئذ لا يستحق شرف العلماء ، لأنه يكون فى درجة الصناع كالكاتِب والماسِح[1] ، وبهذا يبين لنا ما وصلت إليه دلالة لفظة الكاتِب فى بعض السياقات من انحطاط . فبعد أن كان فى مصافِّ العلماء[2] المبدعين أصبح بمنزلةِ الصناع الحرفيين الذين يمتهنون الحرفَ اليدوية التى لا تتطلب الخلق والإبداع . فقد جَرَّدَ أبو حيان الكاتب من جميع ما كان يتمتع به من جاهٍ وعزٍّ وجعله مجرد عامل يدوى .

وهكذا نجد تعدد دلالةِ لفظة الكاتِب فى جميع مجالاتها . ونجد لفظة الكاتِب قد وردت في كتابات أبي حيان بمعانٍ متعددة ، فهو العالِم[3] والمؤلِّف المُبْدِع ومن يصوغ الكلام ويُمْسِك الحسابات ودفاتر الدولة ثم من يقوم على نسخ الكتب وخطِّها . وبهذه الرحلة الطويلة لدلالةِ لفظة الكاتِب نرى ظاهرةَ التعدد فى وجوه المعنى ، وظاهرة التغير الدلالى من تخصيصٍ ورقي وتحديد ثم انحطاط الدلالة .

جاءت لفظة مُنْشِئ عند أبى حيان بالمعنى الاصطلاحى[4] الخاص بالأمور الكتابية والمرادف للفظة الكاتِب ، استخدمها أبو حيان أيضا بصيغة الجمع مُنْشِئِين وبمعناها الاصطلاحى ولم ترد هذه الصيغة القياسية فى اللسان ، وإن كان قد ذكر المفرد بمعنى من يُنشيء الأحاديث أى يضعها ، وهكذا نجد هنا ضربا من ارتقاء الدلالة .

---

(١) رسالة فى ثمرات العلوم ص ١٩٣ .

(٢) اللسان جـ ٣ ص ٢١٧ .

(٣) وكذا فى اللسان مادة (كتب) .

(٤) الإمتاع جـ ١ ص ١٠٢ .

إن دلالة لفظة (المُنْشِئ / منشئين) ترتقى أحيانا عندما يتبوأ هذا المنشِئ المراكز المرموقة فى الدولة العباسية فيُصيب الدلالة الارتقاء نتيجة لذلك ، وأحيانا نجد أن بعض الانحطاط أصاب دلالة المنشيء عندما يُوصَف المنشئون بالرقاعة[1]، وهكذا تتذبذب دلالةُ هذه اللفظة بين الارتقاء فى أكثر السياقات والانحطاط فى سياقات محدودة ، وذلك بسبب كثرة التنافس بين المشتغلين بالثقافة ووصف بعضهم لبعض فى ذلك العصر .

أما لفظة **المحرِّر** التى وردت عند أبى حيان بمعناها الاصطلاحى المرادف للكاتِب الذى يحترف مهنة الكتابة الخطيّة[2] وهذه اللفظة اشتقاقٌ جديد أورده أبو حيان فى كتاباته ولم يذكرهُ صاحب اللسان عند تناوله لمادة (حرر) . فهى إذن لفظة جديدة ظهرت واستُخْدِمت فى مجال الثقافة وهذا مما أدى إلى اتساع دلالتها .

وهكذا نجد الألفاظ كاتِب ، ومُنشِيء ، ومحرر ، مترادفة وكذلك الجمع : كُتَّاب ومُنشئون من قبيل الترادف .

(٢) الأديب / الأدباء :

كان ابن منظور قد ذكر الدلالة اللغوية لكلمة أديب على لسان أبى زيد : أَدُبَ الرجل يأدب أدبا ، فهو أديب ، ويقال للبعير إذا رُيض وذُلل : أديب ، مُؤَدَّب[3] .

وردت لفظة **أديب** والجمع **أدباء** فى أماكن كثيرة جدا من كتابات أبى حيان التوحيدى فقد ذكر أبو حيان لفظة **الأديب** بعدة معانٍ منها المعنى الأخلاقى قال على لسان أحدهم : أما فى الدهر الصالح فالحسيب اللبيب الأديب ، فإنك تستفيد

---

(١) الإمتاع جـ ١ ص ٩٦ .

(٢) رسالة فى علم الكتابة ص٤٩ .

(٣) اللسان جـ ١ ص ٣٣ .

من حسبه كرمًا[1]، وقال أيضا فى هذا المعنى : إلا أن السعيد الفاضل ، والمُقدم الكامل الشريف الأديب[2] .

وقد وردت لفظة أديب بالمعنى الثقافى للأديب فى أماكن متفرقة من كُتُب أبى حيان فنراه يصف أحد الشعراء بالأديب فيقول : وأما الخالع فأديب الشعر صحيح النحت ، كثير البديع[3] والخالع هذا هو أبو على الحسن بن على الخالع شاعر من شعراء الوزير أبى نصر سابور بن أردشير . ونرى أبا حيان يَصِفُ بعض شخصيات عصره بلفظة أديب فيقول : هذا ابن كعب الأنصارى وكان أديبًا متكلمًا جاحظيًّا[4] ، ويصف ابن سيار فيقول : هذا ابن سيّار وقد قضى ببغداد ، وكان نبيلًا جليلًا أديبًا ، مفوهًا[5] ويخاطب أحَدَهم بلقب أديب فيقول : إنك أيها العالِم الفَقيه والأديب النحوى ، تتكلم فى إعرابِه وغريبِه ، وتأويلِه وتنزيله[6] .

وكان الأديب فى العصر العباسى يلم من كل شىء بطرف . ويُؤخذ من قولِ للحسن بن سهل أن برنامج الأديب ، أن يعْرف الضربَ على العودِ ولعبَ الشطرنج والصَوْلَجان ويعرف شيئًا من الطبّ والهندسة والفروسية ويعرف الشعر والنسب وأيام الناس ويتعلم أحاديث السمر ومحاضرات المَجالِس ، وقال ابن قتيبة : « من أراد أن يكون عالـمًا فليطلب فنًا واحدًا ، ومن أراد أن يكون أديبًا فليتسع فى العلوم[7] ، ويصف أبو حيان الأديب وخصائص عمله فيقول : وللأديب عِدْة ، وللعالِم عمدة[8] .

ولفظة **أدباء** جمع أديب وردت فى نصوصٍ مختلفة ضمتها كتب أبى حيان فنراه

---

(١) الصداقة والصديق ص ٣٦٦ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٨٣٥ .
(٣) الإمتاع جـ ١ ص ١٣٦ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣١٨ .
(٥) البصائر والذخائر جـ ٤ ص ٢٧٥ .
(٦) الإشارات الإلهية ص ٣٩ .
(٧) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ ١ ص ٣١٩.
(٨) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ١٢ .

يقول لصديق له : اجتماعنا فى مَجالِس العلماء ، أو تلاقينا على أبواب الحُكماء، والأُدباء أيام كنتُ أُفكهك الحديثَ النادر[١] وقال أبو حيان ذاكرًا لفظة أُدباء : أنت للأدباءِ حاسدٌ ، وللعلماءِ شاتمٌ ، وبالجليسِ هامزٌ[٢] .

ومما يجب التنبيه له أن عصرَ التوحيدى فرق بين العلماء والأدباء وهذا مما لاحظناه فى النصوصِ السابقة . ومما يلاحظ أيضًا أن كثيرًا من حاملي لواء الأدبِ فى ذلك العصر ، من شعراء وكُتّاب كانوا من أصل فارسيٍ من ناحية الأبوين معا أو أحدهما ثم تعلموا اللغة العربية وحذقوها[٣] . وفى هذا المجال يورد لنا التوحيدى نصًّا يذكر فيه لفظةَ الأُدباء مبينًا أصلَ أحدهم فيقول : نوح بن نصر وكان من أدباء ملوك آل سامان[٤] ، ومن الصفاتِ المميزةِ لهؤلاء الأُدباء ميلهم إلى عنصر الخيالِ والابتكارِ فى أي موضوع تناولوه أيا كان ذلك الموضوع وهذا مما يضفى ثوب الجمال على مواضيعهم فيجعلها سائغة شائقة للقراء . ويذكر لنا التوحيدى نصًّا يصف فيه كلام بعض الأدباء فيقول : سمع بعض الأُدباء كلاما فقال : هذا كلام يجب أن يُكْتَب بدموع الهجران على خدود القيان[٥] ، وكان فى ذلك العصر أُدباء ملتزمون وعلى جانب من التهذيب الخلقى ، وهنا يذكر أبو حيان المنصفين منهم فيقول : فلا أسأل المنصفين من الأدباء والمعينين من الإخوان أن يذكرونى بصواب[٦] ، ولا تنسى أن للأدباء مُلَحًا ونوادر وهذا ما تضمنته كتب التوحيدى فنراه يقول واصفًا كتابًا له : هذا–أيدك الله– آخر الجزء الثالث ، وقد حوى من فقر البلغاء ، ونوادر الأدباء ومحاسن النُّساك والحُكماء ما أسأل الله أن ينفعك به[٧] . ويصف آدم ميتز أُدباء العصر الذى نُؤرخ له فيقول هم أدباء نشأوا حول

---

(١) مثالب الوزيرين ص ٢٤ .
(٢) مثالب الوزيرين ص ٤٥ .
(٣) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ ١ ص ٣١٩ .
(٤) الإمتاع جـ ١ ص ١٢٩ .
(٥) البصائر جـ ٢ ص ٥٤٩ .
(٦) البصائر جـ ٤ ص ١٢ .
(٧) البصائر جـ ٣ ص ٦٨٣ .

الخلفاء وفى قصورهم وتعلموا الأدب على تقاليد الفروسية ، أُدباء من طرازٍ جديد يلمون بكل شيء ، ويشبهون فى عصرنا الحاضر الصحفيين غير المتخصصين الذين يتكلمون فى جميع الأمور(١) .

وفى مجال الألفاظ الخاصة بالمشتغلين فى الثقافة يذكر أبو حيان فى كتاباته مصطلحى : **أهل الأدب** ، **وفُرسان الأدب** ، فيقول ذاكرا مصطلح أهل الأدب : سمعت فى مَجْلِس أبى سعيد شيخًا من أهل الأدب يقول : ومن الأفعالِ من له وجهان(٢) ، ويقول أيضًا ذاكرًا أهل الأدب فى عصره : ويقال شانَفَني مُشانَفة أى عادانى مُعاداة وهذا كله مُحصل عن السَماع والكُتب والصحاح وأهل الأدب الموثوق بهم فى العراق(٣) ، أما مصطلح فرسان الأدب فيرد عند أبى حيان فى نص له من رسالته المعنونة بثمرات العلوم يقول فيه : سأُبين أصناف العلم فى هذا الموضع على وجه الإيجاز فإن استقصاءها لا تحويه هذه الرسالة ولا يتسع له هذا الوقت على أن شيوخَ العلم وأربابَ الحِكمة وفُرسان الأدب قد فرغوا من جميع ذلك فى كُتُب مشهورة تشتمل على آدابٍ مأثورة(٤) . ووردت لفظة **أَديبة** مرة واحدة فى نص لأبى حيان يقول فيه : سألت فَنَن ، وهى جارية أديبة كانت من آدَبِ الجوارى فى زمانها(٥) وهذه الصيغة المؤنثة لم ترد فى اللسان .

يتضح **مما تقدم** أن لفظة **أديب** والجمع **أُدباء** قد جاءت عند أبى حيان بمعانٍ متنوعة، منها المعنى الأخلاقىّ(٦) والمعنى الثقافيّ(٧) والمعنى الاصطلاحىّ(٨) . وهذه المعانى كثيرة الورود فى كتابات أبى حيان وخاصة ما جاء فى كتاب البصائر

---

(١) الحضارة الإسلامية، آدم ميتز جـ١ ص ٣١٩.
(٢) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١٩٦ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ١٣١ .
(٤) رسالة فى ثمرات العلوم ص ١٩١ .
(٥) البصائر جـ ١ ص ٤٤٦ .
(٦) البصائر والذخائر جـ ٤ ص ١٢ .
(٧) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣١٨ .
(٨) البصائر جـ٢ ص٥٤٩، جـ٣ ص٦٨٣.

والذخائر فقد احتوى هذا الكِتاب على عدد هائل من النصوص المتضمنة للفظة الأديب بجميع معانيها والأكثر ورودا هو المعنى الاصطلاحى .

أما التطور الدلالى فنجد أن لفظة أديب قد مرت دلالتها بأطوار متعددة خلال مسيرتها اللغوية حتى انتهت فى عصر أبى حيان إلى المعنى الاصطلاحى . ففى بدء استخدامها اللغوىّ كانت لفظة الأديب تدل على البعير إذا رُيض وذلل ، ثم انتقلت الدلالة إلى مجال آخر فدلت على من يتخلق بالظُرف والأخلاق الحميدة[1] ثم تطورت الدلالةُ للفظة الأديب واتسعت فأصبحت تُطلق على من يجيد الفنون والعلوم بأنواعها ، وبعدها أُطلِقت على من يُجيد الفنون الأدبية والتأليف فيها . وقد جاء هذا المعنى من ترويض الأديب شاعِرًا كان أو ناثِرًا للألفاظ والمعانى لكى تَنْقاد له حسب أحاسيسه وأفكاره فتُريض وتُذلل . ونجد أن دلالة لفظة الأديب قد تخصصت أحيانًا وفى فترة معينة فى ذلك العصر الذى نُؤرخ له ، وهذا ما نلاحظه من خلال نصوص أبى حيان ، فقد أُطلقت على كل من يُجيد الفنون والعلوم والآداب بأنواعها المتعددة ثم تخصصت الدلالةُ عندما أصبحت لفظة الأديب تُطلق على من يُجيد الفنون الأدبية[2] والعلوم اللغوية والنحوية ، وقد لُقِّبَ أبو حيان بالأديب النحوى[3] وأهل الأدب هم من المتخصصين باللغة والنحو[4] .

ونجد أيضًا أن لفظةَ الأديب قد أصاب دلالتها الارتقاء عندما اقترنت بلفظة العالِم والمُتكلِّم والفَقيه وما لهم من منزلة رفيعة فى ذلك العصر ، وإن كان هذا لا يمنع من ذكر أن أبا حيان كان يفرق بين عمل الأديب وعمل العالِم فى بعض

---

(١) اللسان جـ ١ ص ٣٣ .

(٢) البصائر والذخائر جـ٢ ص٥٤٩ ، جـ ٤ ص ٢٧٥ .

(٣) الإشارات الإلهية ص ٣٩ .

(٤) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١٩٦ .

نصوصه[1] وقبل أن أختم الحديث عن الأديب والأُدباء أذكر لفظة أديبة وقدْ وردت فى نص لأبى حيان صفة للمرأة ذات الذوق الأدبى الرفيع والثقافة الواسعة[2] . ومن النادر أن يُطلق هذا اللقب على المرأة، ولكن أبا حيان ذكر صيغة المُؤنثة للفظة الأديب وهو استخدام جديد لهذه الصيغة التى لم يتطرق لها صاحب اللسان ولم يتطرق لها غيره من أصحاب المعاجم العربية .

(٣) المُعَلِّم/المعلمون ، المُدَرِّس ، المُؤَدِّب، المتأدِّب، الأُستاذ :

من الألفاظ التى تخص المشتغلين بالثقافة والعلم لفظة « **المُعَلِّم** » وقد ذكر أبو حيان المُعَلِّم. والجمع المُعلمين والمُدَرِّس والمُؤَدِّب وكلها ذات دلالة واحدة وتعنى من يحمل مشعل العلم ويُضيء بنوره طريق الدارسين كبارًا وصغارًا وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : كان عيسى بن دَأْب ، يكنى أبا الوليد وكان من رواة الأخبار والأشعار وكان مُعَلِّمًا، وكان من علماء الحجاز[3] . ويقول عن الحسن البصرى : كان أعمل الناس بما أُمر به ، وأترك الناس لما نُهى عنه ، وكان إذا قعد على أمر قام به، وإذا قام على أمر قعد به، وكان مُعَلِّمًا بالنهار وراهبًا فى الليل[4] . والمُعَلِّمون أنواع فمنهم مَن يعلم ابتغاء الثواب ، ومنهم من يعلم ابتغاء الرزق والأَجر ، يقول أبو حيان فى هذا المعنى : أَسلَم أبو حنيفة ابنه حمادًا إلى المُعَلِّم فَعلَّمه الحمد ، فوصله بخمسمائة درهم فقال المُعَلِّم : إن هذا عظيم[5] ، ويذكر آدم ميتز أنه كان يدفع للمُعَلِّم فى ذلك العصر – أَجرًا عدا المال – أشياء مما يأكله الناس وينتفعون به ، ولذلك كانت رِغْفَان المُعَلِّم مثلًا يُضرب فى الاختلاف

---

(١) مثالب الوزيرين ص ٤٥ .

(٢) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٤٤٦ .

(٣) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٣٥٤ .

(٤) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٤٥٥ .

(٥) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٨٥٢ .

وشدة التفاوت لأن رِغْفَان المُعَلِّم تختلف بحسب اختلاف آباء الصبيان فى الغنى والفقر ، والجود والبخل[١] وروى ابن قتيبة : أن الضحاك بن مُزاحم وعبد الله بن الحارث ، كانا يُعلمان ولا يأخذان أجرًا[٢] . وقد يكون المُعَلِّم يتكسب من بابٍ آخر ويُعلم حسبة كأبى حنيفة كان بزازًا ، ويُعلم فى المسجد[٣] .

ولم يكن يخلو الحال من شخصياتٍ مضحكة بين المُعلمين كالتي نَجدُها فى كِتاب البيان والتبيين للجاحظ الذى أَلَّفَه لهؤلاء المُعلمين وملأه بالحكايات التى تدل على حماقاتهم وقلة عقلهم ورأيهم ، وفى هذا المجال ، يُورد أبو حيان نصوصًا تعنى هذه الفئة من المُعَلِّمين فيقول : يقولون : اللهم إنا نعوذ بك من رقاعةِ المُنشئِين وحماقة المُعلِّمين[٤] ، ويقول ردًّا على سؤال : كيف ترى كتابة ابن عباد؟ فقال : هي شوهاء، فيها شيء فى غاية التَّقَبح ، وفيها شيء فى غاية الرَّكاكة وبينهما فتور راكد بمذاهب المعلمين الحَمقى المُتعاقلين أشبه فيها بمذاهب الأولين من الكُتَّاب وأصحاب الدواوين[٥] ويقول على لسان صاحبِهِ : كان صاحبُنا يقول : أشد ما على أن خصمى مُعَلِّم مأبون[٦] .

وكان الخلفاء والأمراء والأغنياء فى العصر العباسى يتخذون لأولادهم مُعَلِّمين خاصين، ويقال إن مُعَلِّم أنو شروان ضربه يومًا بلا ذنب[٧]، ويَذكر البيهقى أن المأمون كان يُلازِمُهُ فى الكُتّاب غلامٌ لمُعلِّمه ، فكان إذا احتاج المأمونِ إلى مَحْوِ لوحَة بادر إليه ، فأخذ اللوحَ من يده وغلب على غُلمان المأمون فمسحه وجاء به فوضعه على المنديل فى حجره[٨]، ويذكر أبو حيان نصًا يبين فيه منزلة الدَّارسين

---

(١) الحضارة الإسلامية، آدم ميتز جـ١ ص٣٤٦.
(٢) المعارف، ابن قتيبة ص ١٨٥ .
(٣) وفيات الأعيان - ابن خلكان جـ١ ص٤٦٩ .
(٤) الإمتاع جـ ١ ص ٩٦ .
(٥) مثالب الوزيرين ص ٩٣ .
(٦) مثالب الوزيرين ص ٩٣ .
(٧) البصائر جـ٢ ص٢٦ .
(٨) المحاسن والمساوئ للبيهقى ص ٦٢٠ .

عند هؤلاء المُعَلِّمين فيقول : كان مُعَلِّمٌ يُقْعد أبناء المياسير والحِسان الوجوه فى الظل وأبناء الفقراء فى الشمس[١] ، ولم يقتصر عمل المُعَلِّمين على الصِّبيان والدارسين بل تجاوز إلى الجَوارى ويؤكد هذا ما قاله التوحيدى : رأى فيلسوفًا مُعَلِّما يُعلم جارية ويعلمها الخطّ فقال : لا تَزِد الشَّر شرًّا [٢] .

ولو نظرنا إلى المعنى الاصطلاحى للفظة المُعَلِّم وجدناه –أيضًا– فى لسان العرب : والمُكْتِب : المُعَلِّم ، وقال اللحيانى : هو المُكَتِّب الذى يُعَلِّم الكتابة . وقال : كان الحجاج مُكَتِبًا بالطائف ، يعنى مُعَلِّمًا ، ومنه قيل عبيد المُكْتِب ، لأنه كان مُعَلِّما . ويقول المبرد : المَكْتَب موضع التعليم ، والمُكْتِب المُعَلِّم ، والكُتَّاب الصبيان ، قال : ومن جعل الموضع الكُتّاب فقد أخطأ[٣] .

وفى كتابات التوحيدى ، نرى نصوصًا تربط ما بين المُعَلِّم والمُنْشِئ وهذا مما يُؤكد لنا ما فسره ابن منظور عن المُعَلِّم ، يقول التوحيدى : وأما قولك : « والمُنْشِئ والمُعَلِّم والنَّحوى أُخوة فى الركاكة » فما يتعلم الناس إلا من المُعَلِّم والعالِم والنَّحوى وإن نَدَرَ منهم واحد قليل البضاعة من الحق[٤] . ويقول : والمُنْشِئ والمُعَلِّم والنحوى أخوة وإن كانوا لعلاتٍ[٥] وأماكن التعليم كانت تَبْتدى بالكُتَّاب أو بالمُعَلِّمين الخاصين وتنتهى بأن تكون للمُعَلِّم حَلَقَة فى المَسْجد وإن لَزَمَ الأَمْرُ تكون له مَصْطَبَة فى الشارع وفى هذا المجال يقول التوحيدى : لو جَرَت الأمورُ على موضوع الرأى ، وقضية العقل ، لكان مُعَلِّمًا فى مَصْطَبَة على شارع[٦] أما المعلمون الذين يُؤَدِّبون الأولاد فى البيوت الغنية فكانوا أحسن

---

(١) البصائر جـ ٢ ص ٢١٩ .
(٢) البصائر جـ ٢ ص ٣٥٤ .
(٣) اللسان جـ ٣ ص ٢١٧ .
(٤) الإمتاع جـ ١ ص ١٠٢ .
(٥) الإمتاع جـ ١ ص ٩٦ .
(٦) الإمتاع جـ ١ ص ٧٠ .

حالاً[1]، وهذا المُعَلِّم يظل تحت إشراف من اختاره لتأديب أبنائه وهو الذى يُقدر رزقه، وبالطبع كان مُؤَدِّبو الأمراء أحسن المؤدبين حالاً، وكان الذين يختارون لتأديب أبناء الأمراء هم علماءُ اللغة المشهورون، فقد كان الفراء يُؤَدِّب ولدي المأمون وكان ابن السكيت يُؤَدِّب ولد ابن طاهر[2].

ولفظة مُؤَدِّب من مادة أَدُب، وقد جاء فى اللسان أَدَّبَ يأدب، وأدَّبه فتَأَدَّب عَلَّمه[3]. وترد لفظة المُؤَدِّب فى نصوص كثيرة من كتابات التوحيدى وقد ذكر عمل المُؤَدِّب فى نصٍّ له يقول فيه: شهد رجل عند ابن سوار فقال له: ما صناعتك؟ قال مُؤَدِّب، قال: فإنا لا نُجيز شهادتك، قال: ولِمَ؟ قال لأنك تأخذ على تعليم القرآن أجرة. قال: وأنت تأخذ على القضاء بين المسلمين أجرة، قال هلم شهادتك وأجازها[4]، وعن علاقة المُؤَدِّب بمن يقوم على تأديبه يقول أبو حيان على لسان ابن درستويه: قيل للمُبرد أكُنتَ أنت وأحمد بن يحيى جميعًا مع محمد بن عبد الله بن طاهر؟ قال: نعم كُنت معه جَليسًا ونَديمًا، وكان معى مُعَلِّمًا ومُؤَدِّبًا[5].

وفى نص للتوحيدى يذكر فيه لفظة **المُؤَدِّب**، فيقول: كان عمران المُؤَدِّبُ يجالس أبا سعيد الكاتِب مع ندمائه[6] ويرافق المُؤَدِّبُ من اختير لتأديبه مما يذكر عن عبد الله بن طاهر اختار لتأديب ابنه طاهر بن يحيى ثعلب النَّحوى اللغوى إمام الكوفيين، فأفْرَدَ له دارًا فى دارِه كان يُقيم فيها هو وتلميذُه[7]، ومن يقوم على تعليمه

---

(١) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ١ ص٣٤٦.
(٢) وفيات الأعيان، ابن خلكان جـ١ ص ٤٦٩.
(٣) اللسان جـ ١ ص ٣٣ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٦٧٩ .
(٥) البصائر والدخائر جـ ٣ ص ٧٢٤ .
(٦) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٤١٢ .
(٧) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ١ ص٣٤٧.

المُؤَدِّب يسمى **المُتأدب** وقد وردت هذه اللفظة فى نصٍّ لأبى حيان يقول فيه: وسيمر فى جواب هذه الحروف ما يشفى قرم المُتَأدِّب وينفى عن المَلول عادة السوء[١].

وردت لفظة **المُدَرِّس** عند التوحيدى بقوله : وقال المُدَرِّس بباب الطاق يومًا لابن الخلال الوَرَّاق : ياهذا إذا حَرَّفْتَ القلم فلا تُثْقِل عليه يدك[٢] . نرى أن لفظة المُؤَدِّب بمعنى المُعَلِّم وهو من يحترف التعليم كتعليم الأولاد مثلا ، وإن لم يكن المعنى مقصورًا : على الأولاد . وقد وصف الدَّارِس بأنه مُتأدِّب . ونجد أن الألفاظ مُؤَدِّب ومُتأدِّب ومُدَرِّس لم ترد فى اللسان ، وأن الألفاظ مُعَلِّم ومُأدِّب ومُدَرِّس ألفاظ مترادفة .

لفظة **الأُسْتَاذ** تعنى المُعَلِّم فى بعض الأقطار الإسلامية[٣] ، وذكر إخوان الصفا أنه لابد لكل صانِع من البشر من أُسْتَاذ يتعلم منه صنعته أو علمه ، والأُسْتاذ فى رأيهم هو الدليل فى تلك الصنعة ، وهو الذى يحرك القوة الكامنة فى نفس الصانِع ويخرجها إلى حيز الفعل[٤] ، وعرف الجواليقى لفظة الأُستاذ فقال : أُسْتاذ كلمة ليست بعربية . ويقولون للماهر بصنعته أُستاذ ولا توجد هذه الكلمة فى الشعر الجاهلى . واصطلحت العامة إذا عظموا الخَصىَّ أن يخاطبوه بالأُستاذ وإنما أخذوا ذلك من الأُستَاذ هو الصانِع ، لأنه ربما كان تحت يده غُلمان يؤدبهم ، فكأنه أُستاذ فى حسن الأدب . ولو كان عربيًّا لوجب أن يكون اشتقاقُه من السَّتْذ وليس ذلك بمعروف[٥] .

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ١١٥ . (٢) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٣ .
(٣) نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، ابن بسام، ص٢٧. (٤) رسائل إخوان الصفا جـ ١ ص ٢٩٤ .
(٥) المعرب للجواليقى ص ٧٣، وانظر شفاء الغليل للخفاجى ص ٣٤ ، والألفاظ الفارسية المعربة لآدى شير ص ١٠ ومعجم اشتاينجس ص ٤٩ .

وذَكَرَ التوحيدى لفظة الأُستاذ فقال : وكان الزيادى أُسْتَاذ زمانه فى النجوم فأضمر الموفق ضميرًا فقال الزيادى أضمير أمير المؤمنين رئاسةً وسلطانًا فقال: كذبت[١] . وترد لفظة الأُستاذ بمعنى كبير القوم وقائدهم ونرى أحدهم يخاطب صاحبه فى أحد نصوص التوحيدى فيقول : أَتطمع فى طعام الأُستاذ الرئيس ؟ وإبليس لا يحدث نفسه بهذا[٢] .

ويلتحق بالأُستاذ عادة عدد من التلاميذ وطُلاب العلم أو الصنعة يعلمهم أبوابًا من العلم وأسرارًا من الصنعة التى يتقنها ، وقد كانت علاقة الأُسْتَاذ بتلاميذه ، وثيقة ومبنية على الاحترام والتقدير حتى بعد وفاة الأُسْتاذ . وفى نص للتوحيدى يبين لنا مكانةَ الأُسْتاذ فى نفوس تلاميذه ومُريديه يقول : فقال أبو عبد الله : أيها الأُسْتاذ ، وكان عجبى منك دون عجبك منى ، لو تقارعنا على هذا لفلجت عليك بالتعجب منك . قال : لأنى قلت : إذا ورد الأُستاذ فسألقى منه خلقا جافيا وفظا غليظا ، حتى رأيتك الآن وأنت أَلطف من الهواء وأرق من الماء[٣] .

وفى نص آخر يقول التوحيدى عن أبى سعيد البسطامى الملقب بالأُسْتَاذ : وقد قال له قائِل : أيها الأُستاذ-وكذا كان يُخاطب-إن فلانًا يقول : متى عُرِضَ كلام أُستاذكم أبى سعيد على كتاب الله عز وجل خالفه ولم يوافقه[٤] ويرينا التوحيدى مكانة الأُستاذ وكيف يطلب وده من قِبل تلاميذه ، ومن يريدون تلقى العلم على يده فيقول : وأوصلك إلى الأُستاذ أبى عبد الله العارض-أدام الله تأييده-وأخطب لك قبولًا منه وتخفيف الإذن عليك ، وامتلاء الطرف بك ، ونَيْل الحَظْوة بخدمتك وملازمتك ، وفعلت ذلك كله حتى استكتبك : « كِتاب الحيوان » لأبى عثمان الجاحظ[٥] .

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٥٠٥ .
(٢) مثالب الوزيرين ص ٢٣٩ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص ١٣٨ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢٥٢ .
(٥) الإمتاع جـ ١ ص ٤ .

وينسب ابن خلدون حَذَقَ الصانِع فى صناعته إلى مَلَكة المُعَلِّم وقدرته ع
التعليم[١] وفى هذا المجال يُورد التوحيدى نصًّا عن يحيى بن عدى وتفهمه
الكيمياءفيقول : فقال – على الله قوله – فهل لهذا الأمر – أعنى الكيمياء – مرجو
وهل له حقيقة ؟ وما تحفظ عن هذه الطائفة ؟ فكان الجواب ، أما يحيى
عدى – وهو أُسْتَاذ هذا الجماعة فكان فى أصبعه خاتم من فضة يزعم أن فض
عُمِلَت بين يديه ، وأنه شاهد عملها عيانًا ، وأنه لا يشك فى ذلك[٢] . ويَذْ
أبو حيان أُسْتَاذ المُغنيين فيقول : سمع ابن السكيت عند المتوكل جارية تغنى
« أَظَلُوم أن مصابكم رجلًا » فقال : هذا خطأ ، والصواب أن تقولى : رجلٌ
وزعم أنه خبر أن ، فلم تلتفت الجارية إليه وأقامت على قولها وما علم
أُسْتاذُها[٣] .

مما تقدم من نصوص نرى أنه لابد لكل حرفة ومهنة من أُسْتَاذ فللمغني
أُسْتَاذ[٤] ، وللخدم أُسْتاذ[٥] وللمكدين أُسْتاذ[٦] ، ويسمى الأُستاذ بالمُعَلِّم ف
بعض الأقاليم الإسلامية كما يسمى بالأُسطى أو المُقَدَّم .

ومما تقدم نجد أن لفظة مُعَلِّم والجمع مُعَلِّمين جاءت عند أبى حيان بمعنى
اصطلاحى خاص بمن يقوم بتعليم الناس العلوم كافة[٧] أو بمن يقوم بتعليم الناس
أمور الدين وأصولَه[٨] أو بمن يقوم بتحفيظ القرآن وتفسيرِه[٩] والمُعَلِّم فى عصر
أبى حيان يقوم بعمله هذا ابتغاء ثواب من الله سبحانه وتعالى أو لقاءَ أجر معين
يكسبه ممن يقوم على تعليمهم وقد بَيّن لنا أبو حيان هذه الأنواع من المعلمين

---

(١) المقدمة جـ ٢ ص ٣٠٦ .
(٢) الإمتاع جـ ٢ ص ٣٨ .
(٣) البصائر جـ ١ ص ٥٧٢ .
(٤) الأغانى جـ ٥ ص ٢٤٢ .
(٥) نشوار المحاضرة للتنوخى جـ٤ ص١٨٥.
(٦) مقامات الحريرى، ص ٢٥٦ .
(٧) الإمتاع جـ ١ ص ١٠٢ .
(٨) البصائر جـ ٢ ص ٤٥٥ .
(٩) البصائر جـ ٢ ص ٨٥٢ .

أما التطور الدلالى فنجد أن لفظة مُعَلِّم قد **اتسعت دلالتها** بعد أن أصبح المُعَلِّم يقوم بتدريس وتعليم أولاد المياسير[1] وأولاد الفقراء وحتى الجَوارى كان لهن مُعَلِّم[2] فاتسعت الدلالةُ نتيجة لاتساع عملية التعليم بعد أن شمل كافة القطاعات فى الدولة العباسية . وكان المُعَلِّم يمارس عمله فى كل مكان يطلب فيه ، حتى وإن كان فى مصطبة على الشارع[3] . وإلى جانب هذا فقد اختص بعض المعلمين بتعليم نوع من أنواع العلوم دينية كانت ، أو دنيوية ، وهذا مما سبق بيانه فى نصوص أبى حيان . ونجد أيضا أن لفظة المُعَلِّم قد وردت فى سياقات تقلل من شأن المُعَلِّم فبعد أن وصف المُعَلِّم بالعالم[4] ذى المنزلة الرفيعة ، أصبحت تُطلق على المُعَلِّم ألفاظ تُقلل من شأنه مثل الأحمق[5] والمعلمين الحَمقى[6] . فلفظة المُعَلِّم قد أهينت فى بعض الأحيان .

ولفظة **المُؤَدِّب** جاءت عند أبى حيان بمعنى المُعَلِّم والمُرَبِّى والمُدَرِّس فهو الذى يقوم بالتربية والتعليم لفئة معينة فى المجتمع العباسى ، هم أولاد الخلفاء والأمراء والوزراء[7] . فالمُؤَدِّب إذن هو المُعَلِّم الخاص لأولاد الطبقة الميسورة فى ذلك العصر ، وهذه اللفظة اشتقاقٌ جديد كثر استعماله وتخصصت دلالته عندما أُطلق لقبًا لشخص معين حرفته التأديب[8] ، ومع المُؤَدِّب ترد لفظة المُتأَدِّب ، وهى اشتقاق جديد من مادة « أدب » ظهر فى عصر أبى حيان وكثر استخدامه فى العصر الذى نؤرخ له[9] . وأيضا لفظة المُدَرِّس هى اشتقاق جديد من مادة « درس » وقد جاءت عند أبى حيان مرادفة للفظة مُعَلِّم[10] .

---

(١) البصائر جـ ٢ ص ٢١٩ .
(٢) البصائر جـ ٢ ص ٣٥٤ .
(٣) الإمتاع جـ ١ ص ٧٠ .
(٤) البصائر جـ ٢ ص ٣٥٤ .
(٥) مثالب الوزيرين ص ٩٣ .
(٦) مثالب الوزيرين ص ٩٣ .
(٧) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٦٧٩ .
(٨) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٤١٢ .
(٩) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ١١٥ .
(١٠) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٣ .

أما لفظة أُستَاذ فهى فارسية الأصل كما عرفتها المعاجم ، قد جاءت عند أبى حيان بمعانٍ متعددة منها قائد القوم ورئيسهم[1] ، ومنها العالِم الخبير الذى له تلاميذ ومُريدون يتبعونه[2] ، وجاءت بمعنى الصانِع الماهر فى صناعته[3] فهى إذن من قبيل المشترك اللفظى . أما التطور الدلالى فنجد أن دلالة لفظة الأُسْتاذ قد اتسع معناها بعد أن كثر استخدامها فى عصر أبى حيان نتيجة لكثر العلماء المتخصصين بالعلوم والفنون الذين يُطلق عليهم لقب الأُستاذ يُعرفون به بين تلاميذهم ويدل على التقدير والتبجيل[4] ، فهذا الانتشار للفظة الأُستاذ أدى إلى اتساع دلالتها ، وأيضا إلى رُقيها بعد أن أصبحت لقبًا يلقب به العلماء من أعلام ذلك العصر . ولفظة الأُستاذ انتقلت دلالتها من مجالٍ إلى آخر فى عصر أبى حيان ففى بدء استخدامها الفارسىِّ كانت تُطلق على من له مَهارة فى صناعة من الصناعات أى على العامِل الماهِر ، ثم انتقلت بعد تعريبها إلى منزلة راقية فأصبحت تُطلق على الماهِر بعلمٍ من العلوم ، فانتقلت من مجال مادى إلى مجال مادى آخر اشتركت فيه اللفظتان الفارسية والمعربة بجزء من المعنى وهو المَهارة . وهذه اللفظة هى اشتقاقٌ جديد انتشر فى عصر أبى حيان وكثر استخدامه فى مجال الثقافة .

(٤) الشيخ / الشيوخ / الأشياخ / المشائخ / المشيخة :

والمعنى اللغوى لكلمة الشَّيخ هو من استَبانت فيه السِّن وظهر عليه الشيب وشَيَّخْته دعوته شَيْخًا للتبجيل[5] .

---

(١) مثالب الوزيرين ص ٢٣٩ .

(٢) الإمتاع جـ ١ ص ١٣٨ .

(٣) الإمتاع جـ ٢ ص ٣٨ .

(٤) الإمتاع جـ١ ص٤ وانظر البصائر جـ ١ ص ٢٥٢ .

(٥) اللسان جـ ٢ ص ٣٩١ .

كلمة شَيْخ والجمع شيوخ وأَشْياخ ومَشايِخ ومَشائخ ومَشْيخة . هذه الجموع المتعددة للفظة شَيْخ أوردها أبو حيان فى كتاباته بمعانٍ مختلفة ذات دلالات متعددة . وأبو حيان يقول عن الشّيخ الكبير فى المقام بين قومه متسائلًا : ما السبب فى كراهة بعضهم إذا قيل له : ياشَيْخ ، على التوقير والإجلال وهو لا يكون شيخًا ؟[1] . وقال ذاكرًا لفظة شَيْخ بمعنى الكبير فى السِّن : لقد رأيت شَيْخًا من أبناء ستين سنة وهو يقول : ما ناظَرْتُ قط في إثبات الرؤية[2] وحدد ابن منظور السِّن التى يكون عليها الشيخ فقال : هو شَيْخ من خمسين إلى آخره ، وقيل هو من إحدى وخمسين إلى آخر عمره وقيل : هو من الخمسين إلى الثمانين[3] .

والشّيْخ بمعنى الأُستاذ أو العالِم الذى يقوم بتدريس طلاب العلم والمُريدين ، وذكر أبو حيان لكل علمٍ شَيْخًا فقال سمعت شَيْخًا من النحويين يقول : البَدَل أن تُقدر الاسم الأول تقدير طرح ، وتُعدى العامل إلى الثانى وهو على سبعة أَنحاء[4] . ويقول عن شَيْخ الفلاسفة : فقد قال لى شَيْخٌ من الفلاسفة وقد سمعنى أشكو الحال – ياهذا ، أنت قليل الملك كثير الرزق –[5] ، ويقول عن شَيْخ الأطباء : سمعت شَيْخًا من الأطباء يقول : أنا أفرح ببرءِ العليل على تدبيرى[6] ، وقال عن شَيْخ أصحاب الحديث : كان عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى شَيْخَ أصحاب الحديث[7] . وقال عن شَيْخ العلم : وقلت لأبى سعيد السيرافى ، شَيْخ الدنيا : قال أبوزيد : يقال : إنه لكثير فضيض الكلام[8] وقال عن السيرافى : كتب إليه

---

(١) الهوامل ، والشوامل ص ٢٠٥ .
(٢) البصائر جـ ١ ص ٤٠٥ .
(٣) اللسان جـ ٢ ص ٣٩١ .
(٤) البصائر جـ ١ ص ٥٠٤ .
(٥) الهوامل ص ١٠٨ .
(٦) الهوامل ص ٣٤٥ .
(٧) البصائر جـ ٤ ص ٣٧ .
(٨) مثالب الوزيرين ص ١٦٤ .

أبو جعفر ملك سجستان على يد شَيْخنا أبى سليمان كتابًا يخاطبه فيه بالشَّيْخ الفرْد سأله عن سبعين مسألة فى القرآن، ومائة كلمة فى العربية وثلاثمائة بيت من الشعر، وأربعين مسألة فى الأحكام وثلاثين مسألة فى الأصول على طريق المُتَكَلِّمين[١]. وفى هذا النص نرى مكانة الشَّيْخ الفرد فى العلم وإلى أى مدى يبلغ نُبوغه وتفوقه. وكان يُلقب الشيخ بالإمام ويُقصد بهذا اللقب إمام العلم. ونرى التوحيدى يلقب شيخه أبا سعيد السيرافى بالإمام فيقول: قال شيخنا أبو سعيد السيرافى الإمام– نضر الله وجهه–[٢] ويذكر نصا عن ابن عباد فيقول: وهذا حديث شَيْخِه وإمامه، ومُرشده بزعمه[٣].

ويوصى أبو حيان بعلو منزلة الشَّيْخ فيقول: ولذلك لا يقال للشَّيْخ المُجرب والحكيم البليغ والأصيل فى الشرف والمشهور بالزَّماتة والسكينة: كَيِّس[٤]، ويقول: وهذا الشَّيْخ ممن قد أعلى الله كَعْبه فى عِلْم الأوائل[٥] وأبو حيان يذكر دائمًا فَضْلَ أُساتذته ومن تلقى العلْم على أيديهم ويدعو لهم بالسلام والبقاء فنراه ينادى أُستاذه أبا سليمان فيقول: هذا الجزء أيها الشَّيْخ– أبقاك الله ما تمنيت البقاء– هو الجزء الثانى[٦] وهو لا ينكر من تلقى عنه العلْم والمعرفة فيقول عن أحد أساتذته: وكان جميع ما ثَقَّفْناه ولقناه عن هذا الشَّيْخ[٧]، ومن شدة حبه وتقديره لشيخه فهو يتبرك بدعائه ويقول: هذا مع الذِّكْرِ الجميل الذى يَنْشر له، وبركة دعاء شَيْخه إذا عادت عليه[٨] ما أروع كلام أبى حيان عن شَيْخه، إنه كلام له قدسيته وشفافيته المرهفة، وهو يبين لنا مدى العلاقة القائمة بين الشَّيْخ وطلابه

---

(١) الإمتاع جـ ١ ص ١٣٠ .
(٢) الإمتاع جـ ٢ ص ١ .
(٣) مثالب الوزيرين ص ١٤٤ .
(٤) الإمتاع جـ ٢ ص ١٨٥ .
(٥) المقابسات ص ٤٣٠ .
(٦) الإمتاع جـ ٢ ص ١٦٤ .
(٧) المقابسات ص ٤٧٥ .
(٨) مثالب الوزيرين ص ٢٣٥ .

ومُريديه» ومع هذه الكلمات المرهفة نعيش مع التوحيدى وأساتذته الذين يدعوهم بالشيوخ.

ولفظة الشَّيخ ذات دلالات مختلفة ، ففى نصٌّ للتوحيدى يُبيّن فيه أن الشَّيخ هو كبير القوم ورئيسهم الذى يلجأون له وقت الشدة ، يقول أبو حيان : علم الله تعالى أن لكل قومٍ شَيْخًا يفزعون إليه[1] ، ويقول فى نص آخر : ويصل ذلك إلى الفقراء فى كل مَحَلَّة على ما يذكر شَيْخُها[2] ، وهنا نرى أن دلالة لفظة الشَّيخ قد تغيرت وأصبحت بمعنى رئيس القوم ومن يهتم بأمورهم الدنيوية وأسباب معيشتهم وللجاحظ نصٌّ بهذا المعنى يقول فيه : كان لكل دَرْب رئيس ولكل مَحَلَّة شَيْخ[3] والشَّيخ والرئيس هو أحد أفراد المحلّة أو المنطقة السكنية ولكنه يتميز عنهم بفضله وعلمه ، وكثرة تجاربه وكان من واجبات الشَّيخ فى المحلّة أن يكون واسطة بين أبناء مَحَلّته والسلطة[4] . وشَيْخُ المحلّة عادة يحضر مراسيم عقد الزواج مع القاضى[5] . كما أن للشَّيخ مَجْلسًا يجتمع فيه أفراد مَحَلَّته للسمر والحديث[6] . ومما تقدم نرى أن لفظة الشَّيخ متعددة الدلالة فهو شَيْخ عِلْم وشَيْخ دين وشيخ مَحلّة له سلطة واسعة على بقية أبناء مَحلّته . وشَيْخ كبير فى السن .

أما ألفاظ الجمع : شُيوخ وأَشْياخ ومَشايخ ، فقد وردت فى كتابات التوحيدى بدلالات مختلفة ، فقد جاءت الشُّيوخ بمعنى الكبار فى السِّن قال أبو حيان : سيماه سيماء الشُّيوخ ، وقلبه قلب الفتيان[7] وذكرها بمعنى الكبار فى المَقام والجاه فقال : فاجتمع الناس عند الشُّيوخ والأماثل والوجوه والأشراف[8] وجاءت الشُّيوخ بمعنى العلماء ، فقال أبو حيان ذاكرًا مصطلح شُيوخ العِلْم فى

---

(١) البصائر جـ ٣ ص ٥١١ .
(٢) الإمتاع جـ ٢ ص ٢٤ .
(٣) الحيوان جـ ٣ ص ٢٠ .
(٤) تاريخ الطبرى جـ ٩ ص ٣٣٥ .
(٥) الفرج بعد الشدة للتنوخى جـ٢ ص٢٢٤ .
(٦) المنتظم ابن الجوزى جـ٥ ص٦٠٨ .
(٧) البصائر جـ ١ ص ٢٠٤ .
(٨) الإمتاع جـ٣ ص ١٥٢ .

رسالته المعنونة بثمرات العلوم : وسأبين أصناف العلْم فى هذا الموضع على وجه الإيجاز فإن استقصاءها لا تحويه هذه الرسالة ولا يتسع له هذا الوقت على أن شُيوخ العلْم وأرباب الحكمة وفُرسان الأدب قد فرغوا من جَمْع ذلك فى كتب مشهورة تشتمل على آداب مأثورة[1] . وخصص عِلْم هؤلاء الشُّيوخ فقال : قال بعض شُيوخ الطبّ : الطِّب ينقسم قسمين[2] ، وقال بهذا المعنى : وأنواع القول ، ليس لى من جميعها إلا حَظّ الرواية عن هؤلاء الشُّيوخ[3] .

وقال ذاكرا لفظة أشْياخ بمعنى الذين لهم باع طويل فى العلْم والمعرفة : وحدّ الإيجاز بعض أشْياخ العلم فقال : هو تقليل الكلام من غير إخلال[4] ، وجاءت بمعنى المتقدمين فى السن فقال : سمعت أشْياخا يقولون : من أمثال الفرس : ما دخل مع اللبن لا يخرج إلا مع الروح[5] .

أما لفظة مَشايِخ فقد وردت عند التوحيدى بمعنى المسنين الكبار فى السِّن قال : تدبير الأبدان الضعيفة كأبدان المشَايخ[6] وبمعنى من لهم مكانة كبيرة بين قومهم أى الرؤساء والأعيان قال أبو حيان : قلت : كيف ذاك وأنت لا ترى اليوم ببغداد مَجْلِسًا أبهى من مَجْلسِه لما يجتمع فيه من مشَايِخ العراق[7] ، وقال : قال بعض مَشايِخ البصرة : أتيت أبا عبد الله بن عَرَفة أيام حداثتى[8] ومَشايِخ رجال الدين وردت فى نصوص كثيرة عند التوحيدى مثل قوله : أردت تنفيرك من إغرائك بى ، وهذا من خدع المَشايخ المُريدين[9] وقال : حكيت هذا لبعض

---

(١) رسالة فى ثمرات العلوم ص ١٩١ .
(٢) البصائر جـ ٢ ص ٦٥٣ .
(٣) المقابسات ص ٣٥٥ .
(٤) البصائر جـ ١ ص ٢٦٦ .
(٥) البصائر جـ ١ ص ٣٩٧ .
(٦) البصائر جـ ٣ ص ١٧ .
(٧) مثالب الوزيرين ص ١٤٢ .
(٨) البصائر جـ ٣ ص ٣٤٨ .
(٩) الصداقة ص ٣٠٩ .

مَشايِخنا الصوفيّة[1] وقال : جرى عند ابن سعدان يومًا كلام فى الأخلاق وحضره جماعة منهم عيسى ، ونظيف الرومى ، وابن السمح ، وغير هؤلاء من مَشايِخ النصارى[2] ، ويذكر أبو حيان بعض صفات المشايخ فيقول : وكان قليل الهزل ، كثير الصمت على ناموس المشايخ[3] ، أما المشايخ الذين لقبوا بهذا الاسم نظرًا لعلمهم الوفير فإجلالًا لعلمهم لقبوا بمشايخ الوقت . يقول أبو حيان : فما ذنبى – أكرمك الله – إذا سألت عنه مَشايِخ الوقت وأعلام العصر ، فوصفوه جميعا بما جمعت لك فى هذا المكان[4] وقال أيضا عن مَشايِخ الوقت : وهذا كله جرى فى مَجَالِس مختلفة من مَشايِخ الوقت بمدينة السلام[5] . وقال عن مَشايِخ العلم : هذه رسالة أفَادنيها أبو سليمان وزعم أنها لأرسطاليس وقرأها بعض مَشايِخ الفلسفة[6] وقال : عَرَض بعض مشايخنا كِتابًا له صنَّفه علينا[7] .

ومما تقدم من نصوص نرى أن المشايخ كانت لهم فعاليات مختلفة وأعمال متباينة وكلها تدل على الإجلال وإن كان مَشايِخ العِلْم هم من أكثر المشايخ إجلالًا وتقديرًا ولا يفوقهم فى هذا التقدير إلا مَشايِخ الدين ، وفى الحقيقة أن لفظة الشَّيخ تخصصت فى هذا العصر الذى نؤرخ له على سبيل التكريم ، بلقب شَيْخ الإسلام الذى صار له شأن كبير فيما بعد ، ويقول أبو حيان ذاكرًا مصطلح شَيْخ الإسلام الذى لقب به أُستاذه أبو سعيد السيرافى : وكتب إليه المرزبان بن محمد مَلِك الدَّيلم من أذربيجان كتابًا خاطبه فيه بشَيْخ الإسلام . سأله عن مائة وعشرين مسألة أكثرها فى القرآن[8] . وكان ظهور هذا اللقب عند فريقين مختلفين ، وذلك أن أهل السُّنة فى خُراسان لقبوا به أحد علمائهم ، فثارت نفوس المُجَسِّمة بمدينة

---

(١) البصائر جـ ٤ ص ١١٣ .
(٢) المقابسات ص ٨٥ .
(٣) البصائر جـ ٤ ص ٢٧٤ .
(٤) مثالب الوزيرين ص ٣٢٥ .
(٥) المقابسات ص ٣٥٦ .
(٦) البصائر جـ ٢ ص ٨٥٣ .
(٧) الهوامل ص ٣٠٧ .
(٨) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٣٠ .

هرات وعمدوا إلى شَيْخ لهم ألف كتابًا فى ذم الكلام فلقبوه به[١] هذا وقد أنشأ أبو على بن سوار الكاتب أحد رجال الحاشية لعضد الدولة المتوفى عام ٣٧٢ هـ دارَ كتبٍ فى مدينة رام هِرْمز على شاطئ بحر فارس ، كما بنى دارًا أخرى بالبصرة ، وجعل فيهما أُجراء على من قصدهما ، ولزم القراءة والنَّسْخ فيهما ، وكان فى الأولى منهما أبدا « شَيْخ » يدرس عليه علم الكلام على مذهب المعتزلة[٢] .

وكلمة مَشايِخ عند التوحيدى جاءت فى نصوص كثيرة ، قال : مَشائخ العصر الذى أدركته والزمان الذى لحقتهم فيه[٣] ، وقال : هذا مبلغ حاصلى من أفواه هؤلاء المَشائخ[٤] ، وقال أيضًا : فأما هذا المقدار فإنه جرى فى عرض مُقابسة هؤلاء المَشائخ بينهم ، بالحديث والاسترسال[٥] ، ولفظة المَشايِخ كما نرى وردت بمعنى أهل العلْم ومشائخه . ثم لفظة الجمع مَشْيخة ترد فى نص لأبى حيان يقول فيه : فمضيت أريد عميد الحى فوجدته جالسا على عرش ساج ، قد ائتَزر بيمنة وتَردَّى بحبرة وعلى رأسه عمامة سوداء تظهر من تحتها جمة فينانة ، وكأن الشِّعرى تطلع من جبينه ، وإذا بمَشْيَخَة جُلة خفوق ماسكيٍّ الأذقان ما يفيض أحدهم بكلمة[٦] .

ذكر ابن منظور عدة جموع لكلمة شَيْخ فقال : والجمع أشياخ ، وشِيخان وشُيوخ وشِيَخَة وشِيخَة ومَشْيَخَة ومِشْيَخَة ، ومَشِيخة ومشيخة ومَشْيُوخاء ومَشايخ ، ولم يورد فى اللسان لفظة مشائخ فهى اشتقاق خاص بالتوحيدى جاء به جمعًا لشيْخ وذكره فى كتاباته ، وقد أوردت نصوصًا تثبت ذلك .

مما تقدم نجد أن لفظة شَيْخ وجموعها شُيوخ وأَشْياخ ومَشايِخ جاءت فى اللسان

---

(١) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ١ ص٣٤٩.
(٢) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ١ ص٢٢٩.
(٣) المقابسات ص ٥٣ .
(٤) المقابسات ص ١٨٧ .
(٥) المقابسات ص ١٦٠ .
(٦) البصائر جـ ٢ ص ٢٢٣ .

بمعنى الكبير سِنًّا ومقامًا[1] ، وهذه الألفاظ وردت فى كتابات أبى حيان بمعانٍ متنوعة ومرت دلالاتُها بأطوارٍ متعددة فى استخدامها اللغوى فنجد أن لفظة الشَّيخ وجمعها الشيوخ جاءت فى نصوص أبى حيان بمعنى الكبير فى السِّن[2] ، وبمعنى رئيس القوم[3] وبمعنى العالِم الخبير بأنواع العلوم وأصنافِ المعرفة[4] وبمعنى العالِم المُتَخصص بعلم من العلوم كالنَّحو[5] والطِّب[6] والحَديث[7] وغيرها من العلوم الأخرى فلفظة الشَّيخ وجمعها شُيوخ كما يتضح هنا جاءت بمعنى المُسِن ، والرئيس ، والعالِم والأُستاذ المُتَخَصِّص والنَّحوى والطبيب والمُحَدِّث الفَقْيه وهذا مما يبين لنا ظاهرة تعدد المعنى لهذه اللفظة .

إن لفظة الشَّيخ فى نصوص أبى حيان أضيفت لها بعض الألفاظ التى تدل على الاحترام والتبجيل والمكانة الرفيعة التى لا يرتقى لها الإنسان العادى ، فمن هذه الإضافات ظهرت فى نصوص أبى حيان اصطلاحات مثل شَيْخ الدنيا[8] وشَيْخ الإسلام والشَّيخ الفَرْد[9] والشَّيخ الإمام[10] فأدت هذه الإضافات إلى رقى الدلالة وعلو منزلتها إلى أعلى الدرجات .

أما التغير الدلالى فنجد أن لفظة الشَّيخ انتقلت دلالتها فى مجال (مراحل العمر) إلى مجال (الثقافة) مع الاشتراك بجزء من المعنى ففى البدء أطلقت لفظة الشَّيخ على الكبير فى السِّن ، والكبير فى المقام ، ثم استخدمها أبو حيان فى الكبير بعِلْمه ومعرفته ، وهنا نجد أن دلالة لفظة الشَّيخ انتقلت من مجالٍ إلى مجالٍ

---

(١) اللسان جـ ١ ص ٣٩١ . (٢) البصائر جـ ٣ ص ٢٦٦ .
(٣) البصائر جـ ٣ ص ٥١١ وانظر الإمتاع جـ٢ ص ٢٤ .
(٤) رسالة فى ثمرات العلوم ص ١٩١ . وانظر البصائر جـ ١ ص ١٧ .
(٥) البصائر جـ ١ ص ٥٠٤ . (٦) الهوامل ص ٣٤٥ .
(٧) البصائر جـ ٤ ص ٣٧ . (٨) مثالب الوزيرين ص ١٦٤ .
(٩) الإمتاع جـ ١ ص ١٣٠ . (١٠) الإمتاع جـ ٢ ص ١٨٥ .

اشتركت اللفظتان فى جزء من المعنى – كما أشرنا سابقاً – وهو الكِبَر ، فالكبر هو القَدْر المشترك بين الدلالتين فى كلا المجالين . وفى مجال تخصيص الدلالة نجد أن دلالةَ لفظة الشَّيْخ كانت تُطلق فى بعض نصوص أبى حيان على الأُستاذ العالِم بكل أنواع العلم والمعرفة ، ثم تخصصت هذه الدلالة فأصبحت تُطلق على العالم المتخصص بفرع من فروع العلم مثل النَّحوى والطبيب والمُحَدِّث وغيرهم . وهكذا نرى أن شَيْخ العِلْم تخصص بنوع معين من العلم فتخصصت دلالته بتخصصه العلمى .

ولفظة مَشائخ – مهموزة – هى صورة جديدة من جمع المفرد شَيْخ ، ويأتى بلفظة مَشايخ – غير مهموز – وهذه اللفظة جاءت فى كتابات أبى حيان بمعانٍ متعددة منها بمعنى الكبار سنًّا[1] وبمعنى الأشراف والأعيان على مستوى المملكة[2] والبلدة[3] وبمعنى علماء الدين الذين لهم مُريدون وأتباع[4] وبمعنى رؤساء الطوائف والجماعات الدينية الإسلامية كمَشايِخ الصوفيَّة[5] وغير الإسلامية كمَشايِخ النَّصارى[6] وبمعنى أعلام العصر[7] وبمعنى الفلاسفة[8] وهذه المعانى المتعددة للفظة مَشايِخ تُبْرِز لنا ظاهرة تعدد المعنى لهذه اللفظة .

أما التغير الدلالى فى لفظة مَشايِخ فقد مَرَّت فى استخدامِها اللغوى بأطوارٍ عدة فقد تخصصت دلالتُها بتحديدها بالمكانِ أو بالزمانِ أو بفرعٍ من فروع المعرفة أو بالعقيدةِ والمذهبِ الدينى الذى تَنْتَحِله تلك الجماعة التى نطلق عليها لفظة المَشايِخ . فدلالة اللفظة تحددت بعد إضافتها للألفاظ الدالة على المكانِ مثل مَشَايِخ

---

(١) البصائر جـ ٣ ص ٢٦٦ .
(٢) المثالب ص ١٤٢ .
(٣) البصائر جـ ٣ ص ٣٤٨ .
(٤) الصداقة ص ٣٠٩ .
(٥) البصائر جـ ٤ ص ١١٣ .
(٦) المقابسات ص ٨٥ .
(٧) المثالب ص ٣٢٥ .
(٨) الهوامل ص ٣٠٧ .

العراق وبتحديد أكثر مَشايِخ البصرة . فتخصصت الدلالة بالنسبة لهذه الأماكن . أما بالنسبة للزمان فقد تحددت لفظة المشايخ بالنسبة لعصر من العصور ، فذكر أبو حيان مَشايِخ الوقت ، ثم خصص هذه الدلالة أكثر بقوله مَشايِخ الوقت فى دار السلام . ودلالة لفظة المَشَايخ تخصصت أيضا ، بتحديثها بفرع من فروع المعرفة مثل مَشَايِخ الفلسفة . أما بالنسبة للفرق والجماعات الدينية فقد تخصصت لفظة المشايخ عندما ذكر أبو حيان مَشايِخ الصوفيَّة ومَشَايِخ النصارى وغيرهم من مَشَايِخ الفِرق والجماعات الإسلامية وغير الإسلامية . أما رقى الدلالة للفظة المشايخ فنراه واضحًا فى بعض نصوص أبى حيان عندما ذكر مَشايِخ الوقت الذين لا يجود الزمان بمثلهم إلا بين الحين والحين فليس هناك منزلة أرقى للفظة المشايخ من هذه المنزلة التى وضعهم فيها أبو حيان .

أما انتقال الدلالة للفظة المشايخ فنرى أن هذا الأمر واضح لمن يتصفح كتابات أبى حيان فقد نقل دلالة اللفظة من كِبار السِّن وأصبحت تدل على الكبار فى العِلْم ، ففى المجالين نرى أن جزءًا من المعنى قد اشترك بين اللفظتين وهو الكِبر .. وهذا الانتقال فى مجال الدلالة لاحظناه أيضا فى تناولنا للفظة مَشَائِخ وهى أحد جموع لفظة الشَّيْخ . وأيضًا لفظة مَشَائِخ حدث لدلالتها ارتقاء بعد أن ذكر أبو حيان لفظة المشائخ مع العصر فقال مشائخ العصر أى أعلامه وفى هذا رقى للدلالة بعد أن كانت تطلق على المتقدمين فى السِّن .

(٥) المُؤَلِّف / المُصَنِّف / الباحث ، الناقد :

المُؤَلِّف من أَلَّفْتُ الشيء تأليفًا إذا وَصَلْت بعضه ببعض، ومنه تأليف الكتب[١]

(١) اللسان جـ ١ ص ٨٢ .

والمُؤَلِّف ويقصد به من قام بعمل أدبى أو علمى أو فنى ، ونرى أن هذه اللفظة وردت عند التوحيدى بمعناها اللغوى من أَلَّفَ الشيء أى جمع بعضه إلى بعض ، فقال : اللهم اكفنا كل مكايد لنا فيك ، واقمع عنا كل عدو لنا من أجلك ، واشغل عنا كل شاغل عنك ، وألِّف بيننا وبين كل مُؤَلِّف بيننا وبينك[1] ، وقال أيضًا : والحال الجامعة لشوارد الأُنس والأمر المُؤَلِّف بين مختلفات الحسنى[2] ، وجاءت لفظة المُؤَلِّف بمعناها الاصطلاحى من يُؤَلِّف الكتب ، قال التوحيدى : ليس للعَجَم كتاب أجل من الكتاب المترجم (بجاويدان خرد) وقد استفتح مُؤَلِّفه بثلاث كلمات ليس لهن نظير ، فيها أنه قال : من أخبرك أن عاقلًا لم يصبر على مَضَض المصيبة فلا تصدقه[3] ومهما يكن من أمر المُؤَلِّف الذى وصفه التوحيدى إلا أننا نرى أنه حتى النصف الثانى من القرن الثانى لم تُعلق أهمية لفكرة انتساب التأليف لمُؤَلِّف معين فكان المُؤَلِّف هو عبارة عن الأديب الذى يُنظم مادة الكِتَاب ، أو يُنظم محتوياتها ، وهذه المواد كان يتداولها تلامذة المُؤَلِّف شفويًّا ، ولا تدوين فى صورة مقرر كامل إلا بعد وفاته بعدة سنوات . وقد حدث كثيرًا أنها دونت فى صور كتابية مختلفة[4] ولم ترد هذه اللفظة فى اللسان .

ولفظة **المُصَنِّف** والجمع المُصَنِّفون من صَنَّف الشيء : مَيَّز بعضه من بعض[5] وهى من الألفاظ التى تدل على صَنف معين من المشتغلين بالثقافة والعِلْم ، وقد وردت هذه اللفظة فى أماكن مختلفة من كتابات أبى حيان وخير نص يصف لنا هذا المُصَنِّف هو ما جاء على لسان الخُوارزمى إذ يقول لأبى إسحاق الصابى : لِمَ إذا

---

(١) الإشارات الإلهية ص ١٥٩. (٢) الإشارات الإلهية ص ٤٠٦ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ١٧٨ .
(٤) دراسات فى حضارة الإسلام « جب » ص ٣٠١ .
(٥) اللسان جـ ٢ ص ٤٨٣ .

قيل لمُصنِّف أو كاتِب أو خَطِيب أو شَاعِر فى كلام قد اخْتَلَّ شيء منه ، وبَيت قد إنْحلَّ نَظْمُه ، ولَفْظ قَلِق نصابه ، هات بدل هذا اللفظ لفظًا ، ومكان هذه الكلمة كلمة ، وموضع هذا المعنى معنى آخر ، تهافتت قوته ، وصعب عليه تكلفه[1] وقال التوحيدى يصف بعض المُصَنِّفين : والغارة من الكُتَّاب والمُصَنِّفين : شديدة على ما سلف للمتقدمين[2] ، وقال عن أحد المُصَنِّفين : قال حمزة المُصَنِّف فى بعض كُتبه : قال النبي ﷺ لسلمان الفارسى : اتخذ لنا سورًا أى طعامًا كطعام الوليمة ، وهى فارسية[3] ، وقال يصف المُصَنِّفين : ولتدافع الحديث ما أخرج من ذكر هذا إلى شأن ذاك ، ولهذا اضطرب عليّ نَسْخ الرسالة على مذهب المُصَنِّفين[4] ولم يذكر صاحب اللسان لفظة المُصَنِّف وجمعها المُصَنِّفين ولم يرد المعنى الاصطلاحى فى لسان العرب للفظة التصنيف وإن كان قد أورد معنى التصنيف وهو تميّز الأشياء بعضها عن بعض وقد وردت بعدة معانٍ ليس من بينها تصنيف الكُتب ومن ينعتون بالمُصَنِّفين . وهناك نص للتوحيدى يصف فيه أحد المُصَنِّفين مبينًا عمله فيقول : وما أرى لمُصَنِّف من الموحدين متصرفًا فى هذا النوع إلا لهذه العصابة الكريمة[5] .

لفظة « **الباحِث** » من الألفاظ التى تدل على من يشتغل بفرع من فروع العلم يكون متخصصًا فيه وله أسلوب علمي فى مجال بحثه وتنقيبه عن جوهر الأشياء . لفظة باحث جاءت في اللسان من البَحْث : طلبك الشيء فى التراب وفى المثل كباحِث عن الشَّفْرة . والبَحْث : أن تسأل عن شيء ، وتستخبر . وبَحَثَ عن الخَبَرَ يَبْحَثُهُ بَحْثًا : سأل[6] .

---

(١) المقابسات ص ١٠٢ .
(٢) البصائر جـ ٢ ص ١٢٠ .
(٣) الإمتاع جـ ٣ ص ٨٣ .
(٤) مثالب الوزيرين ص ٣٠٣ .
(٥) الإمتاع جـ ٢ ص ١٩١ .
(٦) اللسان ج ١٢ ص ١٦٣ .

ذكر أبو حيان فى أماكن متعددة من كتاباته لفظة الباحِث ، بالمعنى العلمى الاصطلاحى الدال على تخصص هذا الباحث ، ومجالات بحوثه فقال يبيّن عمل الباحِث ومنهجه : واختلفت الطرق والمظان وصار الباحِث وإن كان نحريرًا نقابًا ، يزل من شقٍ إلى شق ، ويميل من جانب إلى جانب[1] ففى النص السابق يبيّن التوحيدى أن الباحِث معرض إلى الخطأ والصواب أو أحيانًا يُجانبه الصواب حتى وإن كان ذكيًّا ، ولكن هذا الباحِث يُعانى من تَفهم الناس لعمله ، ويتعرض إلى الهجوم على ما يقوم به من عمل ، وفى هذا الصدد يقول أبو حيان : ومع ذلك فقد وقف الجميع تجاه كل مُتَصَفِّحٍ وقبالة كل باحِثٍ[2] . وعمل الباحث متنوع بتنوع فروع المعرفة ، ويذكر لنا أبو حيان أنواعًا من الباحثين منهم المُهَنْدس فيقول : فيها حديث المهندس الباحِثِ عن مقادير الأشياء ونُقَطِها وخطوطها وسطوحها وأجسامها[3] وباحِث آخر يذكره أبو حيان فيقول : ولا منها حديث المنطقيِّ الباحِث عن مراتب الأقوال ومناسِب الأسماء والحروف والأفعال[4] وباحِث ثالث يذكره أبو حيان فى هذا المجال فيقول : حار العقل الإنساني ، وحَيّر الفهم الحسى واستحال المزاج البشرى ، وتهافت التركيب الطيني، وقدر الناظِر فى هذا الفن والباحِث عن هذا المستكن ، أنه حالم ، وأن الحلم لا ثمرة له[5] ، وهناك نوع آخر من الباحثين هم العلماء والفقهاء الذين يبحثون فى الأمور الدينية ويسميهم أبو حيان **الباحثين** عن الحق فيقول : فظن الظان أن ذلك اختلاف صدر عن الحق ، وإنما هو اختلاف ورد من ناحية الباحثين عن الحق[6] .

يقول التوحيدى فى حديثه عن النفس ذاكرًا لفظة **الباحثين** : ولعل الناظرين كثيرون والباحثين مختلفون ، والكثرة فاتحة الاختلاف ، والاختلاف جالب

---

(١) المقابسات ص ٢٦٣ .

(٢) المقابسات ص ١٥٦ .

(٣) الإمتاع جـ ٢ ص ٧ .

(٤) الإمتاع جـ ٢ ص ٨ .

(٥) الإمتاع جـ ٣ ص ٢٠٣ .

(٦) المقابسات ص ٢٢٠ .

الحيرة »[1] ولفظة البَحَّاثَة وردت عند التوحيدى فى وصفه للنفس فيقول : والعقل ممجد ، والنفس بحاثة ، والطبيعة منصرفة[2] . ولفظة بَحَّاث وردت عند التوحيدى فى قوله : ابن الراوندى لا يلحن ، ولا يخطئ ، لأنه مُتَكلم بارع ، وجهبذ ناقِد ، وبَحَّاث جَدل ، ونَظار صبور[3] .

وفيما تقدم من نصوص أبى حيان المتضمنة للفظة الباحِث والباحِثين جمعًا لها ، نجد أن هذه اللفظة قد جاءت بمعانٍ متعددة تدور حول الباحثين عن الحقيقة وعن جوهر الأشياء ، فى جميع مجالات العلم والمعرفة . وهذا هو المعنى الاصطلاحى للفظة الباحِث . وفى اللسان نجد أن هذه اللفظة لم ترد بمعناها الاصطلاحى الذى أورده أبو حيان فى كتاباته وكذلك صيغة الجمع باحثين لم ترد فى اللسان وأيضا لفظة بَحاثَة وبَحَّاث كل فى مجال اختصاصه ، ويتنوع الباحثون حتى الباحِث عن الغيب لم يتركه أبو حيان بل ذكره بقوله : أيها الباحث عن غَيْب هذه الشهادة بلسانك النُّسْك والزهادة[4] .

ولفظة « ناقِد » والجمع نُقَّاد من النَّقْد مصدر نَقَدَ يَنْقد نَقْدًا . ونَقَّدَه إياها نَقْدًا : أعطاه فانتقدها أى قبضها والنَّقْد والتَّنْقاد : تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها . ونَقَدَ الرجل الشيء بنظره ينقدُه نَقْدًا : اختلس النظر نحوه . والنَّقْد : البَطىء الشباب القليل الجسم . والنَّقْد : صِغار الغنم ، واحدتها نَقَدَة وجمعها نِقَّاد[5] . والناقِد هو الشخص الذى يعهد إليه تقويم الأعمال الأدبية ، أو العلمية ، أو الفنية، ويقوم بفحص النصوص للتأكد فيها من حيث مصدرها، وصحة نصها

---

(١) الإمتاع جـ ٢ ص ١٠٩ .

(٢) المقابسات ص ٤٤٤ .

(٣) البصائر جـ ١ ص ٢١٧ .

(٤) الإشارات الإلهية ص ٢٧٣ .

(٥) اللسان جـ ٣ ص ٧٠١ .

وإنشائها ، وتاريخها وتفسير هذه النصوص والإدلاء بحكم عليها فى ضوء مبادئ أو مناهج بحث يختص بها الناقِد . وقد كان للمتكلمين نشاط واسع فى نَقْد الشِّعْر والنَّثْر غير أن مسائل النَّقْد فى العصر العباسى وما قبله اختلطت لديهم بمسائل البلاغة فكانوا ينقدون الشعراء ويوازنون بينهم على أسس بلاغية وبعد القرن الثالث الهجرى ترك النُّقَّاد العرب الموازنة بين الشعراء واتجهوا إلى النَّقْد اللغوى والنَّحوِي وأوضح مثال لذلك ما ورد فى كتاب الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء للمرزبانى[1] ، إذ كل ما فيه ملاحظات على مادة الشعر وقلما نصادف فيه ملاحظات فنية .

والناقِد ذكره التوحيدى فقال : وسبيل الملك أن يكون كالناقِد الذى ينفى الزائف ويعتنى بالجيد[2] . جاءت لفظة الناقِد فى نص للتوحيدى بمعنى الفاحص للدراهم والذى يميّز بين الدراهم ليخرج المُزيّف منها ويقول التوحيدى فى تحديد عمل هذا الناقِد : فإن الدينار قد يكون ردىء الذهب ، وقد يكون ردىء الطبع ، وقد يكون فاسد السكة ، فالناقِد الذى عليه المدار ، وإليه العيار ، يبهرجه مرة برداءة هذا ومرة برداءة هذا ، ويقبله مرة بحسن هذا ، ومرة بحسن هذا[3] أما النُّقَّاد فقد ذكرهم التوحيدى بقوله : فما خلص من هذا النمط إلا بهجر الرقاد ، ومسح البلاد ، ولقاء الجهابذة النُّقَّاد[4] ، أما لفظة النُّقَّاد فقد ذكرها التوحيدى بمعنى الناقِد فقال : قال النُّقَّاد وقد نظر إلى بعض أصحابه : ياهذا ليس كل من يَنْقُد نَقَدَ ، ولا كل من حصل وصل ، ولا كل من وقف بالباب صار من الأحباب[5] أما اللسان فلم ترد فيه لفظة ناقِد أو نُقَّاد وإن كانت المادة قد تناولها صاحب اللسان

---

(١) الموشح للمرزبانى ص ٢٢٧ .
(٢) البصائر جـ ٣ ص ٦٣٧ .
(٣) المقابسات ص ١٢٢ .
(٤) البصائر جـ ١ ص ٥٣٩ .
(٥) البصائر جـ ٣ ص ٦٣٧ .

وأطال فى شرح مادة « نقد » وذكر من اشتقاقاتها « نقَّاد » ونقَّاد دون ضبط النون ، واعتمد على ضبطها وفسرها بالراعى للغنم والنقَّاد صغار الغنم[1] . ولم يذكر المعنى الاصطلاحى لهذه الألفاظ .

مما تقدم يتضح أن لفظة **المُؤَلِّف** جاءت فى كتابات أبى حيان بالمعنى اللغوى[2] وبالمعنى الاصطلاحى[3] وهذه اللفظة لم ترد فى لغة البادية فهى اشتقاق جديد ذكره أبو حيان . وفى مجال التغير الدلالى يتضح أن دلالة لفظة المُؤَلِّف قد تغير مجالها بانتقالها من مجال مادى إلى آخر معنوى فبعد أن كانت تدل على من يقوم بجمع الأشياء والأمور ليوصِّل بعضها ببعض[4] أصبحت تعنى من يقوم بجمع الكلمات ليؤلِّف بينها وينظمها لتنتج أعمالا أدبية أو علمية أو غيرها من المؤلفات فدلالة اللفظة هنا انتقلت من مجال مادى إلى مجال معنوى آخر مع اشتراك الدلالتين فى جزء من المعنى وهو الجمع .

ولفظة **المصنف** (والجمع المصنفون) جاءت فى كتابات أبى حيان بالمعنى الاصطلاحى[5] الذى أطلق فى عصر التوحيدى على من يقوم بجمع مادته الكتابية من أعمال علمية وأدبية مختلفة ليضعها فى كتاب واحد مرتبة حسب طريقةٍ معينة مع شَرْح النصوص لهذه المادة وذكر أصلها أحيانًا[6] . وهذه اللفظة لم ترد فى اللسان ، وكذلك صيغة الجمع مُصَنِّفون فهما استخدامان جديدان أوردهما أبو حيان فى كتاباته . ولفظة مُصَنِّف اشتقاق جديد ظهر فى عصر أبى حيان . أما التغيير الدلالى فنلاحظ أن لفظة المُصَنِّف قد **تخصصت دلالتها** عند أبى حيان فبعد

---

(١) اللسان جـ ٣ ص ٧٠٠ .

(٢) الإشارات ص ١٥٩ .

(٣) البصائر جـ ٣ ص ١٨٠ .

(٤) الإشارات ص ٤٠٦ .

(٥) المقابسات ص ١٠٢ .

(٦) البصائر جـ ٢ ص ١٢٠ .

أن كانت تُطلق على كل من يميّز الأشياء بعضها عن بعض أصبحت عند أبى حيان لقبًا لشخص معين[١] يمتهن مهنة التصنيف أو لجماعة ذات اتجاه ومعتقد محدد[٢] وتخصص مجال الدلالة للفظة المُصَنِّف أكثر عندما ذكر أبو حيان مذهب المصنفين[٣] .

ولفظة **الباحِث** جاءت عند أبى حيان بمعناها اللغوى[٤] وبمعناها الاصطلاحى[٥] الذى يطلقه أبو حيان على من يتفحص الأمور ويتأمل الأشياء ويتعمق فى جوهرها ثم يُثبت ما وجده بالدليل فهو تارة من أهل النَّظر والجدل[٦] وتارة من أهل الهندسة والمقاييس والسطوح والأجسام[٧] أو من أهل اللغة والمنطق[٨] أو ممن يهتم بالفقه وعلوم الدين[٩] بهذه المعانى العديدة وردت لفظة الباحِث وجمعها الباحثون عند أبى حيان . أما صاحب اللسان فهو لم يذكر المعنى الاصطلاحى للفظة الباحِث ولفظة الجمع لم ترد فى اللسان فهى صيغة أوردها أبو حيان . وكذلك لفظة بَحَّاثة وبَحَّاث فهما اشتقاقان جديدان من مادة (بحث) .

أما التغيير الدلالى للفظة باحِث فنجد أن هذه اللفظة طرأت على دلالتها تغيرات عديدة ، فى مجال استخدامها اللغوى عند أبى حيان ، مثل رُقى الدلالة وتخصصها . ففى رُقى الدلالة نجد أن أبا حيان استخدم لفظة الباحِث بمعنى من يُنَقب عن جوهر الأشياء ويعالج الأمور بالبَحْث والاستقراء فأُطلقت الدلالة على جماعة من العلماء . وارتقت دلالة لفظة الباحِث عند أبى حيان بعد أن أُطلقت على العلماء من أهل النظر المتفحصين للأشياء . ومن الملاحظ أن دلالة لفظة الباحِث

---

(١) الإمتاع جـ ٣ ص ٨٣ .
(٢) الإمتاع جـ ٢ ص ١٩١ .
(٣) مثالب الوزيرين ص ٣٠٣ .
(٤) المقابسات ص ١٥٦ .
(٥) الإمتاع جـ ٣ ص ١٠٩ .
(٦) الإمتاع جـ ٣ ص ١٠٩ .
(٧) الإمتاع جـ ٢ ص ٧ .
(٨) الإمتاع جـ ٢ ص ٨ .
(٩) المقابسات ص ٢٢٠ .

بعد أن أصابها الرُّقى انتقلت من مجال إلى آخر . ففى مجال انتقال الدلالة نرى أن لفظة الباحث بعد أن كانت تُطلق على من يُفتش فى التراب أصبحت عند أبى حيان تُطلق على من يُفَتش فى جوهر الأشياء فانتقلت من مجالٍ مادى إلى مجالٍ معنوى آخر واشتركت الدلالتان فى قدرٍ من المعنى وهو التفتيش . ونلاحظ أيضًا أن لفظة الباحث قد تخصصت دلالتها عند أبي حيان بعد أن ذكر أنواعًا معينة من الباحثين قد تخصصوا بعلم من العلوم مثل المهندس ، والمنطقىّ ، والفِقْهِىْ فتخصّص الدلالة جاء من تخصص أعمال هؤلاء الباحثين .

ولفظ **ناقِد** وجمعها **نُقَّاد** جاءت عند أبى حيان بمعانٍ متعددة منها بمعنى من يفحص الدراهم ويُخرج الزائف منها[1] وبمعنى من يقوم بفحص الإنتاج الأدبى وتقويمه حسب مناهج البَحْث المتبعة فى عصر من العصور[2] . ونجد ظاهرة تعدد المعنى فى هذه اللفظة . ولفظة ناقِد والجمع نُقَّاد لم ترد فى اللسان فهى استخدامات جديدة للمادة « نَقْد » وكانت لفظة الناقِد من الاشتقاقات التى كثر استخدامها فى العصر العباسى .

أما فى مجال التغير الدلالى فنجد أن لفظة ناقِد والجمع نُقَّاد قد ارتقت فى دلالتها عند أبى حيان بعد أن وصف النُّقَّاد بالجهابذة فارتقاء عمل الناقِد أدى إلى ارتقاء دلالة لفظة الناقِد . وكذلك النقَّاد ارتقت دلالتها عند أبى حيان بعد أن كانت توصف براعى الغنم أصبحت تدل على الفاحِص للأعمال الأدبية .

ومن الملاحظ أن لفظة **الناقِد** انتقلت دلالتها من مجالٍ مادى إلى آخر مادى فبعد أن كانت تختص بمن يَفْحَص النقود . أصبحت فى عصر أبى حيان تختص بمن يَفْحَص الأعمال الفكرية فالدلالتان اشتركتا بجزء من المعنى وهو الفَحْص .

---

(١) البصائر جـ٣ ص٦٣٧ . وانظر المقابسات ص١٢٢ .

(٢) البصائر جـ١ ص٥٣٩

(٦)الوَرَّاق / الوراقون، الناسِخ، الخطَّاط، طابِع، المذهِّب، خازن الكتب:

ومن المشتغلين بالثقافة **الوَرَّاق** والجمع وراقون ، وهذا الوَرَّاق له مكانة خاصة فى عالم الكتب وقد جاء فى اللسان : الوَرَّاق حرفته الوراقة ويصف عمله ابن منظور فيقول : رجل وَرَّاق : وهو الذى يُوَرِّق ويكتب ، ورجل مُورق ووَرَّاق : صاحب وَرَقٍ ، وقال عن ابن الأعرابى : أى كثير الوَرَق والمال ، وقال الجوهرى : رجل وَرَّاق كثير الدراهم[١] .

ولفظة **الوَرَّاق** وردت فى كتابات التوحيدى كثيرًا ونورد منها بعض النصوص ، مثل وصفه لأبى طاهر الوَرَّاق الذى يقول فيه : وأما أبو طاهر الوَرَّاق فإنه رُتبة فى النَّسْخ ، وكان قوى الحَظّ كثير الصبر على النَّقْل[٢] ففى النص السابق يذكر صفات الوَرَّاق التى يجب أن يتحلى بها ونرى نصًّا آخر يحتوى على توجيهات مهمة لمن يحترف هذه المهنة فيقول : وقال المُدَرِّس بباب الطاق يومًا لابن الخلال الوَرَّاق : ياهذا إذا حَرَّفْتَ القلم فلا تُثْقِل عليه يدك[٣] وقال : نظر العتابى إلى وَرَّاق يخطّ فلم يرتض خطّه فقال له : اغْتَفِر رداءة خطّك بسواد حِبْرك[٤]، وقال يصف أحد الوَرَّاقين : طلع صالح الوَرَّاق فقال ابن عباد حين نظر إليه وإلى لحيته المُسَرَّحة : ولحية كأنها القباطي[٥] وقال عن وَرَّاقٍ آخر : كان بالمغرب وَرَّاق ، وكان معروفًا بالإلحاد لظاهر مجونه[٦]، وقال ذاكرًا لفظة الوَرَّاق اسمًا كابن الوَرَّاق

---

(١) اللسان جـ ٣ ص ٩١٢ . (٢) مثالب الوزيرين ص ٢٢٩ .
(٣) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٣ (لقد جاء فى النص يوما/ويوما فحذفت يوما منها) .
(٤) رسالة فى علم الكتابة ص ٤٤ . (٥) مثالب الوزيرين ص ١٢٨ .
(٦) البصائر جـ ٣ ص ٦٣٤ .

النَّحوى[1] واتخذ بعض علماء الدين فى العصر العباسى مهنة الوِراقة للتكسب وتوفير معاشهم اليومى ليس غير ، ويذكر منهم التوحيدى مثل مالك بن دينار فيقول : وكان مالك بن دينار وَرَّاقًا[2] ، وقد قيل إن من آفات العِلْم خيانة الوراقين .

وكان العُلماء الذين يحرصون على سلامة العِلْم ينسخون كُتبهم بأنفسهم إن استطاعوا[3] ، ذكر التوحيدى بعض آفات الوَرَّاقين فقال : فلان وصل ندماءه بمائة ألف درهم ، وفلان فعل ، وفلان صنع ، وهذه من أكاذيب الوَرَّاقين[4] وقال يذكر عيبا آخر لفئة الوَرَّاقين : وقد كان والله يلوح خلل كبير لقوم من أهل العقل والأدب ، والحكمة من رسائله ورقاعه ، وكانوا يحملون الذنب على الوَرَّاقين[5] ، ولكن لفظة الوَرَّاقين تأخذ دلالة أخرى عند التوحيدى ففى نصوص له يذكر الوَرَّاقين اسمًا لمكانٍ إذ يقول : قيل لأبى زكريا الصميرى بباب الطاق بالوَرَّاقين[6] ، وقال أيضًا : كان بعض أصحابنا فى الوَرَّاقين ببغداد يضرب فى هذا مثلا[7] وقال : وكتموا أسماءهم وبثوها فى الوَرَّاقين ولقنوها الناس[8] وقال : فى أوقات كثيرة بحضرة حمزة الوَرَّاق فى الوَرَّاقين[9] .

ولفظة **ناسخ** مرتبطة بالوَرَّاق ، وجاء فى اللسان النَّسْخ : اكتتابك كتابًا عن كتاب حرفًا بحرف ، والنَّسْخ : إبطال الشيء وإقامة آخر[10] ، وقد ازداد نشاط النسَّاخين فى القرن الرابع الهجرى واتسع مجال عملهم وأخذ العلماء يستخدمون

---

(١) المقابسات ص ١٢٠ .
(٢) البصائر جـ ٢ ص ٤٣ .
(٣) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ ١ ص ٣٤٣ .
(٤) البصائر جـ ٤ ص ١١٢ .
(٥) مثالب الوزيرين ص ١٢٤ .
(٦) المقابسات ص ١٤٦ .
(٧) المقابسات ص ١٧٥ .
(٨) الإمتاع جـ ٢ ص ٥ .
(٩) الإمتاع جـ ٢ ص ١١ .
(١٠) اللسان جـ ٣ ص ٦٢٤ .

النسَّاخين الوَرَّاقين لنقل كتبهم ومن ثم انشئت المكتبات العامة ، كدار الحكمة التى أنشأها الرشيد ، ومن المكتبات الخاصة التى ذاع صيتها فى العصر العباسى مكتبة الواقدى ، المؤرخ المشهور المتوفى ٢٠٧ هـ . وكان له مملوكان يكتبان له ليلًا ونهارا ، ويقول ابن منظور : والكاتِب ناسِخ ومُنْتَسِخ[١] وليس من الضرورة أن يكون الناسِخ ضليعًا فى المعرفة ، إذ إنه ينقل فقط ما يُطلب منه ، وأحيانًا يصيبه الملل وإن كان الكِتاب الذى ينسخه ذا أهمية خاصة ، أو من الكُتب النادرة ، فهو لا يعنيه الأمر مهما كان هذا الكتاب ، ويصف أبو حيان أحد النُّسَّاخ ، فيقول : وذلك لأن الكتاب طال طولًا يمل الناسِخ[٢] ، وتأتى لفظة الناسِخ بمعنى فِقْهى عند أبى حيان فمن قوله : ولا يتسلط عليها دافع ولا ناسِخ.[٣] . وقوله : ظاهِر الكتاب وباطِنه ، وتنزيله وتأويله ومحكمه ومتشابهه وناسِخه ومنسوخه[٤] ، وقوله عن النبي محمد ﷺ : بُعِثْت ناسِخًا لكل شريعة ، ومجددًا لشريعة خصنى الله بها من بين العرب[٥] .

هناك فئة نعدهم من المشتغلين بالثقافة وإن كانوا لا يمارسون الأعمال الفكرية وإنما هم يشرفون على إنتاج المفكرين المشتغلين بالثقافة ، وبهذا يوفرون الوقت للعلماء والأدباء والمفكرين وغيرهم ممن اتخذ العِلْم هدفه وغايته وبالتالى مهنته وهؤلاء الذين يقومون على خدمة المشتغلين بالثقافة وهم « **خازن الكتب** » و« **الخطَّاط** » و« **المُذَهِّب** » وغيرهم ذكرهم التوحيدى فى كتاباته ونورد بعض النصوص التى تضمنت هذه الألفاظ .

فلفظة **خطَّاط** من مادة خَطّ يخطه خطًّا : كتبه بقلم أو غيره[٦] ، وذكر

---

(١) اللسان جـ ٣ ص ٦٢٤ .
(٢) البصائر جـ ٣ ص ٤ .
(٣) الإمتاع جـ ١ ص ٢١٦ .
(٤) رسالة فى ثمرات العلوم ص ١٩٢ .
(٥) الإمتاع جـ ١ ص ٩١ .
(٦) اللسان جـ ١ ص ٨٥٨ .

التوحيدى لفظة الخَطَّاط فى أماكن كثيرة من كتبه ورسائله فقال : وسمعت الأعسر الخَطَّاط أبا الحسن يقول : الخَطّ أربعة أقسام[1] وقال يوصى الخَطَّاط : لا شىء أنفع للخَطَّاط من أن لا يباشر شيئًا بيده فى رفع ووضع خاصة إذا كان ذلك الشىء ثقيلًا[2] .

وذكر الطابع بقوله : وقرأت لعلى بن جعفر الكاتب : كتب الطابع رقعة له إلى صالح بن مسعود الكاتب النصرانى ، لم تكن بذاك قلة ما لم أروها[3] . وجاء فى اللسان : الطابع والطابَع ، بالفتح والكسر : الخاتم الذى يختم به ، وميَسّم الفرائض[4] .

ولفظة المُذَهِّب جاءت عند التوحيدى فى نص يقول فيه : وهذه الرسالة مشهورة آخر ما رأيتها عند أبى عبد الله المُذَهِّب ، مكتوبة بالذهب[5] وعمل المُذَهِّب شرحه التوحيدى . ولا يحتاج الأمر إلى تفاصيل . ويقول صاحب اللسان : ذَهَّبْتُ الشىء فهو مُذَهَّب إذا طليته بالذَّهَب[6] ، ولفظة المُذَهِّب لم ترد فى اللسان .

ولفظة الخازن من خزن الشىء يخزنه خزنًا : أحرزه وجعله فى خِزانة . والخِزانة عمل الخازن[7] . وخازِن الكتب يذكره التوحيدى فى كلامه عن ركن الدولة فيقول : وأما مسكويه فإنه اتخذه خازنًا لكتبه ، وأراد أيضا أن يقدح ابنه به[8] ، وقال التوحيدى عن الصاحب بن عباد : قال اكتب الأبيات ، وارفعها إلىَّ بنجاح – وكان خازِن كتبه[9] . وقال التوحيدى ذاكرًا لفظة الخازِن اسمًا

---

(١) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٣ .
(٢) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٤ .
(٣) الصداقة والصديق ص ٣٧١ .
(٤) اللسان جـ ٢ ص ٥٦٧ .
(٥) مثالب الوزيرين ص ١٤٠ .
(٦) اللسان جـ ١ ص ١٠٨١ .
(٧) اللسان جـ ١ ص ٨٢٨ .
(٨) مثالب الوزيرين ص ٢٢٨ .
(٩) مثالب الوزيرين ص ٢٦٢ .

لشخص : حدثنا يومًا أبو سليمان قال : اجتزت بالرى ، متوجها إلى بلدى سجستان سنة من السنين ، وكان بها أبو جعفر الخازِن فزرته قاضيًا لحقه ، لفضله وسنه[١] .

مما تقدم نجد أن لفظة وَرَّاق وجمعها ورَّاقون جاءت عند أبى حيان بمعنى اصطلاحى وهو من يَنْسَخ الكتب ويقوم على إعدادها[٢] ، وجاءت لفظة الجمع بمعنى آخر وهو اسم لمكان[٣] خاص بضاحية من ضواحى بغداد[٤] ولفظة الجمع هذه لم ترد فى اللسان ، فهى صيغة أوردها أبو حيان فى كتاباته من مادة « ورق » وكثر استخدامها فى عصره .

أما التغير الدلالى فلفظة الوَرَّاق فقد **تخصصت دلالتها** بعد أن أُطلقت على من يمتهن الوِرَاقة[٥] ، وأصبحت لقبًا يُطلق على أشخاصٍ معينين[٦] ، وفى مجال انتقال الدلالة نجد أن لفظة الوَرَّاقين بعد أن كانت تطلق على من يتخذون الوِرَاقة مهنة لهم **انتقلت إلى معنى آخر** وأصبحت تدل على مكان تجمع هؤلاء الذين يعملون بالوِراقة فسمى المكان باسمهم وانتقلت الدلالة من مجال مادى إلى آخر مادى اشتركت فيه الدلالتان بجزء من المعنى وهو « الوَرَق » . ونجد أيضا أن لفظة الوراقين جمع وَرَّاق قد **انحطت دلالتها** بعد أن اتهم الوراقون بالأكاذيب[٧] وكثرة الذنوب[٨] .

ولفظة النَّاسخ جاءت عند أبي حيان بمعنى اصطلاحي[٩] وهو من يقوم باكتتاب

---

(١) المقابسات ص ٣٣٣ ذكر ابن النديم أبا جعفر الخازن في أخبار المهندسين والإعداديين والمنجمين ص٤٠٧ .

(٢) رسالة فى علم الكتابة ص ٤٤ .

(٣) المقابسات ص ١٤٦ .

(٤) المقابسات ص ١٧٥ .

(٥) مثالب الوزيرين ص ٢٢٩ وانظر رسالة فى علم الكتابة ص ٣٣ .

(٦) المقابسات ص ١٢٨ .

(٧) البصائر جـ ٤ ص ١١٢ .

(٨) مثالب الوزيرين ص ١٢٤ .

(٩) البصائر جـ ٣ ص ٤ .

كتابًا عن كتاب حرفًا بحرف . وجاءت بمعنى فِقْهى[1] أى من يعمل على إبطال أمر دينى وإقامة آخر مقامه . ولكن التغير الدلالى جعل دلالة الكلمة تنحط بعد ارتقاء وذلك حين بلوغها أعلى المراتب عندما دلت على ناسِخ الآيات ووصف بها النبى ﷺ فقيل نَاسِخ الشرائع[2] وما إن جاء القرن الرابع ، حتى وجدنا هذه اللفظة قد أصابها الانحطاط ، وأُطلق على نَاسِخ الكُتب وبهذا تخصصت لفظة النَاسِخ بعد أن تحدد عمله بَنَسْخ الكتب ، وجاءت لفظة النَّاسِخ فى نصوص أبى حيان ، مرادفة للفظة الكَاتِب[3] والوَرَّاق .

ولفظة خَطَّاط جاءت عند أبى حيان بمعنى من يقوم بالكتابة بالقلم أو بغيره وهذا هو المعنى الاصطلاحى[4] الذى أراده أبو حيان للفظة الخَطَّاط ، وهذه اللفظة لم يذكرها صاحب اللسان عند تناوله لمادة « خطط »، **فهى اشتقاق جديد** .

فى التغيير الدلالى نجد أن لفظة الخَطَّاط قد **تخصصت دلالتها** بعد أن حَدد أبو حيان عمل هذا الخَطَّاط فأصبحت اللفظة لقبًا يدل على حرفة الشخص مثل الأعسر الخَطَّاط[5] وغيره من أعلام عصر أبى حيان فتخصصت الدلالة بتخصيص عمل من يمتهن الخَطَّ . ولفظة الخَطَّاط جاءت عند أبى حيان **مرادفة** للفظة النَّاسِخ والوَرَّاق . ولفظة الطابع جاءت عند أبى حيان بمعنى من يمتهن الكتابة عن طريق الإملاء عليه[6] وهذا المعنى الاصطلاحى مخالف لما جاء فى اللسان ، فالطابع هو الخاتم، كما يذكر صاحب اللسان وهو ميسم الفرائض[7] .

---

(١) رسالة فى ثمرات العلوم ص ١٩٢ وانظر الإمتاع جـ ١ ص ٢١٦ .

(٢) الإمتاع جـ ١ ص ٩١ .

(٣) اللسان جـ ٣ ص ٦٢٤ .

(٤) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٤ .

(٥) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٣ .

(٦) الصداقة والصديق ص ٣٧١ .

(٧) اللسان جـ ٢ ص ٥٦٧ .

فى التغيير الدلالى نجد ، أن لفظة الطابع قد **تخصصت دلالتها** فى عصر أبى حيان بعد أن حدد عمل هذا الطابع ، فتخصصت الدلالة لهذه اللفظة وانتقلت من مجال مادى إلى مجال معنوى ، مع اشتراك الدلالتين بجزء من المعنى وهو الرَّسم ، وقد وردت هذه اللفظة مرة واحدة فى كتابات أبى حيان . وكذلك لفظة **المُذَهِّب** وردت عند أبى حيان مرة واحدة ، وجاءت بمعنى من يقوم بطلاء المصاحف بالذَّهَب[1] . وهذا هو المعنى الاصطلاحى للفظة المُذَهِّب ، التى لم يذكرها صاحب اللسان عند تناوله للمادة « ذهب » فهى **اشتقاق جديد** ، وقد ذكر ابن النديم فى الفهرست بعض أسماء هؤلاء المذهبين[2] . فى التغيير الدلالى نجد أن لفظة المُذَهِّب قد تخصصت دلالتها ، بعد أن تحدد عمل من يقوم بهذه المهنة وهى التَّذهيب وأُطلق هذا اللفظ لقبًا لأحد أعلام عصر أبى حيان فتخصصت الدلالة .

ثم لفظة خَازِن جاءت عند أبى حيان بمعنى المُشْرِف على خزائِن الكتب[3] ، أى بمعنى أمين المكتبة كما ندعوه فى وقتنا هذا . وجاءت لفظة الخازن بمعنى من كانت وظيفته الخِزانة ، أى خِزانة المال ، فهى لقب لشخص مثل أبى جعفر الخَازِن[4] الذى ورد اسمه فى الفهرست ابن روح الصابى[5] وفى التغيير الدلالى نجد أن لفظة خَازِن قد **تخصصت دلالتها** بعد أن كانت عامة ، تُطلق على كل من يقوم بحرز الأشياء وتخزينها[6] وبتحديد عمل الخَازِن تخصص معنى الدلالة وقد ذكر أبو حيان مصطلح خَازِن الكتب فخصص دلالة لفظة الخازن ، وهذا المعنى لم يرد فى اللسان إذ أن لفظة الخَازِن جاءت بمعناها الواسع عند صاحب اللسان .

---

(١) مثالب الوزيرين ص ١٤٠ .
(٢) الفهرست لابن النديم ص ٤٠٧ .
(٣) مثالب الوزيرين ص ٢٢٨ .
(٤) المقابسات ص ٣٣٣ .
(٥) الفهرست لابن النديم ص ٤٠٧ .
(٦) اللسان جـ ١ ص ٨٢٨ .

(٧) الموسيقار ، المطرب ، المهود ، المغنى ، الضارب ، الزمار :

وهناك طائفة أخرى من الذين يشتغلون بالثقافة القائمة على الأعمال الفنية مثل المُوسيقار والمُطْرِب ، والمُغَنّى ، والمُهَوّد ، والضَّارِب ، والزَّمَّار ، هؤلاء يخدمون الثقافة فى مجال عملهم الفنى وقد ورد ذكرهم فى كتابات أبى حيان وسوف أذكر بعض النصوص التى أوردت هذه الألفاظ .

لفظة **المُوسيقار**–وقد تنطق (الموسيقور)–كما ذكر الخُوارزمىّ ، وقد ترددت كثيرًا عند أبى حيان فنراه يصف المُوسيقار فيقول : والموسيقار إذا صادف طبيعة قابلة ومادة مستجيبة ، وقريحة مؤاتية ، وآلة منقادة ، أفرغ عليها تأييد العقل والنفس لبوسا مونقا[١] والمُوسيقار لفظة يونانية* وسمى بها المطرب ومؤلف الألحان الموسيقور والموسيقار[٢] ، ويصف أبو حيان الموسيقار من طريقة عمله فيقول : إن الإنسان وإن التَذّ بالدَسْتِنْبان فلن يعد مُوسيقارا إلا إذا تحقق بمبادئه الأُوَل التى هى الطنينات وأنصاف الطنينات[٣] ويشرح لنا أبو حيان طريقة تناول المُوسيقار للألفاظ فيقول : ولهذه الصورة–ويقصد بها الصورة اللفظيّة– بعد هذا كله مَرتبة أخرى إذا مازجها اللّحن والإيقاع بصناعة المُوسيقار فإنها حينئذ تعطى أمورًا ظريفة ، أعنى أنها تلذ الإحساس وتُلهب الأنفاس[٤] ، وقال أبو حيان : اشتق هذا الوصف من المُوسيقار لأنه يزن الحركات المختلفة فى

---

(١) المقابسات ص ١١٣ .

(٢) مفاتيح العلوم للخوارزمى ص١٣٦ .

(٣) الإمتاع حـ ٢ ص ٨٥ .

(٤) الإمتاع جـ ٣ ص ١٤٤ .

* عن الأصل اليوناني للكلمة .

الموسيقى[1] ووصف أبو حيان المُوسيقار بأنه من أصحاب النظر والقياس كالطبيب ، وكالمهندس وصنفه بنفس الرُّتبة فقال : كان أبو سليمان يقول فى هذا الموضع : هذا آخر ما فى الجواب وهو حسرة الطبيب والمُهندس والمُنَجِّم والمُوسيقار ، والمُنْطقىِّ والكلامىِّ ، وجميع أصحاب النظر والقياس[2] .

ولفظة مُطْرِب من الطَّرَب وهو حلول الفرح وذهاب الحزن ، وقال صاحب اللسان هو خفة تعترى عند شدة الفرح أو الحزن أو الهم[3] والمُطْرِب ذكره أبو حيان بمعنى من يجيد الغناء والطَّرَب فقال : المُهَوِّد : المُطْرِب[4] وبمعنىَ الذى يبعث الطَّرَب فى النفس ، وليس بالضرورة يكون شخص يؤدى الألحان ، وإنما هناك الكلام المُطْرِب واللَّحْن المُطْرِب واللَّفْظ المُطْرِب والمُحَدِّث المُطْرِب ، وقد جاءت هذه المعانى جميعها عند أبى حيان فنراه يصف الكلام فيقول : والكلام فى الأخلاق مُطْرِب ، وجل هذا الكتاب فيها[5] وقال أيضا : والكلام فى العقل مُطْرِب جدًّا ، خاصة إذا تَرَنَّم بتمجيده من وفر الله تعالى حظه منه[6] ، وقال فى هذا المعنى : ولفظ مُطْرِب وبلاغة شريفة[7] وقال أيضا ذاكرًا لفظة المُطْرِب موجهًا النصح لأحدهم : ولا فى كل وقت تُناغى بلحن مُطْرِب ، أو تُناجى بلسان معرب[8] ، وقال يصف مُحَدِّثًا مُطْرِبًا : وخطيب مُحَقِّق ، ومنادٍ مُبْلِغ ، ومناج مُفْهِم ، ومحدث مُطْرِب ، وجليس فكه[9] . أما لفظة **المُهَوِّد** فقد ذكرهاأبو حيان : فقال المُهَوِّد : المُطْرِب[10] . وهذا هو تعريف اللسان للفظة المُهَوِّد من التهويد وهو ترجيع الصوت فى لين[11] .

---

(1) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٤ .
(2) المقابسات ص ٣٠٧ .
(3) اللسان جـ ٢ ص ٥٧٧ .
(4) البصائر جـ ٣ ص ٣١٥ .
(5) المقابسات ص ٨٨ .
(6) المقابسات ص ٢٢٢ .
(7) اللسان جـ ٣ ص ٨٤٣ .
(8) الإشارات الإلهية ص ٨ .
(9) المقابسات ص ٤٢٦ .
(10) البصائر جـ ٣ ص ٣١٥ .
(11) اللسان جـ ٣ ص ٨٤٣ .

والمُغَنِّى يذكره أبو حيان فى نصوصه فيقول معرفًا لفظة المُغَنِّى : قيل لإبراهيم ابن شكلة : من المُغَنِّى ؟ قال : الذى تفرع فى أجناسه ، ولطف فى اختلاسه وتمكن من أنفاسه وقرع بالمعنى سمعك ، وصدع به قلبك[1] ويقول أبو حيان عن المُغَنِّى : إذا راسله آخر يكون ألـــذ وأطـيب ، وأحلى وأعـــذب[2] والمُغَنِّى –أيضا– كما عرفه صاحب اللسان هو الفَصيل الذى يَصْرِف بنابِهِ[3] .

ومن المشتغلين بالأمور الفنية التى نعدها نوعا من الثقافة العامة الضَّارِب والزَّمَّار وهما بدلالة واحدة وهو من يؤدى عزف الألحان وإجادتها ، وهناك تخصص لهؤلاء العازفين ، فالزَّمَّار يقول عنه التوحيدى : الزَّمَّار لا يضرب العود[4] ويقول صاحب اللسان الزَّمْر بالمزمار ، وزَمَر يزمر زَمْرًا :غَنّى فى القصب ولا يقال رجل زامير إنما هو زَمَّار[5] . ويذكر التوحيدى الضَّارِب بدون تحديد الآلة التى يعزف عليها فيقول متسائلًا فى هوامله : الغناء أفضل أم الضَّرب ؟ والمُغَنِّى أفضل وأشرف أم الضَّارِب ؟[6] ومعنى الضَّارِب كما جاء فى اللسان هو المُتَحَرِّك، والمُسافر يقال ضرب فى الأرض إذا سار فيها ، والعامل لأنه هو الذى يضرب فى الأرض ، ويقال للناقة ضَارِب لأنها تضرب حالبها . وقيل : للمكان المُطْمَئِنّ من الأرض الذى يكون فيه شجر ضَارِب . يقال عليك بذلك الضَّارِب فانزل به . والضَّارِب : السَّابِح فى الماء ، والضَّارِب الليل الذى ذهبت ظلمته يمينا وشمالًا ، والضَّارِب : الطويل من كل شيء[7] نلاحظ أن صاحب اللسان لم يذكر المعنى الاصطلاحى الذى ذكره أبو حيان للفظة الضَّارِب .

---

(١) البصائر جـ ١ ص ٥٣١ .
(٢) الإمتاع جـ ٢ ص ٨٢ (وهذه أول إشارة إلى العلماء المشترك أو الجماعى) .
(٣) اللسان جـ ٣ ص ١٠٢٥ .
(٤) المقابسات ص ٢٣٣ .
(٥) اللسان جـ ٢ ص ٤٤ .
(٦) الهوامل والشوامل ص ١٦٢ .
(٧) اللسان جـ ٢ ص ٥١٩ .

مما تقدم نجد لفظة المُوسيقار جاءت عند أبى حيان بمعنى من يقوم بتأليف الألحان وأدائها[١] ، ومن يجيد العزف على الآلات الموسيقية[٢] أى هو الخبير بفنون الموسيقى وعلومها[٣] ولفظة المُوسيقار من الألفاظ المعربة عن اليونانية ذكرت فى مفاتيح العلوم للخُوارزمى[٤] وذكر اشتاينجس فى معجمه الخاص بالألفاظ الفارسية بأن لفظة المُوسِيقار معربة عن الفارسية[٥] وهذا الكلام لا يسنده أىّ تأكيد من جانب المعاجم المتخصصة بالألفاظ الفارسية أو المعاجم العربية فكلا النوعين لم يذكر لفظة المُوسيقار وأيضا صاحب اللسان لم يذكر هذه اللفظة . ومن المرجح أن اللفظة « مُوسيقار » يونانية الأصل وأخذتها الفارسية عن اليونانية والأدلة واضحة على أصل اللفظة .

وفى مجال التغير الدلالى نجد أن لفظة المُوسِيقار قد **تخصصت دلالتها** فى عصر أبى حيان بعد أن عُربت عن اليونانية وأصبحت تُطلق على الخبير فى الموسيقى[٦]، وقد وضع أبو حيان المُوسِيقار فى مصاف الطبيب والمهندس والمَنْطقىّ والكلامىّ ، والمُوسيقار عند أبى حيان – فوق هذا كله – من أهل النظر والقياس[٧] .

ولفظة مُطْرب جاءت عند أبى حيان بمعنى من يُجيد الغناء[٨] وبمعنى الشىء الذى يثير البَهجة والسرور فى النفوس[٩] مثل اللَّحن المُطْرِب[١٠] ، والكلام

---

(١) المقابسات ص ١١٣ .
(٢) الإمتاع جـ ٢ ص ٨٥ ، وانظر جـ ٣ ص ١٤٤ .
(٣) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٤ .
(٤) مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ١٣٦ .
(٥) معجم اشتاينجس ص ١٣٤٥ .
(٦) الكلمة فى اليونانية تدل على الفنون كلها ، انظر :
(٧) المقابسات ص ٣٠٧ .
(٨) البصائر جـ ٣ ص ٢١٥ .
(٩) المقابسات ص ٤٢٦ .
(١٠) الإشارات ص ٨ .

المُطْرِب[1] ، واللَّفْظ المُطْرِب[2] . ولفظة المُطْرِب هذه لم ترد عند صاحب اللسان فى تناوله للمادة « طرب » ، ولكنه ذكرها فى شرحهِ للفظة المُهَوِّد من المادة « هود » ، فالمُهَوِّد عند ابن منظور هو المُطْرِب[3] .

ولفظة **المُهَوِّد** عند التوحيدى مرادفة للفظة المُطْرِب[4] فاللفظتان جاءتا مترادفتين فى اللسان وفى نصوص أبى حيان . فى مجال التغيير الدلالى نجد أن لفظة المُطْرِب قد تخصصت دلالتها فى عصر أبى حيان بتخصيص العمل الذى يؤديه من يحترف الطرب فبعد أن كانت تُطلق على كل ما يثير الفرح والشجن أصبحت تطلق على الشخص المُؤدى للألحان بشكل جيد يطرب له السامعون .

ولفظة **المُهَوِّد** أيضا تخصصت دلالتها بتحديد عمل هذا المُهَوِّد . ففى البدء كانت لفظة المُهَوِّد تُطلق على من يُجيد ترجيع الصوت فى لين وفتور ، ثم أصبحت تُطلق على من يُجيد الطَّرَب ، فتحدد عمل المُهَوِّد وتخصصت دلالته . ونجد فى نصوص أبى حيان أن لفظة المُطْرِب قد انتقلت دلالتُها من مجالٍ إلى آخر ففى بعض النصوص استخدم أبو حيان لفظة المُطْرِب للذى يُجيد الغناء ثم استخدم هذه اللفظة فى مجال آخر وصفًا للَحْنٍ أو كلام أو لَفْظ فانتقلت الدلالة من مجالٍ مادى إلى مجالٍ معنوى . وبانتقالها هذا توسع معناها فأصبحت لا تطلق على الشخص الذى يُطْرب الناس بصوته وإنما أُطلقت على أشياء معنوية كالكلام واللَّفْظ . فتوسعت دلالتها وهذه التطورات للفظة المُطْرِب جاءت فى نصوص أبى حيان المتضمنة لهذه اللفظة .

---

(١) المقابسات ص ٥٥ .

(٢) البصائر جـ ٢ ص ٨٤٨ .

(٣) اللسان جـ ٣ ص ٨٤٣ .

(٤) البصائر جـ ١ ص ٣١٥ .

ولفظة **المُغَنِّى** جاءت عند أبى حيان بمعنى صاحب الصوت الشجى العذب الذى يثير السامعين بغِنائه[1] فهى لفظة مرادفة للفظة المُطْرب والمُهَوِّد كما جاءت فى نصوص أبى حيان . أما صاحب اللسان فقد ذكر معنًى مغايرًا لما أورده أبو حيان لهذه اللفظة فالمُغَنِّى عند صاحب اللسان هو الفَصيل الذى يَصْرِف بنابه[2] .

وفى مجال التغيير الدلالى، نجد أن لفظة المُغَنِّى قد تخصصت دلالتها فى عصر أبى حيان بتخصيص نوع العمل ، الذى يُؤديه هذا المُغَنِّى ، فى ذلك العصر الذى ازدهر بالمُغَنيين والمُطْربين ، فتخصيص الدلالة للفظة المُغَنِّى جاء من تحديد العمل لهذا الشخص الذى يحترف الغِناء .

ولفظة **زَمَّار** جاءت عند أبى حيان بمعنى من يُجيد العزف على المِزْمار[3] وصاحب اللسان ذكر معنى الزمار للذى يغنى فى القصب[4] . وفى مجال التغير الدلالى ، نجد أن لفظة زَمَّار قد تخصصت دلالتها عند أبى حيان ، نتيجة لتحديده للعمل الذى يؤدي، هذا الشخص الذى يدعى بالزَّمَّار . فجاء تخصيص الدلالة للفظة الزَّمَّار من نصيص عمله .

أما لفظة **الضَّارِب** فقد جاءت عند أبى حيان بمعنى العازف[5] وإن كان أبو حيان لم يذكر لنا على أى الآلات يعزف الضَّارِب ، ومن المرجح أنه يعزف على العود وهناك نص لأبى حيان يقول فيه : لا يضرب على العود[6] وصاحب اللسان يتوسع بمعنى لفظة الضارب فيذكر لها معانى متعددة ليس من بينها معنى العازف على الآلة الموسيقية[7] وفى مجال التغيير الدلالى نجد أن لفظة الضَّارِب قد تخصصت

---

(١) البصائر جـ ١ ص ٥٣١ وانظر الإمتاع جـ ٢ ص ٨٢ .
(٢) اللسان جـ ٣ ص ١٠٢٥ .
(٣) المقابسات ص ٢٣٣ .
(٤) اللسان جـ ٢ ص ٤٤ .
(٥) الهوامل والشوامل ص ١٦٢ .
(٦) المقابسات ص ٢٣٣ .
(٧) اللسان جـ ٢ ص ٥١٩ .

دلالتها فى عصر أبى حيان فأُطلقت على من يجيد العزف وبالأصح من يجيد الضرب على العود فتحدد معنى دلالة لفظة الضَّارب بعد أن كانت ذات معنى عام واسع يشمل أنواعًا متعددة من الفعاليات . فخصص أبو حيان دلالة لفظة الضَّارِب فى عصره الذى كثر فيه الضاربون على مختلف الآلات الموسيقية .

ومما تقدم نجد أن لفظة الزَّمَّار ترادف لفظة الضَّارِب فكلاهما يقوم بالعزف على الآلة الموسيقية وإن كان الزَّمَّار عمله محددًا بآلته المزمار .

* * *

الفصـــل الثانى

أشكال العمل الثقافى

يحتوى هذا الفصل على المجموعات الدلالية الأساسية للألفاظ الخاصة بأشكال العمل الثقافى وهي :

(١) الكتابة ، التحرير ، الإنشاء ، التحبير .

(٢) التأليف ، التصنيف .

(٣) الترجمة ، النقل .

(٤) الشـــــرح .

(٥) الوراقة ، النسخ ، الانتساخ .

(٦) التعليم ، التأديب .

(٧) الإمـــــلاء .

(٨) التنقيح ، التصحيح .

* * *

الألفاظ الخاصة بأشكال العمل الثقافى :

ألفاظ أشكال العمل الثقافى (٢٤) كلمة وهى : الإملاء ، الانتساخ ، الإنشاء ، التأدُّب ، التأديب ، التأليف ، التحبير ، التحرير ، الترجمة ، التصحيح ، التعليم ، التنقيح ، الشرح ، الكتابة ، المُتَرْجَمة ، المشروح ، المشروحة ، المُكاتبة ، المُكاتبات ، المنقح ، النَّسْخ ، النَّقْل ، الوِرَاقة .

وفيما يلى جدول بشيوع الألفاظ الخاصة بأشكال العمل الثقافى فى مؤلفات أبى حيان التوحيدى :

الكلمة	عدد مرات ورودها	الكلمة	عدد مرات ورودها
الشرح	٦١	الإملاء	٧
التأليف	٤٧	التصنيف	٧
الكتابة	٣٦	التنقيح	٥
الترجمة	٢٠	النقل	٤
النسخ	١٨	التأدب	٣
الإنشاء	١٦	المشروع	٣
التحرير	١٤	المشروحة	٢
المُكاتبة	١٣	الوراقة	٢
التعليم	٩	المكاتبات	٢
التأديب	٩	الانتساخ	١
التحبير	٩	المنقح	١
التصحيح	٧	المترجمة	١
		المجموع	٢٤

وتقسم هذه المجموعة من الألفاظ من حيث دلالتها إلى ثمانى مجموعات داخلية وهى ألفاظ خاصة بالعمل الثقافى الكتابى والإنشائى ، وبالعمل الثقافى الإبداعى التأليف ، والترجمة والنقل ، وبالعمل الثقافى فى الشرح ، وبالعمل الخطى الوراقة والنسخ وبالعمل التعليمى التأديبى ، وبالعمل الثقافى الإمالى ، والتنقيح والتصحيح .

(١) الكتابة ، المكاتبة ، التحرير ، الإنشاء والتحبير :

تدل لفظة الكتابة ومعها الألفاظ التى اشتقت من نفس مادتها (مُكاتبة واستكتب وكَاتَبَ وكتب) على أهم مهنة ثقافية ازدهرت فى رحاب الحضارة العربية الإسلامية فأصبحت الكتابة من أسمى المهن واحتلت أرفع مكان بين الصنائع والمهن الثقافية . أعظم شاهد لجليل قدر مهنة الكتابة ، وأقوى دليل على رفعة شأنها أن الله تعالى نسب تعليمها إلى نفسه ، واعتده من وافر كرمه وأفضاله فقال عز اسمه : ﴿ اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴾[١] ثم بين شرفها بأن وصف بها الحفظة الكرام من ملائكته فقال جلت قدرته : ﴿ وإن عليكم لحافظين كرامًا كاتبين ﴾[٢] . ثم زاد ذلك تأكيدا ووقر محله إجلالا وتعظيمًا بأن أقسم بالقلم الذى هو آلة الكتابة وما يسطر به فقال تقدست عظمته : ﴿ ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون ﴾[٣] ثم كان نتيجة تفضيلها ، وأثرة تعظيمها وتبجيلها ، أن المشرع ندب إلى مقصدها الأسنى ، وحث على مطلبها الأغنى ، فقال ﷺ : « قيدوا العلم بالكتاب » مشيرا إلى الغرض المطلوب منها[٤] . وقد أطنب السلف فى مدح الكتابة والحث عليها ، فلم يتركوا شأوا لمادح حتى قال سعيد بن العاص : من لم يكتب فيمينه يسرى . وقال الجاحظ : ولو لم يكن من فضل الكتابة إلا أنه لا يسجل نبى سجلا

---

(١) سورة العلق الآيات ٣ ، ٤ ، ٥ .

(٢) سورة الانفطار الآية ١١ .

(٣) سورة القلم الآيات ١ ، ٢ ، ٣ .

(٤) صبح الأعشى ج ١ ص ٣٦ .

ولا خليفة مرضى ، ولا يقرأ كتاب على منبر من منابر الدنيا إلا إذا استفتح بذكر الله تعالى وذكر رسوله ﷺ وذكر الخليفة ثم يذكر الكتاب كما هو مشهور فى السجلات التى سجلها رسول الله ﷺ لأهل نجران وغيرهم .

وقد فسر صاحب اللسان الكتابة من : كَتَبَ الشيء يكتبه كَتْبًا وكتابة : خطّه . والكتابة لمن تكون له صناعة مثل الصياغة والخياطة . ورجل كاتِب حرفته الكتابة . وقال ابن منظور عن ابن الأثير : الكتابة أن يُكاتب الرجل عبده على مال يؤديه إليه منجمًا . وسميت كتابة ، بمصدر كَتَبَ لأنه يكتب على نفسه لمولاه ثمنه ، يكتب مولاه على العتق . وقد كَاتَبَه مُكَاتَبَة والعبد مُكاتب(١) .

قال أبو حيان واصفًا الكتابة : والفرق بين الكتابة والخط أن الخط قد يكون كتابة ، والكتابة لا تكون خطًّا(٢) وقال عن الكتابة فى نص آخر : والكتابة صناعة تدركها الخُلوقة(٣) . وقال أبو حيان مخاطبا الوزير فى أحد مجالس الإمتاع : أيها الوزير ، اصطناع الرجال صناعة قائمة برأسها ، قل من يفى بربها أو يأتى لها ، أو يعرف حلاوتها ، وهى غير الكتابة التى تتعلق بالبلاغة والحساب »(٤) .

وقد وردت لفظة الكتابة عند أبى حيان بمعانٍ مختلفة منها بمعنى الخط وهذا المعنى للفظة الكتابة ورد كثيرا فى رسالته المعنونة فى علم الكتابة فقال واصفا القلم : وما كان فى رأسه طول فهو يعين اليد الخفيفة على سرعة الكتابة(٥) . وترد لفظة الكتابة بمعنى التأليف وقد قال أبو حيان بهذا المعنى : وقد سقت العبارة هكذا وهكذا شرقا وغربا وجنوبا وشمالا ، وأرضا وسماء ، فلم أدع للكتابة قوة إلا عصرتها عند العثور عليها(٦) ، وبهذا المعنى أيضا قال فى وصفه لابن عباد :

---

(١) اللسان جـ ١ ص ٢١٦ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٣٨٩ .
(٣) مثالب الوزيرين ص ٥٥ .
(٤) الإمتاع جـ ٣ ص ٢١٢ .
(٥) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٠ .
(٦) الإشارات الإلهية ص ١٠٦ .

والغالب عليه كلام المتكلمين المعتزلة كتابته مُهجنة بطرائقهم ومناظرته مشوبة بعبارة الكُتَّاب[(١)] ، وقال يصف أحد معاصريه : ومتسع فى فنون النَّظْم والنَّثْر ، مع الكتابة البارعة فى الحساب والبلاغة ، وحفظ أيام الناس[(٢)] ، وقال أبو حيان : ومُلْح هذه الحكاية ينتشر فى الكتابة ، وبهاؤها ينقص بالرواية دون مشاهدة الحال[(٣)] وقال موردًا لفظة الكتابة بمعنى الإنشاء : قلت لأبى بكر القومسى–وكان كبير الطبقة فى الفلسفة ، لزم يحيى بن عدى زمانا ، وكتب لنصر الدولة ، وكان حلو الكتابة ، مقبول الجملة ، ما معنى قول بعض الحكماء : الألفاظ تقع فى السمع فكلما اختلفت كانت أحلى[(٤)] .

ويورد أبو حيان لفظة الكتابة بمعنى المُراسلة فيقول : هاجتنى على الكتابة إليك مسألة أبى نوح إياى إعلاقك رأيى وهواى[(٥)] وقال أيضا بهذا المعنى وهو يخاطب أحدهم : تصلح لخدمة الملوك ولحضور خلواتهم وسماع نغماتهم وحفظ كتاباتهم[(٦)] ونرى أبا حيان يعدد أنواعًا مختلفة للكتابة فمن أنواعها الكتابة الديوانية فهو يقول : وحذق فى العمل وسعة علم بالكتابة الديوانيّة ، والرُّسوم الخراجيّة[(٧)] ونوع آخر من أنواع الكتابة يذكره أبو حيان وهو كتابة الحساب فيقول للوزير واصفا ابن عبيد : كان يذكر أن كتابة الحساب أنفع وأفضل وأعلق بالمُلك ، من كتابة البلاغة[(٨)] ، وقال عن مهنة الكتابة : أمثلى يموه عليه ويطمع فيما لديه ، وأنا خلقت الكتابة والحسابة[(٩)] ويقصد هنا علم الحساب ويذكر لنا نصا آخر يبين فيه

---

(١) الإمتاع جـ ١ ص ٥٤ .

(٢) الإمتاع جـ ٢ ص ٤ .

(٣) مثالب الوزيرين ص ٩٩ .

(٤) المقابسات ص ٩١ .

(٥) البصائر جـ ٢ ص ٣١٥ .

(٦) الإشارات الإلهية ص ١٧٢ .

(٧) مثالب الوزيرين ص ١٤٦ .

(٨) الإمتاع جـ ١ ص ٩٦ .

(٩) مثالب الوزيرين ص ٨٥ .

هذا الترابط بين الكتابة والحساب فيقول : لم يكن معه من صناعة الكتابة الأصل وهو الحساب ، وكان أجهل الناس بالدخل والخرج[1] .

وتلمع فى نطاق الكتابة شخصيات كانت مغمورة ، وتسمو بيوتات كانت خاملة ، فأصبحت حاكمة مالكة ، بل إنها لم تكن عربية ، ولكن الثقافة العربية والعلوم الإسلامية قد صقلت عقولها وثقفت حواشيها فجعلتها فى أسمى مكان فى الدولة ، وهى مكانة الوزارة وخير مثال على هذا ما فعلته مهنة الكتابة بأسرة البرامكة وكيف رفعت من شأنهم ويقول أبو حيان واصفا جعفر البرمكى : قال أصحابنا : ما نظن أنه اجتمع هذا كله إلا لجعفر بن يحيى ، فإن كتابته كانت سواديّة ، وبلاغته سحبانيّة وسياسته يونانيّة وآدابه عربيّة ، وشمائله عراقيّة[2] .

وكلمة **مُكاتَبَة** وردت فى المعاجم العربية والإسلامية بمعانٍ متنوعة ، ففى اللسان يقول ابن منظور : معنى المُكاتَبَة أن يُكاتب الرجل عبده أو أمته على مال ينجمه عليه ، فإذا أدى جميع ما كاتبه عليه ، فقد عتق[3] ، ويقول صاحب تاج العروس : المُكاتَبَة بمعنى التَّكاتُب يقال كاتب صديقه وتكاتبا ومن المجاز المُكاتَبَة وهو أن يُكاتبك عبدك على نفسه بثمنه فإذا سعى وأداه عتق . وهى لفظة إسلامية ، وأحكام المُكاتبة مصرحة فى فروع الفقه[4] ويقول التهانوى فى كشافه : المُكاتَبة هى عند المحدثين أن يكتب الشّيخ مسموعه لغائب أو حاضر بخطه أو بخط غيره بإذنه ، فهى كالمُناولة إما مقترنة بالإجازة ، أو مجردة عنها . وأطلق المتأخرون المُكاتَبة فى الإجازة المكتوب بها بخلاف المتقدمين فإنهم إنما يطلقون فيما كتب الشيخ من الحديث إلى الطالب سواء أذن له فى روايته أم لا[5]

(١) مثالب الوزيرين ص ٢١٣ .
(٢) الإمتاع ج ١ ص ١٠٠ .
(٣) اللسان ج ٣ ص ٢١٧ .
(٤) تاج العروس ج ١ ص ٤٤٥ .
(٥) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ج ٥ ص ١٢٤٣ .

ولفظة **المكاتبة** جاءت فى كتابات أبى حيان بمعان متعددة ، يذكر أبو حيان المكاتبة بمعنى الكتابة أى الإنشاء والخط فيقول : رأيت أبا الوفاء المهندس يقول لابن سعدان : والله أيها الوزير إن خطك فى الغاية ، وإن بلاغتك فى النهاية ، فما الذى يدعو إلى الاستعانة بالصابى أبى إسحق فى مُكاتبة ابن عباد ؟[١] ، وقال أيضا بمعنى الخط : لأن المُكاتبة بالقلم تدعو إلى مثل هذه الحالة التى وإن كنت مستغيثا بالله منها فإنى مغاث بتوفيق الله فيها[٢] ، وجاءت لفظة مُكاتبة بمعنى مصطلح فقهى ، يقول أبو حيان : وسنصل المكاتبة بالمشافهة ، إما بالحضور لديه ، أو بتجشمه إلى هذا العليل الذى قد ألح النقرس عليه والسلام[٣] . وترد لفظة مكاتبة بمعنى المُراسلة وفى هذا المعنى يقول التوحيدى لصديقه : وإنى لآنس بذكرك فضلا عن مكاتبتك ، وبمكاتبتك فضلا عن رؤيتك[٤] وقال أيضا لصديقه : وإن انقطعت منا المكاتبة أحيانا لاعتناق علة أو شغل ، فتواصل التشاكل لا ينقطع لانقطاع الكتب[٥] ، وقال ذاكرا لفظة المكاتبة بمعنى المراسلة أيضا فى نصوص أخرى من كتاباته : ومما يدل على طلب البّقيا أنى اقتصرت فى مكاتبتك على لفظ منثور[٦] وقال عن ذى الكفايتين : فلو عاش كان أبلغ من أبيه كما كان أشعر منه ولقد تشبه بالجاحظ فافتضح فى مُكاتبته لإخوانه[٧] وقال أبو حيان لصديقه : فإنى قاطع كل سبب إلا ما وصلنى وتارك مكاتبة الناس جميعًا ، إلا من أجرى لى ذكرًا عندك[٨] ، وقال أيضا أبو حيان فى هذا المعنى : وإن أعجب عندى إمساكك عن مكاتبتى إمساكك عن ذكرى فى كتبك إلى قوم قد علمت أنهم لا يخفون عن مكاتبتك إياهم[٩] .

---

(١) رسالة فى علم الكتابة ص ٤٧ .
(٢) الإشارات الإلهية ص ٣٤١ .
(٣) مثالب الوزيرين ص ٢٧٧ .
(٤) الصداقة والصديق ص ٤١١ .
(٥) الصداقة والصديق ص ٤١٥ .
(٦) مثالب الوزيرين ص ٢٨١ .
(٧) الإمتاع جـ ١ ص ٦٦ .
(٨) الصداقة والصديق ص ٤٣١ .
(٩) الصداقة والصديق ص ٤٣١ .

ولفظة الجمع **مُكاتَبات** ترد عند أبى حيان فى حديثه عن الأمور المالية فيقول : وميراث من لا وارث له ومال الصدقة ، إلى غير ذلك من الأمور المحتاجة إلى المُكَاتَبات البالغة على الرسوم المعتادة والعادات الجارية[١] والمكاتبات كما يقول القلقشندى أعظم كتابة الإنشاء وأعمها من حيث إنه لا يستغنى عنها مَلِك ولا سوقة[٢] .

والأفعال كَاتَبَ واسْتَكْتَبَ وكَتَّبَ وجميعها تعطى معنى كتب ، وإن كان الاشتقاق من مادة واحدة ولكن المشتقات مختلفة ، وقد ذكر التوحيدى هذه الألفاظ فى نصوص مختلفة وفى أماكن متعددة من كتاباته ذاكرًا الفعل كَاتَبَ : مثل قوله يخاطب صديقًا له : وإن أسأل عنك فتنسل منى وإن أُكاتبك فتتغافل[٣] ، وقوله أيضا ذاكرًا الفعل تَكَاتَبَ : أما شكواى منك فلأنك لم تُكاتبنى بحرف[٤] وقال ذاكرًا الفعل كَاتَبَ : وقد زجرت ووعظت، وقلت وأرسلت وكاتبت وشافهت[٥] . وقال مستخدما الفعل نُكاتب فى سياق يوحى بمعنى نخاطب : « اللهم إنا **نُكاتب** الخلق التى أظهرتها فى آفاق ملكوتك ليكونوا شفعاءنا عندك »[٦] . وذكر أبو حيان الفعل استكتب بمعنى طلب الكتابة فقال : وامتلأ الطرف بك ، نيل الحظوة بخدمتك وملازمتك وفعلت ذلك كله حتى اسْتَكْتَبْتَكَ كتاب الحيوان لأبى عثمان الجاحظ لعنايتك به ، وتوفرك على تصحيحه[٧] ، وقال أبو حيان مستخدما الفعل استكتب فى حديثه عن ابن العميد بمعنى طلب أن يكتب أى عين كاتِبًا : وهرب إلى خراسان واستكتب هناك ، ولقب بالعميد ، وكتب إلى قاضى أصفهان كتابا برئ منه فيه[٨] . وفى هذا المجال ذكر التوحيدى الفعل:

---

(١) الإمتاع جـ ١ ص ٩٩ .
(٢) صبح الأعشى جـ ١ ص ٥٣ .
(٣) مثالب الوزيرين ص ٧٠ .
(٤) مثالب الوزيرين ص ٦٩ .
(٥) مثالب الوزيرين ص ٢٣٤ .
(٦) الإشارات الإلهية ص ٣٤١ .
(٧) الإمتاع جـ ١ ص ٥ .
(٨) مثالب الوزيرين ص ٢٣٢ .

كَتَبَ بمعنى راسل فقال : فكتبت حروفا قصدت بها إذكارك لا تعليمك لأنك تجل عن التعليم لما أوجب الله علينا من التعظيم(١) وذكر الفعل أكتب بمعنى أنسخ فقال : وطلع على يوما فى داره ، وأنا قاعد فى كسر رِواق أكتب له شيئًا فقد كأدنى به(٢) .

وجاءت المادة كَتْب فى نص لأبى حيان يقول فيه للوزير ابن العميد : وإن رأى مولانا أمكننا من نسخ رسائله وكَتْب ألفاظه(٣) . هذه بعض الاشتقاقات التى وردت فى كتابات التوحيدى لمادة (ك ت ب) ومنها الكتابة وما يتعلق بها ويؤدى معناها فتعطى نفس دلالتها :

لفظة تحرير والفعل حَرَّر تشتركان فى نفس المهنة الثقافية وفى نفس مادة الكلمة يقول ابن منظور حَرَّره : أعتقه . وفى الحديث من فعل كذا وكذا فله عَدْل مُحَرَّر ، أى أجر مُعْتَق ، وتحرير الكتابة : إقامة حروفها وإصلاح السَّقَط(٤) وفى هذا المعنى جاءت لفظة تحرير فى مؤلفات أبى حيان ففى نص له يقول عن نفسه : ولولا أنى خلعت الحياة خلعًا وتصديت للوم تصديًا ، فى تحرير هذا الكلام على ما به من اضطراب اللفظ ، وإنتشار المعنى وزيغ التأليف ، وترامى الحكاية لكان ذلك كله منسيا فى جملة ما نسى(٥) ويفسر مهنة التحرير فيقول : وكما أن التقصير فى تحبير اللفظ ضار ونقص وانحطاط ، كذلك النقص فى تحرير المعنى ضار ونقص وانحطاط(٦) ، وقال عن أستاذه أبى سعيد : وكان أبو سعيد حسن الخطّ ، ولقد أراده الصيمرى أبو جعفر على الإنشاء والتحرير فاستعفى وقال : هذا أمر يحتاج فيه إلى دربة وأنا عار منها(٧) ، وعن ارتباط الإنشاء بالتحرير فى أكثر الأحيان يذكر

---

(١) مثالب الوزيرين ص ٣٤٣ .
(٢) مثالب الوزيرين ص ٩٩ .
(٣) مثالب الوزيرين ص ١١٣ .
(٤) اللسان جـ ١ ص ٦٦ .
(٥) المقابسات ص ٧٩ .
(٦) المقابسات ص ١٢١ .
(٧) الإمتاع جـ ١ ص ١٣٢ .

أبو حيان نصًّا آخر فيقول : قلت : كان يذكر أن كتابة الحساب أنفع وأفضل وأعلق بالمُلك ، والسلطان إليه أحوج ، وهو بها أغنى من كتابة البلاغة والإنشاء والتحرير ، فإذا الكتابة الأولى جد والأخرى هزل[١] ، ويقول ابن منظور أيضا فى تفسيره لكلمة التحرير : وتحرير الحساب : إثباته مستويًا لا غَلَث فيه ولا سَقَط ولا محو[٢] وفى هذا المعنى يقول أبو حيان مخاطبا أحدهم : أيها الرجل ، قولك هذا كان يسلم لو كان الإنشاء والتحرير والبلاغة بائنة فى صناعة الحساب والتحصيل والاستدراك وعمل الجماعة وعقد المؤامرة[٣] ، ويحدثنا أبو حيان عن مهنة التحرير وكيف كان يقوم بها وما هى الأعمال التى أنجزها فيقول : على أنى عملت رسالة فى أخلاق ابن العميد أودعتها نفسي القرير ، ولفظى الطويل والقصير ، وهى فى المُسوَّدة ولا جسارة لى على تحريرها ، فإن جانبه مهيب ولمكره دبيب[٤] وقال أيضا : وعلى كل حال فقد كتبت ما أمكن التصرف فيه والشغل به ، والزيادة على ذلك تقتضى تجديد القول على تحرير السؤال والجواب[٥] . ومعنى التحرير كما فسره الخُوارزمى كأنه الإعتاق وهو نقل الكِتاب من سواد النسخة إلى بياض نقى[٦] .

والفعل حَرَّرَ جاء عند أبى حيان فى نصوص عديدة من كتاباته ، فيقول فى نص له : سمعت أبا إسحاق الصابى يقول : ما حَرَّرْت كتابا قط عقيب التسويد إلا ورأيت التنافر فى خطى[٧] ويشرح لنا عمل من يحرر فيقول – متحدثا عن أبى سعيد والصيمرى –: فتقدم إليه أن يكتب ويجيب ، فأطال فى عمله نسخة كثر فيها الضرب والإصلاح ، ثم أخذ يحرر ، والصيمرى يقرأ ما يكتبه[٨] وعن الإنتاج

---

(١) الإمتاع جـ ١ ص ٩٦ .
(٢) اللسان جـ ١ ص ٦٦ .
(٣) الإمتاع جـ ١ ص ٩٧ .
(٤) الإمتاع جـ ١ ص ٥٤ .
(٥) المقابسات ص ١٨٩ .
(٦) مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٥٠ .
(٧) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٥ .
(٨) الإمتاع جـ ١ ص ١٣٢ .

الأدبي لهذه العملية يقول أبو حيان : كنا نحرر في الأخلاق رسالة واسعة بين الطويلة والقصيرة[1] .

ولفظة الإنشاء يعرفها صاحب اللسان فيقول : نَشَأت تَنْشأ نشأ ، وأنشأها الله إنْشاءً . قال وناشِئ ونَشَأ : جماعة مثل خادم وخدم . وأنشأ السحاب يمطر : بدأ ، وأنشأ دارا : بدأ بناءها[2] . وقال فى تأدية الأمثال على ما وضعت عليه : يؤدى ذلك فى كل موضع على صورته التى أنشئ فى مبدئه عليها ، فاستعمل الإنشاء فى العَرَض الذى هو الكلام[3] . وقد قيل على الكلام الذى ليس لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه وقد يقول على فعل المتكلم أعنى إلقاء الكلام الإنشائى والإنشاء أيضا إيجاد الشيء الذى يكون مسبوقا بمادة ومدة[4] ويشرح لنا الخوارزمى لفظة الإنشاء شرحًا مُفصلًا فيقول : ومن الألفاظ المستعملة فى ديوان الرسائل الإنشاء وهو عمل نسخة يعملها الكاتب فتعرض على صاحب الديوان ليزيد منها أو يقرها على حالها وبأمر بشحريرها والتحرير كأنه الإعتاق وهو نقل الكِتَاب من سواد النسخة إلى بياض نقى[5] .

ولفظة الإنشاء كثيرة الورود فى كتابات أبى حيان وفى نص له نراه يدافع دفاعًا قويا عن هذه الصناعة الثقافية ففى مَجْلسٍ من مجالس الإمتاع والمؤانسة يرد على ابن عبيد ويجادله حول مفهوم مهنة الإنشاء فيقول : أما قولك : الإنشاء صناعة مجهولة المبدأ ، والحساب معروف المبدأ ، فقد خرقت ، لأن مبدأها من العقل ، وممرها على اللفظ ، وقرارها فى الخط[6] ، وقال أيضا يفتخر بحرفة الإنشاء : وكن

---

(١) الصداقة والصديق ص ٧٣ .

(٢) اللسان جـ ٣ ص ٦٣٢ .

(٣) اللسان جـ ٣ ص ٦٣٣ .

(٤) التعريفات للجرجانى ص ٤٠ .

(٥) مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٥٠ .

(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٠١ .

من أصحاب البلاغة والإنشاء فى جانب فإن صناعتهم يغتفر فيها أشياء يؤاخذ بها غيرهم[1] .

وفى حديث أبى حيان عن أنواع الكُتّاب يذكر لفظة الإنشاء فيقول واصفا نوعا من الكُتّاب : فأما الكامل : فهو الذى له فى الإنشاء والإملاء حظ[2] ويصف نوعا آخر من الكُتّاب فيقول ذاكرًا لفظة إنشاء : والمُخيل : الذى له عارضة ، وبيان ورواية ، وإنشاء ، ويعرف بالآداب[3] ، وفى نص آخر يذكر لفظة الإنشاء محددا عملها فيقول : وما أقول ما أقوله وغرضى إنشاء كتاب ، أو عقد حساب[4] ، ولكنه فى نص آخر يحدد نوع الإنشاء فيقول : سمعت الخُوارزمى الكاتِب يقول لأبى إسحاق الصابى إبراهيم بن هلال : لِمَ إذا قيل لمُصنِّف أو كاتب أو خطيب ، أو شاعر فى كلام قد اختل شىء منه ، وبيت قد انحل نظمه ، ولفظ قلق نصابه ، هات بدل هذا اللفظ لفظا ، ومكان هذه الكلمة كلمة ، وموضع هذا المعنى معنى آخر ، تهافتت قوته ، وصعب عليه تكلفه ، وبعل بمزاولة ذلك رأيه ، ولو رام إنشاء قصيدة مفردة وتحبير رسالة مقترحة كان عسرها عليه أقل ، ونهوضه بها أعجل ؟[5] .

وهذا الكلام الذى أورده التوحيدى عن لفظة الإنشاء وهو إنشاء قصيدة يخالف ما ذكر ابن أبى الأصبع فى « تحرير التحبير » فقد قال ابن أبى الإصبع : يجب على كل من كان له ميل إلى عمل الشعر وإنشاء النثر أن يتعهد أولا نفسه ويمتحنها بالنظر فى المعانى وتدقيق الفكر فى استنباط المخترعات[6] هذا التحديد للفظة

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٠ .

(٢) مثالب الوزيرين ص ٩٦ .

(٣) مثالب الوزيرين ص ٩٦ .

(٤) مثالب الوزيرين ص ٢٧٦ .

(٥) المقابسات ص ١٠٢ .

(٦) صبح الأعشى جـ ٢ ص ٣٢٢ انظر تحرير التحبير ، ابن أبى الإصبع المصرى ص ١٩٤ .

الإنشاء نراه يبتعد بعض الشيء عما ذكره أبو حيان فى النص السابق وإن كان أبو حيان يعود فيذكر لفظة الإنشاء فى معنى آخر من أنواع الكتابة فيقول : فصل آخر فى حديث القضاء من إنشاء بعض البلغاء[١] ، ويقول أيضا : وإن تنفست الرسالة فالغرض الفائدة ، وإن كان سبب إنشائها الغيظ الذى فاض الصدر به[٢] ولفظة الإنشاء كثيرة الفعاليات ومتعددة النشاطات وفى كتاب صبح الأعشى يحدد لنا القلقشندى مفهوم هذه الكلمة وعملها فيقول : فأما كتابة الإنشاء فالمراد بها كل ما رجع من صناعة الكتابة إلى تأليف الكلام وترتيب المعانى[٣] وبتحديد أكثر يقول : إن الكتابة وإن كثرت أقسامها وتعددت أنواعها لا تخرج من أصلين : كتابة الإنشاء وكتابة الأموال . إلا أن العرف فيما تقدم من الزمان قد خص لفظة الكتابة بصناعة الإنشاء حتى كانت الكتابة إذا أطلقت لا يراد بها غير كتابة الإنشاء والكاتب إذا أطلق لا يراد به غير كاتبها[٤] .

ومما تقدم نرى أن الإنشاء مصدر أنشأ الشيء إذا ابتدأه أو اخترعه على غير مثال يحتـذيه ، بمعنى أن من يحترف مهنة الإنشاء يخترع ما يؤلّفه من الكلام ويبتكره من المعانى فيما يكتبه ، ونلاحظ أن لفظة الإنشاء يذكرها التوحيدى فى نص تكون فيه ذات دلالة مخالفة عما نحن بصدده من تأليف الكلام ، ففى محاورة لأبى حيان مع أستاذه أبى سليمان يقول له : سمعت ذا الكفايتين ابن العميد ببغداد يقول : إنشاء المعرفة صعب . فلما ندرنا من مجلسه قال أبو إسحق الصابى : ترتيبها أصعب من إنشائها فيرد عليه أبو سليمان بقوله : أما الإنشاء فإنما صعب لأنه لا أوائل له يناط بها ، ويؤسس عليها . وأما التربية صعبت أيضا لأنها تستعير من الإنسان زمانًا مديدًا هو يشح به[٥] ، فمن النص السابق نرى استخدام لفظة الإنشاء بمعنى البناء

---

(١) البصائر جـ ٣ ص ٣١٢ .
(٢) مثالب الوزيرين ص ١٩٢ .
(٣) صبح الأعشى جـ ٢ ص ٣٢٢ .
(٤) صبح الأعشى جـ ١ ص ٥٢ .
(٥) الصداقة والصديق ص ٢٢١ .

والابتداء بالشيء لحين الانتهاء منه فهنا تغيير المعنى بالنسبة للألفاظ ومعانيها وما يتعلق بها من صناعة الإنشاء .

لفظة أخرى تدل على مهنة ثقافية ، وهى لفظة « **التحبير** » وهى من المهن الكتابية التى تتعلق بالألفاظ وقد وردت لها معانى مختلفة فى لسان العرب . يقول صاحب اللسان : « التحبير » وهو كل ما حَسُن من خط أو شعر أو غير ذلك . وكان يقال لطفيل الغنوى فى الجاهلية : مُحَبِّر ، لتحسينه الشعر ، وهو مأخوذ من التحبير وحسن الخط والمنطق ، وفى حديث أبى موسى : لو علمت أنك تسعى لقراءتى لحَبرتُها لك تحبيـرًا ، يريد تحسين الصوت . وحَبَّرت الشيء تحبيرًا إذا حسنته . قال أبو عبيد : والذي عندي أنه الحَبْر ، بالفتح ، ومعناه العالِم بتحبير الكلام والعلم وتحسينه . والتحبير : حسن الخط[1] . وقال صاحب اللسان عن ابن سيده : وكعب الحِبْر كأنه من تحبير العلم وتحسينه[2] هـذا ما قاله ابن منظور تفسيرًا للفظة التحبير ، أما صاحبنا التوحيدى فقد وردت لفظة التحبير فى كتاباته ورسائله بمعنى تحسين اللفظ ، ففى نص له يصف لفظة التحبير ويحدد مجالها فيقول : وزَخْرَف القول فيه غرور ، وتحبير اللفظ فيه تحبير[3] ، وقال أيضا فى وصفه للفظة التحبير : وكما أن التقصير فى تحبير اللفظ ضار ونقص وانحطاط كذلك النقص فى تحرير المعنى ضار ونقص وانحطاط[4] .

وترد لفظة التحبير فى نصوص أخرى من كتب التوحيدى ، ففى وصفه لكلام المشايخ يقول ذاكرا لفظة التحبير بمعنى تجميل وتحسين : وليس فى فرش فضائل هؤلاء المشايخ وتحبير كلامهم ، عليك مؤونة غليظة ولا مشقة فادحة[5] وقال ذاكرًا لفظة التحبير بهذا المعنى أيضا فى وصفه لابن عباد وانتحال أبى عيسى

---

(١) اللسان جـ ١ ص ٥٤٧ .
(٢) اللسان جـ ١ ص ٥٤٨ .
(٣) الإشارات الإلهية ص ٦٨ .
(٤) المقابسات ص ١٢١ .
(٥) المقابسات ص ٥٥ .

لقصائده : فيقول له عند سماعه شعره فى نفسه ووصفه بلسانه ، ومدحه من تحبيره : أعد ياأبا عيسى ، فإنك و–الله–مجيد[1] وقال التوحيدى فى وصفه للبخارى وأحاديثه ذاكرا لفظة التحبير بمعنى التمليح والتحسين : وإنما كان أصحابنا ينتظرون منثوره بهذه الحروف لفظا لينظموا منه شَذْرًا وعقدًا وكانوا إذا تلاقوا اشتركوا فى تقويم ذلك كله ، وتعاونوا على تحبيره ، وتصادقوا على مفهومهم منه ، وتجنبوا المنازعة والشغب عليه ، وأخذوا بالعفو والممكن منه لئلا يفوتهم المعنى ، ولا يتحيرون فى المنتهى[2] ، وقال بعد انتهائه من الجزء الرابع من كتابه البصائر والذخائر : هذا تمام الجزء الرابع ، والخامس يقفوه على أثره على المذهب المألوف فى تحبير الكلام على فنونه[3] فى النصوص السابقة نجد أن لفظة التحبير جاءت فى مجال تحسين الكلام .

والفعل حبر يرد عند أبى حيان فى وصفه لكتابه البصائر فيقول : قد غرست فيها وصايا شريفة وحكما عزيزة وآدابا غريبة متى ذللت برواياتها لسانك وحَبَّرت بعيونها آدابك كنت مخصوصا بالسعادة[4] وفى قوله أيضا : اللهم إلا أن يكون الفضل كله عند هذا المخالف فى كتاب ينشأ ومعنى يقتضب ، وقصيدة تنشد ، ورسالة تُحَبَّر[5] ، وهناك نصوص أخر ترد فيها لفظة حَبْر لا مجال لذكرها .

ومما تقدم نجد أن لفظة كتابة ولفظة مُكاتبة قد جاءتا عند أبى حيان بمعانٍ متعددة ، فقد جاءت لفظة كتابة بمعنى الخط ، وهى عملية رسم اللفظ بالحروف[6] ، وجاءت بمعنى الإنشاء[7] والإملاء والتأليف[8] ، وبمعنى الأسلوب

---

(١) الإمتاع جـ ١ ص ٥٦ .
(٢) الإمتاع جـ ١ ص ٢١١ .
(٣) البصائر جـ ٤ ص ٣٠٤ .
(٤) البصائر جـ ٣ ص ٣٤٩ .
(٥) مثالب الوزيرين ص ٣١٤ .
(٦) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٠ .
(٧) مثالب الوزيرين ص ٩٩ .
(٨) الإشارات الإلهية ص ١٠٦ وانظر الإمتاع جـ ١ ص ٤٢ .

أى طريقة التعبير(١) وجاءت بمعنى المراسلة(٢) ، وبمعنى تسجيل العقود المالية فى المعاملات التجارية وجباية الأموال(٣) . هذه المعانى المتنوعة للفظة الكتابة وإن كانت متقاربة أحيانا ولكنها توضح ظاهرة تعدد المعنى لهذه اللفظة الثقافية .

أما فى مجال التغير الدلالى فنجد أن لفظة الكتابة قد انتقلت دلالتها من مجالٍ إلى آخر فى عصر أبى حيان . ففى البدء كانت تُستخدم مادة كَتْب لضم الأديم بالخياطة(٤) والكتابة هى ضم المزادة والسقاء ، ومما لا شك فيه أن حاجة العربى إلى ذلك سبقت حاجته ومعرفته بالكتابة التى هى ضم الحروف بعضها إلى بعض ، وشاع استعمال الكتابة بمعناها الاصطلاحى وهى طريقة جمع الحروف المنظومة وتأليفها بالقلم ، فانتقلت دلالة اللفظة من مجالها الحسيِ القديم إلى المجال المعنوى الذى عرفت به ، ومن الملاحظ انتقال الدلالة من مجال إلى آخر مع اشتراك الدلالتين بجزء من المعنى وهو « الضّم » .

ولفظة الكتابة تخصصت دلالتها بالوصف عند أبى حيان عندما ذكر أنواعًا متعددة من الكتابة مثل الكتابة الديوانيّة(٥) والكتابة السواديّة(٦) وتخصصت لفظة الكتابة أيضا عندما ذكر أبو حيان كتابة الحساب(٧) فتسميتها بكتابة الحساب تخصيص لدلالتها بإضافتها إلى الحساب الذى يعتبره أبو حيان أصل الكتابة(٨) .

ونجد أيضا أن لفظة الكتابة قد ارتقت فى دلالتها عندما أصبحت فى مركزٍ مرموق بعد أن وصف بها كبار رجال الدولة العباسية وعظمائها ، مثل الوزير

---

(١) الإمتاع جـ ٢ ص ٤ ، وانظر المقابسات ص ٩١ .
(١) البصائر جـ ٢ ص ٣١٥ .
(٣) مثالب الوزيرين ص ٩٣ .
(٤) الكليات لأبى البقاء جـ ٤ ص ١١٨ .
(٥) مثالب الوزيرين ص ١٤٦ .
(٦) الإمتاع جـ ١ ص ١٠٠ .
(٧) الإمتاع جـ ١ ص ٩٦ .
(٨) الإمتاع جـ ١ ص ٩٣ .

جعفر البرمكى وغيره من أعلام العصر العباسى ، الذين أجادوا حرفة الكتابة فأدى هذا إلى ارتقائها . ومن المادة « كتب » ذكر أبو حيان عدة أفعال مثل كَاتَب بمعنى راسل[١] و**تكاتب** بمعنى نعاهد[٢] وهذا الفعل لم يرد فى اللسان وقد أوجده أبو حيان . واستكتب جاءت بمعنى اتخذه كاتبا[٣] .

ولفظة مُكَاتَبة جاءت عند أبى حيان بالمعنى الشامل للكتابة الخطيّة والإنشائيّة[٤] وجاءت بمعنى الخط ورَسْم الكلمات بالحروف[٥] وجاءت بمعنى المُناولة[٦] أى ما يكتبه شيخ العلم من الحديث وغيره إلى طلابه الغائب منهم والحاضر بخطه أو بخط غيره[٧] وجاءت بمعنى المُراسلة[٨] ، وهذا هو المعنى الاصطلاحى الذى أورده أبو حيان للفظة المُكاتَبة ، وهناك نصوص كثيرة جدًّا فى كتابات أبى حيان تشير إلى معنى المُكاتبة أى التَّكَاتب بين الأصدقاء . ويعتبر هذا المعنى فنا من الفنون الأدبية برع فيه معظم كُتَّاب القرن الرابع الهجرى ، وصيروه سنة يجرى عليها الأصدقاء وسموه بالإخوانيات ، وكتاب الصداقة والصديق يعتبر من أفضل الكتب لهذا النوع من الأدب ، وكما يقول الدكتور زكى مبارك : « إن الكلام فى إخوانيات التوحيدى يطول إذا شئنا »[٩] .

ومما تقدم نجد أن ظاهرة **تعدد وجوه المعنى** واضحة عند تناولنا للفظة مُكَاتَبة . أما التغير الدلالى فنجد أن لفظة مُكاتبة قد توسعت دلالتها فى عصر أبى حيان فبعد أن كانت فى البداية تستخدم بمعنى مكاتبة السيد لعبده على مال يؤديه له العبد من

---

(١) مثالب الوزيرين ص ٢٣٤ .
(٢) الإشارات الإلهية ص ٣٤١ .
(٣) الإمتاع جـ ١ ص ٥ .
(٤) رسالة فى علم الكتابة ص ٤٧ .
(٥) الإشارات الإلهية ص ٣٤١ .
(٦) مثالب الوزيرين ص ٢٧٧ .
(٧) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى جـ ٥ ص ١٢٤٣ .
(٨) الصداقة والصديق ص ٤١١ ، ص ٤١٥ ، ص ٤٣١ ، ص ٤١٩ .
(٩) النثر الفنى زكى مبارك ، جـ ١ ص ٢٠٤ ، ص ٢٠٧ .

أجل عتقه[١] وهذا المعنى كما يقول صاحب تاج العروس هو معنى مجازى[٢] وهو أيضا معنى فقهى خاص بالعتاقة وكتاب المُكاتِب[٣] وهذا المعنى لم يرد عند أبى حيان على الرغم من إيراده معانى متعددة للفظة المكاتبة .

واتسعت دلالة لفظة المكاتبة فى القرن الرابع الهجرى، بعد أن خرجت من معناها الفقهى المحدد بأحد فروع الفقه ، ونصوص أبى حيان خير شاهد على اتساع دلالة لفظة المُكاتبة . ونجد أيضا أن لفظة المكاتبة قد **تخصصت** فى نصوص أبى حيان بعد إضافتها إلى الإخوان ، فمكاتبة الإخوان كانت من سمات ذلك العصر .

ومن الملاحظ أن لفظة المكاتبة قد مرت بأطوار عديدة فى استخدامها اللغوى فمن معنى فقهى ضيق الحدود إلى معنى واسع المجال متعدد الجوانب ، ثم معنى مخصص بمراسلة الإخوان . وهذا المعنى لم يرد فى اللسان .

أما لفظة مكاتبات فهى جمع لم يرد فى اللسان وذكره أبو حيان بمعناه الاصطلاحى . ونجد لفظة تحرير جاءت عند أبى حيان بالمعنى الاصطلاحى الخاص بتبييض نسخ الكتب من مسوداتها[٤] وجاءت أيضا بمعنى تقويم الكلام[٥] وبيان المعنى بالكتابة[٦] وإثبات وتوضيح السؤال والجواب[٧] وهذه المعانى المتعددة للفظة تحرير والتى تتعلق بالأمور الخاصة بالكتب وإعدادها إعدادا جيدا ، لا يمكن أن نعتبرها ظاهرة تدل على تعدد المعنى لأنها تدور حول موضوع معين .

---

(١) اللسان جـ ٣ ص ٢١٧ . (٢) تاج العروس جـ ١ ص ٤٤٥ .

(٣) شرح الموطأ للسيوطى جـ ٣ ص ٢ ، ص ٣١ . (٤) الإمتاع جـ ١ ص ٥٤ .

(٥) المقابسات ص ٧٩ . (٦) المقابسات ص ١٢١ .

(٧) المقابسات ص ١٨٩ .

وكذلك الفعل حَرَّر جاء بمعنى بَيَّض نسخة الكتاب من التسويد[1] وحسن الكتاب بإقامة حروفه وإصلاح سقطه[2] . ومما تقدم نجد أن لفظة تحرير **مرادفة** للفظة كتابة[3] وكذلك الفعل حرر مرادفة للفعل كتب[4] .

أما التغير الدلالى فنجد أن لفظة **تحرير** قد مرت بأطوار متعددة فى مسيرتها اللغوية ففى البدء كانت تستخدم فى مجال عَتْق الإنسان من العبودية بتحرير رقبته أى عَتْقها ، ثم تطورت الدلالة **وانتقلت** إلى مجال آخر **فأصبحت** تستخدم كمصطلح خاص بالثقافة وتحرير الكتب ، أى إعتاق الكتاب بنقله من سواد النسخة إلى بياض نقى . وهكذا نجد أن دلالة لفظة التحرير قد انتقلت من مجال مادى إلى مجال مادى آخر اشتركت فيه الدلالتان بجزء من المعنى وهو « العتق » . وهذا الانتقال للفظة التحرير حصل لظروف حضارية نتيجة لازدهار الثقافة فى العصر الذى نُؤرخ له وهو القرن الرابع الهجرى ، ولفظة تحرير نجد أن دلالتها قد **تخصصت** فى عصر أبى حيان فقد تحولت دلالتها من معناها العام إلى معنى خاص بإضافتها إلى الكلام والمعنى ، والسؤال فهذه الإضافات التى ذكرها أبو حيان كتحرير الكلام ، وتحرير المعنى وتحرير السؤال خصصت دلالة اللفظة . وكذلك الفعل حرر طرأت عليه نفس التغيرات الدلالية التى طرأت على لفظة التحرير ، فقد استخدم الفعل حرر من مجال عتق الرقاب إلى مجال تبييض الكتاب أى نقله من المُسوَّدَة إلى النسخة المعدة للقراءة .

ونجد لفظة **إنشاء** قد جاءت عند أبى حيان بمعانٍ متعددة ، فقد جاءت بالمعنى اللغوى وهو الابتداء والخلق[5] وهذا المعنى ذكرته جميع المعاجم العربية وجاءت

---

(١) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٥ .
(٢) الصداقة والصديق ص ٧٣ .
(٣) الإمتاع جـ ١ ص ١٣٢ .
(٤) الصداقة والصديق ص ٧٣ .
(٥) الصداقة والصديق ص ٢٢١ .

بالمعنى الاصطلاحى وهو صناعة تأليف الكلام البليغ وكتابته[1] ، ونظم الشعر وإجادته[2] ، وهذا المعنى الاصطلاحى لم يذكره صاحب اللسان .

ومما تقدم نجد أن لفظة الإنشاء متعددة المعنى وهذه الظاهرة تبرز للعيان فى نصوص أبى حيان . وأيضا نجد أن لفظة إنشاء ترادف لفظة كتابة[3] ولفظة تحرير[4] . فى مجال التغيير الدلالى نجد أن دلالة لفظ الإنشاء قد تطورت فى عصر أبى حيان نتيجة لازدهار الثقافة وكثرة الموصوفين بها ، فقد أصبحت هذه اللفظة من الصفات الرئيسية للكُتّاب[5] والبلغاء[6] من أعلام ذلك العصر . وهذا التطور الذى طرأ على لفظة الإنشاء أدى إلى ارتقاء دلالتها . ونجد أيضا أن دلالة لفظة الإنشاء قد تخصصت عند أبى حيان بعد إضافتها إلى الكتب والقصيدة والمعرفة والبلغاء وغيرها من الألفاظ التى خصصت الدلالة لهذه اللفظة الثقافية .

وجاءت لفظة تحبير عند أبى حيان بمعنى التجويد والتحسين الخاص باللفظ[7] والكلام[8] والفنون الأدبية كالشعر[9] والنثر[10] فلفظة التحبير كما جاءت فى نصوص أبى حيان لم تختص بالشعر فقط بل ارتبطت بالكلام وبمنثور اللفظ . وأيضا الفعل حَبَّر جاء عند أبى حيان بمعنى الحسن والجودة لجميع الأمور فحَبَّر بمعنى حسن وزين الأشياء[11] .

---

(١) مثالب الوزيرين ص ٩٦ .
(٢) المقابسات ص ١٠٢ .
(٣) الإمتاع جـ ١ ص ١٠١ .
(٤) الإمتاع جـ ١ ص ٩٦ .
(٥) مثالب الوزيرين ص ٩٦ .
(٦) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٣١٢ .
(٧) الإشارات الإلهية ص ٦٨ والمقابسات ص ١٢١ .
(٨) المقابسات ص ٥٥ ، والبصائر جـ ٤ ص ٣٠٤ .
(٩) الإمتاع جـ ١ ص ٥٦ .
(١٠) الإمتاع جـ ١ ص ٢١١ .
(١١) البصائر جـ ٣ ص ٣٤٩ ، ومثالب الوزيرين ص ٣١٤ .

أما التغيير الدلالى الذى طرأ على لفظة التحبير ، فنجد أن دلالة اللفظة قد تخصصت بعد إضافة التحبير إلى اللفظ وإلى الكلام ، فتحبير اللفظ وتحبير الكلام خصص الدلالة عند أبى حيان . ونجد أن دلالة لفظة التحبير قد ارتقت فى عصر أبى حيان بعد أن أكد فى بعض نصوصه أن من يترك تحبير اللفظة فهو نقص وانحطاط[1] فكانت عناية أبى حيان بتحبير اللفظ بالغة الأهمية ، وهذا مما أضاف بُعدًا ومنزلة رفيعة لهذه اللفظة فأدت إلى ارتقائها . وارتبطت لفظة التحبير عند أبى حيان بلفظة التحرير وخص لفظة التحبير باللفظ ولفظة التحرير بالمعنى .

مما تقدم يتضح أن الألفاظ كتابة ومُكاتبة وتحرير وإنشاء قد جاءت فى كتابات أبى حيان مرادفة بعضها البعض وأن من الاشتقاقات الجديدة لفظة مُكاتبات فهى اشتقاق جديد أوجده أبو حيان من المادة كَتب . وأن الألفاظ كتابة ومُكاتبة وإنشاء وتحرير قد جاءت فى كتابات أبى حيان بمعان متعددة . والألفاظ التى تدخل تحت المجموعة الخاصة بالكتابة وفنونها كالمُكاتبة والتحرير والإنشاء والتحبير قد تخصصت دلالتها فى عصر أبى حيان ونصوص كتاباته تشهد بذلك .

(٢) التأليف ، التصنيف :

التأليف لغةً : إيقاع الألف بين شيئين أو أكثر[2] واصطلاحًا هو : جمع الأشياء المتناسبة وهو حقيقة فى الأجسام ، ومجاز فى الحروف[3] وألّفت الشىء تأليفا إذا وصلت بعضه ببعض ومنه تأليف الكتب . وتألّف : تنَظّم . وقد ائتلف القوم ائتلافا وألّف الله بينهم تأليفا[4] .

---

(١) المقابسات ص ١٢١ .

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون جـ ١ ص ٧٩ .

(٣) الكليات لأبى البقاء جـ ٢ ص ٦٢ .

(٤) اللسان جـ ١ ص ٨٣ .

لفظة التأليف من الألفاظ الدالة على مهنة عريقة فى تاريخ الثقافة العربية الإسلامية ، ولسوف نرى ذلك أثناء تجوالنا مع أبى حيان بين صفحات كتبه ورسائله . يقول أبو حيان على لسان أبى سعيد الخراز : العلم ثلاثة : عِلْم الصناعات فى أنواع المركبات وعِلْم اللَّفْظ فى تأليف العبارات ، وعلم التدبير فى ضروب السياسات[1] ، ويحدثنا أبو حيان عن تأليف الكلام وتأثره بالمعانى والألفاظ فيقول : الناس بين عاشق للمعانى وتابع لها ، فالألفاظ تواتيه عفوًا ، وكلف بالألفاظ ، والمعانى تعصيه أبدا ، فأما من جمع بين هذه وهذه وكان قيمًا بمنثورها ومنظومها ، عارفًا باختلاف مواقع تأليفها ، فإنه الحاوى قصب الرهان ، والمعدود فى أفاضل الزمان[2] ، ويورد أبو حيان نصوصًا كثيرة تبيّن الدور الذى تلعبه المعانى فى عملية التأليف فنراه يقول : فأما إذا تهافتت المعانى ، تارة بسوء التأليف وتارة بالإكثار ، وتارة بالتعويض ، دخلها الخلل[3] ويقول أيضا : وأما بلاغة النثر فأن يكون اللفظ متناولًا والمعنى مشهورًا والتهذيب مستعملًا ، والتأليف سهلًا ، والمراد سليمًا والرونق عاليًا[4] وقال أيضا : فمن ظنّ أن المعانى تتلخص له مع سوء اللفظ ، وقبح التأليف ، والإخلال بالإعراب فقد دل على نقصه وعجزه[5] وعن ارتباط اللفظ بتأليف الكلام ومدى ما يلعبه فى هذا المجال يقول أبو حيان عن الكلام وكيفية تركيبه : الكلام صلف تياه لا يستجيب لكل إنسان ... وهو مركب من اللفظ اللغويّ والصوغ الطباعىّ ، والتأليف الصناعيّ ، والاستعمال الاصطلاحى[6] ويقول عن تأليف اللفظ : إنما يدل الاشتقاق من الكلمة على جهة واحدة فى المطلوب المتنازع ، لأنه مأخوذ من

---

(١) البصائر جـ ١ ص ٤٦٦ .

(٢) البصائر جـ ١ ص ٣٦٧ .

(٣) المقابسات ص ٤١٤ .

(٤) الإمتاع جـ ٢ ص ١٤١ .

(٥) البصائر جـ ٣ ص ٥٠ .

(٦) الإمتاع جـ ١ ص ٩ .

تركيب الحروف ، وتأليف اللفظ ، وصورة المسموع[1] ويستمر أبو حيان فى حديثه عن التأليف فيقول عن تأليف الكلام : قال أبو سعيد : معانى النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته ، وبين وضع الحروف فى مواضعها المقتضية لها وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير وتوخى الصواب فى ذلك وتجنب الخطأ فى ذلك[2] . وبعد هذه الجولة بين نصوص التوحيدى وهو يشرح لنا دلالة لفظة التأليف ، وتأثرها بالمعانى والألفاظ ، وتأثيرها فى الكلام ، نلقى نظرة سريعة على مهنة التأليف هذه المهنة الثقافية المهمة .

التأليف فى العصر العباسى شمل كل فرع من فروع المعرفة ، وعد المؤلفون المؤلفات فيه بالمئات ، وليست المسألة مسألة كمية لعدد المؤلفات فحسب ، بل الفرق كبير أيضا فى كيفية معالجة العلماء العباسيين للموضوع[3] . ومن أكبر المظاهر التى تأثرت بها حركة التأليف فى العصر العباسى احتجاب شخصية المؤلّف وهذا ما نلاحظه فى البيان والتبيين للجاحظ وعيون الأخبار لابن قتيبة ، لم نجد للمؤلّف شخصية بارزة مع قدرته الفائقة وما له من بسطة فى العلم والأدب . ونرى أن التأليف فى الفروع المختلفة سار على نمط واحد ، تأليف مسألة جزئية ، كتأليف الهمزة واللام فى النحو تأليف فى وقعة الجمل أو صفين أو مقتل عثمان فى التاريخ ، أو تأليف فى النخل والكرم ، واللبأ واللبن فى اللغة ثم التأليف فى أبواب العلم كله[4]، هذا ما كان في صدر العصر العباسي ولكن بعد أن تقدم الزمن بالدولة العباسية نرى أن لكل علم من العلوم النقليـة والعقلية منهجا فى البحث والتأليف خاصا ، وكان لكل منهج أثر كبير فى أصحابه من حيث الأخلاق العلمية

---

(١) المقابسات ص ٤٦٧ .
(٢) الإمتاع جـ ١ ص ١٢١ .
(٣) ضحى الإسلام جـ ٢ ص ٣٦٢ .
(٤) ضحى الإسلام جـ ٢ ص ٣٦٢ .

والصفات العقلية . ويعلق المستشرق جب على عملية التأليف فى العصر العباسى وما واكبها من فعاليات فيقول : نرى أنه حتى النصف الثانى من القرن الثانى لم تعلق أهمية لفكرة انتساب التأليف لمؤلف معين . ولا تتكون فكرة التأليف كما يفهمها الأدباء إلا بعد أن تستقر سنة تسطير الكتب والذى نراه واضحًا فى نشاط القرن الثانى ليس سنة أدب مسطر بل سنة التدريس الشفوى ينقل عن طريق رواة ، ولا يناقض هذا كون هؤلاء الرواة قد دونوا فى بعض المناسبات مذكرات عن دروس من سبقوهم وتزداد هذه النتيجة وضوحا عندما نختبر ما وصل إلينا من تلك الأعمال التى تنسب إلى الجيل التالى من الأدباء اللغويين ، ولا ينسب لهؤلاء فى الغالب مؤلفات كبيرة شاملة مثل كتاب سيبويه مثلا بل تقرن أسماؤهم بعدد كبير من الرسائل القصيرة عن موضوعات معينة تتعلق باللغة أو الشعر العربى[(١)] ، وبعد هذه النبذة الموجزة عن حركة التأليف فى العصر العباسى نعود إلى نصوص أبى حيان وهو يحدثنا عن التأليف كشكل من أشكال العمل الثقافى فيقول عن تأليف الكتب : أخذ الله بيده وأعانه على ما يحمل من أمره ، فلما فهم أعجب ولما أعجب حض على تأليفه فى كتاب ، وتلطف فى ذلك بأحسن قول[(٢)] وقال أيضا يصف كتابًا ويبرر تفضيله على سائر الكتب وكيف أقدم على تأليفه فيقول : ومن قائل ما مزية هذا الكتاب على جميع ما تقدم من الكتب وهل فيه فن إلا وهو متقصى فى معدنه ، مأخوذ من أهله على أحسنه ، وهل ينتدب إنسان لجمع كلام ، وتأليف كتاب مع هذا الاحتفال إلا وهو يحب الزيادة على النقص[(٣)] ، وعن طريقة تناول المؤلِّفين لمهنة التأليف يقول أبو حيان : التفاضل الواقع بين البلغاء فى النَّظْم والنثر ، إنما هو فى هذا المركب الذى يسمى تأليفا ورصفًا[(٤)] ويقول عن بعض

---

(١) دراسات فى حضارة الإسلام جب ٣٠١ . (٢) رسالة الحياة ص ٥٢ .

(٣) البصائر جـ ٢ ص ٢٩٦ . (٤) الإمتاع جـ ٢ ص ١٣٢ .

أساتذته : عرض بعض مشايخنا كتابًا له صنفه علينا ، فلم نجده ذكر على ظهره : تأليف فلان ولا تصنيفه[1] ويقول متسائلا عما يجده فى مهنة التأليف : كيف يكون القرآن عندى آية ودلالة على النبوة ، ومعجزة عن جهة نظمه وتأليفه ، وإن كان النظم والتأليف بديعين غريبين[2] ويقول أبو حيان عن منهج بعض المؤلفين : وفى الأخلاق كلام واسع نفيس على غير ما وجدت كثيرا من الحكماء يطيلون الخوض فيه ويعوصون المرام منه **بتأليف مُحَرَّف** عن المنهج المألوف[3] وفى نصوص أخرى يوردها أبو حيان فى كتاباته نرى معنى التأليف وقد تغيرت دلالته ، ففى أحد هذه النصوص يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة التأليف بالمعنى القرآنى : إزالة الرواسى ، أيسر من تأليف القلوب[4] ، ويقول ذاكرا لفظة التأليف بالمعنى المنطقى : ففعل النفس إذن يفارق البدن ، وتأليف البرهان أن يكون على أن يقال : للنفس أفعال تخصها خلو من البدن مثل التصور بالعقل[5] وفى نص آخر يقول أبو حيان ذاكرا التأليف بالمعنى المادى : إن عمر الإنسان قصير ، وعلم العالم كثير ، وسره مغمور ، وكيف لا يكون كذلك وهو ذو صفائح مركبة بالوضع المحكم ، وذو نضائد مزينة بالتأليف المعجب المتقن[6] .

وبالمعنى المادى للتأليف يذكر أبو حيان بعض النصوص المتضمنة للفظة التأليف فيقول : وتؤلف بينها تأليفا نظاميا ، موفقا بين جميع أجزائها[7] وقال أيضا نصا بهذا المعنى : وهذا الفعل منها شبيه بتأليف الأُكَرَ بعضها مع بعض[8] ، ومما تقدم من نصوص نرى أن لفظة التأليف وردت عند التوحيدى بدلالات

---

(١) الهوامل والشوامل ص ٣٠٧ .
(٢) مثالب الوزيرين ص ١٩٨ .
(٣) الصداقة ص ٧٣ .
(٤) الإمتاع جـ ٢ ص ١٥٠ .
(٥) الإمتاع جـ ١ ص ١٩٩ .
(٦) الإمتاع جـ ١ ص ١٠٥ .
(٧) المقابسات ص ٣٠٨ .
(٨) المقابسات ص ٣٠٨ .

مختلفة ، والمعنى الأكثر ورودًا فهى عنده بمعنى تأليف الكتب ، ثم جمع الأشياء أو الأجزاء بعضها لبعض ووصلها بعضها ببعض .

ومع التأليف نذكر **التصنيف** وهو شكل آخر من أشكال العمل الثقافى ازدهر مع ازدهار الثقافة فى القرن الرابع الهجرى .

والتصنيف كما جاء فى اللسان هو تميز الأشياء بعضها من بعض . وتصنيف الشيء جعله أصنافا . وصنَّف الشيء : مُيِّز بعضه عن بعض[1] كل هذه المعانى وردت عند أبى حيان وقد ذكرت نصوصها أو عددا من نصوصها على الوجه الأصح ، إذ إن النصوص التى وردت فيها لفظة **التأليف** كثيرة جدا .

لفظة **تصنيف** والفعل **صَنَّف** ، وردت عند أبى حيان وهو يصف المصنِّفين للكتب فى ذلك العصر ، عصر ازدهار الثقافة الإسلامية . يقول أبو حيان في نصٍّ له ذاكرا الفعل صَنَّف : وقد صنف الحكماء الأولون والآخرون كتبا فى الأخلاق وذكروا أعيانها بأسمائها وصفاتها[2] . ويقول أيضا ذاكرا الفعل صَنَّف : ولفوائد الحديث ما صنف أبوزيد رسالة لطيفة الحجم فى المنظر ، شريفة الفوائد فى المخبر . تجمع أصناف ما يقتبس فى العلم والحكمة والتجربة فى الأخبار والأحاديث[3] ويقول أيضا فى ذكره للفعل صَنَّف : قد صَنَّف أبو إسحاق الصابى رسالة فى تفضيل النثر على النظم[4] . يقول أبو حيان ذاكرًا حرفة التصنيف : عرض بعض مشايخنا كتابًا له صَنَّفه علينا فلم نجده ذكر على ظهره : تأليف فلان ، ولا تصنيفه ولا ذكر اسمه من وجه الملك[5] . ويذكر بعض من اشتغلوا بهذه المهنة وبعض ما صنفوه من كتب أو رسائل فيقول عن العامرى معاصره : ولقد قطن العامرى

---

(١) اللسان جـ ١ ص ٨٣ .
(٢) رسالة الحياة ص ٥٨ .
(٣) الإمتاع جـ ١ ص ٣٦ .
(٤) المقابسات ص ٢٧٢ .
(٥) الهوامل والشوامل ص ٣٠٧ .

الرى خمس سنين جمعة ودَرَّس وأمْلى وصنَّف وروى ، فما أخذ مسكويه عنه كلمة واحدة[1] . وفى حديثه عن العامرى يقول أيضا موردا الفعل صَنَّف : ثم عدت وقتا آخر فقال : كنت حكيت لى أن العامرى صنف كتابا عنونه « بإنقاذ البشر من الجبر والقدر » فكيف هذا الكتاب ؟[2] وفى نص له يتهم العامرى ويعيبه على امتهان مهنة التَّصنيف فى سبيل التقرب من العامة فيقول : ومرة يتقرب إلى العامة بكتب يصنفها فى نصرة الإسلام ، وهو على ذلك يتهم ويقرن بالإلحاد[3] . وفى كلامه عن مسكويه ومهنة التصنيف يذكر أبو حيان لفظة التصنيف فيقول : وأما مسكويه ، ففقير بين أغنياء وعيٌّ بين أنبياء ، لأنه شاذ ، وأنا أعطيته فى هذه الأيام صفو الشرح لإيساغوجى وقاطيغورياس ، من تصنيف صديقنا بالرى[4] والتصنيف كما يتضح يشمل الكتب والرسائل وهذا ما ذكره أبو حيان بقوله عن المشتغلين بالثقافة وحرفهم الثقافية : تختلف الحال بين هؤلاء حتى إنك لتجد واحدا عند غاشية ذلك الفكر أصفى طبعا ، وأذكى قلبا ، وأحصر ذهنا وحتى يقول القافية النادرة ، ويُصَنِّف الرسالة الفاخرة ، وحتى يحفظ علْمًا جمًّا ، ويستقبل أيامه نصحًا[5] ولنترك تصنيف الكتب جانبا لنرى الاستخدامات الأخرى للفظة التصنيف ، فقد استخدمها أبو حيان فى أمور شتى ، وليس فقط لتصنيف الكتب وما شابهها من المصنفات الثقافية .

وبالمعنى الذى أورده اللسان ذكر أبو حيان لفظ التصنيف أى بمعنى التمييز أو جعل الشيء أصنافا فقال مخاطبا : وقد ذكرت لك الفضائل جملة الاسم العام ، وكذلك الرذائل وما أحوجك إلى تصنيفها من طريق الإيجاز أو تعذر كشفها عن

---

(١) الإمتاع جـ ١ ص ٣٦ .

(٢) الإمتاع جـ ١ ص ٢٢٢ .

(٣) الإمتاع جـ ٢ ص ١٥ .

(٤) الإمتاع جـ ١ ص ٣٥ .

(٥) الهوامل والشوامل ص ٢٧٦ .

طريق الإشباع والإبراز[١] وقال أيضا متسائلًا : وحدثني بعد هذا عن المحبة وهل تُصَنِّف ؟ وهل يكون الله تعالى محبًّا للعبد ؟[٢] وفى وصفه للصاحب بن عباد يورد لفظة التصنيف فيقول : على أنه على كل حال جبلى ! قلت له : قد استمر قولك بما لو كان تصنيفا لك لساغ وبقى تمامه فى كلمة ، هذا وقت المسألة عنها ومعرفة الحال فيها[٣] ويستخدم أبو حيان لفظة التصنيف بمعنى جعل الشيء أصنافا فيقول : سقت كلام عيسى فى تصنيف الحركات من أجل هذه الفقرة التى كانت محفوظة فى حركة الإبداع[٤] وقال فى مناجاته ذاكرا الفعل صنف بمعنى ميز : بينى وبينك أحوال اللسان لا يصنفها[٥] وقال فى ختام رسالته المسماة برسالة الحياة : قد أتينا على الغرض فى هذه الرسالة على ما تقدم الوعد به من شرح أصناف الحياة ، وإضافة اللمع المضمومة إليه بقدر الوسع وأرجو أن يكون مكانه من نفس الحاث على تصنيفه غير ناب ، ورضاه عنى فيه غير متعذر[٦] هذه بعض النصوص التى جاءت فى كتابات التوحيدى وهناك نصوص أخرى لا يتسع المجال لذكرها ، ومما تقدم نرى أن لفظة تصنيف والفعل صَنَّف تدلان على نفس المهنة الثقافية التى امتهنها مجموعة من الكُتَّاب والعلماء فى العصر العباسى ، وكان لهم فيها باع طويل ، ولا يمنع أن ذكرت بعض النصوص التى أوردها التوحيدى فى كتاباته مستخدمًا لفظة التصنيف بمعنى التمييز أو جعل الشيء أصنافا والتصنيف عملية جمع الحقائق أو المقتبَسات من الأعمال الأدبية أو العلمية المختلفة ووضعها فى كتاب واحد هذا هو التعريف الاصطلاحى للفظة التصنيف . وهذا التعريف الاصطلاحى لم يذكره صاحب اللسان عند تناوله للمادة « ص ن ف » . والفرق بين التأليف والتصنيف

---

(١) الإشارات الإلهية ص ٩٧ .

(٢) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٥٤٩ .

(٣) مثالب الوزيرين ص ٩٦ .

(٤) الإمتاع جـ ٣ ص ١٣٤ .

(٥) الإشارات الإلهية ص ٤٠١ .

(٦) رسالة الحياة ص ٨٠ .

كما جاء فى كتاب الفُروق بأن التأليف أعم من التصنيف وذلك أن التصنيف تأليف صِنْف من العلم ، ولا يقال للكتاب إذا تضمن نقص شيء من الكلام وصنّف لأنه جمع الشيء وضده والقول ونقيضه . والتأليف يجمع ذلك كله[1] .

مما تقدم نجد أن لفظة التأليف جاءت فى كتابات أبى حيان بمعانٍ متنوعة منها المعنى اللغوى وهو الجمع وإيقاع الألف بين الأشياء والأجزاء المتناسبة[2] ، والمعنى القرآنى وهو الجمع وإيقاع الألفة بين القلوب[3] وجاءت بالمعنى الفلسفى وهو التركيب بين المكونات[4] وبالمعنى المنطقى وتأليف البرهان[5] ، وجاءت بالمعنى الاصطلاحى وهو تأليف الكتب[6] وذلك أن عملية تأليف الكتب تبدأ بجمع الحروف بعضها لبعض لتصير ألفاظا[7] ، وجمع اللفظ إلى اللفظ والمعنى إلى المعنى تحصل العبارات[8] وبجمع العبارات[9] وضمها بعضها إلى البعض فى جمل مفيدة يحصل الكلام[10] ويقال له : المنثور من الكلام[11] وهذه العملية يسميها أبو حيان التأليف الصناعى[12] .

ويظهر مما تقدم أن التأليف يعنى عند أبى حيان تأليف الكتب وتتأثر عملية التأليف بالعلاقات بين الألفاظ والمعانى ، كما يكون التفاضل بين ضروب التأليف تبعًا للعلاقات بين اللفظ والمعنى[13] ويصف أبو حيان عملية التأليف هذه بالسهولة[14] أو بالقبح[15] والانحراف عن المنهج[16] ، وبذلك تكون لفظة

---

(١) الفروق فى اللغة لأبى هلال العسكرى ص١٣٧
(٢) المقابسات ص ٣٠٨ .
(٣) الإمتاع جـ ١ ص ١٩٩ .
(٤) الإمتاع جـ ١ ص ١٠٥ .
(٥) الإمتاع جـ ١ ص ١٩٩ .
(٦) البصائر جـ ٢ ص ٢٩٦ .
(٧) المقابسات ص ٤٦٧ .
(٨) البصائر جـ ١ ص ٣٦٧ .
(٩) البصائر جـ ١ ص ٤٦٦ .
(١٠) الإمتاع جـ ١ ص ١٢١ .
(١١) الإمتاع جـ ٢ ص ١٤١ .
(١٢) الإمتاع جـ ١ ص ٩ .
(١٣) البصائر جـ ١ ص ٣٦٧ .
(١٤) الإمتاع جـ ٢ ص ١٤١ .
(١٥) البصائر جـ ٣ ص ٥٠ .
(١٦) الصداقة والصديق ص ٧٣ .

التأليف قد تفرعت فى نصوص أبى حيان إلى عدة معانٍ متصلة ومترابطة فيما بينها وإن كان المعنى الاصطلاحى يطغى على المعانى الأخرى . وظاهرة تعدد المعنى للفظة التأليف عند أبى حيان واضحة .

وفى مجال التغير الدلالى نجد أن لفظة التأليف ، قد مرت بأطوار خلال مسيرتها اللغوية ، وما أن نصل إلى عصر أبى حيان حتى نجد أن لفظة التأليف قد دخلت الحياة الثقافية على نطاق واسع بمعناها الذى يراد به تأليف الكُتُب وهذا مما يدل على اتساع دلالة اللفظة نتيجة لكثرة استعمالها ، حتى نرى أبا حيان يقرنها بالنَّظْم[1] ، والرَّصْف[2] ويصفها بأوصاف مثل المعجب والمتقن[3] ، وهذه الأوصاف والنعوت دلت على علو مكانة دلالة لفظة التأليف فأصابها الرقى ، ونجد ارتقاء دلالة لفظة التأليف واضحًا فى ذلك العصر عندما أصبح التفاضل بين البلغاء يسمى تأليفا[4] . ونجد أيضا أن دلالة لفظة التأليف قد تخصصت فى عصر أبى حيان حينما أضافها إلى فلان من المؤلفين[5] فتحديد لفظة التأليف باسم معين من أعلام ذلك العصر وذكر ذلك المؤلف خصص دلالة اللفظة .

ونجد أن لفظة التصنيف جاءت عند أبى حيان بالمعنى اللغوى وهو تميِّز الأشياء بعضها من بعض[6] وجعلها أصنافا[7] ، وأيضا تَميِّز الناس بجعلهم أصنافا[8] حسب صفاتهم المشتركة أو المختلفة . وجاءت لفظة تصنيف بالمعنى الاصطلاحى وهو تصنيف الكتب والرسائل[9] وذلك بتجميع الحقائق والمقتبسات من أعمال فكرية مختلفة ووضعها في كتاب أو في رسالة وترتيبها بطريقة من الطرق .

---

(١) المثالب ص ١٩٨ .
(٢) الإمتاع جـ ٢ ص ١٣٢ .
(٣) الإمتاع جـ ١ ص ١٠٥ .
(٤) الإمتاع جـ ٢ ص ١٣٢ .
(٥) الهوامل ص ٣٠٧ .
(٦) الإشارات ص ٩٧ .
(٧) الإمتاع جـ ٣ ص ١٣٤ .
(٨) الصداقة والصديق ص ١٠١ .
(٩) الإمتاع جـ ١ ص ٢٢٦ .

وهذا المعنى الاصطلاحى كثر وروده عند أبى حيان . ولم يرد عند صاحب اللسان فى تناوله للمادة (ص ن ف) .

والفعل صَنَّف جاء عند أبى حيان بمعنى مَيَّز الشيء بعضه من بعض[1] وهذا هو المعنى اللغوى للفعل ، والذى ذكره صاحب اللسان . ولم يذكر ابن منظور المعنى الاصطلاحى لكلمة تصنيف الذى ذكره أبو حيان فى كتاباته وهو خاص بالكتب[2] ، وتصنيفها والرسائل[3] أيضا .

أما التغير الدلالى الذى طرأ على لفظة التصنيف فقد اتسعت دلالتها فى عصر أبى حيان نتيجة لاتساع الحركة الفكرية وانتشار الثقافة وكثرة المشتغلين بها . وقد ذكر أبو حيان فى نصوص كثيرة من كتاباته أسماء المشتغلين بتصنيف الكتب والرسائل ، مثل العامرى والصابى وأبى زيد وغيرهم من المهتمين بهذه المهنة الثقافية ، ونجد أيضا أن دلالة لفظة التصنيف قد تخصصت عند أبى حيان بإضافتها إلى الألفاظ فلان[4] من المؤلفين أو صديقنا بالرى[5] أو فنون القول[6] فهذه الألفاظ خصصت لفظة التصنيف بعد أن كانت لفظة عامة لا تختص بشخص أو بفن من الفنون الأدبية . وقد كان تخصيص دلالة لفظة التصنيف من أبرز المظاهر الثقافية فى عصر أبى حيان[7] .

(٣) الترجمة ، النقل :

يقول صاحب اللسان : ترجم كلامه إذا فسره بلسان آخر[8] والنَّقْل : هو

---

(١) الإشارات ص ٤٠١ .
(٢) رسالة الحياة ص ٥٨ وانظر الإمتاع جـ ١ ص ٢٢٢ ، ص ١٥ .
(٣) الهوامل ص ٢٧٦ .
(٤) الهوامل ص ٣٠٧ .
(٥) الإمتاع جـ ١ ص ٣٥ .
(٦) المقابسات ص ١٣٣ .
(٧) الإمتاع جـ ٣ ص١٣٤ .
(٨) اللسان جـ ١ ص ١١٣٧ .

تحويل الشيء من موضع إلى موضع(١) . ذكر اللسان الفعل تَرْجَم ولم يذكر المصدر ترجمة . والترجمة لها دلالة خاصة فى الحياة الثقافية فى العصر العباسى ، وهى من المهن الثقافية التى لعبت دورا كبيرا فى الحضارة العباسية ، وذلك بعد أن نشطت الحركة العلمية فى العصر العباسى ، أخذت طائفة ممن يجيدون اللغات بنقل الكتب من السريانية واليونانية والفارسية والهندية إلى العربية . وقد عقد ابن النديم فى كتابه « الفهرست » فصولًا لأسماء النَّقَلَة من اللغات إلى اللسان العربى ، ومن أبرزهم أيوب بن القاسم الرقى نقل من السريانى إلى العربى ، وقسطا بن لوقا نقل من اليونانى والسريانى إلى العربى . ومن أبرع النَّقَلَة من الفارسى إلى العربى ابن المقفع وآل نوبخت وسهل بن هرون وأخبارهم معروفة ، ومن النقلة من الهند والنبط ابن دهن الهندى وابن وحشية(٢) .

ويُورد لنا أبو حيان بعض النصوص يذكر فيها الترجمة عن الفارسية فيقول : وأصحابنا يرون مثلا بالفارسية ترجمته : من احترق بيدره ، أراد أن يحترق بيدر غيره(٣) وقال أيضا : فوقع على ظهر الرقعة بالفارسية بما ترجمته : ياهذا ، إذا كانت سبلنا آمنة وسيرتنا عادلة فلِمَ تمنع فرحة عاجلة ؟(٤) ويشرح لنا أبو حيان عملية الترجمة وكيف تتم فيقول مخاطبا أحدهم : وقد بقيت أنت بلا اسم لصناعتك التى تنتحلها وآلتك التى تزهى بها ، إلا أن تستعير من العربية لها اسما فتُعار ويسلم لك ذلك بمقدار ، وإذا لم يكن لك بد من قليل هذه اللغة من أجل الترجمة فلابد لك أيضا من كثيرها من أجل تحقيق الترجمة واجتلاب الثقة والتوقى من الخلة اللاحقة(٥) ويقول عن الترجمة : هذه مُقابسة ، قد أفدناها ، من مواضع مختلفة فى

---

(١) اللسان جـ ٦ ص ٤٥٢٦ طبعة دار المعارف . القاهرة .

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ .

(٣) الهوامل والشوامل ص ٢٠٦ .

(٤) الإمتاع جـ ٢ ص ٢٤ .

(٥) الإمتاع جـ ١ ص ١١٥ .

أعيان كلام الأوائل ، والترجمة المنقول إليها ، وإن كانت محتاجة فى بعض حروفها إلى تفصيل وشرح ، فإنها صالحة الفوائد ، كثيرة الجدوى(١) .

ولو تتبعنا مجرى الترجمة والنَّقْل ، وسرنا معه نراه يسير حسب شخصية المترجمين والكتب والوسائل التى كانت فى متناول أيديهم فى العصر العباسى الثانى . ظهر أشهر المترجمين مثل متى بن يونس وقد كان فى بغداد سنة ٣٢٠ هـ ويحيى بن عدى وابن زرعة ، وأهم ما ترجموا الكتب المنطقيّة والطبيعيّة لأرسطو ، وكل هؤلاء يذكرهم التوحيدى فى نصوص وردت له بين طيات كتاباته فيقول عن يحيى بن عدى : أما يحيى بن عدى ، فإنه كان شيخا لين العريكة فُروقة مشوه الترجمة ، ردىء العبارة ، لكنه كان متأنيًا(٢) ويقول أبو حيان واصفا ابن الخمار وإجادته للنَّقْل : وأما ابن الخمار ففصيح سبط الكلام مديد النفس طويل العنان ، مرضى النَّقْل كثير التدقيق(٣) .

ويقول أيضا ذاكرا لفظتى **النقل والترجمة** فى وصفه لعيسى بن على : فله الذرع الواسع والصدر الرحيب فى العبارة حجة فى **النَّقْل** والترجمة ، والتَّصرف فى فنون اللغات وضروب المعانى والعبارات(٤) وقال عن ابن زرعة : وأما ابن زرعة فهو حسن الترجمة ، صحيح **النَّقْل** ، كثير الرجوع إلى الكتب ، محمود النقل إلى العربية(٥) ، وعن متى ونشاطاته المتعددة فى مجال الترجمة عن اليونانيَّة يقول أبو حيان على لسان متى : يونان وإن بادت مع لغتها ، فإن الترجمة حفظت الأغراض وأدت المعانى(٦) ، وعن المنطقيين وما ترجموا يحدثنا التوحيدى فيقول : وإنما دخل العجب على المنطقيين لظنهم أن المعانى لا تفرق ولا تستوضح إلا بطريقتهم ونظرهم وتكلفهم ،

---

(١) المقابسات ص ٣٩٥ .
(٢) الإمتاع جـ ١ ص ٣٧ .
(٣) الإمتاع جـ ١ ص ٣٣ .
(٤) الإمتاع جـ ١ ص ٣٦ .
(٥) الإمتاع جـ ١ ص ٣٣ .
(٦) الإمتاع جـ ١ ص ١١١ .

فترجموا لغة هم فيها ضعفاء ، ناقصون ، وجعلوا تلك الترجمة صناعة[1] .

لقد كانت مهنة **الترجمة** موضع مُدارسة ومُناظرة فى عصر أبى حيان ، وكان هناك من يثير الشكوك حول عمل المترجمين ، والسيرافى وهو أحد علماء العربية فى ذلك العصر وممن عاصروا المترجمين الذين اضطلعوا بنقل علوم اليونان وفلسفتهم ، يتشكك فى صحة الترجمة عامة وفى ترجمة يونس بن متى خاصة ، ويثير مُحاورة بينه وبين متى فى حضرة الوزير ابن الفرات فيخاطبه بقوله : على أن هناك سرا ما علق بك ولا أسفر لعقلك ، وهو أن تعلم أن لغة من اللغات لا تطابق لغة أخرى من جميع جهاتها بحدود صفاتها ، وما أظن أحدا يدفع هذا الحكمْ أو يشك فى صوابه ممن يرجع إلى مسكة من عقل أو نصيب من إنصاف فمن أين يجب أن تثق بشيء تُرْجم لك على هذا الوصف ؟ بل أنت إلى تعرف اللغة العربيّة أحوج منك إلى تعرف المعانى اليونانيّة[2] .

ولعل السبب فى البداية بالترجمات فى نطاق كتب الطبّ يرجع إلى صلة أطباء جند يسابور بالخلفاء العباسيين ، ومع هذا فقد كان لليونان أثر فى اللغة العربية والأدب العربى من حيث الألفاظ اليونانية التى عربت والقصص اليونانية والحكم التى ترجمت لفيثاغورس وسقراط وأفلاطون وأرسطو ، وملئت بها كتب الأدب فى ذلك العصر ، مثل البيان والتبيين وعيون الأخبار وغيرهما . وفى كتابات التوحيدى نرى الكثير من هذه الترجمات والاقتباسات عن اليونانية فنراه يقول عن الترجمة اليونانية : إن الترجمة من لغة يونان إلى العبرانيّة ، ومن العبرانية إلى السريانية إلى العربية ، قد أخلت بخواص المعانى وأبدان الحقائق[3] .

---

(١) الإمتاع جـ ١ ص ١٢١ .
(٢) الإمتاع جـ ١ ص ١١٦ .
(٣) المقابسات ص ٢٦٦ .

ويذكر لنا أبو حيان فى بعض نصوصه الفعل تُرْجَمَ فيقول : وفيما ترجم من كلام أفلاطون أن الأشياء قبل الوجود كانت مثلًا فى نفس البارى[1] ، ويذكر بعض ما تُرجم عن أرسطاطاليس فيقول : قال أرسطاطاليس ، فما ترجم من كلامه عيسى ابن زرعة المنطقى ، الإنسانية أفق ، والإنسان متحرك إلى أفقه بالطبع[2] ، وكتابه البصائر والذخائر يحوى الكثير والكثير جدا من الترجمات اليونانية لمعظم الفلاسفة اليونانيين ، وهذا يبين لنا أن تأثير اليونان كان واسعًا وعميقًا فى الفلسفة والعلوم الرياضية والطبية وضيقا خفيفا فى الناحية الأدبية . ومن الغريب أن هذه الفترة التى حفلت بالترجمة من اليونانية إلى العربية شهدت ثمار المعرفة الجديدة على الفور ، ولقد تمثل ذلك فى بعض المؤلفات التى ألفها العلماء العرب والمستعربون متضمنة إضافات أساسية إلى المعرفة ، كتلك التى ألفها ثابت بن قرة وبعض كتب حنين بن إسحاق . ومهما كان الشأن فى الترجمة سواء منها ما كان من الهندية أو الفارسية أو اليونانية فإنها كانت رافدا فكريا يصب فى معين الحقل الإسلامي الذى كان متطلعا إلى المعرفة تواقا إليها ، ومن ثم لم يلبث الحقل العلمى الإسلامى إلا قليلًا حتى أضاف إلى معلومات هذه الأمة وارتقى بعلومها وهذبها وحفظها فى أتم صورة وأدقها[3] . وترد فى نصوص أبى حيان لفظة **مُتَرْجَمَة** وهى اشتقاق جديد لم يرد فى اللسان وذكرها أبو حيان بقوله ياهذا ! اسمع لغة أخرى على وجه التعويض مُتَرْجَمَة ببيان منسوب إلى التلخيص[4] .

ومما تقدم من نصوص وشروح للفظة الترجمة ومسيرتها التاريخية ، يتبيّن أن دلالة الترجمة هنا هى إعادة كتابة موضوع معين بلغة غير اللغة التى كتب بها أصلًا . ونجد لفظة الترجمة وردت عند أبى حيان بدلالة أخرى وهى التعبير أو

---

(١) البصائر جـ ٢ ص ٤٨٩ .
(٢) المقابسات ص ١٦٤ .
(٣) ضحى الإسلام جـ ٢ ص ٦٠ .
(٤) الإشارات ص ٢٠٣ .

التفسير عن الهواجس والمشاعر الإنسانية . ففى الإشارات الإلهية يذكر أبو حيان نصوصًا متضمنة لهذه المعانى فيقول ذاكرًا لفظة الترجمة بمعنى التفسير : لكل أمرئ شأن مخصوص وهوية : إما زائد ، وإما منقوص الإلهية . لا يمسح بالوهم ، ولا يقدر بالفهم ، ولا يشرح بالعقل ، ولا ينال بالترجمة[1] ، ويقول أيضا ولا معنى مرويّ ، ولا قول مسطور ، ولا مراد مشهود ؟ وهل ترنمت فيما بينك وبينك بما لا ترجمة له بين الخلق ، ولا بيان له إلا عند الحق ؟[2] ويقول أبو حيان فى أحد كتبه ذاكرا لفظة الترجمة بمعنى التعبير : المعانى هى الهاجسة فى النفوس ، المتصلة بالخواطر ، والألفاظ تَرْجمة للمعانى[3] ومع لفظة الترجمة يرد فى نصوص أبى حيان الفعل يترجم بمعنى يفسر ويوضح وبهذا المعنى يقول أبو حيان فى نص له : وهذا هزل يترجم عن جد ، والضد يبرز حسنه الضد[4] ، وفى نص آخر يقول : خط القلم يقرأ بكل مكان وفى كل زمان ، ويُترجم بكل لسان[5] ، ويقول أيضا يصف أحدهم : ولكنه أفصح وأبلغ من سحبان وائل يُتَرْجم عن الشاهد ويخبر عن الغائب[6] ويقول فى هذا المعنى : القلم ينطق عن الساكت ، ويخبر عن الباهت ويترجم عن القلوب[7] هذه بعض المعانى للفعل يترجم ولكن المعنى الاصطلاحى للكلمة يورده التوحيدى قائلا : على قرع آذاننا ، وصحب أذهاننا ، من كلام أجناس الناس ، وعلى ما ترجم لنا أيضا من ذلك لكان علم المنطق تهيئة الطبيعة بالعربية[8] . وقبل أن أختم الحديث عن الترجمة والنَّقْل أذكر نصا لأبى حيان يورد فيه لفظة الترجمة بمعنى الرواية ونقل الأخبار عن الشعراء والأدباء مباشرة وهذه العملية تعتبر تدوين السيرة الذاتية لهؤلاء الأعلام البارزين في

---

(١) الإشارات الإلهية ص ٣٠١ .
(٢) الإشارات الإلهية ص ٣٦٧ .
(٣) البصائر جـ ١ ص ٢٠٧ .
(٤) الصداقة والصديق ص ٢٩٨ .
(٥) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٨ .
(٦) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٩ .
(٧) رسالة فى علم الكتابة ص ٤٥ .
(٨) المقابسات ص ٣٢٨ .

ميدان الأدب ، وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : قال أبو حاتم : ما رأيت رجلا قط أحسن ترجمة للكلام من الأصمعى سألته لأى شيء تقدم جريرا ؟ قال لأنه أغزرهم وأغزلهم ، وأقلهم سرقة ، وأقبحهم هجاء[1] ولفظة الترجمة التى طال شرحها لم يذكرها صاحب اللسان حين تناوله للمادة « رجم » أما لفظة النَّقْل فقد ذكرها صاحب اللسان بالمعنى اللغوى فقط .

مما تقدم نجد أن لفظة ترجمة جاءت فى نصوص أبى حيان بمعانٍ متنوعة ، وكذلك الفعل يترجم . ومن الملاحظ أن المعنى الاصطلاحى لهذه الألفاظ هو المعنى الأكثر ورودًا عند أبي حيان. فقد جاءت لفظة الترجمة بالمعنى اللغوى وهو التفسير[2] والتعبير عن المشاعر[3] والمعانى[4] وجاءت بالمعنى الاصطلاحى وهو النَّقْل من لغة إلى أخرى ، كاليونانية[5] والفارسية[6] وغيرها من اللغات . وبمعنى النقل للأخبار مثل نقل الرواة أخبار الشعراء والأدباء عنهم مباشرة وروايتها[7] وهذا ما يسمى برواية السيرة الذاتية لهؤلاء الشعراء والأدباء .

ونجد أن لفظة الترجمة لم ترد فى اللسان عند تناوله للمادة « رجم » فهى إذن **اشتقاق جديد** لم تعرفه لغة البادية ، ورد عند أبى حيان وازداد انتشاره فى العصر العباسى وبلغ الذروة فى انتشاره فى عصر أبى حيان . وكذلك لفظة « مترجمة » اشتقاق جديد ذكره أبو حيان فى كتاباته . والفعل يترجم جاء عند أبى حيان بمعنى لغوى وهو يفسر[8] ، ويعبر عن الأحاسيس[9] ويروى عن الأشخاص[10] ،

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٢٠٥ .

(٢) الإشارات ص ٣٦٧ .

(٣) الإشارات ص ٣٠١ .

(٤) البصائر جـ ١ ص ٢٠٧ .

(٥) المقابسات ص ١٦٤ .

(٦) الهوامل ص٢٠٦، وانظر الإمتاع جـ ٢ ص٢٤

(٧) البصائر جـ ٣ ص ٢٠٥ .

(٨) الصداقة والصديق ص ٢٩٨ .

(٩) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٨، ص٤٥ .

(١٠) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٩ .

وجاءت بالمعنى الاصطلاحى وهو يفسر الكلام من لغة إلى أخرى[١] .

أما لفظة النَّقْل فقد جاءت عند أبى حيان مرادفة للفظة الترجمة بمعناها الاصطلاحى[٢] الدال على نقل الفكرة من لغة إلى لغة أخرى[٣] ونقل اللفظ من لغة لأخرى نقلا حرفيا وتفسيره بلسان آخر . فاللفظة نقل جاءت فى نصوص أبى حيان **مرادفة** للفظة ترجمة .

وفى مجال التطور الدلالى نجد أن لفظة الترجمة قد مرت دلالتها بأطوار مختلفة منذ بداية استخدامها اللغوى وحتى عصر أبى حيان ، عصر ازدهار الثقافة وفنونها ، لقد تطورت دلالة لفظة الترجمة فى القرن الرابع الهجرى وأصبحت أكثر استعمالًا وانتشارًا نتيجة لنشاط الحركة الثقافية فى ذلك العصر وكثرة العاملين فى مجالاتها المتنوعة ، ومنهم المترجمون والناقلون للثقافات الأجنبية إلى اللغة العربية وهذا مما أدى إلى **اتساع الدلالة** لكثرة استخدامها . ونجد أن **دلالة** لفظة الترجمة قد **تخصصت** فى عصر أبى حيان عندما أضيفت إلى الكلام[٤] والمعانى[٥] فهذه الألفاظ خصصت لفظة الترجمة بتحديد نوعها . وتخصصت أكثر عندما عينت اللغة التى تتم الترجمة بها[٦] وعندما حدد شكل الترجمة ونوعيتها أي أُخبر عنها بأنها صناعة[٧] وبذكر أبى حيان أسماء المرتجمين ونوعية ترجمتهم خصصت الدلالة بتحديد أوضح . وفى مجال ارتقاء الدلالة نجد أن لفظة الترجمة قد **ارتقت دلالتها** عندما وصف أحد القائمين بعملية الترجمة بأنه حجة[٨] فى عمله هذا ، فلفظة الحجة بما

---

(١) الإمتاع جـ ١ ص ١١٦ وانظر البصائر جـ ٢ ص ٤٨٩ وانظر المقابسات ص ٣٢٨ .

(٢) الإمتاع جـ ١ ص ٣٦ .

(٣) الإمتاع جـ ١ ص ٣٣ .

(٤) الإمتاع جـ ١ ص ٣٣ .

(٥) المقابسات ص ٣٩٥ .

(٦) المقابسات ص ١٦٤ .

(٧) الإمتاع جـ ١ ص ١١٢ .

(٨) الإمتاع جـ ١ ص ٣٦ .

لها من مكانة رفيعة وقدسية فى الاستعمال قد أضفت على لفظة الترجمة بعضًا من ظلالها فارتقت الدلالة حينئذ .

أما لفظة **النَّقْل فقد تغير مجال دلالتها** من مادى إلى معنوى ، فلفظة النقل التى استخدمت فى المجال المادى بنقل الأشياء من موضع إلى آخر تطورت دلالتها وانتقلت إلى المجال المعنوى وهو نقل الأفكار والمعانى من لغة إلى لغة أخرى ، وهذا مما أدى إلى انتقال مجال الدلالة .

(٤) الشـــــــرح :

الشَّرح بالفتح وسكون الراء المهملة . فى اللغة بمعنى التوضيح والبيان[١] والشَّرح هو الكَشْف ، والحفظ ، والفتح ، والبيان ، والفهم ، ويقال : شرح فلان أمره أى أوضحه ، وشرح مسألة مشكلة : بينها ، وشرح الشيء يشرحه شرحا وشرحه : فتحه وبينه وكشفه . وشرحت الغامض إذا فسرته . وشرح الله صدره لقبول الخير : وسعه لقبول الحق[٢] .

وبعد أن نشطت حركة الجمع والنقد تبعها حركة أخرى وهى الشرح والتبسيط ، فالشرح هو : تفسير الغامض وكشفه ، وتوضيح المبهم إن وجد فى كتاب أو رسالة أو نص فى علم من العلوم ، وهكذا نجد ظهور طبقة الشراح فى عصر ازدهار الثقافة الإسلامية ، ولم تتقيد عملية الشَّرح بعلم محدد وإنما شملت فى العصر العباسى جميع أقسام المعرفة ، ويذكر لنا أبو حيان بعض النصوص يوضح فيها لفظة الشَّرح ومن يقوم بهذا العمل الثقافى .

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون جـ ٢ ص ٩٤ .   (٢) اللسان جـ ٢ ص ٢٩٢ .

وردت لفظة الشَّرْح بمعنى الحرفة الثقافية فى نص لأبى حيان يقول فيه مخاطبًا أبا الوفاء المهندس : أيها الشيخ -قد فرغت فى الجزء الأول على ما رسمت فى القيام به ، وسردت فى حواشيه أعيان الأحاديث التى خدمت بها مجلس الوزير ، ولم آل جهدا فى روايتها وتقويمها ولم أحتج إلى تعمية شيء منها ، بل زبرجت كثيرا منها بناصع اللفظ ، مع شرح الغامض[1] . ويقول أبو حيان ذاكرا لفظة شَرْح بمعنى التوضيح : الشعر قيد الكلام ، وعقال الأدب ، وسور البلاغة ، ومحل البراعة ومجال الجنان وشرح البيان[2] ويحدثنا أبو حيان عن شروح الكتاب -كتاب سيبويه- فيقول : حدثنى أصحابنا أن أبا على اشترى شرح أبى سعيد فى الأهواز[3] وقال أيضا عن شرح الكتاب : فكان من الجواب : قرأته على أبى سعيد الإمام فى شرحه كتاب سيبويه[4] ، وقال : فقال أبو موسى المعلم- شيخ يعرف بالحسنكى : إلا أنه لم يعمل فى شرح كتاب سيبويه شيئا[5] ، وقال يصف بعضًا من أعلام عصره ممن اشتغلوا بالشَّرح مثل : أبى بشر متى صاحب شرح المنطق ، والعامرى فى شرحه الموسوم بالنُّسْك العقلى[6] .

ويقول أبو حيان فى نص له موردًا **لفظة** الشَّرح بمعنى التوضيح والفهم : العلم شرح العقل بالتفصيل ، والعمل شرح العلم بالتحصيل[7] ، وقال موردا لفظة الشرح بمعنى التوضيح : فإنى أبتدر إليك من جملة ما عناك ما يكون شرحا لبعض ما بلغك عنى[8] ، وقال أيضا ذاكرًا لفظة الشرح بمعنى التوضيح والكشف : لو ميزنا الأخلاق بالشَّرح فى هذا المكان للزم أيضا أن نشرح الدين والعمل وجميع

---

(١) الإمتاع جـ ٢ ص ١٠ .

(٢) البصائر جـ ٢ ص ٢٧٣ .

(٣) الإمتاع جـ ١ ص ١٣١ .

(٤) الإمتاع جـ ١ ص ٢٢٢ .

(٥) مثالب الوزيرين ص ٢٦٤ .

(٦) الهوامل والشوامل ص ٢٦٥ .

(٧) المقابسات ص ٢٥٠ .

(٨) الإشارات الإلهية ص ١٣ .

ماسلف[1]. ونعود إلى نصوص أخرى ذكر فيها أبو حيان حرفة الشرح ودورها في مجال الترجمة والنقل فقال : هذه مُقابسة قد أفدناها من مواضع مختلفة ، فى أعيان كلام الأوائل والترجمة المنقولة إليها وإن كانت محتاجة فى بعض حروفها إلى تفصيل أو شرح فإنها صالحة الفوائد[2] . وقال أيضا ذاكرا لفظة الشرح وعملها فى مجال النقل : اللغة عربية والمنطق مترجم بها ، ومفهوم عنها ، والخلل على قدر ذلك قد دخل فيها بنقل بعد نَقْل ، وشَرْح بعد شرح[3] .

وذكر التوحيدى الفعل شَرَحَ بمعنى فَسَّر ووضح فقال : وأصل محكوم به مثبت قد شرحه غيرنا وبينه[4] ، وشرح الله صدره لقبول الخير يشرحه شرحا فانشرح : وسعه لقبول الحق فاتسع[5] ، ويقول التوحيدى ذاكرا المعنى الاصطلاحى للفعل شرح : لأن الكتب التى توضح هذه الدقائق موجودة ، ومن يشرح مشكلها ويفتح مستغلقها حاضر[6] ، ويحدثنا عن من يقوم بشرح الكتب فيقول : وتدارس أصحابك بمفهوم أهلها وتشرح كتب يونان بعبارة أصحابها[7] وقال أيضا موردا الفعل يَشْرَح بمعنى يفسر : فلم تزرى على العربية وأنت تشرح كتب أرسطوطاليس بها مع جهلك تحقيقها[8] وقال يصف ما يدور فى ليالى الإمتاع والمؤانسة وما يحدث فى مجالسها من أنشطة ثقافية كالشرح مثلا : قال الوزير : اجمع لى حروفا نظائر لهذا من اللغة فاشرح ما ندر منها[9] .

---

(١) رسالة الحياة ص ٥٨ .

(٢) المقابسات ص ٣٩٥ .

(٣) المقابسات ص ١٣٢ .

(٤) الإشارات الإلهية ص ٤ .

(٥) الإشارات الإلهية ص ١٦٤ .

(٦) المقابسات ص ١١١ .

(٧) الإمتاع جـ ١ ص ١١٣ .

(٨) الإمتاع جـ ١ ص ١٦ .

(٩) الإمتاع جـ ٢ ص ٣ .

وفى مجال حديثنا عن الشرح نذكر اللفظتين مشروح ومشروحة ، لقد ذكر أبو حيان لفظة مشروح بمعنى مفسر فقال : وليكن الحديث على تباعد أطرافه واختلاف فنونه مشروحًا ، والإسناد عاليا متصلًا ، والمتن تاما بينًا[1] وقال أبو حيان ذاكرًا لفظة **مشروح** بمعنى موضح : إن الصناعة تحكى الطبيعة وتروم اللحاق بها ، وهذا رأى صحيح وقول مشروح[2] ، وترد لفظة مشروح عند أبى حيان بمعنى واسع الصدر رحب وذلك فى قوله : هذه البلابل فإنها والله محرجة لكل صدر وإن كان مَشْرُوحا[3] المعنى هنا فى هذا النص يبتعد بنا عن المعنى الاصطلاحى الخاص بالأعمال الثقافية وجاء فى اللسان المشروح : السراب والسين لغة[4] ، لم يذكر اللسان المعنى الاصطلاحى للفظة المشروح . أما لفظة **مَشْرُوحة** فقد ذكرها أبو حيان فى مجال حديثه عن الكتب فقال : أنتم هؤلاء فى منطقكم على نقص ظاهر لأنكم لا تفون بالكتب ولا هى مشروحة[5] وذكر أبو حيان لفظة مشروحة بمعنى مفسرة فى حديثه عن مناظرة السيرافى ومتى فقال : فأما على بن عيسى الشيخ الصالح فقد رواها مشروحة[6] ، وهذه اللفظة المفردة المؤنثة « مشروحة » لم ترد فى اللسان فهى اشتقاق أورده أبو حيان فى كتاباته . أما المعنى الاصطلاحى للألفاظ شرح ومشروح ومشروحة فلم يرد فى اللسان .

مما تقدم نجد أن لفظة « شَرْح » جاءت فى كتابات أبى حيان بالمعنى اللغوى الدال على التفسير[7] والتوضيح[8] والكشف والبيان[9] . وجاءت لفظة شرح أيضا

---

(١) الإمتاع جـ ١ ص ٨ .
(٢) المقابسات ص ١١٣ .
(٣) الإشارات الإلهية ص ٢٣ .
(٤) اللسان جـ ٢ ص ٢٩٢ .
(٥) الإمتاع جـ ١ ص ١٢٣ .
(٦) الإمتاع جـ ١ ص ١٠٨ .
(٧) المقابسات ص ٤٣٢ .
(٨) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٢٧٣ .
(٩) الإمتاع جـ ١ ص ١١٩ .

بالمعنى الاصطلاحى الدال على تفسير النص والتعليق عليه بملاحظات يضيفها الشارح فى حواشى النص[1] أو بعد نهايته[2] ومن الملاحظ أن المعنى الاصطلاحى الخاص بالكتب والأعمال الثقافية الأخرى كثير الورود فى كتابات أبى حيان ، ولم يرد هذا المعنى الاصطلاحى فى اللسان عند تناوله للمادة « ش ر ح » .

وفيما يختص بهذا المعنى الاصطلاحى الذى كثر استخدامه فى عصر أبى حيان ، لقد تبين لنا أن أول من نسبت إليه لفظة الشرح بهذا المفهوم هو عبد الله بن إسحق الحضرمى المتوفى سنة ١١٧ هـ والذى عده ابن سلام صاحب طبقات الشعراء أول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل[3] ، وهناك أيضا نص ذكره ابن النديم فى الفهرست يشير إلى أن أول من استخدم لفظة الشرح بهذا المعنى الاصطلاحى هو أبو إسحق إبرهيم بن زياد بن أبيه وله من الكتب كتاب شرح كتاب سيبويه[4] ، فأبو إسحاق هذا يعتبر أول من ألف كتابا بهذا العنوان[5] ، ثم انتشر هذا المعنى بعد أن كثر الشراح من العلماء والفقهاء والمترجمين الذين اشتغلوا بشرح الحديث وقد كان أكثر الشراح هم من كبار اللغويين ، وبشرح الكتب اليونانية بعد ترجمتها وخاصة شرح كتب أرسطو . والذين اشتغلوا بشرح كتاب سيبويه من اللغويين والنحاة وعلى رأسهم أبو سعيد السيرافى[6] الذى لقبه أبو حيان بالإمام[7] أى إمام النحويين واللغويين والعلماء كافة .

وفى التطور الدلالى نجد أن لفظة الشّرح قد اتسعت دلالتها فى عصر أبى حيان نتيجة لكثرة استخدامها عند المشتغلين بالثقافة من الشراح واللغويين والنحويين

---

(١) الإمتاع جـ ٢ ص ١ . (٢) المقابسات ص ١٣٢ .

(٣) المدارس النحوية د. شوقى ضيف ص ٢٣ . (٤) الفهرست لابن النديم ، ص ٩٢ .

(٥) علم اللغة العربية ، د . محمود فهمى حجازى ص ٨٥ .

(٦) الإمتاع جـ ١ ص ١٣١ . (٧) الإمتاع جـ ١ ص ٢٢٢ .

والنقلة والمترجمين ، وقد كان اتساع دلالة لفظة الشّرح من الظواهر العلمية لذلك العصر الذى نؤرخ له ، وكتابات أبى حيان خير شاهد على ذلك .

وفى انتقال الدلالة نجد أن دلالة لفظة الشرح قد انتقلت من مجال مادى إلى مجال معنوى ، ففى بدء استخدام اللفظة كانت تعنى تقطيع اللحم وتشريحه والكشف عن دخيلته ثم انتقلت الدلالة إلى مجال معنوى وهو تشريح النص وبسطه وكشف الغامض من معانيه . فأدى هذا إلى انتقال الدلالة من مجال إلى آخر مع اشتراك الدلالتين فى جزء من المعنى وهو « الكَشْف » . ونجد أيضا أن لفظة الشّرح قد تخصصت دلالتها فى عصر أبى حيان فبعد أن كانت تطلق على الشرح بالمعنى العام أصبحت محددة بشرح الكتاب(١) ، وتخصصت أكثر عندما حددت بشرح كتب معينة مثل شرح كتاب سيبويه(٢) ، أو كِتاب فى النُّسك العقلى(٣) ، أو كِتاب فى شرح المنطق(٤) كل هذه الأمور أدت إلى تخصص الدلالة .

ومن الاشتقاقات الجديدة التى ذكرها أبو حيان للمادة شرح لفظة مشروحة وهى استخدام جديد لصيغة المفردة المؤنثة من مشروح الذى ورد ذكره عند أبى حيان بمعنى اصطلاحى ولم يذكره صاحب اللسان بهذا المعنى الاصطلاحى .

(٥) الوراقة ، النسخ ، الانتساخ :

لفظة أخرى تدل على مهنة ثقافية مهمة فى ذلك العصر وهى الوِراقة وقد وردت هذه اللفظة كثيرا عند أبى حيان وكيف لا يذكرها وهو المتمرس بهذه

---

(١) الإشارات الإلهية ص ١٦٤ .

(٢) الإمتاع جـ ١ ص ٢٢٢ .

(٣) المقابسات ص ٣٤٠ .

(٤) الهوامل والشوامل ص ٢٦٥ .

المهنة ، ونراه فى بعض نصوصه يتذمر من مهنته هذه فيقول للصاحب بن عباد : إنما توجهت من العراق إلى هذا الباب ، وزاحمت منتجعى هذا الربيع لأتخلص من حرفة الشؤم فإن الوراقة لم تكن ببغداد كاسدة[1] كانت مهنة الوراقة فى أزهى عصورها فى العصر العباسى ، وهذا نتيجة لنشاط الحركة العلمية وازدهار حركة التأليف والترجمة وتقدم صناعة الورق وبظهور حرفة الوراقين والتى كان يقوم أصحابها بنسخ الكتب وتصحيحها وتجليدها وبيعها ، أصبح للوراقين أمكنة تتخذ مباءة للعلماء والأدباء يتزودون منها بالعلم وكانت مصدرا من مصادر انتشار الثقافة فى ذلك العصر .

والوراقة كما عرفها ابن منظور فقال : الوراق معروف وحرفته الوراقة . ورجل وراق : وهو الذى يورق ويكتب[2] .

ولفظة **الوراقة** ترد فى نصوص عديدة من كتابات أبى حيان وفى أحد هذه النصوص نرى أبا الوفاء المهندس يخاطب أبا حيان فيقول : إنك تعلم يا أبا حيان أنك انكفأت من الرى إلى بغداد فى آخر سنة سبعين بعد فوت مأمولك من ذى الكفايتين –نضر الله وجهه– عاتبا على ابن عباد مغيظا منه ، مقروح الكبد لما نالك به من الحرمان المر ، والصد القبيح ، واللقاء الكريه والجفاء الفاحش ، والقدح المؤلم ، والمعاملة السيئة ، والتغافل عن الثواب على الخدمة وحبس الأجرة على النَّسْخ والوِرَاقة[3] كان أبو حيان كما نعلم يتخذ من الوراقة مهنة له ، وكان يتذمر كثيرا من هذه المهنة حتى أطلق عليها مهنة الشؤم ، ففى أحد نصوصه يخاطب الصاحب قائلا : إنما توجهت من العراق إلى هذا الباب ، وزاحمت

---

(١) الإمتاع جـ ٢ ص ٣ .

(٢) اللسان جـ ٣ ص ٩١٢ .

(٣) الإمتاع جـ ١ ص ٤ .

منتجعى هذا الربيع لأتخلص من حرفة الشؤم ، فإن الوراقة لم تكن ببغداد كاسدة[1] .

ومع الوراقة ذكر أبو حيان الفعل يُورِّق فى نص له يقول فيه : قال الوزير : حدثنى عن زيد بن رفاعة قولا ومذهبا ، فقد بلغنى أنك تغشاه وتجلس إليه ، وتكثر عنده ، وتُورِّق له ، ولك معه نوادر مضحكة[2] .

والألفاظ النَّسْخ والانتساخ ونَسَخَ كلها تؤدى معنى الحرفة الثقافية التى انتشرت وبلغت أوجها فى العصر العباسى ، عصر ازدهار الحضارة العباسية وكانت هذه الحرفة الثقافية حرفة صاحبنا أبى حيان ، وقد وصف من يحترفونها آدم ميتز فقال : وكان العالم إذا لم يكن فَقيهًا صاحب منصب ، ولم يجد ما يعيش منه ، اشتغل بنسخ الكتب كما حكى عن أبى زكريا يحيى بن عدى المتوفى عام ٣٦٤ هـ وكان من أكبر فلاسفة القرن الرابع[3] .

النَّسْخ كما عرفته المعاجم : فى اللغة هو الإزالة والنقل ، فى الشرع هو أن يرد دليل شرعى متراخيا عن دليل شرعى مقتضيا خلاف حكمه[4] ، والنَّسْخ كما جاء فى اللسان من نَسَخَ الشيء ينسخه نسخا وانْتَسَخه واسْتَنْسَخَه : أكتبه عن معارضة ، والنَّسْخ هو اكتتابك كِتابًا عن كِتاب حرفًا بحرف ، وهو إبطال الشيء وإقامة آخر مَقامه ، وهو تبديل الشيء من الشيء وهو غيره ، وهو نقل الشيء من مكان إلى مكان وهو هو[5] ، وجاء فى كشاف اصطلاحات الفنون النَّسْخ عند أهل البديع قسم من السرقة ويسمى انتحالًا[6] .

---

(١) مثالب الوزيرين ص ٢٠٣ .
(٢) الإمتاع جـ ٢ ص ٤ .
(٣) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ١ ص٣٤٢.
(٤) التعريفات للجرجانى ص ٢٦ .
(٥) اللسان جـ ٣ ص ٦٢٤ .
(٦) كشاف اصطلاحات الفنون جـ٦ ص١٣٧٧ .

ويذكر أبو حيان لفظة النسخ بمعناها الشرعى فيقول : وحدّ النَّسخ : بيان مدة التعبد به وانقضاء وقته[1] ، ويصف لنا أحد معاصريه الماهرين فى هذه المهنة الثقافية مهنة النسخ ، فيقول : أما أبو طاهر الوَرَّاق فإنه رُتبة فى النَّسْخ ، وكان قوى الحظ ، كثير الصبر على النَّقْل[2] وتتردد لفظة النَّسْخ فى أماكن كثيرة من كتابات أبى حيان ففى أحد النصوص يقول : فإنى رأيت فعل ذلك أولى من تكلف نسخه ونقله[3] ، وقال أبو حيان يصف حاله فى مهنة النسخ هذه : ولم يبق فى هذه الجماعة على فقره وبؤسه ومره ويأسه غيرى ، مع خدمتى السالفة والآنفة ، وبذلى كل مجهود ، ونسخى كل عويص[4] ، وقال أيضا ذاكرا لفظة النَّسْخ بمعنى النَّقْل : ولتدافع الحديث ما أخرج من ذكر هذا إلى شأن ذاك ، ولهذا اضطراب على نسخ الرسالة على مذهب المُصَنِّفين ، ولكن عذرى بين لأنى نقلت ما نقلت فى وقت صعب[5] . وقال أبو حيان فى مقدمته لكتاب الهوامل والشوامل موردًا لفظة النَّسْخ بمعنى النَّقْل والكتابة : وشرطنا إذا تكلمنا فى مسألة أن نبيّن عويصها ونشرح مشكلها ، فإذا تعلق ذلك بكلام مسبوق إليه مقرر ، وأصل محكوم به مثبت قد شرحه غيرنا وبينه ، فإنى رأيت فعل ذلك أولى من تكلف نسخه ونقله والتكثر به[6] . وقال أبو حيان يشكو حظه مع الصاحب ابن عباد الذى لم يقدر عمله وانكبابه على النسخ له : وبعد ترددى إلى بابه فى غمار الغادين والرائحين ، والطامعين ، والراجين ، وصبرى على ما كلفنى نسخه ، حتى نشبت به تسعة أشهر خدمة وتقربا وطلبا للجدوى منه[7] ، وفى نصوص أخرى ترد فيها لفظة النَّسْخ بمعنى الكتابة فيقول أبو حيان على لسان الصاحب : طعن فى رسائلى

---

(١) البصائر جـ ١ ص ٢٨٥ .
(٢) مثالب الوزيرين ص ٢٢٩ .
(٣) الهوامل والشوامل ص ٤ .
(٤) الإمتاع جـ ٣ ص ٢٢٦ .
(٥) مثالب الوزيرين ص ٣٠٣ .
(٦) الهوامل والشوامل ص ٤ .
(٧) مثالب الوزيرين ص ٥٨ .

وعابها ، ورغب عن نَسْخِها وأزرى بها والله لينكرن منى ما عرف ، وليعرفن خطه إذا انصرف[1] ، ويقول أيضا ذاكرًا لفظة النَّسْخ بمعنى الكتابة : وحبس الأجرة على النَّسْخ والوِرَاقة[2] ويذكر لفظة انتِساخ بمعنى كتابة فيقول : قد تكرر اعتذارى من طول هذه الرسالة وكان ظنى فى أولها أنها تكون لطيفة خفيفة ، يسهل انتساخها وقراءتها[3] .

وفى نصوص أخرى من كتاباته يذكر أبو حيان الفعل نَسَخَ وينسخ ، ففى أحد نصوصه يقول أبو حيان ذاكرا الفعلين انسخ وتنسخ : دع كله وانْسَخ لى الرسالة من المُسَوَّدة ، ولا يمنعك ذاك فإن العين لا ترمقها والأذن لا تسمعها واليد لا تنسخها[4] ، وفى نص آخر يذكر أبو حيان الأفعال ينسخ وانسخ ، ولفظة نَسْخ فى حديثه عن الصاحب وما عاناه من نَسْخِه لكتبه الكثيرة فيقول : قدم إلى نجاح الخادم وكان ينظر فى خزانة كتبه ثلاثين مُجلدة من رسائله وقال : يقول لك مولاى : انسخ هذه ، فقلت فى ارتياع هذا طويل ، وما ذنبى ياقوم إذا لم أستطع نَسْخ ثلاثين مجلدة ، وأى إنسان ينسخ هذا القدر وهو يرجو بعده أن يمتعه الله ببصره أو ينفعه بيده[5] ، وقد قيل إن العلماء الذين يحرصون على سلامة العلم ينسخون كتبهم بأنفسهم إن استطاعوا[6] .

مما تقدم نجد أن لفظة « وِرَاقة » قد جاءت عند أبى حيان بمعناها الاصطلاحى الخاص بنَقْل الكتب وتصحيحها ثم بيعها ونشرها بين الناس[7] وكان التوحيدى يُوَرِّق لأمراء ووزراء عصره ويتخذ من الوِرَاقة موردًا لرزقه[8] ، وأصبحت الوِرَاقة مهنة رائجة في ذلك العصر[9] .

---

(١) مثالب الوزيرين ص ٣٢٥ .
(٢) الإمتاع جـ ١ ص ٤ .
(٣) الصداقة والصديق ص ٤٧٥ .
(٤) الإمتاع جـ ١ ص ٥٤ .
(٥) مثالب الوزيرين ص ٣٢٦ .
(٦) الحضارة الإسلامية ميتز جـ ١ ص ٣٤٣ .
(٧) الإمتاع جـ ١ ص ٤ .
(٨) الإمتاع جـ ٢ ص ٤ .
(٩) مثالب الوزيرين ص ٢٠٣ .

أما التغير الدلالى الذى طرأ على لفظة الوراقة ، فنجد أن دلالة هذه اللفظة قد اتسعت فى عصر أبى حيان بعد أن كثر استخدامها وانتشرت بشكل يعد من مميزات ذلك العصر ، فقد اتخذ العلماء الوراقين لنقل كتبهم ونشرها ، وازدادت الدلالة اتساعًا حينما أُنشئت المكتبات العامة[١] .

ونجد **مما تقدم** أن لفظة « نَسْخ » قد جاءت عند أبى حيان بمعانٍ منها المعنى الفقهى[٢] كما ورد عند أهل الشرع[٣] والمعنى الاصطلاحى الدال على كتابة الكتب ونقل ما فيها حرفًا بحرف[٤] ، وبهذا المعنى الاصطلاحى الخاص بالكتب ونقلها ذكر أبو حيان الفعل نَسَخَ بتصاريفه المتعددة[٥] وجاءت لفظة الانتساخ عند أبى حيان بمعنى الكتابة وهذا الاشتقاق من المادة « نَسْخ » لم يرد فى اللسان عند تناوله لهذه المادة ويعد اشتقاقا جديدا ورد عند أبى حيان فى كتاباته وكثر استخدامه فى عصره .

أما التغير الدلالى الذى طرأ على لفظة النسخ فنجد أن دلالة هذه اللفظة قد **اتسعت** فى عصر أبى حيان نتيجة لكثرة استخدامها فى أوساط الناسخين والوراقين وغيرهم ممن يشتغلون فى الحياة الثقافية ، فهذا الانتشار الكبير للفظة النَّسْخ أدى إلى اتساع **دلالتها** فى ذلك العصر . ثم نجد أن دلالة لفظة النسخ قد **تخصصت** أيضا فى هذا العصر الذى نؤرخ له ، فبعد أن كانت هذه اللفظة تعنى الإزالة والنَّقْل وهذا معنى شامل أصبحت فى عصر أبى حيان ذات معنى محدد وهو ما يتعلق بنقل

---

(١) معجم المصطلحات العربية مجدى وهبة ص ٢٣٧ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢٨٥ .
(٣) التعريفات للجرجانى ص ٢٦٠ وانظر الكليات لأبى البقاء جـ ٤ ص ٣٣٩ .
(٤) مثالب الوزيرين ص ٢٢٩ ، وانظر الإمتاع جـ ٣ ص ٢٢٦ .
(٥) مثالب الوزيرين ص ٣٢٦ ، وانظر الإمتاع جـ ١ ص ٥٤ .

الكتب **فتخصصت الدلالة** بتحديدها بهذه المهنة الثقافية التى ازدهرت فى عصر أبى حيان وقد كان من المحترفين لهذه الحرفة الثقافية[1] .

(٦) التعليم ، التأديب :

لفظة التعليم لها دلالة ثقافية بين جمهور المُتَعَلِّمين والمُعَلِّمين والعلماء . جاء فى تاج العروس : عَلَّمَه العِلْم تَعْليمًا وإعلامًا فتعلم ، والتعليم اختص بما يكون بتكرير وتكثير حين يحصل منه أثر فى نفس المتعلم وقال بعضهم التعليم تنبيه النفس لتصوير المعانى والتَعَلُّم تنبه النفس لتصور ذلك ، وتعليم آدم الأسماء هو أن جعل له قوة بها نطق ووضع أسماء الأشياء وذلك بإلقائه فى روعة وكتعليمه الحيوانات كل واحد منها فعلا يتعاطاه وصوتا يتحراه[2] .

ويعرف التوحيدى لفظة **التَّعْلِيم** فيقول : أنفس العلماء عالمة بالفعل ، وأنفس المتعلمين عالمة بالقوة . والتعليم هو إبراز ما بالقوة إلى الفعل[3] ، وفى فضيلة التعليم يقول الغزالى : أما الآيات فقوله عز وجل :﴿ ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾والمراد هو التعليم والإرشاد وقوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ﴾ ، وهو إيجاب للتعليم . وقال تعالى : ﴿ ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ . وقال ﷺ : « من تعلم بابًا من العِلْم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صديقا » . وقال معاذ بن جبل فى التَّعْلِيم والتَّعَلُّم : « تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومُدارسته تسبيح والبحث عنه

---

(١) الصداقة والصديق ص ٤٧٥ .
(٢) تاج العروس جـ ١ ص ٤٠٥ .
(٣) الإمتاع جـ ١ ص ٤٠ .

جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة وهو الأنيس فى الوحدة والصاحب فى الخلوة ، والدليل على الدين والصبر على السراء والضراء والوزير عند الأخلاء والقريب عند الغرباء[(١)] .

وفى هذا المجال يذكر لنا أبو حيان نصًّا عن شرف التعليم فيقول : إنما يخرج الزبد من اللبن بالمخض . وإنما تظهر النار من الحجر بالقدح . وإنما تستثار النجابة من الإنسان بالتعليم[(٢)] ، وقال أبو حيان عن التعليم : وإيثارا للإغضاء والاحتمال فإنهما أبلغ في الإصلاح ، وأنجع فى الاستنجاح ، وأبلغ فى التعليم ، وأكبر فى التقويم إن احتيج إليه فى مثلك ممن تؤمن عليه قريحته ، وترده إلى الاستقامة تجربته[(٣)] . ونرى التوحيدى يورد نصًّا يقول فيه ذاكرًا لفظة التَّعْلِيم ومعها لفظة **التَّعَلُّم** : فإنه يهديك إلى صراط مستقيم بلا تَعَلُّم ولا تَعْلِيم ولا تكلم ولا تكليم[(٤)] ، وترد لفظة تعليم فى نص لأبى حيان يتحدث فيه عن ابن طرخان ورسائله لابن العميد فيقول على لسان ابن طرخان : ولما رأيتك أيها الأُستاذ سعيدًا فى هذه العاجلة بالمال والولاية ، آثرت أن تكون سعيدًا فى تلك الآجلة بالإحسان والمعروف فكتبت حروفًا قصدت بها إذكارك لا تعليمك لأنك تجل عن التعليم لما أوجب الله لك علينا من التعظيم[(٥)] .

ومن أنواع التعليم التى يذكرها أبو حيان **التعليم الهندسىّ** فيقول : التَّعْلِيم الهندسىّ صناعة من الصناعات العقليّة والأنسيّة ، ويقع تحتها عِلْم المقادير والأبعاد والأشكال والزوايا[(٦)] .

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالى جـ ١ ص ١٢ .
(٢) المقابسات ص ٢٧١ .
(٣) الصداقة والصديق ص ٤٣٠ .
(٤) الإشارات الإلهية ص ١٨٠ .
(٥) مثالب الوزيرين ص ٣٤٣ .
(٦) المقابسات ص ٣٩١ .

ولفظة أخرى تستعمل بمعنى التعليم وهى لفظة **التَّأْدِيب** وقد جاء فى اللسان : أَدَّبَه فتَأَدَّب عَلَّمه . وفلان قد استأدَب بمعنى تأدَّب . والأَدَب الظرف وحسن التناول وسمى أدبا لأنه يأدُب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح(١) .

وقال التهانوي فى كشافه : الفرق بين التأدِيب والتَّعْلِيم أن التأدِيب يتعلق بالمروءات والتَّعْلِيم بالشرعيات ، أى الأول عرفي والثانى شرعي ، والأول دنيوى والثانى دينى ، والتأديب لتهذيب الأخلاق وإصلاح العادات(٢) ويجمع المؤرخون على أن مهنة التأدِيب ازدهرت فى العصر العباسى وكان مُؤَدِّبو الأمراء أحسن المُؤَدِّبين حالًا ، وكان الخلفاء والأمراء والأغنياء يتخذون لأولادهم مؤدبين يختارونهم من علماء اللغة المشهورين فى ذلك العصر(٣) .

وبهذا المعنى التربوى للفظة التأديب يقول أبو حيان مخاطبًا من يقوم على تأديبه : ولولا أن عذرى فى تقويمك وتأديبك وتهذيبك وتربيتك يغمض على كثير من هذا الحديث لسلخت شواتك(٤) ، وترد لفظة التأديب عند أبى حيان بمعنى التأنيب والعقاب فيقول : عرض رجل لسعيد بن العاص وهو أمير الكوفة فقال حجبت عنك ، قال : قد أمرنا لك بمائة ألف درهم وما يملكه الحاجب تأديبًا له(٥) .

ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة التأدِيب بمعنى التربية والتعليم : على المرء أن ينظر إلى محاسن الناس ومساوئهم ، ثم يأخذ نفسه بتأديبها فى إحياء عِلْم ما يعلم من الأمور بالعمل ، واستجلاب عِلْم ما جهل منها بالتعليم ثم لا يكون تأديبه لنفسه فى

---

(١) اللسان جـ ١ ص ٣٣ .

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى جـ ١ ص ٧٩ .

(٣) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ ١ ص ٣٤٧.   (٤) مثالب الوزيرين ص ١٧٢ .

(٥) البصائر جـ ٢ ص ٨١٨ .

غير وقت واحد ولا معلوم ، فإنه واحد فى كل حين من أحايين الدهر خَال من حالات نفسه التى تتحرك من ضروب النصب واللهو موضع تأديب وتقويم لها حتى لا يكون لأهل طبقة من الطبقات ، عليه فى طبقته التى يشاركهم فيها الفضل وترك التأديب ضرر ، وذو الضرر نصب عليل(١) . ويقول أبو حيان ذاكرًا التأديب وطرقه : ومِنْهاج التأدِيب تيقّظ المرء لطلب الأدب(٢) ، ويقول أيضا فى معنى التأديب أى التربية والتعليم ، قال أعرابى : نصح الصديق تأديب ، ونصح العدو تأنيب(٣) ولفظة تأديب ارتبطت بها لفظة **التأدُّب** وقد وردت عند التوحيدى عندما سأله الصاحب ابن عباد ، فقال له : بلغنى أنك تتأدب قلت : تأدُّب أهل زمان(٤) وعن تَأدّب أهل زمان يحدثنا أبو حيان فيقول عن أهل مَحَلّته وصحبه : كان معنا جماعة من أطراف المَحَلّة وفتيان السكة ليس فيهم إلا من يتأدب تأدُّبًا يليق به ويغلب عليه(٥) . ويتعجب من أحدهم فيقول له ذاكرًا الفعل **تتأدَّب** : أتريد أن تجالس الملوك ولما تتأدب(٦) وقال ذاكرًا لفظة التأدُّب : لو لم أدع الكذب تحوبا لتركته تأدُّبا(٧) . وقال ذاكرًا لفظة مُؤدَّبة والفعل تأدَّب : وكل واحد منهم يصيب ذلك بعقله ويستخرجه بفطنته وفكرته فلا يتعلمون ، ولا يتأدبون بل نحائر مؤدبة(٨) .

وترد لفظة تأدُّب فى نصٍّ لأبى حيان يبيّن فيه مدى افتتانه بالجاحظ فيقول : أنا ألهج–أيدك الله–بكلام أبى عثمان ولى منه شركان. من أفاضل الناس فلا تنكر روايتى لكلامه فإن لى فيه شفاء ، وبه تأدُّبًا ومعرفة(٩) .

---

(١) البصائر جـ ٢ ص ٨٥٤ .

(٢) البصائر جـ ٢ ص ٨٥٤ .

(٣) الصداقة ص ٣٣٧ .

(٤) مثالب الوزيرين ص ٢٠٣ .

(٥) المقابسات ص ١١٢ .

(٦) البصائر جـ ١ ص ٣٦ .

(٧) الإشارات الإلهية ص ٣٧٦ .

(٨) الإمتاع جـ ١ ص ٧٢ .

(٩) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٢٧٩ .

مما تقدم يتضح أن لفظة «تعليم» جاءت عند أبي حيان بالمعنى اللغوى[1] من عَلَّمه العِلْم وأَعْلَمه إياه فَتَعَلَّمه ، وجاءت بالمعنى التربوى الأخلاق[2] وبالمعنى الاصطلاحى الحرفى[3] وهى طريقة تلقى العلم من شيوخه حسب مناهج معينة[4] ، ومهما تعددت معانى لفظة التعليم فى نصوص أبى حيان إلا أنها تدخل تحت المعنى الشامل لهذه اللفظة ، فهى وجوه متعددة لدلالة واحدة . ولفظة التعليم لها روافد متنوعة تصب فى مجرى واحد وهو بحر العِلْم . ولم يقف صاحب اللسان عند هذه اللفظة إلا وقفة عابرة فى حديثه عن تعليم السحر . فهى إذن من الألفاظ التى تضمنت **معنًى جديدًا** فى عصر ازدهار الثقافة عصر أبى حيان التوحيدى .

وفى مجال التطور الدلالى نجد أن دلالة لفظة التعليم قد **اتسعت** فى عصر أبى حيان ، نتيجة لكثر استخدامها فى أوساط طلاب العلم والمعلمين وأساتذة العِلْم وشيوخه ، الذين يكثر وجودهم فى دوْر العلم المنتشرة فى أرجاء متعددة من المملكة الإسلامية . ونجد أيضا أن دلالة لفظة التعليم قد يخصصها السياق اللغوى بعد أن أصبحت دالة على مهنة التعليم التى تحدد معناها عند أبى حيان بتحديده لنوعية التعليم ، كالتعلم الهندسى فوصف لفظة التعليم خصص دلالتها .

ونجد لفظة تأديب جاءت عند أبى حيان بمعنى عام يدل على التربية والتعليم[5] والإرشاد والتقويم[6] وأيضا بمعنى العقاب والتأنيب[7] وجاءت لفظة التَأْدِيب بمعنى اصطلاحى يدل على مهنة ثقافية تربوية[8] حسب مِنْهاج معين . ومع لفظة التأديب جاءت لفظة تَأَدُّب عند أبى حيان بمعنى أخلاق تربوى[9] وبمعنى

---

(1) الإمتاع جـ ١ ص ٤٠ .
(2) المقابسات ص ٢٧١ .
(3) الصداقة والصديق ص ٤٣٠ .
(4) المقابسات ص ٣٩١ .
(5) البصائر جـ ٢ ص ٨٥٤ .
(6) الصداقة والصديق ص ٣٣٧ .
(7) البصائر جـ ٢ ص ٨١٨ .
(8) مثالب الوزيرين ص ١٧٢ .
(9) البصائر جـ ١ ص ٣٦ .

اصطلاحى تعليمى[1] . وهاتان اللفظتان **تأديب وتأدُّب** هما **اشتقاقان جديدان** من المادة « أدب » ذكرهما أبو حيان فى كتاباته ، ولم تردا فى اللسان عند تناوله لهذه المادة .

أما فى مجال التطور الدلالى فنجد أن دلالة لفظة التأديب قد **اتسعت** فى عصر أبى حيان نتيجة لكثرة من يمتهن هذه المهنة من المؤدِّبين لأولاد الخلفاء والأمراء والأغنياء . ونجد أن دلالة لفظة التأدِيب قد **تخصصت** أيضا فى عصر أبى حيان عندما استعملت لفظة التأديب للدلالة على حرفة من الحرف الثقافية فى ذلك العصر وعندما حدد أبو حيان مِنْهاج التأديب فخصص الدلالة لهذه اللفظة التى كثر استخدامها فى عصره .

ومن الملاحظ أن لفظة تأديب جاءت عند أبى حيان **مرادفة** للفظة تعليم واللفظتان تستخدمان فى معنَيى تقويم الأخلاق وتعلم العلوم والآداب .

(٧) الإمـــــــــلاء :

من الألفاظ التى تدل على أهم الحرف الثقافية فى العصر العباسى ، وقد جاء فى اللسان : الإملاء والإمْلال على الكاتب واحد . وأمْليت الكتاب أملى وأمْلَلْتُه أُمِلُّه لغتان جيدتان جاء بهما القرآن . واستمليته الكتاب : سألته أن يمليه علىّ[2] . وكان الإملاء فيما مضى من الزمان يعتبر أعلى مراتب التَّعليم ، وكثيرا ما كان المتكلمون واللغويون فى القرن الثالث الهجرى يتبعون طُريقة الإملاء خاصة ، فيحكى أن الجبائى المعتزلى أملى مائة ألف وخمسين ألف ورقة[3] ويصف أبو حيان

---

(١) الإمتاع جـ ١ ص ٧٢ وانظر مثالب الوزيرين ص ٢٠٣ .

(٢) اللسان جـ ٣ ص ٥٣٢ .

(٣) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ١ ص٣٣٤ .

أبا عبد الله الجَعْل الذى انتهت إليه الرياسة فى عِلْم الكلام فى عصره ، وكان كذلك فقيها فيقول فى وصفه : وكان يرجع إلى قوة عجيبة فى التدريس ، وطول نفس فى الإملاء ، مع ضيق صدر عند لقاء الخصم[1] ويقال إن آخر من أملى من اللغويين هو أبو القاسم الزجاجى ٣٩٥ هـ أما إملاء الحديث فقد بقى كما صرح بذلك السيوطى[2] .

وترد لفظة **إملاء** فى قول أبى حيان وهو يصف نصًّا للرمانى : هذا آخر ما كتبت عن على بن عيسى الرمانى الشيخ الصالح بإملائه وكان أبو سعيد قد روى لمعًا من هذه القصة[3] . وترد لفظة الإملاء فى نصوص كثيرة جدًّا من كتابات أبى حيان وخاصة ما ذكره فى الإمتاع والمؤانسة وفى المقابسات وذلك فى حديثه عن أستاذه أبى سليمان وما كان يُمليه عليه فيقول فى مقابساته : قال أبو سليمان إملاء : الطبيعة اسم مشترك يدل على معان[4] ، ويقول أيضا : قال أبو سليمان : قد صح أن الطبيعة مرتبتها دون مرتبة النفس ، وأنها تعشق النفس ، وتتقبل آثارها وتتمثل بأمرها ، وتكمل بكمالها وتعمل على استعمالها ، وتكتب بإملائها وترسم بإلقائها[5] ويقول فى الإمتاع والمؤانسة ذاكرًا لفظة إملاء : قال أبو سليمان كلامًا كثيرًا أنا أحكيه على وجهه من طريق المعنى وإن انحرفت عن أعيان لفظه ، وأسباب نظمه ، فإن ذلك لم يكن إملاء ولا نسخا ، وأجتهد أن ألزم متن المراد[6] ويقول فى الإمتاع فى حديثه عن أبى سليمان وحرفة الإملاء : هذا منتهى كلامه على ما علقه الحفظ ، ولقنه الذهن ، ولو كان مأخوذا عنه بالإملاء لكان أقوم وأحكم ، ولكن السرد باللسان ، لا يأتي على جميع الإمكان فى كل مكان[7] .

---

(١) الإمتاع جـ ١ ص ١٤٠ .

(٢) الحضارة الإسلامية ميتز جـ ١ ص ٣٣٥ .

(٣) الإمتاع جـ ١ ص ١٢٨ .

(٤) المقابسات ص ٣١١ .

(٥) المقابسات ص ١١٣ .

(٦) الإمتاع جـ ٣ ص ١٠٨ .

(٧) الإمتاع جـ ٤ ص ١٤٤ .

والفعل يُمْلي يرد عند أبي حيان كثيرا وفي نص له يقول أبو حيان واصفًا أبا بشر متى وموردًا الفعل يُمْلي في نصه : كان يُمْلي ورقة بدرهم مُقْتَدرى وهو سكران لا يعقل ، ويتهكم وعنده أنه في ربح وهو من الخاسرين أعمالًا[1] وفي مديحه لأبي إسحق الفارسي يقول أبو حيان ذاكرًا الفعل أَمْلَى : وكان من غلمان أبي سعيد السيرافي ، وكان فَهِمًا بالكِتاب وقرض الشعر ، وصنَّف وأملى ، وشرح ، وتكلم في العروض والقوافي[2] ، ويقول أبو حيان ذاكرًا الفعل أملى : ولقد قطن العامرى الرى خمس سنين جمعة ودرس وأملى وصنَّف وروى[3] ، ويرد الفعل أملى في أحاديث أبي حيان عن أستاذه أبي سليمان وما كان يُمليه عليه فيقول في مقابساته : أملى أبو سليمان على جماعة كنت أحدهم سنة إحدى وسبعين وثلثمئة ، وقد سُئل عن الواحد[4] ، ويقول أبو حيان : أملى على أبو سليمان فقال : الدهر هو إشارة إلى امتداد وجود ذات من الذوات[5] ، ويقول أيضا في مقابساته مبتدئًا بالفعل أملى : أملى على أبو سليمان ، فيما أملى السلب هو نفى شيء من شيء[6] ، ويطول بنا الحديث عن أمالى أبي سليمان وهي كثيرة جدا وخاصة ما احتوى عليه كتاب المقابسات من هذه الأمالى . وأصحاب الإملاء اختصروا فيه حتى أن أغلب العلماء كانوا يختصرون في أَمالِيهم ويطيلون في تدريسهم[7] وهذا الأمر نراه بوضوح في القرن الرابع الهجرى إذ ترك اللغويون طريقة المتكلمين والمحدثين في الإملاء ، واقتصروا على تدريس كتاب يَقرأ منه أحد الطلبة والمُدَرِّس يشرح. وكان المُسْتَملى يكتب أول القائمة مجلس أملاه شيخنا فلان بجامع كذا في يوم كذا[8] .

---

(1) الإمتاع جـ ١ ص ١٠٧ .
(2) مثالب الوزيرين ص ٢٣٢ .
(3) الإمتاع جـ ١ ص ٣٦ .
(4) المقابسات ص ٣١٥ .
(5) المقابسات ص ٣٠١ .
(6) المقابسات ص ٣١٠ .
(7) الحضارة الإسلامية جـ ١ ص ٣٣٥ .
(8) الحضارة الإسلامية جـ ١ ص ٣٣٤ .

مما تقدم نلاحظ أن لفظة الإملاء جاءت عند أبي حيان بالمعنى الاصطلاحى[1] الذى يدل على حرفة ثقافية ، كانت تعتبر فى القرن الرابع من أعظم الحرف وأرقاها فى ذلك العصر ، بعد أن ذهب بعض العلماء[2] فى مناهج تآليفهم إلى إملاء الموضوعات التى يريدون طرحها على أسماع تلاميذهم . وكتابات أبي حيان توضح لنا أهمية هذه الحرفة الثقافية ومدى انتشارها فى عصره ففى كتاب الإمتاع والمؤانسة مجموعة من الأمالي التى تتضمن ألوانًا منْ الأدب والتاريخ واللغة والفلسفة والشريعة وغيرها من أصناف العلوم والمعارف ، والذى ينظر فى هذا الكتاب لا يرى كبير فرقٍ بين عنوان الأمالي ، أو عنوان المَجالِس فهذا الكتاب يعد من أعظم كتب الأمالى فهو سلسلة من المحاضرات التى ألقاها أبو حيان فى ندوة أبي عبد الله العارضى بن سعدان وزير بنى بويه فى بغداد . وكذلك كتاب المقابسات فيه مجموعة كبيرة من أمالى أبي سليمان السجستانى[3] أستاذ أبي حيان وأكثر أماليه أملاها على تلميذه هذا ، وكان للفلسفة والمنطق النصيب الأكبر من موضوعاتها .

أما التطور الدلالى فنجد لفظة الإملاء قد اتسعت دلالتها نتيجة لكثرة استخدامها فى عصر أبي حيان بين أوساط المتكلمين واللغويين وأهل الحديث وكانت وظائف الحافظ فى اللغة أربعة ، إحداها وهى العُليا الإملاء ، كما أن الحفاظ من أهل الحديث أعظم وظائفهم الإملاء[4] ، ونجد أيضا أن دلالة لفظة الإملاء قد تخصصت فى عصر أبي حيان بعد أن أصبحت تدل على مهنة ثقافية اشتهر بها عدد من علماء ذلك العصر وكانت لهم أمالى معنونة بأسمائهم .

---

(١) الإمتاع جـ ١ ص ١٤٠ .
(٢) الإمتاع جـ ١ ص ١٢٨ وانظر مثالب الوزيرين ص ٢٣٢ .
(٣) المقابسات ص ٣١١ ، ١١٣ ، ٣١٠ ، وأماكن كثيرة جدا .
(٤) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ ٢ ص ٤٣٤ .

(٨) التنقيح ، التصحيح :

جاء فى اللسان : التنقيح من نَقَّح العصا : شَذَّب عنها أُبَنَها ، ونَقَّح العظم : إذا استخرج مخه ، ونَقَّح الشيء عامة قَشَّره . وكل ما نحيت عنه شيئًا ، فقد نَقَّحته . ونَقَّح الكلام : فَتَّشه وأحسن النظر فيه وهَذَّبه وأزال عيوبه ، وتنقيح الجذع : تشذيبه وتنقيح الشعر : تهذيبه[١] ، ومن أصحاب المعجمات من نَصَّ على أن تنقيح الكلام مأخوذ من تنقيح العصا ، ففى أساس البلاغة قال الزمخشرى : نقح العود : شَذَّبه ومن المجاز : نقح الكلام[٢] ، وفى التعريفات يقول الجرجانى : التنقيح : اختصار اللفظ مع وضوح المعنى[٣] وجعل ابن قتيبة تنقيح الشعر جزءا من مظاهر التكلف فى النظم فقال فى كتابه الشعر والشعراء فى تعريفه للشاعر : هو الذى قوم شعره بالثقاف ، ونقحه بطول التفتيش وأعاد فيه النظر بعد النظر[٤] .

ولفظة **التنقيح** ذكرها أبو حيان فى أماكن متعددة من كتاباته ففى البصائر والذخائر ترد لفظة التنقيح بمعنى تهذيب الكلام وإصلاحه وبهذا المعنى يقول أبو حيان فى مقدمة كتابه هذا شارحًا الغرض من تأليفه موردًا لفظة تنقيح فى قوله : ثبت – أطال الله بقاءك – الرأى بعد المخض والاستخارة ، وصح العزم بعد التنقيح والاستشارة على نقل جميع ما فى ديوان السماع ، ورسم ما أحاطت به الرواية ،

---

(١) اللسان جـ ٢ ص ٦٩٩ .

(٢) أساس البلاغة للزمخشرى جـ ٢ ص ٤٦٩ وانظر الكليات لأبى البقاء جـ ٢ ص ١٠٥ .

(٣) التعريفات للجرجانى ص ٧١ .

(٤) الشعر والشعراء ابن قتيبة جـ١ ص ٧٨ .

واشتملت عليه الدراية ، منذ عام خمسين وثلاثمائة ، مع توخى قصار ذلك دون طويله وسمينه دون غثه[1] ويقول أبو حيان فى بصائره أيضا ذاكرًا لفظة التنقيح بمعنى التهذيب للفظ : لفظ لم يخدمه التنقيح ، ولم يشق عليه الرأى ، ولم يستعن عليه بالسهر ، ولم يجتلب إليه المعنى المبيت المخمر وعلى هذا جرى الكِتاب من أوله ، والله تعالى أسأل بلوغ آخره[2] وترد لفظة تنقيح فى نصوص أخرى من كتابات أبى حيان بمعنى التهذيب وإزالة التشويه عن النص وتصحيح ما يلحقه من أخطاء وبهذا المعنى يقول أبو حيان فى نصٍّ له من كتاب الإمتاع والمؤانسة : إن فى المُحادثة تنقيحًا للأدب[3] وبهذا المعنى ترد لفظة تنقيح فى نص آخر لأبى حيان جاء فى كتاب المقابسات وفيه يقول واصفا المقابسة الثانية والستين : هذه المقابسة آثارها قولنا لأبى سليمان : ما أحسن كلمات بطليموس فى الثمرة . ولقد شرحها ناس أفادوا فيها ، وأفادوا منها ، وما أحوجنا إلى أخواتهن فى الفلسفة الإلهيّة والطبيعيّة ، فإنها توعى وتحفظ ، وتصير كالجوهرة التى تصلح للذخر . فقال : فخذوا ، إذن من ذلك ما يسمح به الوقت ، ويجود به واهب العقل . فإن فسح الزمان كر عليه بالتنقيح والإصلاح ، وربما يكون كالشرح والإيضاح[4] .

ومن المادة « نَقْح » يذكر أبو حيان لفظة مُنَقح وذلك في مقدمة كتابه البصائر والذخائر وترد لفظة مُنَقَّح عند أبى حيان كما أوردتها المعاجم بمعنى الكلام المهذب الذى أزيلت عيوبه وأحسن النظر فيه[5] فيقول أبو حيان فى مقدمة كتابه هذا موردا لفظة منقح بهذا المعنى الخاص بالكلام الذى هذبت ألفاظه : وفقرة مكنونة ولمعة ثاقبة ، ونصيحة كافية ، وإمتاع مؤنس ، ونادرة ملهية ، وعقل ملقح ، وقول مُنَقَّح ، وهزل مشيب بجد ، وجد عجن بهزل[6] .

---

(١) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣ .

(٢) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٤٨١ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٢٦ .

(٤) المقابسات ص ٢٤٤ .

(٥) اللسان جـ ٣ ص ٧٠٠ .

(٦) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٤ .

والتصحيح من الألفاظ التي تستخدم كثيرا في مجال الثقافة ومصطلحاتها ، وقد كثر استعمال هذه اللفظة كشكل من أشكال العمل الثقافي في عصر أبي حيان . يقول صاحب اللسان : الصُّح والصِّحَّة ، والصَّحاح : خلاف السقم وذهاب المرض وصَحَّحه الله ، فهو صحيح وصحاح ، بالفتح وهو البراءة من كل عيب وريب ، وصَحَّحْتُ الكتاب والحساب إذا كان سقيما ما صلحت خطأه وأتيت فلانا فأصححته أي وجدته صحيحًا ، والصحيح من الشعر : ما سلم من النقص[(1)] ويقول الجرجاني في تعريفاته : التصحيح في اللغة إزالة السقم من المريض وفي الاصطلاح إزالة الكسور الواقعة بين السهام والروس[(2)] ويوضح التهانوي في كشافه معنى لفظة التصحيح فيقول : التصحيح من تفعيل من الصُّحَّة التي هي ضد السقم فيكون المعنى إزالة السقم من السقيم . وعند أهل الفرائض هو أن يؤخذ السهام من أقل عدد يمكن على وجه لا يقع الكسر على واحد من الورثة . وعند المحدثين هو كتابة صح على كلام يحتمل الشك بأن كرر لفظ مثلا يحل تركه[(3)] .

يذكر أبو حيان لفظة **التصحيح** بالمعنى الذي أوردته المعاجم ، لهذه اللفظة فيقول في نص له موردا لفظة التصحيح ، بمعنى إصلاح الخطأ الإملائي أو النَّحوي في كتاب من الكتب : وعهدك الحديث حين اجتمعنا بمدينة السلام سنة ثمان وخمسين ، وأوصلك إلى الأستاذ أبي عبد الله العارضي – أدام الله تأييده – وأخطب لك قبولا منه ، وتخفيف الأذن عليك ونيل الحظوة بخدمتك ، وملازمتك ، وفعلت ذلك كله حتى استكتبتك كتاب الحيوان لأبي عثمان الجاحظ لعنايتك به ،

---

(1) اللسان جـ ٢ ص ٤١٠ .
(2) التعريفات للجرجاني ص ٦١ .
(3) كشاف اصطلاحات الفنون جـ٣ ، ص ٨١٩ .

وتوفرك على تصحيحه[١] . وترد لفظة تصحيح فى نصوص أخرى من كتاب الإمتاع والمؤانسة بمعنى إصلاح الخطأ الكتابى وتقويم النص لأى أثر من الآثار الأدبية والعلمية وفى هذا المعنى للفظة التصحيح يقول أبو حيان : أما القُوْمَسى أبو بكر ، فهو رجل حسن البلاغة حلو الكتابة ، كثير الفقر العجيبة ، جَمّاعة للكتب الغريبة محمود العناية فى التصحيح والإصلاح والقراءة[٢] . ويقول أيضا موردًا لفظة التصحيح فى قوله : إن أقرب الطرق وأسهل الأسباب هو معرفة الطبيعة والنفس والعقل والإله تعالى ، فإنه متى عرف هذه الجملة بالتفصيل واطلع على هذا التفصيل بالجملة ، فقد فاز الفوز الأكبر وكفى مؤونة عظيمة فى قراءة الكتب الكبار ذوات الورق الكثير ، مع العناء المتصل فى الدرس والتصحيح[٣] . وترد لفظة تصحيح عند أبى حيان بمعنى تصحيح الخطأ اللغوى وذلك فى قوله : نَمى ينمى وينمو نموا لغة فى هذا ، ونميا من ذاك ، والنماء الاسم ، ونماه الله فى الدعاء ، وقد قيل : أنماه الله ، وهو قليل ، والعربية ما قلته لك وهذا كله سماع بعد تحكيك ومدارسة ، وتصحيح ومقايسة[٤] وترد لفظة تصحيح أيضا بمعنى إصلاح الخطأ فى التعبير فيقول أبو حيان ذاكرًا لفظة التصحيح بهذا المعنى فى نص له ورد على لسان أبى سليمان : إذا استقام لك عمود المعنى فلا تكترث ببعض التقصير فى اللفظ ، وليس هذا منى تساهلا فى تصحيح اللفظ ، واختلاف الرونق وتخير البيان ولكن أقول متى جمع اللفظ ولم يؤات ، واعتاص ولم يسمح ، فلا تفت نفسك حقائق المطلوبات وغاية المقصودات[٥] ، ويذكر أبو حيان لفظة تصحيح أيضا بمعنى دينى وهو إزالة الخطأ وإصلاح النقص والتقويم فيقول : وقد اتفقت آراء الأوائل كلها على إصلاح السيرة وتصحيح الاعتقاد[٦] وترد لفظة تصحيح عند

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٥ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٣٤ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٠٦ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣٥٠ .
(٥) المقابسات ص ٣٧٥ .
(٦) المقابسات ص ١٦٤ .

أبى حيان بمعنى إزالة السقم من الجسم وفى هذا المعنى يقول أبو حيان فى وصفه لحديث أبى غالب الأصبهانى : فأين لى ما قلته ، فهو تعريض كالتصريح ، وتمريض كالتصحيح[1] .

مما تقدم يتضح لنا أن لفظة «تنقيح» جاءت عند أبى حيان بمعنى تهذيب الكلام وتحسينه بإزالة عيوب ألفاظه وتوضيح معانيه[2] ، وجاءت بمعنى تهذيب الكتب بإزالة التحريف من نصوصها وتقويمها بإزالة الأخطاء الإملائية أو النحوية[3] وهذا هو المعنى الاصطلاحى الخاص بالكتب ، والذى أورده أبو حيان فى معظم نصوصه المتضمنة للفظة التنقيح ، وهو المعنى الذى يدل على شكل من أشكال العمل الثقافى . وفى مجال التطور الدلالى نجد أن دلالة لفظة تنقيح قد اتسعت فى عصر أبى حيان نتيجة لكثرة استخدام هذه اللفظة فى أوساط المشتغلين بالثقافة .. ونجد أن دلالة لفظة التنقيح قد انتقلت من مجال مادى إلى مجال معنوى حيث إن هذه اللفظة استخدمت فى البداية بمعنى تشذيب الغصن أو العصا وغيرها من الأشياء المادية الأخرى ، ثم انتقلت دلالة هذه اللفظة إلى مجال آخر بعد أن دخلت ميدان الأدب ، فأصبحت تستخدم لتهذيب الكلام بصفة عامة والأدب بشكل خاص[4] ، وبانتقال الدلالة من مجال إلى آخر نجد أن الدلالتين قد اشتركتا بجزء من المعنى وهو التخليص من الشوائب .

ونجد أيضا فى نصوص أبى حيان أن دلالة لفظة التنقيح قد تخصصت ، بعد أن أصبحت ذات دلالة أدبية متعلقة بالأعمال الخاصة بالكتب وغيرها من الآثار العلمية .

ونجد أن لفظة **تصحيح** جاءت عند أبى حيان بمعنى لغوى ، وهو إزالة السقم

---

(١) مثالب الوزيرين ص ٢٨٨ .

(٢) المقابسات ص ٢٤٤ .

(٣) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٢٦ .

من السقيم[1] وإزالة الخطأ من المعتقد ، أو النص الكتابى[2] ، وجاءت بمعنى اصطلاحى خاص بالكتب وإصلاح أخطائها الناتجة عن إهمال الناسخ[3] وهذا المعنى الخاص بنصوص الكتب هو المعنى الأكثر ورودا عند أبي حيان .

أما فى مجال التطور الدلالى للفظة **التصحيح** فنجد أن دلالة هذه اللفظة قد اتسعت فى عصر أبى حيان وذلك لكثرة انتشارها بين النُّسَّاخ والوَرَّاقين وغيرهم من المشتغلين بالحرف الثقافية . ونجد أيضا أن دلالة لفظة التصحيح قد تخصصت فى هذا العصر عندما تحدد عمل من يمتهن هذه الحرفة الثقافية فتحديد العمل أدى إلى تخصيص الدلالة ، وأبو حيان خصص دلالة اللفظة حينما أضافها إلى كلمة لفظ[4] فتصحيح اللفظ خصص الدلالة . ونجد أن لفظة التصحيح قد انتقلت دلالتها من مجال معنوى إلى آخر مادى ، فبعد أن كانت تستخدم فى بدء استعمالها بمعنى إزالة السقم من المريض ، أصبحت فى عصر أبى حيان تستخدم بمعنى إزالة الأخطاء النحوية واللغوية من الكتب ، فانتقلت الدلالة من مجال إلى آخر مع اشتراك الدلالتين بجزء من المعنى وهو الإزالة .

ومن الملاحظ أن لفظة التصحيح مرادفة للفظة التنقيح فكلتا الدلالتين تعنى تخليص الشيء أو العمل الأدبى من شوائبه بإزالة أخطائه وإصلاح ما فسد منه وإبرازه بأحسن صورة ممكنة .

* * *

(١) مثالب الوزيرين ص ٢٨٨ .

(٢) المقابسات ص ١٦٤ .

(٣) الإمتاع جـ١ ص٥، وانظر ص٣٤.

(٤) المقابسات ص ٣٧٥ .

الفصـــل الثالث

« دور العلم والمؤسسات الثقافية وأنشطتها »

يحتوى هذا الفصل على المجموعات الدلالية الأساسية التالية :

أولا : الألفاظ الخاصة بدور العلم والمؤسسات الثقافية :

(١) المسجد ، الجامع .

(٢) المكتب ، المكاتب

(٣) النادى ، النوادى ، الأندية .

(٤) المجلس ، المجالس .

(٥) الحلقة ، الرِّواق .

ثانيا : الألفاظ الخاصة بأنشطة المجالس الثقافية :

(١) المُناظرة المناظرات .

(٢) المُذاكرة .

(٣) المُدارسة التدريس .

(٤) المُجالسة ، المجالسات .

(٥) المُقابسة المقابسات .

* * *

الألفاظ الخاصة بدور العلم والمؤسسات الثقافية وأنشطتها (٣٦) كلمة وهى :

الإقباس ، الاقتباس ، الأندية ، التدريس ، الجامع ، الحلقة ، الدراسة ، الدرس ، الرواق ، القابس ، القبس ، المَجالس ، المُجالس ، المُجالسة ، المجالسات، المجلس، المدارسة، المذاكرة، المساجد، المسجد، المقابسة ، المقابسات، المُقْتَبِس، المُقتَبَس، المقتبسون، المكاتب، المكتب، المناظرة، المناظرات ، المناظر ، المتناظرون ، النادي ، الناظر ، الناظرين ، النظر ، النوادى .

وفيما يلى جدول بشيوع هذه الألفاظ فى مؤلفات أبى حيان التوحيدى :

الكلمة	عدد مرات ورودها	الكلمة	عدد مرات ورودها	الكلمة	عدد مرات ورودها
المجلس	٢٠٢	الدراسة	٦	النظر	٢
المقابسة	٥١	الرواق	٥	النادى	٢
المناظرة	٤٣	المكتب	٥	الحلقة	٢
المجالس	٤٣	المقتبس	٥	الدرس	٢
الجامع	٢٧	القبس	٥	القابس	١
المذاكرة	٢٧	النوادى	٥	المناظرات	١
الاقتباس	٢٦	التدريس	٥	المتناظرون	١
المجالسة	٢٢	الاقباس	٤	الأندية	١
المسجد	٢٠	المقابسات	٣	المجالس	١
المساجد	١٧	المقتبسون	٣	الناظرين	١
المقتبس	١٦	المدارسة	٣		
الناظر	١٢	المكاتب	٢		
المجالسات	٩	المناظر	٢	المجموع	٣٦

وتقسم هذه المجموعة من الألفاظ من حيث دلالة ألفاظها إلى مجموعتين أساسيتين ، وهما : المجموعة الأولى وهى الألفاظ الخاصة بدور العلم والمؤسسات الثقافية ، والمجموعة الثانية وهى الألفاظ الخاصة بأنشطة المجالس الثقافية .

وتقسم كل من هاتين المجموعتين إلى خمس مجموعات فرعية .

أولًا : دور العلم والمؤسسات الثقافية

كان العراق من أهم مراكز الحياة العقلية فى فروع العلم والفن ، قال المقدسي يصف العراق : فى إقليم العراق هذا إقليم الظرفاء ، ومنبع العلماء لطيف الماء عجيب الهواء ، ومختار الخلفاء ، أخرج أبا حنيفة فقيه الفقهاء وسفيان سيد القراء ، ومنه كان أبو عبيدة والفراء وأبو عمرو صاحب الفراء ، وحمزة والكسائى وكل فقيه ، ومقرئ وأديب ، وسرى وحكيم وداه ، وزاهد ونجيب[1] وفى كتابات التوحيدى وردت أنواع عديدة لدور العلم وما يتم فيها من فعاليات وأنشطة ثقافية ومن دور العلم هذه :

(١) المَسْجِد ، الجامع :

جاء فى اللسان سَجَدَ يسجد سجودًا وضع جبهته بالأرض ، والمسجَد ، والمسجِد : الذى يسجد فيه ، واحد المساجد ، وكل موضع يتعبد فيه فهو مَسجِد ، وقول النبى ﷺ : « جعلت لى الأرض مسجدًا وطهورًا » وقيل فى قوله عز وجل ﴿وأن المساجد لله﴾ السجود مواضعة من الجسد والأرض مساجد ، واحدها مسجد ، والمسجد اسم جامع حيث سجد عليه فأما المسجد من الأرض فموضع السجود نفسه . وقد كان حكم المسجد أن لا يجىء على مَفْعِل ولكنه أحد الحروف التى شذت فجاءت على مَفْعِل ، ونقلًا عن الفراء يقول صاحب اللسان : كل ما كان على فَعَلَ يَفْعَل فالمَفْعَل منه بالفتح ، اسما كان أو مصدرًا ، ولا يقع فيه الفرق إلا أحرفًا من الأسماء ألزموها كسر العين من ذلك

---

(١) أحسن التقاسيم للمقدسى ص ١١٣ .

المسجد فجعلوا الكسر علامة الاسم ، وربما فتحه بعض العرب فى الاسم فقد روى مَسْكَن ومَسْكِن وسمع المَسْجَد والمَسْجِد ، بالفتح وهو جبهة الرجل حيث يصيبه ندب السجود[1] وهو مجاز[2] . وكان المَسْجِد فى العصر العباسى أكبر معهد للدراسة والتحصيل العلمى بجانب دوره الدينى وقد كان من أهم مراكز الثقافة فى الإسلام . ولفظة المسجد وردت عند أبى حيان فى أماكن كثيرة من كتاباته أذكر بعضًا منها ففى البصائر والذخائر يقول التوحيدى عن مَسْجِد الكوفة : قال حماد الراوية : شاهدنا فى هذا المسجد قوما كانوا إذا خلعوا الحـذا ، وعقدوا الحبا ، وقاسوا أطراف الحديث ، حيروا السامع ، وأخرسوا الناطق ، يعنى مسجد الكوفة[3] . وعن مسجد الكوفة وأهميته ومكانته الدينية يذكر أبو حيان نصا عن عبد الله بن مسعود فيقول : جاء رجل إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب فقال : ياأمير المؤمنين إنى قد تزودت زادًا ، وابتعت راحلة ، وقضيت حاجتى أفأرتحل إلى بيت المقدس ؟ فقال له على : كُلْ زادك وبعْ راحلتك ، وعليك بهذا المسجد ، يعنى مسجد الكوفة ، فإنه أحد المساجد الأربعة ، ركعتان فيه تعدلان عشرا فيما سواه من المساجد[4] ، وترد لفظة مسجد فى نص لأبى حيان يذكر فيه مسجد دمشق فيقول : دخل بلال بن أبى بردة مسجد دمشق ولزم سارية وكان يحسن صلاته وتسبيحه حتى عرف بهديه[5] ، وعن الشكل المعمارى للمسجد يحدثنا أبو حيان فى نصوص كثيرة من كتاباته عن محراب المسجد ، وسارية المسجد ، واسطوانة المسجد وزاويته فيقول ذاكرًا المسجد ومحرابه : قال

---

(١) اللسان جـ ٢ ص ٩٨ ، ٩٩ .

(٢) تاج العروس حـ ٢ ص ٣٧١ .

(٣) البصائر جـ ٣ ص ٦١٣ .

(٤) البصائر والذخائر حـ ٣ ص ٨٠٦ .

(٥) البصائر جـ ٢ ص ٨٠٦ .

أبو حامد : المحراب عند الفقهاء ليس من المسجد ، ولهذا من بات فى المسجد وحفزته بطنه ولم يمكنه الخروج فأولى به أن تقع ذات بطنه فى المحراب ! ولم يقل ذلك لعلة إنما قيل ذلك لأنه مكان الإمام وحده[1] ، ويقول أيضا عن محراب المسجد : قال بعض النُّساك سمى المحراب محرابًا لأن الشيطان يحارب فيه بالطاعة لله تعالى ، ويقال : إن هذا التأويل مهزول ، وإنما المحراب أشرف مكان فى البيت ، ومحاريب غمدان باليمن ، هى أمكنة شريفة فى القصور ، وكأن المحراب فى المسجد من ذلك لموقف الإمام[2] ويذكر أبو حيان لفظة المسجد ومعها السارية فيقول : الرجل يألف حمامًا ، بل بيتًا من الحمام ، ومسجدًا بل سارية فى المسجد[3] ويذكر المسجد واسطوانته فيقول : قال رجل لابن شبرمة : أنت تقضى فى هذا المسجد منذ ثلاثين سنة فكم فيه من اسطوانه[4] وعن زواية المسجد يقول أبو حيان : وهذه الحياة القصيرة ، بكسرة يابسة ، وخرقة بالية ، وزاوية ومن المسجد مع العافية من بلايا طلاب الدنيا[5] هذه بعض أقسام المسجد التى ورد ذكرها عند أبى حيان والتى أوضح فيها شكل المسجد من ناحية بنائه ، أما فعالياته فقد كانت المساجد أشبه بنوادٍ أو مجتمعات للناس ، وخاصة المَسْجد الجَامع ، حيث كان القاضى يجلس فى النهار للحكم بين الناس ، وحيث كان العلماء يعقدون حلقات التدريس وكان موضع العالم يعرف بالسجادة التى يصلى عليها . وفى المسجد كانت تؤدى فعاليات وأنشطة مختلفة فهو مكان للعبادة تقام فيه الصلاة ، وتخطب الخطب ،ومحكمة للتقاضى . يقول التوحيدى : لما قدم طلحة والزبير البصرة قام مطرف بن عبد الله بن الشخير خطيبًا فى **مسجدها** فقال : أيها الناس : إن هذين

---

(١) البصائر جـ ٢ ص ٦٦٤ .

(٢) البصائر جـ ٢ ص ٦٦٤ .

(٣) الهوامل والشوامل ص ١١٠ .

(٤) البصائر جـ ٣ ص ٦١٤ .

(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ٩٢ .

الرجلين يعنى طلحة والزبير ، لما أضلا دينهما ببلدهما جاءا يطلبانه فى بلدكم[1] ، وفى المسجد أيضا كان يُمارس فن الغناء والطرب وفى هذا المجال يقول أبو حيان فى نصٍّ له من كتاب الإمتاع والمؤانسة : ولا طَرَب المُعَلِّم غلام الحصرى شَيْخ الصوفيّة إذا سمع ابن بهلول يُغَنِّى فى رحبة المَسْجِد بعد الجمعة وقد خف الزحام[2] . ولفظة الجمع **مَسَاجد** ترد فى أماكن متفرقة من كتابات أبى حيان ففى نص له يقول فيه : وذكر رجل لرقبة بن مصقلة فقال : كان أحد بُنات مساجد الله ، كأنه جعله حصاة[3] .

وترد لفظة **المساجد** فى قول أبى حيان : قال أحمد بن أبى طاهر : رفع رجل رقعة إلى المنصور يسأله فيها بناء مسجد فى مَحَلَّته ، فوقع على ظهر رُقعته من أشراط الساعة كثرة المساجد ، فزد فى خطاك تزدد فى الثواب[4] وفى قوله أيضا : يقال أول من اتخذ المنابر فى المساجد عمر بن عبد العزيز رحمه الله[5] وعن المساجد وما لها من أموال أوقاف يقول أبو حيان فى نص له : لو قالت الرعية لسلطانها : ولم لا تسمع لكل غث وسمين منا ! وقد ملكت نواصينا ، فطرقنا مخوفة ، ومساكننا منزولة ، ومساجدنا خربة ، ووقُوفُها منتهبة[6] للجماعة منه ، بحسب ما يعرف من علم أحوال الشعوب ، فكان يجلس فيه الناس للحديث ويقصون فى نهارهم حوادث ليلهم ويذكر آدم ميتز إحصائيات عن المساجد التى كانت موجودة فى العراق فيقول : كان ببغداد حوالى عام ٣٠٠ هـ نحو من سبعة وعشرين ألف مسجد ولكن صلاة الجمعة كانت لا تقام إلا فى المسجد الجامع فى كل من جانبى بغداد ، وأما فى البصرة فكان فيها فى القرن الثالث الهجرى سبعة آلاف مسجد ،

---

(١) البصائر جـ ٣ ص ٥٩ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٧١ .

(٣) البصائر جـ ٣ ص ٢٥٧ .

(٤) البصائر جـ ١ ص ٣١١ .

(٥) البصائر جـ ٣ ص ٥١١ .

(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ٨٨ .

وكان بها فى القرن الرابع ثلاثة جوامع[1] .

ولفظة **الجامع** أو **المَسْجِد الجامِع** كما عرفها صاحب اللسان من جَمَع الشيء عن تفرقه يجمعه جَمْعًا ، وأمر جامِع : يجمع الناس . والمَسْجِد الجامِع الذى يجمع أهله . نعت له لأنه علامة للاجتماع ، وقد يضاف ، وأنكره بعضهم . ويقول صاحب اللسان : وإن شئت قلت مَسْجِد الجامِع بالإضافة كقولك الحق اليقين وحق اليقين ، بمعنى مسجد اليوم الجامع وحق الشيء اليقين لأن إضافةالشيء إلى نفسه لا تجوز إلا على هذا التقدير . وما علمت أحدا من النحويين أبى إجازته غير الليث . وفى أسماء الله الحسنى الجامِع : هو الذى يجمع الخلائق ليوم الحساب ، وقيل : هو المؤلِّف بين المتماثلات والمتضادات من الوجود[2] ولفظة **الجامِع** وردت فى كتابات أبى حيان بدون إضافة وبإضافة ومن النصوص التى تضمنت لفظة الجامع بلا إضافة ما قاله أبو حيان موردا هذه اللفظة : سمعت ابن سمعون يدعو فى الجامع فى آخر مجلسه ، ويقول : اللهم اجعل قولنا موصولا بالعمل[3] ، ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة جامع بمعنى مكان التعبد والعلم : قال الجاحظ : دخلت الجامع ببغداد فرأيت شَيْخًا مهيبًا فجلست إليه وقلت له أفدنى رحمك الله مما علمك الله[4] ، ويذكر أبو حيان لفظة الجامع مقترنة بأسماء بعض المدن الإسلامية مثل جَامِع البصرة وجَامِع المدينة وغيرها من المدن الأخرى فيقول فى نصٌ له ذاكرًا جامع البصرة : حدثنا القاضى أبو حامد المرورذى ، قال : وقف سائل من هؤلاء الأنكاد علينا فى جامع البصرة وفى مجلس ابن عبدل المنصورى ، وابن معروف ، فسأل وألح ، فقلت له : ياهذا : نزلت بواد غير ذى زرع[5] ، ويذكر

---

(١) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ٢ ص١٢٥، ٢٧٠ . (٢) اللسان جـ ١ ص ٤٩٩ .
(٣) الإمتاع جـ ٣ ص ١٤٧ . (٤) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣٠٧ .
(٥) الإمتاع جـ ٣ ص ١٠٠ .

جامع المدينة فيقول : طَرْب أُبَيّ الوزير الصوفى القاطن فى دار القطن عند جامع المدينة على قلم القضيبية[1] أما المسجد الجامع فقد كان فى العصر العباسى المركز الذى تدور من حوله الحياة الاجتماعية والدينية والفكرية والسياسية ، وهو مركز العبادة الرئيسى ، ومكان التقاء الإمام بالمسلمين والحاكم بالمحكومين ، ليس فقط فى أوقات الصلاة ولكن خلال العديد من المناسبات الدينية والسياسية . وقد حافظ المسجد الجامع على توسط مركزه فى المدن الإسلامية حتى بعد اتساع رقعتها وزيادة عمرانها ونلاحظ أن المساجد الجامعة قليلة العدد محدودة فى كل مدينة ، ولذلك اعتبر المسجد الجامع أهم معالم المدينة الإسلامية بل هو صاحب الفضل فى إضفاء صفة المدينة على أى مركز حضارى إسلامى[2] ، فكان الخليفة أو من ينوب عنه من أهل العلم والفضل هم وحدهم المؤهلين لإمامة المسلمين فى الصلاة فى هذه المساجد الجامعة خاصة فى يوم الجمعة حتى يمكن القول إن المسجد اكتسب صفة الجامع من اجتماع المسلمين فيه لأداء هذه الفريضة وما يتبعها من مراسم كالخطبة مثلا . ولذلك كله قل عدد المساجد الجامعة فى حواضر الإسلام المختلفة ، وكان جامع المنصور ببغداد ، وهو أقدم مسجد جامع بها أشهر مركز للتعليم فى المملكة الإسلامية ، ويحكى أن الخطيب البغدادى تمنى أن يُمَلِّى الحديث بجامع المنصور[3] ، وذكر أبو حيان هذا الجامع بقوله : سمعت ابن شاهين المُحَدِّث فى جامع المنصور يقول : نهى النبى ﷺ عن تشقيق الحطب[4] ويقول أبو حيان ذاكرًا المسجد الجامع على لسان أحدهم وهو يصف إحدى المدن الإسلامية فى العصر العباسي قائلا : ثم إنى وافيت البلد ، فدخلت المسجد الجامع

---

(١) الإمتاع جـ ٢ ص ١٦٧ .

(٢) بحث للدكتور محمد توفيق بلبع ، المسجد فى الإسلام ص ٥٥ .

(٣) الحضارة الإسلامية ، آدم ميتز جـ ١ ص ٤١٢ .

(٤) البصائر جـ ٣ ص ١٦٥ .

ولبست السواد وجلست فما عنى بى أحد ولا عاج على إنسان[1] . ويذكر أبو حيان المسجد الجامع فى البصرة فيقول فى نص له : قال ابن عائشة : حدثنى أبى قال : كنت يوما جالسا فى المسجد الجامع بالبصرة فإذا أنا بخالد بن صفوان الأهتمى قد أقبل إلينا فلما رأيته رحلت عن صدر المجلس ، ووسعت له فجاء وجلس[2] ، وجاءت لفظة جامع فى كتابات أبى حيان بمعنى لغوى مغاير لمعناها الاصطلاحى الدينى الذى ورد فى النصوص السابقة وفى هذا المعنى اللغوى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة جامع صفة لمن يقوم بجمع الأشياء والأمور المتفرقة : قال أبو سليمان : ذكر بعض الباحثين عن الإنسان أنه جامع لكل ما تفرق فى جميع الحيوان ، ثم زاد عليها وفضل بثلاث خصال : بالعقل والنظر والمنطق[3] ويقول أبو حيان أيضا ذاكرًا لفظة جامع بمعناها اللغوى : الخطّ هندسة صعبة ، وصناعة شاقة فليس يصح له شكل جامع لصفاته الكبر والصغر إلا فى الشاذ المستندر[4] .

مما تقدم نجد أن الألفاظ **مَسْجِد** والجمع **مَسَاجِد** وجَامِع قد جاءت عند أبى حيان بالمعنى الاصطلاحى الخاص بموضع العبادة[5] ، وقد تمارس فيها أحيانًا بعض الأنشطة مثل الخطابة[6] والغناء[7] وجاءت لفظة جَامِع أيضا فى نصوص أبى حيان بالمعنى اللغوى[8] الدال على من يقوم بجمع الناس والأشياء[9] .

أما فى مجال التطور الدلالى ، فنجد هذه الألفاظ قد تخصصت دلالتها فى عصر أبى حيان ، فلفظة المسجد كانت تستخدم فى البداية للدلالة على مطلق المساجد ثم تخصصت دلالة اللفظة بعد أن أضيفت إلى الجامع ، ثم تخصصت أكثر ، عندما

---

(١) البصائر جـ ١ ص ١٠١ .
(٢) البصائر جـ ٢ ص ٢١٦ .
(٣) الإمتاع جـ ٢ ص ٤٣ .
(٤) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٦ .
(٥) البصائر جـ ٢ ص ٣١٧ .
(٦) البصائر جـ ٣ ص ٥٩ .
(٧) الإمتاع جـ ٢ ص ١٧١ .
(٨) الإمتاع جـ ٢ ص ٤٣ .
(٩) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٦ .

حدد البلد الذى يتواجد فيه المسجد الجامع ، فقيل المسجد الجامع فى البصرة . ومن الملاحظ أيضا أن اصطلاح **المسجد الجامع** هو من الاصطلاحات المستحدثة والتى كثر استخدامها فى العصر الذى نؤرخ له . ونستنتج مما تقدم أن لفظة مَسْجِد قد تخصصت بإضافتها إلى الجامع ، وأن هذه اللفظة الأخيرة قد تخصصت عندما اقترنت بالمسجد ، فكلتاهما قد تخصصت دلالتهما بالإضافة .

ونجد أن لفظة **المسجد** قد جاءت على زنة مَفْعِل بكسر العين اسما لمكان وقد شذت عن القياس لأن ما كان على فَعَلَ يَفْعَل فالمَفْعَل بالفتح اسما كان أو مصدرًا[1] .

(٢) المكتب / المكاتب :

من الألفاظ التى تدل على إحدى مؤسسات العلم لفظة **المَكْتَب** والجمع **المكاتب** وقد عرفها صاحب اللسان فقال نقلا عن المبرد : المَكْتَب موضع التعليم والمُكْتِب المُعَلِّم والكُتَّاب الصبيان . ومن جعل الموضع الكتاب فقد أخطأ ولكن يظهر أن كلا من الكُتَّاب والمَكْتَب استعمل فى هذا العصر لمكان تعليم الصبيان وفى هذا المعنى قال التوحيدى : قال لى العتابى : كان هذا – يعنى ابن عباد – يقال له فى المكتب « ديوجه » وتفسيره شيطان صغير[2] ، وقال أبو حيان عن ابن العباد أيضا ذاكرًا لفظة **المَكْتَب** : صار الفضل بن الربيع إلى أبى عباد فى مكتبه يسأل حاجة[3] . ووردت لفظة مكتب فى كتابات التوحيدى بمعنى دار العلم ، ومكان تحفيظ القرآن الكريم وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : قال رجل لابنه ، وهو فى

---

(١) اللسان جـ ٢ ص ٩٨ .
(٢) مثالب الوزيرين ص ٣٠٤ .
(٣) البصائر جـ ١ ص ٣٧٤ .

المكتب فى أى سورة أنت ؟ قال : فى لا أقسم بهذا البلد ، والذى بلا ولد ، فقال أبوه : من كنت ولده فهو بلا ولد(١) ويقول أبو حيان أيضا : قال أنس بن مالك : مر رسول الله ﷺ بصبيان فى المكتب فسلم عليهم(٢) ، أما لفظة الجمع **مكاتب** فقد ذكرها أبو حيان فى أحد نصوصه فقال : قال بعض السلف : فى العلم حكمتان : بلاغة المنطق وجلالة الصمت ، وفى دمغة الأقلام امتحان عقول الأنام ، وسمة أسنان الأقلام فى صحون المكاتب ، أحسن من حمرة الخجل فى خدود الكواعب(٣) .

مما تقدم نجد أن لفظة **مكتب** جاءت عند أبى حيان بالمعنى اللغوى(٤) الذى أوردته المعاجم . وجاءت بالمعنى الاصطلاحى(٥) الذى لم يرد فى اللسان .

ولفظة الجمع **مكاتب** وردت عند أبى حيان بمعنى مواضع الكتابة(٦) ويقصد بها الورق وما شابهه من الأدوات التى تتخذ للكتابة وهذا المعنى مغاير لما جاء فى اللسان(٧) ، أما فى مجال التطور الدلالى فنجد أن لفظة مكتب قد تخصصت دلالتها فى عصر أبى حيان فبعد أن كانت تطلق على كافة مواضع تعليم الكتاب أصبحت تختص بنوعية معينة من المواضع وهو المكتب الخاص(٨) وهذا مما أدى إلى تخصيص الدلالة للفظة المكتب .

(٣) النَّادى / النوادى / الأندية :

ومن الأماكن التى يتداول فيها العلم وتكون ميدانا خصبا له النَّادى والجمع

---

(١) البصائر جـ٤ ص ٩١ (انظر سورة البلد) .
(٢) البصائر جـ ٣ ص ١٤١ .
(٣) البصائر جـ ٢ ص ١٨٥ .
(٤) البصائر جـ ٣ ص ١٤١ .
(٥) البصائر جـ ٢ ص ٣٧٤ .
(٦) البصائر جـ ٢ ص ١٨٥ .
(٧) اللسان جـ ٣ ص ٢١٧ .
(٨) مثالب الوزيرين ص ٣٠٤ .

نوادٍ وأندية ، جاء فى اللسان ندا القوم نَدْوًا وانتدوا وتنادوا : اجتمعوا . وندوت القوم أندوهم إذا جمعتهم فى النادى وبه سميت دار الندوة بمكة لاجتماعهم فيها . والنَّادى المجلس يَنْدُو إليه من حواليه ، ولا يسمى ناديًا حتى يكون فيه أهله ، وإذا تفرقوا لم يكن ناديًا ، وهو النَّدى ، والجمع الأندية . وعن الجوهرى جاء فى اللسان : النَّدى على فعيل ، مجلس القوم ومتحدثهم ، وكذلك الندوة والنَّادى . وفى التنزيل العزيز ﴿وتأتون في ناديكم المنكر﴾ قيل : كانوا يحذفون الناس فى مجالسهم فأعلم الله أن هذا من المنكر . وقوله تعالى ﴿ فليدع ناديه ﴾ يريد عشيرته ، وإنما هم أهل النَّادى ، والنَّادى مكان ومَجْلِس فسماه به[1] والنَّوادى والنواحى ، ونَوادى الإبل شواردها . ولفظة النَّادى والجمع نواد وأندية وردت كثيرا فى كتابات التوحيدى ، ومن النصوص التى أوردت لفظة **النَّادى** ما قاله أبو حيان فى وصفه للشاعر ابن نباتة يقول أبو حيان فى نصه هذا : حسن الحذو على مثال سكان البادية ، لطيف الائتمام بهم ، خفى المغاص فى واديهم ظاهر الإطلال فى ناديهم[2] ويقول أبو حيان أيضا فى نص آخر من كتاباته ذاكرًا لفظة النَّادى : وبفضلك أتحدث فى كل مقام ونادٍ ، وهذا قليل فيما تستحقه على ، وتستوجبه لدى[3] .

ولفظة **نادى** ذكر أبو حيان جمعا لها **نوادى** وهذا المعنى للفظة الجمع نوادى مغاير لما جاء فى المعاجم ، وترد لفظة نوادى كثيرا فى كتابات التوحيدى ، فقد ذكرها فى مقدمة كتابه البصائر والذخائر وذلك فى وصفه لمصادر كتابه هذا فقال : هذا إلى غير ذلك من جوامع للناس مضافات إلى حفظ مافاهوا به ، واعتمدوا عليه فى محاضرهم ، ونواديهم ، وحواضرهم وبواديهم مما يطول

---

(١) اللسان حـ ٣ ص ٦١٠ .
(٢) الإمتاع حـ ١ ص ١٣٧ .
(٣) الإشارات الإلهية ص ٢٤٤ .

إحصاؤه[1] ، ويقول أبو حيان فى بصائره أيضا ذاكرًا لفظة نوادى : قيل لابن مرحوم الصوفى : فيم لذتك ؟ قال : فى سياحة البلاد ، وطى البوادى ، وحضور النوادى ، ومفاكهة الأنداد ، ومنافرة الأضداد[2]،وترد لفظة نوادى أيضا فى قول أبى حيان فى مجلس من مجالس الإمتاع: فلا زال الوزير–وزير الممالك–ممدوحا فى أطوار الأرض على ألسنة الأدباء والحكماء ، وفى نوادى الرؤساء والعظماء[3] وهذا المعنى الذى أورده أبو حيان للفظة النوادى مغاير لما جاء فى اللسان ، وذكر لفظة **الأندية** فقال : وإذا تتبعت جوائز الشعراء التى وصلت إليهم من الخلفاء فولاة العهود والأمراء والولاة فى مقاماتهم المؤرخة ومجالسهم الفاخرة وأنديتهم المشهورة ، وجدتها خارجة عن الحصر ، بعيدة عن الإحصاء[4] .

ومن النصوص التى تقدمت نرى أن لفظة النادى تعنى محل اجتماع القوم وفيه يقومون بفعالياتهم الثقافية المختلفة ، وفى مجال الحديث عن النادى والأندية نذكر لفظة « الندوة » وهى من الألفاظ القليلة الورود عند التوحيدى ، وقد وردت لفظة **النَّدْوة** فى نص من كتاب الصداقة والصديق أورده التوحيدى فقال : حدثنى أبو حامد العلوى سنة سبعين وثلثمائة بمدينة السلام عن أعرابى من بنى هلال يصف صديقه فيقول : ما له هجيرى سواك إن عبر فباسمك يستقل ، وإن تنفس فبذكرك يقطع ، وإذا أوى إلى ندوة الحى فبلسانك ينشر ، وجودك يذكر[5] .

مما تقدم نجد أن الألفاظ نادى والجمع أندية ونوادى جاءت عند أبى حيان بالمعنى اللغوى الدالة على المجلس وأهله المجتمعين فيه[6] ، وكذلك لفظة ندوة

---

(١) البصائر جـ ١ ص ٦ .
(٢) البصائر جـ ١ ص ٣٩٨ .
(٣) الإمتاع جـ ٣ ص ٢١٠ .
(٤) الإمتاع جـ ٢ ص ١٣٧ .
(٥) الصداقة والصديق ص ١٧٢ .
(٦) الإمتاع جـ ١ ص١٣١ ، جـ ٢ ص ٣٧ .

جاءت عند أبى حيان بمعنى الجماعة ومجلسهم[1] ، ومن الملاحظ أن لفظة النوادى التى وردت عند أبى حيان جمعا لنادى[2] ، وهذا مغاير لما جاء فى اللسان[3] فهو استخدام جديد لصيغة الجمع أورده أبو حيان فى كتاباته .

أما فى التطور الدلالى فنجد أن لفظة نادى وجمعها أندية قد اتسعت دلالتها فى عصر أبى حيان نتيجة لكثرة استخدامها للدلالة على مجالس الخلفاء والأمراء والولاة وأنديتهم الخارجة عن الحصر[4] ، ونجد أن لفظة ندوة قد تخصصت دلالتها فى عصر أبى حيان بالإضافة فندوة الحى تخصيص للدلالة . وأيضا لفظة نوادى تخصصت دلالتها بالإضافة إلى الرؤساء والعظماء[5] ، ونجد أيضا أن لفظة نوادى قد انتقلت دلالتها من مجال إلى آخر فى عصر أبى حيان فبعد أن استخدمت قديما بمعنى النواصى والنَّواحى ، وكما جاء فى اللسان نَوادى الإبل : شواردها[6] أصبحت فى عصر أبى حيان تستخدم بمعنى المجلس وأهله وبهذا انتقلت الدلالة من مجال مادى إلى مجال معنوى مع اشتراك الدلالتين فى العلاقة المكانية .

(٤) المجلس : المجالس :

ثمة لفظة أخرى وردت عند التوحيدى فى أماكن كثيرة من كتاباته وهذه اللفظة تحمل مشعل العلم والثقافة أينما كانت تقام وفى معظم الأحيان ألا وهى كلمة المَجْلِس والجمع مَجَالِس وقد ساعدت هذه المجالس على نشر الثقافة وكانت

---

(١) الصداقة والصديق ص ١٧٢ .

(٢) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣٩٨ .

(٣) اللسان جـ ٣ ص ٦١١ .

(٤) البصائر جـ ١ ص ٦ .

(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ٢١٠ .

(٦) اللسان جـ ٣ ص ٦١٢ .

تعد من أهم معاهد العلم فى العصر العباسى وقد ازدهرت المجالس الثقافية فى هذا العصر تبعا لازدهار الشغف العلمى وطمعا فى منائح الخلفاء والأمراء ، ونيل الحظوة عندهم .

جاء فى اللسان الجُلُوس : القعود . جلس يجلس جُلُوسًا فهو جالِس من قوم جُلُوس . والجَلسة : الهيئة التى يكون عليها الجالس . والمَجْلَس بفتح اللام المصدر ، والمَجْلِس موضع الجُلُوس . والمَجْلِس : الجماعة من الجلوس . وفى الحديث : « وإن مجلس بنى عوف ينظرون إليه » ، أى أهل المجلس على حذف المضاف . وتجالسوا فى المجالس[1] ، وجاء فى التاج ومما يستدرك عليه المجلس الناس وفى الأساس رأيتهم مجلسا أى جالسين[2] والمَجْلِس هو من الظروف غير المتعدى إليها بغير حرف جر وعن سيبويه لا تقل هو مجلس زيد[3] .

وكانت تقام المجالس فى الدور والقصور والمساجد بين العلماء وغيرهم من المشتغلين بالعلم والثقافة والفنون وفى حضرة الخلفاء والوزراء ، وكان الخلفاء والوزراء يضمون تحت ظلهم جماعة من العلماء يحيون لهم مجالسهم[4] ، وصاحبنا التوحيدى كان أحد هؤلاء العلماء الذين حفل بهم مجلس ابن سعدان وزير صمصام الدولة فى بغداد ، فقد نال الحظوة أبو حيان عند الوزير ابن سعدان ونادمه فى مجالسه وسجل هذه المجالس تسجيلا رائعا فى كتابه الإمتاع والمؤانسة . وفى كتاب المقابسات سجل التوحيدى نوعا آخر من المجالس الخاصة بأبى سليمان السجستانى ، وهى مجالس علمية قائمة على العلم وحده . واهتم التوحيدى بالمجالس على اختلاف أنواعها فذكر تاريخ انعقادها ، وأصحابها ومن حضرها من

---

(١) اللسان جـ ١ ص ٤٨٣ .

(٢) تاج العروس جـ ٤ ص ١٢١ وانظر الأساس للزمخشري جـ ١ ص ١٢٩ .

(٣) المخصص لابن سيده جـ ١٢ ص ٨٤ .

(٤) الإمتاع جـ ١ ص ٣٧ .

الرواد وكتاباته تعتبر سجلا حافلًا لهذه المجالس . لفظة **المَجْلِس** يذكرها التوحيدى فى كتاباته فى أماكن كثيرة جدا ، وخاصة ما جاء فى الإمتاع والمؤانسة فيقول فى نص له ذاكرًا لفظة المَجْلِس بمعنى جماعة الجلوس ، وذلك فى وصفه لحديث عز الدولة مع على بن عيسى : ولولا ما يبلغنى من ملازمتك لمجلِسك وتدريسك لمُخْتَلِفتك لغلبتك على زمانك[1] . وقال : موردًا لفظة المَجْلِس بمعنى مكان الاجتماع : سمعت ابن سمعون يدعو فى الجَامِع فى آخر مجلسه ويقول : اللهم اجعل قولنا موصولا بالعمل[2] وقال أيضا متسائلًا : قلت للقُوْمسى : لم صار الإنسان إذا زور كلامًا لمجلس يخصه وخصم يناظره ، وصاحب يعاتبه لا يفى بأدائه فى حال ما يباشر المراد[3] وقال أبو حيان ذاكرًا لفظة المجلس بمعنى مكان الجلوس وذلك فى وصفه للسيرافى فى أحد مجالس الإمتاع : قال أبو سعيد : إذا حضرت الحلقة استفدت ليس هذا مكان التدريس هو مجلس إزالة التلبيس ، مع من عادته التمويه والتشبيه[4] ، وقد وردت فى كتابات التوحيدى نصوص تبين لنا شكل هذا المجلس ، ونوعية ما يدور فيه من علوم أو فنون ونراه يصف مجلسًا فيقول مخاطبًا : إن كنت تحفظ فى غرائب أخلاق الحيوان شيئا فاق ذكره إذا حضرت ، فقد مر فى أخلاق الإنسان ما يكفى مجلس الإمتاع والمؤانسة[5] ، ويصف أبو حيان ما يدور فى مجلس الإمتاع من نقاش حول علم من العلوم فيقول : وسأله الأندلسى فى هذا المجلس عن الأمم وأحوالها ونقصها وكمالها[6] . ويصف أبو حيان مجلسا آخر من مجالس العلم فيقول : وقف أعرابى على مجلس

---

(١) الإمتاع جـ ٣ ص ١٥٨ .
(٢) الإمتاع جـ ٣ ص ١٤٧ .
(٣) المقابسات ص ١٠٧ .
(٤) الإمتاع جـ ١ ص ١١٩ .
(٥) الإمتاع جـ ١ ص ١٥٧ .
(٦) الإمتاع جـ ١ ص ٢١١ .

الأخفش فسمع كلام أهله فى النحو ما يدخل معه فحار وعجب[1] ، ويقول أبو حيان عن مجلس السيرافى وما يدور فيه من مسائل علمية : ويقال أرق على ظلْعك ، اللام ساكنة ، وقد رأيت من فتح اللام فى مجلس السيرافى فضحك منه ورده عليه ، ومعناه تكلف ما لا تطيق[2] ، وعن الصاحب وما يعقد فى مجلسه من مناظرات يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة مجلس : رأيت شيخا قدم مع الحاج من خراسان يعرف بالخشوعى من الكراميّة أصحاب الرأيين حضر مجلسه وناظره فى مسألة الجسم[3] ، ويقول أيضا عن مجلس ابن عباد : وعقد ابن عباد مجلس جدل ، وكنا نبيت عنده فى داره بباب سين[4] . وهناك تفاوت بين مجلس وآخر ، وليس كل ما يعرض فى مجال النقاش يكون على مستوى عال من الثقافة والمعرفة وفى هذا المجال يقول أبو سعيد للوزير ابن الفرات : اعذر أيها الوزير فإن العلم المصون فى الصدر غير العلم المعروض فى هذا المجلس على الأسماع المصيخة ، والعيون المحدقة ، والعقول الجادة[5] ، ولكل مجلس رواد من أهل العلم والثقافة والفنون وغيرها من الأمور الفكرية والثقافية ، ويصف لنا أبو حيان بعض هؤلاء الحضور وهم من الأعلام فى ذلك العصر فيقول محددًا تاريخ المجلس : لما انعقد المجلس سنة ست وعشرين وثلاثمائة قال الوزير ابن الفرات للجماعة وفيهم الخالدى وابن الأخشاد والكتبى وابن أبى بشر وابن رباح وابن كعب وأبو عمرو وقدامة بن جعفر والزهرى وعلى بن عيسى الجراح وابن فراس وابن رشيد وابن عبد العزيز الهاشمى وابن يحيى العلوى ورسول ابن طفح من مصر والمرزبانى صاحب آل سامان : ألا ينتدب فيكم إنسان لمناظرة متى فى حديث المنطق[6] .

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٩ .

(٢) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٥٢٩ .

(٣) مثالب الوريرين ص ١٥٤ .

(٤) مثالب الوزيرين ص ٩٠ .

(٥) الإمتاع جـ ١ ص ١٠٩ .

(٦) الإمتاع جـ ١ ص ١٠٨ .

ويحدثنا أبو حيان فى كتاباته عن المجلس وصاحبه ورواده وتاريخ انعقاده فيقول فى نص له واصفًا مجلس ابن العميد : وكان ابن عباد ورد الرى سنة ثمان وخمسين مع مؤيد الدولة ، وحضر مجلس ابن العميد أبى الفضل وجرى بينه وبين مسكويه كلام ، ووقع تجاذب[1] ، وفى نص آخر يقول أبو حيان ذاكرًا مجلس عز الدولة ومن حضره من أعلام ذلك العصر : ولقد رأيت أبا عبد الله البصرى فى مجلس عز الدولة ، سنة ستين فى شهر رمضان . والجماعة هنا أبو حامد المرورّوذى ، وأبو بكر الرازى ، وعلى بن عيسى ، وابن نبهان ، وابن كعب الأنصارى ، والأبهرى وابن طرارة ، وأبو الجيش شيخ الشيعة ، وابن معروف ، وابن أبى شيبان ، وابن قريعة وناس كثير ، وهو فى إيوان فسيح ، فى صدره من حضروا من أجله وأبو الوفاء المهندس نقيب المجلس ومرتب القوم فسئل البصرى عن مسألة فأظهر أنه فى بقية علته ، وأنه لا يقدر على الكلام ، ثم قام على بن عيسى الشيخ الصالح وقال : هذا مجلس يتبهى بحضوره لشرفه ، ويفتخر بالكلام فيه لكثرة من يعرف وينصف ، وليس فى كل أوان يتفق هذا الجَمْع[2] ومن النص السابق يتضح لنا أن للمجلس آدابا وقواعد معينة منها هيئة ذلك المجلس ومُرَتِّب المَجْلِس الذى يسميه أبو حيان بنقيب المجلس ثم طريقة طرح الأسئلة والإجابة عليها ، ونجد عالمًا يترأس المجلس ويقوم بترتيب الكلام ، وعن تقاليد المَجْلِس يقول أبو حيان فليس كل قائل يسلم ولا كل قادم يفسح له فى المجلس عند القدوم[3] . وعادة ما ينفض المجلس على مُلحة الوداع كما جاء ذكر ذلك فى مجالس الإمتاع والمؤانسة ، وبطلب من الوزير نرى التوحيدى يختم المجلس فيقول : قال الوزير : أنشدنى شيئًا نختم به المجلس ، فقد مرت طرائف ، فأنشدته لعمارة بن عقيل[4] ، وفى نص آخر يطلب

---

(١) مثالب الوزيرين ص ٣٠٦ .
(٢) مثالب الوزيرين ص ١٣٧ ، ص ١٣٨ .
(٣) الإمتاع جـ ٢ ص ١ .
(٤) الإمتاع جـ ١ ص ٢٢٢ .

الوزير من أبى حيان أن يختتم المجلس فيقول : إن الليل قد دنا من فجره ، هات ملحة الوداع[1] . أو يقول هات مُلحة المجلس[2] . وكانت تصرف المنح والعطايا فى هذه المجالس وفى نص لأبى حيان على لسان أحد الشعراء يقول فيه ذاكرًا المجالس وما يقدم فيها من عطايا قال الخالع : وإذا تتبعت جوائز الشعراء التى وصلت إليهم من الخلفاء وولاة العهود والأمراء والولاة فى مقاماتهم المؤرخة ومجالسهم الفاخرة وأنديتهم المشهورة وجدتها خارجة عن الحصر ، بعيدة عن الإحصاء[3] . وفى نص آخر يحدثنا أبو حيان عن منح الخلفاء والأمراء وذوى الشأن فيقول عن المجلس وجوائزه : ثم لا يصرفه عن مجلسه إلا بجائزة سنية وعطية هنية[4] .

وهناك نصوص أخرى من كتابات أبى حيان وردت فيها لفظة مجلس بمعنى المكانة الرفيعة والمركز المرموق وفى هذا المعنى يقول أبو حيان فى بصائره : قال مالك بن عمارة عن عبد الملك بن مروان : إذا حضر طعامه أو قعد لأصحابه أتانى الغلام فقال : إن شئت صرت إلى أمير المؤمنين ، فأمشى بلا حذاء ، ولا رداء ، فيرفع من مجلسى ويقبل على محادثتى[5] ويقول أبو حيان أيضا موردا لفظة المجلس بمعنى المكانة الرفيعة والموضع الموقر : دخل عمارة بن حمزة على المنصور فجلس مجلسه ، فقام رجل فصاح : مظلوم ياأمير المؤمنين ، عمارة بن حمزة ظلمنى ، وغصب ضيعتى ، فقال المنصور : قم ياعمارة فاقعد مع خصمك ، فقال عمارة : ما هو لى بخصم ، إن كانت الضيعة له فلست أنازعه ، وإن كانت لى فقد جعلتها له ، ولا أقوم من مكان شرفنى به أمير المؤمنين لأجل ضيعته[6] ، وترد لفظة مجلس بمعنى مكان الجُلُوس أى المَقْعَد الذى يجلس فيه ، وفى هذا المعنى

---

(1) الإمتاع جـ ٣ ص ١٩٨ .
(2) الإمتاع جـ ٣ ص ١٩٨ .
(3) الإمتاع جـ ٢ ص ١٣٧ .
(4) الإمتاع جـ ١ ص ٥٦ .
(5) البصائر والدخائر جـ ٢ ص ٧٣٨ .
(6) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٧٣٠ .

يقول أبو حيان : لا ينبغى لشريف أن يأنف منهن وإن كان أميرا ، قيامه من مجلسه لأبيه[1] ، ولفظة مجلس ترد أيضا عند أبى حيان بمعنى الحديث وذلك فى نص له يقول فيه : قال يونس بن عبد الأعلى قدم على الليث بن سعد منصور بن عمار يسمع منه الحديث فقال له : إنى أتيت شيئا أريد أن أعرضه عليك ، قال ما هو ؟ قال كلام الفقه ومواعظ القصاص ، قال : ليس غير القرآن والسنة وما خالف ذلك فليس بشىء ، قال : فلتسمع متفضلا ، وكان عنده جماعة ، فأشاروا عليه بأن يسمع منه ، فابتدأ بمجلس القيامة ، فلم يزل الليث يبكى ومن معه ، وأمره أن يذيعه ووهب له ألف دينار[2] .

ولفظة الجمع **مَجالِس** ترد أيضا عند أبى حيان بمعانٍ متنوعة منها ما قاله أبو حيان فى أحد نصوصه ذاكرًا المَجالِس بمعنى جماعة الناس فيقول فى وصفه لأحدهم : وقد لزم قعر البيت ورفض المَجالِس ، واعتزل الخاصة والعامة[3] وقال أبو حيان ذاكرًا مَجالِس بمعنى مكان اجتماع الجُلُوس من الناس : وإذا سألتهم لم يسعفوا وإذا حضرت مجالسهم لم يفسحوا[4] ، وترد لفظة مجالس عند أبى حيان بمعنى المقاعد المعدة للجلوس أى الأثاث وفى هذا المعنى ، يقول أبو حيان : دخل خالد بن صفوان على هشام بن عبد الملك فى يوم شديد الحر وهو فى بركة فيها مجالس من السرر كالكراسى فجلس على بعضها[5] ، وقال أيضا موردًا لفظة مجالس بمعنى الأثاث : ولا يهولك هذا الحشم والخدم ، وهذه المرتبة والمسطبة وهذه المجالس والطنافس ، فإن سلطان العلم فوق سلطان الولاية[6] ، وترد لفظة مجالس

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ٤ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٦٨ .
(٣) الصداقة والصديق ص ١٠ .
(٤) الإشارات الإلهية ص ٥٠ .
(٥) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٥٨٤ .
(٦) مثالب الوزيرين ص ٧٩ .

بمعنى المحاضر والمضابط أى السجلات وذلك فى نص لأبى حيان يقول فيه : وتوابع هذه الدواوين مثل باب العين والمؤامرات ، وباب النوادر والتواريخ وإدارة الكتب ومجالس الديوان[١] .

مما تقدم نجد أن لفظة مجلس والجمع مجالس قد جاءت عند أبى حيان بمعانٍ متعددة منها المعنى اللغوى الذى أوردته المعاجم العربية وهو الدال على موضع الجلوس[٢] وجماعة الجلوس[٣] وأهل المجلس[٤] وأضاف أبو حيان إلى هذه المعانى معانى أخرى للفظة المجلس والجمع مجالس ، فقد جاءت لفظة مجلس بمعنى المكانة الرفيعة والمركز المرموق بين الجالسين[٥] ، وأيضا جاءت بمعنى الحديث الخاص بحدث هام وبمناسبة معينة[٦] ، ولفظة الجمع مجالس جاءت عند أبى حيان بمعنى الأثاث المستعمل للجلوس أى المقاعد[٧] وجاءت أيضا بمعنى السجلات الخاصة بالدواوين[٨] ، وقد كثر ورود المعنى الثقافى الاصطلاحى للفظة المجلس والمجالس فى كتابات أبى حيان وخاصة ما جاء فى كتاب الإمتاع والمؤانسة وفى كتاب المقابسات فإن أماكن ورود هذه الألفاظ لا يمكن إحصاء عددها فى كتابات أبى حيان ، وكيف يمكن إحصاؤها والكتابان خاصان بالمجلس ، والمجالس الثقافية .

ومن الملاحظ أن المعانى المتعددة للفظة مجلس والجمع مجالس قد أوضحت لنا ظاهرة تعدد المعنى لهذين اللفظين .

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٩٨ .
(٢) الصداقة والصديق ص ٣٧٣ ، والإمتاع جـ ٣ ص ٤ .
(٣) الإمتاع جـ ٢ ص ١ ، الصداقة والصديق ص ٣٩١ .
(٤) الإمتاع جـ ١ ص ١٢٨ .
(٥) مثالب الوزيرين ص ١٦١ ، ص ١٥٦ .
(٦) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٦٨ .
(٧) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٥٨٤ ، ومثالب الوزيرين ص ٧٣ .
(٨) الإمتاع جـ ١ ص ٩٨ .

وفى التغير الدلالى نجد أن لفظة **مجلس** والجمع **مجالس** قد مرت بعدة أطوار خلال مسيرتها اللغوية منذ بدأ استخدامها وحتى عصر أبى حيان ، ونجد أن هذه اللفظة قد اتسعت دلالتها فى هذا العصر نتيجة لكثرة استعمالها بين أوساط المشتغلين بالثقافة والفنون وكتابات أبى حيان خير شاهد على عصره ، ذلك العصر الذى اشتهر بكثرة مجالس الإمتاع والمؤانسة ومجالس المقابسات . ونجد أيضا أن دلالة هذه اللفظة قد تخصصت فى عصر أبى حيان وذلك حينما وصف المجلس وحددت نوعيته هل هو مجلس أنس[(١)] أم مجلس شراب[(٢)] أم مجلس جدل[(٣)] أم مجلس لإزالة التلبيس[(٤)] ، كل هذه الأنواع المختلفة للمجلس أدت إلى تخصيص دلالة لفظة المجلس ، وأيضا تخصصت الدلالة عندما أضيفت لفظة المجلس إلى أشخاص كان لهم الفضل فى إقامة المجالس أمثال الرؤساء والوزراء[(٥)] والعلماء[(٦)] وتخصصت الدلالة أكثر عند ذكر أسماء من أقاموا هذه المجالس مثل ابن قتيبة[(٧)] ، والوزير أبى الفتح[(٨)] ، ورئيس البلد[(٩)] .

(٥) الحلقة ، الرواق :

ومن الألفاظ التى تعنى بالثقافة : إما أن تكون مكانًا لعقد حفل ثقافى ، أو تَجَمُّع يعنى بأمور العلم والمعرفة ، وهذه الألفاظ ، تتبع الألفاظ الثقافية العامة وتدور فى مجالسها ، وهى الحلقة والرواق ، وقد وردت فى كتابات التوحيدى فى

---

(١) الإشارات الإلهية ص ٢٦٠ ، وانظر المقابسات ص ٣٣٢ .
(٢) الصداقة والصديق ص ٧٨ . وانظر البصائر والذخائر جـ ٤ ص ١٧٠ .
(٣) مثالب الوزيرين ص ٩٠ .
(٤) الإمتاع جـ ١ ص ١١٩ .
(٥) البصائر جـ ٢ ص ٥٦ .
(٦) مثالب الوزيرين ص ٢٤ .
(٧) الصداقة والصديق ص ٧٢ .
(٨) الإمتاع جـ ١ ص ١٠٧ .
(٩) البصائر جـ ٢ ص ٤٧٤ .

أماكن عديدة نذكر بعضها ، **والحَلْقَة** هى لفظة ترد كثيرا عندما نذكر المجالس وأماكن انعقادها فى المسجد أو الدور أو القصور ، فقد كانت معظم الدروس العلمية تعطى فى المساجد والمستمعون على هيئة حَلْقَة بين يدى المدرس . ويروى صاحب كتاب الأغانى أنه كان فى مسجد البصرة حَلْقَة قوم من أهل الجدل ، يتصايحون فى المقالات والحجج فيها وبجانبهم حَلْقَة للشعر والأدب وهكذا ، وكان الذين يحضرون هذه الحلقات من أجناس مختلفة وديانات مختلفة وآراء مختلفة ، وكانوا يتلاقون فى المسجد وفى المنازل وفى قصور الولاة والخلفاء(١) .

يقول صاحب اللسان فى تعريفه للحلقة : كل شيء استدار فهو حلقة كالحديد والفضة والذهب ، وكذلك هو فى الناس ، والحلقة هى الجماعة من الناس مستديرون كحلقة الباب وغيرها . وتَحَلَّق القوم جلسوا حَلْقَة حَلْقَة ومنه الحديث : لا حمى إلا فى ثلاث ، وذكر حلقة القوم أى لهم أن يحموها حتى لا يتخطاهم أحد ولا يجلس فى وسطها(٢) .

ويقول التوحيدى ذاكرًا لفظة **الحلقة** : كان فيما بلغنى فى داره صغيرا ومجلس حَلْقَته كبيرًا(٣) ، ويقول أبو حيان عن أستاذه أبى سعيد ذاكرًا لفظة حَلْقَة : قال أبو سعيد : إذا حضرت الحلقة استفدت ، ليس هذا مكان التدريس ، هو مجلس إزالة التلبيس(٤) .

ومع لفظة المجلس والحلقة يأتى **الرِّواق** يقول صاحب اللسان : الرَّوْق والرِّواق سقف فى مقدم البيت ، والرِّواق ستر يمد دون السقف . ورواق البيت مقدمه . وقيل الرَّوْق والرِّواق وهو ما بين يدى البيت . ورَوْق البيت ورِواقه واحد ، وهى

---

(١) ضحى الإسلام حـ ١ ص ٣٨٥ .
(٢) اللسان حـ ١ ص ٦٩٨ .
(٣) البصائر والذخائر حـ ٢ ص ٤٥٥ .
(٤) الإمتاع جـ ١ ص ١١٩ .

الشقة التى دون الشقة العليا ، وقد يكون الرِّواق من شقة وشقتين وثلاث شقق . وفى حديث الدجال : فيضرب رِواقه فيخرج إليه كل منافق ، أى يضرب فسطاطه وقبته ، وموضع جلوسه . وعن ابن سيده : رِواق الليل مقدمه وجوانبه[1] ويذكر أبو حيان لفظة رِواق فيقول : ولا يهولك هذا الحشم والخدم وهذه الغاشية والحاشية ، وهذه المرتبة ، والمسطبة وهذا الطاق والرِّواق ، وهذه المجالس والطنافس[2] ، وقال أيضا ذاكرًا لفظة الرِّواق : وطلع على يوما فى داره ، وأنا قاعد فى كسر رِواق أكتب له شيئا قد كأدنى به[3] .

مما تقدم نلاحظ أن لفظة **حَلْقَة** جاءت عند أبى حيان بمعنى اصطلاحى[4] يدل على جماعة من الناس اجتمعوا فى مجلس وأغلب الأحيان يكون فى المسجد من أجل الدرس والجدل وهذا المعنى لم يرد فى اللسان عند تناوله لمادة « حلق »[5] .

والتغير الدلالى الذى طرأ على لفظة حلقة ، نجده فى تخصيص الدلالة لهذه اللفظة . فبعد أن كانت تُستخدم لكل شيء على هيئة دائرة أصبحت فى عصر أبى حيان تعنى الحلقة العلمية وذلك حين اكتسبت مفهومًا ثقافيًّا نتيجة لارتباطها بالمسجد وأنشطته وهذا مما أدى إلى تخصيص الدلالة فى عصر أبى حيان .

ولفظة « **رِواق** » نجد أنها جاءت عند أبى حيان بمعنى لغوى أورده صاحب اللسان[6] ، وفى مجال التغير الدلالى نجد أن لفظة رواق قد اتسعت دلالتها فى

---

(١) اللسان جـ ١ ص ١٢٥٧ .
(٢) مثالب الوزيرين ص ٧٩ .
(٣) مثالب الوزيرين ص ٩٩ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٤٥٥ .
(٥) اللسان جـ ١ ص ٦٩٨ .
(٦) اللسان جـ ١ ص ٢٥٧ .

عصر أبى حيان ، نتيجة لانتشارها وكثرة استخدامها عند المهتمين بالثقافة من الكُتَّاب والنُساخ[1] .

ومما سبق نرى أن المؤسسات الثقافية فى العصر العباسى كانت ذات تأثير وفعالية قوية فى نشر الثقافة والتعليم وخاصة المساجد التى كانت تعد من أكبر معاهد الدراسة ، وبتنوع العلوم فى العصر العباسى تنوعت كذلك حلقات الدرس التى تقام فى المساجد ، فقد كانت هناك حلقات للعلوم الدينية بجانب حلقات لعلوم العربية وحكى المرزبانى فى الموشح أن مسلم بن الوليد كان يُمَلِّى شعره فى المسجد . وأن الناس كانوا يتناظرون فى الشعر فى المسجد[2] .

وعلى العموم فقد كان المسجد أهم معهد للثقافة فى الإسلام ، فقد ظهرت إلى جانب المسجد دور للعلم ومؤسسات علمية أخرى أقل فعالية من المساجد فى نقلها للثقافة ، وكانت المجالس التى تعقد فى الدور والقصور وفى الأماكن التى تصلح للنقاش ، والجدل والشرح والتفصيل ، أكثر فعالية من غيرها من المؤسسات الثقافية .

* * *

---

(١) مثالب الوزيرين ص ٩٩ .

(٢) الموشح ص ٢٨٩ .

ثانيا : أنشطة المجالس الثقافية :

تعد النشاطات الثقافية التى كانت تمارس فى دور العلم والمؤسسات الثقافية فى القرن الرابع الهجرى من أكبر المظاهر حيوية ، ومن أدلها على نشاط الحركة العلمية فى العصر العباسى . وذلك لكثرة الأنشطة الثقافية فى هذا العصر وكثرة الجدل بين أصحاب المذاهب على اختلاف اتجاهاتهم . ومن المؤكد أنه كلما زاد الاحتكاك بين العقليات المتباينة والمذاهب المختلفة ، زادت حدة الشرارات المنبعثة عن هذا الاحتكاك ، فكثرة الأنشطة والفعاليات العلمية ، ولعل من أهم أثار هذه المحاجات العلنية فى المجالس العلمية ظهور المصطلحات الثقافية مثل المُناظرة ، والمُذاكرة ، والمُدارسة والمُجالسة والمُقابسة .

ويعد عصر أبى حيان التوحيدى عصر ازدهار المجالس الثقافية ، وما يتم فيها من أنشطة وفعاليات متنوعة . وكان أبو حيان رجلا خبر أعلام عصره وجلس فى مجالسهم وشارك فى نشاطهم فأجاد فى وصف مناظراتهم ومقابساتهم ومذاكراتهم ومجالساتهم ومدارساتهم ووصفها وصف الخبير المتمرس ونجد صدى لأقوالهم فى كتاباته وخاصة كتاب الإمتاع والمؤانسة وكتاب المقابسات . وكان العلماء يطيلون النظر ويعدون العدة لكى يظهروا فى هذه المجالس مظهر الخبير الثقة الدقيق النظر حتى لا يصيبهم الفشل فيكون فى هذا الفشل القضاء عليهم . وعن مجالس المُناظرة . يقول الأستاذ أحمد أمين فى كتابه ضحى الإسلام : من أهم معاهد العلم مجالس المناظرة فى الدور والقصور والمساجد ، وبين العلماء وفى حضرة الخلفاء ، فى الفِقْه ، فى النَّحو والصَّرف ، فى اللغة ، فى المسائل الدينية . وكان مجال المُناظرات فسيحًا من الناحية العلمية البحتة . وإذ كان الخلفاء والأمراء

يساهمون فى الحركة العلمية ، ويؤيدون بعضا ويفندون بعضا ، استعد العلماء للمناظرة وتسلحوا لها رغبة فى الشهرة والحظوة[1] ووضعت آداب وأحكام يقف المتناظرون عند حدودها فى الرد والقبول وكيف يكون حال المستدل والمجيب وحيث يسوغ له أن يكون مستدلا وكيف يكون مخصوصًا منقطعًا ومحل اعتراضه أو معارضته وأين يجب عليه السكوت ولخصمه الكلام والاستدلال ولذلك قيل فى علم المُناظرة : إنه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب فى الاستدلال التى يتوصل إلى حفظ رأى وهدمه سواء كان ذلك الرأى من الفقه أو غيره[2] وقيل فى علم المُناظرة : بأنه علم باحث عن أحوال المتخاصمين ليكون ترتيب البحث بينهما على وجه الصواب حتى يظهر الحق بينهما[3] ويقول الأستاذ أحمد أمين عن مجالس المُناظرة من مميزات العصر العباسى ، كثرة اختلاف الفقهاء ونشاطهم فى الجدل والمُناظرة ، وكان الاختلاف شديدا فى المذاهب الفقهية بين أنصار الرأى وأنصار الحديث ، وكان الخلاف شديدا بين الأمصار ، وكانت العصبية للبلاد وللنمط العلمى فيها شديدة ، وكان هذا وقودا صالحا لإشعال نار المناظرة وحدتها وحياتها حياة عنيفة قوية[4] ويقول أيضا : وعلى كل حال كان الخلاف كثيرا فى العصر العباسىّ فرأيناهم يتناظرون فى المساجد وفى حلقات الدرس ، وفى المنازل وحين اجتماعهم للحج ، يرحلون فيتناظرون ويلتقون اتفاقا فيتجادلون ، وملئت الكتب بهذه المناظرات[5] .

لفظة **مُنَاظَرة** من الألفاظ الخاصة بفعاليات وأنشطة المجالس الثقافية وقد ذكرها أبو حيان كثيرا جدا فى كتاباته . وذكر معها لفظة الجمع **مُناظرات** ، واشتقاقات

---

(١) ضحى الإسلام، أحمد أمين جـ٢ ص٥٤ .
(٢) المقدمة ابن خلدون ص ٤٥٧ .
(٣) أبجد العلوم ص ٦٤٨ .
(٤) ضحى الإسلام، أحمد أمين جـ٢ ص ٥٥ .
(٥) ضحى الإسلام، أحمد أمين جـ٢ ص١٦٨ .

متنوعة من المادة « ن ظ ر » . لقد تناولت المعاجم العربية لفظة مُناظرة بالشرح والتفصيل وعرفتها تعريفًا وافيًا إضافة لما جاء فى اللسان عند تناوله لمادة « نظر » يقول صاحب اللسان : النَّظَر : حِس العين ، وتأمل الشيء بالعين . والنَّظر : الفكر فى الشيء تقدِّره وتقيسه منك . والمُناظرة : أن تُناظر أخاك فى أمر إذا نظرتما فيه معا كيف تأتيانه . والتَّناظر التراوض فى الأمر . ونظيرك : الذى يراوضك وتناظره ، وناظره من المُناظرة . وناظرت فلانا أى صرت نظيرا له فى المخاطبة[1] وفى التاج يستدرك الزبيدى على ما جاء فى اللسان فيقول : ومما يستدرك عليه المناظرة : المباحثة والمباراة فى النظر واستحضار كل ما يراه ببصيرته والنظر البحث والاعتبار وهو مراد المتكلمين عند الإطلاق[2] ، وفى كتاب التعريفات يعرف الجرجانى لفظة المناظرة تعريفا واضحا فيقول : المُناظرة لغة من النظير أو من النَّظر بالبصيرة ، واصطلاحًا هى النَّظر بالبصيرة من الجانبين فى النسبة بين الشيئين إظهارًا للصواب[3] . ويضيف التهانوى على ما جاء فى المعاجم فيقول : المُناظرة هى علم يعرف به كيفية آداب إثبات المطلوب ونفيه أو نفى دليله مع الخصم[4] . ويعرّف المُناظرة أبو حيان فيقول : إن الكلام مع الخصم من المهاترة والمُناظرة والمُذاكرة والمناظرة قد تفضي إلى المنافسة ، وقد توجد بها الفائدة وهى كالفاكهة بين العلماء[5] ، ويحدثنا أبو حيان فى كتاباته عن مناظرات كثيرة جرت بين الفقهاء والمحدثين وبين العلماء فى النحو والصرف واللغة والمنطق والفلسفة ، فيقول أبو حيان فى نص له موردا فيه لفظة مناظرة ومحددا أشخاصها وتاريخها : سمعت ابن كعب الأنصارى يقول فى مجلس الزهرى سنة ثمان وخمسين

---

(١) اللسان جـ ٣ ص ٦٦٥ .

(٢) تاج العروس جـ٣ ص٥٧٣ ، ص٥٧٤ .

(٣) التعريفات للجرجانى ص ٢٥٠ .

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى جـ ٦ ص ١٣٩١ .

(٥) الإشارات الإلهية ص ١٠٨ .

وثلاثمائة فى مُناظرته : من طال خطابه ، واشتد لغطه قل صوابه ، وكثر غلطه[1] ، وقال أبو حيان ذاكرًا لفظة مُناظرة ومبينًا موضوعها : قال ابن الهيثم : جمع بينى وبين عثمان بن خالد ، فقال لى : أحب أن أناظرك فى الإمامة ، فقلت : إنك لا تناظرنى ، وإنما تشير على ، فقال ما أفعل ذلك ولا هذا موضع مشورة ، وإنما اجتمعنا للمُناظرة ، فقلت له : فإنا قد أجمعنا على أن أولى الناس بالإمامة أفضلهم ، قال ابن الهيثم : فلم يبق إلا أن أقول : دع قولك وقول أصحابك ، واقبل قولى وقول أصحابى ، قال : ما هو إلا ذاك ، قلت : هذه مشورة ، وليست مُناظرة ، قال : صدقت[2] .

وقال أبو حيان موجها حديثه لصاحب مجالس الإمتاع وموردًا لفظة مُناظرة فى قوله : وأحث كل من أراه بعدك على سلوك طريقك فى الخير ، أُكايد أصحابنا ببغداد فأناظرهم فيك وبسببك لا مُناظرة الحنبليين مع الطبريين[3] ، وقال أبو حيان ذاكرًا لفظة مُناظرة فى وصفه للصاحب فى مجلس من مجالس الإمتاع : إن الرجل كثير المحفوظ ، حاضر الجواب ، فصيح اللسان والغالب عليه كلام المتكلمين المعتزلة وكتابته مُهجنة بطرائقهم ومُناظرته مشوبة بعبارة الكُتَّاب[4] ، وعن الصاحب ومناظرته يقول أبو حيان : وقال لابن الزيات المتكلم يوما فى مناظرته لا تعبث بلحيتك ! فقال ابن الزيات وما عليك منها ؟ هى لحيتى ! قال أنا سلطان وإذا خرجت من عندى ولحيتك على غير الشكل الذى دخلت على به ظن الناس أنى ظلمتك فيها عند المُناظرة والخلاف[5] ، ويذكر لنا أبو حيان مناظرات أخرى كثيرة جرت في مجلس الصاحب بن عباد لا يسع المجال لذكرها ، وكان

---

(١) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣٤٦ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١٩٥ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٨٨ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٥٤ .
(٥) مثالب الوزيرين ص ١٣٠ .

الصاحب فى الغالب أحد المتناظرين . وعن طريقة الصاحب فى مناظراته يقول أبو حيان فى نص له ذاكرًا لفظة المُناظرة فى قوله : وكان مع حفظه الغزير عليه مؤونة فى تلاوة آية من كتاب الله عز وجل إذا أراد أن يستدل بها فى المناظرة والجدل[1] ولفظة مُناظرة يذكرها أبو حيان فى نصوص من رسالته المعنونة فى ثمرات العلوم فيقول : وعلم الكلام الاعتبار فيه ينقسم بين دقيق يتفرد العقل به وبين جليل يفزع إلى كتاب الله تعالى فيه ثم التفاوت بين المتحلين به على مقاديرهم فى البحث والتنفير والفكر والتحبير والجدل والمُناظرة[2] ، ويقول أيضا فى نص آخر من رسالته هذه ذاكرًا لفظة مُناظرة : ومتى خلصت هذه المشاورة والاستضاءة والاستفهام والمُناظرة من الهوى والتعصب والنكر والتغضب ، كان الحق رسيل طلب الطالب[3] .

وهناك العدد "وفير من المُناظرات التى ذكرها أبو حيان فى كتاباته كالإمتاع والمؤانسة والبصائ والذخائر ومثالب الوزيرين وغيرها من الكتب الأخرى ، وهذه الكتب حكت لنا عن مناظرات جرت فى مجالس الوزراء البويهيين ، أمثال ابن العميد وابن عباد والمهلبى وابن سعدان وزير صمصام الدولة ، وكان كل من هؤلاء له مجلس يُباهى به ويفخر على مجالس الكبراء الآخرين ، ومجلس ابن سعدان كان يجمع خيرة العلماء والأدباء ، وفى كتاب الإمتاع والمؤانسة دوّن أبو حيان ما كان يدور في ذلك المجلس من مناظرات وأحاديث ومذاكرات . وأبرز ما دوّنه أبو حيان المناظرة الكبرى التي جرت بين أبي سعيد السيرافي وأبي بشر متّى وتعتبر هذه المُناظرة من أشهر المناظرات التى جرت فى القرن الرابع الهجرى ، فالمناظرة قامت بين شيخين ، لكل منهما فى علمه الذى اختص به منزلة لا تقل عن منزلة

(١) مثالب الوزيرين ص ٨٢ .
(٢) رسالة فى ثمرات العلوم ص ١٩٢ .
(٣) رسالة فى ثمرات العلوم ص ١٩٣ .

صاحبه وكانت آراء هذين الشيخين تمثلان اتجاهين ثقافيين بارزين في ذلك العصر . فقد جرت المناظرة بين نحوى ومنطقى ، وكان موضوعها المُفاضلة بين النحو المنطق ، ومكانها فى مجلس الوزير أبى الفتح بن الفرات ، وقد حضر المجلس جمع من العلماء ، وكان لها من الصيت ما جعلها تفرض نفسها على المؤلفين فرضا . وفيما يلى وصف أبى حيان لهذه المناظرة وقد حكاها كلها فى الجزء الأول من كتابه الإمتاع والمؤانسة فقال : ذكرت للوزير مناظرة جرت فى مجلس الوزير أبى الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات بين أبى سعيد السيرافى وأبى بشر متى . واختصرتها فقال لى : اكتب هذه المناظرة على التمام فإن شيئا يجرى فى ذلك المجلس النبيه بين هذين الشيخين بحضرة أولئك الأعلام ينبغى أن يغتنم سماعه ، وتوعى فوائده ، ولا يتهاون بشىء منه[1] فكتبت : لما انعقد المجلس سنة ست وعشرين وثلاثمائة ، قال الوزير ابن الفرات للجماعة -وفيهم الخالدى وابن الأخشاد والكتبى وابن أبى بشر وأبو عمر قدامة بن جعفر والزهرى وعلى بن عيسى الجراح وابن فراس وابن رشيد وابن عبد العزيز الهاشمى وابن يحيى العلوى ورسول ابن طغج من مصر والمرزبانى صاحب آل سامان : ألا ينتدب منكم إنسان لمناظرة متّى فى حديث المنطق ، فإنه يقول : لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل والصدق من الكذب والخير من الشر والحجة من الشبهة والشك من اليقين إلا بما حويناه من المنطق وملكناه من القيام به . فأحجم القوم وأطرقوا قال ابن الفرات : والله إن فيكم لمن يفى بكلامه ومناظرته ، وإنى لأعدكم فى العلم بحارا[2] ، ثم قال ابن الفرات مخاطبا السيرافى : أنت لها ياأبا سعيد ، فقال أبو سعيد : مخالفة الوزير فيما رسمه هُجْنة ثم واجه متى فقال : حدثنى عن المنطق ما تعنى به ؟[3] . وتستمر هذه

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٠٧ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٠٨ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٠٩ .

المناظرة ساعات وساعات ، وتستغرق كتابتها فترة من الزمن يصفها أبو سعيد السيرافى قائلا : لم أحفظ عن نفسى كل ما قلت ولكن كتب ذلك أقوام حضروا فى ألواح كانت معهم ومحابر أيضا وقد اختل على كثير منه[١] . ويصف أبو حيان نهاية هذه المُناظرة الشهيرة قائلا : تقوض المجلس وأهله يتعجبون من جأش أبى سعيد الثابت ولسانه المتصرف ووجهه المتهلل والوزير ابن الفرات يثنى عليه ويقول : عين الله عليك أيها الشيخ لقد حكم طرازًا لا يبليه الزمان ولا يتطرق إليه الحدثان[٢] وكان للسيرافى يوم المُناظرة أربعون سنة[٣] وهذه المُناظرة رواها على ابن عيسى الرمانى لأبى حيان مشروحة[٤] وإن كان أبو سعيد قد روى لأبى حيان لمعا من هذه القصة[٥] .

وبعد هذه الجولة القصيرة فى مجالس المناظرات نستعرض بعض ما ورد فى كتابات أبى حيان من اشتقاقات للمادة نظر . وقبلها نذكر لفظة الجمع مناظرات ونكتفى بأقل ما يمكن من النصوص . هذا وقد وردت لفظة الجمع مناظرات فى نصوص عديدة من كتابات أبى حيان وهذه الصيغة لم ترد فى اللسان أذكر نصًّا له يصف فيه ابن ثوابة الكاتب فى دفاعه عن البلاغة وأصحاب النثر من كتاب البلاغة ، فيقول ، وكان ابن ثوابة إذا جال فى هذه الأكناف لا يلحق شأوه ، ولا يشق غباره ، وله مُناظرات واسعة فى هذا الباب مع جماعة من أهل زمانه ناقضوه وعارضوه ، فثبت لهم ، وانتصف منهم ، وأربى عليهم[٦] .

ومن المادة نظر ترد الأفعال نَاظَر يتناظر ويتناظرون والألفاظ نَظَر ومُناظِر ونَاظِر ومُتناظرون . وهذه الاشتقاقات يذكرها أبو حيان فى نصوص عديدة من

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٢٨ .
(٢) الإمتاع والمؤاسة حـ ١ ص ١٢٨ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٢٩ .
(٤) الإمتاع والمؤاسة جـ ١ ص ١٠٨ .
(٥) الإمتاع والمؤاسة جـ ١ ص ١٢٨ .
(٦) الإمتاع والؤاسة حـ ٢ ص ١٣٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كتاباته فيقول موردًا لفظة نَظَر والفعل ناظر : وفيما يتعلق بأبواب النَّظَر فى العمارة ، هل نَاظَر خائنا مقتطفا ، أو استدرك مالا مختلسا[١] ، وقال أبو حيان أيضا ذاكرًا الفعل يناظر ولفظة نظر : قال الداركى : رأيت أبا الفرج المالكى يناظر أبا إسحاق المروزى ، فقال له فى النَّظَر : إنك تلحن فلو أصلحت من لسانك[٢] . والفعل نَاظَر وتَناظر يردان عند أبى حيان فى قوله : نَاظَر شريف الآباء شريفا بنفسه ، وتناظر آخران فى هذا المعنى فقال أحدهما لصاحبه : إن شرفك إليك ينتهى[٣] ، ويقول أبو حيان موردا لفظة تناظر : وقيل لبزرجمهر : تعال حتى نتناظر في القدر . قال : وما أصنع بالمناظرة[٤] وقيل للنظام : أتناظر أبا الهذيل ؟ قال نعم وأطرح له رخًا من عقلى[٥] ، ويقول أبو حيان ذاكرًا الفعل نَاظَر ويناظر : قيل لأبى الهذيل العلاف –وكان متكلم زمانه– إنك لتناظر النظام وتدور بينكما نوبات ، وأحسن أحوالنا إذا حضرنا أن ننصرف شاكين فى القاطع منكما والمنقطع ، ونراك مع هذا **يناظرك** زنجويه الحمال فيقطعك فى ساعة[٦] ، والفعل يتناظرون يرد فى قول أبى حيان عن المتكلمين : يتناظرون مستهزئين ويتحاسدون متعصبين متخادعين[٧] ، ويقول أبو حيان أيضا : وكيف ترى اعتراض آخر حين قال : وقد أقبل على جماعة يتناظرون فى القرآن . أبطله رسول الله ﷺ بقوله « المراء فى القرآن كفر[٨] ، ولفظة **مُناظِر** ترد عند أبى حيان فى نص له يقول فيه : فأنا أتبع ما يقوى فى نفسى ، لأن الله عز وجل قاذف تلك المحبة فى نفس ومتوليها دونى ، ولو كان العمل على بيان الخصم ، واحتجاج النظير وشواهد المُناظر[٩] ويقول أيضا : ذاكرًا لفظة المُناظر بمعنى المماثل : والمنجمون يقولون : إن الثامن

---

(١) مثالب الوزيرين ص ١٤٦ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٤٩ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٥٥ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ٤ ص ١٩ .
(٥) الإمتاع ، حـ ٢ ، ص ٩٠ .
(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٩٠ .
(٧) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٤٢ .
(٨) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٥٤٥ .
(٩) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٤٠٥ .

من مقابلة الثانى ، فكأن المناظر والمقابل يدلان على العداوة[1] . ولفظة **نَاظِر** ترد فى نص لأبى حيان يقول فيه : والناظِر فى النجوم ينقسم نظره أيضا إلى أحد غرضين والناظر فى الحساب المفرد بالعدد فهو شريك صاحب النجوم[2] ، وقول أبى حيان : وهذا باب إذا حفظ فهم من شيء كثير مما يقع فيه الغلط من الإنسان بفكره الردىء وينفع أيضا نفعا بينا فى التغالط العارض بين المتناظرين على جهة التنافس والتناصف[3] .

ومن أنشطة المجالس الثقافية « **المُذاكرة** » وهذه اللفظة وردت فى أماكن متعددة من كتابات أبى حيان ، وقد جاء فى اللسان : ذكره يذكره ذكرًا . والذِّكْر : الحفظ للشيء تَذْكُره . والذِّكْر : ما ذكرته بلسانك وأظهرته . وقوله تعالى : ﴿ واذكروا ما فيه ﴾ ، معناه ادرسوا ما فيه[4] هكذا تناول صاحب اللسان مادة « ذ ك ر » أما لفظةُ مُذاكرة فلم يرد ذكرها فى اللسان ولا فى المعاجم العربية الأخرى . وعرف أبو حيان **المُذاكرة** فى نصوص كثيرة من كتاباته فقال فى نص له من كتاب الإشارات الإلهية : لأن الكلام مع الخصم من المهاترة والمناظرة والمُذاكرة ويقول موضحا معنى المُذاكرة توضيحا وافيا : وأما المُذاكرة فالمقصود بها طلب الفائدة ، كالرأى المعروض على العقول المختلفة إلى أن يقع الاختيار عليه بعد الاتفاق والمُناظرة متوسطة بين المُهاترة والمُذاكرة[5] ، ويقول أبو حيان فى الإشارات الإلهية أيضا موردا لفظة المُذاكرة فى نصه الذى يبدأه مخاطبًا : ياهذا ! التيقظ بالمعارف إيقاظ للقلوب من الغفلات . التعارف بالتذاكر استحفاظ للغيوب من الهفوات . فاجتهد أن تديم المُذاكرة ، فإن أدنى

---

(١) الهوامل والشوامل ص ٢١٣ .

(٢) رسالة فى ثمرات العلوم ص ١٩٤ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ٣ ص ١٢٤ .

(٤) اللسان جـ ١ ص ١٠٧١ .

(٥) الإشارات الإلهية ص ١٠٨ .

ما فيها أن يتصرم عنك وقتك ولك فيه أثر[1] ، وترد لفظة المُذاكرة فى قول أبى حيان بمعنى الذِّكر : وهل يقال : الطبيعة حية ، والنفس حية ، والعقل حى ؟ فإن هذا وما أشبهه شاغل لقلبى ومعترض بين نفسى وفكرى ، وإن كان الرجوع فيه إلى الكتب الموضوعة من أجله كافيًا ، فليس ذلك مثل البحث عنه باللسان ، وأخذ الجواب عنه بالبيان ، والكِتاب موات ، ونصيب الناظر فيه منزور ، وليس كذلك المُذاكرة والمُناظرة والمُواتاة[2] ويذكر أبو حيان لفظة المُذاكرة فى نص له مبينًا معناها الاصطلاحى بالمجالس وأنشطتها ، فيقول : وقال لى ابن عباد : حدثنى عن بعض لياليه ببغداد – يعنى ذا الكفايتين – وعن مُذاكرة الجماعة عنده ، ومشاركته لها – [3] ، ويذكر أبو حيان لفظة المُذَاكرة فيقول فى بصائره : وأيام الموسم فنخوض مرة فى الفقْه ومرة فى المذاكرة ، ومرة فى أخبار الناس وأشعار العرب[4] .

ويحدثنا أبو حيان عن مواضيع **المُذاكرة** فيقول : قال أبو زكريا الصيمرى عند أبى سليمان فى مُذاكرة طويلة : إن كانت النفس ، واعتبار حالها ، بمنزلة الدرة فى الحقة ، والجوهر فى عمق البحر ، وما أشبه ذلك فليس النفس فى الحكم البدن[5] ، ويقول أيضا ذاكرًا نوعًا آخر من مواضع المُذاكرة : جرت أدام الله روح قلبك ، وبرد فؤادك مُذاكرة فى البيان عن أصناف الحياة[6] وقال أبو حيان فى البصائر مُوردًا لفظة المُذاكرة : وسيمر فى الكتاب فن آخر من حدود الفلاسفة للأمور الطبيعيّة ، والمنطقيّة الإلهية على قدر ما وقع لى منهم باللقاء والمُذاكرة[7] . ويصف

---

(١) الإشارات الإلهية ص ٣١٦ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١٠٧ .
(٣) مثالب الوزيرين ص ٣٣٦ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٧٣٦ .
(٥) المقابسات ص ٣٧٩ .
(٦) رسالة الحياة ص ٥٢ .
(٧) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢٨٥ .

أبو حيان إحدى المُذاكرات ومكان انعقادها فيقول واصفا مذاكرة جرت فى مجلس ابن سعدان وكان موضوعها فى الأخلاق : وقطب هذه المُذاكرة فى الأخلاق على أن تهذيبها وتطهيرها وردها إلى مقارها وتسويتها وتعديلها من الصعب العسر والممتنع المتعذر[(١)] . وترد لفظة مُذاكرة فى حديث لأبى حيان مع القومسى يقول فيه : لا تسرع ، أيدك الله ، إلى الطعن والعيب فى هذه المواضع التى ترد قليلا ولا تبلغ ظنك بها ، فإن الجميع أخذ عن هؤلاء الجلة الأعلام ، حسب ما كانت المُذاكرة والمُقابسة يمتدان بهم ويقران عليهم ، وكان الغرض كله أن يستفاد كل ما تنفسوا به ، وتنافسوا فيه[(٢)] ، ويقول أبو حيان موردا لفظة المُذاكرة والفعل **ذاكر** فى إحدى مقابساته : ذاكرت طبيبا ، شاهدته بجنديسابور بشيء من العلم، فما أذكر تلك المذاكرة، وتلك الفائدة، وتلك المساءلة إلا سنح ذلك الشيخ ، وكان يكنى الطيب ، لعينى . وتمثل فى وهمى وحتى كأنى أراه قريبا منى[(٣)] ، ويبين أبو حيان فى أحد نصوصه الأهمية الثقافية للمذاكرة فيقول : وطلب العلم مرة بدرس كتاب ، ومرة بُمذاكرة نظير ، ومرة بخدمة عالم[(٤)] ، وهكذا عرف أبو حيان المُذاكرة وبين أهميتها .

وأنشطة المجالس الثقافية تشمل أيضا **المُدارسة** والدِّراسَة ، والدَّرْس ، والتدريس وقد جاء فى اللسان دَرَسَ الشيء والرَّسْمُ يَدْرُس دُرُوسًا بالضم : عفا . ودَرَسَتْه الريح تدرسه درسًا أى محته . ومن ذلك دَرَست الثوب أدْرُسُه دَرْسًا أى أخلقته . ودَرَسْت الكتاب أدْرُسُه دَرْسًا أى ذللته بكثرة القراءة حتى خف حفظه على . ودَرَسْت السورة أى حفظتها . ودَرَسْت الصعب رضته . والدِّراسى : المدارسة . وأصل الدِّراسَة : الرياضة والتعهد للشيء . والدَّرْس الجرب أول ما يظهر منه .

---

(١) المقابسات ص ٨٦ .

(٢) المقابسات ص ١٠٧ .

(٣) المقابسات ص ١٨٨ .

(٤) البصائر والذخائر ج ٣ ص ٤٢٢ .

والدَّرْس أثر الدراس[1] وجاء فى تاج العروس فى تعريفه للمُدارسة هى القراءة ، والمُدارسة والمُدِّرس بالكسر الموضع يدرس فيه ، وأصل المدارسة الرياضة والتعهد للشيء . ودَرَّسه تدريسًا شدّد للمبالغة ومنه مُدَرِّس المدرسة[2] ، ويذكر أبو حيان فى كتاباته الألفاظ مُدارسة ودِراسة ودَرْس وتدريس والفعل درس بالمعنى الخاص بالعلم والتعليم . فيقول أبو حيان موردا لفظة المُدارسة فى نص له من كتاب البصائر : وقد قيل : أنماه الله ، وهو قليل ، والعربية ما قلته لك ، وهذا كله سماع بعد تحكيك ومُدارسة وتصحيح ومقايسة[3] ويقول متسائلًا فى هوامله ذاكرًا لفظة مدارسة بمعناها الدال على النشاط الثقافى للمجالس : ما علة افتتان بعض الناس فى العلوم على سهولة من نفسه ، وانقياد من هواه واستجابة من طبعه ، وآخر لا يستقل بفن مع كد القلب ، ودوام السهر ، ومواصلة المجالس ، وطول المُدارسة ؟ ولعل الأول كان من المحاويج ، والثانى من المياسير[4] .

ولفظة **دِراسة** وردت عند أبى حيان فى وصفه للقومسى فقال : وأما القومسى أبو بكر ، فهو رجل حسن البلاغة ، حلو الكتابة ، كثير الفقر العجيبة ، جماعة للكتب الغريبة ، محمود العناية فى التصحيح والإصلاح والقراءة ، كثير التردد فى الدِّراسة إلا أنه غير نصيح فى الحكمة[5] . وترد لفظة دِراسة أيضا فى قول أبى حيان لأحدهم : وأنا ضامن لك أنك لا تخلو فى دِراسة هذه الصحيفة من أمهات الحكم ، وكنوز الفوائد[6] . وترد لفظة دِراسة فى نص لأبى حيان يورده على لسان ابن كانون فى وصفه لمجلس الصاحب وما فيه من أنشطة فيقول: قال ابن أبى كانون

---

(١) اللسان جـ ١ ص ٩٦٨ .

(٢) تاج العروس جـ ٤ ص ١٤٩ .

(٣) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣٥٠ .

(٤) الهوامل والشوامل ص ١٦٤ .

(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٣٤ .

(٦) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٦، ٧ .

فى مجلس الصاحب والآن قد حصلت بعد الدراسة الطويلة والمنازعة الشديدة ، وبعد البحث والنَّظَر ، والكشف والجدل وبعد اعتبار هذا الشيخ فى نفسه وسيرته ، وما رآه إلا صاحب دنيا يعمل للعاجلة ولا أرى أصحابه المطيفين به إلا كذلك[1] .

وترد لفظة **دِراسة** فى نص لأبى حيان يتحدث فيه عن المعلمين وطرق تدريسهم للصبيان فيقول : وهذه أشكال تعجب الصبيان ولا تنفرهم من المعلمين ، ويكون فرحهم بها مسببا للملازمة والحرص على التعلم والحفظ والرواية والدِّراسة[2] ، والفعل دَرَّس يرد فى أماكن متعددة من كتابات أبى حيان ففى أحد هذه النصوص يقول أبو حيان : قطن العامرى الرى خمس سنين جمعة ودَرَّس وأملى وصَنَّف وروى ، فما أخذ مسكويه عنه كلمة واحدة[3] ، ويقول ذاكرًا الفعل أُدَرِّس ، فى مخاطبته لأحدهم : فأحضر واقرأ أى مقالة أحببت فإنى أدرسها لك[4] .

ولفظة **الدَّرْس** يذكرها أبو حيان فى نصوص مبينا علاقتها بأنشطة المجلس فيقول فى مثالبه : أيها القاضى كيف الحال والنفس وكيف الإمتاع والأنس وكيف المجلس والدرس[5] ويقول أيضا ذاكرًا لفظة الدرس : إن أقرب الطرق وأسهل الأسباب هو معرفة الطبيعة والنفس والعقل والإله تعالى ، فإنه متى عرف هذه الجملة بالتفصيل فقد فاز الفوز الأكبر وكفى مؤونة عظيمة فى قراءة الكتب الكبار ، مع العناء المتصل فى الدَّرْس والتصحيح[6] .

أما لفظة **تدريس** فترد عند أبى حيان فى نصوص عديدة من كتاباته ففى كتاب

---

(١) مثالب الوزيرين ص ١٤١ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٧٠ .
(٣) الإمتاع جـ ١ ص ٣٦ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٤٠٧ .
(٥) مثالب الوزيرين ص ٦٨ .
(٦) الإمتاع جـ ١ ص ١٠٦ .

الإمتاع يقول أبو حيان فى أحد نصوصه منها ما قاله عن جَعْل : أما أبو عبد الله الجَعْل فقد شاهدته وكان يرجع إلى قوة عجيبة فى التدريس وطول نفس فى الإملاء[١] ، ويقول أبو حيان أيضا موردًا لفظة تدريس : فقال عز الدولة : وأما أنت ياأبا الحسن- يريد على بن عيسى- فوحق أبى لأحب لقاءك ، وأوثر قربك ولولا ما يبلغنى من ملازمتك لمجلسك وتدريسك لمختلفيك ، لغلبتك على زمانك[٢] . ولفظة التدريس لم أجد لها تعريفا فى اللسان . وقبل أن أختم الحديث عن المُدارسة والدِّراسة أذكر ما قاله الصديقى فى كتابه أبجد العلوم عن علم الدرس وآدابه : علم الدرس بأنه هو العلم المتعلق بآداب تتعلق بالتلميذ وعكسه ومنفعته وغايته وغرضه ظاهرة جدا ، وقد استوفى هذا الباب فى كتاب « تعليم المتعلم »[٣] .

ولفظة مُجالسة هى من الألفاظ التى تدخل فى مجال حديثنا عن الفعاليات والأنشطة الثقافية للمجالس ، وقد جاء فى اللسان جلس يجلس جُلُوسًا ، فهو جَالِس من قوم جُلُوس وجُلاس ، والمَجْلس : موضع الجلوس . وقد جالسه مُجالسة وجُلاسًا . وجالسته فهو جليس[٤] ، ويذكر أبو حيان لفظة مجالسة فيقول : ومن تحلى بالسيادة وسام الناس الانقياد له بالطاعة يحتاج إلى خصال كثيرة يكون مطبوعا عليها سوى خصال أخر يكون مشغوفا بها وباكتسابها من أصحابها بالمُجالسة والسماع والقراءة والتقبل[٥] . وفى نص آخر ترد لفظة مُجالسة وفيه يقول أبو حيان موصيا : واعلم أن فى الناس حكمة ، ومُجالستهم تجلو بعض الظلمة[٦] ، وترد لفظة مُجالسة فى نص لأبى حيان يقول فيه : وينقطع عن

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٤٠ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١٥٨ .
(٣) أبجد العلوم جـ ٢ ص ٢٩٩ .
(٤) اللسان جـ ١ ص ٤٨٣ .
(٥) مثالب الوزيرين ص ٢٤٨ .
(٦) الصداقة والصديق ص ٤٥٧ .

الازدياد من الحكمة بمُجالسة أهل الحكمة إما مُقْتَبِسًا منهم وإما قابسا لهم[1] ، ويحدثنا أبو حيان عن المُجالسة وأنواعها مبينا نوعية كل مُجالسة منها فيقول : مُجالسة أهل الديانة تجلو عن القلوب صدأ الذنوب[2] ومُجالسة أهل المروآت تدل على مكارم الأخلاق ومجالسة العلماء تزكى النفس[3] ومُجالسة الأشْكَال تدعو إلى الوصال ، ومُجالسة الأضداد تذيب الأكباد[4] .

وجاءت لفظة مُجالسة فى نص لأبى حيان يصف فيه حديثًا دار بين عبد الملك بن مروان ومالك بن عمارة فى مجلس من مجالس الإمتاع فيقول : فلما تفرق الناس نهضت للقيام فقال : على رسلك أيها الرجل ، أى الأمرين أحب إليك : المقام عندنا ، ولك النصفة فى المعاشرة والمُجالسة مع المواساة ، أم الشخوص ولك الحياء والكرامة ؟[5] فى النصوص السابقة بين لنا أبو حيان أهمية المُجالسة بالنسبة للأنشطة المتعددة للمَجَالِس فى عصره . وترد لفظة الجمع **مُجالسات** فى نصوص لأبى حيان أغلبها من كتاب البصائر والذخائر وفى هذه النصوص يقول أبو حيان موردًا لفظة مجالسات اسما لكتاب : ويقال : وكل منشق منعق ، ورأيت درعا كالبهى وكحجاب الماء . هذا كله قاله ثعلب فى المُجالسات[6] ويقول فى البصائر أيضا : قال الحسن بن على بن أبى طالب : أعطى القرآن عزائمه فما عليه وله ، فأحل حلاله ، وحرم حرامه حتى أورده ذلك رياضة موفقة ، وحدائق مغدقة ، ذاك ابن أبى طالب ، روى هذا ثعلب فى المُجالسات[7] ، ويقول أبو حيان أيضا ذاكرًا مُجالسات ثعلب فى بصائره : قال ثعلب فى المُجالسات جاء رجل من آل

---

(١) الإمتاع جـ ١ ص ٢٢٥ .
(٢) الصداقة والصديق ص ٣٨٢ .
(٣) الصداقة والصديق ص ٣٨٣ .
(٤) الصداقة والصديق ص ٣٣٠ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٧١ .
(٦) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٣٩٤ .
(٧) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٤٣٥ .

حكيم بن حزام إلى أبى أويس ، فقال : إنى رأيت كأنى أنظر فى لوح من ذهب[1]. لفظة مُجالسات لم ترد فى اللسان ، ولم يبيّن ابن منظور فى معجمه معنى المُجالسة الاصطلاحى فقط ذكر المعنى اللغوى للمُجالسة فى تناوله للمادة جلس .

ثم نأتى إلى المُقابسة وهى من أهم أنشطة المجالس الثقافية فى القرن الرابع الهجرى ، ومعنى المُقابسة أن يشترك اثنان أو أكثر من الناس فى محاورة علمية ، فيأخذ أحدهم العلم من الآخر ، ويعطيه ما عنده من العلم[2]. وازدهرت المُقابسات فى عصر أبى حيان التوحيدى وكانت من مميزات هذا العصر ، وكتاب المُقابسات لأبى حيان خير شاهد على عصره . وقد جمع أبو حيان فى كتابه هذا ما كان يدور من أحاديث فى مَجالِس الفيلسوف السجستانى كانت هناك فى بغداد جماعة يرأسها الأستاذ الكبير أبو سليمان المنطقى وكان كل همهم أن يجتمعوا فى بيت رئيسهم للمتعة العقلية وكفى ، فلم يكونوا رجال دعوة وتبشير ولا ذوى مطامع ومطامح ، وكان هؤلاء العلماء من مذاهب متباينة أمثال ابن زرعة وابن الخمار وابن السمح ، والقومسى ، ومسكويه ويحيى بن عدى ، وعيسى بن على وأبى حيان التوحيدى وغيرهم[3] . وكان أبو سليمان هذا رئيسهم وجامع شملهم ، يثيرون المسائل فى مجلسه حيثما اتفق ، من سياسية واجتماعية ولغوية ودينية وكل منهم يبدى رأيه والكلمة الأخيرة لأبى سليمان ، الذى كان أدقهم نظرا وأقعر غوصا وأصفاهم فكرا[4] ، هكذا وصفه أبو حيان ودوّن له محاضر بعض هذه المجالس فى كتابه المُقابسات وقد وصف المستشرق ما يرهوف كتاب المُقابسات فقال : إنه يحتوى على ستة ومائة مقابسة أو محاورة بين العلماء تدور حول

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٤٥١ .
(٢) المقابسات / المقدمة للمحقق محمد توفيق حسن ص ١٠ .
(٣) ظهر الإسلام ، أحمد أمين ، جـ ٢ ص ١٦٣ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٣٣ .

التعاريف الفلسفيّة والطبيعيات والمنطق والإلهيات وموضوعات أخرى ، وهى موضوعة فى قالب أدبى والملح تسودها إلى جانب التلاعب بالألفاظ وليس المهم المحاورات التى كتب المؤلف بعضها من عنده ، ولكن المهم الوسط العلمى الذى يدخلنا أبو حيان فيه : فجماعات من العلماء تجتمع غالبا حول أبى سليمان السجستانى فى بيته أو تتقابل فى الوراقين فى سوق أمام باب البصرة فى بغداد ، حيث يوجد أكثر من مائة وراق بحوانيتهم ، وكانت الجماعة مكونة من أُناس مختلفى المشارب والنِّحل فكانت تجمع بين مختلفى المذاهب من المسلمين ، والنصارى والصائبة والعلماء الذين رحلوا إلى بغداد من الأندلس فى الغرب ، ومن بخارى فى الشرق ومن شيراز فى الجنوب ومن حدود الإمبراطورية البيزنطية فى الشمال ، لكى يحصلوا العلوم فى قلب الإمبراطورية الإسلامية ، وإلى جانب الفلاسفة نجد الرياضيين والفلكيين والأطباء والمؤرخين والمتكلمين والشعراء وغيرهم من الأدباء(١) .

وقد رد الدكتور زكريا إبراهيم على ما يرهوف فى قوله بقلة جدول المحاورات التى نقلها إلينا أبو حيان ، ذلك أن صياغتها فى القالب الأدبى لا تنقص من قيمتها العلمية ، بل هى تدلنا على أن التوحيدى كان واحدا من أولئك الأدباء والفلاسفة الذين حاولوا فى القرن الرابع الهجرى أن يحيلوا الفلسفة إلى ثقافة شعبية يفيد منها العامة من الناس ، وينهلون من معينها شتى ألوان المعرفة(٢) . ويقول الدكتور زكريا أيضا : ونحن لا نوافق ما ذهب إليه البعض بكثرة التلاعب اللفظى فى المُقابسات ، بل نحن نرى على العكس من ذلك أن التوحيدى كان مهتما فى هذا الكتاب بتحديد معانى الألفاظ ، والتمييز بين المترادفات ، والكشف عن الصلة بين

---

(١) التراث اليونانى د. بدوى ص ٩٠ لبحث ماكس مايرهوف من الإسكندرية إلى بغداد .
(٢) أبو حيان التوحيدى ، زكريا إبراهيم ص ١٠٩ .

الفكر واللغة أو المنطق والنحو[1] . ويقول محمد توفيق حسين فى رده على هؤلاء المستشرقين فى مقدمته لكتاب المقابسات : ولقد سجل أبو حيان هذه المقابسات ، وأغلب الظن أنه نشر بعضها فى حياة أصحابها ، ولا يعقل أن يزور كلامًا على لسان أحياء مشهورين فى عصره ، معدودين من أساتذته وأصحابه ، ويذيعه بين الناس[2] ، ويقول الدكتور حسين أيضا : الحق أن التلاعب بالألفاظ الذى يراه دى بور فى المُقابسات ناتج عن نزعة فلاسفة المقابسات الأدبية ، وعن طبيعة فلسفتهم الذاتية . فالمواضيع ميتافيزيقية صوفيّة فى معظمها ، تغرى بالاحتفال بالألفاظ والتلاعب بالمعانى ، والهيام بالأوصاف الخيالية الشعرية . والفلسفة الأفلاطونية المحدثة ، التى ينتمى إليها فلاسفة المقابسات إنما تقوم أساسا على اللغة الشعرية والألفاظ العاطفية المحاطة بظلال الغموض ، التى تستهدف إيصال القارئ درجة النشوة الروحية والوجد الصوفى ، أكثر مما تقوم على إقناع العقل بالحجة المنطقية والبرهان الواضح الرصين[3] والحاصل أن المقابسات ليست أبحاثا منظمة فى الفلسفة ، وإنما هى خطرات فلسفيّة ، وأحاديث تدور فى حلقة درس ، أو مجلس سمر ، حول مشكلة من مشاكل الحياة والفكر ، وهدفها على كل حال الإقناع والإمتاع وتحل المقابسات العبارات الأنيقة ، والمترادفات اللغوية ، والخطرات العاطفية ، محل الحوار الجدلى الفلسفى . وأبو حيان نفسه يؤيد هذا القول قائلا : هذه معانى اختلست من مذكرات هؤلاء المشائخ فلم تورد تامة مستقصاة لأن الكتب التى توضح هذه الدقائق موجودة[4] .

---

(١) أبو حيان التوحيدى ، زكريا إبراهيم ص ١١١ .
(٢) المقابسات المقدمة للمحقق د. محمد توفيق حسين ص ١٤ .
(٣) المقابسات المقدمة للمحقق د. محمد توفيق حسين ص ١٨ .
(٤) المقابسات ص ١١١ .

كلمة المقابسة من مادة عربية ، قال صاحب اللسان : القَبَس : النار . والقبس : الشعْلة من النار تقتبسها من مُعْظَم ، واقتباسها الأخذ منها ، وقوله تعالى :﴿بشهاب قبس﴾ والقَبَس : الجذوة ، وهى النار التى تأخذها من طرف عود . وفى حديث على رضوان الله عليه : حتى أوْرى قبسا لقباس أى أظهر نورا من الحق لطالبه . والقابِس : طالب النار وهو فاعل من قَبَسَ . وقد قبس النار يقتبسها قبسًا واقتبسها ، وقبستك نارًا وعلما ، بغير ألف ، وقيل : اقبسته علما وقبسته نارا أو خيرا إذا جئته به ، فإن كان طلبها له قال : أقبسته بالألف وقد يجوز طرح الألف منها . ويقّتبس العلم فأقبسناه أى علمناه . وفى حديث عقبة بن عامر : فإذا راح أقبسناه ما سمعناه من رسول الله ﷺ أى أعلمناه إياه[1] .

ولفظة المُقابسة ومعها اشتقاقات مختلفة من المادة قبس ، وردت فى كتابات أبى حيان فى أماكن عديدة ولكثرة أماكن ورودها يحتار المرء فى تفضيل نصٍّ على نصٍّ ومع صعوبة الاختيار سأذكر بعض النصوص لأهميتها ، وفى أحد هذه النصوص يقول أبو حيان ذاكرا لفظة المُقابسة فى وصفه لما دار فى مجلس السجستانى ويصف رواد ذلك المجلس : هذه المقابسة دارت فى مجلس أبى سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستانى وعنده أبو زكريا الصيمرى ، وأبو الفتح النوشجانى ، وأبو محمد العروضى ، والمقدسى ، والقومسى وغلام زحل . وكل واحد من هؤلاء إمام فى شأنه وفرد فى صناعته سوى طائفة دون هؤلاء فى الرتبة ، وهم أحياء بعد ، فاستخلصتها جهدى ورسمتها فى هذا الموضع[2] .

ويذكر بعض المُقابسات التى رواها أبو سليمان بمفرده ويبدؤها أبو حيان بقوله : سمعت ، ومنها المُقابسة التى يقول فيها : نذكر فى هذه المُقابَسة أشياء

---

(١) اللسان جـ ٣ ص ٦ .　　(٢) المقابسات ص ٥٧ .

سمعناه من أبي سليمان ، في مجالس الأنس ، إن لم تكن من صدر الفلسفة فإنها لا تخرج من جملتها[1] ويقول أيضا : سمعت أبا سليمان المنطقي يقول : لو لم يكن في النوم من الحكمة إلا أنه شاهد على المعاد وكفى ، وفاتحة هذه المُقابسة مدخولة ولكن الشيخ كذا قال[2] .

وفي بعض المُقابسات يحدد أبو حيان موضوع المُقابسة فيقول : قد مرت في هذه المُقابسة التي تقدمت ، فنونٌ من الحكمة وأنواع من القول ، ليس لي من جميعها إلا حظ الرواية عن هؤلاء الشيوخ ، وإن كنت قد استنفذت الطاقة في تنقيتها وتوخي الحق فيها[3] ، ويقول أبو حيان أيضا موضحا موضوع المقابسة : قد حوت ، أبقاك الله ، هذه المُقابسة ، ضروبا من الكلام في النفس[4] ويقول أيضا واصفا إحدى المقابسات : هذه مُقابسة نذكر فيها نوادر سمعناها في الفلسفة العالية من أبي سليمان[5] ، ويقول أبو حيان ذاكرًا المُقابسة وموضوعها الرئيسي : إنما الصداقة لغة ، وهي أم هذه المُقابسة[6] .

وقد سجل أبو حيان تواريخ بعض مقابساته مثل المُقابسة الرابعة عشرة فقال : قال يحيى بن عدى ، في درس البديهي عليه سنة إحدى وستين وثلثمائة وأنا حاضر مبدأ الجوهر والصورة والمادة[7] ، ويقول : محددًا تاريخ المُقابسة الحادية والستين : قال أبو سليمان ، وأنا أقرأ عليه كتاب النفس للفيلسوف سنة إحدى وسبعين وثلثمائة بمدينة السلام ، إن النفس قابلة للفضائل والرذائل[8] . وترد لفظة مقابسة في قول أبي حيان وهو يحدثنا عن الشيخ أبي سليمان ومنزلته العلمية

---

(١) المقابسات ص ٣٣٢ .
(٢) المقابسات ص ٤٤٦ .
(٣) المقابسات ص ٣٥٥ .
(٤) المقابسات ص ٤١١ .
(٥) المقابسات ص ٢٧١ .
(٦) المقابسات ص ٤٥٥ .
(٧) المقابسات ص ١٠٤ .
(٨) المقابسات ص ٢٤١ .

الرفيعة ، وما يدور فى مجلسه من محاورات علمية ، فيقول فى المُقابسة الثانية والسبعين واصفا هذه المقابسة القيمة : فوالله الذى لا إله إلا هو لو تزينا بهذه المُقابسة وحدها من هذا الشيخ رحمه الله ، لكانت زينة لنا إلى آخر الأبد ولها أخوات تعضدها وأمهات تشهد بصحبتها[1] .

ومن خلال متابعتنا لمجالس أبى سليمان وما يدور فيها من مُقابسات ، نرى أن بعض هذه المُقابسات متصلة بالبعض الآخر ، وأن حديث أبى حيان فى أكثر الأحيان متواصل ، هذا ما قاله فى المقابسة السادسة والستين : نعود فى المقابسة الأخرى إلى أشياء لأبى سليمان ، فنأتى بها على وجهها ونذكر فى هذه حكمًا سمعناها من الحرانى أبى الحسن وغيره[2] . ويقول أبو حيان فى المُقابسة الحادية والأربعين : وسيتصل بهذه المُقابسة فى الكِتاب ما يكون بيانا له ، وشاهدًا بصحته . ولو أن هذه الأوراق اشتملت على نُكتة مما فيها فقط ، لكان ذلك مما لا ينكر أنه كاف فى معناه ، موف على أقصاه ، لأن بحر هذا العلم عميق ، وقمته عالية . ولكنا وصلنا نكتة بنكتة ، ومُقابسة بمُقابسة تكثيرا للعلم وتفريجا للنفس ، واستدعاء للنشاط ، ودلالة على موضع السعة والغزارة[3] .

وأكتفى بهذا القدر من النصوص المتضمنة للفظة المُقابسة التى وردت فى كتابات أبى حيان ، ومن الملاحظ أن هذه النصوص جميعها من كتاب المقابسات ، وهناك نصوص أخرى من كتابات أبى حيان أوردت لفظة مُقابسة[4] لا يتسع المجال لذكرها لكثرة عددها .

أما لفظة الجمع **مُقابسات** فقد وردت عند أبى حيان فى نصوص عديدة أذكر

---

(١) المقابسات ص ٣٠٠ .

(٢) المقابسات ص ٣٧٤ .

(٣) المقابسات ص ١٧٣ .

(٤) انظر مثالب الوزيرين ص ٧٩ .

منها ما قاله أبو حيان فى وصفه لكتابه المقابسات : وقد أتت المُقابسات الأُوَّل على فقر بليغة فى تحقيق شأن النفس وإثبات أمرها ، وما خصت به من دون البدن والمزاج وتوابعها[1] . وترد لفظة مُقابسات فى نص آخر يقول فيه أبو حيان فى ختام مقابسته الرابعة والعشرين : تابعت حاطك الله ، بين هذه المقابسات الثلاث ، لأنها متواخية فى بابها ، أعنى أنها فى حديث اللغة والنحو والمنطق والنظر[2] . ولفظة المُقابسة فى معاجم اللغة ترد من مادة « قبس » ولهذه المادة اشتقاقات مختلفة كما وردت فى المعاجم وكما ذكرها أبو حيان أيضا ، فقد أورد أبو حيان اشتقاقات متنوعة للمادة « قبس » مثل : اقْتِباس وأقْبَاس ، وقابِس ، ومُقْتَبِس ، ومُقْتَبسون ، ومُقْتَبِسة وأيضا تصاريف متعددة للفعل قَبَسَ ، يقتبس ، تقابسوا ، أقبس .

هذه هى بعض الاشتقاقات التى وردت فى كتابات أبى حيان مع اللفظتين مُقابسة ومُقابسات ، وأكتفى بذكر بعض أماكن الورود لهذه الألفاظ . وقبل أن أترك الحديث عن لفظة المُقابسة التى لم أجد تعريفا لها فى المعاجم العربية ، **أقول إن أبا حيان هو أول من أوجد هذه اللفظة واشتقها من مادة « قبس » وهذا ما أكدته المعاجم العربية .**

ولفظة **قَبْس** وردت عند أبى حيان بمعنى الشعلة فقال فى هذا المعنى : عين النار تنبع منها نار تضىء بالليل للسيارات فلا تطفأ ولا تحتاج إلى شىء يمسكها ، لكنها محفوظة بالحجارة ، إن حمل إنسان منها شعلة قَبَس إلى موضع لم توقد[3] ، وقال أبو حيان ذاكرًا لفظة « قَبَس » بمعنى النور : ياهذا إنما يشع من هذه السكينة على قدر ما استودع صاحبها من نور العقل ، وقبس النفس[4] ، وقال أبو حيان فى ابتهالاته

---

(١) المقابسات ص ٣٧٩ .

(٢) المقابسات ص ١٣٢ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٩٤ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٢٠٨ .

ذاكرا لفظة قَبَس بهذا المعنى : اللهم إنا نغدو ونروح منتسبين إلى عز كنفك ، مهتدين بقبس لطفك[1] ، وقال أيضا موردا لفظة قبس بمعنى نور الحق : ويدينك إلى حضرته فتنعم حيث لا يلتهب لك فى صدرك نفسى ، ولا يخمد بين يديك قبس[2] .

وترد لفظة الجمع **أقْباس** فى نص لأبى حبان يقول فيه : واستضأنا بأقْباسها ، وتلهبنا بأنفاسها[3] ، ويرد الفعل قَبَسَ فى كتابات أبى حيان بتصاريف مختلفة مثل يقتبس ، واقتبس واقتبست ، وتَقَابَس ، وغيرها من تصاريف الفعل التى لا يتسع المجال لذكرها ، يقول أبو حيان ذاكرًا الفعل قَبَسَ : سئل الزجاج عن قابوس فقال : إذا جعلته أعجميا لم تصرفه ، وإن اشتققته من قولك : قَبَسْته نارا فهو فاعول صرفته[4] ويقول أبو حيان ذاكرا الفعل يقتبس فى حديثه عن الفلاسفة وما يقتبس منهم : وما عندى أن الأئمة الذين أخذ عنهم ويقتبس منهم ، كأرسطوطاليس ، وسقراط وأفلاطون ، رهط الكفر ذكروا فى كتبهم حديث الظاهر والباطن ، وإنما هذا من نسج القداحين فى الإسلام[5] ، ويقول أبو حيان أيضا ذاكرا الفعل يقتبسون : قال شيخ من المشرق فى عصر ذى الرياستين لأحداث كانوا يقتبسون الأدب عليه فى مجلسه : اعشقوا ، وإياكم والحرام[6] .

ويذكر أبو حيان الفعل نَقْتَبس فيقول : ونورك نقتبس ، وفى بحر أياديك ننغمس[7] والفعل « اقتبس » يذكره أبو حيان فيقول : وإن توكلت عليه أرادك ، وإن اقتبست منه أفادك[8] ، ويقول أبو حيان ذاكرا الفعل أقبس : فهلم أفدنا شيئا

---

(١) الإشارات الإلهية ص ٣١٧ .

(٢) الإشارات الإلهية ص ٣٧٢ .

(٣) الإشارات الإلهية ص ٦٣ .

(٤) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ١٨٤ .

(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٦ .

(٦) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٤٣٢ .

(٧) الإشارات الإلهية ص ٢٩٠ .

(٨) الإشارات الإلهية ص ٢٣٤ .

من هندستك ، وأقبسنا من طرائف حكمتك ما يكون لنا سببا إلى رحمة الله ، ووسيلة إلى غفرانه[1] والفعل تقابسوا يذكره أبو حيان فيقول : والله لقد تعبت فى تحصيل ما قالوه وخاطرت الآن برواية ما تقابسوه[2] . ويقول أبو حيان ذاكرا الفعل يقتبس : إن فى العقل مع شرفه انفعالا ، وكأنه يدور على نفسه ، أو يقتبس من الذى هو أعلى منه[3] هنا ملاحظة مهمة أن الذى يقتبس يكون أقل مرتبة ممن يقتبس منه .

ومعنى قَبَسَ العلم واقتبسه استفاده وأقْبَسه أعلمه . ويقال قَبَسْت منه نارا أقبس قَبْسًا فأقْبَسنِى أعطانى منه قَبَسًا وكذلك اقتبست منه نارا ، واقْتَبَست منه علما أيضا أى استفدته[4] . وهناك مجموعة من الاشتقاقات ترد فى كتابات أبى حيان من المادة « ق ب س » مثل قابس ، واقتباس ، وأقباس ، ومُقْتَبَس ، ومُقْتَبِس ، ومقتبسون ، ومقتبسة .

ولفظة **قابِس** كما جاء فى اللسان : طالب النار وهو فاعِل من قَبَسَ وقد وردت لفظة قابِس عند أبى حيان فى قوله : وينقطع عن الازدياد من الحكمة بمُجالسة أهل الحكمة ، إما مُقْتَبِسًا منهم وإما قابسا لهم[5] .

واللفظة **اقْتباس** هى المصدر من قبس بمعنى إفادة العلم واستفادته ، وفى هذا المعنى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة اقتباس : واصرف غاية اجتهادك ونهاية سعيك وبليغ كدحك فى اقتباس العلم فإنه نور وضياء[6] ، ويقول أيضا ذاكرًا لفظة اقتباس : وسعادة الإنسان مقسومة على اقتباس العلم والتماس العمل[7] ، ويذكر أبو حيان لفظة اقتباس فيقول : كان أفلاطون يعذل على تقديم أرسطاطاليس أيام

---

(١) مثالب الوزيرين ص ١٦١ .
(٢) المقابسات ص ١٠٨ .
(٣) المقابسات ص ٢٠١ .
(٤) اللسان جـ ٣ ص ٦ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٢٢٥ .
(٦) البصائر والذخائر جـ٢ ص ز .
(٧) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٩١ .

اختلافه إليه ، واقتباسه منه مع تلامذته فقال يوما : إنى لست أقدمه ولكن نفسه قدمته ، وإن أردتم تصديق ذلك سألتكم الساعة عن مسألة لتذكروا فيها فقالوا : سل ، فقال : ما أعجب الأشياء ؟ قال بعضهم : السماء والكواكب ، وقال بعضهم الأرزاق ، وقال بعضهم الإنسان ، وحضر أرسطاطاليس فسأله فقال : أعجب الأشياء ما لم يعرف سببه[1] . وترد لفظة اقتباس أيضا فى نصوص أخرى لأبى حيان ففى أحد هذه النصوص يقول أبو حيان : على أنا ما وجدنا الدَّيانين من المُتألهين من جميع الأديان يذكرون أن أصحاب شرائعهم قد دعوا إلى الفلسفة وأمروا بطلبها واقتباسها من اليونانيين[2] . ويقول أبو حيان أيضا ذاكرا لفظة اقْتِباس : إذا استمر صاحب هذه الحياة على أخذ الفوائد الجدية واقتباس المعارف المحققة صار شبيها بالملائكة[3] . ويذكر أبو حيان لفظة اقتباس بمعنى الشكل الفنى وذلك فى مجال حديثه عن الخط فيقول : واقتباس الخطّ الأوفى بحوله وقوته والمدار على الطبع المنقاد ، والإرادة القوية[4] . ويقول أيضا موردًا لفظة الاقتباس : واجهد فى طلب العلم ، واقتباس الأدب ، وتحصيل الحكمة[5] . ويقول أبو حيان موردا لفظة الاقتباس فى نص له من رسالة الحياة : وأما أحد نوعى الاستضاءة فى العقل فهو ما يحصل لهذا الإنسان المعنىّ بخاصة نفسه ، المُعان على الاقتباس بعقله ، القاصد إلى اقتباس حياته الدائمة من حياته الميتة المنقطعة[6] ، ويقول أبو حيان أيضا : نظر عالم إلى تلامذته فقال : ما كل ذى تحصيل يرجع إلى تفصيل ، وما كل ذى اقْتِباس يستند إلى قياس[7] .

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٤١٠ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٨ .

(٣) رسالة الحياة ص ٥٦ .

(٤) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٧ .

(٥) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢٩٨ .

(٦) رسالة الحياة ص ٧٢ .

(٧) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ح .

ولفظة الاقتباس كما تقدم نجد أنها أخذتْ حيزًا كبيرًا من كتابات أبى حيان وقد اهتم بهذه اللفظة اهتماما بالغا ، أما صاحب اللسان فلم يقف عند هذه اللفظة إلا قليلا ولفظة الاقتباس تناولتها المعاجم المختصة بالألفاظ الإسلامية بالشرح والتفصيل دونًا عن الاشتقاقات الأخرى للمادة « ق ب س » . ففى كشاف اصطلاحات الفنون يشرح التهانوى لفظة الاقتباس بإسهاب شديد أوجزه فى أسطر قليلة ، يقول التهانوى : الاقتباس بالباء ، الموحدة هو عند البلغاء أن يضمن الكلام نثرًا كان أو نظمًا شيئا من القرآن أو الحديث لا على أنه منه أى على وجه لا يكون فيه إشعار بأنه من القرآن أو الحديث ، والاقتباس ضربان أحدهما ما لم ينقل فيه المُقْتَبَس عن معناه الأصلى والثانى ما نقل فيه المقتبس عن معناه الأصلى . ولا بأس فى اللفظ المُقْتَبَس أن يقع تغيير يسير للوزن أو غيره[1] . وفى الكليات يقول أبو البقاء شارحًا لفظة الاقتباس : هو طلب القَبَس وهو الشعلة من النار ، ثم يستعار لطلب العلم . وفى الاصطلاح : هو أن يضم المتكلم إلى كلامه كلمة أو آية من آيات الكتاب العزيز خاصة[2] .

ومع لفظة الاقتباس ترد لفظة **الأقْباس** ويذكر هذه اللفظة أبو حيان فيقول : حتى نظمت هذا الذى يمر بك فى هذا – الكتاب – المكان على تنافر كبير ، وتعاند شديد بين أول وآخر ، وصدر وعجز وسلامة ودخل ، وأقباس واقتباس[3] ، ويقول أيضا ذاكرًا لفظة أقباس : وما أشك فى أطراف زلت عنى عند اختلاسها وأقْباسها[4] .

ولفظة **مُقْتَبَس** ترد عند أبى حيان فى قوله : وعلمك مقتبس ، وجاهك مبذول

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ص ١١٨٧ وانظر التعريفات للجرجانى ص ٣٣ .

(٢) الكليات لأبى البقاء جـ ١ ص ٢٥٣ . (٣) المقابسات ص ٦٥ .

(٤) المقابسات ص ٦٣ .

وضيفك محدث ، وكتبك مستعارة[1] . يقول أبو حيان فى وصفه لأحد أجزاء كتابه البصائر والذخائر موردا لفظة مُقْتَبَس فى نصه : وبعد هذا الجزء الثانى من بصائر القدماء ، وسرائر الحكماء ، وخواطر البلغاء وقد صار إليك الأول على اضطراب من تشتت أجناسه ، وفصوله ، وليس يبعد منه الغرض المستفاد والأدب المُقْتَبَس إذا صحت النية ، وتمت الإرادة[2] . وترد لفظة **المُقْتَبِس** فى نص لأبى حيان يقول فيه : فأما المُقْتَبِس لحياته الدائمة من حياته المنقطعة فإنه يسير من حياة زمانية إلى حياة دهرية[3] . ولفظة الجمع « **مقتبسون** » يذكرها أبو حيان فيقول : وللحكم طلابا ، وللأدب محبين ، وللعلم مُقتبسين[4] ، وفى نص آخر من كتاب البصائر يورد أبو حيان لفظة مقتبسين فى حديثه عن الصوفيّة فيقول : فحدثت ملأ من الصوفيّة والغرباء الجوالين فى الآفاق ، السائحين فى الدنيا ، الحافظين للعبر ، المُقْتَبسين للأدب[5] ، وترد لفظة المقتبسين أيضا فى حديث أبى حيان عن الإنسان الملهم فيقول : ومراتب الإنسان فى العلم ثلاث تظهر فى ثلاثة أنفس ، فأحدهم ملهم فيتعلم ويعمل ، ويصير مبدأ للمقتبسين منه ، المقتدين به الآخذين عنه[6] ، ولفظة **مُقْتَبَسة** المفردة المؤنثة ترد عند أبى حيان فى قوله : وأن تقبل على نفسك الشريفة بإدبارك عن نفسك ، أعنى أن تقبل على نفسك الشريفة الفاضلة المقتبسة من نور عقلك الحائلة بينك وبين جحيم طلعك[7] ، ويقول أيضا ذاكرا لفظة المُقْتَبَسة : قولنا يفعل عبارة عن انفعال الأشياء له ، لأن الأشياء كلها مشتاقة إليه ، متوجهة نحوه ، مستأنسة به ، مقتبسة منه[8] .

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٨٩ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢٩٧ .
(٣) رسالة الحياة ص ٧٢ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ٤ ص ١١ .
(٥) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٦٣٤ .
(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٤٦ .
(٧) الإشارات الإلهية ص ٣٨ .
(٨) المقابسات ص ٩٨ .

ومعنى المقتبس والجمع مقتبسون هم كما ذكر صاحب اللسان فى حديث العرباض أتيناك زائرين ومُقْتَبسين أى طالبى العلم[1] ، هذه بعض الاشتقاقات للمادة قبس التى وردت فى كتابات أبى حيان وهناك اشتقاقات أخرى لهذه المادة لا يتسع المجال لذكرها خوفا من إطالة الحديث عن مادة « قبس » .

ونترك مجالس أبى حيان التى سجل لنا فيها أروع ما سجله قلم فى ذلك العصر ، وما لم يسجله غيره ، من المُجادلات والمُناظرات والمُقابسات القيّمة التى كانت علامة مميزة لثقافة القرن الرابع الهجرى ، وقد كان أبو حيان أمينًا فى نقل ما سطره عن علماء عصره ، وإن حذف أو زاد أو شك فيما نقل أشار إلى ذلك حرصا على الأمانة العلمية ، وفى بعض الأحيان نراه يشير إلى ما حذفه من محاورات العلماء كما فعل فى المقابسة الثامنة والعشرين الخاصة بالإنسان وقد يجمع أخلاقا متباينة ، إذ قال : وكان فى كلامهم حشو كبير ، حصلت خالصة زبدته ، وذكرته فى جملة الكلام[2] .

هذه هى إطلالة قصيرة : على فعاليات وأنشطة المجالس والمؤسسات الثقافية فى عصر أبى حيان التوحيدى ، وكما يقول أبو حيان فى أحد نصوصه : فقد كانت المجالس لا تتصرم إلا من فوائد كثيرة ، فلسفيّة وغير فلسفيّة[3] .

مما تقدم نجد أن الألفاظ مُناظرة ، ومُذاكرة ، ومُدارسة ، ومُجالسة ثم مُقابسة قد جاءت عند أبى حيان على صيغة مُفاعلة وهى صيغة مشاركة . وقد وقفت المعاجم عند الألفاظ مُناظرة ، ومُدارسة ، ومُجالسة وقفة عابرة عند تناولها لمواد هذه الألفاظ ، أما لفظة مُذاكرة فلم يرد ذكرها فى المعاجم عند تناول المادة « ذكر » ، أما لفظة مقابسة التى لم يرد ذكرها فى المعاجم فهى التى نقف عندها

---

(١) اللسان جـ ٣ ص ٦ .
(٢) المقابسات ص ١٤٠ .
(٣) المقابسات ص ٢٧٤ .

طويلا لأنها من الواضح اشتقاق صاغه أبو حيان نفسه واستخدمه كثيرًا فى كتاباته . وهذه الألفاظ التى ورد ذكرها سابقا تعتبر من ألفاظ الأنشطة الثقافية للمجالس فى ذلك العصر ، ولنقف قليلا عند أبى حيان وتناوله لهذه الألفاظ الثقافية .

ذكر أبو حيان لفظة مُناظرة بالمعنى الاصطلاحى الدال على المُباحثة والمباراة فى الجدل[1] ، وجاءت لفظة الجمع **مُناظرات** بمعناها الاصطلاحى[2] وهذه الكلمة لم ترد فى اللسان : ومع لفظة المُناظرة والجمع مُناظرات جاء فى كتابات أبى حيان العديد من الاشتقاقات للمادة « ن ظ ر » مثل نظر ، وناظِر ومُناظر ، وهذه اللفظة مُناظر جاءت عند أبى حيان بمعنى لغوى[3] وهو المماثل والمشابه وبمعنى اصطلاحى[4] وهو المحاور الذى يقوم بمُناظرة خصمه . ومن الملاحظ أن لفظة مُناظرة لم ترد فى اللسان بهذا المعنى الاصطلاحى الذى ذكره أبو حيان .

أما فى مجال التغيير الدلالى فمن الواضح أن لفظة مُناظرة والجمع مُناظرات قد اتسعت دلالتها فى عصر أبى حيان نتيجة لكثرة استخدامها بين رواد المجالس الثقافية .

ولفظة أخرى من ألفاظ المشاركة وهو **المُذاكرة** وقد جاءت هذه اللفظة عند أبى حيان بالمعنى الاصطلاحى[5] الدال على المُحاورة والمشاركة والجدل العلمى ، وجاءت لفظة المُذاكرة عند أبى حيان أيضا بالمعنى اللغوى[6] الدال على

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٨٨ ، جـ ١ ص ٥٤ ، جـ ١ ص ١٢٨ ، جـ ١ ص ١٠٨ ، وهناك العدد الوفير من أماكن الورود لهذه اللفظة .

(٢) الإمتاع جـ ٢ ص ١٣٨ .

(٣) الهوامل والشوامل ص ٢١٣ .

(٤) البصائر جـ ١ ص ٤٠٥ .

(٥) مثالب الوزيرين ص ٣٣٦ ، البصائر جـ ٣ ص ٤٢٢ المقابسات ص ٨٦ .

(٦) الإشارات الإلهية ص ٣١٦ .

الذِّكر ، والمعنى الاصطلاحى هو الأكثر ورودا عند أبى حيان ، وترد لفظة المُذاكرة عند أبى حيان **مرادفة** للفظة مُناظرة(١) ، وهذه اللفظة لم ترد فى اللسان عند تناوله للمادة « ذ ك ر » فهى **اشتقاق جديد** أورده أبو حيان فى كتاباته ، ولم ترد فى اللفظة أيضا فى المعاجم العربية الأخرى ، والتغير الدلالى للفظة المذاكرة نلاحظه فى اتساع دلالة هذه اللفظة وذلك نتيجة لكثرة استخدامها وشيوعها بين الناس فى ذلك العصر .

ولفظة **مُدارسة** جاءت عند أبى حيان بالمعنى الاصطلاحى(٢) الخاص بأنشطة المجالس الثقافية(٣) ومع المُدارسة جاءت لفظة الدِّراسة بالمعنى الاصطلاحى الدال على التعليم(٤) وطرق التدريس(٥) ، وهذا المعنى الاصطلاحى للفظتين لم يرد فى اللسان ، وقد وقف صاحب اللسان وقفة عابرة عند لفظة المُدارسة ولفظة الدراسة ، أثناء تناوله للمادة درس ، ولم يذكر المعنى الاصطلاحى لهاتين اللفظتين . ولم يذكر صاحب اللسان لفظة « تدريس » التى ذكرها أبو حيان فى كتاباته بالمعنى الاصطلاحى الدال على التعليم(٦) ، فلفظة التدريس إذن هى اشتقاق جديد ، استخدمه أبو حيان فى كتاباته نتيجة لكثرة استخدامه فى عصره ، بين أوساط العلماء والمتلقين للعلم .

أما فى مجال التغير الدلالى فنجد أن لفظة المُدارسة قد اتسعت دلالتها نتيجة لكثرة استخدامها فى عصر أبى حيان وأيضا لفظة الدِّراسة نجد أن دلالتها قد اتسعت ، ونجد أيضا أن دلالة لفظة المُدارسة ولفظة الدِّراسة قد انتقلت من مجال مادى إلى مجال مادى آخر اشتركت فيه الدلالتان بجزء من المعنى وهو التذليل

---

(١) الإمتاع ج ٣ ص ١٠٧ .
(٢) البصائر ج ١ ص ٣٥٠ .
(٣) الهوامل والشوامل ص ١٦٤ .
(٤) مثالب الوزيرين ص ١٤١ .
(٥) الإمتاع ج ١ ص ٧٠ .
(٦) الإمتاع ج١ ص١٤٠ ، ج٣ ، ص١٥٨ .

والترويض من كثرة القراءة والحفظ للكتاب . ففى البدء كانت تستخدم اللفظة للأثر ، ثم استخدمت للطعام ودَرْسه ، وللحنطة ودرسها ، وللناقة ودرسها أى ترويضها . ثم انتقلت الدلالة إلى دِراسة الكتاب وتذليله بكثرة القراءة حتى خف حفظه ، ومن معنى دراسة الكتاب دل الدرس على التدريس الذى يعطى فى الكتاب ، هذه هى المسيرة اللغوية للفظة المُدارسة ، والدِّراسة ، والتدريس فانتقلت الدلالة من مجال إلى مجال آخر وإن اشتركت الدلالتان بجزء من المعنى وهو ترويض الصعاب وتذليلها من كثرة المعاناة .

ولفظة مُجالسة والجمع مُجالسات جاءت عند أبى حيان بالمعنى الاصطلاحى[(١)] الدال على الجُلُوس من أجل تلقى العلم وإعطائه لمن يطلبه ، وجاءت لفظة مُجالسة بالمعنى اللغوى[(٢)] الدال على الجُلُوس فى المَجْلِس . وهذا المعنى اللغوى هو الذى أورده صاحب اللسان ولم يتطرق للمعنى الاصطلاحى ، بل لم يقف عند لفظة المُجالسة إلا وقفة خاطفة ، ولم يذكر صاحب اللسان لفظة مُجالسات صيغة الجمع لمُجالسة وقد جاءت هذه الصيغة عند أبى حيان عنوانًا لكتاب ثعلب[(٣)] .

وفى مجال التغير الدلالى نجد أن لفظة مُجالسة قد تخصصت دلالتها فى عصر أبى حيان فبعد أن كانت تستخدم فى بدء استعمالها على الجُلُوس عامة أصبحت تُطلق فى عصر أبى حيان على الجُلُوس من أجل العلم ومطارحة والحجج فى مجلس علمى . ونجد أيضا أن دلالة لفظة مجالسة انتقلت من مجال إلى آخر فى مسيرتها اللغوية عبر العصور فمادة مجالسة هى الجلْس وهو الغليظ من الأرض وهذا هو

---

(١) الإمتاع جـ ١ ص ٢٢٥ . (٢) الصداقة والصديق ٣٨٢ ، ص٣٨٣ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٤٣٥ ، ص ٣٩٤ ، ص ٤٥١ .

الأصل ومنه سمى الجُلُوس وهو أن يضع المرء مقعده فى جَلَس من الأرض ، ثم تطور المعنى إلى أهل المجلس ومجالستهم ، ثم انتقلت دلالة لفظة المُجالسة إلى المفهوم العلمى الذى يدل على المشاركة العلمية ، وبهذا انتقلت الدلالة من مجال مادى إلى مجال معنوى بعد أن تخصصت دلالتها .

وأخيرا نأتى إلى لفظة المُقابسة وجمعها المُقابسات وهذه اللفظة يجب أن نقف عندها وقفة متأنية إذ إنها من صوغ أبى حيان نفسه ، ولم أجد لها ذكرًا فى اللسان ولا فى المعاجم العربية والإسلامية المتخصصة عند تناولها لمادة « ق ب س » .

ولفظة مُقابسة والجمع مُقابسات هى فى الأصل مصدر « قَبَس » . وقد جاءت بصيغة المصدر الذى حول إلى الاسمية وجمع جمعا مؤنثا سالما ، وقد أوضح أبو حيان فى كتاباته الاستخدام الجديد لهذه اللفظة ، ومن الواضح أن أبا حيان كان أصيلًا فى استعمال هذه الصورة الاشتقاقية التى لم تستخدم من قبله ، وقد خص لفظة مُقابسة والجمع مقابسات بمعنى اصطلاحى يدل على المحاورة العلمية . وقد كان لأبى حيان السبق فى استخدامه للفظة مقابسة ، وفى استخدام صيغة الجمع مقابسات اسما لأشهر كتاباته ، ويعتبر كتاب المقابسات جديدًا فى عنوانه وفيما يحتويه من مقابسات وعددها ست ومائة مقابسة . فهذه اللفظة التى أوجدها أبو حيان جديدة معنى ومبنى ، وقد جاءت لفظة مُقابسة عند أبى حيان مرادفة للفظة مُذاكرة[1] ومُدارسة[2] .

ومن الملاحظ أن المعاجم العربية فَصّلت القول فى مادة « ق ب س »، وأوردت هذه المعاجم اشتقاقات مختلفة لهذه المادة –وبالطبع ليس من بينها اشتقاق المُقابسة– وكان أكثر هذه الاشتقاقات تناولا « الاقتباس » وهو المصدر من

---

(١) المقابسات ص ١٠٧ .

(٢) مثالب الوزيرين ص ٧٩ .

(أقبس) وقد جاءت لفظة الاقتباس عند أبى حيان بالمعنى اللغوى[1] وبالمعنى العام الشامل الدال على أخذ العلم[2] والحكمة[3] ، وأيضا بالمعنى الاصطلاحى الدال على أخذ الشكل الفنى[4] وقد جاءت الاشتقاقات الأخرى من المادة « ق ب س » عند أبى حيان بالمعنى اللغوى أحيانا وبالمعنى الاصطلاحى غالبا . وأيضا جاء الفعل قَبَسَ مع تصاريفه المتنوعة بالمعنى اللغوى[5] فى بعض نصوص أبى حيان وبالمعنى الاصطلاحى[6] فى معظم نصوص أبى حيان .

ومن الاشتقاقات للمادة « ق ب س » لفظة مُقْتَبَسه وهذه اللفظة المفردة المؤنثة التى جاءت فى كتابات أبى حيان ، لم يرد ذكرها فى اللسان ، فهى اشتقاق جديد ظهر فى عصر أبى حيان . أما فى مجال التغير الدلالى فنجد أن لفظة مُقابسة استخدمت عند أبى حيان فقط لِتبيّن وجهًا من أوجه النشاط الثقافى للمجالس فى ذلك العصر فهى (خاصة عامة) فقد تخصصت دلالة لفظة المُقابسة عندما حدد موضوعها أو عندما أضيفت إلى المتحدثين ولكن اتساع الدلالة للفظة المقابسة هو الأكثر وضوحًا عند أبى حيان وبين أوساط رواد المجالس الثقافية .

* * *

---

(١) البصائر جـ ١ ص ٢٩٨ ، جـ ٣ ص ٤٢٥ ، الإشارات الإلهية ص ٣٤٢ .
(٢) البصائر جـ ٢ ص ز .
(٣) الهوامل والشوامل ص ٢٥٤ ، المقابسات ص ١٠٨ .
(٤) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٧ .
(٥) البصائر جـ ٣ ص ١٨٤ .
(٦) البصائر جـ ١ ص ٤٣٢ ، المقابسات ص ٥٤ ، ص ٢٠١ ، الإمتاع جـ ١ ص ٢٦ .

الفصل الرابع

وسائل العمل الثقافى

يحتوى هذا الفصل على المجموعات الدلالية الأساسية التالية :

أولا : الألفاظ الخاصة بأنواع الكتب وأقسام الكتاب :

(١) الكتب ، المصنفات .

(٢) الديوان ، الدواوين .

(٣) الزبر ، القط ، الأسفار .

(٤) الرسالة ، الرسائل .

(٥) الورقات ، الأوراق ،الرقعة، الصحيفة، المذكرات ، الروزنامج .

(٦) الباب ، الفصل ، الفقرة ، السطر .

(٧) الحاشية ، الفهرس .

(٨) التجليد ، إدارة الكتب .

ثانيا : الألفاظ الخاصة بأدوات الكتابة :

(١) الورقة ، القرطاس ، الرق ، الكاغد .

(٢) الكراريس ، الألواح ، الدفاتر .

(٣) القلـــــم .

(٤) البرى ، القط .

(٥) الدواة ، المحبرة .

(٦) الحبر ، المداد .

ثالثا : الألفاظ الخاصة بالخط وتوابعه :

(١) الخط ، الكتابة .

(٢) الخطوط العربية.

(٣) أقسام الخط ومعانيه .

(٤) الخطوط فى الهندسة .

(٥) الرسم ، الرسوم .

(٦) التسويد ، التبيض ، المسودة .

١ - الألفاظ الخاصة بالكتب وأنواعها وأقسام الكتاب :

ألفاظ هذه المجموعة (٣٥) كلمة وهى : الأبواب ، إدارة الكتب ، الأسفار الأوراق ، الباب ، التجليد ، الحاشية ، الحواشي ، الدواوين ، الديوان ، الرقاع الرقعة ، الرسالة ، الرسائل ، الروزنامج ، الزبر ، السطر ، السطور ، الصحائف ، الصحف ، الصحيفة ، الطومار ، الفصل ، الفصول ، الفقرة ، الفقر ، الفهرست ، القط ، الكتابات ، الكتاب ، الكتب ، المذكرات ، المصنفات ، المكاتبة ، الورقات .

وفيما يلى جدول بشيوع الألفاظ الخاصة بالكتب وأنواعها وأقسام الكتاب فى مؤلفات أبى حيان التوحيدى :

الكلمة	عدد مرات ورودها	الكلمة	عدد مرات ورودها	الكلمة	عدد مرات ورودها
الباب	٢١٠	الدواوين	١٠	الرقاع	٢
الكتاب	٩٦	الورقات	١٠	الكتابات	٢
الفصل	٧٧	الحاشية	٥	الزبر	١
الديوان	٤٩	السطور	٤	القط	١
الرسالة	٤٧	الأسفار	٤	الصحف	١
الأبواب	٢١	الصحيفة	٤	المكاتب	١
الكتب	٢٠	المذكرات	٤	المصنفات	١
الرسائل	١٨	الفقرة	٣	الفهرست	١
الحواشى	١٢	الأوراق	٣	الروزنامج	١
الرقعة	١١	السطور	٢	إدارة الكتب	١
الفقر	١١	الطومار	٢	التجليد	١
الفصول	١٠	الصحائف	٢		
				المجموع	٣٥

وتقسم هذه المجموعة من حيث دلالة ألفاظها إلى ثمانى مجموعات . ألفاظ خاصة بالكتب وأنواعها مثل المصنفات والدواوين والرسائل والورقات، والرقاع والمذكرات والقط والزبر والأسفار ، وألفاظ خاصة بأجزاء الكتاب مثل الباب والفصل والفقرة والحاشية والفهرس ، وأيضا ألفاظ خاصة بتجليد الكتب والعناية بها .

(١) الكتاب ، الكتب ، الكتابات ، المكاتب ، المصنفات :

أصبحت الكتب على اختلاف أنواعها فى القرن الرابع الهجرى وسيلة من وسائل العمل الثقاف ، وذلك لكثرة انتشارها وسهولة الحصول عليها ، ومع توفر الكتب فى ذلك العصر هناك طائفة من علمائه ، كانت تعتمد اعتمادا كليا على السماع والحفظ والاتصال المباشر بالشخصية العلمية ، وكان الكِتاب عند هؤلاء العلماء مهما بلغ فضله فى الانتشار لا يعوض عن اللقاء الشخصي بالعالِم . على أن بين علماء هذا العصر من كان يفضل الكِتاب ويعتبر الكتابة أكثر وثوقًا لأجل المحافظة على العلم . ولذلك اختلف كُتَّاب هذا العصر فى تقييم الكِتاب والمفاضلة بين الكتابة وبين السماع والحفظ ، أو الاتصال بالشخصية العلمية مباشرة . ومع جمهرة العلماء الذين فضلوا الكتاب واعتبروه من أهم الوسائل الثقافية نبدأ مسيرتنا العلمية فى دروب كتابات أبى حيان التوحيدى ، وسيكون هو دليل قافلتنا الثقافية ، وقبل بدء رحلتنا هذه بين صفحات الكتب ، لنقف قليلا عند أصل الكِتاب وما ذكرته المعاجم فى تعريفها للكتاب .

جاء فى المخصص : كتبت الشيء أكتبه كَتْبًا وكِتابًا . ورجل كاتِب وحرفته الكِتابة . والكِتاب الاسم والكِتابة المصدر[1] ، وجاء فى اللسان : كتب الشيء يكتبه كَتْبًا وكِتابا وكِتابة : خطّه ، والكِتاب اسم لما كُتب مجموعًا ، والكِتاب مصدر[2] وجاء فى التاج : كَتْبًا بالفتح المصدر المقيس وكِتابا بالكسر على خلاف القياس ، وقيل الكِتاب اسم كاللباس وقيل أصله المصدر[3] ، وجاء فى الكليات : الكِتاب فى الأصل مصدر سمى به المكتوب تسمية للمفعول باسم المصدر على

---

(١) المخصص لابن سيده ، مجلد ٤ جـ ١٣ ص ٤ .
(٢) اللسان جـ ٣ ص ٢١٦ .
(٣) تاج العروس جـ ١ ص ٤٤٤ .

التوسع الشائع[1] ، هذا ما ذكرته المعاجم عن أصل الكِتاب ، أما تعريف الكتاب فقد عرفه صاحب اللسان بقوله : الكِتاب ما كُتب فيه ، والكِتاب مُطلق : التوراة وقوله تعالى : ﴿ كِتاب الله ﴾ جائز أن يكون القرآن وأن يكون التوراة . وقوله تعالى : ﴿ والطور وكتاب مسطور ﴾ قيل الكِتاب ما أُثبت على بنى آدم من أعمالهم والكِتاب : الصحيفة والدواة ، والفرض والحكم والقدر ، وقوله تعالى : ﴿ كِتاب الله عليكم ﴾ : مصدر أريد به الفعل أى كَتَبَ الله عليكم . وقيل : كتبت الكِتاب لأنه يجمع حرفًا إلى حرف[2] ، وقيل هو عام فى كل كِتاب ويؤنث على نية الصحيفة[3] والكِتاب قد غلب فى العرف العام على جمع من الكلمات المنفردة بالتدوين . وفى عرف النحويين غلب على كتاب سيبويه ، وفى عرف الأُصوليين غلب على أحد أركان الدين ، والكتاب فى عرف الفقهاء : ما يتضمن الشرائع والأحكام وفى عرف المصنِّفين على طائفة من المسائل اعتبرت منفردة عما عداها . وشاع استعمال الكِتاب فى الحروف والكلمات المجموعة ، أما فى اللفظ ، وأما فى الخط يجعل المصدر بمعنى المفعول[4] ، والكِتاب فى عرف الأدباء يقول لإنشاء النثر كما أن النثر يقال لإنشاء النظم والظاهر أنه المراد ههنا لا الخطّ[5] .

يحدثنا أبو حيان أحاديث شيقة عن الكِتاب والكُتب ، ونبدأ جولتنا معه فى حديثه عن كِتابه البصائر والذخائر وفيه يقول : جعل الله هذا الكِتاب طريقًا إلى

---

(١) الكليات لأبى البقاء جـ ٤ ص ١١٧ .
(٢) اللسان جـ ٣ ص ٢١٧ .
(٣) تاج العروس جـ ١ ص ٤٤٥ .
(٤) الكليات لأبى البقاء جـ ٤ ص ١١٩ وانظر كشاف الفنون للتهانوى جـ ٥ ص ١٢٤٢ .
(٥) التعريفات للجرجانى ص ١٩٣ .

الاستمتاع بهزله ، والانتفاع بجده ، وختم عاقبتك بما يبلغك دار رضوانه[١] ، ويقول فى حديثه عن الكُتُب : ما أحببت أن أحكى حدودا حصلناها على مر الزمان بعضها أخذ من أفواه العلماء ، وبعضها لقط من بطون الكُتُب[٢] .

ولفظة **كِتاب** والجمع **كُتُب** وردت فى أماكن كثيرة من كتابات أبى حيان ، ولكن من الممكن ذكر بعض أماكن ورودها . يقول أبو حيان فى نصوصه المتضمنة للفظة كتاب بمعنى الأثر العلمى الذى يقوم بتأليفه واحد أو أكثر ، وفى هذا المعنى يقول أبو حيان فى نصٍّ له من بصائره : قال سهل بن هرون : الدواة منهل ، والعلم ماتح والكِتاب عطن[٣] ، ويقول ذاكرًا الكِتاب بالمعنى العلمى الثقافى فى نصوص له من كتاب المثالب : اللهم إلا أن يكون الفضل كله عند هذا المخالف فى كتاب ينشأ ومعنى يقتضب ، وقصيدة تنشد ، ورسالة تُحبّر[٤] ويقول فى المثالب أيضا موردًا لفظة الكِتاب بهذا المعنى العلمى وذلك فى وصفه لابن العميد : وكان يعمل كِتابًا سماه الخَلْق والخُلق فمات سنة ستين وهو فى المُسَوَّدة ، وقد رأيت ورقات منه ونقلت إلى البصائر حروفًا كانت فيه أفادنيها أبو طاهر الوَرَّاق ، ولم يكن الكِتاب بذاك ولكن جَعْص الرؤساء نَخبيص[٥] ، ويقول أيضا فى حديثه عن ابن العميد ذاكرًا لفظة كِتاب : ولقد كتب إليه أبو طالب كِتابا قرأت فصلًا منه يقول فيه : حدثنى بأى شىء تحتج إذا طُولبت بشرائط الرئاسة التى انتحلتها[٦] ، ويذكر أبو حيان لفظة الكِتاب بهذا المعنى العلمى ومن قام بتأليفه واسم هذا المؤلف أى الكتاب فيقول فى مقدمة كتابه البصائر : جمعت ذلك كله فى هذه المدة الطويلة مع الشهرة التامة ، والدأب الشديد ، ولقاء الناس ، وفلى

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٤ ص ١٧٥ .

(٢) المقابسات ص ٣٥٥ .

(٣) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣٣٢ .

(٤) مثالب الوزيرين ص ٢١٤ .

(٥) مثالب الوزيرين ص ٢١٧ .

(٦) مثالب الوزيرين ص ٢١٤ .

البلاد ، من كُتُب شتى حكيت عن أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، وكُتبه هى الدر النثير ، ثم كِتاب النوادر لأبى عبد الله محمد بن زياد الأعرابى ، ثم كِتاب الكامل لأبى عبد الله العباس محمد بن يزيد الثمالى ، ثم كِتاب العيون لأبى محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكاتِب ، ثم كِتاب ابن أبى طاهر الذى وسمه بالمنظوم والمنثور ثم كِتاب الأوراق للصولى ثم كِتاب الوزراء لابن عبدوس[1] ، ويقول فى بصائره أيضا ذاكرًا لفظة الكِتاب واسم صاحبه : أحمد بن أبى طاهر صاحب كِتاب بغداد[2] ، ويصف فى بصائره الكتاب وما يحتويه واسم صاحبه فيقول : على بن عبيدة صاحب كِتاب المصون ويقال : كان بصريا يعرف بالمنطقىّ ، وكلامه فى المَصون كلام يدل على عقل رزين وأدب ظاهر وليس فيه من العِلْم إلا قليل ، وأهل خُراسان يعجبون بهذا الكِتاب جدا[3] ، ويذكر أبو حيان لفظة الكِتاب ومن ألفه وعنوانه وذلك فى نص له من كتاب الإمتاع والمؤانسة فيقول على لسان الوزير : كنت حكيت لى أن العامرى صنَّف كِتابا عنونه « بإنقاذ البشر من الجبر والقدر » فكيف هذا الكِتاب ؟ فقلت : هذا الكِتاب رأيته بخطه عند صديقنا وتلميذه أبى القاسم الكاتِب ولم أقرأه على العامرى ، ولكن سمعت أبا حاتم الرازى يقرؤه عليه ، وهو كِتاب نفيس ولكنه ما أنقذ البشر من الجبر والقدر[4] ، وفى المقابسات يذكر أبو حيان لفظة الكِتاب فى أحد نصوصه مبينا الغرض من تأليف كتاب المقابسات فيقول فى نصه : واعلم أن الغرض كله فى هذا الكِتاب فى جميع ما يثبت عن هؤلاء الشيوخ ، إنما هو فى إيقاظ النفس وتأييد العقل ، وإصلاح السيرة واعتياد الحسنة ، ومجانبة السيئة[5] وترد لفظة كِتاب من كتابات أبى حيان

---

(١) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٤ .

(٢) البصائر والذخائر جـ ٤ ص ١٦١ .

(٣) البصائر والذخائر جـ ٤ ص ١٦٢ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٢٢٢ .

(٥) المقابسات ص ١٨٠ .

بمعانٍ متنوعة فيذكر أبو حيان لفظة الكِتاب كما عرف عند النحويين بمعنى كتاب سيبويه فيقول : وأما أبو على الغسوى فأشد تفردا بالكِتاب وأشد إكبابا عليه ، وأبعد من كل ما عداه مما علم الكوفيين[1] ، وترد لفظة كِتاب فى نصوص عديدة من كتابات أبى حيان بمعنى القرآن الكريم وفى هذا المعنى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الكِتاب بمعنى القرآن : كيف ترى كتابنا ، أعنى القرآن ، وأنت رجل قد أشرفت على غاية هذا الباب[2] . ويقول : الفِقْه دائر بين الحلال والحرام وبين اعتبار العلل فى القضايا والأحكام وكل ذلك موقوف على ظاهر الكِتاب وباطنه وتنزيله وتأويله ومحكمه[3] ، ويقول أيضا بهذا المعنى ذاكرًا لفظة كِتاب : هذا تقدير لاعب بكتاب الله لا يحل نظم الكلام على تحريفه ، لأن ذلك جرأة[4] ، وترد لفظة الكِتاب أيضا بمعنى الكتاب المقدس وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : يرد ما اختلف فيه إلى ظاهر الكتاب المنزل[5] ، ويذكر أبو حيان لفظة الكِتاب بمعنى ركن من أركان الدين الإسلامى فيقول : والسُّنة من بعده تالية له أعنى الكتاب فى حدوده ورسومه وأسمائه ومعانيه وأسبابه وأغراضه[6] ، وترد لفظة كِتاب عند أبى حيان بمعنى القدر واليوم الموعود فيقول فى بصائره : وإن لكل سيئة عقابا ، وإن لكل أجل كِتابًا[7] ، وترد لفظة كِتاب بمعنى التقرير المالى ، وفى هذا المعنى يقول أبو حيان على لسان الجرفادقانى وكان كاتب دار الصاحب : قال لى فى بعض هذه الأيام : فبادر عافاك الله إلى عمل حساب تبيّن فيه أمر دارى وما يجرى عليه دَخلى وخَرجى . فتفردت أيامًا وحررت الحساب على قاعدته وأصله وحملته

---

(1) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٣١ .

(2) مثالب الوزيرين ص ٩٧ .

(3) رسالة فى ثمرات العلوم ص ١٩٢ .

(4) مثالب الوزيرين ص ١٦٧ .

(5) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١٠٥ .

(6) رسالة فى ثمرات العلوم ص ١٩٢ .

(7) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٢٩٦ .

إليه فأخذه من يدى وأمر عينه فيه ، ثم حذف به إلى وقال : أهذا حساب ؟ أهذا كتاب ؟ أهذا تقرير ؟[1] ؟.

ويذكر أبو حيان لفظة كِتاب بمعنى الرسالة المتبادلة بين الأشخاص ، وهذه دلالة أخرى للفظة كتاب فيقول أبو حيان فى هذا المعنى : وصل كِتابك فرأيتك قد حليته زخارف أوصافك[2] ، ويقول أيضا ذاكرًا لفظة كِتاب بمعنى الرسالة المتباهلة بين الأصدقاء : وأما عللى وأوصابى ، فقد أنبت عنها فى تضاعيف جوابى وكتابى[3] ، ويقول بهذا المعنى للفظة كِتاب : كنت بالشام عند الروذبارى أبى عبد الله فكتب إلى المهلبى -وكان من مشايخ الشام- كتابا فيه شوق وعتب[4] .

وجمع الكِتاب كُتُب وهو مما استغنى فيه ببناء أكثر العدد عن أقله[5] ، ويذكر أبو حيان لفظة الكُتب بمعنى المؤلفات العلمية ، فيقول : قال : الحرانى كذا وكذا وإذا خلا نظر فى كُتبه ومصنفاته وكان أحدها من أبى الحسن الطبيب الطبرى طبيب ركن الدولة[6] ويصف الصاحب وولوعه بالكُتب وخصوصا الطبية منها فيقول ذاكرًا لفظة كتب : وهو يشاور الطبيب فى كل غداة ويعتمد على الطب فى كل عارض ويجمع الكتب فيه[7] ، ويعدد أبو حيان أنواع الكُتب القديمة منها والكلاميّة والغريبة . ويذكر أبو حيان فى أحد نصوصه الكتب القديمة فيقول على لسان القُوْمسى وهو يصف المعاد : ويشتمل على ما نطقت به الكُتب القديمة[8] ، ويقول ذاكرًا الكتب الغريبة فى وصفه لأحد معاصريه من العلماء : رجل حسن البلاغة ، حلو الكتابة كثير الفقر العجيبة ، جَمَّاعة الكتب الغريبة[9] وقال : رأيت

---

(١) مثالب الوزيرين ص ٨٥ .
(٢) البصائر جـ ٢ ص ٢٤١ .
(٣) الإشارات الإلهية ص ١٩ .
(٤) الصداقة والصديق ص ٣٠٩ .
(٥) المخصص لابن سيده جـ ١٣ ص ٤ .
(٦) مثالب الوزيرين ص ٨٢ .
(٧) مثالب الوزيرين ص ٨١ .
(٨) المقابسات ص ٤٢٢ .
(٩) الإمتاع جـ ١ ص ٣٤ .

الجبانى وقد ألم فى كتبه الكلاميّة بشىء من الفقه فبدت سوءته[١] .

وترد لفظة **كتب** فى كتابات أبى حيان بمعنى الرسائل المتبادلة بين الأصدقاء ، أو غير الأصدقاء ، وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : الكتب تحيى ما أمات الفراق ، وتجدد من عهد المودة ما أخلفه الزمان[٢] ، وقال أيضا فى هذا المعنى : وإن انقطعت منا المُكاتبة أحيانا لاعتناق علة أو شغل ، فتواصل التشاكل لا ينقطع لانقطاع الكتب[٣] .

أما لفظة كِتابات فقد وردت عند التوحيدى بمعنى المؤلفات والآثار العلمية فيقول : ومن الحديث عنه أوله أو فيه ، فربما تشاجرت كِتابات ، وتداعت معانيها على الكاتِب فلا تخلص إلى تحقيق مراد[٤] . ولفظة **مَكاتِب** يذكرها أبو حيان بمعنى الكُتُب وذلك فى نص له يقول فيه : قال بعض السلف : فى العلم حكمتان : بلاغة المنطق وجلالة الصمت ، وفى دفعة الأقلام امتحان عقول الأنام وسمة أسنان الأقلام فى صحون المكاتب ، أحسن من حمرة الخجل فى خدود الكواعب[٥] ، ومن الملاحظ أن صيغتى الجمع كتابات ومكاتب لم تردا فى اللسان .

وواضح مما سبق أن الألفاظ كِتاب وكُتُب وكتابات وكاتِب تؤدى نفس المعنى الثقافى فى العصر العباسى .

ولفظة **مُصَنَّفات** من المادة « ص ن ف » وقد جاء فى الأساس : صنف النبات والشجر وتصنَّف : صار أصنافا ، وشجر وصنف مختلف الألوان والثمر[٦] لم ترد لفظة مصنفات فى اللسان ولا فى المعاجم العربية الأخرى . ووردت هذه اللفظة عند التوحيدى بدلالة واضحة بمعنى الكُتُب ، وفى هذا المعنى يقول التوحيدى على

---

(١) البصائر جـ ٣ ص ٦٠١ .
(٢) الصداقة والصديق ص ٤٢٤ .
(٣) الصداقة والصديق ص ٤١٥ .
(٤) مثالب الوزيرين ص ١٩٧ .
(٥) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٨٥ .
(٦) أساس البلاغة للزمخشرى جـ٢ ص٢٩ .

لسان الحرانى فى وصفه للصاحب بن عباد : يقول فى أبى الحسن العامرى – قال : الحرانى كذا وكذا وإذا خلا نظر فى كُتُبه ومصنفاته وكان أحدها من أبى الحسن الطبيب الطبرى طبيب ركن الدولة[1] .

مما تقدم نجد أن لفظة كِتَاب والجمع كُتُب جاءت عند أبى حيان بالمعنى الثقافى الدال على المُؤلَّف العلمى[2]، وهذا المعنى هو الأكثر ورودا عند أبى حيان، وجاءت أيضا بمعنى الرسالة أو الرسائل العامة المتبادلة بين الأفراد لأمر من الأمور المعيشيّة[3] أو الرسائل الخاصة المتبادلة بين الأصدقاء وهذه ما تسمى بالرسائل الإخوانيّة[4]، وجاءت لفظة كِتَاب أيضا بمعان أخرى فى كتابات أبى حيان منها بمعنى القرآن الكريم[5] والكِتَاب المنزل كتاب الله[6] وهذا يشمل التوراة والقرآن[7] وجاءت بمعنى ركن من أركان الدين[8] وبمعنى القدر المحتوم[9]، وأيضا بمعنى التقرير المالى[10]، وتعدد المعنى هنا للفظة كِتَاب يدل على ظاهرة «المشترك اللفظى»، ومن الجموع التى ذكرها أبو حيان فى كتاباته للفظة كتاب لفظة الجمع الكِتَابات والمَكاتب، وهاتان الصيغتان لم تردا فى اللسان عند تناوله للمادة «ك ت ب»، فهما صيغتان جديدتان أوردهما أبو حيان من المادة «ك ت ب». وقد استخدم أبو حيان لفظة الجمع مكاتب بمعنى كتب، ويعتبر هذا الاستعمال جديدًا فى مبناه ومعناه وهذه جرأة تسجل لأبى حيان فى استخدامه لهذا الاشتقاق للدلالة على الكتب، ويبدو لى أن أبا حيان اضطره السجع أو الاهتمام بالناحية البلاغية لاستعماله مكاتب مكان كتب بدليل استعمال كواعب ومكاتب.

---

(١) مثالب الوزيرين ص ٨٢ .

(٢) البصائر والذخائر جـ٣ ص٢٥٦، ص٢٥٩.

(٣) البصائر جـ ١ ص ٣٠٧ .

(٤) الصداقة والصديق ص ٣٠٩ ، ص ٤٢٤ ، ص ٤١٥ .

(٥) مثالب الوزيرين ص ٩٧ .

(٦) مثالب الوزيرين ص ١٦٧ .

(٧) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١٧٤ .

(٨) رسالة فى ثمرات العلوم ص ١٩٢ .

(٩) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٢٩٦ .

(١٠) مثالب الوزيرين ص ٨٥ .

أما الجمع مصنفات فقد جاء عند أبى حيان دالا على المؤلفات العلمية[١] وهذه الصيغة التى استخدمها أبو حيان من المادة « ص ن ف » تعد اشتقاقا جديدا اشتقه أبو حيان ولم يرد فى اللسان وفى المعاجم الأخرى .

أما التغيير الدلالى فنجد أن لفظة كتاب والجمع كتب من مادة « ك ت ب » وهذه المادة لها عدة اشتقاقات ذكرها أبو حيان فى كتاباته وقد خصص بعضها تخصيصا دلاليا . وقد مرت لفظة كتاب بأطوار مختلفة فى استخدامها اللغوى ، فالكتاب الذى هو اسم لما كتب مجموعا تخصصت دلالته بالمؤلف الذى يقوم بتأليفه واحد أو أكثر ، وفى عصر أبى حيان تخصصت دلالة لفظة الكتاب أكثر من قبل وذلك عندما أطلقت لفظة الكتاب على مؤلف علمى معين[٢] ، وأصبحت أكثر تخصصا عندما حددت لفظة الكتاب باسم الموضوع الذى يتناوله مثل كتاب النفس[٣] وكتاب الحيوان[٤] وعندما أضيفت إلى أشخاص مثل كتاب سيبويه[٥] أو أضيفت إلى فئة معينة مثل كتب المحاسبين[٦] ، فهذه الإضافات خصصت دلالة لفظة الكتاب والجمع كتب وتخصصت أيضا دلالة لفظة المصنفات فى عصر أبى حيان ، فهذه اللفظة هى لفظة جديدة مبنى ومعنى لم أجدها فى المعاجم ، وأيضا لم يذكرها صاحب الفهرست وأوجدها أبو حيان فى كتاباته واستعملت بين المثقفين .

---

(١) مثالب الوزيرين ص ٨٢ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٣١ .

(٣) المقابسات ص ٢٤١ .

(٤) الإمتاع جـ ١ ص ٥ .

(٥) الإمتاع جـ ١ ص ٢٢١ .

(٦) الإمتاع جـ ١ ص ٩٨ .

(٢) الدِّيوان-الدَّواوين :

أول من وضع الدِّيوان فى الإسلام الخليفة عمر بن الخطاب وكان السبب لوضعه كثرة الأموال الواردة للدولة نتيجة للفتوحات ورأى التوسع على المسلمين وتفريق تلك الأموال فيهم[١] فعين الخليفة عمر كاتِبًا لكل ولاية يكتب فى ديوانها وكان الكاتِب فى أول الأمر يكتب لديوان الجند وبيت المال[٢] ، هذا وقد وضعت الدواوين فى الدولة الإسلامية بتأثير من التنظيمات الفارسية أو البيزنطية . وهناك نص لأبى حيان يتحدث فيه عن دواوين الفرس والروم وما يتبع فيها من أمور ، عند التعين للعمل فى هذه الدواوين فيقول أبو حيان فى بصائره : يقال : إن أزدشير ومن تقدمه من ملوك الفرس كانوا لا يثبتون فى دِيوانهم الطبيب إلا بعد أن يلسعوه ، ثم يقال له : إن شفيت نفسك فأنت طبيب حقا ، وإن مت كانت التجربة عليك لا علينا . وكان ملوك الروم إذا اعتل طبيب أسقطوه من ديوانهم وقالوا : أنت مثلنا[٣] .

وعن الدواوين فى العصر العباسى يقول آدم ميتز : كان لكل ولاية ديوان ببغداد يدير شؤونها ، ولما جاء الخليفة المعتضد سنة ٢٨٩ هـ ضم دواوين الولايات كلها وألَّف منها ديوانًا سماه دِيوان الدار . وكان كل ديوان كبير ينقسم أقسامًا كثيرة تسمى دواوين أيضا ، لأنه كان لكل ناحية ديوانها ، وكثيرا ما كانت دواوين الولايات ببغداد تقوم مقام دواوين للدولة . ولم تصل الإدارة فى الدولة

---

(١) الأحكام السلطانية للماوردى ص ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، المقدمة ص ٢٤٤ .

(٢) تاريخ التمدن الإسلامى ، جرجى زيدان ، جـ ١ ص ٢٥٤ .

(٣) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ١٣٣ .

الإسلامية إلى تعيين الحدود الفاصلة بين الدواوين بدقة[1] ، وعن أنواع الدواوين فى ذلك العصر يقول أبو حيان فى نص له من الإمتاع والمؤانسة : وهذه الدواوين معروفة ، والأعمال فيها موصوفة ، وأنا أحصيها لك ، فمنها ديوان الجيش ، وديوان بيت المال ، وديوان التوقيع والدار ، وديوان الخاتم ، وديوان الفضّ ، وديوان النّقْد والعِيار ودور الضرب ، وديوان المظالم وديوان الشرطة والأحداث ، هذا إلى توابع هذه الدواوين مثل باب العين والمؤامرات ، وباب النوادر والتواريخ وإدارة الكتب ومجالس الديوان[2] ، هذه الدواوين التى ذكرها أبو حيان هى التى ينفرد أصحابها فيها بعمل الحساب ، وهى فقيرة إلى إنشاء الكتب فى فنون ما يصفونه ويتعاطونه ، وهناك أنواع أخرى ذكرها أبو حيان للدواوين سترد عند الحديث عن الاستخدام اللغوى للفظة الديوان[3] .

وبعد هذه المقدمة التاريخية لنشأة الدِّيوان وأنواعه نترك نافذة التاريخ ونتجه إلى المعاجم وما قاله أصحاب المعاجم عن معنى الدِّيوان وأصله . إن أوضح ما قيل عن لفظة الدِّيوان هو ما ذكره صاحب تاج العروس فى تعريفه لهذه اللفظة يقول صاحب التاج : الدِّيوان بالكسر عن ابن السكيت لا غير ويفتح عن الكسائى وحكاها سيبويه مجتمع الصحف وأيضا الكتاب يكتب فيه أهل الجيش وأهل العطية . عن ابن الأثير ومنه الحديث « لا يجمعهم ديوان حافظ » وأول من وضعه عمر رضى الله تعالى عنه . وعن الجوهرى : أصل دِيوان دِوَّان فعوض من أحد الواوين ياء لأنه يجمع على دواوين ولو كانت الياء أصلية لقالوا دَياوين . وحكى ابن دريد وابن جنى أنه يقال دَياوين وقد دَوَّنه تدوينا جمعه[4] ، وعن أصل الديوان

---

(١) الحضارة الإسلامية جـ١ ص١٤٨ . (٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٩٨ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٩٨ .

(٤) تاج العروس جـ ٩ ص ٣٠٤ . وانظر اللسان جـ ١ ص ١٠٣٩ والمخصص مجلد ٤ سفر ١٣ ص٨ .

يقول صاحب التاج : قال أبو عبيدة هو فارسى معرب وأورده الجواليقى فى المعرب وكذا الخفاجى فى شفاء الغليل وقال الكسائى هو بالفتح لغة مولدة وقال سيبويه إنما صححت الواو فى ديوان وإن كانت بعد الياء ولم تعتل لأن الياء فى ديوان غير لازمة وإنما هو فِعّال من دوَّنت والدليل على ذلك قولهم دُوَيْوين فدل ذلك على أنه فِعَّال وأنك إنما أبدلت الواو بعد ذلك[1] ، ويقول الزبيدى أيضا : قال الماوردى فى الأحكام السلطانية إن الدِّيوان موضع لحفظ ما تعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيش والعمال . وذكر غير واحد أنه إنما سمى به ، لأن كسرى لما اطلع على الكُتَّاب ومعاملاتهم فى سرعة قال هذا عمل ديوان أى هذا عمل الجن ، فإن ديِّو بالكسر الجن والألف والنون علامة الجمع عندهم فبقى هذا اللقب هكذا[2] . ثم أطلق على الحاسِب ثم موضعه . وفى شفاء الغليل أُطلق على الدَّفتر ثم قيل لكل كِتاب وقد يخص بشعر شاعر معين مجازا ، حتى جاء حقيقة فيه فمعانيه خمسة ، الكَتَبة ومحلهم ، والدَّفتر وكل كِتاب ومجموع الشعر[3] ، وبعد هذا الشرح الوفير للفظة الدِّيوان وتتبع صاحب التاج هذه اللفظة فى معظم المعاجم التى تناولتها لا يسعنا إلا أن نكتفى بما قدمه صاحب التاج وأى إضافة لكلامه لا تفيد بشيء .

ولفظة **الدِّيوان** والجمع الدواوين وردت كثيرا فى كتابات أبى حيان وقد ذكرها بمعانٍ متنوعة ، بكل المعانى التى جاءت فى المعاجم وبمعان أخرى لم ترد وكان هو مستحدثا لها . فقد ذكر أبو حيان لفظة الدِّيوان بمعنى ما وضع لحفظ

---

(١) تاج العروس حـ ٩ ص ٣٠٥ وانظر المعرب ص ٢٠٢ ، وشفاء الغليل ص ١١٩ ويعلق الخفاجى على أصل لفظة الديوان ويرجعها إلى الأصل العربى كما جاء فى شرح الفصيح للمرزوقى من دونت الكلمة إذا ضبطتها وقيدتها لأنه موضع يضبط فيه أحوال الناس وتدون . وهو ليس معرب . انظر معجم شتاينجس ص ٥٥٥ .

(٢) المقدمة ص ٢٤٤ .

(٣) تاج العروس جـ ٩ ص ٣٠٥ .

حقوق الدولة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها وما هى أعمال هذه الوظيفة الإدارية ، وبيّن أبو حيان فى كتاباته أهمية من يقوم بإدارة الديوان فقال ذاكرًا لفظة الدِّيوان بمعنى تنظيم إدارى عام لحساب واردات الدولة : والحساب الذى نفعه ظاهر ، ومحصوله حاضر ، وفائدته عامة ، ونتيجته مجدية ، به صحت المعاملة ، وقامت الدولة ، وحرس الملك ، وجبى المال ، وأمن الغبن ، وقام الدِّيوان ، وقوى السلطان[1] وقال أيضا ذاكرًا لفظة الدِّيوان بالمعنى الإدارى ، أى المَقَرّ : فأما ابن العميد أبو الفضل فإنه كان يدعى المنطق وهو لا يفى بشىء منه ، ويتشبع بالهندسة وهو منها بعيد ، ولم يكن معه من صناعة الكتابة الأصل وهو الحساب ، وكان أجهل الناس بالدخل والخرج ، ولقد بقى ما بقى فى أيامه فما قعد فى الدِّيوان ناظرًا فى عمل ، أو فاصلا لحكم ، أو مخلصا لمشكل[2] ويبين أبو حيان أهمية الدِّيوان فى عصره ، مبينًا معناه كوظيفة لها مكانتها فى الدولة الإسلامية ، فقال فى نصٍّ له : نظر عبد الله بن طاهر إلى خطّ كاتِب فلم يرضه قال : نحّوا هذا عن مرتبة الديوان فإنه عليل الخط ولا يؤمن أن يعدى غيره[3] ، وقال أيضا فى نصٍّ آخر فى كتاباته ذاكرًا الدِّيوان بهذا المعنى الخاص بالإدارة : قال محمد بن عبد الملك الزيات ليعقوب بن بهرام : كلمت أمير المؤمنين فى عمر بن فرج فعزله عن الدِّيوان ، فقال له يعقوب : فرغته والله لطلب عيوبك[4] ، وقال ذاكرًا الدَّواوين بهذا المعنى : إن ابن العميد كان حسن الكتابة ، جيد الحفظ ولم يكن له فى كتابته حساب ولا تحصيل لوجوه الأموال ، ولا معرفة بالدَّواوين ولكنه كان يفضل الكيس يتأتى له ويتلطف[5] ، وعلى الرغم من أن الصبغة الغالبة على الدِّيوان هى

---

(١) المقابسات ص ٥٩ .

(٢) مثالب الوزيرين ص ٢١٣ .

(٣) رسالة فى علم الكتابة ص ٤١ .

(٤) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٥٤ .

(٥) مثالب الوزيرين ص ٢٢٦ .

الصبغة الاقتصادية والمالية إلا أنه كان هناك بعض الدَّواوين تهتم بتصريف أمور الدولة الأخرى ، مثل ديوان الرسائل وديوان الإنشاء ، وقد ذكر أبو حيان ديوان الرسائل ، وهذا الاسم أطلق على ما يشتهر به ذلك الديوان من أعمال وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : ولى إبراهيم دِيوان الرسائل ، فأمر أن ينشئ فيه رسالة بقلة طاعته ففعل[(١)] ، ويقول أبو حيان ذاكرًا ديوان الإنشاء- هذا الدِّيوان ذو المركز الرفيع ، ومن يتولى شئونه يكون فى أرفع مكانة وأشرف قدر عند الحكام-: تلطف ابن عباد فى عرض لأبى الفتح وقال : أنا أتظلم منك إليه وأتحمل بك عليك ، وهذا الاستيحاش العارض سهل الزوال إذا تألفت الشارد من حلمك على بشائع كرمك ، وَلّنى ديوان الإنشاء ، واستخدمنى فيه ، ورتبنى بين يديك وحسمنى برضاك فإنى صنيعة والدك ، ومتى أجبتنى إلى ذلك ، وأمنتنى أكون خادما بحضرتك ، وكاتبا بطلب الزلفة عندك[(٢)] . فى نص التوحيدى هذا نرى المكانة الرفيعة التى كان يتمتع بها من يتولى أمر ديوان الإنشـاء هذا الدِّيوان الذى لعب دورًا كبيرًا فى الدولة العباسية ، فقد كان يضاف إلى الوزارة أحيانا فيكون الوزير هو الذى ينفذ أموره بقلمه ، وتارة أخرى يفرد عنه بكاتب ينظر فى أمره ، ويكون الوزير هو الذى ينفذ أموره بكلامه[(٣)] فى أخريات دولة بنى العباس استقلت الكتابة وعهد فيها إلى غير الوزراء وكانوا ببغداد يقول لهم كُتَّاب الإنشاء[(٤)] ويذكر أبو حيان دواوين الكُتَّاب فى نصٍّ له يقول فيه مفسرا دخول الباء على من والخطأ فى حذفها : لا يقال اشتغلت كذا ، إلا بعد أن يقال بكذا ، ولم يكفه ذلك حتى دخل دواوين الكُتَّاب فحكى ذلك لهم وأراهم أنه قد ظفر ، فعل

---

(١) الصداقة والصديق ص ١٠٠ . (٢) مثالب الوزيرين ص ٣٥٣ .

(٣) صبح الأعشى القلقشندى جـ ١ ص ٩٣ .

(٤) تاريخ التمدن الإسلامى حرجى زيدان جـ ١ ص ٢٥٤ .

لم يقع له مثل ما وقع(١) ، وترد لفظة الدواوين فى نص آخر لأبى حيان يذكر فيه أصحاب الدواوين من الكتاب فيقول : قلت لأبى عبيد الكاتب النصرانى ببغداد : كيف ترى كتابة ابن عباد ؟ فقال : هى شوهاء ، فيها شىء فى غاية التقبح ، وفيها شىء فى غاية الركاكة وبينهما فتور راكد بمذاهب المعلمين الحمقى المتعاقلين أشبه منها بمذاهب السلف الأولين من الكُتَّاب وأصحاب الدواوين(٢) .

ولفظة الديوان ترد عند أبى حيان بمعنى الكِتاب وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : هذا ديوان ما فض ختمه منذ ختم(٣) ، وبمعنى كِتَاب الشعر يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة دِيوان فى نصوص عديدة من كتاباته ، ففى البصائر والذخائر يعلق أبو حيان على بيت شعر : يقولون البيت لعمرو بن معدى كرب ، وقد جاء فى ديوانه(٤) وفى البصائر أيضا يقول : للطرمى ديوان كبير كان فى أيام المعتمد وله ترخيم طريف ، وسمع المعتمد شعره فنال به هباته ، وأمر فكتب ديوانه بالذهب ، وديوانه مشهور(٥) ، وترد لفظة دِيوان بمعنى كتاب الشعر فى نص من كتاب الإمتاع يخاطب فيه ذا الكفايتين ابن حجاج فيقول : ياأبا عبد الله ، لقد والله تهت عجبا منك ، فأما عجبى بك فقد تقدم ، لقد كنت أفلى ديوانك ، فأتمنى لقاءك وأقول : من صاحب هذا الكلام . وإنك لمن عجائب خلق الله وطرف عباده ، والله ما يصدق واحد أنك صاحب ديوانك وأن ذلك الديوان لك ، مع هذا التنافى الذى بين شعرك وبينك فى جدك(٦) .

وترد لفظة الديوان فى نصوص كثيرة جدًا من كتاب الإشارات الإلهية بمعنى الكتاب بالمفهوم الدينى الصوفى ، وبهذا المعنى يقول أبو حيان ذاكرا لفظة الديوان

---

(١) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١٩٣ .
(٢) مثالب الوزيرين ص ٩٤ .
(٣) الإشارات الإلهية ص ٦٨ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٤٩١ .
(٥) البصائر والذخائر جـ ٤ ص ٢٩٠ .
(٦) الإمتاع جـ ١ ص ١٣٨ .

بدلالتها المعنوية : تجرع مرارة الدنيا ، وتجنب حلاوة الشكوى ، وتلذذ بصعوبة البلوى ، فلعلك تؤهل لخالصة النجوى ، بالنظر فى أشعار الهدى ، من ديوان العلى الأعلى[1] يقصد هنا بديوان العلى الأعلى ، هو الكتاب الذى فيه علم الله تعالى أو هو اللوح المحفوظ . وفى نص آخر من الإشارات يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الدِّيوان بهذا المعنى : ياهذا ! إنك إن عرفت هذه اللغة ، واستخرجت حالك من هذا الدِّيوان وحصلت مالك وعليك بهذا الحساب[2] ، ويقول في إشاراته أيضا ذاكرًا لفظة الديوان بدلالتها المعنوية على الكتاب : ياهذا ! إن فهمت هذه اللغة من هذا الديوان على هذه الكناية فقد فزت بما تريد لأنك لا تصغى إلا إلى ناطق[3] ، ويقول أيضا : أيها الأجنبى عن هذه الطريقة ، المنكر لهذه الحقيقة حرام عليك أن تسمع من هذا الدِّيوان حرفًا بقلبك المُنْحَرِف ، وحرفك المُنْكَشِف[4] ويقول في إشاراته أيضا ذاكرًا لفظة الديوان بهذا المعنى الصوفى الدال على الكِتاب : وفهمت لغتنا ، وتصرفت فى ديواننا ، ونطقت بلساننا ، وكتبت بأقلامنا فلك مالنا وعليك ما علينا[5] ، وبهذه الدلالة المعنوية يقول أبو حيان فى البصائر ذاكرا لفظة الديوان بمعنى الكِتاب : وخف حساب يأتى عليك ، وافتح ديوان نفسك ، وكن رقيب أمرك[6] فى هذا النص كأن يستوحى قوله تعالى: ﴿ اقرأ كتابَك ﴾ وبمعنى السجل ، والكتاب بالمعنى الغيبى للديوان يقول أبو حيان : إلهنا ! قدنا بزمام طاعتك إلى كريم حضرتك ، وامح أسماءنا من ديوان غيرك ، واكتبنا فى المنيبين إليك[7] ، ويقول أيضا بهذا المعنى ذاكرًا لفظة الديوان : ياهذا ! الحديث أكنى عن الغاية مما يقرع أذنك ، أعنى أنه شيء بدأ فى الأول من سابق العلم ، وسرى فى

---

(١) الإشارات الإلهية ص ٩٠ .
(٢) الإشارات ص ٣ .
(٣) الإشارات ص ٢٥٨ .
(٤) الإشارات ص ٣١١ .
(٥) الإشارات ص ١٨٩ .
(٦) البصائر والذخائر جـ٢ ص و .
(٧) الإشارات ص ٩ .

الثانى على رادف الحال . فاتفق الأول والثانى ، لأن الأول أوجب ، والثانى وجب . فلهذا غمض البيان فى ديوان التكليف ، واختلف القول عليه من الوضيع والشريف[1] ، وقال أيضا : اللهم إنا نقول ما نقول ، وأنت تعلم ما نقول ، قبل أن نقول ، فلما كتبت أسماءنا فى دِيوان المرحومين وإن لم نكن من المستحقين[2] فى النصوص السابقة وجدنا أن الدِّيوان جاء بمعنى السجل بالمعنى الغيبى الذى لا يعلم فحواه إلا سبحانه تعالى . وترد الديوان بالمعنى الأخلاقى فى نص لأبى حيان يذكر فيه مصطلح **ديوان الأدب** فيقول : فما أسلموكَ فى ديوان الأدب ، ولا حلوك بحلية ذوى الشكل والظرف والأدب[3] .

وترد أيضا لفظة الديوان بدلالة معنوية بمعنى السُّنة أى الحديث النبوى وذلك فى نص لأبى حيان يذكر فيه ديوان النبوة أى حديث الرسول وفى هذا النص يقول : ما أخوفنى أنك منافق عليم اللسان على ما نطق به ديوان النبوة فى وصف إنسان بعد إنسان[4] ، ويذكر أبو حيان ديوان الحفظ أى الذاكرة فى نصٍّ من مُقابساته فيقول : هذه مُقابسة رسمنا فيها كلمات نافعة كانت متفرقة فى ديوان الحفظ ، ولم ننسبها إلى شيخ واحد ، لأنها كانت تجرى فى مجالس مختلفة[5] ديوان الحفظ هنا هو ذاكرة الإنسان التى تسجل أحداث حياته . وأيضا ترد لفظة الديوان بمعنى مجازى يدل على الأصل والمصدر ، وفى هذا المعنى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الديوان : يدور أمز الحَدَث والأحداث والحادثات والحوادث وفلان حدث ملوك كله من ديوان واحد وواد واحد وسَبْك واحد[6]

---

(١) الإشارات الإلهية ص ١٦٧ ، ديوان التكليف أى سجل التكليف المعنى الغيبى للديوان .

(٢) الإشارات ص ١٤٠ .

(٣) الإشارات الإلهية ص ٣٥٣ .

(٤) الإشارات الإلهية ص ٢٣١ .

(٥) المقابسات ص ٣٩٠ .

(٦) الإمتاع جـ ١ ص ٢٥ .

أما الجمع الدّواوين فقد ذكرها أبو حيان بمعنى مادى ، وبدلالة معنوية ، وقد مر ذكر بعض النصوص من كتابات أبى حيان المتضمنة لهذه اللفظة فى مجال الحديث عن نشأة الديوان وأنواعه . وترد لفظة الدّواوين بمعنى الكُتُب فى نصٍّ من رسالة أبى حيان عن الكتابة وفى هذا النص يقول أبو حيان : قال ابن التوام وإنما اللسان للشاهد لك ، والقلم للغائب عنك ، والماضى والغابر بعدك ، فصار نفعه أعم والدّواوين إليه أفقر[1] ، ويقول أبو حيان ذاكرا لفظة الدواوين بمعنى كِتَاب الكون وصفحات الملكوت : ياهذا ! انظر إلى زينة الكون مستظرفا وفكر فى دواوين ملكوته مستعرفا[2] ، وبهذا المعنى الغيبى الصوفى نختتم الحديث عن الدِّيوان والدّواوين بمعانيها المحسوسة والملموسة التى ذكرها أبو حيان بين صفحات كتاباته .

مما تقدم نجد أن لفظة الدِّيوان والجمع الدواوين جاءت بمعانٍ متنوعة عند أبى حيان منها المعنى الدال على موضع من يتولى تصريف شئون الدولة ، المالية كالدخل والخرج[3] ، وأيضا الشئون العسكرية ، والمراسلات والمُكاتبات الرسمية[4] ومنها الهيئة المشرفة على تصريف هذه الشئون الإدارية والمالية[5] ، وجاءت لفظة الديوان بمعنى دال على الكِتاب والسجل بدلالة معنوية ومادية[6] ، وبمعنى كِتاب شعر يخص شاعرًا معينا[7] ، فهو سجل لأشعاره . وجاءت أيضا لفظة الديوان بمعنى السُّنّة أى حديث الرسول[8] وبمعنى ذاكرة الإنسان[9] ، وهذه المعانى الأخيرة كالحديث والذاكرة ، لم ترد فى المعاجم فهى معان استحدثها أبو

---

(١) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٩ .
(٢) الإشارات الإلهية ص ١١٣ .
(٣) المثالب ص ٢١٣ ، البصائر جـ ١ ص ١٩٣ ، الإشارات ص ٩٠ .
(٤) رسالة الكتابة ص ٤١ ، البصائر ص ٣٥٢ .
(٥) مثالب الوزيرين ص ٢٢٦ .
(٦) الإشارات ص ٦٨ ، البصائر جـ٢ ص٩ .
(٧) البصائر جـ ٢ ص ٤٩١ ، جـ ٤ ص ٢٩٠ .
(٨) الإشارات ص ٢٣١ .
(٩) المقابسات ص ٢٩٠ .

حيان . إن تعدد المعنى للفظة الديوان والجمع الدواوين يبين لنا ظاهرة المشترك اللفظى كما جاءت فى نصوص أبى حيان المتضمنة لهذه اللفظة .

أما التغير الدلالى فنجد أن لفظة الدِّيوان والجمع الدَّواوين التى عربت عن الفارسية وقد استعارتها العربية لاحتياجها لها فى مجال الإدارة والاقتصاد ، وهذا الاستخدام المتعدد للفظة الديوان والجمع الدواوين ، أدى إلى اتساع دلالتها لاستخدامها فى مجالات مختلفة مادية ومعنوية . وقد كانت لفظة الديوان فى أصلها الفارسى تستخدم فى مجال معنوى عندما أطلقت على سرعة كتابة كُتَّاب البلاط ومهارتهم فشبهوا عند الفرس بالمجانين ثم تغير مجال هذه اللفظة إلى المادى بعد أن استخدمت للدلالة على محل إقامة من يتولى الإدارة فى الدولة الإسلامية وعلى الكتاب والسجل وغيرها من الوسائل الثقافية . ثم تخصصت الدلالة عندما أطلقت لفظة الديوان على الدائرة الحكومية وعلى ديوان الشعر . فلفظة الدِّيوان والجمع الدَّواوين بدأت مُخصصة الدلالة فى استخدامها الأول بالنسبة لكِتاب الجند وانتهت فى عصر أبى حيان بتخصيص دلالتها عندما أُطلقت على الدائرة الحكومية ، وعلى ديوان الشعر ، وهذا يبين لنا الأطوار التى مرت بها هذه اللفظة أثناء مسيرتها اللغوية ، عبر العصور حتى وصلت إلى عصر أبى حيان .

(٣) الزُّبر ، القِطّ ، الأسفار :

وهناك ألفاظ مثل الزُّبر ، والقِطّ ، والأُسفار ، وردت عند أبى حيان وتدخل فى مجال حديثنا عن الكِتاب والكُتب . فلفظة الزُّبر ولفظة القِطّ تدلان على الكِتاب هذا ماصرح به صاحب اللسان ، فقال الزُّبر : الكِتاب من زَبَر الكتاب يَزْبُرُه زَبْرًا : كتبه . وزَبَرت الكِتاب إذا أتقنت كتابته[1] ، وقال صاحب اللسان فى

(١) اللسان جـ ٢ ص ٦ .

تعريفه لكلمة القط وهو النصيب ، والقط : الصك بالجائزة . والقِطُّ : الكِتاب ، وقيل هو كِتاب المحاسبة . وعن الفراء القِطّ : الصحيفة المكتوبة[1] . يشرح التوحيدى معنى الزُّبر فيقول : الزُّبر : الكِتاب ، والزير الذى يعجب به النساء ويعجبنه[2] ويقول شارحا معنى القِطّ : القِطّ بالكسر : الكِتاب ، هكذا قيل فى قوله تعالى :﴿عجل لنا قِطّنا﴾[3] . والأسفار يعرفها صاحب اللسان بقوله : هى الكُتُب الكبار واحدها سِفْر بالكسر وهو الكتاب الكبير ، وعن الزجاج قال ابن منظور : قيل للكتاب سِفْر لأن معناه أنه يبين الشيء ويوضحه[4] . ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظةأُسْفار ومحددًا معناها فى المقابسات : الناس من أول الدهر إنما يتكلمون فى الأخلاق على هذا تدل الكُتُب السالفة، والأسفار المتقدمة والمواعظ القائمة[5] ويقول أيضا ذاكرًا لفظة أُسفار فى مقابساته وذلك فى وصفه لكتاب فلسفى : ويشتمل على ما نطقت به الكتب القديمة ، وتضمنت الأسفار الصحيحة ، وأتت به الشرائع الصادقة[6] ويذكر لفظة الأسفار فى حديثه مع ابن ثوابة فيقول فى مثالبه : فأحضرنى دواة وقرطاس فأحضرتهما فأخذ القلم فنكت به نكتة نقط منها نقطة تخيلها بصرى ، ولحظها طرفى كأصغر من حبة الذر ، فزمزم عليها بوسواسه ، وتلا عليها من محكم أُسفار أباطيله[7] .

وبعد هذه الجولة فى عالم الكُتُب ، نقف قليلا مع أبى هلال العسكرى ليشرح لنا الفرق بين هذه الألفاظ التى وردت عن التوحيدى ، وكلها ذات دلالة واحدة وهى الكُتُب والكِتاب ، يقول العسكرى الفرق بين الزُّبر والكتب أن الزبر الكتابة

---

(١) اللسان جـ ٣ ص ١١٧ .
(٢) البصائر جـ ١ ص ٢٨٧ .
(٣) البصائر جـ ٢ ص ٣٨٩ .
(٤) اللسان جـ ٢ ص ١٥٥ .
(٥) المقابسات ص ٨٧ .
(٦) المقابسات ص ٤٢٢ .
(٧) مثالب الوزيرين ص ١٥٩ .

فى الحجر نَقْرًا ثم كثر ذلك حتى سمى كل كتابة زبرًا ، وأصل الكلمة الفخامة والغلظ ومنه سميت القطعة من الحديد زبرة ، وزبرت البئر إذا طويتها بالحجارة وذلك لغلظ الحجارة وإنما قيل للكتابة فى الحجر زبر لأنها كتابة غليظة ليس كما يكتب فى الرقوق والكواغد . ويجوز أن يقال الزبور كتاب يتضمن الزجر على خلاف الحق من قولك زَبَرَه إذا زجره وسمى زبور داود لكثرة مزاجره[1] ، ويقول أبو هلال : والفرق بين الكُتب والأَسفار –أن السِّفْر الكِتاب الكبير وأن الأسفار الكتب الكبار وقال بعضهم السِّفْر الكِتاب يتضمن علوم الديانات خاصة والذى يوجبه الاشتقاق أن يكون السفر الواضح الكاشف للمعانى من قولك أسفر الصبح إذا أضاء ، وسفرت المرأة نقابها إذا ألقته فانكشف وجهها[2] .

مما تقدم نجد أن الألفاظ زُبر وقِطّ وأَسفار قد جاءت عند أبى حيان بمعنى كِتاب وكُتُب . وبهذا المعنى أيضا ذكرها صاحب اللسان فى معجمه . ومن الملاحظ أن هذه الألفاظ جاءت فى نصوص أبى حيان مترادفة[3] .

أما التغيير الدلالى فنجد أن الألفاظ زُبر وقِطّ وأَسفار تعتبر من الألفاظ العربية القديمة وقد اكتسبت هذه الألفاظ تخصيص الدلالة بإطلاقها على الكِتاب . ونجد أن لفظ زُبر التى ترجع دلالتها على الكِتاب إلى العصر الجاهلى[4] قد اشتقت من مادة « زبر » بمعنى الحجارة وهو استعمال حسى ثم انتقلت دلالة اللفظة من مجال مادى إلى مجال آخر معنوى لتدل على الكتابة . ولفظة أَسفار اتخذت خصوصية الدلالة بإطلاقها على كتب العهد القديم وخاصة الدينية منها .

---

(١) الفروق فى اللغة للعسكرى ص ٢٨٦ .

(٢) الفروق فى اللغة للعسكرى ص ٢٨٨ ، وهذا المعنى مختلف عن معنى كلمة سفر فى العبرية فهى تدل على الكتاب صغيرا كان أو كبيرا .

(٣) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٣٨٩ ، جـ ١ ص ٢٨٧ ، وانظر المقابسات ص ٨٧ .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية جـ ١٠ ص ٣٣٤ .

(٤) الرسالة ، الرسائل :

الرِّسالة : ما يرسل الرسول به ، وجمعها رِسالات[1]، قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ﴾[2]، وقال تعالى فى محكم كتابه : ﴿ أبلغكم رسالات ربى ﴾[3] ، وجاء فى اللسان : تراسل القوم : أُرْسَل بعضهم إلى بعض . وأرسلت فلانًا فى رسالة ، فهو مُرْسل ورَسول . والإرْسال : التوجيه ، وقد أُرْسَل إليه ، والاسم الرِّسالة ، والرِّسالة والرَّسُول والرَّسيل . وجمع الرِّسالة الرسائل[4] ، وجاء فى أساس البلاغة : راسله فى كذا . وبينهما مُكاتبات ومُراسلات ، وتراسلوا ، وأرسلته برسالة وبرسول ، وأرسلت إليه أن افعل كذا[5] .

والرِّسالة فى اللغة : تحميل جملة من الكلام إلى المقصود بالدلالة ، وهو حدّ صحيح ، والأحكام داخلة فى هذا الحد[6] ، والرِّسالة فى اصطلاح العلماء : هى المجلة المشتملة على قليل من المسائل التى تكون من نوع واحد والمجلة هى الصحيفة يكون فيها الحكم[7] .

ولفظة **رِسالة** والجمع **رسائل** وردت عند أبى حيان كثيرًا ، وبمعانٍ متنوعة ، ففى نصوص متعددة ذكر أبو حيان لفظة رسالة بمعنى كتاب فقال : وإن لم يكن من خاص ، ما فى هذه الجملة لأن هذه الرسالة قد صارت كتاب خرافة[8]، وقال

---

(١) معجم ألفاظ القرآن جـ ١ ص ٤٩٩ . (٢،٣) سورة الأعراف آية ٧٩، آية ٦٢ .

(٤) اللسان جـ ١ ص ١١٦٦ ، المخصص لابن سيده ، سفر ١٢ ، ص ٢٢٥ .

(٥) أساس البلاغة للزمخشرى جـ ١ ص ٣٣٩ ، وانظر تاج العروس جـ ٥ ص ٣٤٤ .

(٦) الكليات لأبى البقاء جـ ١ ص ١٠٧ . (٧) التعريفات للجرجانى ص ١١٥ .

(٨) مثالب الوزيرين ص ٣٤٩ .

يصف أحد معاصرى عصره (البصرى جعْل) ذاكرًا لفظة رسالة بمعنى الكتاب: لقد بلغ من قلة دينه أنه صنَّف رِسالة ذكر فيها الدلالة على أنه المهدى المنتظر[1] ، وقال ذاكرًا لفظة الجمع رسائل بمعنى الكُتُب وذلك فى حديثه عن الصاحب وطريقته فى الكتابة : وقد أفسد رسائله بطريقة المتكلمين وأفسد طريقة المتكلمين بطريقة الكُتَّاب[2] ويعدد أبو حيان أنواعًا من الرسائل كل منها تختص بفرع من فروع المعرفة مثل رسائل إخوان الصفا الفلسفية ، فقال ذاكرًا لفظة رسالة والجمع رسائل : وصنفوا خمسين رسالة فى جميع أجزاء الفلسَفة : عِلْمِيِّها وعَمَلِيِّها ، وأفردوا لها فهرستًا وسموها رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء وحشوا هذه الرسائل بالكلم الدينية[3] ، ويذكر أبو حيان نوعا آخر من الرسائل وهى الرسائل الأدبية المنثورة والمنظومة فيقول موردًا لفظة رسائل بمعنى الكُتُب : مولانا يتقدم بأن أعار شيئًا من كلامه ، ورسائل منثورة ، ومنظومة ، فما جبت الأرض إليه من فرغانة ومصر وتفليس إلا لأستفيد كلامه وأفصح به ، وأتعلم البلاغة منه لكأنما رسائل مولانا سور قرآن ، وفقره فيها آيات فرقان[4] ، وترد لفظة رسائل فى نص لأبى حيان يصف فيه مجموعة من الوزراء وكُتَّاب الرسائل وهنا يقصد الرسائل التى تختص بتصريف شئون الدولة فيقول فى نصه : كان سفيان ابن عيينة معلما وكذلك الضحاك بن مزاحم ، وكذلك عبد الحميد بن يحيى كاتِب الرسائل والحجاج بن يوسف وأبوه ، وكذلك أبو عبيد الله كاتب الرسائل[5] ، فى نص أبى حيان هذا يذكر « كاتب الرسائل » وهذه وظيفة كانت تطلق على « كاتب ديوان

---

(١) مثالب الوزيرين ص ١٤٠ . (٢) مثالب الوزيرين ص ١١٣ .

(٣) الإمتاع ج ٢ ص ٥ . وهذا أول من يشير إلى إخوان الصفا إشارة صريحة فى ذلك العصر .

(٤) الإمتاع ج ١ ص ٥٥ . (٥) البصائر والذخائر ج ٢ ص ٤٤ .

الرسائل » أو ما يسمى بالرسائل الديوانية التى تختص بالناحية الإدارية للدولة الإسلامية ولفظة رسالة يذكرها أبو حيان بمعنى كِتاب ، أو مُؤلَّف يختص بموضوع معين فيقول ذاكرًا رسالة الحياة : قد أتينا على الغرض فى هذه الرسالة على ما تقدم الوعد به من شرح أصناف الحياة(١) ، ويقول أيضا ذاكرًا لفظة رسالة بمعنى كِتاب : الطبيعيات والإلاهيات قد ذكرناها فى رسالة إلى بعض الناس(٢) ، ويقول بهذا المعنى أيضا : لم أجد إلا هذه الرِّسالة الآتية على حديث الصداقة والصديق(٣) ، ويذكر أبو حيان لفظة الرِّسالة فى حديثه عن المثالب وأصحابها فيقول ذاكرًا لفظة رسالة بمعنى كِتاب يختص بفن معين وهو الهجاء : أنا قرأت رسالة لابن المقفع فى معائب بعض آل سليمان بن على الهاشمى وكذلك أصبت رسالة لسهل بن هارون فى مثالب الحرانى(٤) ويقول أبو حيان أيضًا : ومن غريب هذا رسالة لأبى العباس محمد بن يزيد فى خبائث الحسن بن رجاء(٥) ورأيت أيضا رسالة للعمرى فى رقاعات الفضل بن سهل ذى الرياستين(٦) ، ومن الملاحظ أن رسائل المثالب هذه تعبر عن مشاعر الكاتب الشخصية . وهناك فن آخر يعبر عنه بالرسائل الإخوانيّة وهى الرسائل المتبادلة بين الأصدقاء وموضوعها الاعتذار أو العتاب ، وبهذا المعنى ترد لفظة رسالة والجمع رسائل فى نصوص من كتابات أبى حيان ، فيقول فى نص له موردًا لفظة رسالة بمعنى الخطاب المتبادل : قد تكرر اعتذارى من طول هذه الرسالة على أنك لو علمت فى أى وقت ارتفعت هذه الرسالة وعلى أى حال تمت لتعجبت(٧) ، ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة رسائل بمعنى الرسائل الإخوانيّة : كتبت إليكم ياأحباب قلبى ، كيف التلاقى والمزار

(١) رسالة الحياة ص ٨٠ .
(٢) المقابسات ص ٢١٩ .
(٣) الصداقة والصديق ص ٨٤ .
(٤) مثالب الوزيرين ص ٥٠ .
(٥، ٦) مثالب الوزيرين ص ٥١ .
(٧) الصداقة والصديق ص ٤٧٥ .

بعيد ؟ فسقيا للرسائل التى كانت تجرى بيننا وبينكم[1] وهذه الرسائل المتبادلة بين الأصدقاء ، والتى نسميها بالرسائل الإخوانيّة كانت فنًّا شائعا فى عصر أبى حيان . وكان أبو حيان أحد البارزين فى هذا الفن الأدبى بل هو أستاذ فى فنه هذا .

وكانت طريقة كتابة الرسائل فى القرن الرابع الهجرى مجالا للتمرين على إظهار صور البلاغة وأساليبها ، وصف آدم ميتز رسائل ذلك العصر فيقول : هى أدق آية من ازدهار الفن الإسلامى ، ومادتها هى أنفس ما عالجته يد الفنان وهى اللغة ، ولو لم تصل إلينا آيات الفن الجميلة التى صنعتها أيدى الفنانين فى ذلك العهد من الزجاج والمعادن لاستطعنا أن نرى فى هذه الرسائل مبلغ تقدير المسلمين للرشافة الرقيقة ، وامتلاكهم لناصية البيان فى صورته الصعبة وتلاعبهم بذلك تلاعبًا ، وليس من محض الاتفاق أن كثيرًا من الوزراء فى ذلك العهد كانوا من أساتذة البيان ، وأعلامه ، ولذلك استطاعت رسائلهم أن تنال من التقدير ما جعلها خليقة أن تنشر كتبا للناس[2] .

وترد لفظة رسالة فى كتابات أبى حيان بمعانٍ أخرى منها بمعنى الكلام المشتمل على الأمر أى التبليغ ، وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : حدثنى أبو على الحسن بن على التنوخى قال : كنت فى الصحبة إلى همدان وكنا جماعة وفينا ابن جربنار « أبو محمد » ، فاتفق أن عضد الدولة قال لابن شاهويه : سر إلى ابن جَرْنَبار وقل له : ينبغى أن تسير إلى البصرة . قال : ونفذ أبو بكر ومعه آخر من المجلس يشهد التبليغ والأداء فلقى ابن جرنبار وشافهه بالرسالة على التمام ، فقال أبو محمد لما سمع ، الأمر للملك[3] ، وجاءت لفظة رسالة بمعنى تبليغ الإرادة الإلهية للناس بوساطة كتاب منزل أو نبى مرسل ، وفى هذا المعنى يقول أبو حيان ذاكرا لفظة

---

(١) الإشارات الإلهية ص ٢٦ .

(٢) الحضارة الإسلامية، آدم ميتز حـ١ ص٤٤٧ .

(٣) الإمتاع جـ ٣ ص ١٤٨ .

رسالة : معدن النبوة ، وأرض الرسالة[١] ، ويقول أيضا موردا لفظة رسالة بهذا المعنى الدينى : إن الكتب السماوية وردت بألفاظ منثورة ، حتى إن من اصطفى بالرسالة فى آخر الأمر غلبت عليه تلك الوحدة ، فلم ينظم من تلقاء نفسه[٢] ، وهذا المعنى الدينى هو المعنى الأصلى للرسالة .

وبمعنى الكِتاب المشتمل على عدد من المسائل ، يذكر أبو حيان لفظة الرِّسالة فى مقدمة كتابه الهوامل والشوامل الذى بناه على الأسئلة والأجوبة بينه وبين مسكويه فقال موجها كلامه إلى مسكويه : قرأت مسائلك التى سألتني أجوبتها فى رسالتك التى بدأت بها فشكوت فيها الزمان[٣] . وهذا المعنى الذى ذكره أبو حيان فى نصه من كتاب الهوامل والشوامل للفظة الرسالة يبين أن أبا حيان أعطى للرسالة معنى الكِتاب المشتمل على مسائل متعددة من فنون عديدة . وأصحاب المعاجم يتفقون مع أبى حيان فى رأيه هذا فنجد التهانوى فى كشافه يقول : إن الفرق بين الرسالة والكِتاب على ما هو المشهور إنما هو بحسب الكمال والنقصان والزيادة والنقصان فالكتاب هو الكامل فى الفن والرسالة غير الكامل فيه[٤] ، ويقول الزبيدى فى التاج : الرِّسالة هى المشتملة على قليل من المسائل التى تكون من نوع واحد[٥] .

مما تقدم نجد أن لفظة رسالة والجمع رسائل جاءت عند أبى حيان بمعانٍ متعددة ، منها المعنى اللغوى وهو التبليغ فى أمر دنيوى[٦] وفى أمر دينى ، والمعنى الدينى هو المعنى الأصلى للرسالة وهو تبليغ الإرادة الإلهية للناس بواسطة كتاب منزل أو نبى موحى إليه[٧] . وجاءت لفظة رسالة عند أبى حيان بمعنى الخطاب

---

(١) البصائر جـ ١ ص ٣٧٥ .
(٢) المقابسات ص ٢٧٣ .
(٣) الهوامل والشوامل ص ١ .
(٤) كشاف اصطلاحات الفنون، جـ٣ ص٥٨٤.
(٥) تاج العروس جـ٥ ص٣٤٤، ص٣٤٥ .
(٦) الإمتاع جـ ٣ ص ١٤٨ .
(٧) البصائر جـ ١ ص ٣٧٥ ، وانظر المقابسات ص ٢٧٣ .

سواء كان شخصيا ، متبادلا بين الأشخاص وعادة يكون بين الأصدقاء[١] أو خطابا رسميا صادرا عن دائرة حكومية إلى المكلفين بتصريف شئون الدولة[٢] وجاءت لفظة رسالة والجمع رسائل فى نصوص كثيرة لأبى حيان بالمعنى الاصطلاحى الدال على الكتاب المؤلَّف فى موضوع معين مثل المثالب[٣] والصداقة والصديق [٤] وبالمعنى الدال على البحث الذى يتناول موضوعا خاصا فى معالجة تفصيلية مثل تفضيل النثر على النظم[٥] أو موضوع الحياة[٦] أو موضوعا فلسفيا بحتًا[٧] أو غيرها من المواضيع الأدبية والفلسفية الأخرى وهذا المعنى الاصطلاحى هو الأكثر ورودًا فى كتابات أبى حيان . ويعتبر المعنى الاصطلاحى لهذه اللفظة مرحلة تطور للرسائل الإخوانيّة ، إذ أصبح كاتب الرسالة الأدبية يميل إلى التجريد ويكتب عن المواضيع بصفة عامة . ومن الملاحظ أن لفظة رسالة والجمع رسائل **ترادف** لفظة كتاب والجمع كتب . وأن تعدد المعانى للفظة رسالة أظهر **المشترك اللفظى** بصورة واضحة عند تناولنا نصوص أبى حيان المتضمنة للفظة رسالة ورسائل .

أما التطور الدلالى فنجد أن لفظة رسالة والجمع رسائل ، قد انتقلت دلالتها من مجال إلى آخر فى عصر أبى حيان . فقد انتقلت الدلالة من مجال معنوى وهو تبليغ الكلام أى الكلام الذى يرسل إلى الغير إلى مجال مادى وهو الخطاب الذى يدون فيه الكلام المشتمل على قواعد علمية وفى عصر أبى حيان أطلقت على المؤلَّف

---

(١) الإشارات الإلهية ص ٢٦ وهذا المعنى للرسالة هو ما يسمى بالرسائل الإخوانية .

(٢) البصائر جـ ٢ ص ٤٤ وهذا المعنى للرسالة هو ما يسمى بالرسائل الديوانية .

(٣) مثالب الوزيرين ص ٣٤٩ ، ص ٥٠١ ، ٥١ ، ١٦٣ .

(٤) الصداقة والصديق ص ٢٠١ ، ص ٩ .

(٥) المقابسات ص ٢٧٢ .

(٦) رسالة الحياة ص ٨٠ .

(٧) الإمتاع جـ ٢ ص ٥ .

المشتمل على مسائل قليلة فى فن من الفنون . ونجد أيضا أن دلالة لفظة الرسالة أصبحت فى عصر أبى حيان أكثر اتساعا نتيجة لكثرة استخدامها فى جميع نواحى الحياة الثقافية منها والاقتصادية والسياسية والإدارية وعند كافة طبقات المجتمع فى ذلك العصر .

(٥) ورقات ، أوراق ، رقعة ، رقّاع ، صحيفة ، صحف ، صحائف ، طومار ، مذكرات ، روزنامج :

يقول صاحب اللسان فى تعريفه للفظة أوراق : جمع الوَرَق والوَرَق والْوَرَق ، أوراق . والوَرَق : من أوراق الشَّجر والكِتاب ، الواحدة وَرَقَة . ووَرَق المصحف ، وأوراقه صحفه ، الواحد كالواحد وهو منه[1] ، ويقول القلقشندى : الوَرَق بفتح الراء اسم جنس يقع على القليل والكثير ، واحده ورَقَة ، وجمعه أوَراق ، وجمع الورقة ورقات[2] .

ويذكر أبو حيان لفظة **وَرَقات** وأوراق فى كتاباته بمعنى الكتب أو الكتابات ففى بعض النصوص يذكر لفظة ورقات بمعنى كُتُب ، فيقول فى نصٍّ له من كتاب الإمتاع : وقد رأيت صاحبا لمحمد بن زكرياء فى هذه الأيام ورد من الرى يقال له : أبو تمام الطيب يشاده فى هذا الموضع ويضايقه ، ويلزمه القول بما ينكره على الخصم ، وإذا أذنت رسمت كلامهما فى وَرَقات[3] . وفى نص آخر يذكر أبو حيان لفظة الورقات فى حديثه عن الوزير صاحب مجالس الإمتاع والمؤانسة فيقول : فقال : اجمع لى جزءًا من رقائق العباد وكلامهم اللطيف الحلو ، فإن مراميهم شريفة ، وسرائرهم خالصة ، ومواعظهم رادعة ، وذاك أظن - للدين

---

(١) اللسان جـ ٣ ص ٩١١ .

(٢) صبح الأعشى، للقلقشندى، جـ٢، ص٤٨٧ .

(٣) الإمتاع جـ ٢ ص ٢٣ .

الغالب عليهم والتألّه المؤثر فيهم ، فالصدق مقرون بمنطقهم ، والحق موصول بقصدهم ، قلت : أَفْعَلَ ، فكتبت تمام ما تقدم به ، ثم كتبت بعد ورقات فى حديث النساك[١] وقال أيضا فى الإمتاع ذاكرًا لفظة الورقات بمعنى الكُتُب : وكان الوزير رسم بكتابة لمع من كلام الرسول ﷺ فأفردت ذلك فى هذه الورقات[٢] .

وترد لفظة وَرَقات فى نصوص أبى حيان بمعنى ورقات الشجر فيقول أبو حيان فى هذا المعنى ذاكرًا لفظة ورقات جمعا لوَرَقة : وترنح فى هذا الفضاء الذى انخرق لك من هذه الورقات التى هى ألف ورقة متنزها ، واقطف من ثمارها ما تدلى لك ودنا منك[٣] لفظة الجمع ورقات التى جاءت فى نصوص أبى حيان لم ترد فى اللسان ولا فى المعاجم الأخرى وذكرها القلقشندى فى كتابه صبح الأعشى فى حديثه عن أدوات الكتابة ، ولنا عودة أخرى للفظة وَرَقَة فى مجال الحديث عن أدوات الكتابة فى صفحات لاحقة من هذا البحث .

ولفظة أخرى وهى **الأَوْراق** وقد ذكرها التوحيدى بمعنى الكُتُب فقال فى إحدى مُقابساته : وسيتصل بهذه المُقابسة فى الكِتاب ما يكون بيانًا له ، وشاهدًا بصحته ولو أن هذه الأَوْراق اشتملت على نكتة مما فيها فقط . لكان ذلك مما لا ينكر أنه كافٍ فى معناه ، مُوفٍ على أقصاه[٤] . وذكر أبو حيان لفظة أوراق بمعنى أداة من أدوات الكتابة أى بمعنى الورق المعد للكتابة فقال بهذا المعنى فى نص له يصف فيه كتابه البصائر والذخائر : ومن هذا الذى تصدى لمثل هذا الكِتاب مع طوله وكثرة عدد أوراقه وتصرف راويه ، واختلاف أساليبه ومعانيه ، فلم يهرف ، ولم ينحرف ولم يظلم[٥] . لفظة رُقْعة وجمعها رِقاع نوع آخر من أنواع

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٨٠ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٩٢ .

(٣) الإشارات الإلهية ص ٤٧، ص ١٧٧ .

(٤) المقابسات ص ١٧٣ .

(٥) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ١٣ .

الكتب التى ذكرها أبو حيان فى كتاباته ، وقد استخدمت الرِّقاع فى العصر العباسى من أجل طلب حاجة أو دعاء أو شرح مسألة من المسائل العلمية ، ويروى لنا آدم ميتز أنه كان من عادة المتحاكمين فى ذلك العصر أن يتقدموا للقاضى برقاع ، فى الرُّقْعة منها اسم المدعى واسم خصمه وأبيه وكان الكاتِب يأخذ هذه الرُّقعة عند باب المسجد حتى مجىء القاضى ، وإذا كانت الرِّقاع كثيرة لا يقدر القاضى أن يدعو بها كلها فى يوم ، فرقها فى كل يوم خمسين رُقعة أو أكثر من ذلك على قدر طاقته فى الجلوس والصبر[1] .

وصاحب اللسان عرف لفظة الرقعة فقال : هى واحدة الرِّقاع التى تكتب . وفى الحديث : يجىء أحدكم يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق ، أراد بالرِّقاع ما عليه من الحقوق المكتوبة فى الرِّقاع[2] .

ذكر أبو حيان لفظة الرُّقعة فقال فى نص من بصائره على لسان الجاحظ فى فصل من رسائله : وردت على رُقعة مكتوب على عنوانها : هذه مسائل من فِقَر الحكمة ومكنون علم الفلسفة وفككتها فإذا فيها : خبرنا عن تعادى الأضداد ، وحركات الكون والفساد[3] ويقول أبو حيان ذاكرا لفظة رُقعة بمعنى الكتاب أو الرسالة : كتب إلى ابن ثوابة رقعة نسختها : بسم الله الرحمن الرحيم . اتصل بى جعلنى الله فداك أن رجلا من إخوانك أشار عليك تكميل فضائلك بمعرفة شىء من القياس البرهانى . فأجابنى ابن ثوابة برقعة نسختها : بسم الله الرحمن الرحيم وصلت رقعتك أعزك الله وفهمت فحواها وتدبرت مضمنها[4] . ويذكر أبو حيان لفظة الرقعة فيقول كان القاضى « ابن قريعة فى مجلس المهلبى فوردت عليه رقعة

---

(١) الحضارة الإسلامية ، آدم ميتز ، جـ ١ ص ٤١٢ .

(٢) اللسان جـ ١ ص ١٢٠٧ .

(٣) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٦٠٧ .

(٤) مثالب الوزيرين ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

فيها : ما يقول القاضى -أعزه الله- فى رجل دخل الحمام وجلس فى الأبزن لعلةٍ كانت به فخرجت منه ريح تحول الماء زيتًا[1] ، وقال أيضا ذاكرًا الرُّقعة : وقع يحيى ابن خالد فى رقعة رجل مليح الخط ، ردىء الكلام : الخط جسم روحه الكلام ، ولا ينتفع بجسم لا روح فيه[2] ، وذكر لفظة الجمع الرِّقاع بقوله : وقد كان والله يلوح خلل كبير لقوم من أهل العقل والأدب والحكمة من رسائله ورقاعه وكانوا يحملون الذنب على الوراقين[3] ويصف أبو حيان أنواع الكتاب فى نص له موردًا لفظة الرقاع فى نصه فيقول : والرقاعىّ : الذى يبلغ فى الرقاع حاجته ولا يصلح لعظم الكتابة[4] .

وذكر أبو حيان ألفاظًا مثل صحيفة وصحف وصحائف بمعنى الكِتاب والكُتُب وبمعنى الرسائل المتبادلة . وقد جاء فى اللسان عند تناوله للمادة « ص ح ف » أن الصحيفة هى التى يكتب فيها . والجمع صَحائف وصُحُف وصُحْف . وفى التنزيل : ﴿ إن هذا لفى الصُّحف الأُولى صُحُف إبراهيم وموسى ﴾ يعنى الكُتُب المنزلة عليهما ، وقال ابن منظور عن الأزهرى : الصُّحُف جمع صحيفة من النوادر وقال عن الجوهرى : والصحيفة الكتاب[5] .

والألفاظ **صحيفة** وصحف وصحائف وردت عند التوحيدى ولها معنى واحد هو الكتب فقد ذكر لفظة الصحيفة بمعنى الكتاب ، فقال فى مقدمة كتابه البصائر والذخائر وهو ذو أجزاء متعددة : والغرض من الكتاب مسوق إليك ، والمراد فيه معروض عليك ، فلا عائدة إذا للإطالة ، إلا بقدر التلطف والاستمالة ، وأنا ضامن لك أنك ضامن لا تخلو فى دراسة هذه الصحيفة من أمهات الحكم ، وكنوز

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ١٧٥ .
(٢) البصائر جـ ٢ ص ٣٥٩ .
(٣) مثالب الوزيرين ص ١٢٤ .
(٤) مثالب الوزيرين ص ٩٦ .
(٥) اللسان جـ ٢ ص ٤١٢ ، وانظر المخصص مجلد ٤ ص ٧ .

الفوائد[١] وقال أيضا : هذه صحيفة قد طويت منذ زمان ، لأن الأذهان غلظت عنه ، والعقول خاست دونه[٢] وقال أيضا ذاكرًا لفظة صحيفة بمعنى كِتَاب : ياهذا ! هذا كله هينمة لقوم قد فقد سوادهم فى عصرك من بين من ترى ، كانوا يديرونها بينهم كصحيفة منشورة : ينظرون فيها ، ويتعرفون ما فى حواشيها[٣] وقال أيضا ذاكرًا لفظة صحيفة بمعنى كِتاب : فطوبى لمن فاز بحظوته عندكم ، وحصل له ذكر فى صحيفتكم[٤] ، وذكر لفظة صَحائف وهى جمع صحيفة ولفظة صُحُف وهى أيضا جمع لصحيفة وفى هذا يقول صاحب اللسان : الصُّحف جمع الصحيفة من النوادر وهو أن تَجْمع فعيلة على فُعُل ، قال : ومثله سفينة وسُفُن ، قال : وكان قياسهما صَحائف وسَفائن[٥] وفى نص للتوحيدى يذكر فيه لفظة **صَحائف** بمعنى كُتُب فيقول : إن نبدى لك من هذه الصَحائف كلمة سائغة ، أو حكمة بالغة[٦] ، وقال يناجى خالقه ذاكرًا لفظة صَحائف بمعنى الكُتُب التى يكتب فيها الملكان أعمال البشر : ومحوت بكرمك صحائف ذنوبنا وبدلت سيئاتنا حسنات[٧] .

وقد وردت لفظة صُحُف وهى جمع صحيفة فى نص لأبى حيان بمعنى الكُتُب فيقول فى نصه مخاطبًا مسكويه : لِمَ تحاث الناس على كتمان الأسرار ، وتبالغوا فى أخذ العهد به ؟ وكيف فشت وبرزت من الحجب المضروبة حتى نثرت فى المجالس ، وخلدت فى بطون الصُّحف ، ورويت على الزمان[٨] . إن المعنى الذى ذكره صاحب اللسان والذى أورده أبو حيان للفظة الصحيفة ، يغاير المعنى الذى

---

(١) البصائر والذخائر حـ ١ ص ٦ .
(٢) الإشارات الإلهية ص ١٣٦ .
(٣) الإشارات الإلهية ص ٢٨٨ .
(٤) الإشارات الإلهية ص ٣٠ .
(٥) اللسان حـ ٢ ص ٤١٣ .
(٦) الإشارات الإلهية ص ٣١١ .
(٧) الإشارات الإلهية ص ٢٦٧ .
(٨) الهوامل والشوامل ص ١٥ .

ذكره العسكرى فى كتابه الفروق ، فهو يحدد معنى الصحيفة أنها ورقة واحدة بيضاء فإذا قلت صُحُف أفدت أنها مكتوبة ، وقال بعضهم يقال صَحائف بيض ولا يقال صُحُف بيض وإنما يقال من صَحائف إلى صُحُف ليفيد أنها مكتوبة(1) .

وفى مجال الحديث عن الصحيفة والكتاب وردت عند أبى حيان لفظة **الطُّومَار** بمعنى الصحيفة ، وكما جاء فى اللسان : الطُّومار واحد المَطامير وعن ابن سيده : الطامُور والطُّومار الصحيفة ، وهو دخيل ، ويراه ابن سيده عربيًّا محضا لأن سيبويه قد اعتدّ به فى الأبنية فقال : هو ملحق بفُسْطاط(2) ، وجاء فى المعرب : الطُّومار معروف وهو معرب(3) . ويذكر أبو حيان نصًّا يوضح فيه معنى لفظة الطومار ، وفى أى غرض تستعمل فيقول على لسان أحد معاصريه : فتفردت أيامًا وحرّرت الحساب على قاعدته وأصله والرَّسم الذى هو مألوف بين أهله ، وحملته إليه فأخذه من يدى وأقر عينه فيه من غير تثبيت أو فحص أو مساءلة ، ثم حذف به إلى وقال : أهذا حساب ؟ أهذا كتاب ؟ أهذا تحرير ؟ أهذا تقرير ؟ أهذا تفصيل ؟ أهذا تحصيل ؟ والله لولا أنى قد ربيتك فى دارى وشغلت بتجربتك ليلى ونهارى ، ولك حرمة الصبا ، ويلزمنى رعاية الآباء لأطعمتك هذا الطومار ! وأحرقتك بالنفط والنار(4) ، ومن هذا النص يتبين لنا أن لفظة الطومار تعنى نوعا من أنواع الكُتُب أو الرسائل ، وهناك نصوص أخرى ذكر فيها أبو حيان لفظة طُومار ولم أستطع أن أتبين المعنى الواضح للفظة ، ففي نصٍّ له يقول أبو حيان مخاطبًا أحدهم ذاكرًا لفظة الطُّومار بمعنى الحمار أو الحصان : يارأس الطُّومار

---

(1) الفروق فى اللغة، العسكرى، ص٢٨٧.   (2) اللسان جـ ٢ ص ٦١٤ .

(3) المعرب للجواليقى ص ٢٧٣ ، هكذا زعم المؤلف بأن الطومار دخيل تبعا لابن دريد هذا ما علق به محقق الكتاب .

(4) مثالب الوزيرين ص ٨٥ .

يارسولا بلا أخبار[1] هنا فى هذا النص المعنى غير واضح لهذه اللفظة وإن كان للطومار عند ابن منظور معنى آخر وهو واحد المَطامير ، ومَطامير : فرس القعقاع ابن شور ، وفى شرح المصطلحات العلمية والفنية للسان العرب يفسر الشارح كلمة مَطامير بأنها أبنية خاصة تبنى فوق الأرض لحفظ الحبوب فيها ريثما تباع أو تستهلك ، والمَطمرة أداة تضاف إلى المحراث الحديث فتلقى الزبل فى التسلم فيطمره ، مقلب المحراث[2] ، ومما تقدم نرى أن لفظة طُومار جاءت بمعنيين فى نصوص التوحيدى والذى يهمنا هو معناها الثقافى وهى الصحيفة أى نوع من أنواع الكتب .

ثم لفظة **مُذكرات** من الألفاظ التى وردت فى كتابات أبى حيان بمعنى نوع من أنواع الكتب ، فهى ليست كتبًا مؤلَّفة بالمعنى الذى نفهمه ، أى أن المؤلِّف قام بكتابتها وتنظيمها ، بل هى محاضرات المجالس التعليمية وأمالىُّ الشيخ على تلاميذه . لأن أكثر ما شاع من كتب الشيوخ كان فى الحقيقة ما كتبه التلاميذ من مُذكرات أخذوها عن الشّيْخ[3] . وبهذه المعانى ذكر أبو حيان لفظة مُذكرات فقال فى نصٍّ له : هذه معانى اختلست من مُذكرات هؤلاء المشايخ ، فلم يكن أن تُورد تامة مستقاة لأن الكُتُب التى توضح هذه الدقائق موجودة[4] ، وقال فى نص آخر جاء على لسان أبى سليمان موردًا لفظة مذكرات بمعنى الكُتُب : قلنا مرارًا ، فى المُذكرات التى سلفت والمعانى التى صحت وعرفت ، أن الكلام الذى يُراد به استصلاح العامة واستجماع الكافة، لابد من أن يكون مرة مبسوطًا ومرة موجزًا[5] .

---

(١) الإمتاع جـ ٢ ص ٦٠ .

(٢) المصطلحات العلمية والفنية للسان العرب ص ١٣٢ .

(٣) عالم الفكر المجلد الأول العدد الأول العلاقة بين العلماء فى العصر العباسى . د . وديعة النجم ص ٢٤٥ .

(٤) المقابسات ص ١١١ . (٥) المقابسات ص ٢٦٥ .

وترد لفظة مُذكرات فى كتابات أبى حيان بمعنى الأمالىِّ والمحاضرات وبهذا المعنى يقول أبو حيان : مر فى مُذكرات أبى معشر ، وكانت بخط القُوْمَسى قال : قال أبو معشر ، أخبرنى محمد بن موسى الجليس ، وليس بالخوارزمى ، قال ، حدثنى يحيى ابن أبى منصور قال : دخلت وجماعة من المنجمين على المأمون وعنده إنسان قد تنبأ ونحن لا نعلم ، فقال لى ولمن حضر من المنجمين : اذهبوا وخذوا لى طالعًا لدعوى هذا الرجل فى الذى يدعيه وعرفونى ما يدل عليه الفلك من صدقه وكذبه[1] .

ويذكر أبو حيان نصًّا آخر يورد فيه لفظة المُذكرات بمعنى الكُتُب الخاصة بأبى معشر ، فيقول : وقرئ فى مذكرات أبى معشر قال : حضرت وشيلمة والزيادى والشبابشنى عند الموفق وكان الزيادى أستاذ زمانه فى النجوم[2] .

وعن المُذكرات يحدثنا جب فيقول : والذى نراه واضحا فى نشاط القرن الثانى ليس سُنة أدب مسطر بل سُنة التدريس الشفوى ينقل عن طريق الرواة ، ولا يناقض هذا كون هؤلاء الرواة قد دونوا فى بعض المناسبات مُذكرات عن دروس من سبقوهم[3] . ولفظة المُذكرات هذه لم ترد فى اللسان ولا فى المعاجم الأخرى .

ونوع آخر من أنواع الكُتُب ورد ذكره فى كتابات أبى حيان وهو **الرُّوزْنامج** وقد فسره الخُوارزمى فى مفاتيح العلوم فقال : الرُّوزنامج تفسيره كتاب اليوم لأنه يكتب فيها ما يجرى كل يوم من الخراج أو نفقة أو غير ذلك[4] وقال آدى

---

(١) البصائر والذخائر ج ٣ ص ٥٠١ .
(٢) البصائر ج ٣ ص ٥٠٥ .
(٣) دراسات فى حضارة الإسلام جب ص ٣٠١ .
(٤) مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٣٧ .

شير فى تعريفه للرُوزنَامة هى مركبة من رُوَز أى يوم ومن نامة أى كتاب[١] ، وقد وردت هذه اللفظة عند أبى حيان بهذا المعنى ، أى المفكرة اليومية التى تدون فيها الأحداث يوما بيوم وفى هذا المعنى يقول فى قصة يرويها عن بعض تجار البحر : وقف علي شيخ فسلم فرددت فقال : لى حاجة قد سألتها غيرك من التجار فلم يقضها ، قلت : فما هى ؟ قال اضمن لى قضاءها حتى أذكرها ، فضمنت ، فأحضر لى رصاصة من مائة منًّا وقال لى : تأمر بحمل هذه الرصاصة معك فإذا صرتم فى لجة كذا فاطرحها فى البحر ، فقلت ياهذا ليس هذا مما أفعله ، قال : قد ضمنت لى ، ومازال بى حتى قبلت وكتبت فى رُوزناميّ[٢] .

مما تقدم نجد أن لفظة ورقات ولفظة أوراق قد جاءتا عند أبى حيان بمعنى الكِتاب[٣] أى المؤلَّف العلمى أو بمعنى جزء من هذا المؤلَّف[٤] أى الكتيب . وجاءتا أيضا بمعنى الورق المعد للكتابة[٥] أى أداة من أدوات الكتابة . ونجد أن لفظة ورقات جاءت بمعنى آخر عند أبى حيان دال على ورقات الشجر[٦] ، وبهذا تكون جمعًا لورقة الشجر . وهذه صيغة جديدة ذكرها أبو حيان ولم يذكرها صاحب اللسان ولا أصحاب المعاجم الأخرى فلفظة ورقات جديدة فى مبناها ومعناها كما جاءت فى كتابات أبى حيان . ونجد أن لفظة رُقعة والجمع رِقاع ولفظة صحيفة والجمع صحف وصحائف جاءت جميعها بمعنى الكتاب والكُتُب[٧] أى المؤلفات العلمية وبمعنى الرسالة الأدبية[٨] ، ومعنى آخر للفظة صحائف ذكره

---

(١) الألفاظ الفارسية المعربة ، آدى شير ص ٧٤ .
(٢) البصائر والذخائر حـ ٢ ص ٤٧٣ .
(٣) مثالب الوزيرين ص ٣٦٠ ، وانظر المقابسات ص ١٧٣ .
(٤) مثالب الوزيرين ص ٢١٧ .
(٥) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٣ ، وانظر البصائر حـ ٣ ص ١٣ .
(٦) الإشارات الإلهية ص ٤٧ ، ص ١٧٧ .
(٧) البصائر حـ ٣ ص ٦٠٣ ، جـ١ ص ٦ ، وانظر الهوامل ص ١٥ .
(٨) الإمتاع حـ ٣ ص ٢٠٧ .

أبو حيان فى كتاباته وهو الصحائف التى يكتب فيها الملكان أعمال البشر[1] ومعنى الصحيفة والصحف والصحائف معنى قديم قدم الرسالات السماوية . ونجد أيضا أن لفظة طُومار جاءت عند أبى حيان بمعنى الكِتاب أو الصحيفة[2] وجاءت أيضا بمعنى يدل على الحيوان كالحصان[3] ، وهى من الألفاظ المعربة عن اليونانية هذا ما ذكرته المعاجم وهناك رأى أورده صاحب المخصص يقول أن الطُّومار عربى محض لأن سيبويه قد اعتد به فى الأبنية[4] .

ونجد أيضا أن لفظة مُذكرات قد جاءت عند أبى حيان بمعنى الكتاب[5] ، أى المؤلَّف العلمى وبمعنى محاضرات وأمالى[6] الشيوخ فى مجالسهم الثقافية . ولفظة المذكرات لم ترد فى اللسان ، ولم ترد أيضا فى المعاجم الأخرى فهى إذن لفظة جديدة من المادة « ذكر » ، وهى من الاشتقاقات التى أوردها أبو حيان فى كتاباته ولم ترد فى اللسان والمعاجم الأخرى ، وتعتبر لفظة المُذكرات جديدة فى مبناها ومعناها ، وقد كثر استخدامها فى عصر أبى حيان . ولفظة الرُّوزنامج المعربة استخدمها أبو حيان بمعناها الأصلى كما ورد فى الفارسية بمعنى المذكرة اليومية .

ونستنتج مما تقدم أن الألفاظ ورقات وأوراق ورقعة ورقاع وصحيفة وصحف وصحائف وطُومار ومُذكرات قد جاءت جميعها فى كتابات أبى حيان بمعنى رئيسى وهو الدال على الكِتاب ذلك المؤلَّف العلمى وهذا المعنى هو المعنى الاصطلاحى لهذه الألفاظ وهو الأكثر ورودا عند أبى حيان ، وهناك معان أخرى لهذه الألفاظ وردت فى كتابات أبى حيان وتعتبر معانٍ ثانوية بجانب المعنى الاصطلاحى .

---

(١) الإشارات الإلهية ص ٢٦٧ .
(٢) مثالب الوزيرين ص ٨٥ .
(٣) الإمتاع جـ ٢ ص ٦٠ .
(٤) المخصص، ابن سيده مجلد ٤، ص٨ .
(٥) البصائر جـ ٣ ص ٥٠٥ .
(٦) المقابسات ص ١١١ وانظر البصائر جـ ٣ ص ٤٩٩ .

أما فى مجال التطور الدلالى فنجد أن هذه الألفاظ التى مر ذكرها قد تطورت فى استخدامها اللغوى وتخصصت دلالتها نتيجة لاستخدامها فى مجال الكُتُب والمؤلفات العلمية وأصبحت مصطلحات ثقافية تستخدم بين أوساط المثقفين[1] والقَضاة[2] وأصحاب الدواوين[3] . ولفظة الرُّوزنامج أيضا تخصصت دلالتها عند أبى حيان .

(٢) أقســــــام الكتــــــاب :

١ ـ باب / أبواب فصل / فصول ، فقرة / فقر ، سطر / سطور :

أجزاء الكتاب هى الأقسام التى يحتوى عليها الكتاب ، وسنبدأ من الأكبر فالأصغر ، وأول هذه الأقسام : الباب والجمع أبواب والفصل والفصول والفقرة والفقر والسطر والسطور ، وقد ذكرها التوحيدى فى كتاباته وكان نصيب لفظة الباب والأبواب هو النصيب الأكبر من بين هذه الألفاظ ، ثم يليه الفصل وهكذا . وأول هذه الألفاظ الباب والجمع أبواب ولنر ما يقوله أصحاب المعاجم عن هذه اللفظة .

يقول صاحب اللسان : الباب معروف والفعل منه التبويب ، والجمع أبواب وبيبان وبَابَ للسلطان يبوب : صار له بَوابًا . وكانت البيوت ذوات أبواب . والباب والبابة فى الحدود والحساب ونحوه : الغاية ، وحكى سيبويه : بينت له

---

(١) مثالب الوزيرين ص ١٥٧ . (٢) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ١٧٥ .

(٣) مثالب الوزيرين ص ١٣٤ وانظر البصائر جـ ١ ص ١٩٢ .

حسابه بَابًا بَابًا . ويقال هذا شيء من باباتك أى يصلح لك[1] ، ويقول الزمخشرى فى أساس البلاغة : بَوَّب المُصَنِّف كتابه وكتاب مُبوب ، وتراجم أبواب سيبويه عظيمة النفع[2] ، ويقول التهانوى فى كشافه : الباب فى اللغة جمعه أبواب . والعلماء المصنفون قد يطلقونه ويريدون به مسائل معدودة من جنس واحد ، أو نوع واحد ، أو صنف واحد[3] .

ولفظة **الباب** والجمع **أبواب** وردت عند التوحيدى بمعانٍ متعددة ، فقد جاءت لفظة باب بمعنى جزء من كِتاب وذلك فى نصٍ لأبى حيان يقول فيه : أريد أن أسوق ها هنا فصلا فى الطب تباعد عن بَاب فى الجزء التاسع واعترض النسيان دونه[4] ، وقال واصفا كتابًا من كتب معاصريه ومورِدًا لفظة **أبواب** بمعنى أجزاء الكتاب : قد عذرناك فى حصر أبوابه ، هلا صنفت فنونه[5] ، وقال يصف الدواوين التى تعنى الكُتُب ، وذكر لفظة **باب** بمعنى جزء من هذه الكُتُب ومحتوياتها : هذا إلى توابع هذه الدواوين مثل باب العين والمؤامرات وباب النوادر والتواريخ[6] وقال فى البصائر ذاكرًا لفظة باب بهذا المعنى الخاص بالكتاب : وقد يقال العائب ؟ أطلت هذا الفصل فى الطب حتى كأن الكتاب نصب لهذا الغرض ، وأريد به هذا الباب[7] ، وقال متسائلا : ويقول أبو حيان ذاكرا لفظة باب بمعنى العلم : كيف ترى كتابنا ، أعنى القرآن ، وأنت رجل قد أشرفت على غاية هذا الباب واستوعبت جميع ما فيه ؟[8] وقال فى مجلس الإمتاع ذاكرًا لفظة باب بمعنى عِلْم أو فن من الفنون العلمية : قد عرفت مذهب ابن يعيش فى هذا

---

(١) اللسان جـ ١ ص ٣٨٤ .
(٢) أساس البلاغة جـ ١ ص ٦٧ .
(٣) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى جـ ١ ص ١٥٦ ، وذكر التهانوى استخدام لفظة الباب فى الطب وإطلاقه على الوريد البانى ، انظر ص ١٥٧ .
(٤) البصائر جـ ٣ ص ٢٦٥ .
(٥) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٢٩٦ .
(٦) الإمتاع جـ ١ ص ٩٨ .
(٧) البصائر جـ ٢ ص ٨٤٨ .
(٨) مثالب الوزيرين ص ٩٧ .

الباب ، وهو جارى[1] ، وذكر فى البصائر نصًّا يصف فيه كتابه هذا فيقول : ذاكرًا لفظة باب بمعنى الفن أو المثال والشكل المشابه : هذا فن لا تستغنى - أعزك الله - عنه عند موازنة الكلام وتشقيق اللفظ ، وإيضاح المراد ، وتمييز المتشابه فقس على بابه بالقياس الصحيح ، والسماع الفصيح ، وستقع من ذلك على شىء كثير فى هذا الكِتاب إن شاء الله تعالى[2] .

وذكر أبو حيان لفظة باب فى نصوص عديدة من كتاباته بمعنى موضوع ، فى علم من العلوم فقال فى المقابسات : البرهان العقلىّ ، والرمز الإلهىّ ، والإقناع الفلسفىّ وقد بين هذا الباب أرسطاطاليس فى الكِتاب الخامس وهو الجدل[3] ، وقال بهذا المعنى ذاكرًا لفظة باب فى نصوص من رسالته « ثمرات العلوم » : حدّ الإعراب هو تغيير أواخر الكلم كالدال من زيد ، وفنون هذا الباب كثيرة وعللها عويصة والناظِر فيه يقوم بمعانيه على حسب عنايته ودرايته[4] ، وقال فى نصٍّ آخر من ثمرات العلوم ذاكرًا لفظة باب بمعنى موضوع : عِلْمَ الكلام بابه مجاوز لباب الفقه والكلام فيهما مشترك[5] ، ويقول أيضا : أما عِلْم الكلام فإنه باب من الاعتبار فى أصول الدين[6] . وفى نصوص أخرى وردت لفظة باب عند أبى حيان بمعنى المَدْخَلَ أو السبيل أو المَنْفَذ ، ففى هذا المعنى يذكر التوحيدى لفظة باب فيقول : وانفتح باب الحيرة عليهم ، وسد اليقين عنهم[7] ، وقال أيضا بهذا المعنى نقلًا عن الحريرى : قال الحَريرى : الجلوس للمُناظرة يسد باب الفائدة والجلوس للمناصحة يفتح بابا الفائدة[8] ، وقال ذاكرًا لفظة الباب والجمع أبواب بمعنى

---

(١) الإمتاع جـ ١ ص ١٠٥ .

(٢) البصائر جـ ١ ص ٩٩ .

(٣) المقابسات ص ٢٠٦ .

(٤) رسالة فى ثمرات العلوم ص ١٩٣ .

(٥)،(٦) رسالة فى ثمرات العلوم ص ١٩٢ .

(٧) المقابسات ص ٢٢٧ .

(٨) البصائر جـ ١ ص ٤٦٣ .

السبيل والسبل : يصف الإنسان الشريف : وشرف الإنسان موقوف على أن يكون فاتحًا لباب من أبواب الخير على نفسه وعلى غيره[1] . ويذكر أبو حيان فى كتاباته لفظة الباب والجمع أبواب بالمعنى المادى الظاهر للعيان فيقول فى نصٍّ له موردًا لفظة باب : الصورة الصناعيّة مع غوصها فى مادتها بارزة للبصر والسمع ولجميع الإحساس كصورة السرير والكرسى والباب والخاتم وما أشبه ذلك[2] ، وبمعنى الباب الخاص بالدار يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الباب : إن أذنى لدى الباب لأسمع قرعة أو أعرف حادثة[3] ويقول بهذا المعنى معيبا لأحدهم : ياكُوَّة بلا باب[4] ، وبمعنى الباب المادى يذكر أبو حيان لفظة **الأبواب** فيقول : وأن يكتبوا على أبواب دورهم وقصورهم : يابنى الرجاء ابعدوا عنا[5] ، ويذكر أبو حيان لفظة باب اسما لمكان من أماكن بغداد مثل باب الطاق ، يذكرها أبو حيان بعدة نصوص فيقول : طائفة من الناس يجتمعون بباب الطاق ويجلسون فى دكان شيخ تبان[6] ، وقال : سمعت بباب الطاق فى هذه الأيام ، إنسانا من أنكاد السوق[7] ويذكر مكانا آخر مقرونًا بلفظة باب فيقول : فهممت والله أن أصلبه على باب المُسَلَّحة ، وباب المسلحة بالرى سوق معروفة[8] وقال فى حديثه عن مجالس ابن عباد موردًا لفظة باب اسمًا لمكان : وعقد ابن عباد مجلس جدل ، وكنا نبيت عنده فى داره بباب سين[9] .

وترد لفظة باب والجمع أبواب بمعنى الغاية والهدف والمسائل ، وفى هذه المعانى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة باب مقترنة بالعلم أى غاية العلم ومنتهاه : وباب العلم والجهل ، والفطنة ، والعقل ، والنهى ، والدرك ليس من الأفعال المحضة[10] وقال

---

(١) الإمتاع جـ ٢ ص ١١٩ .
(٢) الإمتاع جـ ٣ ص ١٤٢ .
(٣) الإمتاع جـ ٣ ص ٩٣ .
(٤) الإمتاع جـ ٢ ص ٥٩ .
(٥) مثالب الوزيرين ص ١٧ .
(٦) الإمتاع جـ ٣ ص ٨٨ .
(٧) المقابسات ص ١٢٠ .
(٨) مثالب الوزيرين ص ٨٧ .
(٩) مثالب الوزيرين ص ٩٠ .
(١٠) الهوامل والشوامل ص ١٣٥ .

ذاكرًا لفظة أبواب بمعنى مسائل : لم صارت أبواب البحث عن كل شيء موجود أربعة ؟ وهى : هل ، والثانى والثالث أى ، والرابع لِمَ ؟[1] ، ويقول أيضا : أو يجيب عن كتابٍ واحد فى العمالة ، وفيما يتعلق بأبواب النَّظر فى العمارة[2] . وفى عالم الحساب والأمور المالية ذكر أبو حيان لفظة الباب بمعنى المورد المالى : فقال : وتجعلنى بابا من أبواب تجارتك وأرباحك[3] ، وقال فى هذا المعنى المالى للفظة باب : فبادر عافاك الله إلى عمل حساب بتفصيل باب تبين فيه أمر دارى وما يجرى عليه دخلى وخرجى[4] . المعنى الثقافى الاصطلاحى كان هو المعنى الأكثر بروزًا فى نصوص أبى حيان وهذا المعنى لم يقف عنده صاحب اللسان طويلا بل مر عليه مرورًا عابرًا . وقسم آخر من أقسام الكتاب وهو **الفصل** وقد تناولت المعاجم هذه اللفظة بالشرح والتعريف ، وقد جاء فى اللسان الفَصْل : البَوْن والحاجز ما بين الشيئين . فصل بينهما يفصل فصلًا فانفصل ، وفصلت الشيء فانفصل أى قطعته فانقطع . والفَصْل من الجسد : موضع المفصل . والفَصْل : القضاء بين الحق والباطل ، وقوله عز وجل : ﴿ هذا يوم الفَصْل ﴾ أى يوم يفصَل بين المحسن والمسيء ويجازى كل بعمله . ويوم الفَصْل : هو يوم القيامة . وقول فَصْل : حق ليس بباطل ومنه قوله تعالى : ﴿ إنه لقول فَصْل ﴾ أى فاصل قاطع . وقوله عز وجل : ﴿ فَصْل الخطاب ﴾ قيل : هو البينة على المدعى ، واليمين على المدعى عليه . وأمر فَصْل : أى لا رجعة فيه ولامرد له . والفَصْل واحد الفصول . والفَصْل : كل عروض بنيت على مالا يكون فى الحشو إما صحة وإما إعلال[5] ، وجاء فى الكليات الفصل : مصدر من الفاعل أو المفعول مستعار للألفاظ أو

---

(١) الهوامل والشوامل ص ٣٤١ .
(٢) مثالب الوزيرين ص ١٤٦ .
(٣) الإمتاع جـ ٣ ص ١٤٩ .
(٤) مثالب الوزيرين ص ٨٥ .
(٥) اللسان جـ ٢ ص ١١٠١ .

النقوش مع المحل وهو طائفة من المسائل تغيرت أحكامها بالنسبه إلى ما قبلها غير مترجمة بالكتاب والباب[١] وجاء فى المعجم الفلسفى الفَصْل : جزء من الماهية يميز النوع[٢] .

ولفظة **الفَصْل** ذكرها أبو حيان فى كتاباته بمعانٍ متنوعة ، فقد جاءت لفظة الفصل فى نصوص متعددة لأبى حيان بمعنى جزء أو قسم من كِتَاب أو رسالة أو رُقعة وفى هذا المعنى يقول أبو حيان موردًا لفظة الفَصْل بمعنى قسم فى كِتاب : قال الجاحظ فى فَصْل من كتاب : وقد أسقط عنه مؤونة الروية[٣] وبهذا المعنى ترد لفظة الفصل فى حديث لأبى حيان عن الصاحب بن عباد يقول فيه : ولقد كتب إليه أبو طالب كتابًا قرأت فَصْلًا منه[٤] . ونص آخر له يذكر فيه لفظة فصل بمعنى جزء أو قسم من الكتاب ، فيقول : وفى الكتاب أيضا –وهو يقصد كتاب البصائر والذخائر– فصل آخر سأرويه على جهته إذا عثرت به عند النقل[٥] ، ويحدثنا أبو حيان موردًا لفظة الفَصْل بمعنى قسم فى الكِتاب وذلك فى حديثه عن طاهر بن الحسين الملقب بذى اليمينين وهو وزير المأمون وأحد كبار رجال الدولة العباسية فيقول فى بصائره : جلس ذو اليمينين يومًا من الأيام للمظالم فعرض عليه رُقعة رجل ادعى أجرة على رجل آخر وأحال المدعى عليه على رجل آخر فوقع : يرجع إلى الفصل الثانى من كليلة ودمنة ، فرجع إلى ذلك الفصل فوجد فيه : « أجرة الأجير على من أستأجره فعمل بذلك[٦] ويذكر أبو حيان نصًّا للجاحظ فيقول موردًا لفظة فَصْل بمعنى قسم : قال الجاحظ فى فصل من رسائله إلى محمد

---

(١) الكليات لأبى البقاء جـ ٣ ص ٣٣٧ .
(٢) المعجم الفلسفى ، يوسف كرم ، ص ١٢٢ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٥٤٩ .
(٤) مثالب الوزيرين ص ٢١٤ .
(٥) البصائر جـ ١ ص ٤٢ .
(٦) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٧٧ .

ابن عبد الملك الزيات : حاجتى والله أن أخف على قلبك ، وأن أحلو فى صدرك[1] وقال أبو حيان فى ختامه لكتابه البصائر والذخائر ذاكرًا لفظة فصل بمعنى قسم فى كتاب ومحددا عنوان ذلك الفصل : وأذكر فصلا نحويًّا ، وفصلا كتابيًّا ، وفصلا كلاميًّا وفصلا فقهيًّا ، وفصلا فلسفيًّا ، وفصلا لغويًّا ، وفصلا شعريًّا وأوشح ذلك كله بما احتمل من الاعتراض والبحث والتفسير[2] ويذكر أبو حيان فصل بمعنى قسم من رقعة وفى هذا المعنى يقول فى بصائره : كتب أحمد بن إسماعيل إلى ابن المعتز رقعة فى فصل منها يصف الحق[3] ، وهذا النص يبين لنا أن الرُّقعة هنا تعنى الكتاب . وهناك نصوص كثيرة ترد فيها لفظة الفصل كقسم من كتاب وهذا المعنى هو المعنى الأكثر ورودا فى كتابات أبى حيان . ويذكر أبو حيان لفظة الجمع **فصول** بمعنى أقسام الكتاب فيقول فى نص له من كتاب البصائر : هذا الكاتب الذى رويت عنه هذه الفصول هو أبو القاسم الاسكافى كاتب خُراسان[4] ، ويقول أيضا فى كتابه البصائر ذاكرًا لفظة فصول فى وصفه لكتابه هذا : احفظ فصول الكتاب فإنها نافعة فى الفهم[5] ، وبعد هذه النصوص العديدة التى ذكرها أبو حيان للفظة الفصل بمعنى قسم من الكتاب نذكر نصوصًا أخرى وردت فيها لفظة الفصل بمعانٍ لا تمت إلى الكتاب بشىء ، ففى معنى الصنف والنوع والصفة ذكر أبو حيان لفظة الفصل فى نصوصٍ من مقابساته فقال فى نصٍّ له : وهكذا كل شىء طلب أصله وفصله بالبحث المنطقىّ ، والنظر الفلسفىّ[6] ، ويقول أيضا ذاكرًا لفظة الفَصْل بمعنى الصنف والصفة التى تميز نوعًا من نوع آخر تحت جنس واحد : انقسمت الأشياء إلى الجنس والنوع

---

(١) البصائر جـ ٣ ص ٦٠٦ .
(٢) البصائر جـ ٤ ص ٢٥١ .
(٣) البصائر جـ ١ ص ٧٨ .
(٤) البصائر جـ ٣ ص ٢٤٣ .
(٥) البصائر جـ ٣ ص ٥٥٢ .
(٦) المقابسات ص ١٧٦ .

والفصل والخاصة والعرض[1] ، ويقول فى مقابساته أيضا موردًا لفظة الفصل بهذا المعنى الفلسفى : حتى تميزت الأشياء بالجنس والنوع والخاصة والعرض والفصل وما هو الوضع ، وما هو الطبع[2] ، ويقول بهذا المعنى أيضا : إن الإنسان إذا قدم نكرة فى حاله الخالية فى الأيام الماضية قبل أن حوى حده ، وملك صورته ، واقتنى خاصيته ونوعه وفصله وجنسه وعرضه ، علم أنه كان على حال أخرى[3] .

وفى معنى الفصل بين الشيئين ذكر أبو حيان نصوصًا عديدة فى كتاباته متضمنة لهذا المعنى ، أذكر منها هذا النص وفيه يحدثنا أبو حيان عن قول الفلاسفة ، موردا لفظة الفصل بمعني التفريق بين الشيئين فيقول : وكان يكابر عند هذا البيان ويقول : لو صح هذا لصح قول الفلاسفة فى الفَصْل بين الشيئين[4] ، ويقول أبو حيان أيضا ذاكرًا لفظة الفَصْل بمعنى الفرق والبون : الفَصْل بين الجوهر والعرض ، إن الجوهر لا يقبل الزيادة ولا النقصان ، والعرض يقبلهما[5] ، ويذكر أبو حيان لفظة الفصل بمعنى الحكم بين المتخاصمين بالبينة فيقول : وينعم النظر فى مشكلات الأحكام ، آخذا بالاحتياط ، معتقدا للأقساط ، مجتهدًا فى الفصل بين الخصوم ، والأخذ من الظالم للمظلوم[6] . وهذا هو المعنى الفقهى للفظة الفصل ويقول أيضا بهذا المعنى فى نص له من مقابساته : العقل حاكم عفيف ، وقاض عدل ، وصديق مشفق ، ومنادٍ مبلغ ، ومناج منهم ، ونور شائع ، وضياء ساطع ، وقول فَصْل ، وركن وثيق ، له الوجود الحق من الموجود الحق ، له الحكم الفَصْل من الحكيم العدل[7] فى النص ورد مصطلح **القول الفصل** وهو قول الحق .

---

(١) المقابسات ص ٤٤٩ .
(٢) المقابسات ص ٣٨١ .
(٣) المقابسات ص ١٥٢ .
(٤) البصائر جـ ١ ص ٢٩ .
(٥) المقابسات ص ٢٧٩ .
(٦) البصائر جـ ٣ ص ٣١٢ .
(٧) المقابسات ص ٤٢٦ .

وذكر أبو حيان لفظة الفَصْل فى معنى المصطلح البلاغى فقال : قلت لأبى عبيد الكاتب النصرانى ببغداد ، وكان سهل البلاغة ، حلو اللفظ ، حسن الاقتضاب ، غريب الإشارة ، مليح الفَصْل والوصل[1] ويقول أيضا ذاكرًا لفظة الفَصْل بمعنى المصطلح البلاغى أى ترك العطف : ومدار البيان على صحة التقسيم ، وتخير اللفظ ، وزينة النظم ، وتقريب المراد ، ومعرفة الوصل والفصل[2] ويذكر أبو حيان لفظة الفصل بمعنى القطع لحروف الكلمة فى الكتابة وتكملة الكلمة فى سطر آخر أى الفَصْل بين الحروف وفى هذا المعنى يقول فى حديثه عن الخط والكتابة : وما يحتاجه الكاتب فى كتابته : يحتاج الكاتِب إلى خِلالٍ ، منها : تجويد برى القلم وإطالة جلفته ، وتحريف قطته وحسن إفراغها من التطليس ، وترك الشَّكْل على الخطأ والإعجام على التصحيف ، وتسوية الرَّسم ، والعلم بالفَصْل وإصابة المقطع[3] وقبل أن أختم الحديث عن لفظة الفَصْل أذكر بعض النصوص التى جاءت فى كتابات التوحيدى وفيها لفظة الفصل بمعنى الزمن المحدد الدال على فصل من فصول السنة ، وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : وأما الخريف ففصل من الزمان معروف[4] ، وقال أيضا بهذا المعنى : يتفق أن يمس أهل مَحَلّة لحاهم فى ساعة واحدة ، وفصل واحد ، وحال واحدة[5] . وقد يستعمل كل من الفصل والباب مكان الآخر ، والمصنفون يجرونه مجرى الباب .

ولفظة فِقْرة والجمع فِقَر وردت عند أبى حيان بمعنى الجملة المختارة من الكلام فهى جزء من الفصل الذى يحتوى على مئات من الفِقَر ويعرف الجرجانى الفِقْرة بقوله : الفِقْرة فى اللغة اسم لكل حلى يصاغ على هيئة فِقَار الظهر ثم استعير لأجود

---

(١) مثالب الوزيرين ص ٩٣ .

(٢) المقابسات ص ٩٢ .

(٣) رسالة فى علم الكتابة ص ٤٤ .

(٤) البصائر جـ ٢ ص ٩٣ .

(٥) الهوامل والشوامل ص ٥٥ .

بيت فى القصيدة تشبيها له بالحلى ثم استعير لكل جملة مختارة من الكلام تشبيها لها بأحمد بيت فى القصيدة[1] والجمع فِقَر وفَقَار وقيل فى الجمع فِقْرات ، وذكر أبو حيان الفِقْرة فقال : سقط كلام عيسى فى تصنيف الحركات من أجل هذهِ الفِقْرة التى كانت محفوظة فى حركة الإبداع فإنى وجدت للقوم فى هذا الباب حيرة عارضة[2] ، ولفظة الجمع فِقَر وردت عند أبى حيان كثيرا جدا وهذه بعض النصوص التى جاءت فى كتاباته متضمنة للفظة فقر ففى نص له يصف القومسى أحد علماء عصره موردًا لفظة فِقَر بمعنى جزء من الكِتاب فيقول : وأما القومسى أبو بكر فهو رجل حسن البلاغة ، حلو الكناية ، كثير الفِقَر العجيبة ، جماعة للكتب الغريبة[3] ، وقال ذاكرًا لفظة فِقَر بهذا المعنى وهو يصف جزءًا من أجزاء كتابه البصائر : هذا–أيدك الله– آخر الجزء الثالث ، وقد حوى من فِقَر البلغاء ، ونوادر الأدباء ، ومحاسن النساك والحكماء ما أسأل الله أن ينفعك به[4] ، وقال فى وصف عدد من مُقابساته ذاكرًا لفظة فقر : وقد أتت المقابسات الأُوَّل على فقر بليغة فى تحقيق شأن النفس ، وإثبات أمرها[5] ، ويقول على لسان الصاحب مخاطبا اليهودى وقد وردت لفظة فِقَر فى نصه بمعنى جزء من كتاب أو رسالة : وها أنا أصدق عن نفسى وأقول عندى : إن رسائلك وكلامك وفقرك ، وماتؤلفه وتبادله به نظمًا ونثرًا هو فوق ذلك ، أو مثل ذلك[6] . والفقرة والفقر بالمعنى الاصطلاحى الخاص بالكتاب لم ترد فى اللسان .

ولفظة سَطر والجمع سطور تدخل فى مجال أقسام الكتاب وذلك ضمن فقرة من الفقر فهى جزء من الصفحة المكتوبة وقد وردت هذه اللفظة فى نصوص

---

(١) التعريفات للجرجانى ص ١٧٥ . وانظر اللسان جـ ٢ ص ١١١٦ وأساس البلاغة جـ ٢ ، ص ٢٠٩ .
(٢) الإمتاع جـ ٣ ص ١٣٤ .
(٣) الإمتاع جـ ١ ص ٣٤ .
(٤) البصائر جـ ٣ ص ٦٨٣ .
(٥) المقابسات ص ٣٧٩ .
(٦) مثالب الوزيرين ص ١٩٨ .

متعددة من كتابات أبى حيان متضمنة لهذا المعنى الثقافى . وجاء فى اللسان السَّطْر والسَّطَر : الصَّف من الكتاب والشجر والنخل ونحوها والجمع من كل ذلك أسطر وأسطار وأساطير وسطور . والسَّطر : الخَطُّ والكتابة ، وهو فى الأصل مصدر . يقول سَطْرٌ من كتب وسَطْرٌ من شجر ، وسَطَرَ يَسْطُر إذا كتب ، قال الله تعالى : ﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾ أى ما تكتب الملائكة[1] وجاء فى أساس البلاغة سَطَرَ : كتب سطرًا من كتابه[2] . ولفظة السَّطْر وردت عند أبى حيان بهذا المعنى الخاص بالكتاب ، وبمعنى آخر . قال أبو حيان ذاكرا لفظة السَّطْر بمعنى جزء من الكتاب : والله لو لم تظفر من هذه الأجزاء إلا بجزء واحد ، بل بورقة واحدة ، بل بسطر واحد ، لكان الغنم معك والريح فى يدك[3] ، وقال أيضا ذاكرًا لفظة السَّطْر بهذا المعنى : إن سَطْرًا من التحسين أنفع لك ، وأنفق عليك من عشر ورقات فى التشبيه[4] ، ويقول أبو حيان موردًا لفظة السَّطْر فى نصٍّ له يتحدث فيه عن الكلام وصفاته وقد جاءت لفظة السَّطْر بمعني سطر من شجر : خير الكلام ما أيده العقل بالحقيقة ، وساعد ، اللفظة بالرقة ، وكان له سهولة فى السمع وريع فى النفس وعذوبة فى القلب ، ولذة كلذة الغناء ، وولوج كولوج النسيم ، ووقع كوقع القطر ، وريح كريح العطر ، واستواء كاستواء السَّطْر ، وسبك كسبك التبر[5] .

ولفظة الجمع سطور وردت عند أبى حيان بمعنى سطور الكتابة أى جزء من الكتاب أو من الفقر التى يتضمنها الكتاب وبهذا المعنى للفظة السطور يقول أبو حيان فى حديثه عن الخط وفنونه : وأما المراد بالتوفيق فحفظ الاستقامة فى

---

(١) اللسان جـ ٢ ص ١٤٢ .
(٢) أساس البلاغة جـ ١ ص ٤٣٨ .
(٣) الإشارات الإلهية ص ١٧٩ .
(٤) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٣ .
(٥) مثالب الوزيرين ص ٩٥ .

السطور من أوائلها وأواسطها وأواخرها وأسافلها وأعاليها بما يفيدها وفاقا لا خلافا[١] ، ويقول أيضا ذاكرا لفظة سطور كجزء من الورقة المكتوبة التى يتألف من مجموعها الكتاب : قال عبيد الله بن أبى رافع كنت أكتب لعلى بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه فقال لى : ياعبيد الله ألق دواتك ، وأطل سن قلمك ، وفرج بين سطورك ، وقرمط حروفك ، والزم الاستواء[٢] ، ومن الملاحظ أن المعنى الخاص بجزء الكتاب هو المعنى الأكثر استخداما للفظة سَطْر والجمع سطور عند أبى حيان .

مما تقدم نجد أن لفظة باب والجمع أبواب قد جاءت عند أبى حيان بمعانٍ متعددة منها المعنى المادى الدال على باب البيت[٣] ، وبمعنى المكان أى اسم ناحية من نواحى البلدة[٤] ، وجاءت لقبًا[٥] ، وجاءت أيضا بالمعنى الاصطلاحى الدال على باب فى كتاب[٦] ، أى جزءًا من كتاب يحتوى على مسائل معدودة من جنس واحد[٧] وجاءت أيضا بمعنى الموضوع[٨] والفن فى علم من العلوم[٩] ، وجاءت بمعنى باب الخروج من المأزق[١٠] ، وبمعنى الطريق أو السبيل إلى الغاية[١١] ، وبمعنى باب الرزق أى المورد المالى[١٢] .

---

(١) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٢ . (٢) رسالة فى علم الكتابة ص ٤٦ .

(٣) الإمتاع جـ ٣ ص ١٤٢ ، البصائر جـ ٤ ص ٤٢ ، جـ ٣ ص ٩٠ المثالب ص ١٩٥ .

(٤) مثالب الوزيرين ص ٨٧ . (٥) مثالب الوزيرين ص ١٢١ .

(٦) البصائر جـ ٣ ص ١٥٢ ، وانظر الإمتاع جـ ٢ ص ١٣١ .

(٧) الهوامل والشوامل ص ٣٤١ .

(٨ ، ٩) رسالة فى ثمرات العلوم ص ١٩٣ ، وانظر البصائر جـ ٣ ص ٦٦٧ .

(١٠) البصائر جـ ١ ص ٤١٩ ، ص ٢٧٠ . (١١) البصائر جـ ٣ ص ١١١ .

(١٢) مثالب الوزيرين ص ١٣٥ .

وتعدد الدلالة للفظة الباب والجمع أبواب تبين لنا ظاهرة المشترك اللفظى لهذه اللفظة فى أوضح صورة . ونجد أن صاحب اللسان لم يقف عند المعنى الاصطلاحى الخاص بالكتاب ، بل مر عليه بإشارة عابرة .

وفى التغير الدلالى نجد أن لفظة باب والجمع أبواب التى صارت من المشترك اللفظى ، قد شاع فى كتابات أبى حيان استعمالها المخصوص ، أى قسم من كِتاب أكثر من استعمالها بمعانيها الأخرى ، وهذا مما يضفى على دلالة هذه اللفظة التخصص فى عصر أبى حيان ، ولا يمنع تخصيص الدلالة فى هذا المجال أن نصفها بالانتشار وكثرة الاستعمال والشيوع فى ذلك العصر إلا أن معناها المتعلق بالكتاب هو المعنى الأكثر بروزا عند أبى حيان .

وقد انتقلت الدلالة من مجال حسى إلى مجال معنوى واستخدمت فى كلا المجالين فشاع استخدامها بمعانٍ حسية ، إلى جانب استخدامها بمعانٍ أخرى معنوية ، وهذه كثيرة الورود فى عصر أبى حيان . ونجد أن لفظة فَصْل جاءت عند أبى حيان بمعانٍ متعددة منها المعنى اللغوى الدال على البَوْن والحاجز بين الشيئين[1] ، والمعنى الفلسفىّ الدال على جزء من الماهية[2] أى الصفة التى تميز نوعًا من نوع آخر تحت جنس واحد[3] وبالمعنى الفقهى أى الحكم بالبينة بين الخصوم[4] ، والقول البين الظاهر الذى يفصل بين الحق والباطل[5]أي القول القاطع . وجاءت بمعنى الزمن المحدد بفصل من فصول السنة[6] وبالمعنى البلاغى أى مصطلح فى علم المعانى[7] ، وبالمعنى الخطىّ الكتابى أى القطع فى حروف الكلمة

---

(١) المقابسات ص ٢٧٩ ، الإمتاع جـ ١ ص ١٢٠ ، البصائر جـ ١ ص ٢٩ .
(٢) المقابسات ص ٣٨١ .
(٣) المقابسات ص ٤٤٩ .
(٤) البصائر جـ ٣ ص ٣١٢ .
(٥) المقابسات ص ٤٢٦ .
(٦) البصائر جـ ٢ ص ٩٣ ، الهوامل والشوامل ص ٥٥ .
(٧) المقابسات ص٩٢ ، المثالب٩٣ .

عند الكتابة وتفريق حروفها[١] وجاءت لفظة الفَصْل والجمع فصول بمعنى اصطلاحيّ دال على قسم فى كتاب[٢] أو رسالة[٣] أو رقعة[٤] ، وهذا القسم يكون أحيانا له موضوع[٥] وأيضا له عنوان[٦] فى العادة . وهذا المعنى الاصطلاحى الخاص بالكتاب هو المعنى الأكثر ورودا عند أبى حيان . ولم أجد هذا المعنى للفظة الفصل فى اللسان .

ومن المعانى المتعددة للفظة الفصل نتبيّن ظاهرة المشترك اللفظى فى هذه النصوص التى ذكرها أبو حيان والمتضمنة للفظة الفَصْل بمعانيها المتنوعة .

وفى التغيير الدلالى نجد أن لفظة فَصْل قد شاع استعمالها فى عصر أبى حيان وجاءت فى كافة المجالات الحسيّة والمعنويّة وهذا الاتساع فى استخدام اللفظة ، أدى إلى اتساع دلالتها ، وهذا واضح فى نصوص أبى حيان خاصة وفى عصره بصورة عامة . وقد استعمل أبو حيان هذه اللفظة بمعناها الاصطلاحى الخاص بجزء من الكتاب فى نصوص كثيرة من كتاباته ، وهذا المعنى المخصوص للفظة خصص الدلالة أحيانا ، ثم تخصصت أكثر عندما وصف الفصل بألفاظ تدل على أنواع العلوم والمعرفة ، مثل الكلاميّ والكتابيّ والفقهيّ والفلسفيّ واللغويّ والشعريّ والمنثور وغيرها من الألفاظ الأخرى التى تدخل فى مجال الثقافة ، والتى حدّدت دلالة هذه اللفظة باقترانها بها ووصفها للفصل بذلك العلم .

---

(١) رسالة فى علم الكتابة ص ٤٤ .

(٢) البصائر جـ ٢ ص ٥٤٩، المثالب ص ٢١٤ ، البصائر جـ ٣ ص ٥٥٢ .

(٣) البصائر جـ ٣ ص ٦٠٦ .

(٤) البصائر جـ ١ ص ٧٧ .

(٥) المقابسات ص ١٦٤ ،وانظر البصائر جـ٤ ص٥٥١ .

(٦) البصائر جـ ٢ ص ٨٤٨ .

ونجد أن لفظة فِقْرة والجمع فِقَر جاءت فى كتابات أبى حيان بالمعنى الاصطلاحى الدال على جزء من كتاب[1] أو رسالة[2] مهما كان هذا الجزء صغير الحجم . وهذا المعنى الخاص بأقسام الكتاب لم يرد فى اللسان وإن كان قد ذكر صاحب اللسان المعنى المجازى الخاص ببيت الشعر ولكنه لم يتطرق للمعنى الذى أورده أبو حيان فى كتاباته لهذه اللفظة . وأيضا نجد أن لفظة سطر والجمع سطور قد جاءت بالمعنى الاصطلاحى الخاص بجزء من الصفحة المكتوبة[3] التى تكون من مجموعها الكِتاب . وذكر أبو حيان لفظة السطر بمعنى خاص بالشجر[4] ، وهذا قليل الورود عنده ويكاد لا يذكر بجانب المعنى الاصطلاحى . وفى مجال التغير الدلالى نجد أن الألفاظ فِقْرة وفِقَر وسطر وسطور قد تخصصت دلالتها فى عصر أبى حيان نتيجة لاستخدامها بهذا المعنى المخصوص بجزء من الكِتاب . وكثر استخدام هذه الألفاظ فى مجال الكُتُب وتقسيماتها إلى أجزاء تكوّن الكِتاب ، فهذا المؤلَّف يحتوى على آلاف السطور ومئات الفقر وعشرات الفصول وأعداد من الأبواب ، وتسلسل أجزاء الكِتاب هذا يعطينا صورة واضحة عن حجم الكِتاب فى ذلك العصر وإلى أى مدى وصلت أجزاء الكتاب . وهذه الألفاظ التى تدخل فى مجال حديثنا عن الكتاب وأقسامه كانت تستخدم فى بدء مسيرتها اللغوية فى مجالات حسيّة مختلفة ثم تطورت إلى المجالات المعنوية فى عصر أبى حيان ، وعرفت بهذه المعانى المجازية وشاع استخدامها فى ذلك العصر بهذا المعنى المخصوص بأقسام الكتاب .

---

(١) مثالب الوزيرين ص ٢٥٥ ، الإمتاع حـ ٣ ص ١٣٤ .

(٢) مثالب الوزيرين ص ١٩٨ .

(٣) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٣ ، ص ٣٥

(٤) مثالب الوزيرين ص ٩٥ .

٢ - الحاشية ، الحواشي ، الفهرس :

يقول صاحب اللسان : حاشية كل شيء جانبه وطرفه . وهؤلاء حاشيتُهُ أي أهله وخاصته . وهؤلاء حاشيتَه بالنصب ، أي في ناحيته وظله . وحاشيتا الثوب جنباه الطويلتان وحشو الإبل وحاشيتها : صغارها ، وكذلك حواشيها ، واحدتها حاشية . وعيش رقيق الحواشي أي ناعم في دعه [١] ، وفي العصر العباسي عصر ازدهار الثقافة كان نظام حواشي الكُتُب مألوفًا شائعًا وخاصة في عصر أبي حيان ، وهناك نصوص كثيرة وردت فيها لفظة الحواشي بمعانٍ متنوعة وأبرزها حواشي الكُتُب .

أما لفظة المفرد **حاشية** فلم ترد عند أبي حيان بالمعنى الدال على حاشية الكتاب ، وانفردت بمعانٍ خاصة بالكلام والأهل والخاصة . ترد لفظة حاشية في بعض نصوص أبي حيان بمعنى يخص الكلام المنمق الرقيق الحاشية ، وفي هذا المعنى يقول أبو حيان ذاكرا لفظة الحاشية : جرى بين هؤلاء الأفاضل في هذا الفصل مما يدخُل في حاشية هذا الكلام ، الذى قد أعجزني أداؤه على وجهه بالقسطاس المستقيم سوء التأني فيما يحقق المراد[٢] ، ويذكر أبو حيان لفظة حاشية بهذا المعنى في نصٍّ آخر يقول فيه واصفًا اللسان : ولطائفه التي لا يأتي عليها لسان ، وإن كان رقيق الحاشية[٣] ، وترد لفظة حاشية عند أبي حيان بمعنى الأهل والأقارب والتابعين من الخاصة المقربين ، وأيضا من الخدم وفي هذا المعنى يقول أبو حيان : فإنه يحب الإحسان إلى عباده من عباده ، كما تحب الإحسان إلى ولدك من

---

(١) اللسان جـ ١ ص ٦٤٧ .

(٢) المقابسات ص ١٨٥ .

(٣) الإشارات الإلهية ص ٣٧٩ .

حاشيتك[1] ويقول أيضا ذاكرا لفظة الحاشية بمعنى الأتباع والخدم وذلك فى وصفه لأحدهم : كثرت حاشيتُه وغاشيته ، وملك الأعنة[2] ، ويقول أيضا : إذا فضلت إنسانا على إنسان ، فلم لا تفضله بالفضائل والأخلاق والعادات والأفعال ، ولكن تفضله بالدراهم والدنانير ، والثياب والضياع والحاشية والغاشية[3] .

ولفظة الجمع « **حواشى** » وردت فى كتابات أبى حيان بمعانٍ منها حواشى الكتاب وفى هذا المعنى يقول أبو حيان مخاطبا أستاذه : أيها الشيخ – أطال الله يدك فى الخيرات – قد فرغت فى الجزء الأول على ما رسمت فى القيام به ، وشرفتنى بالخوض فيه ، وسردت فى حواشيه أعيان الأحاديث التى خدمت بها مجلس الوزير ، ولم آل جهدا فى روايتها وتقويمها ولم أحتج إلى تعمية شيء منها[4] .

وترد لفظة الحواشى أيضا بمعنى حواشى الكتاب فى نص لأبى حيان من بصائره يبين فيه أهمية هذه الحواشى فيقول : قال بعض أصحاب أبى حنيفة لأحمد بن المعذل : كُتُب مالك تُكتب فى حواشى كُتُب أبى حنيفة[5] ويقول أبو حيان أيضا ذاكرا لفظة الحواشى بهذا المعنى الخاص بالكتب : قال محمد بن هاشم : التعليق فى حواشى الكتب كالشنوف فى آذان الأبكار[6] فى نصوص أبى حيان السابقة التى وردت فيها لفظة حواشى فى مجال الألفاظ الخاصة بالكتب ، قد بين أبو حيان أهمية هذه الحواشى فى توضيح الغامض من الكتاب وإبداء الآراء القيمة والشرح والتعليق على متن الكتاب وما يحتويه من مسائل تحتاج إلى توضيح . وفى هذا المجال يقول روزنتال فى كتابه « مناهج العلماء المسلمين » فى

---

(١) الصداقة والصديق ص ١٠٧ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١٩٥ .
(٣) الإشارات الإلهية ص ١٠١ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١.
(٥) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٨١ .
(٦) البصائر جـ ١ ص ١٦١ .

حديثه الشيق عن حواشي الكتاب وما لها من أهمية فى ذلك العصر : فى عصر المخطوطات لا يكاد المؤلِّف ذاته يترك لنا حواشي بل هى من صنع غيره ممن قرأ الكِتاب وعلق عليه . والملاحظات التى يدونها قراء الكِتَاب كثيرا ما تحتوى على تقييم لآراء المُصنِّف وكانت الحواشى الوسيلة الوحيدة المجدية لإثبات الاستطرادات والإضافات التى لا تشكل جزءا رئيسيا من المتن . ولا ينبغى أن يكثر من الحواشى كثرة يظلم منها الكتاب[1] ونترك الكتب وحواشيها لنر المعانى الأخرى للفظة الحواشى ، فقد وردت هذه اللفظة فى نصوص لأبى حيان بمعنى يخص نظم الكلام وألفاظه ، وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : وأبو حسن الفلكى كان من أهل البصرة ، وهو حسن الديباجة رقيق حواشي اللفظ[2] ، ويقول أيضا بهذا المعنى موردًا لفظة حواشي فى مقابسته الخمسين : وقد بعلت جدا بالكلام الذى تعقد أوله بآخره ، وساء تأليفه من جميع حواشيه[3] وترد لفظة حواشي فى نص لأبى حيان بمعنى الجوانب ووجهات النظر للمسائل ، وفى هذا النص يقول : قيل لأبى زكريا الصيمرى : لِمَ لَمْ يكن لكل مسألة من العلم جواب واحد ؟ فقال : من المسائل ما هو كذلك ومن المسائل مسائل لها جهات وحواشى ، فيختلف الجواب من المجيبين بحسب نظرهم من تلك الجهات والحواشى أو بحسب العبارات التى تجزل مرة وتضعف أخرى[4] ، وفى مجال المعنى الخاص بجوانب الشيء المادى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة حواشي فى وصفه للقلم وكيفية بريه : النحت نوعان : نحت حواشيه ونحت بطنه ، وأما حواشيه فيكون مستويا من جهة السنين معا ولا يحيف على الشقين . فتضعف سنه وتكون شحمة القلم فى

---

(١) مناهج العلماء [illegible] روزنتال ص ٤٨ ، ص ١١٠ ، ص ١٤١ .
(٢) الإمتاع جـ ١ ص [illegible] .
(٣) المقابسات ص ٢١٦ .
(٤) المقابسات ص ٢٠[illegible]

بطنه متساويا[1] ، ثم لفظة أخرى تدخل فى مجال الحديث عن الكتب وأقسامها وما تحتويه وهى لفظة **الفِهْرِس** ، وقد وردت هذه اللفظة فى أماكن محدودة من كتابات أبى حيان فهى قليلة الورود ، يقول صاحب اللسان معرفا الفهرس : هذا الكتاب الذى تجمع فيه الكتب . وليس بعربى محض ، ولكنه مُعَرب[2] ، ويقول الخُوارزمى : الفهرست ذكر الأعمال والدفاتر تكون فى الديوان . وقد يكون لسائر الأشياء[3] ويقول آدى شير : الفهرست هو الكتاب الذى تجمع فيه أسماء الكتب[4] ، وهذه اللفظة جاءت عند أبى حيان بهذا المعنى الخاص بالكتاب أى بمعنى القائمة الملحقة بالكتاب والذى يحتوى على أسماء الموضوعات التى يحتوى عليها الكتاب ، أو الرسالة أو أى مؤلَّف علمى ، وفى هذا المعنى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الفهرست كما جاءت فى أصلها الأعجمى : كانت هذه العصابة قد تآلفت بالعشرة ، وتصافت بالصداقة ، وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال ، وصنفوا خمسين رسالة فى جميع أجزاء الفلسفة : علميها وعمليها وأفردوا لها فهرستًا وسموها رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء[5] .

مما تقدم نجد أن لفظة حاشية والجمع حواشى جاءت عند أبى حيان بمعانٍ متنوعة فقد جاءت لفظة الحاشية بمعنى الأهل والخاصة من الأتباع والخدم[6] ، وجاءت بمعنى مجازى دال على الكلام وصفاته[7] ولم ترد هذه اللفظة بمعنى خاص

---

(١) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٠ .
(٢) اللسان جـ ٢ ص ١٤٤٠ .
(٣) مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٣٩ .
(٤) الألفاظ الفارسية المعربة ، آدى شير ص ١٢٢ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٥ .
(٦) الإشارات الإلهية ص ١٠١ ، البصائر جـ ١ ص ٧٦ .
(٧) المقابسات ص ١٨٥ ، ٤٥٥ .

بالكتب . أما لفظة حواشي فقد جاءت عند أبي حيان بمعانٍ منها المعنى الاصطلاحي الخاص بجزءمن الكتاب[1] ، أي جوانب أوراقه وما يكتب فيها من ملاحظات وتعليقات تفيد توضيح مادة الكتاب . وهذا المعنى الاصطلاحي لم يرد في اللسان ولا في المعاجم الأخرى عند تناولها لمادة « حشو » .

وجاءت لفظة حواشي بمعان مجازيّة خاصة بالكلام وعزوبته[2] ومضمونه[3] أي صفات الكلام من جوانبه المختلفة . وبمعنى وجهات النظر في المسائل وجوانبها[4] التي يتشعب عنها السؤال والجواب . وجاءت أيضا بمعنى جوانب الكون[5] ، ومظاهره التي تملأ البصر . وجاءت أيضا بمعنى مادي يدل على جوانب الشيء الملموس مثل القلم[6] وغيره وما لهذا القلم من أطراف . هذه المعاني المتعددة للفظة حواشي تعطينا صورة واضحة عن المشترك اللفظي لهذه الكلمة وهذا واضح في الأمثلة التي وردت عند أبي حيان .

أما التغير الدلالي فنجد أن لفظة حاشية استخدمت في مجال المعاني المجازية بالنسبة للفظ واستخدمت في مجال الأهل والأتباع وهذا المعنى كان كثير الانتشار في العصر العباسي نظرا لكثرة الحاشية في بيوت الخلفاء والموسرين من القوم وهذا مما أدى إلى اتساع الدلالة لهذه اللفظة .

أما لفظة الجمع حواشي فنجد أن كثرة استخدامها في كافة المجالات ، أدى إلى اتساع دلالتها نتيجة لاستعمالها في الدلالات الحسية والمعنوية . ولكن هناك معنى مخصوصا استخدمت فيه لفظة حواشي ، وهو المعنى الخاص بحواشي الكتاب وهذا

---

(١) الإمتاع جـ ٢ ص ١ ، وانظر البصائر جـ ١ ص ٨١ .
(٢) البصائر جـ ٢ ص ٤٤٥ ، الإمتاع جـ ١ ص ٦٨ .
(٣) المقابسات ص ٢١٦ .
(٤) المقابسات ص ٢٢٠ .
(٥) الإمتاع جـ ٢ ص ١٩٠ .
(٦) رسالة في علم الكتابة ص ٣٠ .

المعنى كثر استعماله بين أوساط المثقفين فتخصيص دلالة لفظة حواشى كان ملحوظا عند أبى حيان حين استخدمها فى مجال الكتب .

ولفظة فهرست التى استخدمها أبو حيان (بنطقها الأعجمى كما تشير المعاجم لذلك) جاءت عنده بمعنى القائمة الملحقة بأبواب الكتاب لتشير إلى موضوعات الكتاب[1] وهذا اللفظ المعرب عن الفارسية استخدم فى عصر أبى حيان بأصله الأعجمى مبنى ومعنى . فهو من الألفاظ التى لم تتغير بنيتها بعد تعريبها واستعمل الفِهْرس كما ذكره صاحب اللسان ، فى مجال الكتب والآثار العلمية فقط .

٣- التجليد ، إدارة الكتب :

وقبل أن أختم هذا الحديث الشيق عن الكتب ، وما يتعلق بها أذكر لفظة **التجليد** وقد ذكر أبو حيان هذه اللفظة فى كلامه عن رسالة للجاحظ فقال : ولا حكم القضاة بالتسجيل ، وتجليدها فى الدواوين[2] ، وعن التجليد يقول ابن النديم فى الفهرست : ابن أبى الحريش كان يجلد فى خزانة الحكمة للمأمون[3] وكان فى مكتبة المأمون التى تدعى ببيت الحكمة أو بخزانة الحكمة كان فيها رئيس المترجمين ومساعدين وكان لها مدير وأعوان ، وكما كان فيها مجلدون[4] ، وفى حديث أبى حيان عن الكُتُب والدواوين يذكر مصطلح « **إدارة الكتب** » ، وهذا المصطلح ظهر فى العصر العباسى نتيجة لنشاط الحركة الثقافية ، فكثرت الكتب

---

(١) الإمتاع جـ ٢ ص ٥ .

(٢) مثالب الوزيرين ص ٤٣ .

(٣) الفهرست ص ١٠ .

(٤) ضحى الإسلام جـ ٢ ص ٦٥ .

وازدحمت بها المكتبات وبهذا ظهرت حرفة إدارة الكتب وصيانتها ، ونرى في عهد الرشيد أنه ولى يوحنا بن ماسويه ترجمة الكتب الطبية القديمة لما وجدها بأنقرة وعمورية ، وسائر بلاد الروم ، ووضعه أمينا على الترجمة ، ورتب له كُتَّابا حذَّاقا يكتبون بين يديه[1] ، وذكر التوحيدى فى نص له مصطلح إدارة الكتب فقال : وديوان الشرطة والأحداث ، هذا إلى توابع هذه الدواوين مثل باب العين والمؤامرات ، وباب النوادر والتواريخ ، وإدارة الكتب ، ومجالس الدِّيوان قبل وبعد[2] .

* * *

(١) ضحى الإسلام جـ ٢ ص ٦١ .

(٢) الإمتاع جـ ١ ص ٩٨ .

الألفاظ الخاصة بأدوات الكتابة :

الألفاظ الخاصة بأدوات الكتابة (٢٣) كلمة وهى : الأقلام ، الألواح ، البرى ، الجلفة ، الحبر ، خزانة الكتب ، الخزائن ، الدفاتر ، الدواة ، الرق ، القرطاس ، القراطيس ، القط ، القطة ، القلم ، الكاغد ، الكراريس ، المحابر ، المحبرة ، المداد ، المقط ، الورقة ، الورق .

وفيما يلى جدول بشيوع الألفاظ الخاصة بأدوات الكتابة فى مؤلفات أبى حيان التوحيدى :

الكلمة	عدد مرات الورود	الكلمة	عدد مرات الورود
القلم	٥٥	الحبر	٤
الورق	١٩	المحابر	٤
الأقلام	١٨	القراطيس	٣
القرطاس	١٥	الدفاتر	٣
الورقة	١٢	الكراريس	٣
الدواة	٩	الرق	٣
القط	٦	البرى	٢
المحبرة	٥	الألواح	٢
القطة	٥	الكاغد	١
الجلفة	٥	الخزائن	١
خزانة الكتب	٤	المقط	١
المداد	٤		
		المجموع	٢٣

وتقسم هذه المجموعة من حيث دلالة ألفاظها إلى ست مجموعات :

ألفاظ خاصة بالورقة ، والقرطاس ، وألفاظ خاصة بالكراريس والدفاتر وألفاظ خاصة بالقلم ، والبرى والقط ، وألفاظ خاصة بالدواة ، والمحبرة ، وألفاظ خاصة بالحبر ، والمداد .

ثانيا : أدوات الكتابة

تضمنت مؤلفات التوحيدى كلمات كثيرة دالة على الورق وأدوات الكتابة وأهم هذه الكلمات : الورقة ، الورق ، والقرطاس ، والقراطيس ، والدفاتر والألواح والكاغد والكرايس والقلم والأقلام والدواة والمحابر والحبر والمداد والمبرة والمبار وخزانة كتب . فقد نتج عن كثرة الورق وتعدد أنواعه والكتابة فيه والكتب المؤلفة نشوء صناعة الوِراقة ودكاكين الوَرَّاقين وقد كانت مصدرا مهما من مصادر انتشار الثقافة فى العصر العباسى[1] .

(١) الورقة : الورق ، القرطاس / القراطيس ، الرق ، الكاغد :

جاء فى اللسان الوَرَق : من أوراق الشَّجَر والكِتاب ، الواحدة وَرَقَة . والوَرَق أَدْم رِقاق ، واحدتُها وَرَقَة ومنها وَرَق المصحف وورق المصحف وأوراقه : صحفه . والوَرَق والوَرِق : الدراهم والمال كله والفضة كانت مضروبة كالدراهم أولا . وفى الحديث أنه قال لعمار : أنت طيب الوَرَق ، أراد بالوَرَق نسله . ووَرَق القوم : أحْداثُهُم ووَرَق الشباب نضرتُه وحداثته . وما أحسن وَرَاقَه وأُورَاقُه ، أى لبسته وشارته على التشبيه بالورق . واختبط منه ورقا : أصاب منه خيرًا[2] .

وعن الورق وأنواعه يحدثنا أبو حيان فى كتاباته فيقول : كفى مؤونة عظيمة فى قراءة الكتب الكبار ذوات الورق الكثير مع العناء المتصل فى الدرس

---

(١) ضحى الإسلام جـ ٢ ص ٢٣ .

(٢) اللسان جـ ٣ ص ٩١١ ، ص ٩١٢ .

والتصحيح[1] وترد لفظة ورقة فى نصوص كثيرة من كتابات أبى حيان بمعانٍ مادية ومعنوية ففى نص يقول فيه واصفا عيسى بن على ، ويذكر لفظة ورقة بمعنى أداة من أدوات الكتابة : ولكنه مع هذا الفصل الكثير بخيل بكلمة واحدة ونصيح على ورقة فارغة ، لسودائه الغالبة عليه ومزاجه المتشيط بها[2] ، ويذكر لفظة الورقة بهذا المعنى فى نص آخر يصف فيه متّى عَلَمًا من أعلام عصره فيقول : فإن متّى كان يُملى ورقة بدرهم مقتدرى وهو سكران لا يعقل[3] وفى أحد مجالس الإمتاع يحدثنا أبو حيان عن ورقة الكتابة وماعددها فى الكتاب الواحد فيقول : قال لى الوزير : وهذه المسائل والجواب عنها عندك ؟ قلت : نعم . قال : فى كم تقع ؟ قلت : لعلها تقع فى ألف وخمسمائة ورقة لأن أكثرها فى الظهور[4] .

وترد لفظة ورقة فى نص لأبى حيان يصف فيه حجم كتابه البصائر فيقول : وأما قوله : فسيح الأدب فقد والله جمع بين غزارة الموصوف فى أدب النفس والعلم ، وهذا نمط لا يتسع الكلام فيه على جميع ما يمر فى الكتاب ، ولو أمكن ذلك لبلغ الكتاب عشرة آلاف ورقة أو أكثر[5] ، ويذكر أبو حيان لفظة الورقة فى حديثه عن الصوفية ويرفق هذه اللفظة بعدد ضخم يتجاوز العشرة آلاف ورقة فيقول : لو جمع كلام أئمتهم وأعلامهم لزاد على عشرة آلاف ورقة عمن نقف عليه فى هذه البقاع المتقاربة سوى ما عند قوم آخرين لا نسمع منهم[6] ولفظة وَرَقَة ترد عند أبى حيان بمعنى ورقة الشّجر وفى هذا المعنى يقول فى نص له من

---

(١) الإمتاع جـ ١ ص ١٠٦ .
(٢) الإمتاع جـ ١ ص ٣٧ .
(٣) الإمتاع جـ ١ ص ١٠٧ .
(٤) الإمتاع جـ ١ ص ١٣٠ .
(٥) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٩٤ .
(٦) الإمتاع جـ ٣ ص ٩٧ .

إشاراته : لك من هذه الورقات التى هى ألف ورقة متنزها ، واقطف من ثمارها ما تدلى لك ودنا منك[1] ، ويقول أيضا ذاكرًا لفظة ورقة بهذا المعنى : أول ما يخرج النبات والعشب فهو البذر ساعة يخرج ، يقال قد بذرت الأرض ، ثم لا يزال البذر ما كان ورقتين فإذا زاد على ذلك قيل قد تشعب ورقه ، وعرف وجهه وذلك إذا خرجت الورقة الثالثة عرف أى الضروب هو[2] فى النصين السابقين نجد أن لفظة ورقة جمعت على ورقات وورق وهذا مخالف لما جاء فى اللسان .

وجاءت لفظة الجمع وَرَق بدلالات متنوعة عند التوحيدى منها ، الورق الذى يكتب فيه ويستعمل كأداة من أدوات كتابة الكتب . وفى نص لأبى حيان يذكر لفظة الورقة بمعنى ورق الكتابة وورق الشجر فيقول قال الأصمعى : عنى الورق أى ورق الشجر فأما الورق فإنه لا ينتن ، قيل إن الأصمعى عنى بالورق الرَّق الذى يكتب عليه[3] ، وبمعنى الورق المعد للكتابة يقول أبو حيان فى وصفه لأحدهم : قد حمل محبرة وورقا ليستفيد أدبا[4] وترد لفظة الورق فى نصوص لأبى حيان بمعان مجازية تدل على البهجة والإشراق والمثل العليا وفى هذه المعانى يقول أبو حيان ذاكرًا ورق النور : هذا كلام يجب أن يكتب بأنامل الحور فى ورق النور[5] ، ويقول أيضا ذاكرًا ورق الكرم : هذا كلام يجب أن يكتب بأقلام النعم على ورق الكرم[6] ، ويقول ذاكرًا لفظة الورق بمعنى الشباب والحداثة أيام كان عود الشباب رطيبا وورق الحياة نضيرا[7] ، وبمعنى الصحف أى الكتب يقول أبو حيان ذاكرا لفظة الوَرَق : وصف أعرابى قوما فقال : كأن خدودهم ورق المصاحف[8] ، ويذكر أبو حيان لفظة الورق بمعنى الدراهم فيقول فى حديث من

---

(١) الإشارات الإلهية ص ٤٧ ، ص ١٧٧ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢٦٦
(٣) البصائر جـ ٢ ص ٣٦٦ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٥٤٩
(٥) البصائر جـ ٢ ص ٥٤٩ .
(٦) البصائر جـ ٢ ص ٥٤٩ .
(٧) مثالب الوزيرين ص ٢٤ .
(٨) البصائر جـ ٢ ص ٣٦٦ .

ابن عباد : ويتقدم إلى الخازن بأن يخرج إليه رسائله مع الوَرَق والوَرِق ويسهل له الأذن عليه والوصول إليه والتمكن من مجلسه[١] ، الوَرَق هنا هى الدراهم المضروبة ، وهو بفتح الراء وكسرها . ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الورق بمعنى الفضة أو الدراهم الفضية : وما عاضلك عنده من الرضا والقبول اللذين هما فوق الذهب الأحمر والورق الأبيض[٢] ، ويذكر الورق بمعنى الخير والرزق وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : قلت للغويرى : حدثنى عن ابن عباد فإنك قد عرفت ليله ونهاره ، وخافيه وباديه ، وعن ابن العميد فقد اختبطت وَرَقه ، وانتجعت صوبه[٣] .

ولفظة **قِرْطاس** والجمع قراطيس من الأدوات الكتابية التى ترد فى مجال بحثنا هذا وقد جاء فى اللسان : القِرْطاس : ضَرب من بُرود مصر . وكل أديم يُنْصب للنضال، فاسمه قِرطاس، فإذا أصابه الرامى قيل: قَرْطَس أى أصاب القِرْطاس. والقِرْطاس والقِرطس ، والقَرْطاس ، كله : الصحيفة الثابتة التى يكتب فيها[٤] ، وجاءت لفظة القِرْطاس عند أبى حيان فى نصوص كثيرة من كتاباته بمعنى محدد وهو المعنى الخاص بالأدوات الكتابية . وفى هذا المعنى يقول أبو حيان بهذا المعنى : وإن كان ليس لك قرطاس ، ودواة ، فهذا سوء تدبير[٥] ، وقال أيضا : واعلم أنه ليس شيء أسرع فناء من الدينار إذا كسر ، والقِرْطاس إذا نشر[٦] ، وقال يذكر لفظة القرطاس بمعناها الخاص بأدوات الكتابة : أخذت قِرْطاسًا وكتبت بيدى يمينا آليت منها بكل عهد مؤكد ، وعقد مردد ، ويمين ليس لها

---

(١) الإمتاع جـ ١ ص ٥٦ . (٢) الإشارات الإلهية ص ٢٨١ .
(٣) مثالب الوزيرين ص ٢١٨ .
(٤) اللسان جـ ٣ ص ٦٢ ، وانظر المخصص جـ ١٣ ، ص ٨ .
(٥) البصائر جـ ٢ ص ١٨٧ . (٦) البصائر جـ ٢ ص ٧١٠ .

كفارة أن لا أنظر فى الهندسة أبدا[1] ، وذكر لفظة قِرْطاس أيضا بهذا المعنى فى رده على ابن ثوابة فقال : قال : فأحضرنى دواة وقِرْطاسًا فأحضرتهما فأخذ القلم فنكت به نكتة نقط منها نقطة تخيلها بصرى ، ولحظها طرفى كأصغر من حبة الذر[2] ، وترد لفظة قرطاس بمعنى الورق وذلك فى نص جاء على لسان بعض الأطباء يقول أبو حيان فيه : ومما يذهب رائحة الشراب فى الفم مضغ قرطاس[3] .

ولفظة الجمع **القَراطيس** يقول أبو حيان مؤرخا لها : وأول من عمل القراطيس يوسف ، وأول من كتب فى القراطيس الحجاج بن يوسف[4] ، وقال ذاكرًا لفظة قراطيس بمعنى أدوات الكتابة : ياهذا ، لو جعلت ما تحمله القراطيس من الكلام مالا حويت جمالا وحزت كمالا[5] واستعملت لفظة القراطيس عند العرب منذ القدم وقد ورد فى القرآن استعماله مفردا وجمعا بقوله تعالى : ﴿ ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس ﴾ و﴿ تجعلونه قراطيس ﴾ وقد فسرها قتادة كما فى تفسير الطبرى بالصحيفة ولم يبينها[6] ، والعرب قديما أكثروا فى تشبيه آثار الديار بالكتاب بعد ما مضى الزمان عليه ووجد فى العصر العباسى فى بغداد درب سمى درب القراطيس ووجدنا بعض الأشخاص ينتسبون إليه مثل إسماعيل القراطيسىّ[7] والفعل **قَرْطَس** يرد فى نص لأبى حيان يصف فيه أحدهم فيقول : حتى إذا حدس قرطس ، وإذا ظن ظن وإذا وهم هجم[8] .

ولفظة أخرى ترد فى مجال الحديث عن أدوات الكتابة وهى **الرَّق** ، وقد جاء فى اللسان : الرُّق بمعنى الصحيفة البيضاء ، والرَّق ، بالفتح : ما يكتب فيه وهو

---

(١) مثالب الوزيرين ص ١٦٣ .
(٢) البصائر جـ ٢ ص ٦١ .
(٣) البصائر جـ ١ ص ٨٨ .
(٤) البصائر جـ ١ ص ٤٣٦ .
(٥) الإمتاع جـ ٢ ص ٦٣ .
(٦) صبح الأعشى جـ ٢ ص ٤٨٥ . الآية
(٧) ضحى الإسلام جـ ٢ ص ٢٢ .
(٨) المقابسات ص ١٥٣ .

جلد رقيق ومنه قوله تعالى : ﴿ فى رَقٍّ منشور ﴾ أى فى صُحُف[1] ، وجاءت هذه اللفظة فى كتابات أبى حيان بمعنى أداة من أدوات الكتابة ، ومع لفظة القرطاس تأتى لفظة الرَّق وقد ذكر أبو حيان هذه اللفظة فقال : وأما الرَّق فما يكتب فيه[2] ، وفى نص آخر يذكر أبو حيان قول الأصمعى فى البصائر وتفسيره لهذا القول ذاكرًا لفظة الرَّق بمعناها الخاص بأدوات الكتابة فيقول : قال الأصمعى : عنى الوَرَق أى ورق الشجر فأما الورق فإنه لا ينتن ، قيل : إن الأصمعى عنى بالوَرَق الرَّق الذى يكتب عليه[3] .

والرَّق نوع من الجلد يرقق ويكتب عليه وقد كانوا قبل الإسلام وفى صدره يكتبون على الرق ، وفى إبان الدولة العباسية ضاقت الرقوق والجلود عن المكاتبات والمراسلات ، والسجلات فأشار الوزير الفضل بإنشاء أول مصنع لصناعة الورق فى بغداد والشام وغيرها من العواصم الإسلامية وقد أخذوا هذه الصناعة من الصين[4] كماتذكر المصادر وانتشرت الكتابة فى الورق إلى سائر الأقطار ، ومن أنواع الورق الذى انتشر فى العصر العباسى الورق الفرعونى أو**الكاغد**الفرعونى ، وقد جاء ذكر هذه اللفظة فى نص لأبى حيان يقول فيه : قلت : تلك تجرع فى دست كاغد فرعونى ، فقال : أجد تحريرها وعلى بها[5] . ولم يذكر صاحب اللسان أى معنى للفظة الكاغد عند تناوله للمادة « ك غ د » وهذه اللفظة من الألفاظ الفارسية المعربة[6] .

مما تقدم نجد أن لفظة ورقة والجمع ورق جاءت عند أبى حيان بمعانٍ متعددة

---

(١) اللسان جـ ١ ص ١٢٠٨ وانظر معجم ألفاظ القرآن جـ ١ ص ٥١٣ .

(٢) البصائر جـ ٢ ص ٣٨٧ .

(٣) البصائر جـ ٢ ص ٧٧٢ .

(٤) الفهرست لابن النديم ص ٤٠٧ .

(٥) الإمتاع جـ ١ ص ٦١ .

(٦) الألفاظ الفارسية المعربة ، آدى شير ص ١٣٦ الكاغد فارسى محض بمعنى القرطاس المعرب عن اليونانى .

منها المعنى الدال على أدوات الكتابة ، أى الأداة المعدة للكتابة فيها[1] وبمعنى جزء من الكتاب وبمعنى الصحف والكتب[2] ، وجاءت بمعنى أوراق الشجر[3] ولفظة الجمع (ورق) وجاءت بمعانٍ أخرى عند أبى حيان تنفرد بها عن لفظة المفرد ورق مثل المعنى الدال على النقود[4] ، وجاءت بمعنى الفضة سواء كانت مضروبة كالدراهم أولا[5] وجاءت أيضا بدلالات معنوية تشير إلى السلوك والأخلاق والصفات وإلى الضياء وبهجة الحياة ونضارتها[6] ، وهذه المعانى المتعددة للفظة (ورق) ، هى من قبيل المشترك اللفظى عند أبى حيان كما ذكر هذه اللفظة فى نصوصه .

ونجد أن لفظة قِرْطاس والجمع قراطيس ولفظة رَقّ قد جاءت عند أبى حيان بمعنى أداة من أدوات الكتابة[7] أى الصحيفة البيضاء المعدة للكتابة[8] وبهذا المعنى جاءت لفظة الكاغد عند أبى حيان[9] والألفاظ قِرْطاس وقراطيس وكاغد ألفاظ معربة ، فالقرطاس معرب عن اليونانية[10] والكاغد عن الفارسية[11] وهذه الألفاظ مترادفة فى دلالتها وهى مرادفة للفظة الورق .

أما التغير الدلالى فنجد أن الألفاظ ورقة وورق وقرطاس وقراطيس ورق

---

(١) الإمتاع جـ ١ ص ١٣٧ ، ص ١٠٦ والبصائر جـ ٢ ص ٧٧٢ ، ص ٦٠٠ .
(٢) الإشارات الإلهية ص ١٧٩ ، الإمتاع جـ ١ ص ١٠٧ ، البصائر جـ ١ ص ٢٥٣ ، جـ ٢ ص ٣٦٦ .
(٣) البصائر جـ ١ ص ٢٦٦ . (٤) الإمتاع جـ ١ ص ٥٦ .
(٥) البصائر جـ ٢ ص ٧٧٢ ، الإشارات ص ٢٨١ .
(٦) مثالب الوزيرين ص ٢١٨ ، ص ٢٤ ، البصائر جـ ١ ، جـ ٢ ، ص ٥٤٩ .
(٧) مثالب الوزيرين ص ١٦٣ ، البصائر جـ ٢ ص ٦٨٧ ، جـ ١ ص ٨٨ ، ص ٤٣٦ .
(٨) البصائر جـ ٢ ص ٣٨٧ . (٩) الإمتاع جـ ١ ص ٦١ .
(١٠) غرائب اللغة رفائيل نخلة ص ٢٦٤ القرطاس ورق يكتب عليه .
(١١) الألفاظ الفارسية المعربة آدى شير ص ١٣٦ .

وكاغد قد تخصصت دلالتها فى عصر أبى حيان بعد أن ارتبطت فى هذا العصر بمعنى محدد وهو المعنى الدال على الأدوات الكتابية .

(٢) الكراريس ، الألواح / الدفاتر :

هناك مجموعة من الألفاظ تدخل فى مجال الحديث عن أدوات الكتابة مثل الكراريس والألواح والدفاتر ، يقول صاحب اللسان : الكراريس ، من كَرس الرجل ، إذا ازدحم عِلمه على قلبه ، والكُرَّاسة من الكتب سميت بذلك لتكرسها[١] ، وترد لفظة **الكراريس** فى بعض النصوص من كتابات أبى حيان بمعنى أداة من أدوات الكتابة ففى مثالب الوزيرين يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الكراريس فى حديثه عن البصرى جُعْل وقصته مع الصاحب : ولقد كان عينا عشرين سنة على صاحب بغداد للصاحب حتى آلت الأمور إلى ما عرفه الصغير والكبير بأصحابه ، أصحاب المحابر والأقلام والكراريس[٢] ، يحدد أبو حيان معنى الكراريس بمجموعة من الأوراق المعدة للكتابة ، وليست مكتوبة سلفا ، وهذا المعنى يختلف عن معنى صاحب اللسان .

ومن الألفاظ التى استخدمها أبو حيان فى مجال الأدوات الكتابية لفظة الألواح يقول صاحب اللسان : اللَّوح : الذى يُكتب فيه . واللَّوح : اللوح المحفوظ وكل عظيم عريض : لوح والجمع منهما ألواح[٣] ، وترد لفظة ألواح بهذا المعنى الذى جاء فى اللسان فى نصوص لأبى حيان فى مثل نصه الذى يصف فيه الصاحب وسؤاله عن أبى حامد المرورودى وما يحفظه عنه فيقول : سألنى عن أبى

---

(١) اللسان جـ ٣ ص ٢٤٣ .
(٢) مثالب الوزيرين ص ١٤٠ وانظر المخصص جـ ١٣ ص ٨ .
(٣) اللسان جـ ٣ ص ٤٠٩ .

حامد ، فوصفت له نباهته ومقدمه ، وحفظه وبيانه ، فقال ما تحفظ عنه ؟ قلت : أشياء مختلفة ، فقال لى : كيف حفظت هذا ؟ قلت : كنا جماعة نتعاون على ذلك ويرسم فى ألواح[1] . وفى مجلس من مجالس الإمتاع يذكر أبو حيان أيضا لفظة الألواح بمعنى أدوات الكتابة وذلك فى كلامه عن على بن عيسى الرمانى الشيخ الصالح كما يسميه فيقول : لم أحفظ عن نفسى كل ما قلت ، ولكن كتب ذلك أقوام حضروا فى ألواح كانت معهم ومحابر أيضا ، وقد احتل على كثير منه[2] .

ولفظة **الدَّفاتر** يقول صاحب اللسان فى تعريفه لهذه اللفظة : هى جماعة الصحف المضمونة وعن الجوهرى الدَّفْتر واحد الدَّفاتر ، وهى الكراريس[3] ، ويقول الجواليقى : الدَّفْتر عربى صحيح . لا خلاف فى ذلك ولا يعرف له اشتقاق[4] . ولفظة دفاتر من الألفاظ التى استخدمها أبو حيان للدلالة على ما يُكتب فيه من الأدوات الكتابية ، وقد ذكر هذه اللفظة بقوله : قال سلم الحرانى : عطروا دفاتر آدابكم بسواد الحبر[5] ، وفى نص آخر يذكر أبو حيان لفظة الدَّفاتر بهذا المعنى فيقول : تقدم إلى كسج البقال حتى يستعين بى لأبيع الدَّفاتر[6] ويذكر أبو حيان لفظة الدفاتر ، فيقول مخاطبًا الوزير أبا الوفا : والله إنك لتهب الدرهم والدينار وكأنك غضبان عليهما ، وتطعم الصادر والوارد كأن الله قد استخلفك على رزقهما ، ثم تتجاوز الذهب والفضة إلى الثياب العزيزة ، والخلع النفيسة ، والخيل العتاق ، والمراكب الثقال ، والغلمان والجوارى ، حتى الكتب والدَّفاتر وما يضن به كل جواد[7] ، وفى كتاب الفروق للعسكرى ، يوضح الفرق بين

---

(١) مثالب الوزيرين ص ١٥٢ .
(٢) الإمتاع جـ ١ ص ١٢٨ .
(٣) اللسان جـ ١ ص ٩٩١ .
(٤) المعرب للجواليقى ص ١٩٥ .
(٥) رسالة فى علم الكتابة ص ٤٤ .
(٦،٧) الإمتاع جـ ٣ ص ٢٢٨ ، ٢٢٣ .

الكتاب والدفتر فيقول : إن الكِتاب يفيد أنه مكتوب ولا يفيد الدفتر ذلك ألا ترى أنك تقول عندى دفتر بياض ولا تقول عندى كتاب بياض ، والدفتر لا يكون إلا أوراقا مجموعة[1] .

مما تقدم نجد أن الألفاظ كَراريس وألواح ودَفاتر جاءت عند أبى حيان بمعنى الأدوات الكتابية[2] ، أى الأوراق المعدة للكتابة فيها . ونجد أن هذه الألفاظ فى دلالتها تنتمى إلى مجال دلالى واحد .

وفى مجال التغير الدلالى ، نجد أن الألفاظ كَراريس وألواح ودَفاتر قد تخصصت دلالتها فى عصر أبى حيان ، عند حدود استعمالها فى مجال الأدوات الخاصة بالكتابة .

(٣) القلم ، الأقلام :

لفظة القلم والأقلام جمعا لها من الأدوات الكتابية التى شرحها الله تعالى فى كتابه الكريم ، وقد قال تعالى : ﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾[3] فأقسم به وذلك فى غاية الشرف . وقال تعالى : ﴿ اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ﴾[4] ، يقول القلقشندى عن ابن الهيثم : من جلالة القلم أن الله عز وجل لم يكتب كتابا إلا به ، لذلك أقسم به[5] وعن القلم يقول صاحب اللسان : القلم : الذى يكتب به ، والجمع أقلام وقلام . والقَلَم : الزَّلَم والقلم : السهم الذى يجال بين القوم فى

---

(١) الفروق فى اللغة لأبى هلال العسكرى ص ٢٨٧ .
(٢) مثالب الوزيرين ص ١٤٠ ، وانظر الإمتاع جـ ١ ص ١٢٨ ، جـ ٣ ص ٢٢٣ .
(٣) سورة القلم . (٤) سورة العلق .
(٥) صبح الأعشى ، القلقشندى جـ ٢ ص ٤٤٥ .

القِمار ، وجمعها أقلام وفى التنزيل العزيز : ﴿ وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ﴾ ، قيل معناه سهامهم ، وقيل أقلامهم التى كانوا يكتبون بها التوراة . وإنما قيل للسهم القلم لأنه يُقلّم أى يُبْرى . وكل ما قطعت منه شيئًا بعد شيء فقد قلمته ، من ذلك القلم الذى يكتب به . وإنما سمى قلمًا لأنه قُلم مرة بعد مرة ، وقلمت الشيء بريته[1] ، ولفظة القَلَم والجمع أقلام ذكرها أبو حيان فى أماكن كثيرة جدا من كتاباته . ورسالته فى علم الكتابة خير شاهد على مكانة القلم عنده وعند أعلام عصره فقد أورد أبو حيان فى رسالته هذه أقوالًا للعرب ولفلاسفة اليونان فى صفات القلم أذكر بعضًا منها ، يقول أبو حيان : قال ابن التؤام : خطّ القلم يقرأ بكل مكان وفى كل زمان ويترجم بكل لسان ولفظ اللسان لا يجاوز الآذان ، ولا يعم الناب بالبيان[2] ، ويقول أيضا : قال عبد الحميد يحيى كاتب مروان : القلم شجر ثمرته اللفظ والفكر ، بحر لؤلؤه الحكمة والبلاغة[3] ، وعلى لسان ابن الزيات يقول أبو حيان : بالقلم تزف بنات العقول إلى خدور الكتب[4] ، وجاء وصف القلم فى نصوص ذكرها أبو حيان على لسان فلاسفة اليونان منها : قال أفلاطون : القلم عقال العقول ، والخط بسط الحس والمدرك ، به مراد النفس[5] ، وقال جالينوس : القلم طبيب والخط مدبر النفس[6] ، وقال الحكيم الأول : القلم أحد اللسانين كما قيل : قلة العيال أحد اليسارين[7] ، وترد لفظة القلم بالمعنى الخاص بأداة من أدوات فى نصوص أخرى من كتابات أبى حيان ففى الإشارات الإلهية يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة القلم بهذا المعنى : اللهم إن القلم قد تعرم فى نعت قصتنا معك[8] ، ويقول أيضا : إلى أن ينكسر القلم عند

---

(١) اللسان جـ ٣ ص ١٥٦ .
(٢) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٨ .
(٣) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٩ .
(٤) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٨ .
(٥)،(٦) رسالة فى علم الكتابة ص ٤٢ .
(٧) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٨ .
(٨) الإشارات الإلهية ص ١٩٠ .

الكتابة[١] ويقول بهذا المعنى الخاص بأدوات الكتابة ذاكرًا القلم فى إشاراته : إلا لأن المُكاتبة بالقلم تدعو إلى مثل هذه الحال[٢] ، ولفظة الجمع **أقلام** يذكرها أبو حيان مفتتحا رسالته المسماة بعلم الكتابة فيقول ذاكرًا هذه اللفظة بمعنى أداة الكتابة ووصلت ذلك بما كنت سمعته من الأفاضل وأصحاب الأقلام البارعة ، وأرباب الخطوط اليانعة مما التقطته أيدى الأقلام من ترتيب الحروف على أحسن نظام من رقة اللطافة ودقة الظرافة[٣] . ويقول أبو حيان بهذا المعنى ذاكرًا لفظة الأقلام : وكنت - أطال الله بقاءك - فى مجلس ابن البربرى وقد حفل بأرباب الأقلام والخطوط وصار كل منهم يظهر مخبآته من النوادر[٤] . وعن أنواع الأقلام يحدثنا أبو حيان فيقول : أنواع الأقلام : قال أحدهم : خير الأقلام ما استمكن نضجه فى جرمه ، وجف ماؤه فى قشره وقطع بعد إلقاء بزره ، وصلب شحمه ، وثقل حجمه[٥] . ويقول أبو حيان فى نص آخر ذاكرا أنواعا أخرى من الأقلام : فإن أعوزك الفارسى والبحرى واضطررت إلى الأقلام النبطية ، فاختر منها ما يضرب إلى السمرة[٦] ، وفى نصوص أخرى من كتاباته يصف لفظة الجمع أقلام فيقول فى نص له من كتابه البصائر : مبينا مكانة الأقلام : العقول رسل الله تعالى إلى أهلها ، والألسنة ترجمانها ، والأقلام بردها[٧] ، وفى نص آخر من بصائره يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة القلم وما له من أهمية : وفى مشق القلم مجة الأفعى ، وبلوغ غاية المنى ، وسن القلم عند الغضب نار[٨] ، وفى كتاب المثالب يقول أبو حيان ذاكرًا القلم فى وصفه لكتابة ابن العميد : إنه لسان الزمان ، وخطيب الدهر ، وإن قلمه

---

(١) الإشارات الإلهية ص ٩١ .
(٢) الإشارات الإلهية ص ٣٤١ .
(٣) ، (٤) رسالة فى علم الكتابة ص٢٩ ، ص٣٠ .
(٥) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٠ .
(٦) رسالة فى علم الكتابة ص ٤٣ .
(٧) البصائر والذخائر جـ ٤ ص ٣٠٣ .
(٨) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ١٨٥ .

فوق السيف ، وتدبيره فوق الجيش[1] فى النص السابق وصف أبو حيان القلم بأنه يختال على السيف ونرى أصحاب الأقلام فى عصر أبى حيان جعلوا ببلاغتهم سن القلم أحد من شبا السيف وإن كانت السيادة فى الأيام الماضية على عصرهم لأرباب السيف فإنها ما لبثت أن انتقلت فى عصرهم إلى أصحاب الأقلام . ويورد لنا أبو حيان نصوصا يصف أصحاب الأقلام فيقول عن ابن المقفع : كان ابن المقفع يقف قلمه كثيرا فقيل له فى ذلك فقال : إن الكلام يزدحم فى صدرى فيقف قلمى لأتخيره[2] ، وقال يصف أحد أعلام عصره ، أبا طالب الجراحى : ورد أبو طالب الجراحى الكاتب بالرى من العراق ، ولم يكن فى عصره أنطق منه لسانًا وقلمًا[3] ، وذو الكفايتين وصفه أبو حيان بقوله ذاكرًا القلم : وكان أحسد الناس لمن خط بالقلم أو بلغ باللسان[4] ، وعن همومه وأشواقه التى يعبر عنها القلم ، يقول أبو حيان فى الصداقة : ولولا أن القلم لا يطيق صريح ما هملك لحملته كيفما كان إليك[5] ، وقال : وربما حلمت بك فى الرؤيا فكيف ذلك قوتى طول يومى ، ومن كان هذا نعته من أجلك فكيف ينمق بالقلم شوقه إليك[6] ؟ ومع الصحبة الطويلة للقلم لا يثق أبو حيان فى صاحبه ورفيق حياته القلم فنراه يقول مرتابا : على أنى لا أثق بالخاطر إذا طاش ، ولا باللسان إذا همز ، ولا بالقلم إذا استرسل[7] وفى ختام الحديث عن القلم يورد أبو حيان بعض القواعد التى يجب أن تتبع فى بَرْى القلم وعند الكتابة ، فيقول فى نصٍّ ورد على لسان إبراهيم بن العباس لغلام بين يديه يعلمه الخطّ : قال إبراهيم بن العباس لغلام بين يديه : ليكن قلمك صلبًا بين الدقة

---

(١) مثالب الوزيرين ص ٢١٣ .
(٢) الإمتاع جـ ١ ص ٦٥ .
(٣) مثالب الوزيرين ص ٢١٣ .
(٤) الإمتاع جـ ١ ص ٦٧ .
(٥) الصداقة والصديق ص ٨٩ .
(٦) الصداقة والصديق ص ٩١ .
(٧) مثالب الوزيرين ص ٢٧ .

والغلظ ، ولا تّبْره عند عقده ، فإن فيه تعقيد الأمور ولا تكتب بقلم ملتو ولا بذى شق غير مستو فإن أعوزك الفارسى والبحرى واضطررت إلى الأقلام النبطيّة فاختر منها ما يضرب إلى السمرة[١] ، ويقول أبو حيان فى ختامه لرسالته علم الكتابة : هذا ما انتهى القول فى الخطّ وصفاته والقلم وحالاته وإن زدنا على ذلك ثقل وملّ[٢] ، وبعد هذه الرحلة الطويلة مع القلم لنقف قليلًا عند أصل هذه اللفظة من أين كان اشتقاقها ، هناك آراء كثيرة حول اشتقاق لفظة القلم وقد اختلف فى ذلك ، فقيل : سمى القَلَمُ قلمًا لاستقامته كما سميت القداح أقلامًا فى قوله تعالى : ﴿ إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ﴾ قال بعض المفسرين تشاحوا فى كفالتها فضربوا عليها القداح ، والقداح مما يضرب بها المثل فى الاستقامة ، وقيل هو مأخوذ من القلام وهو شجر رخو فلما ضارعه القلم فى الضعف سمى قلما ، وقيل : سمى قلما لقلم رأسه ، فقد قيل إنه لا يسمى قلما حتى يبرى ، أما قبل ذلك فهو قصبة[٣] . وقيل لأعرابى : فما القلم ففكر ساعة وقلب يده ، ثم قال : لا أدرى ، فقيل له : توهمه ، قال : هو عود قلم من جوانبه كتقليم الظفر ، فسمى قلما[٤] وروى محمد بن عمر المدائنى بسنده إلى مجاهد أن أول ما خلق الله اليراع ، ثم خلق من اليراع القلم[٥] .

مما تقدم نجد أن لفظة قلم والجمع أقلام جاءت عند أبى حيان بالمعنى المادى الدال على أداة من أدوات الكتابة[٦] وهذا المعنى الخاص بالكتابة أبرزه أبو حيان فى كتاباته فذكر أنواعه ، وطرق بريه ، وكيفية استعماله ، ثم وصف

---

(١)،(٢) رسالة فى علم الكتابة ص ٤٣ ، ص٤٧ . (٣) صبح الأعشى جـ ٢ ص ٤٥٠ .
(٤) اللسان جـ ٣ ص ١٥٦ . (٥) صبح الأعشى جـ ٢ ص ٤٤٥ .
(٦) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٠ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٥ ... الخ .

القلم وصفًا دقيقًا مبينًا أهميته فى ميدان الثقافة ، وما له من خطر وسيادة فى هذا المجال ، ووصف سن القلم بأنه أحد من شبا السيف . ولم يتطرق أبو حيان إلى المعانى الأخرى التى ذكرتها المعاجم للفظة القلم ، وركز على المعنى الاصطلاحى لهذه اللفظة التى تعتبر من أهم الأدوات الكتابية .

أما التغير الدلالى فنجد أن لفظة القلم والجمع أقلام-التى شرفها عز وجل فى كتابه الكريم[1] فاحتلت مكانة سامية منذ القدم وهكذا كان شأنها فى كل عصر وزمان وما أن نصل إلى عصر أبى حيان حتى نجد أنها قد انحصرت دلالتها فى مجال الألفاظ الخاص بالأدوات الكتابية وارتبطت لفظة القلم والجمع أقلام عند أبى حيان بلفظ الخطِّ[2] وهذا الارتباط أدى إلى تخصيص دلالتها كأداة من أدوات الكتابة .

(٤) البرى ، القط (والقطة والمقط ، جلفة) :

لفظة **البَرْى** ولفظة **القِطّ** تردان فى مجال الحديث عن القلم وشئونه وقواعد الكتابة ، وقد جاء فى اللسان : بَرَى العود والقلم والقدح وغيرها يبريه بَرْيًا : نحته ، والبَرْى : القَطْع[3] ، وحديث أبى حيان فى هذا المجال شيق لأنه حديث خبير متمرس بصنعة القلم ، سنين طويلة وهو يفنى عمره فى مهنة الكتابة فخبر بالأقلام وبريها ففى نص من رسالته علم الكتابة يذكر أنواع **البَرْى** فيقول : أنواع البَرْى : البَرْى على أربعة أقسام : الفتح وهو فى القلم الصلب أكثر تقعيرًا والرخو أقل والمعتدل بينهما ، والنحت نوعان : نحت حواشيه ونحت بطنه ، وأما الشق

---

(١) سورة القلم ٢ ، وسورة العلق/ ٤ ، وسورة لقمان .

(٢) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٨ .   (٣) اللسان حـ ١ ص ٢٠٥ .

فباعتبار الأقلام[1] . وفى وصف عملية بَرْى القلم يقول أبو حيان : يحتاج الكاتِب إلى خلال ، منها : تجويد بَرْى القلم وإطالة جلفته[2] . وعن معرفة محل البرى من القلم وكيفية القيام بالبرى يقول أبو حيان ذاكرًا الفعل يبرى وابرِ : ليكن قلمك صلبا بين الدقة والغلظ ، ولا تَبْره عند عقده فإن فيه تعقيد الأمور ، ولا تكتب بقلم ملتو[3] ، ويقول أيضا موردا الفعل ابر : وابرِ قلمك إلى الاستواء لإشباع الحروف وإذا أحللت فإلى التحريف[4] ، وفى نص آخر يذكر الفعل « يبرى » بمعنى مجازى أى يهجو ، فيقول : وثق بأن لسانى وقلمى لا يزالان يبريان عرضك ، ويخطبان بذمك ، ويلهجان بهتك سترك[5] . وفى النص السابق استخدم أبو حيان لفظة « البَرْى » فى معنيين للقلم وللسان ولو أردنا النظر فى أصل لفظة « البرى » يقول القلقشندى فى الفصل الذى خصصه لأنواع البَرْي : يقول بريت القلم أبريه بريا وبراية غير مهموز ، وهو قلم مبرى وأنا بارٍ للقلم بغير همز أيضا[6] . وعن الفعل برى يقول أبو حيان : وأما بريت القلم فلا يهمز ، وأما برئت إليك من كذا فصحيح الهمز[7] .

والألفاظ القِطّ والقَطة والمقط ، وردت فى نصوص عديدة من كتابات أبى حيان وكذلك الفعل « يقط » وهذه الألفاظ ترد فى مجال الحديث عن القلم وتحضيره للكتابة وفى هذا المعنى يقول أبو حيان القِطّ هو الخَطّ[8] ، ويذكر أبو حيان عن أنواع القِطّ فيقول : وأما القِطّ فأنواع : مُحَرف ، ومستو ، وقائم ، ومصوب وأجودها المحرف المعتدل[9] ويذكر لفظة القِطّ بمعنى الضرب فيقول :

---

(١) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٠ .
(٢، ٣) رسالة فى علم الكتابة ص ٤٣ .
(٤) رسالة فى علم الكتابة ص ٤٣ .
(٥) مثالب الوزيرين ص ٢١٦ .
(٦) صبح الأعشى جـ ٢ ص ٤٥٥ .
(٧) البصائر جـ ٤ ص ٢٧١ .
(٨، ٩) رسالة فى علم الكتابة ص ٣١ .

وأما القط : فالضرب ، ومنه قول ابن عائشة : كانت ضربات على أبكارًا كان إذا اعتلى قد ، وإذا اعترض قط[1] وذكر أبو حيان لفظة « القَطَة » فى وصف ابن مقلة للقلم فقال : قال المدقق الفاضل الوزير الكاتب أبو على بن مقلة فى وصف القلم : أطل الجلفة وحسنها ، وحرف القَطْة وأيمنها[2] ، وقال ذاكرا لفظة **قطَة** : قلمك أطل جلفته ، وأعد قطته[3] . وقال يوصى الكاتب فى موضع القَطْة : يحتاج الكاتب إلى خلال ، منها : تجويد بَرْى القلم وإطالة جلفته ، وتحريف **قَطْته** ، وحسن التأنى لامتطاء الأنامل[4] . وقال أبو حيان فى وصفه لأحد الكُتَّاب ذاكرًا لفظة القطة : ومنهم من يجنح إلى تدوير القطة ويمدها ، ويرغب فيها[5] ، ويذكر أبو حيان فى نصوصه لفظة **مِقَط** فيقول : وليكن مقطك أصلب الخشب لتخرج القطة مستوية[6] . ويذكر الفعل « **قطط** » فيقول أبو حيان : ووقف على المتماثلين مثل ، حططت ، وخططت وقططت[7] . وعن اشتقاق القِطّ يقول القلقشندى : يقول قَطَطت القلم أقطه قِطًا فأنا قاط وهو مقطوط وقطيط : إذا قطعت سِنه وأصل القِطّ : القَطع والقطّ والقد متقاربان إلا أن القط أكثر ما يستعمل فيما يقع السيف فى عرضه ، والقد ما يقع فى طوله . وكان يقول : إذا علا الرجل الشىء بسيفه قده ، وإذا عرضه قطه[8] .

ومع لفظة القَطْة وردت لفظة **جِلْفة** ومعنى الجلفة كما جاء فى اللسان الجِلْفة : القرفة . وجَلَف الشىء يجلفه جلفا فسره[9] يقول أبو حيان ذاكرًا الجلفة فى حديثه مع أحدهم : أتحب أن يجود خطك ، قلت نعم قال : قلمك أطل جلفته ، وأعد

---

(١) البصائر جـ ٢ ص ٣٨٩ .
(٢) رسالة فى علم الكتابة ص ٣١ .
(٣، ٤) رسالة فى علم الكتابة ص ٣١ ، ٤٣ .
(٥، ٦) رسالة فى علم الكتابة ص ٣١ .
(٧) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٥ .
(٨) صبح الأعشى جـ ٢ ص ٤٦٢ .
(٩) اللسان جـ ١ ص ٤٨٥ .

قطته[1] وقال على لسان أبى على بن مقلة فى وصفه ذاكرًا لفظة الجلفة : أطل الجِلْفة وحَسِّنها ، وحرف القَطْة وأيمنها[2] ، وقال أيضا ذاكرا الجلفة : وأما الشق فباعتبار الأقلام إن كان صلبا ، فيشق أكثر الجلفة ، وإن كان رخوا يكون مقدار ثلث الجلفة ، وإن كان معتدلا يتوسط[3] .

مما تقدم نجد أن لفظة بَرْى جاءت عند أبى حيان بمعنى قطع ونحت رأس القلم[4] وكذلك اللفظة قِطّ جاءت عند أبى حيان بنفس المعنى[5] الدال على تشذيب رأس القلم من أجل إعداده للخط الحسن ، فمن قواعد الخطوهندسته بَرَاية القلم[6] وجاءت لفظة القِطّ فى بعض نصوص أبى حيان بمعنى الخَطّ[7] وبمعنى الضرب[8] والمعنى الأكثر ورودا عند أبى حيان هو المعنى الخاص بقطع ونحت وشق القلم . ومن الملاحظ أن لفظة برى جاءت عند أبى حيان مرادفة للفظة قِطّ .

ومع البرى والقط ترد الألفاظ قطة وجلفة وقد جاءت بمعنى أجزاء القلم ولفظة (مقط) وهى الأداة المستعملة فى قط القلم[9] فهى إذن ألفاظ تختص بالقلم وما يتبعه من أمور تهيئه للخط الحسن .

أما التغير الدلالى فنجد أن الألفاظ قط وبرى وقطة ومقط وجلفة هى ألفاظ تخصصت دلالتها عند أبى حيان حينما اختصت بالقلم وقواعد تحضيره للكتابة . بعد أن كانت تعنى القطع عامة .

---

(1) رسالة فى علم الكتابة ص ٤١

(٢ ، ٣) رسالة فى علم الكتابة ص ٣١ .

(٤) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٠، ٤٣ .

(٥) رسالة فى علم الكتابة ص ٣١ .

(٦) صبح الأعشى للقلقشندى جـ٢ ص٤٥٢ .

(٧) رسالة فى علم الكتابة ص ٣١ .

(٨) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٣٨٩ .

(٩) رسالة فى علم الكتابة ص ٤٣ .

(٥) الدَّواة ، المِحْبَرَة ، المحابر :

لفظة **الدَّواة** من الألفاظ التى تستعمل فى الكتابة وقد جاء فى اللسان : الدَّواة ما يكتب عنها معروفة والجمع دَوىّ ودُوِىّ ، وإذا جمعت من غير عدد فهى الدَّوى[١] ، والدَّواة لا يمكن الاستغناء عنها فى العملية الكتابية ، هى رفيقة القلم فى رحلته على الورق وقد وصف القلقشندى هذه الرحلة فقال : لما خلق الله النون وهى الدَّواة وخلق القلم فقال اكتب فقال وما أكتب قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة . وهذا الخبر والأثر دالان على أن المراد بالنون فى الآية هو الدَّواة ، وإن فسره بعضهم بغير ذلك . ، إذ الدَّواة هى المناسبة فى الذكر لذكر القلم وتسطير الكتابة فى قوله تعالى : ﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾ ومن هذا نرى أن الدَّواة هى أُم آلات الكتَابة ، وسمطها الجامع لها[٢] وذكر أبو حيان الدَّواة فقال فى وصفها على لسان سهل بن هارون : « الدَّواة منهل ، والقلم وارد والكِتاب عطن »[٣] ، وهذا الوصف جاء على لسان أعرابى يصف أحمد بن أبى خالد وهو يكتب . ويذكر أبو حيان لفظة الدواة متذمرًا فيقول فى حديثه مع ابن ثوابة : أتدعو بالدواة والقرطاس وقد بليت فيهما ببلية كلمها لا يندمل عن سويداء قلبى[٤] ، وذكر أبو حيان نصًا لبعض الكُتَّاب وقد تأخر صديق له فى الكتابة إليه ، وجاءت لفظة الدواة فى هذا النص بقوله : إن كنت لا تحسن أن تكتب ولا تكاتب إخوانك فهذا كسل وإن كان ليس ذلك قرطاس ودواة فهذا سوء تدبير ، وإن اعتذرت بغير ما كتبت فهذه وقاحة[٥] ، ويقول أبو حيان فى نص له : صدق عمرو بن عبيد شيخنا

---

(١) اللسان جـ ١ ص ١٠٤٠ .

(٢) صبح الأعشى جـ ٢ ص ٤٤١ .

(٣) رسالة فى علم الكتابة ص ٤١ .

(٤) مثالب الوزيرين ص ١٦١ .

(٥) البصائر جـ ٢ ص ٦٨٧ .

وشيخ الإسلام حين يقول : ولولا أن عذرى فى تقويمك وتأديبك وتهذيبك وتربيتك يغمض على كثير ممن يسمع هذا الحديث لسلخت شواتك وكسرت على رأسك دواتك[1] ، وفى حديثه مع الوزير فى مجلس الإمتاع يورد أبو حيان لفظة الدواة فيقول : فرق الوزير عند هذا الحديث وقال : أذكرتنى أمر العلوية، وأخذ القلم واستمد من الدواة ، وكتب فى التذكرة شيئا[2] .

وفى صبح الأعشى يذكر القلقشندى وصفا كاملا للدواة وفضلها وأصلها اللغوى فيقول : وأصل الدواة فى اللغة قال أبو القاسم بن عبد العزيز : تقول العرب : دواة ودويات فى أدنى العديد وفى الكثير دُوِىّ ودِوِىّ (بضم الدال وكسرها) ، ويقال أيضا دُواء ، ودِواء (بضم الدال وكسرها) ودوايا مثل حوايا وأدويت دواة أى اتخذت دواة ، ورجل دَوّاء (بفتح الدال وتشديد الواو) إذا كان يبيعها ، كقولك عطار وبزاز[3] .

ولفظة مِحْبَرة والجمع محابر من الأدوات التى تستعمل فى الكتابة ، ويقال فللآنية التى يجعل فيها الحِبْر من خزف كان أو من قوارير : مَحْبَرَة ومحبر . ويقول صاحب اللسان أيضا عن الجوهرى : موضع الحِبْر الذى يكتب به المِحْبَرَة ، بالكسر[4] ويذكر أبو حيان المِحْبَرَة والمحابر فى أماكن متفرقة من كتاباته بمعنى أدوات الكتابة ، ففى نص له يقول أبو حيان ذاكرا لفظة محبرة : نظر بعض الأفاضل إلى رجلين أحدهما قد حمل ديكًا ليقاتل به ، والآخر قد حمل محبرة وورقا ليستفيد أدبًا[5] ، ويذكر لفظة محبرة فى وصفه للسجستانى فى نص يقول فيه : كان

---

(١) مثالب الوزيرين ص ١٧٢ .
(٢) الإمتاع جـ ٢ ص ٧٣ .
(٣) صبح الأعشى جـ ٢ ص ٤٤١ ، ويذكر القلقشندى الآلات التى تشتمل عليها الدواة وهى سبع عشرة آلة أول كل آلة ميم . انظر جـ ٢ ص ٤٤٤ .
(٤) اللسان جـ ١ ص ٥٥٠ .
(٥) البصائر جـ ٢ ص ٦٠٠ .

أبو داود السجستانى ثقة ، محدثا ، راوية ، زعموا أنه فى أيام حداثته ، وزمان طلبته للحديث وكتابته ، جلس فى مجلس بعض الرواة يكتب ، فدنا رجل إلى محبرته ، وقال له : أستمد من هذه المحبرة ؟ فالتفت إليه أبو داود فقال لا فانخزل الرجل حياء[1] ، ويقول ذاكرا لفظة **مَحابر** فى وصفه لأحدهم : دعواته ولائم ، وأقداحه محاجم ، وكؤوسه محابر ، وبوادره نوادر[2] ، ويذكر أبو حيان لفظة المحابر بقوله : حتى آلت الأمور إلى ما عرفه الصغير والكبير بأصحابه أصحاب المحابر والأقلام والكراريس[3] ، وعلى لسان أستاذه على بن عيسى الرمانى يورد التوحيدى نصًا فيقول ذاكرًا لفظة مَحابر : وكان يقول : لم أحفظ عن نفسى كل ما قلت ولكن كتب ذلك أقوام حضروا فى ألواح كانت معهم ومحابر أيضا[4] ، وعن المحبرة يقول القلقشندى فى صبح الأعشى : أما المحبرة المفردة عن الدواة فقد اختلف الناس فيها ، فمنهم من رجحها ومالوا إلى اتخاذها لخفة حملها ، وقالوا : بها يكتب القرآن والحديث والعلم . وكرهها بعضهم واستقبحها من حيث إنها آلة النَّسْخ الذى هو من أشد الحرف وأتعبها وأقلها مكسبا . ويرى أن شعبة رأى فى يد رجل محبرة فقال : ارم بها فإنها مشئومة لا يبقى معها أهل ولا ولد ولا أم ولا أب[5] .

مما تقدم نجد أن لفظة دواة المعربة عن الفارسية[6] جاءت عند أبى حيان بمعنى أداة من أدوات الكتابة[7] التى تستخدم لوضع الحبر والكتابة منها ، وبهذا المعنى الدال على موضع الحبر جاءت لفظة محبرة والجمع محابر فى نصوص عديدة من

---

(١) البصائر جـ ٢ ص ١٠٤ .
(٢) البصائر جـ ٣ ص ٤٨٨ .
(٣) مثالب الوزيرين ص ١٤٠ .
(٤) الإمتاع جـ ١ ص ١٢٨ .
(٥) صبح الأعشى جـ ٢ ص ٤٤٣ .
(٦) غرائب اللغة ، رفائيل نخلة ص ٢٢٩ .
(٧) مثالب الوزيرين ص ١٦١ ، ص ١٥٩ ، والبصائر جـ ٤ ص ٢٨ .

كتابات أبى حيان[1] ولفظة المحبرة على زنة مفعلة اسم مكان وهى ترادف لفظة الدواة عند أبى حيان .

وفى مجال التغير الدلالى نجد أن الألفاظ دواة ومحبرة ومحابر كثر استخدامها فى عصر أبى حيان ، عصر ازدهار الكتابة فهى ألفاظ حضارية تخصص معناها ، منذ بدء استخدامها اللغوى فى مجال آلات الكتابة . وبهذا تخصصت دلالات هذه الألفاظ نتيجة لتحديد موضع استعمالها ، وقد وردت عند أبى حيان وفى المعاجم بهذا المعنى الخاص بموضع الحبر فهى أم آلات الكتابة وسمطها الجامع لها .

(٦) الحبر ، المداد ، خزانة الكتب ، الخزائن :

لفظة **الحبر** ولفظة **المداد** ، ألفاظ تتردد كثيرا فى كتابات أبى حيان وهما ركن من أركان الكتابة وتدلان على أنهما من المواد التى تستخدم فى الكتابة ولا يمكن الاستغناء عنهما ، يقول صاحب اللسان : الحبر : الذى يكتب به وموضعه المِحْبَرَة بالكسر ، والحبر المداد . والحَبْر والحِبْر : العالم ذميًا كان أو مسلمًا[٢] وهناك ، نصوص لأبى حيان من رسالته علم الكتابة يقول ذاكرًا لفظة الحبر : عطروا دفاتر آدابكم بسواد الحِبر[٣] ، ويقول أيضا : نظر العتابى إلى وراق يخط فلم يرتض خطه فقال له : اغتفر رداءة خطك بسواد حبرك فإن شدة القبح أولى بشدة السواد[٤] ، ويقـول فى نص آخر ذاكرًا لفظة حبر فى حديثه عن رجل معاصر له يعرف بابن الخلال فعرف بجودة الخط : وقال المدرس بباب الطاق يوما

---

(١) البصائر جـ ٣ ص ٤٨٨ ، جـ ٢ ص ١٠٤ ، ومثالب الوزيرين ص ١٤٠ ، والصداقة والصديق ص ٢٤ .

(٢) اللسان جـ ١ ص ٥٥ .

(٣ ، ٤) رسالة فى علم الكتابة ص ٤٤ .

لابن الخلال الوراق : الخط بالحبر فى الجملة مفسدة[1] ، ولفظة المداد التى جاءت فى أماكن كثيرة من كتابات أبى حيان وخاصة فى رسالته علم الكتابة . وقد جاء فى اللسان المداد : النفس . والمداد : الذى يكتب به . وكل شىء امتلأ وارتفع فقد مدّ . ومد الدواة وأمدها ؟ : زاد فى مائها . ونفسها ، ومدها وأمدها : جعل فيها مدادا ، وكذلك مد القلم وأمده . وسمى المداد مِدادا لإمداده الكاتب من قولهم أمددت الجيش بمدد[2] .

يقول أبو حيان ذاكرا المداد : صورة المداد فى الأبصار سوداء ، لكنها فى البصائر بيضاء[3] ، وعلى لسان سعيد بن حميد الكاتب يورد أبو حيان نصا ذاكرا فيه لفظة المداد فيقول : قال سعيد بن حميد الكاتب : من أدب الكاتب أن يأخذ العلم فى أصلح أجزائه وأبعد ما يمكن من موضع المداد فيه ، ويعطيه من أرض القرطاس خطه[4] ، وعن المأمون يذكر أبو حيان هذا القول موردًا لفظة المداد فى قوله : وقال المأمون : كواكب الحكم فى ظلم المداد[5] ، ومما تقدم من النصوص السابقة يتبين أن الحبر هو المداد لأن كليهما أسود قاتم وهذا ما أكده صاحب اللسان ، قال القلقشندى فى تعريفه للمداد : أسود قاتم ، وهو أول درجة السواد ، وحالك حانك ، وحلوك وحلبوب ، وداج ، ودجوجى وديجور وأدهم ، ومدّهام والمداد ركن من أركان الكتابة وعليه مدار الربع منها[6] ، ويقول القلقشندى : وأما الحِبْر فأصله اللون ، يقال فلان ناصح الحبر يراد به اللون الخالص الصافى من كل شىء ، ويقال : على أسنانه حِبْر إذا كثرت صفرتها حتى صارت تضرب إلى السواد ، والحِبْر : الأثر يبقى فى الجلد[7] .

---

(١) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٤ .
(٢) اللسان جـ ٣ ص ٤٥٣ .
(٣) رسالة فى علم الكتابة ص ٤٠ .
(٤، ٥) رسالة فى علم الكتابة ص ٤٤ .
(٦) صبح الأعشى جـ ٢ ص ٤٧٤ .
(٧) صبح الأعشى جـ ٢ ص ٤٧١ .

ويذكر أبو حيان نصًا يفسر فيه لفظة المداد تفسيرا فلسفيا ، فيقول : قال أرسطاطاليس : القلم العلة الفاعلة ، والمداد العلة العنصريّة ، والخط العلة الصورية ، والبلاغة العلة التماميّة[1] ، وبعد الحِبْر والمِداد ترد لفظة الخِزانة والجمع خزائن وهذه الألفاظ تدخل مجال كلامنا عن الأدوات الكتابية ، مع العلم أنها ليست من الأدوات التى تستعمل فى الكتابة إلا أنها تعتبر من الأدوات المكتبية التى تحفظ لنا هذه المجاميع من الكتب التى زخرت بها المكتبات فى عصر ازدهار الثقافة عصر الحضارة العباسية ، وكان أكبر مكتبة نُقل إلينا خبرها فى ذلك العصر خزانة الحكمة أو بيت الحكمة[2] ، وقد جاء فى اللسان معنى الخزانة هو اسم الموضع الذى يخزن فيه الشيء والخِزانة واحدة الخزائن[3] ، وفى نصوص من كتابات أبى حيان ، يذكر فيها لفظة الخِزانة والجمع الخَزائن بمعنى موضع الكتب فيقول : لو وضع فى خِزانة الكتب للوقف شيء من الطب لكان ذاك بابًا من المنافع الحاضرة[4] ، وقال عن خِزانة الصاحب : قدم إلى نجاح الخادم ، وكان ينظر فى خزانة ثلاثين مُجَلَّدة من رسائله[5] . ويقول أبو حيان ذاكرا لفظة خزانة بمعنى خِزانة الكتب فى حديثه عن مسكويه وعمله بالإشراف على مكتبة الصاحب : وأما مسكويه ففقير بين أغنياء ولكنه كان مفتونا بكتب أبى زكريا وجابر بن حيان ، ومع هذا كان إليه خدمة صاحبه فى خزانة كتبه[6] ، وترد لفظة الجمع خزائن فى نص لأبى حيان يقول فيه : وأما عيسى بن على فله الذرع الواسع والصدر الرحيب فى العبارة ، وقد تصفح مالم يتصفح كثير من هذه الجماعة،

---

(١) رسالة فى علم الكتابة ص ٤٢ .

(٢) ضحى الإسلام جـ ٢ ص ٦١ .

(٣) اللسان جـ ١ ص ٨٢٨ .

(٤) مثالب الوزيرين ص ٨٠ .

(٥) مثالب الوزيرين ص ٢٧٨ .

(٦) الإمتاع جـ ١ ص ٣٥ .

وقلب بخزائن الكبراء والسادات[1] .

يقول آدم ميتز معقبا على استخدام لفظة خزانة : كانت دار الكتب قديما تسمى خزانة الحكمة ، وهى خزانة الكتب ليس غير ، أما المؤسسات الجديدة فتسمى دور العلم ، وخزانة الكتب جزء منها[2] .

مما تقدم نجد أن لفظة حِبْر جاءت عند أبى حيان بمعنى المادة التى يكتب بها[3] ، وهذه اللفظة ذكرها صاحب اللسان بمعان متعددة لم ترد عند أبى حيان . ولفظة المِداد جاءت عند أبى حيان بنفس معنى الحِبْر أى المادة التى يكتب بها[4] فالحبر والمداد لفظتان مترادفتان لمعنى واحد وهو ما يكتب به ، أى أداة من أدوات الكتابة .

ولفظة خزانة والجمع خزائن جاءت عند أبى حيان بمعنى الموضع والمواضع المخصصة لحفظ الكتب[5] وهذا المعنى الاصطلاحي الخاص بالكتب ومواضعها لم يتطرق له صاحب اللسان عند تعريفه للفظة الخزانة ..

أما التغير الدلالى فنجد أن لفظة مِداد ولفظة الحِبْر مرتبطتان بالمادة التى يكتب بها ، فالمِداد سمى بذلك لأنه يمد القلم أى يعينه ، والحِبْر أصلهِ للون الخالص الصافى السواد فمن تسميتهما يتضح استعمالهما فى مجال الكتابة ، وهذا الاستخدام أدى إلى تخصيص دلالة هاتين اللفظتين فى عصر ازدهار الكتابة ورواج الكتب .

---

(١) الإمتاع جـ ١ ص ٣٦ .
(٢) الحضارة الإسلامية آدم ميتز ، جـ ٢ ص ٣٣٠ .
(٣) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٤ ، ٤٤ . (٤) رسالة فى علم الكتابة ص ٤٠ ، ص ٤٢ .
(٥) مثالب الوزيرين ص ٨٠ ، ص ١٢٦ ، ص ٢٧٨ ، والإمتاع جـ ١ ص ٣٦ .

أما لفظة خِزانة والجمع خزائن فقد انتقلت دلالتها فى عصر أبى حيان من مجال إلى آخر ففى البدء كانت تستعمل الخزانة للدلالة على موضع حفظ الأشياء وفى عصر أبى حيان أصبحت تستعمل للدلالة على موضع حفظ الكتب ، فانتقل مجال الدلالة من مجال مادى إلى مجال مادى آخر مع اشتراك الدلالتين بجزء من المعنى وهو الحفظ . واتساع فى الدلالة ملحوظ فى ذلك العصر عصر ازدهار الثقافة .

* * *

(٣) الألفاظ الخاصة بالخط وتوابعه :

الألفاظ الخاصة بالخط وأنواعه وتوابعه (٢٢) كلمة وهى :

التبيض ، التحديق ، التحقيق ، التحويق ، التخريق ، التدقيق ، التسويد ، التشقيق ، التعريق ، التفريق ، التنسيق ، التوفيق ، الخط ، الخطوط ، الرسم ، الرسوم ، المخاطيط ، المخطوط ، المراسم ، المرسوم ، المرسومات ، المسودة .

وفيما يلى جدول بشيوع الألفاظ الخاصة بالخط وتوابعه فى مؤلفات أبى حيان التوحيدى :

الكلمة	عدد مرات الورود	الكلمة	عدد مرات الورود
الخط	٨٠	التشقيق	٢
الرسم	٢٣	التعريق	٢
الرسوم	٢٣	التفريق	٢
الخطوط	٨	التنسيق	٢
المراسم	٣	التوفيق	٢
المسودة	٣	التبيض	١
المرسوم	٢	التسويد	١
التحديق	٢	المخطوط	١
التحقيق	٢	المخاطيط	١
التحويق	٢	المرسومات	١
التخريق	٢		
		المجموع	٢٢

وتقسم هذه المجموعة من حيث دلالة ألفاظها إلى ست مجموعات :

ألفاظ خاصة بالخط والكتابة ، وألفاظ خاصة بالخطوط العربية ، وألفاظ خاصة بأقسام الخط ومعانيه ، وألفاظ خاصة بالخطوط الهندسية ، وألفاظ خاصة بالرسم ، وألفاظ خاصة بالتسويد والتبيض .

ثالثا : الخط

تناولت الكلمات الدالة على الخط فى مؤلفات التوحيدى عدة مجالات ، فهو يفرق بين الخط والكتابة ثم يتناول أنواع الخطوط ، ويستخدم كلمة خط والجمع خطوط مصطلحا هندسيا أيضا ، ومنها مشتقات كثيرة مثل مخطوط ومخاطيط وأفاد أيضا من الألفاظ تحقيق وتحديق وتخريق وتحويق وتشقيق وتدقيق وتفريق وأيضا رسم ورسوم ومرسوم ومرسومات ومراسم وتسويد ومسودة وتبيض .

(١) الخط ، الكتابة :

يقول صاحب اللسان : الخَطّ : الطريقة المستطيلة فى الشيء ، والخَطّ : الكتابة ونحوها مما يخط . والخَطّ : الطريق . وخَطّ القلم أى كتب[١] ، ويقول أبو حيان فى تعريفه للخط وأما الخط : فيما يخط الكاتب ، والفرق بين الكتابة والخطّ أن الخط قد يكون كتابة ، والكتابة لا تكون خطًّا[٢] وعن **الخطّ** وفضله يذكر لنا أبو حيان فى كتاباته أقوالًا وتعريفات ترد على لسان معاصريه أو من سبقهم من السلف ففى نصوص من رسالته علم الكتابة يقول أبو حيان : وإن ذهبت أحكى جميع ما وعيت من سادة هذا الشأن ، وكبراء هذه الصناعة طال وكثر ، وأروى لك فى هذا الجزء فِقَرًا للحكماء والعلماء تتصل بوصف الخَطّ[٣] ، ويذكر أبو حيان ما قاله السلف فى وصفهم للخَطّ فيقول : قال :

---

(١) اللسان جـ ١ ص ٨٥٨ . (٢) البصائر جـ ٢ ص ٣٨٩ .

(٣) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٧، ٣٨، ٣٩ .

بعض السلف : الخَطّ الحسن يزيد الحق وضوحًا[1] ويقول هشام بن الحكم : الخَطّ حلى تصوغه اليد من تبر العقل[2] ويقول المأمون : الخط روضة العلم[3] ، ويقول أبو حيان : وسمعت ابن المرزبان الكاتب البليغ يقول : الخَطّ هندسة صعبة ، وصناعة شاقة[4] هذا بعض ما ذكره أبو حيان فى رسالته المعنونة بعلم الكتابة ، وهناك الكثير من الأقوال لا يمكن ذكر أماكن ورودها ، ولكن سوف أذكر بعض ما جاء فى كتاباته الأخرى وصفا للخَطّ . يقول أبو حيان فى البصائر : وصف أحمد بن إسماعيل خَطًّا فقال : لو كان نباتا لكان زهرًا ، ولو كان معدنا لكان تبرًا[5] ، ويقول أبو حيان : قال جعفر بن يحيى واصفا الخَطّ : الخط سمط الحكمة ، بل تفصل شذورها ، وينتظم منثورها[6] ، وذكر أبو حيان لفظ الجمع خطوط فقال : قال أبو العيناء : الخطوط رياض العلوم[7] .

(٢) أنواع الخطوط : الإسماعيلى ، المكى ، المدنى ... الخ :

وبعد أن تعرفنا على لفظة الخط ننتقل مع نصوص أبى حيان فى حديثه عن أنواع الخطوط العربية فيقول : أنواع الخطوط العربية : الإسماعيلىّ ، والمكىّ والمدنىّ ، والأندلسىّ ، والشامىّ ، والعراقىّ ، والعباسىّ ، والبغدادىّ ، والـمُشَعَّب ، والريحانىّ ، والمُجرد ، والمصرى[8] ، وهذه الأنواع من الخطوط العربية كانت تشتمل على قواعد الخَطّ الكوفى بأنواعه وقد حددها التوحيدى باثنتى عشرة قاعدة[9]

(١ ، ٢) رسالة فى علم الكتابة ص٣٧،٣٨،٣٩.
(٣) رسالة فى علم الكتابة ص ٤١ .
(٤) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٩ .
(٥) البصائر جـ ٢ ص ٣٨٩ .
(٦) البصائر جـ ٢ ص ٤٤٠ .
(٧) البصائر جـ ٢ ص ٤٤٠ .
(٨) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٠ .
(٩) رسالة فى علم الكتابة ص ٢٩ .

حسب ما جاء ذكرها فى النص السابق، ويقول أبو حيان : إن هذه هى الخطوط العربية التى كان منها ما هو مستعمل قديما ، ومنها قريبة الحدوث أما هذه الطرائف المستنبطة فهى مروية عن الصحابة حتى اتصلت بابن مقلة وياقوت وغيرهم وهم تفننوا فيها بحسب اجتهادهم[1] .

وعن ابن مقلة أستاذ الخَطّ العربى وهو الذى يعتبر حجة فى علم الخَطّ فى وضعه للحروف وهندستها وقواعد كتابتها ومعرفة اعتبار صحتها[2] ، يقول أبو حيان فى حديث له مع الكاتب أبى عبد الله بن الزنجى عن خَطّ ابن مقلة : ذاك نَبىّ فيه أفرغ الخط فى يده كما أوحى إلى النحل فى تسديس بيوته[3] ، ويقول أبو حيان عن ابن مقلة وآخرين غيره ممن برعوا فى الخط وأجادوا فيه ، ووضعوا له القواعد وشرحوا أقسامه وفصلوا فنونه : وأما الخط فابن مقلة ، وابن أبى خالد ، والبربرى ومن تقدم وتأخر أعطوك الضمة فيه[4]،وفى نص آخر يقول عن أحد معاصريه: وأما أبو طاهر الوراق فإنه رُتْبة فى النَّسْخ،وكان قوى الخط، كثير الصبر على النقل[5].

(٣) الخط المحقق والغليظ والوسط والدقيق ، التحقيق ، التحديق ، التحويق، التخريق ، التشقيق ، التدقيق :

وعن أقسام الخط يقول أبو حيان : سمعت الأعسر الخَطّاط أبا الحسن يقول : الخط أربعة أقسام : فالأول هو المحقق بالقلم الغليظ ، والوسط ، والدقيق ، محرفا أو مقوما ، ثم الشبيه به فيها[6] ، وهذا التقسيم أوجزه القلقشندى بقوله : أقسام الخَطّ حسب تقسيم أهل الصناعة إلى قسمين محقق ، ومطلق[7] ، ومن شدة

---

(١) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٠ .
(٢) صبح الأعشى جـ ٣ ص ٢٣ .
(٣) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٧ .
(٤) مثالب الوزيرين ص ٢١٩ .
(٥) مثالب الوزيرين ص ٢٢٩ .
(٦) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٣ .
(٧) صبح الأعشى جـ ٣ ص ٢٢ .

اهتمام أبى حيان بالخَطّ وفنونه نراه يكثر بالأسئلة والاستفسارات عن هذا العِلْم ويجد الإجابة عند المتخصصين من معاصريه الذين اشتهروا بأقلامهم البارعة وخطوطهم اليانعة(١) وردًا على سؤال أبى حيان عن أصلح الخطوط وأكثرها استيفاء للشروط المتبعة فى قواعد الخط ، يقول أبو عبد الله بن الزنجى الكاتب : أصلحُ الخطوط وأجمعها لأكثر الشروط ما عليه أصحابنا بالعراق(٢) ، ولا يكتفى أبو حيان بهذا الرد ويوجه سؤاله إلى أبى الجمل–وقد مر ذكره فى أماكن متعددة من كتابات التوحيدى–بأى صفات تميّز خط أهل العراق ولم تفوق على غيره ؟ فيرد عليه صاحبه قائلا : بما لا يخفى على ذى حِسّ ، ولا يحتاج فيه إلى شك وحدس ، خط أصحابنا سفر ناضر ، وخط أهل الجبل كمد ، جاف عليه نبو ، وإذا اتفق فيه قويم كان كالخطأ فى طى الصواب ثم لا يكون ذلك رونقًا لتأهب الحروف الباقية . وكل شيء مستغرق فى أشياء فلا بهجة له(٣) . ومعانى الخط يحددها أبو حيان بقوله : يحتاج الكاتب إلى سبعة معانٍ : الخط المجرد بالتَّحقِيق ، والمحلى بالتحدِيق والمُجَمل بالتحوِيق ، والمزين بالتخريق ، والمحسن بالتشقيق ، والمجاد بالتدقيق والمميِّز بالتفريق فهذه أصوله وقواعده المتضمنة لفنونه وفروعه وكل قلم يظهر له العمل على قدره(٤) ، ثم يفصل أبو حيان معانى هذه المصطلحات الكتابية فيقول : أما المجرد بالتحقيق فإبانة الحروف كلها منثورها ومنظومها ، مفصلها وموصلها ، بمدَّاتها وقصراتها ، وتفريجاتها وتعريجاتها(٥) هذا ما يعم الحروف كلها عما ، وأما ما يختص واحدا واحدا منها فسأقوله على إثر هذا(٦)، ثم يشرح تلك المصطلحات التى ذكرها فى نصه الذى حدد فيه معانى الخط فيقول:

---

(١) رسالة علم الكتابة ص ٢٩ .

(٢) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٧ .

(٣) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٧ .

(٤،٥) رسالة فى علم الكتابة ص ٣١ .

(٦) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٢ .

وأما المراد **بالتحديق** فإقامة الحاء والخاء والجيم وما أشبهها على تبيض أوساطها ، محفوظة عليها من تحتها وفوقها وأطرافها كانت مخلوطة بغيرها أو بارزة عنها حتى تكون كالأحداق المفتحة[1] ، ويعرف أبو حيان مصطلح **التحويق** فيقول : وأما المراد بالتحويق فإدارة الواوات والفاءات والقافات وما أشبهها مصدرة وموسطة ومذنبة[2] . وعن مصطلح التخريق يقول أبو حيان : وأما المراد **بالتخريق** فتفتيح وجوه الهاء والعين والغين وما أشبهها كيفما وقعت أفرادا وأزواجا بما يدل الحس الضعيف على اتضاحها وانفتاحها[3] ، والتعريق يعرفه أبو حيان فيقول : المراد بالتعريق إبراز النون والياء وما أشبهها مما يقع فى أعجاز الكلمة مثل من وعن وفى وقى وإلى وعلى بما يكون كالمنسوج على منوال واحد[4] ، ويفسر لفظة **التشقيق** فى هذا المجال فيقول : وأما المراد بالتشقيق فتكتف الصاد والضاد والكاف والطاء والظاء ، وما أشبه ذلك مما يحفظ عليها التناسب والتساوى[5]، ولنا عودة إلى لفظة التشقيق فى مجال الألفاظ اللغوية عند الحديث عن الاشتقاق وعن التنسيق يقول أبو حيان: هو تعميم الحروف كلها مفصولها وموصولها بالتصفية، وحياطتها من التفاوت فى التأدية ونقض العناية عليها بالتسوية[6]، وعن مصطلح التوفيق يقول أبو حيان: بأنه حفظ الاستقامة فى السطور من أوائلها وأواسطها وأواخرها وأسافلها وأعاليها بما يفيدها وفاقًا لا خلافًا[7] ومصطلح **التدقيق** يعرفه أبو حيان فيقول: المراد بالتدقيق تحديد أذناب الحروف بإرسال اليد، واعتمال سن القلم وإدارته، مرة بصده، ومرة بسيفه، ومرة بالاتكاء، ومرة بالإرخاء، بما يضيف إليها بهجة ونورا[8]، ويشرح مصطلح **التفريق** فيقول: المراد **بالتفريق** فحفظ الحروف من مزاحمة بعضها لبعض، وملابسة أول منها لآخر ليكون كل حرف منها مفارقا لصاحبه بالبدن مجامعا بالشكل الأحسن[9].

(١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦)رسالة فى علم الكتابة ص ٣٢ .

(٧) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٣ . (٨، ٩) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٣ .

(٤) الخطوط فى الهندسة :

ولفظة الخَطّ والجمع الخطوط وردت عند أبى حيان بمعنى المصطلح الهندسى ذى البعد الواحد وهو الطول ، وفى هذا المعنى الدال على المصطلح الهندسى يذكر أبو حيان لفظة **الخط** فى وصفه لحديث الصاحب مع أبى يحيى عن الهندسة فيقول : أخرج أبو يحيى من كمه ميلا عظيمًا وقال : إنى أخط به الهندسة ، وإن هذا الخط طول بلا عرض ، فقلت له : ما خططت الخط ، وأخبرت ، أنه طول بلا عرض إلا ضله بالصراط المستقيم لتزل قدمى عنه ، أعوذ بالله ، وأبرأ إليه من الهندسة[١] ، ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الخطوط بمعناها الهندسى : الهندسة صناعة معرفة المقادير وطبائعها ، وحدودها وما يقع تحتها من أجزائها وأشخاصها والمقادير هى الأشياء ذوات الأبعاد ، وهى ثلاثة : خطوط وبسائط ، وأجسام[٢] ويقول أيضا ذاكرًا لفظة خُطوط بهذا المعنى الهندسى وذلك فى وصفه لعمل المهندس بأنه : الباحث عن مقادير الأشياء ، ونقطها وخطوطها وسطوحها وأجسامها وأضلاعها وزواياها ومقاطعها[٣] .

ونجد عند الخُوارزمى شرحًا مفصلًا للفظة الخط بالمعنى الهندسى أى أنه مصطلح هندسى فهو المقدار ذو البعد الواحد وهو الطول فقط ولا يمكن رؤيته إلا مع البسيط لأنه نهايته فأما على الانفراد فإنه لا يدرك بالوهم فقط ونهايتا الخط النقطتان[٤] ، وترد لفظة الخطوط عند أبى حيان فى مجال حديثه عن الكلام وتراكيبه ووصفه لهذا الكلام وكأنه بناء معمارى ، لعبت به يد مهندس ماهر

(١) مثالب الوزيرين ص ١٦٢ .
(٢) المقابسات ص ٣٩٢ .
(٣) الإمتاع جـ ٢ ص ٧ .
(٤) مفاتيح العلوم للخوارزمى ص١١٨ .

صاغ من الألفاظ كلاما ، كما يصمم الأشكال الهندسية ويقول أبو حيان فى نصه هذا : وكلما كانت هذه الرسوم أتم وأحسن ، والكلمات أبهى وأبين ، كان التحريك ألطف والإدراك أشرف ، ولهذا ما يضرب عن بيان إلى بيان ، ويؤثر كلام على كلام ومثال هذا التحريك وهذا التحرك حاضر من الأشكال والخطوط والصور والنقوش[1] .

وفى مجال حديثنا عن الخَطّ والخطوط نذكر بعض الألفاظ التى ذكرها التوحيدى فى كتاباته مثل **مخاطيط ومخطوط** وصور خطيّة وهذه الألفاظ وردت عند أبى حيان بمعنى الخطوط الكتابية ، وإن كانت اشتقاقات مختلفة فهى تؤدى إلى مادة واحدة وهى « خَطّ » فلفظة مخَاطيط ذكرها أبو حيان بمعنى خطوط الرسوم ، وفى وصفه لرسالته رسالة الحياة يقول : اعلم أن الناظر فى هذا الكتاب رجلان : رجل ينظر إلى الأشياء ، ورجل ينظر فى الأشياء . فالأول يحار فيها لأن صورها وأشكالها ومخاطيطها تستفرغ ذهنه وتستملك حسه[2] ، وذكر لفظة مخطوط بمعنى مكتوب فقال : يشقق الكلام بين ضروب النثر وأصناف النظم ، وليس هذا للطبيعة ، بل الذى يستند إليها من الكلام ما كان حلوا : فى السمع ، خفيفا على القلب ، وبينه وبين الحق صلة ، وبين الصواب وبينه آصرة ، وحكمها مَخْطُوط بإملاء النفس[3] ، وذكر اصطلاح الصور الخطيّة فقال : فإن الحركات إذا تمثلت بالحروف ، والحروف إذا اندفنت بالحركات كانت الصور الخطيّة والحروف الشكليّة محفوظة الأعيان بامتلائها بهما[4] .

---

(١) المقابسات ص ١٦٢ .

(٢) رسالة الحياة ص ٧٦ .

(٣) المقابسات ص ٢٤٠ .

(٤) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٤ .

مما تقدم نجد أن لفظة خط والجمع خطوط جاءت عند أبى حيان بأكثر من معنى . فقد جاءت بالمعنى الدال على الكتابة الخطيّة[1] أى الرسوم والأشكال الحرفية التى تدل على الكلمات المسموعة[2] وجاءت بمعنى هندسى يدل على بعد من أبعاد الجسم وهو الطول[3] ، وهذا المعنى استحدث فى عصر ازدهار العلوم ، واستخدمه أبو حيان فى كتاباته ، ولم يشر له صاحب اللسان عند تناوله للمادة « خطط » وظاهرة تعدد المعنى للفظة الخَطّ واضحة فى نصوص أبى حيان .

وهناك بعض الاشتقاقات التى ذكرها أبو حيان فى كتاباته من المادة « خَطّ » مثل مخطوط بمعنى مكتوب[4] ومخاطيط بمعنى رسوم وكتابات لأشكال الحروف[5] وهاتان اللفظتان تعتبران جديدتين معنى ومبنى عند أبى حيان لأنهما لم تردا فى اللسان . أما فى مجال التغير الدلالى فنجد أن دلالة لفظة خَطّ والجمع خُطوط قد انتقلت من مجال مادى إلى مجال مادى آخر فى استخدامها اللغوى . فقد كانت فى البداية تستعمل للدلالة على الطريقة المستطيلة فى الشيء ، ثم انتقلت إلى الطريقة المستطيلة فى القرطاس للدلالة على الخط والكتابة ، فأدى هذا إلى انتقال الدلالة من مجال مادى إلى مجال مادى مع اشتراك الدلالتين بجزء من المعنى وهو الاستطالة .

ونجد أحيانا تختص لفظة الخَطّ عند أبى حيان بوصفها بألفاظ مثل الكوفىّ والبغدادىّ والأندلسىّ وغيرها من الألفاظ الأخرى التى تدل على أنواع الخط

---

(١) مثالب الوزيرين ص ٣٥٨ وانظر رسالة فى علم الكتابة ص ٤١ ، ص ٤٢ ، ص ٤٣ . ص ٤٤ ، ص ٢٩ ، ص ٣٠ ... الخ ، وانظر البصائر جـ ٢ ص ٤٤٠ .

(٢) المقدمة لابن خلدون ص ٤١٧ .

(٣) الإمتاع جـ ٢ ص ٧ ، وانظر المقابسات ص ٣٩٢ ، والمثالب للوزيرين ص ١٦٢ .

(٤) المقابسات ص ٢٤٠ .

(٥) رسالة الحياة ص ٧٦ .

وأشكاله وباقتران لفظة الخط بهذه الألفاظ تتخصص دلالتها بتحديدها بنوع معين من أنواع الخط .

(٥) الرَّسْم ، الرسوم ، مرسوم ، مرسومات ، مراسم :

يقول صاحب اللسان : الرَّسم : **الأثر** ، وقيل بقية **الأثر** ، وقيل : هو ما ليس له شخص من الآثار ، وقيل : هو ما لصق بالأرض منها . ورَسَم الدار : ما كان من آثارها لاصقا بالأرض ، والجمع أرسم ورُسُوم . ورَسْم الغيث الدار : عفاها وأبقى فيها أثرًا لاصقا بالأرض . وترسم الرَّسْم : نظر إليه[1] ويقول صاحب التاج : ومن المجاز رَسَم له كذا أى أمره به فارتسم امتثل ، وتَرَسَّم هذه القصيدة أى ادرسها وتذكرها وتبصرها . ورَسَم على كذا كتب . ورَسَم نحوه رسمًا ذهب إليه سريعا وراسِم اسم وطعام مرسوم مختوم ، والمرسوم كتاب مطبوع والجمع مراسيم[2] ويقول التهانوى فى كشافه : الرَّسم فى اللغة العلامة . وعند المنطقيين قسم من المعرف مقابل للحدّ ، وعند الأصوليين أخص من الحد لأنه قسم منه ، وعند الصوفيّة هو العادة . وفى اصطلاحات الصوفية : الرَّسم هو الخلق وصفاته ، لأن الرسوم هى الآثار وكل ما سوى الله آثاره الناشئة من أفعاله[3] ، . وترد لفظة **الرَّسم** والجمع **رُسوم** فى كتابات أبى حيانْ بمعانٍ أكثرها أوردتها المعاجم فى تعريفها للفظة الرسم ومن المعانى التى ذكرها أبو حيان للفظة الرسم والجمع رسوم بمعنى الخط والكتابة وفى هذا المعنى يقول أبو حيان فى رسالته المسماة علم الكتابة : سمعت ابن الزهرى يقول : من حقّق الحروف المفصلة تحقيقًا ثم وصل

---

(١) اللسان جـ ١ ص ١١٦٧ . (٢) تاج العروس جـ ٨ ص ٣١٢ .

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى جـ ٢ ص ٨٠ .

الاثنين بالثالث ثم وصل الثلاثة بالرابع على هذا إلى آخر متصل بالكلمة ، رجوت له أن يبلغ من رسم الخط الذروة العالية[1] ، وترد لفظة الرَّسم بمعنى الكتابة فى نص لأبى حيان أورده فى مقدمة كتابه البصائر والذخائر فقال فى هذه المقدمة : ثبت - أطال الله بقاءك - الرأى بعد المخض والاستخارة ، وصح العزم بعد التنقيح والاستشارة على نقل جميع ما فى ديوان السماع ، ورسم ما أحاطت به الرواية . منذ عام خمسين وثلاثمائة[2] وترد لفظة رسم أيضا بمعنى الكتابة فى نص من مثالب الوزيرين يقول فيه أبو حيان : على أنى قد سترت كثيرا من مخازيه إما هربا من الإطالة أو صيانة للقلم من رسم الفواحش[3] وترد لفظة رسم عند أبى حيان بمعنى النظم والديباجة وفى هذا المعنى يقول عن الصاحب : وكان جل حسده لمن كتب فاحش الخط وأجاد اللفظ ، وتأتى للرسم ، وملح فى الاستعارة[4] ، ويقول أيضا بهذا المعنى ذاكرا لفظة الرسم : ونصل الكلام بما تلاه من هذه الحروف ، ثم نخرج إلى ما جرى الرسم به من النثر والنظم[5] . وترد لفظة الرسم أيضا فى نص آخر لأبى حيان بمعنى الخط ، والأثر والعلامة وفى هذا النص يقول أبو حيان : فإن تباعد عن منال فهمك ، وغمر عقلك ، فارجع إلى نقصك فى تعرف رسم الحق ، تجد منه نفس الحق ، وليكن ذلك الرسم خط كاتب وخط كاتب أما ترى أيها المعتبر أن هذا الكاتب يماثل خط هذا الكاتب من جهة الاختيار حين أدى هذا أعيان حروف ذاك[6] ولاح لك السر الذى به يكون اختيار مبطنا بالاضطرار فى هذا الرَّسْمْ الحاوى متنى الخط فى حال[7] ، ويذكر أبو حيان لفظة الرَّسم بمعنى

---

(١) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٥ .

(٢) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣ .

(٣) مثالب الوزيرين ص ٣٢٥ .

(٤) مثالب الوزيرين ص ٨٢ .

(٥) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٣٨٨ .

(٦) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١٩٠ .

(٧) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١٩١ .

العلامة وهذا هو المعنى اللغوى للرسم فيقول قال الإسكندر : ليس من آيين الملك استراق الظفر ، آيين لفظ فارسى يراد به السيرة ، والصورة ، والزى والرسم ، وما تعرفه العرب[1] ، ويقول أبو حيان أيضا ذاكرًا لفظة الرسم بمعنى العلامة : العاشق والمعشوق ليسا من الصديق ، والصديق وإن كانوا يتشابهون ببعض الأخلاق ، ويتلاقون فى بعض الأحوال ، فليكن هذا الرسم كافيا محفوظا فإن المغالطة قد تقع[2] ولفظة الرسوم ترد عند أبى حيان بمعنى العلامات والآثار وذلك فى قوله : ولست آسى على فائت ، فإنى أحرزت قصبى منه ، وإنما تحركنى رُسُومها الباقية فى نفسى[3] .

وترد لفظة رُسُوم بمعنى العلامات والإشارات وفى هذا المعنى يقول أبو حيان فى مناجاته : وسؤالي لا يقف على منهج واحد ، وذلك لأنى أظهر تارة بالرسوم وأنازعك فيها المعانى ، وتارة أدعى لك المعانى وأطالبك فيها بالحقائق[4] .

ولفظة الرسم ترد فى بعض نصوص أبى حيان بمعنى الأثر أو الشكل وفى هذا يقول أبو حيان واصفًا الجزء الرابع من كتابه البصائر والذخائر : هذا أيدك الله آخر الجزء الثالث ، وقد حوى من فِقَر البلغاء ونوادر الأدباء ومحاسن النساك والحكماء ، فأسال الله أن ينفعك ، والرابع يتلوه على رَسْمه[5] ، وترد لفظة رَسْم بمعنى العادة ، وفى نص من كتاب البصائر يقول أبو حيان موردًا لفظة الرَّسم بهذا المعنى : قال بعض تجار البحر : حملنا مرة متاعا إلى الصين من الأبلة وكان قد اجتمع ركب فيه عشر سفن قال : ومن رَسْمنا إذا توجهنا فى مثل هذا الوجه أن نأخذ قومًا ضعفاء[6] ، ويقول أبو حيان فى البصائر أيضا ذاكرًا لفظة الرَّسم بمعنى

---

(١) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١٠٤ .
(٢) الصداقة والصديق ص ١٣٠ .
(٣) الإشارات الإلهية ص ٤٠٣ .
(٤) الإشارات الإلهية ص ٤٠٧ .
(٥) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٦٨٣ .
(٦) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٤٧٢ .

العادة : كان إبراهيم بن العباس الصولى بخيلا على الطعام فجلست معه جارية فى بعض الأيام على المائدة ، والخبز مفرق فقالت : ياسيدى ، إبراهيم بن ميمون صديق لك ؟ قال نعم وما سؤالك عنه ، قالت : أستعير منه بغلًا من بغال البريد أدور عليه خلف هذا الخبز ، فخجل وغير الرسم[1] ، وترد لفظة رسم ، ورسوم فى كتابات أبى حيان بمعنى مقدار من المال يفرض على الأشخاص كضريبة أو يمنح لهم كمنحة وعطية وبهذا المعنى يقول أبو حيان موردا لفظة الرسم فى قوله : فلما وصل إليه ذلك الرسم–وهو مائة دينار–وحاجته ماسة إلى رغيف وعن وجه غدائه وعشائه عاش[2] ، ويقول أبو حيان أيضا ذاكرا لفظة الرسم بهذا المعنى فى وصفه للصاحب : وروى فى مجلسه يوما ابن ثابت البغدادى حكاية للخليل فأحسن سياقها وإمرارها ، فحجبه أياما وأخر عنه رسمه[3] .

ولفظة رسوم ترد بمعنى المال المفروض على الشعب مثل ضريبة الخراج ، وفى هذا المعنى يقول أبو حيان فى نصوصه : وجب أن يعتقد أن ذاك عن كفاية فى الصناعة وحذق فى العمل ، وسعة علم بالكتابة الديوانيّة ، والرسوم الخراجيّة[4] ، ويذكر أبو حيان لفظة رسوم أيضا بمعنى الضرائب المالية قائلا : إلى غير ذلك من الأمور المحتاجة إلى المُكاتبات البالغة على الرسوم المعتادة والعادات الجارية كعهد ينشأ فى إصلاح البريد ، وتقسيط الشرب[5] ، ويذكر أبو حيان لفظة الرسم بمعنى التقليد والعادة فيقول : نفذ أبو بكر ومعه آخر يشهد التبليغ والأداء ويسمع الجواب والابتداء على رسم كان معهودا فى مثل هذا الباب[6] ، ويذكر أبو حيان فى كتاباته لفظة الرسم والرسوم بالمعانى التى وردت عند المنطقيين والأصوليين

---

(١) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣٢٤ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٣١ .
(٣) مثالب الوزيرين ص ١٤٨ .
(٤) مثالب الوزيرين ص ١٤٦ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٩٩ .
(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١٤٨ .

والصوفية . فلفظة الرسم ترد فى نص لأبى حيان بالمعنى الذى تعارف عليه المنطقيون وهو مقابل للحد وفى هذا المعنى يقول أبو حيان فى مقابساته : واجب أن يكون الفلك محيطا بالأرض ، وممتنع أن يكون المركز محيطا بالفلك ، وممكن أن يركب الأمير غدًا . فلو كان الإمكان حدا غير مؤتلف مما تقدم القول فيه لكان لا يقف على الوضع والفرس والرسم والوهم والظن والتخيل(١) .

ويقول أبو حيان أيضا موردا لفظة الرسم فى نصٍ له من كتاب الإمتاع والمؤانسة بمعنى مقابل للفظة الحدّ : قال أبو سليمان : الإنسان ليس يجد العقلَ وجدانًا فيلتذ به وإنما يعرفه إما جملة وإما تفصيلا ، أعنى جملة بالرَّسم وتفصيلا بالحدّ ومع ذلك يشتاق إلى العقل(٢) ، وترد لفظة الرَّسم أيضا بمعناها الذى حدده الفلاسفة والمنطقيون وهو (تعريف الشيء بخصائصه) في نصوص عديدة من مقابساته وفى هذه النصوص يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الرَّسْم بهذا المعنى : وينبغي أن يفهم هذا المعنى من الرسم الذى وصف به ، وهو القائل : إن الجوهر هو الذى ليس فى موضوع(٣) ، ويقول أيضا : على أن فى هذا الصنف شكا ، وهو هل الأشخاص العلوية ، أعنى الأفلاك والكواكب ، يصدق عليها هذا الرسم أم لا ؟ فإن من الناس من رأى أن هذا الرسم مشتمل على جميع الجواهر الشخصية المركبة من المادة والصورة التى هى تحت الكون والفساد(٤) .

ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الرَّسْم والرسوم بالمعنى الذى تعارف عليه المنطقيون أى أن رسم الشيء مأخوذ من أعراضه : الاختيار فى الإنسان قوة ضعيفة جدا لا ثبات لها مع الضرورة التى ترد قاهرة وتوافى مجبرة ، فإن الاختيار أيضا فى

---

(١) المقابسات ص ١٨١ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٨٣ .
(٣) المقابسات ص ٣٢٤ .
(٤) المقابسات ص ٣٢٥ .

الأول من جملة تلك الضرورة ، وفى عرض القسمة السماوية ، إن أذن لها بدا وظهر ، وسعى وسفر ، وإن تكن الأخرى بطل حكمه ورسمه وارتفع عينه وفعله[١] ويقول أبو حيان أيضا بهذا المعنى ذاكرًا لفظة الرسوم : يقول ما المعرفة ؟ الجواب : هى إدراك صور الموجودات بما تتميز به من غيرها ، ولذلك هى بالمحسوسات أليق لأنها تحصل بالرسوم ، والرسوم مأخوذة من الأعراض والخواص[٢] ، ويقول فى مقابساته أيضا ذاكرًا لفظة الرسوم كما عرفها أهل المنطق : قال : أما تعلم أن المبدأ الأول ، والأصل ، والعلة مفتقر إليه بالطبع والضرورة ، ومعترف به بالوجوب الذى ليس فيه مرية ولا شبهة ؟ قلت بلى . قال : فالثانى مشعر أبدا بالأول ، والأول مشعر بنفسه ، والثانى مشعر به أيضا ولكن بالأول . والأول مع هذا هو الثانى ، والثانى هو الأول ، ولكن اختلفت الرسوم ، ولم تختلف الحقائق[٣] .

وترد لفظة الرسوم فى بعض نصوص أبى حيان بالمعنى الذى تعارف عليه علماء أصول الدين والصوفية ، وهو أخص من الحدّ ، وهو العادة والخلق وصفاته وفى هذا المعنى الذى حدده الأصوليون للفظة الرسوم يقول أبو حيان : فإن الأشكال والحدود من الأقوال والأغراض منفية فى ساحة الألوهية ، لكنها رسوم محركة للنفوس تحريكًا ، وكلمات مقربة من الحق تقريبا ، تبلغ بالسامع إلى ما وراء ذلك تبليغًا . وكلما كانت هذه الرسوم أتم وأحسن ، والكلمات أبهى وأبين ، كان التحريك ألطف ، والإدراك أشرف[٤] .

ذكر أبو حيان لفظة الرسوم كما عرفها الصوفيّة وهى بمعنى الخلق وصفاته فقال : لا ثبات لمناسب البينونة فى نهايات الاتحاد لزوال شرائط رسوم الخلق عند

---

(١) المقابسات ص ٨٧ .
(٢) المقابسات ص ٣٦٣ .
(٣) المقابسات ص ١٨٨ .
(٤) المقابسات ص ١٦٢ .

تصافى الأرواح بحقائق الحق[1] ويقول أيضا بهذا المعنى : وقد صنف الحكماء الأولون والآخرون كتبا فى الأخلاق وذكروا أعيانها بأسمائها وصفاتها ، وحدودها ورسومها ومجملها ومفصلها[2] .

وبما تقدم نرى أن لفظة الرَّسم ارتبطت بلفظة الحد والرسوم بالحدود وهذه كلها تدخل فى مجال الألفاظ الخاصة بالفلسفة والمنطق ، وعن الفرق بين الحد والرسم يقول أبو هلال العسكرى فى كتابه الفروق فى اللغة : فرق المنطقيون بين الرَّسْم والحَدّ فقالوا : الحد مأخوذ من طبيعة الشيء والرسم من أعراضه ، والرسم هو إظهار الأثر فى الشيء ليكون علامة فيه وليس يدل على تمامه[3] وقد أجاد أبو حيان فى عرضه الوافى للفظة الرسم والرسوم فنجد أن أبا حيان ذكر فى نصوصه المعانى التى وردت فى المعاجم وأضاف إليها معانى أخرى وخاصة ما قاله فى مجال الفلسفة والمنطق ، ومعنى لفظة الرسم ولفظة الرسوم فى عرف أهل المنطق وهو مقابلتها للحد والحدود وتعريف لفظة الرسم والجمع رسوم عند الأصوليين وهو المعنى الذى قاله المنطقيون وإن كان الأصوليون يقولون إن الرسم أخص من الحد. ثم معناها عند الصّوفية وهو العادة والخلق وصفاته بكل هذه المعاني وردت لفظة الرسم ولفظة الرسوم جمعا لها، وأضاف لها معنى الخطّ والكتابة والمال. وبهذا تكون لفظة الرّسم ولفظة الرسوم عند أبي حيان متعددة المعنى .

ومن الاشتقاقات التى أوردها أبو حيان فى كتاباته للمادة « رسم » الأفعال التالية مثل : يرسم ، ورسم ، وأرسم والأسماء مرسومات ، ومراسم وهذه الألفاظ مرسومات ، ومرسوم ومراسم لم أجدها فى اللسان . يقول أبو حيان

---

(١) مثالب الوزيرين ص ١٨٥ . (٢) رسالة الحياة ص ٥٨ .

(٣) الفروق فى اللغة ، أبو هلال العسكرى ، ص ٢٠٨ .

ذاكرًا الفعل **رَسَمَ** فى نص له بمعنى كتب : وجدته منسوبًا إلى الحسن بن سهل ، ولعله أخو ذى الرياستين فرسمته فى هذا الكتاب[1] ، والفعل **يرسم** بمعنى يكتب ، وقد وردت فى قول أبى حيان عن الصاحب : قال لى : كيف حفظت هذا ؟ قلت كنا جماعة نتعاون على ذلك ونرسم فى ألواح[2] ثم الفعل أرسم بمعنى أكتب يرد فى نص لأبى حيان يقول فيه : أرسم لك فى هذه الورقات كلاما للحكماء فى صفة الرجل العاقل العادل كيف يكون[3] .

وترد لفظة **مرسومات** بمعنى النعوت أو الصفات عند أبى حيان فى قوله : لأن العين إنما تألف المحدودات ، والأذن إنما تحد المرسومات[4] .

ولفظة **مَرْسُوم** بمعنى مكتوب أو محفوظ ، يذكرها أبو حيان فى إشاراته فيقول : بين ظن موسوم بيقين ، وعلم مرسوم بتلقين[5] ، ولفظة مَراسم ترد عند أبى حيان فى إشاراته بمعنى إشارات أو علامات وفى هذا المعنى يقول : إذا استعجمت عليك مراسم الظاهر ، فأيدها بحجج الباطن[6] ، ويقول أبو حيان أيضا ذاكرًا لفظة المراسم بمعنى الأقوال أو الصفات : فإذا اصطرع الذكر والوجد كانت الغلبة للوجد ، على أن هذا الذكر ليس من مراسم اللسان ، ولا من مناسم الفكر[7] .

هذه الاشتقاقات التى ذكرها أبو حيان لم يذكرها صاحب اللسان فى معجمه . ولم أجد لها أى تفسير فى المعاجم الأخرى فهى اشتقاقات أوجدها أبو حيان فى كتاباته من المادة « رسم » ويُفسر معناها حسب تناولها عند أبى حيان ، فنصوص كتاباته تحدد معانى هذه الألفاظ .

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٢٩٦ .
(٢) مثالب الوزيرين ص ١٥٢ .
(٣) الإشارات الإلهية ص ٣٩٤ .
(٤) الإشارات الإلهية ص ١٥٨ .
(٥) الإشارات الإلهية ص ٣٥٥ .
(٦) الإشارات الإلهية ص ١٧٥ .
(٧) الإشارات الإلهية ص ٢٠٤ .

مما تقدم نجد أن لفظة رسم والجمع رسوم جاءت عند أبي حيان بمعان متعددة ، منها المعنى اللغوى الدال على العلامة والأثر[١] وجاءت بمعنى الشكل والعادة والتقليد المتبع[٢] وبمعنى المال الذى تفرضه الدولة لقاء خدمة من قبلها كالضرائب[٣] وأيضا المال الممنوح من قبل الحاكم للرعية كالهبات والعطايا[٤] وجاءت بمعنى فلسفى منطقى فقهى مقابل للحدّ أو أخص منه كما هو فى عرف الأصوليين[٥] وأيضا معنى صوفى دال على الخلق وصفاته[٦] ، وجاءت لفظة الرسم والجمع الرسوم بالمعنى الاصطلاحى الثقافى الدال على الخط والكتابة[٧] ، والإنشاء[٨] ، وهذا المعنى الاصطلاحى لم يذكره صاحب اللسان وتعرض فقط للمعنى الدال على الأثر .

ومن الملاحظ أن تعدد المعنى للفظة رسم والجمع رسوم كما جاءت فى نصوص أبى حيان يوضح ظاهرة المشترك اللفظى بأوضح صورة .

وهناك بعض الاشتقاقات جاءت عند أبى حيان من المادة « ر س م » ولم ترد فى اللسان ، وهذه الاشتقاقات هى مرسوم ومرسومات ومراسم ، وجميعها جاءت بدلالات معنوية تعنى المحفوظ والمكتوب والمحفوظات والصفات[٩] ، وهذه

---

(١) البصائر جـ ١ ص ١٠٤ وانظر الإشارات ص ٤٠٣ .

(٢) البصائر جـ ٢ ص ٤٧٢ ، جـ ١ ص ٣٤٢ ، جـ ٣ ص ٦٨٣ وانظر الإمتاع جـ ٣ ص ١٤٨ .

(٣) مثالب الوزيرين ص ١٤٦ وانظر الإمتاع جـ ١ ص ٩٩ ومعنى الرسم فى مصطلحات اللسان الملحقة بالمعجم هو السك جـ ٤ ص ٢٦٢ .

(٤) مثالب الوزيرين ص ١٤٨ ، وانظر الإمتاع جـ ١ ص ٣١ .

(٥) الإمتاع جـ ١ ص ٦٤ ، وانظر المقابسات ص ١٨٦ ، ص ٣٦٣، ص ٣٢٤، ص ٣٢٥ .

(٦) البصائر جـ ١ ص ١٩٠ ، وانظر مثالب الوزيرين ص ١٨٥، والمقابسات ص ٨٧ .

(٧) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٥ وانظر مثالب الوزيرين ص ٣٢٥ ، والإشارات ص ١٧١ . والإمتاع جـ ١ ص ٢٠٧ .

(٨) البصائر جـ ٢ ص ٣٨٨ .

(٩) الإشارات ص ٣٥٥ ، وانظر المقابسات ص ١٢٧ ، والإشارات ص ١٥٨، ص ١٧٥، ص ٢٠١.

الألفاظ تعتبر ألفاظا جديدة فى مبناها ومعناها كما جاءت عند أبى حيان .

أما التغير الدلالى فنجد أن لفظة الرسم والجمع رسوم انتقلت دلالتها من مجال إلى آخر خلال مسيرتهااللغوية . ففى البدء استخدمت للدلالة على الأثر اللاصق فى الأرض ثم تطورت دلالة اللفظة وأصبحت تستخدم للدلالة على الكتابة وهى الأثر اللاصق بالقرطاس . فانتقلت الدلالة من مجال مادى إلى مجال مادى آخر مع اشتراك الدلالتين بجزء من المعنى وهو الأثر . ونجد أيضا أن لفظة رسم والجمع رسوم قد استخدمت فى عصر أبى حيان فى مجالات شتى مادية ومعنوية ، وهذه الأخيرة تشمل مجال الفلسفة والمنطق وعلم الأصول والتصوف ، وهذا مما ساعد على اتساع الدلالة للفظة الرسم وجمعها الرسوم لانتشارها وكثرة استعمالها بين أوساط العلماء والمثقفين والفلاسفة وكانت تستخدم فى هذه الأوساط بدلالات معنوية وإن كان استخدامها فى المجال المادى هو الأكثر استعمالا فى ذلك العصر .

(٦) تسويد ، مُسَوَّدة ، تبيّض :

هناك بعض الألفاظ تختص بالكتب وإعدادها مثل التسويد والموسدة والتبيض والفعل بيض وهذه الألفاظ يذكرها أبو حيان فى أماكن محدودة من كتاباته فى مجال حديثه عن وسائل العمل الثقافى وما يتعلق بها من أمور كتابية ولأهمية هذه الألفاظ نتناولها هنا فى مجال بحثنا هذا وقد جاء فى اللسان عند تناوله للمادة « س و د » السَّواد : نقيض البياض ، وسَوَّده : جعله أسود ، وسَوَّدت الشىء إذا غيرت بياضه سوادًا وسَوَّد الإبل تسويدًا داوى أدبارها[1] .

ولفظة **تسويد** ترد عند أبى حيان فى نص له من رسالته علم الكتابة يقول فيه :

---

(١) اللسان جـ ٢ ص ٢٢٣ ، ص ٢٣٥ .

سمعت أبا إسحاق الصابى يقول : ما حرّرت كتابا قط عقيب التسويد إلا ورأيت التنافر فى خطى ، والتطاير من قلمى ، والتثاقل فى يدى ، فأما إذا جمت بعده جمة ، أو نمت بعده نومة فأنا على صواب ما أريد منه جرىء ، ومن الخطأ فيه برىء[1] لفظة التسويد فى نص أبى حيان واضحة الدلالة على كتابة النسخة الأولى للكتاب ، وفى هذا المجال نذكر لفظة المُسَوَّدة كما أوردها أبو حيان فى نصوصه ، ففى مقدمة كتابه الصداقة والصديق ترد لفظة المُسَوَّدة بمعنى النسخة الأولى للكتاب أو الرسالة قبل التنقيح والتصحيح وفى هذه المقدمة يقول أبو حيان : كان سبب إنشاء هذه الرسالة فى الصداقة والصديق أنى ذكرت شيئا منها لزيد بن رفاعة أبى الخير ، فنماه إلى ابن سعدان الوزير أبى عبد الله سنة إحدى وثلاثمائة قبل تحمله أعباء الدولة ، فقال لى ابن سعدان : قد قال لى زيد عنك كذا وكذا . قلت : قد كان ذاك . قال : فدوّن هذا الكلام ، وصله بصلاته مما يصح عندك لمن تقدم ، فإن حديث الصدق حلو ، ووصف الصاحب المساعد مطرب . فجمعت ما فى هذه الرسالة وشغل عن رد القول فيها ، وأبطأت أنا عن تحريرها إلى أن كان من أمره ما كان ، فلما مر على ذلك بعض سنين ، عثرت على المسَوَّدة وبيضتها على تحيلها[2] وترد لفظة مُسَوَّدة فى نصوص عديدة من كتاب الإمتاع ، وفى أحد هذه النصوص يقول أبو حيان فى حديثه مع الوزير صاحب مجالس الإمتاع عن ابن العميد وابن عباد : إنى عملت رسالة فى أخلاقه وأخلاق ابن العميد أودعتها نفسى الغزير ولفظى الطويل والقصير ، وهى فى المُسَوَّدة ولا جسارة لى على تحريرها ، فإن جانبه مهيب ، ولمكره دبيب ، قال - يقصد الوزير - دع هذا كله ، وانسخ لى الرسالة من المسودة ، ولا يمنعك ذاك فإن العين لا ترفعها واليد لا تنسخها[3]،

---

(١) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٥ .

(٢) الصداقة والصديق ص ١٠ .

(٣) الإمتاع جـ ١ ص ٥٣ .

ويستمر الحديث بين أبى حيان والوزير عن ابن العميد وثقافته وخصاله وفى ختام مجلس الإمتاع يقول الوزير لأبى حيان : لا شك أن المسوَّدة جامعة لهذا كله . فيرد أبو حيان قائلا : تلك تجزع فى دست كاغد فرعونى[1] وترد لفظة مسوَّدة فى نص آخر لأبى حيان بمعناها الخاص بالنسخة الأولى للكتاب من غير تعديل ، وفى هذا المعنى يقول أبو حيان فى حديثه عن ابن ثابت الكاتب الهمذانى : وكان يعمل كتابا سماه الخلق والخلق فمات سنة ستين وهو فى المسودة وقد رأيت ورقات منه ، ونقلت إلى البصائر حروفا فيه[2] وهذه اللفظة مسوَّدة لم ترد فى اللسان عند تناوله للمادة « س و د » فهى مصطلح جديد استحدث مع انتشار الكتب وكثرة المخطوطات والنسخ وما شابه ذلك من أعمال ثقافية ولفظة التبيض والفعل بيّض جاء ذكرهما فى أماكن محددة من كتابات أبى حيان وبمعانٍ متنوعة .

وقد جاء فى اللسان بَيَّض الشيء جعله أبيض . وقد بَيَّضت الشيء فابْيض . وبيَّض الإناء والسقاء : ملأهُ ويقال بيّضت الإناء إذا فرغته وهو من الأضداد[3] وذكر أبو حيان لفظة **تبيض** بمعنى تركها بيضاء فقال : أما المراد بالتحديق فإقامة الحاء والخاء والجيم وما أشبهها على تبيض أوساطها ، محفوظة عليها من تحتها وفوقها[4] ، وذكر أبو حيان الفعل بيّض بمعنى كتب النسخة المعدّلة عن المسودة للكتاب أو الرسالة ، وفى هذا المعنى الخاص بالأعمال الثقافية يقول أبو حيان : فقال لى الوزير بعدما قرأ الرسالة : ياأبا مزيد بيضتها وعجبت من تشقيق القول فيها ، ومن لطف إيرادك لها[5] ، ويقول أيضا ذاكرًا الفعل بيض بهذا المعنى :

---

(١) الإمتاع جـ ١ ص ٦١ .

(٢) مثالب الوزيرين ص ٢١٧ .

(٣) اللسان جـ ٢ ص ٢٩٧ .

(٤) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٢ .

(٥) الإمتاع جـ ٣ ص ٢٢٥ .

عثرت على المسودة وبيضتها على تحيلها[1] ويذكر الفعل بيض بمعنى كتب الكتاب أو الرسالة عن المسودة فيقول : ذو الكفايتين كان أحسد الناس لمن خط بالقلم ، أو بلغ باللسان ، أو فلج فى المناظرة وقد ذكرت ذلك فى الرسالة ، إذا بُيضت وقفت عليها من أولها إلى آخرها إن شاء الله[2] ، ويرد الفعل بيّض عند أبى حيان بمعنى أجعله أبيض بلا شوائب أن اغفر ذنوبنا وفى هذا المعنى يقول فى إشاراته الإلهية : وبيّض وجوهنا عند مناجاتك[3] ، ويقول أيضا بهذا المعنى فى نص من كتاب الإمتاع مخاطبًا الوزير : وأرجو أن يَبْيضّ وجهى عندك بالرضا عنى[4] فى النصوص السابقة التى تضمنت الفعل بيّض نجد أن المعنى الخاص بكتابة الكِتاب أو الرسالة عن مسوَّدتها هو المعنى الذى أكثر أبو حيان من إيراده فى نصوصه وهذا المعنى لم يرد فى اللسان عند تناوله للمادة « ب ي ض » فهو معنى مستحدث .

مما تقدم نجد أن لفظة تسويد جاءت عند أبى حيان بالمعنى الاصطلاحى الدال على كتابة المسوَّدة[5] للكِتاب أو الرسالة ، أى كتابة النسخة الأولى قبل إجراء التعديل أو التصحيح غليها . وهذا المعنى الاصطلاحى للفظة لم يذكره صاحب اللسان ومر على لفظة التسويد بإشارة عابرة فى مجال الحديث عن الإبل ومداواتها . ولفظة المسوَّدة نجد أنها جاءت عند أبى حيان بالمعنى الاصطلاحى الدال على النسخة الأصلية عند كتابتها لأول مرة قبل أن تُعدّ للتناول وتُحرّر بشكلها النهائى[6] ، ولفظة المسوَّدة اشتقاق جديد أورده أبو حيان فى كتاباته ولم يذكره صاحب اللسان عند تناوله للمادة « س و د » فهى إذن كلمة جديدة مبنى ومعنى كما جاءت عند أبى حيان .

---

(١) الصداقة والصديق ص ١٠ .

(٢) الإمتاع جـ ١ ص ٦٧ .

(٣) الإشارات الإلهية ص ٢٠٣ .

(٤) الإمتاع جـ ٣ ص ٢٢٦ .

(٥) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٥ .

(٦) مثالب الوزيرين ص٣٤٣ ، ص٣٤٤ .

أما التغير الدلالى فنجد أن لفظة التسويد ولفظة المسوَّدة استخدمت فى عصر أبى حيان كثيرا فى مجال الكتب وإعدادها ، وانتشرت بين أوساط المشتغلين بالنَّسْخ والوِرَاقة والتأليف وهذا مما أدى إلى اتساع دلالة هاتين اللفظتين فى عصر أبى حيان ، ومع هذا الاتساع نجد أن أبا حيان قد خصص دلالة هاتين اللفظتين عندما استخدمهما فى مجال الكتب والكتابة .

ونجد أن لفظة التبيض جاءت عند أبى حيان بالمعنى اللغوى[1] ، وأيضا الفعل بيّض جاء بهذا المعنى اللغوى[2] الدال على جعل الشيء أبيض . وجاء الفعل بيّض بمعنى اصطلاحى عند أبى حيان دال على كتابة النسخة المُعَدَّلة للكِتاب أو الرسالة وإعدادها بشكلها النهائى[3] ، وهذا المعنى الاصطلاحى للفعل بيّض لم يرد فى اللسان وأيضا لم يذكر صاحب اللسان اللفظة تَبيض عند تناوله للمادة « ب ى ض » .

وفى مجال التغير الدلالى نجد أن لفظة تبيض تخصصت دلالتها عندما استخدمها أبو حيان فى مجال الخط والحروف . وأيضا الفعل بيّض استخدم استخدامًا جديدًا عندما دخل فى مجال عالم الكتب بعد أن كان فى الأصل يستخدم للإناء والسقاء عند التفريغ أو الامتلاء . وأصبح يستخدم فى عصر أبى حيان فى مجال الورق والحروف .

* * *

---

(١) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٢ .
(٢) الإشارات الإلهية ص ٢٠٣ .
(٣) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٢ .

البـــاب الثـانى

مصطلحَات العُلوم العَربيَّة والإسلاميَّة

الباب الثانى

مصطلحات العلوم العربية والإسلامية

يتناول هذا الباب مصطلحات العلوم العربية اللغوية والبلاغية وتشمل اللغة والنحو والصرف والاشتقاق والأدب والبلاغة .

بينت فى هذا الباب مصطلحات اللغة عند التوحيدى وكيف كان فهمه لها ومصطلحات النحو وعناية التوحيدى بما دار حول النحو العربى وبعض أوجه الإعراب . وبينت كذلك اهتمام التوحيدى باللفظ والمعنى والأدب وفنونه والبلاغة وعلومها . ولعل من أبرز القضايا البلاغية التى أشار إليها التوحيدى قضية النظم .

ويتناول هذا الباب أيضا مصطلحات العلوم الدينية وتشمل رجال الدين وعلوم الدين كالفقه والكلام والعقيدة ، والفرق الدينية الإسلامية وغير الإسلامية ، وكذلك الجماعات الدينية ، وقد تميز القرن الرابع الهجرى كما يتضح فى مؤلفات التوحيدى باهتمام خاص بالصوفية ، ومن ثم أفردت لمصطلحات الصوفية فصلا خاصا فى هذا الباب .

واتبعت فى تقسيم العلوم الطريقة التى سار عليها علماء المسلمين فى ذلك العصر عندما قسموا العلوم إلى : علوم عربية من جانب وإلى علوم الأوائل أو العلوم غير العربية من جانب آخر . وفى تقسيمى للعلوم صنفت مصطلحاتها إلى مجموعات دلالية حسب ورودها فى مؤلفات أبى حيان التوحيدى ثم قسمتها فى مجموعات أصغر فأصغر لتحديد معانيها عند أبى حيان ثم قارنتها بمعانيها فى المعاجم .

الباب الثانى

مصطلحات العلوم العربية والإسلامية

الفصل الأول

المصطلحات اللغوية والبلاغية

الفصل الثانى

المصطلحـــات الدينيـــة

(رجال الدين/الفقه/العقيدة/ المذاهب والنحل)

الفصل الثالث

مصطلحات الصوفية

الفصل الأول

مصطلحات العلوم العربية

يحتوى هذا الفصل على المجموعات الدلالية الأساسية التالية .

أولًا : المصطلحات اللغوية :

يحتوى هذا القسم على المجموعات الدلالية للمصطلحات الخاصة باللغة والنحو وهى :

(١) اللغـــــة .

(٢) اللســـــان .

(٣) الكلام ، القول .

(٤) النحو ، الإعراب .

(٥) الصرف ، التصريف .

(٦) الاشتقـــــاق .

(٧) عيوب الكلام (اللحن ، العجمة ، العقلة) .

(٨) الرموز المضـافة فى الكتابة العربية .

ثانيا : المصطلحات البلاغية :

يحتوى هذا القسم على المجموعات الدلالية للمصطلحات الخاصة بالأدب والبلاغة وهـــــــــى :

(١) الأدب .

(٢) الفن ، النمط ، الطراز .

(٣) النثر ، النظم .

(٤) الشعر (الوزن، القافية العروض) .

(٥) البلاغة ، الفصاحة .

(٦) اللفظ ، المعنى .

المصطلحات اللغوية :

مصطلحات العلوم اللغوية (٧٩) كلمة وهى :

أبنية ، ألثغ ، استعجام ، اشتقاق ، إشكال ، إعجام ، أعجم ، أعجمى ، أعجمية ، إعراب ، ألسنة ، ألسن ، ألكن ، بناء ، تشقيق ، تصاريف ، تصريف ، تعجيم ، تعريب ، تمتمة ، حبسة ، حركة ، حركات ، خفض ، رتة ، رفع ، شكل ، صرف ، عَجْم ، عَجَم ، عُجمة ، عجماء ، عُجمان ، عواجم ، عقلة ، فأفأة ، فتح ، قول ، كلام ، لثغة ، لحن ، لحون ، لسان ، لغات ، « أهل اللغات » ، لغة-أهل اللغة ، صاحب اللغة ، غريب اللغة-لغوى ، لغويون ، لفف ، لُكن ، لُكنة ، مستعجم ، مستعربون ، مستعجمة ، مشتق ، مشكل ، مشكلة ، مشكول ، مصروفة ، معجم ، معجمة ، معرب ، معربة ، ملحون ، منقوط ، منقوطة ، نحو-« أهل النحو ، أرباب النحو ، معانى النحو »-نحوى ، نحويون ، نصب ، نَقْط ، نُقط ، نقطة .

وفيما يلى جدول بنسبة شيوع المصطلحات اللغوية فى مؤلفات أبى حيان التوحيدى :

الكلمة	عدد مرات ورودها	الكلمة	عدد مرات ورودها	الكلمة	عدد مرات ورودها	الكلمة	عدد مرات ورودها
لغة	٩٤	أبنية	١٠	نقط	٣	تعريب	١
كلام	٧٧	لكنة	١٠	تمتمة	٣	معرب	١
نحو	٥٩	تشقيق	٨	عقلة	٣	منقوط	١
لسان	٥٢	عجمه	٨	لغويون	٢	منقوطة	١
لحن	٣٤	عجماء	٨	مستعجم	٢	رتة	١
قول	٣٢	معجمة	٧	حبسة	٢	لثغة	١
إعراب	٢٨	مشتق	٧	تصاريف	٢	ألثغ	١
لغات	٢٧	حركات	٧	تعجيم	٢	عواجم	١
اشتقاق	٢٧	بناء	٧	مشكول	٢	مستعجمة	١
حركة	٢١	رفع	٦	نقط	٢	عجمية	١
نقطة	٢١	معجم	٦	ألسن	٢	عجمان	١
مشكل	٢٠	عجمى	٥	فأفأة	٢	عجم	١
نحويون	٢٠	شكل	٥	لفف	٢	أرباب النحو	١
إشكال	١٧	لغوى	٤	لكن	٢	أهل النحو	١
إعجام	١٥	مشكلة	٤	ملحون	٢	معانى النحو	١
صرف	١٤	ألسنة	٣	لحون	٢	أهل اللغة	١
نحوى	١٤	إستعجام	٣	مصروفة	١	غريب اللغة	١
فتح	١٤	خفض	٣	معربة	١	أهل اللغات	١
عجم	١٢	أعجم	٣	ألكن	١		
تصريف	١٢	نصب	٣	مستعربون	١	المجموع الكلى	٧٩

وتقسم هذه المجموعة من المصطلحات اللغوية إلى سبع مجموعات دلالية خاصة باللغة والكلام والنحو والصرف وعيوب الكلام والنقط والإعجام وتتخذ هذه المجموعة من المصطلحات أهمية خاصة لأن القرن الرابع شهد نضوجًا كبيرًا فى الدراسات اللغوية والنحوية وظهر فى هذا العصر كبار النحاة واللغويين وعلى رأسهم أبو سعيد السيراف أستاذ أبى حيان التوحيدى .

العلوم العربيـــة :

عندما أخذ المسلمون فى تفسير القرآن احتاجوا إلى ضبط معانى ألفاظه وتفهم أساليب عباراته ، فجرهم ذلك إلى البحث فى أساليب العرب وأقوالهم وأشعارهم وأمثالهم ، ولا يكون ذلك سالما من العجمة أو الفساد إلا إذا أُخذ عن البادية ، فعنى جماعة كبيرة من المسلمين بالرحلة إلى بادية العرب والتقاط الأشعار والأمثال وسؤال العرب عن معانى الألفاظ وأساليب التعبير . وكان علماء المسلمين فى القرن الرابع الهجرى ، يقسمون العلوم إلى : علوم عربية وعلوم الأوائل أو العلوم غير العربية ، وكان من الأولى عندهم علوم اللسان والفقه والكلام والتاريخ ، وعلوم الأدب ، ومن الثانية العلوم الفلسفية والطبيعية والطبية[1] . والعلوم العربية تتناول اللغة والنحو والبلاغة والنقد ثم الأدب ، أما اللغة والنحو فالاعتماد فيها على الرواية وحدها ، وأما النقد والأدب فالاعتماد فيهما على الرواية وعلى التثقف القائم على اكتساب العلوم المختلفة ثم على الذوق الذى هو حس فطرى يجوز أن يتهذب بالتثقيف ولكن لا يمكن أن يكتسب .

إن تسمية العلوم العربية أليق بتلك العلوم التى بلغ بها الإحصاء عند بعضهم اثنى عشر عِلْمًا وأكثر وهى : الصرف والنحو والعروض ، والقوافى ، والشعر واللغة والبلاغة ، والبيان والخط ، والمعانى ، والمحاضرة والاشتقاق ... وربما كانت هذه التسمية هى أصح تسمية لأن بعض ما ذكر لا يقف عند الأدب ولا يقتصر جدواه على الأديب صانع الأدب أو ناقده ، إلا بضرب من التكلف فى التأويل ، بل ربما كانت عبارة العلوم اللسانية أو عبارة علوم اللسان العربى وهى

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٣٦٥ ، مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ١٤ .

العبارة التى اختارها ابن خلدون ، وأطلقها على مجموعة تلك العلوم أكثر مناسبة وأقوى دلالة على ما يراد منها ، وقد عدها أركانًا أربعة هى : علم اللغة ، وعلم النحو ، وعلم البيان ، وعلم الأدب[1] .

هذا وقد كان لأبى حيان التوحيدى دور حضارى مهم فى تلك الحقبة من تاريخ الأمة الإسلامية بوصفه مفكرا موسوعيا وليس مجرد مسجل لثقافة القرن الرابع الهجرى كما وصفه الأستاذ أحمد أمين[2] .

تلقى أبو حيان العلم على أساتذة عظام فى عصره كأبى سعيد السيرافى وعلى بن عيسى الرمانى والقاضى المرورذى ويحيى بن عدى وأبى سليمان السجستانى وغير هؤلاء الأعلام الذين أفاد منهم أبو حيان ثقافة عربية موسوعية فكان مثالا للأديب فى العصر العباسى ، وفى هذا الصدد يقول أبو حيان موصيا الأديب : فخذ من الشعر القديم أفصحه ، ومن الخبر المأثور أملحه ، واستعن بجليل النحو من دقيقه وليكن علمك اللغة ، واحرص أن تعلم ، ولا تحرص أن ترسم ، واكتفى بأدنى علكم ولا تترأس على من دونك ، بل إن كان معه شيء فأره أنك دونه حتى تأخذه فإن من استعجل الرياسة قبل حينها ذل[3] .

وفى هذا العصر الموسوعى يوصى أبو حيان المشتغلين بالعلم والأدب اتباع القواعد والتقاليد فى تحصيل المعرفة واحتلال المراكز الإدارية والبلاغية وخاصة ممن لهم صلة بمهنة الكتابة الأدبيّة والديوانيّة فيقول : يجب على الكاتب أن يكون حافظا

---

(١) المقدمة ابن خلدون ص ٥٤٥ .

(٢) مقدمة كتاب البصائر والذخائر تحقيق أحمد أمين جـ ١ طبعة القاهرة .

(٣) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٣٤٨ .

لكتاب الله تعالى لينتزع من آياته ، وأن يعرف كثيرا من السنة والأخبار والسير ، حافظا لكثير من الرسائل والكتب ، وأن يكون متناسب الألفاظ متشاكل المعانى ، متشابه الخط ، ذكيا عارفا بما يحتاج إليه خبيرا بالحلى والشيات مضطلعا بعبء الكتابة ، له يد فى السواد وعمل الحساب وأن يكون له يد فى عمل الشعر ، نظيف الثوب ، لطيف المركب لقيق الدَّواة ، حاد السكين ، صقيل الكاغد ، صلب الأقلام متوددا للناس مخالطهم غير متكبر عليهم ، ولا متعجرفا ولا متكلفا للألفاظ العربية ولا متعسفا للغة العويصة[1] ويتم أبو حيان توصياته فى الإمتاع والمؤانسة فيقول : لا يكون الكاتب كاملًا ، ولاسمه مستحقًّا إلا بعد أن ينهض بهذه الأثقال ، ويجمع إليها أصولًا من العفة مخلوطة بفروعها ، وآيات من القرآن مضمومة إلى سمته فيها ، وأخبارا كثيرة مختلفة فى فنون شتى لتكون عدة عند الحاجة إليها ، مع الأمثال السائرة والأبيات النادرة ، والفقر البديعة والتجارب المعهودة ، والمجالس المشهورة مع خط كتبر مسبوك ، ولفظ كوشي محوك[2] . ولهذا كله ، فقد كانت للتوحيدى عناية كبيرة بالعلوم العربية ، ونجد هذا واضحا ببحث المصطلحات الأساسية التى نجدها فى نصوصه دالة على الأدب وفنونه وعلى البلاغة وضروبها وعلى اللغة والنحو والكتابة .

أولًا : المصطلحات اللغوية :

(١) اللغـــــة :

إن صلة أبى حيان باللغة وقضاياها لم تكن صلة عابرة ، ولم تكن بالخافية على

---

(١) مقدمة البصائر والذخائر تحقيق إبراهيم الكيلانى جـ ١ ص د .

(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٠٠ .

معاصريه الذين اتصلوا به وبآثاره فقد خاطبه مسكويه بقوله : أيها الشيخ اللُّغَوىّ[1] ولاهتمام التوحيدى باللغة أسباب ، وتقوم على هذا الاهتمام دلائل من معالجاته ، فقد كان الجو الفكرى والثقافى العام فى القرن الرابع الهجرى قد هيأ التوحيدى للاهتمام باللغة ودراستها ، كما أن صلة التوحيدى ببعض أعلام اللغة فى عصره قد هيأت له حافزًا خاصًا لمزيد من الاهتمام بهذه الدراسات ، فالتوحيدى قد درس علوم اللغة على عَلَمٍ من أعلام عصره فى هذا العِلْم ، هو أبو سعيد السيرافى وهو أعلم الناس بنحو البصريين وقد تصدى لنحو سيبويه وبسط علم النحو ، فلا عجب أن يرجىء التوحيدى الإجابة عن مسألة لغوية ، ريثما يسأل شيخه أبا سعيد السيرافى ، وهو عالم العالم ، وشيخ الدنيا ، ومقنع أهل الأرض[2] واتصل التوحيدى بالرمانى صلة تلميذ بأستاذه واستفاد منه لغةً واهتمامًا بالقضايا اللغوية وهو الذى قال فيه : وأما على بن عيسى فعالى الرُّتبة فى النَّحو واللغة والكلام[3] وبالإضافة إلى هذه الصلة بأعلام اللغة ، مارس أبو حيان الكتابة ناسخًا ومؤلفًا أكثر سنى حياته ، وقد أتاح له ذلك فرصة الاطلاع الواسع العريض على المادة اللغوية وفنون الكتابة الأدبية مما أكسبه معرفة عميقة باللغة وقدرة عجيبة على التصرف بها .

كان التوحيدى يستخدم مصطلح « اللُّغة » فى حديثه عن العربية وعن اللغات الأخرى ، فيقول أبو حيان نقلًا عن أبى سعيد السجستانى فى معرض مقارنة اللغة العربية بغيرها من اللغات : لقد سمعنا **لغات** كثيرة من أهلها ، أعنى من أفاضلهم وبلغائهم ، فعلى ما ظهر لنا ، وخيل إلينا ، لم نجد لغة كالعربية وذلك أنها أوسع

---

(١) الهوامل والشوامل ص ١٢٨ . (٢) المقابسات ص ١٢٩ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٣٣ .

مناهج وألطف مخارج ، وأعلى مدارج ، وحروفها أتم ، وأسماؤها أعم ، ومعانيها أوغل ، ومعاريضها أشمل ، ولها هذا النحو الذى حصته منها حصة المنطق من العقل ، وهذه خاصة ما حازتها لغة ، على ما قرع آذاننا ، وصحب أذهاننا من كلام أجناس الناس ، وعلى ما ترجم لنا أيضا من ذلك(١) .

ويقول أبو حيان فى البصائر والذخائر : لكن العربية عندنا أحسن الألفاظ مخارج وأوسعها مناهج ، وأعلقها بالقلب ، وأخفها على اللسان وأوصلها إلى الآذان(٢) .

ويشيد أبو حيان باللغة العربية إشادة بالغة الأهمية فيقول فى مجلس من مجالس الإمتاع والمؤانسة : ولقد سمعنا **لغات** كثيرة–وإن لم نستوعبها–من جميع الأمم كلغة أصحابنا العجم والروم والهند والترك وخُوارزم وصقلاب وأندلس والزنج فما وجدنا لشيء من هذه اللغات تصوغ العربية ، أعنى الفرج التى فى كلماتها والفضاء الذى نجده بين حروفها ، والمسافة التى بين مخارجها ، والمساواة التى لا تجحد فى أبنيتها ، فما هو أسلس حروفًا ، وأرق لفظًا ، وأخف اسمًا ، وألطف أوزانًا ، وأحضر عيانًا ، وأحلى مخرجًا ، وأجلى منهجًا وأعلى مدرجًا وأعدل عدلًا ، وأوضح فصلًا ، وأصح وصلًا إلى أن تنزل إلى لغة بعد لغة ، ثم تنتهى إلى العربية(٣) .

وحين يسأل التوحيدى مسكويه عن مدلول طائفة من الألفاظ ومنها كلمتا : الجد ، والحظ ، يقول مستطردًا : ولم أذكر كلمة البخت فإنه ليس من كلام العرب(٤) ، ويلحظ مسكويه هذا التشبث بالكلمة العربية والابتعاد عن اللفظ

---

(١) المقابسات ص ٣٢٨ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣٦٣ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص٧٧،٧٨.
(٤) الهوامل والشوامل ص ٩٥ .

الأعجمى فيعاتبه قائلا : على أنى رأيتك تستعفى أن تفهم معنى البخت لأنك لم تجده فى كلام العرب ، كأنك حظرت على نفسك أن تفهم حقيقة إلا أن تكون فى لفظ عربى فإن عدمت لغة العرب رغبت من العلوم[1] .

هذا بعض ما قاله أبو حيان عن لغة العرب والحديث ليس له نهاية وكما يقول أبو حيان : والكلام فى اللغات طويل[2] ولنر ما قالته المعاجم عن لفظة اللغة واستخدام أبى حيان لهذه اللفظة . جاء فى اللسان : اللُّغة أصوات يُعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، وهى فُعْلَةَ من لَغَوت أى تكلمت ، وأصلها لُغْوة . وقيل أصلها لَغْى أو لُغَوٌ ، والهاء عوض وجمعها لُغًى ولُغات ولُغون . والنسب إليها لُغَوى ولا تقل لَغَوى . واللَّغو ، النُّطق . ولغَا فلان عن الصواب وعن الطريق إذا مال عنه ، واللُّغة أخذت من هذا لأن هؤلاء تكلموا بكلام مالوا فيه عن لغة هؤلاء الآخرين[3] .

ولفظة اللغة ترجع إلى أصل غير سامى ، فهى كلمة يونانية ومعناها كلمة ، كلام لغة ، وقد دخلت هذه الكلمة العربية فى وقت مبكر[4] .

ولفظة لغة والجمع لغات ترد فى كتابات أبى حيان بمعانٍ متنوعة . فيقول أبو حيان ذاكرًا لفظة اللُّغة بمعنى النظام اللغوى أى الكلام المصطلح عليه ، أو على معرفة أفراد الكلمة وأوضاعها : وهو أن تعلم أن لغة من اللغات لا تطابق لغة أخرى من جميع جهاتها بحدود صفاتها فى أسمائها وأفعالها وحروفها[5] . وبهذا المعنى أيضا ترد لفظة لغة عند أبى حيان أى بمعنى النظام اللغوى للغة الواحدة المحددة فيقول فى الإمتاع : أنت إلى تَعَرُّف اللغة العربية أحوج منك إلى تعرف

---

(١) الهوامل والشوامل ص ١٠٤ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٦٦٧ .
(٣) اللسان جـ ٣ ص ٣٧٨ .
(٤) علم اللغة العربية ، د. محمود حجازى ص ٣١٢ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١١٥ .

المعانى اليونانية[1] . وترد لفظة لغة بمعنى العبارة فى قول أبى حيان : ياهذا اسمع لغة أخرى على وجه التعويض مترجمة ببيان منسوب إلى التخليص[2] وترد بمعنى خلق التكبر على العلم ، وهو مسلك ردىء ، وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : فما ظنك فيمن لا يقيم حرفا إلا على تحريف ، ولا يروى كلمة إلا على تصحيف ويأنف من مسألة من شفاؤه عنده ، وكماله بيده ، وتبرؤه بطبه . وهذه لغة قد فشت فى زماننا[3] . وترد بمعنى المستوى اللغوى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة اللغة : أحدهم لا يعرف اللغة على طرائقها ودقائقها من ناحية مجازها وسعتها ولا من جهة سلامتها وصحتها[4] .

وترد لفظة لغة عند أبى حيان بمعنى دراسة الألفاظ فيقول واصفا أساتذته مثل أبى سعيد السيرافى والرمانى وغيرهم : وكان أبو سعيد بعيد القرين ، لأنه كان يقرأ عليه القرآن والفقه والشروط والفرائض والنحو واللغة والعروض والقوافى والحساب والهندسة[5] . وترد لفظة لغة فى هذا المعنى أيضا فى وصف أبى حيان للرمانى : وأما على بن عيسى فعالى الرتبة فى النحو واللغة والكلام والعروض والمنطق[6] ويقول أيضا موردًا لفظة لغة بمعنى دراسة المفردات : قال رجل لأبى عمر الزاهد صاحب كتاب الياقوت فى اللغة : أنت والله عين الدنيا[7] . ويقول أبو حيان فى رسالته المعنونة فى ثمرات العلوم ذاكرًا لفظة لغة بالمعنى الاصطلاحى الخاص بدراسة المفردات ودلالتها : اللغة جدواها عظيمة ومنافعها جمة لأنها مادة الكلام والنحو ، وصورة من صورها ، ولأنها تحيط بالاشتقاق وأصوله ،

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١١٦ .
(٢) الإشارات الإلهية ص ٢٠٣ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٤٢٤ .
(٤) مثالب الوزيرين ص ١٧٠ .
(٥،٦) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص١٣٣.
(٧) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٣١٨ .

والتصرف وأبنيته ، والوزن وأمثلته ، وبابها مردود إلى توسع السماع[1] ، ولفظة لغة وردت فى نصوص عديدة من كتابات أبى حيان بمعنى اللهجة ، أى : المستوى اللغوى المحلى وبهذا المعنى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة اللغة : قال لم قيل . والجبر والقدر ولم يقل الإجبار ، فكان الجواب : إن الإجبار لغة قوم ، والجبر لغة تميم[2] وبمعنى اللهجة يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة لغة : وأما النائف فهى لغة فى ناف على الشيء وأناف إذا أشرف عليه[3] . ونجد فى كتابات أبى حيان نصوصًا كثيرة أخرى استخدمت فيها كلمة لُغَة أيضا للدلالة على الاستخدام المحلى أو على المستوى اللُّغْوى المحلى ، وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : إن لغة ذلك البلد لا تفهم فى هذه المدينة ، كما أن عادة هذه المدينة لاتستمر فى ذلك البلد[4] . ويقول أيضا : لأنه أتانى بلغة ما سمعتها والله من عربى ولا عجمى ، وقد أحطت علمًا بلغات العرب[5] .

ولفظة لغة ترد عند أبى حيان فى أماكن متعددة وبمعان متنوعة فترد بمعنى وسيلة التعبير عند الإنسان والحيوان وإن كانت لغة الحيوان تقوم على الحركة وتعبر عن حاجة مباشرة فى حين أن لغة الإنسان تعبير مقصود ، يقول أبو حيان : وما نصيبى منه إلا كنصيب من حكى لغة لا دربة له بها[6] .

وترد فى كتابات أبى حيان أنواع مختلفة من الاستخدام اللغوى للغة الأصلية والعجماء والشائعة والمختلفة والمشكلة وغيرها من أنواع اللغة التى ذكرها أبو حيان فمما قاله عن اللغة الأصلية وهى لغة العرب : ما وجدنا لكم إلا ما استعرتم من لغة

---

(1) ثمرات العلوم ص ١٩٣ .
(2) الإمتاع جـ ١ ص ٢٢٣ .
(3) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٩١ .
(4) الإشارات الإلهية ص ٣١٧ .
(5) مثالب الوزيرين ص ١٥٩ .
(6) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٤١٣ .

العرب كالسبب والآلة والسلب والإيجاب والموضوع والمحمول وأمثلة لا تنفع ولا تجدى[1] وقال أبو حيان عن اللغة العجماء : ومعرفة مدخولة ، ولغة عجماء ، وعين طموح ، ولفظ جريش[2] ثم يذكر اللغة الشائعة فيقول : وناصر باللغة الشائعة ، وحام بالجدل المبين[3] ويذكر أبو حيان نوعًا آخر للغة فيقول : وهذه وحق الحق لغةمشكلة[4] ويقول أيضا : لغة والله مشكلة ، وعلة والله معضلة[5] .

ولفظة لُغَة يسخدمها أبو حيان فى نصوص كثيرة من كتاباته أحيانا متبوعة بالصفة وأحيانًا أخرى يذكر الموصوف فقط بدون ذكر اللغة . فيقول فى بعض نصوصه ذاكرًا اللغة وصفتها : أنت إلى تعرف اللغة العربية أحوج منك إلى تعرف المعانى اليونانية[6] وفى نص آخر يذكر اللغة اليونانية فيقول مستخدمًا الصفة والموصوف : إنما تدعونا إلى تعلم اللغة اليونانية وأنت لا تعرف لغة يونان[7] ، وفى نصوص أخرى يذكر الصفة لهذه اللُّغَة ويقيمها محل الموصوف فيقول فى نصوصه : وأظن أن العربية أحوج إلى ما خطبنا من كل لغة لاتساع طرقها ، وتزاحم فرقها[8] ، ويقول أيضا : والنحو منطق ولكنه مسلوخ من العربية والمنطق نحو ، ولكنه مفهوم باللغة[9] ،، ويقول أبو حيان أيضا ذاكرًا الصفة محل الموصوف فى مجال حديثه عن اللغة وترجمتها : على أن الترجمة من لغة يونان إلى العبرانيّة ، ومن العبرانيّة إلى السريانيّة ، ومن السريانيّة إلى العربيّة ، وقد أخلت بخواص المعانى وأبدان الحقائق إخلالًا لا يخفى على أحد[10] ولفظة الجمع (**لُغات**) ترد فى نصوص كثيرة جدًا من كتابات أبى حيان ، ففى نص له من إشاراته الإلهية يقول أبو حيان

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٢٢ .
(٢) الإشارات الإلهية ص ١٣٥ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٥٧ .
(٤) الإشارات الإلهية ص ٢٣٦ .
(٥) الإشارات الإلهية ص ٣٨٩ .
(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١١٦ .
(٧) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١١١ .
(٨) البصائر والذخائر حـ ٢ ص ٩٤ .
(٩) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١١٥ .
(١٠) المقابسات ص ٢٦٦ .

ذاكرًا لفظة اللُّغات بمعنى وسائل النطق والتعبير : وتعمرنا بغرائب فنون المواهب والقيم ، وتناغى أسرار قلوبنا بصنوف اللغات[1] ، وترد لفظة لغات بمعنى النظام اللغوى فى نص لأبى حيان يقول فيه : فعلى هذا اشتركوا فى الأخلاق واللغات ، والعقائد والصناعات[2] وبمعنى اللهجات يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة لغات : فإنها لغات مختلفة مؤتلفة[3] ولفظة **لُغوىّ** نسبة إلى لغة يذكرها أبو حيان فى كتاباته فيقول : هل يقال فلان لُغوىّ أو لَغوىّ وقد انتهب الكلام انتهابًا[4] ، ويقول أبو حيان أيضا ذاكرًا لفظة لُغَوىّ : ومن كان نصف لُغَوىّ فإنه يصحف أبدًا[5] ، ولفظة (**لغويون**) جمع لُغَوىّ ترد فى نصوص عديدة من كتابات أبى حيان ومعها مصطلحات أخرى تعنى المشتغلين باللغة ، مثل صاحب اللغة ، وأهل اللغة . يقول أبو حيان ذاكرًا اللغويين : قال ابن نباته : من فضل النَّظْم أن الشواهد لا توجد إلا فيه ، والحجج لا تُؤخذ إلا منه أعنى أن العلماء والحكماء والفقهاء والنحويين واللغويين يقولون : قال الشاعر ، وهذا كثير فى الشعر[6] ويقول أبو حيان ذاكرًا اصطلاح **صاحب اللغة** فى نص من بصائره : رأيت كتابًا للأزهرى عند الهرورى صاحب اللغة يقول فيه : حصيت مأخوذ من الحصى ، وأنكر ذلك أصحابنا ببغداد[7] ويذكر أبو حيان مصطلح **أهل اللغة** فيقول . فالحاجة إلى الإفهام والتفهم ، على عادة أهل اللغة ، أشد من الخطابة والبلاغة لأنها مقدمة بالطبع ، والطبع أقرب إلينا[8] ويذكر **أهل اللغات** فيقول : وهذا اضطراب اشترك جميع أهل اللغات فيه عند إخبارهم عن إلاههم[9] .

---

(١) الإشارات الإلهية ص ٢٨٩ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٢١١ .
(٣) الإشارات الإلهية ص ٢٣٤ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٥٤٢ .
(٥) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٤٩٥ .
(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٦ .
(٧) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٧٧ .
(٨) المقابسات ص ١٢١ .
(٩) المقابسات ص ٨٣ .

وفى مجال الحديث عن اللغة نذكر مصطلح **غريب اللغة** ، وقد ورد هذا المصطلح فى قول أبى حيان : فأما أبو محمد بن أبى السباب وهو عبد الرزاق بن الحسين البغدادى فإنه كان ذا فضل واسع وشعر بارع ، وعلم بكل شىء كالمنطق وغريب اللغة[1] .

(٢) اللسان ، الألسن ، الألسنة :

اللسان جارحة الكلام ، وقد يكنى بها عن الكلمة فيؤنث ، وقد يذكر على معنى الكلام ، والجمع ألسِنة فيمن ذكر ، وألسن فيمن أنث لأن ذلك قيام ما جاء على فعال من المذكر والمؤنث . واللسان : اللغة ، والمقول ، والرسالة ، وعذبة الميزان ، ولسان القوم : المتكلم عنهم : وأن لسان الناس عليك لحسنة وحسن ، أى : ثناؤهم[2] ولسان العرب : لغتهم وفى قوله تعالى : ﴿ واحلل عقدة من لسانى ﴾ القوة النطقية القائمة بالجارحة لا الجارحة نفسها[3] ولفظة لسان والجمع ألسن وألسِنة استخدمها أبو حيان فى كتاباته مفردا وجمعا بمعانٍ متنوعة .

ترد لفظة **لِسان** فى نصوص كثيرة من كتابات أبي حيان بمعنى جارحة الكلام وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : بينى وبينك أحوال اللسان لا يصنفها ، والعبارة لا تصرفها ، والوصف لا يأتى عليها[4] .

ويقول أيضا : هذا منتهى كلامه على ما علقه الحفظ ، ولقنه الذهن ، ولو كان مأخوذًا عنه بالإملاء لكان أقوم وأحكم ، ولكن السرد باللسان ، لا يأتى على جميع

---

(١) مثالب الوزيرين ص ٢٧٩ .
(٢) اللسان جـ ٣ ص ٣٦٤ .
(٣) الكليات جـ ٤ ص ١٧٣ .
(٤) الإشارات الإلهية ص ٤٠١ .

الإمكان فى كل مكان[1] ، ويقول أبو حيان موردًا لفظة لسان بمعنى آلة النطق : ليس له من أمره لسان ينطق بالحق[2] .

ويقول أبو حيان أيضا ذاكرًا لفظة اللّسَان بمعنى جارحة الكلام : المعانى صوغ العقل واللفظ صوغ اللسان[3] ، وبهذا المعنى أيضا يقول : والحروف للسان ، والقلب للعقل ، والكبد للحزن[4] .

ترد لفظة اللسان فى نص لأبى حيان بمعنى التُرجمان أى الذى ينقل أفكار المتكلم للسامع فيقول : قال أبو صالح ، قال أبو هريرة : اللسان تُرْجمان والعينان مسلحة ، والأذن قمع ، واليدان الجناحان ، والرجلان بريد[5] . وترد لفظة لِسان فى كتابات أبى حيان بالمعنى العام المادى ، وهو أنه إحدى الحواس وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : الأجزاء الخمسة المتبقية من البدن ، وهى : العين ، والأنف ، والأذن ، واللسان ، وسائر البدن المحس به[6] ويقول أيضا ذاكرا لفظة اللسان بالمعنى المادى ، وبالمعنى الذى يدل على جارحة الكلام وآلة البيان : لكل إنسان لسان ، ولكل لسان بيان[7] وبمعنى الكلام يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة لِسان : روى لنا شيخ عن الأصمعى وابن الأعرابى أنهما قالا : الظرف ما يكون فى اللسان يقال : فلان ظريف أى بليغ جيد النطق[8] ويقول أبو حيان أيضا : لمن كانت بلاغته فى صناعته بالقلم واللسان ، فإنها توافيه عند الحاجة[9] وترد لفظة « لِسَان » فى نصوص كثيرة من كتابات أبى حيان بمعنى النطق والكلام وفى هذا المعنى يقول أبو حيان فى إشاراته الإلهية : مولاى أنت أنت لا شيء غيرك ، الإشارة

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١٤٤ .
(٢) الإشارات الإلهية ص ٤٠٢ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١٢٧ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٤٢٠ .
(٥) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٦٢٥ .
(٦) المقابسات ص ٣٩١ .
(٧) المقابسات ص ٣٩١ .
(٨) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ١٣٨ .
(٩) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٤٦ .

إليك باللسان نقص وعجز ، والتوجه نحوك بالقلب فضل وعِزّ[1] ويقول أبو حيان : إن هذا الذِّكر ليس من مراسم اللسان ولا من مناسم الفكر[2] . وترد لفظة لسان بمعنى اللغة فى كتابات أبى حيان ، على مستوى النظام اللغوى وعلى مستوى الاستخدام الفردى للغة ، وفى هذا المجال يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة لسان بمعنى النظام اللغوى : استطال باقتداره على قلل النحويين ورآها مفروضة بالتقريب وموضوعة على التمثيل ، لأنها تابعة للغة جيل من الأجيال ، ومقترنة بلسان أمة من الأمم[3] .

وترد لفظة لسان بمعنى اللغة فى الاستخدام الفردى للغة وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : قال الداركى : رأيت أبا الفرج المالكى يناظر أبا أسحاق المروزى ، فقال له فى النظر : إنك تلحن فلو أصلحت من لسانك ، فقال له أبو إسحاق : هذا أول انقطاعك لأنك تعلم أنى قد لحنت قبل هذا مرارًافلم تنكرعلى[4] .

وفى نفس المعنى أى بمعنى اللُّغة ترد لفظة لسان فى نص لأبى حيان يقول فيه : كان غلام يسوق أهجنًا لى ويرطن بالزنجية شيئا ، يوقع عليه شبه الشعر ، فمر بنا رجل يعرف لسانه فاستمع له[5] ، وقد استخدم أبو حيان فى نصه هذا لفظة الزنجية ، وهى صفة ، عوضا عن الموصوف وهو اللغة ، وقد مرت الإشارة إلى هذا الأمر عند الحديث عن اللغة ، ونلاحظ فى نص أبى حيان أيضا استخدامه للفعل رطن مع تلك اللغة الأفريقية .

وترد لفظة لسان بمعنى اللغة فى نصوص لأبى حيان يتحدث فيها عن المشتغلين باللغة أى : أئمة اللسان وأهل اللسان فيقول فى بصائره : رجـل شريب وشراب

---

(١) الإشارات الإلهية ص ١٦٤ .
(٢) الإشارات الإلهية ص ٢٠٤ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢١٧ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٥٠ .
(٥) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ١٥ .

وشروب بمعنى واحد . هكذا حفظت عن أئمة هذا اللسان ، وما لى منه إلا حظ الرواية[1] .

ويذكر أبو حيان **أهل اللسان** أى أبناء اللغة الواحدة فى نص له يقول فيه : والمَرامى التى هى فوق المرامى التى تتراسل بين الخلق فى عباراتهم وإشاراتهم لكنها مستعارة فى حمى التوحيد وحرم المعرفة ، مرفوعة المقادير عما يدنسها ويزيلها ويفسدها ويحيلها ، على عادة أهل اللسان فى الأسماء والصفات والحروف والأحداث[2] .

وترد فى كتابات أبى حيان المصطلحات « عربى اللِّسان » « فصيح اللسان » وهذه التعابير السياقية تعنى من يجيدون اللغة العربية من الفصحاء والبلغاء فيقول أبو حيان ذاكرا مصطلح **عربى اللِّسان** فى وصفه لأحدهم موردًا لفظة لِسان بمعنى اللغة الواحدة أو اللغة العربية : ذلق الحدة ، جزل الألفاظ ، عربى اللسان ، رقيق الحواشى[3] . ويقول ذاكرًا مصطلح **فصيح اللِّسان** أى من يجيد اللغة وهو ذو فصاحة وبيان : إن الرجل كثير المحفوظ ، حاضر الجواب ، فصيح اللِّسان[4] .

وترد لفظة الجمع **ألسِنة** فى نصوص كثيرة من كتابات أبى حيان ، أذكر منها ما قاله فى الإشارات : ياهذا ! أتدرى من الذى عاف عن الكون ، وجل عن الصون ، وأتى من وراء كل بحث دقيق ، واستخفى إشارات الألسنة بأنواع التكذيب والتصديق ؟[5] وهنا فى هذا النص جاءت لفظة الألسِنة بمعنى الكلام والعبارات التى تنطق بها أعضاء الكلام . وبهذا المعنى أيضا يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الألسِنة نقلًا عن ابن المقفع : العقول رسل الله تعالى إلى أهلها والألسنة

---

(١) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١٦٦ .
(٢) المقابسات ص ٧٣ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٤٤٥ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٥٤ .
(٥) الإشارات الإلهية ص ٢٣٣ .

تُرجمانها[1] الألسنة كما هو واضح فى النص هى من يقوم بنقل الأفكار والأحكام وتعبر عما أنزل من الله تعالى إلى عباده عن طريق رسله .

ولفظة الجمع أيضاً ألسُن يذكرها أبو حيان فى نص له مع لفظة ألسنة وذلك فى حديثه عن عيوب ومحاسن الكلام الذى تنطق به أعضاء النطق الألسن فيقول : القبح والحسن فى الصور بمنزلة العى والفصاحة فى الألسنة . والعى والبلاغة فى الألسن بمنزلة الاعوجاج والاستقامة فى الأعضاء[2] .

(٣) الكلام ، القول :

جاء فى اللِّسان : الكلام القول ، وقيل الكلام ما كان مكتفيا بنفسه وهو الجملة . والكلام أصوات تامة مفيدة ، وهو اسم جنس يقع على القليل والكثير[3] والكلام اسم للمصدر وليس بمصدر حقيقة ، لأن المصادر جارية على أفعالها ويطلق الكلام على ما يفهم من حال الشيء مجازا ، وعلى التكلم ، وعلى الخطاب ، وعلى ما فى النفس من المعانى التى يعبر عنها ، وعلى اللفظ المركب أفاد أو لم يفد[4] . ولفظة الكلام عرفها أبو حيان فى كتاباته بتعريفات متنوعة . وتناول أبو حيان الكلام فى مجال الألفاظ الدينية كعلم ، وسيمر ذلك عند الحديث عن علم الكلام . وهنا فى مجال الألفاظ الخاصة باللُّغة وعلومها يقول أبو حيان فى تعريفه للفظة الكلام مبينا عملية حصول الكلام : إن الكلام يسمع من الإنسان بآلات كثيرة كاللسان والأسنان والشفة ، ومتى نقص شيء من ذلك نقص الكلام على مقداره[5] ، ويحد أبو حيان معنى الكلام فيقول : يقال ما حد الكلام ؟ الجواب :

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٤ ص ٣٠٣ .
(٢) المقابسات ص ١٧٩ .
(٣) اللسان جـ ٣ ص ٢٩٠ .
(٤) الكليات جـ ٤ ص ٩٩ .
(٥) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ١٤٢ .

إنه مؤلَّف من صوت وحروف ، ومعانٍ[1] . وعن الكلام الذى يدل على معنى بالوضع والاصطلاح يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الكلام بمعنى الإجادة فى استخدام اللغة : الكلام صلف تياه لا يستجيب لكل إنسان ولا يصحب كل لسان ، وخطره كثير ، ومتعاطيه مغرور ، وهو مركب من اللفظ اللغوىّ والصوغ الطباعى ، والتأليف الصناعىّ ، والاستعمال الاصطلاحىّ[2] أوضح أبو حيان فى نصه هذا أهمية إجادة الكلام ودل تركيب الكلام على القدرة الذاتية للإنسان وهذا ما أشار إليه باستخدامه لمصطلح الصوغ الطباعى . ويقول أبو حيان معرفًا لفظة الكلام : قال شيخنا أبو سليمان : الكلام ينبعث فى أول مبادئه إما من عفو البديهة ، وإما من كد الروية ، وإما أن يكون مركبًا منهما[3] هذا هو الكلام الذى يعبر عنه بألفاظ مسموعة . وهذا المعنى عبر عنه التهانوى قائلا : الكلام بالفتح فى الأصل شامل لحرف من حروف المبانى والمعانى والأكثر منها ولذا قيل الكلام ما يتكلم به قليلا كان أو كثيرا واشتهر فى عرف أهل اللغة فى المركب من الحرفين فصاعدًا[4] وفى تعريفات أخرى للكلام يقول الأصوليون مثلا : الكلام ما انتظم من الحروف المسموعة المتواضع عليها الصادرة عن مختار واحد ، والحروف فصل عن الحرف الواحد ، فإنه لا يسمى كلاما والمسموعة فصل والمكتوبة والمعقولة والمتواضع عليها من المهمل[5] .

وقال النحاة : الكلام لفظ تضمن كلمتين بالإسناد ويسمى جملة ومركبا تاما أيضا . ويعلق التهانوى على هذه الأقوال بأن الكلام فى العرف اللغوىّ لا يشتمل

---

(١) المقابسات ص ٣٥٨ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٩ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٢ .
(٤ ، ٥) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى جـ ٥ ، ص ١٢٦٨ .

الحرف الواحد ، وفى العرف الأصولىّ لا يشتمل المهمل ، وفى العرف النحوىّ لا يشتمل الكلمة والمركبات غير التامة[1] .

وعن مراتب تأليف الكلام يذكر أبو حيان نصًّا لأستاذه أبى سعيد السيرافى من مناظرته مع متى التى دارت فى مجلس من مجالس الإمتاع فيقول : قال أبو سعيد مخاطبًا متّى : أما تعرف ياأبا بشر أن الكلام اسم واقع على أشياء قد ائتلفت بمراتب وتقول بالمثل : هذا ثوب والثوب اسم يقع على أشياء بها صار ثوبًا ، لأنه نسج بعد أن غزل ، فسداته لا تكفى دون لحمته ، ولحمته لا تكفى دون سداته ، ثم تأليفه كنسجه ، وبلاغته كقصاره ، ورقة سلكه كرقة لفظه ، وغلظ غزله ككثافة حروفه ومجموع هذا كله ثوب[2] . وهذا هو النوع الذى يتداوله الناس فى مخاطباتهم وكتاباتهم ويقال له المنثور من الكلام .

وعن أنواع الكلام يقول أبو حيان : إن الكلام الذى يراد به استصلاح العامة واستجماع الكافة ، لابد من أن يكون مرة مبسوطًا ، ومرة موجزًا ، ومرة مستقصى بالإيضاح والإفصاح ، ومرة مجموعًا بالرمز والتعريض ، ومرة مرسلًا على الكناية والمثل ، ومرة مقيدًا بالحجج والعلل ، وعلى فنون كثيرة لاوجه لاستيفائها[3] .

وعن الكلام المكتوب المعبر عن الفكر يقول أبو حيان مدافعًا عما جاء فى كتابه البصائر والذخائر : ليس هذا الفَصْل من كَلامي ، ومن لى بهذه الديباجة الخسروانيّة وبهذه الحكمة الروحانيّة[4] ويقول أيضًا واصفًا كتابه البصائر : هذا

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى جـ ٥ ص ١٢٦٩ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٢١ . (٣) المقابسات ص ٢٦٥ .

(٤) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٢٩٥ .

تمام الجزء الرابع ، والخامس يقفوه على أثره على المذهب المألوف فى تحبير الكلام على فنونه[1] .

وعن فنون الكلام يقول أبو حيان : فنون الكلام محصلة على التقريب بين البديع والسجع[2] ، ويقول أيضا : أما زائنات النثر فهى ظاهرة ، لأن جميع الناس فى أول كلامهم يقصدون النثر[3] ، ويذكر أبو حيان لفظة الكلام بمعنى الاستخدام اللغوى فيقول : صحيح الكلام من سقيمه يعرف بالنظم المألوف والإعراب المعروف إذا كنا نتكلم العربية[4] يحاول أبو حيان فى نصه هذا أن يفصل بين الكلام الصحيح وأمراض الكلام . وترد لفظة كلام بمعنى بنْية الكلمة وفى هذا المعنى يقول أبو حيان موردًا آراء النحويين : قال بعض النحويين : الكلام يدور على سبعة عشر بناء إذا سمى فاعله ، ثلاثة منها ثلاثية ، وأربعة رباعية ، وخمسة خماسية ، وستة سداسية[5] ، ويقول أيضا : الكلام كله مُتداخل والاشتقاق فيه دائر وفيه ما يصح ومنه ما يخفى[6] .

وعن فوائد الكلام يقول أبو حيان : قال أبو الفتح يومًا لابن فارس المُعَلِّم : إن الغرض الأول فى الكلام الإفادة ، وجل الأمر على هذا ، والثانى تحسين الإفادة ثم التحسين تارة يكون بمعانى التوكيد ، وتارة بمعانى الحذف ، وتارة يكون بوزن اللفظ ، وبتعديل الوزن ، وبتسهيل المطالع وتبديل المقاطع ، وهذه الأنواع وغيرها مما يطول إحصاؤه وحصره ، وقد اشتمل القرآن على هذا كله[7] وأخيرا

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٤ ص ٣٠٤ .

(٢) مثالب الوزيرين ص ٩٤ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٣ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٠٩ .

(٥) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ١٩٥ .

(٦) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٤٩٧ .

(٧) مثالب الوزيرين ص ٢٩٥ .

يذكر أبو حيان صفات الكلام الجيد فيقول معددًا هذه الصفات فى نص له من كتاب الإمتاع : وفى الجملة أحسن الكلام ما رق لفظه ، ولطف معناه ، وتلألأ رونقه وقامت صورته بين نظم كأنه نثر ، ونثر كأنه نظم[١] .

من نصوص أبى حيان المتضمنة للفظة الكلام يتبين ما أوضحه أبو حيان فى هذه النصوص للوسائل والآلات التى تتم بها عملية حصول الكلام وقدرة الإنسان الطبيعيّة على إجادة الكلام ، وصفات هذا الكلام وجودته . ثم نأتى إلى لفظة **القول** فى مجال تناولنا للألفاظ الخاصة باللغة . **والقول** كما جاء فى اللسان : هو الكلام على الترتيب ، والقَوْل هو كل لفظ قال به اللسان تامًا كان أو ناقصًا وقيل الكلام ما كان مكتفيًا بنفسه وهو الجملة ، والقول ما لم يكن مكتفيًا بنفسه وهو الجزء من الجملة ، وفى هذا المعنى يقول سيبويه : اعلم إن قلت إنما وقعت فى الكلام على أن يحكى بها ما كان كلاما لا قولا ومن أدل الدليل على الفرق بين الكلام والقول إجماع الناس على أن يقولوا القرآن الكريم كلام الله ولا يقولوا القرآن قول الله[٢] .

ولفظة القول ترد فى نصوص كثيرة جدًا من كتابات أبى حيان بالمعنى اللغوى الدال على النطق بالكلمات ذوات الحروف أو العبارات المكونة من الكلمات التى تستعمل فى اللغة وبهذا المعنى يقول أبو حيان فى إشاراته : ياهذا القول حجة على القائل متى لم يؤيدها بما يحققه[٣] . ويقول أبو حيان : ولكن شر **القول** ما لم يسمع ولم يكن لقائله فيه منتفع[٤] ، ويقول فى الإشارات أيضا : وزخرف **القوْل** فيه غرور ، وتحبير اللفظ فيه تحبير[٥] ، وفى الإشارات أيضا يقول أبو حيان ذاكرًا

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٤٥ .
(٢) اللسان جـ ٣ ص ١٨٩، ١٩٠ .
(٣) الإشارات الإلهية ص ٣٦٣ .
(٤) الصداقة والصديق ص ٤٢٣ .
(٥) الإشارات الإلهية ص ٦٨ .

لفظة القول بمعنى الكلام : وكنت مزاح العلة ، أريحى الهمة ، فصيح اللهجة ، حاضر الخاطر ، مرضى القول ، حسن الشارة[1] ، وترد لفظة قول بمعنى الكلام البلاغي الذى يحتوى على عبارات ذات معانٍ توضح الفنون البلاغية وبهذا المعنى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة القول فى حديثه عن فنونِ القول النَّثْر والنَّظْم : وقد قال الناس فى هذين المعنيين ضروبًا من القول ولم يعدوا فيها عن الوصف الحسن والإنصاف المحمود ، والتنافس المقبول[2] . ويذكر أبو حيان لفظة القول بمعنى المعانى القائمة بالنفس التى يعبر عنها بالكلمات فيقول : قيل لأفلاطون : أى الأمرين أعلى درجة أن تقول ما تعلم ، أو تعلم ما تقول ؟ فقال أن تقول ما تعلم ، لأن مرتبة العلم فوق مرتبة القول .. قال : وهذا كما قال ، إذا قال ما يعلم . فالقول تابع للعِلْم ، وإذا علم ما يقول فكأن العِلْم مقصور على قوله من غير أن يكون قائما بنفسه ، ثابتًا فى معدنه ، جاريا من ينبوعه[3] والعِلْم لا يكون فيه قصد الخطاب ولو كان لصار كلامًا[4] .

وترد لفظة القول فى كتابات أبى حيان بمعنى التعبير عن الفكر بواسطة سلسلة من الألفاظ ترتبط بعضها ببعض فى عملية عقلية مرتبة منطقيًّا ، وفى هذا المعنى يقول أبو حيان فى نص من كتاب المقابسات : إن الانفعال فى الفاعل خفى جدًّا ، والفعل فى المنفعل خفى جدًّا ، فلهذا لا يطلق على الفاعل إلا الاسم الأخص له ، الأعم لجملته . وهذا وإن كان الإطلاق والاستعمال على حد ما حقق القول فيه ، وإن المعقول لا سبيل إلى إنكاره ، وما عرف بالحقيقة لا طريق إلى جحوده ، فقد بان أن قولنا يفعل ولا يفعل ، وفاعل وغير فاعل ، كلمات مطلقة على حد المجاز

---

(١) الإشارات الإلهية ص ١٧ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣١ .

(٣) المقابسات ص ٢٨٤ .

(٤) الكليات جـ ٤ ص ١٠١ .

والعادة[1] وفى هذا المعنى يذكر أبو حيان القول المطلق ويعرف هذا الاصطلاح بقوله : يقال ما القول المطلق ؟ الجواب : ما لا يثبت بثباته آخر[2] القول المطلق هنا هو اللفظ الدال على معنى واحد لا يتوقف إدراكه على غيره. يتبين لنا من نصوص أبى حيان أن لفظة القول جاءت عنده مرادفة للفظة الكلام .

ومما تقدم يتضح أن لفظة القول ولفظة الكلام جاءت هذه الألفاظ فى المعاجم وفى كتابات أبى حيان بمعانٍ متنوعة ، وكلها تؤكد أن القول والكلام من حيث الاستخدام اللغوى جاء بمعنى واحد ، لكن القول اشتهر فى المفيد وأن أى جزء من أجزائه له معنى ، واشتهر الكلام بالتام المركب من جزأين فأكثر . والقول هو النطق بالكلمات يقع على الكلام التام وغير التام . وأن الكلام يصدر عن الإنسان . وأن الكلام صفة قائمة فى النفس فهى صفة حقيقية موجودة لكل إنسان سوى والقول يستعمل فى الإنسان وغير الإنسان .

وقد أضيف الكلام إلى الله فاستخدمت لفظة الكلام هنا بغير معناها اللغوى للدلالة على صفة من صفات الله تعالى وهى صفة الكلام . هذا ما أوردته المعاجم . ولفظة القول ولفظة الكلام من الألفاظ العامة التى تخصصت دلالتها بعد أن استخدمت كمصطلحات لغوية وفلسفية وهذا مادلت عليه نصوص أبى حيان . يتضح مما تقدم أن لفظة الكلام وردت فى كتابات أبى حيان بالمعنى اللغوى العام الدال على اللفظ المفيد إفادة تامة وهذا هو الكلام الصادر عن الإنسان وقد بين أبو حيان فى كتاباته حدوث عملية الكلام والقدرة الذاتية للإنسان وقد استخدم مصطلح الصَّوْغ الطباعىّ ليبين هذه القدرة الطبيعيّة .

ووردت لفظة الكلام بالمعنى الاصطلاحى عند أبى حيان وهو الدال على إجادة استخدام اللغة ، وبمعنى الاستخدام اللغوى ، وجاءت لفظة اللسان أيضا بمعنى

---

(١) المقابسات ص ٩٩ .

(٢) المقابسات ص ٣٧١ .

البِنْيَة والصوغ أى بِنْيَة الكلمة . ومن الملاحظ أن لفظة الكلام جاءت فى اللسان بالمعنى اللغوى ولم ترد بالمعنى الاصطلاحى . وكذلك لفظة القول وردت عند أبى حيان بالمعنى اللغوى العام ، وهو النطق بالكلمات ، أو العبارات المكونة من الكلمات ، التى تستعمل فى أية لغة من اللغات ، ووردت أيضا بالمعنى الاصطلاحى الخاص بالعملية العقلية المنظمة تنظيمًا منطقيًا وإن كان هذا المعنى الاصطلاحى لم يبرز عند أبى حيان إلا فى مجال الفلسفة والمنطق .

ومما تقدم من نصوص أبى حيان المتضمنة للفظتى القول والكلام ، يتبين أن لفظة القول جاءت عند أبى حيان مرادفة للفظة الكلام ، وهذا يحدث كثيرًا فى كتابات أبى حيان .

ومن الملاحظ أيضا أن لفظة القول ، ولفظة الكلام ألفاظ عامة تخصصت دلالتها بعد أن استخدمت كمصطلحات لغوية .

وعن الفرق بين الكلام والقول نجد أن أبا حيان قد أورد لفظة الكلام فى كتاباته بمعانٍ متنوعة واستخدمها فى مجالات متعددة أما لفظة القول فقد استخدمها أبو حيان فى مجال النطق والتعبير عن المعانى .

(٤) النحو ، الإعراب :

النَّحْو فى اللغة : القصد والطريق ، يكون النحو ظرفًا ويكون اسمًا ، نحاه ينْحُوه ويَنْحاه نحوًا وانتحاء ، ونَحْو العربية منه[١] .

والنَّحْو فى الاصطلاح : هو انتحاء سمت كلام العرب فى تصرفه من إعراب

---

(١) اللسان جـ ٣ ص ٥٩٩ .

وغيره كالتثنية والجمع ، والإضافة ، والنسب وغير ذلك . والنَّحْو فى الأصل هو مصدر شائع أى نحوت نحوًا ، كقولك قصدت قصدًا ، ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العِلْم[1] والنَّحْو هو إعراب الكلام العربى ، قال ابن السكيت : نحا نحوه إذا قصده ، ونحا الشيء ينحاه وينحوه إذا حرفه ، ومنه سمى النَّحوىّ لأنه يحرف الكلام إلى وجوه الإعراب[2] ، وقال الأزهرى : ثبت عن أهل يونان فيما يذكر المترجمون العارفون بلسانهم ولغتهم ، أنهم يسمون علم الألفاظ والعناية بالبحث عنه نحوًا[3] وقال الخُوارزمى : النَّحْو صناعة تسمى باليونانية غرماطيقى وبالعربية النحو[4] والنَّحْو هو علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية وغيرها[5] .

ولفظة (**النَّحْو**) لها تعريفات عديدة أوردها أبو حيان التوحيدى فى كتاباته فقال فى ثمرات العلوم : النَّحْو مقصور على تتبع كلام العرب فى إعرابها ومعرفة خطئها وصوابها ، واعتياد ماتواطأت عليه وألفت استعماله ، ولولا انفتاح أبواب المعانى به لم يكن فى النَّحو أكثر من مخالفة الحركة باللفظ لكن قد صح بالتجربة والاستعراض أن فى مخالفة حركات الألفاظ فساد المعانى والأغراض[6] .

وفى كتاب المقابسات ذكر أبو حيان تعريفات متنوعة للفظة النحو ففى المقابسة الثانية يقول أبو حيان معرفًا النَّحْو : هو الذى قصد به الماهر فتق المعانى ، وصحة الألفاظ ، وتوخى الإعراب ، واعتياد الصواب ، ومجانبة اللحن ، على حدود ما فى غرائز العرب وطبائعها وسلائقها[7] . جعل أبو حيان القياس من غرائز العرب .

---

(١) الخصائص لابن جنى جـ ١ ص ٣٢ .
(٢) تهذيب اللغة جـ ٥ ص ٢٥٢ .
(٣) تهذيب اللغة جـ ٥ ص ٢٥٣ .
(٤) مفاتيح العلوم ص ٢٩ .
(٥) كشاف اصطلاحات الفنون جـ٦ ص١٤٣١ .
(٦) رسالة فى ثمرات العلوم ص ١٩٣ .
(٧) المقابسات ص ٥٨ .

ويقول فى المقابسة الثانية والعشرين وقد خصصها للحديث عن النحو والمنطق : قلت لأبى سليمان ما النَّحْو ؟ فقال على ما يحضرنى الساعة من رسمه على غير تصفية حده ، وتنقيحه : إنه نظر فى كلام العرب ، يعود بتحصيل ما تألفه ، وتعتاده أو تعرفه ، وتقلل منه ، أو تعرفه ، وتخيله ، وتأباه وتذهب عنه ، وتستغنى بغيره[1] وتعريف آخر للنحو ورد فى هذه المقابسة على لسان أبى سليمان وفيه يقول : النَّحْو يرتب اللفظ ترتيبًا يؤدى إلى المعنى المعروف ، أو إلى العادة الجارية ، والشهادة فى النحو مأخوذة ، من العرب وهو يتبع ما فى طبائع العرب وقد يعتريه الاختلاف[2] . ويقول أبو سليمان أيضا : النَّحْو أول مباحث الإنسان والخطأ فى النحو يسمى لحنًا[3] هذا المعنى الاصطلاحى للفظة النحو كما مر فى نصوص أبى حيان لم يرد قديمًا عند العرب الأوائل ولا نحاتهم . ولم يستخدم اصطلاح النحو بينهم فى مناقشاتهم ومحاوراتهم ، وكانوا يعبرون عن النحو باصطلاحات أخرى مثل استخدام لفظة العربية[4] ولفظة الكلام وهم يريدون اصطلاح النَّحْو[5] وفى مجال النحو والكلام والتمييز بينهما ، نذكر بعض النصوص لأبى حيان يبين فيها أهمية النحو وأثره فى الكلام فيقول : إن الكلام كالجسم والنَّحْو كالحلية ، وإن التمييز بين الجسم والجسم إنما يقع بالحلى القائمة ، والأعراض الحالة فيه وإن حاجته إلى حركة الكلمة بأخذه وجوه الإعراب حتى يتميز الخطأ من الصواب[6] ، ويقول أيضا مبينًا أهمية النَّحْو بالنسبة للكلام ومميزا بين العلمين : كل من تكامل خطه فى اللغة وتوفر نصيبه من النحو كان بالكلام أمهر وعلى تصريف المعانى أقدر[7] ، يفصل أبو حيان فى نصوصه بين علم النحو

---

(1) المقابسات ص ١٢٢ .
(٢، ٣) المقابسات ص ١٢٤ .
(٤) أخبار النحويين البصريين ص ٢٢ .
(٥) أخبار النحويين البصريين ص ١٨ .
(٦) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢١٤ .
(٧) رسالة فى ثمرات العلوم ص ١٩٣ .

والكلام ويعطى لكل من هاتين اللفظتين معنى اصطلاحيا محددًا . وترد لفظة النحو فى كتابات أبى حيان بمعانٍ مختلفة منها المعنى اللغوى القديم وهو القصد والجانب ، وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : قال المبرد : وأنا أصل البحترى لتمثلك بشعره ، ووصله بنحو من صلته[1] وهذا المعنى اللغوى قليل الورود فى كتابات أبى حيان .

وعن فوائد علم النحو يحدثنا أبو حيان كثيرا فى كتاباته وخاصة ما قاله فى البصائر والذخائر عن فائدة هذا العِلْم : اعلم أنك لو قلت لنحوىّ : ما فائدة علمك بالنَّحْو ، وما غاية غرضك فيه ؟ لقال : معرفة المعانى ، وتجلية ملتبسها ، والتوغل فى دقائق معانى كلام الله عز وجل وكلام المبعوث بالحق إلى الخلق ، ولولا علمى بالنَّحْو لبطل مراد كثير ، وجهل باب كبير[2] .

ويقول فى البصائر والذخائر أيضا : العلوم أربعة : الفقه للأديان والطب للأبدان ، والنجوم للأزمان ، والنَّحْو للسان[3] ، وفى البصائر يذكر أبو حيان ما قاله العلماء عن معرفة النَّحو وفائدته فيقول كما قال الخليل : النَّحْو للسان بمنزلة الطعام للأبدان[4] ، وكما قال أبو العباس فى النحو : هو عيار الأشياء ، وحلى الألسن ، وجلاء الأسماع[5] ، وعن أخبار المشتغلين بالنحو يحدثنا أبو حيان فى كتاباته عن النحوىّ ، ونصف النحوىّ ، والنحويين وأهل النَّحْو وأرباب النَّحْو هؤلاء هم المختصون بعلم النَّحْو، وغيرهم كثيرون ممن اشتغلوا بالنحو فى ذلك العصر بجانب علومهم الأخرى . لفظة **النَّحوىّ** تطلق على المشتغل بعلم النحو ، وقد جاء فى اللسان : رجل ناحٍ من قوم نُحاة ، وكأن هذا إنما هو على النسب

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٢٧١ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ١٥٠ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١١٣ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٥٩٤ .
(٥) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٧٣ .

كقولك تامر ولابن[١] ، وجاء فى كشاف اصطلاحات الفنون : صاحب هذا العلم يسمى نحويًّا والنحويون الجمع وأما النحاة فهو جمع ناحٍ بمعنى النَّحْوِىّ على ما فى القاموس لكن لم يستعمل المفرد بهذا المعنى أصلًا[٢] . كانت لفظة النَّحْوِىّ تستعمل فى عصر أبى حيان مرادفة للفظة الأديب ، حتى لقد كان النعت بالأديب خاصًّا بالنحوى وفى هذا يقول أبو حيان : إنك أيها العالِم الفقيه والأديب النَّحْوِىّ تتكلم فى إعرابه وغريبه ، وتأويله وتنزيله[٣] . بين أبو حيان فى نصه المنزلة الراقية التى يتمتع بها النَّحْوِىّ فى عصره . وترد لفظة نحوى بالمعنى الاصطلاحى فى قول أبى حيان : كل إنسان منطقىّ بالطبع الأول ولكن يذهب عن استنباط ما عنده بالإهمال ، وليس كل إنسان نحويًّا فى الأصل[٤] ويصف أبو حيان عمل النَّحْوِىّ واهتمامه باللفظ فى المركز الأول مع عدم إهماله المعنى ، وعن عمل النحوى ، يقول أبو حيان : وجل **نظر النحوى** فى الألفاظ ، وإن كان لا يسوغ له الإخلال بالمعانى التى هى كالحقائق والجواهر[٥] ، ويقول أيضا ذاكرًا لفظة النحوى ومبينًا طريقة تناوله للألفاظ : وإنْ عثر النحوى بالمعنى فبالعرض والمعنى أشرف من اللفظ[٦] . ويذكر أبو حيان مصطلح نصف النحوى فيقول : ومن كان نصف نحوى فإنه لا يلحن أبدًا[٧] .

ويذكر أبو حيان لفظة الجمع **النحويين** فيقول : سمعت شيخًا من **النحويين** يقول : المعانى هى الهاجسة فى النفوس المتصلة بالخواطر ، والألفاظ ترجمة للمعانى[٨] . وترد لفظة الجمع نحويون فى نص يقول أبو حيان فيه : ابن الراوندى

---

(١) اللسان جـ ٣ ص ٥٩٩ .
(٢) كشاف اصطلاحات الفنون جـ٦ ص١٤٣١.
(٣) الإشارات الإلهية ص ٣٩ .
(٤) المقابسات ص ١٢٤ .
(٥) المقابسات ص ١٢١ .
(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١١٤ .
(٧) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٤٩٥ .
(٨) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢٠٧ .

لا يلحن ولا يخطىء ، لأنه متكلم بارع وجهبذ ناقد وبحاث جدل ، لكنه استطال باقتداره على **علل النحويين** ورآها مفروضة بالتقريب وموضوعة على التمثيل، لأنها تابعة للغة جيل من الأجيال[1] .

ومصطلح **أهل النحو** يذكره أبو حيان فى كتاباته فيقول : سألنى أبو سليمان يومًا عن الطبيعة ، وكيف هى عند **أهل النحو** واللغة ، أهى فعيلة بمعنى فاعلة أو بمعنى مفعولة[2] ، ويقول ذاكرًا مصطلح **أرباب النحو** : وسمعت أرباب النحو يقولون : الفعل خمسة أجناس[3] .

ويعد مصطلح « **معانى النحو** » من أهم ما ورد فى كتاب الإمتاع والمؤانسة للتوحيدى على لسان السيرافى فى مناظرته مع متى بن يونس سنة ٣٥٦هـ . قال السيرافى : **معانى النحو** منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته ، وبين وضع الحروف فى مواضعها المقتضية لها ، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير وتوخى الصواب فى ذلك وتجنب الخطأ من ذلك[4] .

وروى أبو حيان عن أستاذه الرمانى وهو الذى قال فيه عالى الرتبة فى النحو واللغة والكلام والعروض والمنطق ، إلا أنه لم يسلك طريق واضع المنطق بل أفرد صناعة وأظهر براعة[5] والرمانى كما يقال عنه هو أول من مزج النحو بالمنطق فى هذا العصر الذى نؤرخه ، ومعنى ذلك أنه راعى فى النحو التقسيمات المنطقية ، وعلل الأحكام تعليلًا منطقيًّا . وسبب ذلك أن الفلسفة اليونانية كانت قد انتشرت فى هذه البقاع وعرف متى النَّحْو اليونانى . وتناقش العلماء أيهما أفضل ؟ النَّحْو العربى أو النَّحْو اليونانى ؟[6] ويبين لنا أبو حيان فى مقابساته الصلة بين

---

(١) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢١٧ .
(٢) المقابسات ص ١٢٩ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢٨٩ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٢١ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص١٢٩، ١٣٣.
(٦) ظهر الإسلام أحمد أمين جـ٢ ص١٢٣ .

النَّحْو والمنطق ، وهو من رأى أستاذه أبى سليمان المنطقىّ فى أن النَّحْو منطق العربية كما أن المنطق نحو يونان[1] وحديث أبى حيان عن النحو والمنطق حديث ممتع وهو موضوع اهتم به أبو حيان وشرحه فى أماكن كثيرة من كتاباته[2] .

مما تقدم يتضح أن لفظة النَّحْو جاءت عند أبى حيان بالمعنى اللغوى العام وهو القصد[3] ، وهذا المعنى اللغوى قليل الورود عند أبى حيان . وجاءت لفظة النحو بالمعنى الاصطلاحى وهو الأكثر ورودًا فى كتابات أبى حيان . وهذه المعانى جاءت فى اللسان من قبل عصر أبى حيان .

أما التغير الدلالى فنجد أن لفظة النَّحْو التى جاءت من معنى القصد قد أطلقت على علم اللغة العربية . لأن النحو انتحاء سمت كلام العرب . وفى عصر أبى حيان نجد أن دلالة هذه اللفظة قد تخصصت أو أصبحت أكثر تخصصًا وهذا ما دلت عليه نصوصه .

الإعراب :

الإعراب فى اللغة : الإبانة والإفصاح عن الشىء . وهو مصدر أَعْرَبَ أى أبان أو أظهر ، أو أزال عرب الشىء وهو فساده ، أو لم يلحن فى كلامه ، أو تكلم بالفحش ، أو ولد له ولد عربى اللون ، أو صار له خيل عراب ، أو تحبب إلى غيره . وعَرَّب منطقه أى هَذَّبه من اللحن . والإعراب الذى هو النحو ، إنما هو الإبانة عن المعانى بالألفاظ . ويقال عَرَّبْت له الكلام تعريبًا ، وأَعْرَبْت له إعرابًا إذا بينته له . والإعراب والتعريب معناهما واحد[4] والإعراب فى الاصطلاح هو تغير

---

(١) المقابسات ص ١٢١ ، ١٢٤ . (٢) المقابسات ص ١٢١ ، ١٢٢ .
(٣) المقابسات ص ٩٧ ، ٢٧٦ ، وانظر البصائر والذخائر جـ ٥ ص ٦٦٧ .
(٤) اللسان جـ ٢ ص ٧٢٤ ، قاموس المحيط جـ ٣ ص ١٨١ .

أواخر الكلم العربية[1] وعلى مذهب سيبويه عرفه الجرجانى فقال : الإعراب هو اختلاف آخر الكلمة باختلاف العوامل لفظًا وتقديرًا[2] وقال الخُوارزمى : الحركات التي تلزم أواخر الكلام ثلاث[3] وقال التهانوى شارحًا معنى الإعراب : عند النُحاة ما اختلف آخر المعرب به ، والمعرب شامل للاسم والفعل المضارع أى الإعراب ، حركة أو حرف يتحول به آخر المعرب من حيث هو معرب ذاتًا كما في الإعراب بالحروف أو صفةً كما فى الإعراب بالحركات[4] .

ولفظة الإعراب ترد فى نصوص أبى حيان بمعانٍ متنوعة منها المعنى اللغوى وفى هذا المعنى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة **الإعراب** بمعنى الإفصاح والإبانة : والإعراب : الإفصاح ، وهذا لم يُفصح الكلام بحركاته وسَكَنَاتِه وبه يقعُ البيان . ويُقال أعربَ الفرس : إذا صهل فعُرِفَ بصهيله أنه من الخيل العِراب[5] ، ويقول أيضا موردًا لفظة الإعراب فى نصوصه بمعنى الإفصاح : وإن كانت العبارة مصروفة على معنيين ، إما لعسر المراد فى المقصود ، وإما لضيق الإعراب عن عين الحقيقة[6] ، وترد لفظة الإعراب بمعنى الإفصاح فى قوله : هذه صحيفة قد طويت منذ زمان ، لأن الأذهان غلظت عنه ، والعقول خاست دونه ، ولم يزده الإعراب إلا عجمة ، ولا الإنارة إلا ظلمة[7] . وفى قوله أيضا ذاكرًا لفظة الإعراب بمعنى الإفصاح والإبانة والركاكة التى ليس فوقها ركاكة الولوع بالغريب وما يشكل فيه الإعراب ويتجاذبه التأويل[8] .

وترد لفظة الإعراب بمعنى السلامة اللغوية ، فى نصوص عديدة من كتابات أبى

---

(١) الكتاب جـ ١ ص ١٢ ، تحقيق عبد السلام هارون طبعة مصر .

(٢) التعريفات ص ٣١ .

(٣) مفاتيح العلوم ص ٢٩ .

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون جـ٤ ص٩٤٢ .

(٥) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٦٦٨ .

(٦) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١٩٠ .

(٧) الإشارات الإلهية ص ١٣٧ .

(٨) مثالب الوزيرين ص ٦٤ .

حيان فيقول فى نص له من كتاب الإمتاع شارحًا أهمية الإعراب ، ومبينًا أهمية سلامة اللغة فى ذلك العصر : يمكن أن يقال بالمثل الأدنى : إن من يتكلم **بالإعراب** والصحة ولا يلحن ولا يخطئ ويجرى على السليقة الحميدة والضريبة السليمة ، قليل أو عزيز(١) .

وبهذا المعنى أيضا يقول أبو حيان فى وصفه لمقابسته الحادية والتسعين موردًا لفظة الإعراب بمعنى السلامة اللغوية فى إيضاح المعنى : لقد حوت معانى غريبة ، وطرقًا واضحة ، وقد كنت عرضت أكثر هذا على أبى سليمان ، وعلى غيره ، فما أصبت عند أحدهم ما يحلى ، إلا ما قاله جماعة من النحويين فإنهم بهرجوا كلمة بعد كلمة فيها من ناحية الإعراب والصوغ ، فعدت على أبى سليمان ذلك فقال : إذا استقام لك عمود المعنى فى النفس بصورته الخاصة ، فلا تكترث ببعض التقصير فى اللفظ(٢) . وبمعنى السلامة اللغوية للفظة الإعراب يقول أبو حيان أيضا : فمن ظن أن المعانى تتلخص له مع سوء اللفظ ، وقبح التأليف ، والإخلال بالإعراب فقد دل على نقصه وعجزه(٣) .

وترد لفظة الإعراب فى كتابات أبى حيان بمعنى التحدث بالعربية الشمالية والبعد عن تأثير الجنوبية وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : قال أبو سعيد : صحيح الكلام من سقيمه يعرف بالنظم المألوف ، والإعراب المعروف إذا كنا نتكلم بالعربية(٤) يقصد أبو حيان فى نصه هذا البعد عن تأثير العربية الجنوبية . ولفظة الإعراب ترد فى نصوص كثيرة من كتابات أبى حيان بالمعنى الاصطلاحى وبهذا المعنى يقول أبو حيان معرفًا لفظة الإعراب فى نص له من رسالة العلوم : حَدُّ الإعراب هو تغيير أواخر الكلم كالدال من زيد ألا ترى

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٠٦ .

(٢) المقابسات ص ٣٧٥ .

(٣) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٥٠ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٠٩ .

أنك تقول جاءنى زيد ومررت بزيد ورأيت زيدًا ، فزيد هو واحد من هذه المواضع لكن صوره مختلفة للإعراب الفاصل بين مراد ومراد وفنون هذا الباب كثيرة وعللها عويصة والنَاظِر فيه يقوم بمعانيه على حسب عنـايته ودرايته[1] . وبهذا المعنى الاصطلاحى أيضا يعرف أبو حيان لفظة الإعراب فى بصائره فيقول : الإعراب هو الذى حركة آخر الكلمة[2] وفى الإمتاع يقول أبو حيان وقد سمعت أبا سعيد السيرافى يقول : والإعراب حركة تحل بآخر حرف من الاسم كالدال من زيد[3] .

ويقول أبو حيان شارحًا عمل الإعراب : والكلام يتغير المراد فيه باختلاف الإعراب ، كما يتغير الحكم فيه باختلاف الأسماء ، وكما يتغير المفهوم باختلاف الأفعال وكما ينقلب المعنى باختلاف الحروف[4] .

مما تقدم يتضح أن لفظة الإعراب وردت فى كتابات أبى حيان بمعانٍ متعددة منها المعنى اللغوى العام ، ومنها المعنى الاصطلاحى الخاص بالنهايات الإعرابية الصحيحة ، وهذا المعنى المتعلق بتغير أواخر الكلم هو الأكثر ورودًا عند أبى حيان . وفى اللسان جاءت لفظة الإعراب بالمعنى اللغوى العام وبمعنى النحو ، أما المعنى الخاص الاصطلاحى فلم يرد فى اللسان .

وفى مجال التغير الدلالى يتبين لنا أن لفظة الإعراب استخدمت فى العصور الإسلامية الأولى بمعنى طريقة العرب فى الإبانة ، والإعراب عن حاجتها ، أى بالمعنى اللغوى . فالإعراب فى هذه الفترة كان لا يعنى النحو بقدر ما يعنى اتباع

---

(١) رسالة فى ثمرات العلوم ١٩٣ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢١٥ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢٠٨ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٠٢ .

طريقة الفصاحة العربية . وأطلق الإعراب على النحو لأنه إبانة وإفصاح عن المعانى بالألفاظ فالإعراب هنا مأخوذ من أعربه إذا أوضحه . أو أنه أخذ من عربت معدته إذا تغيرت وفسدت ، على أن تكون الهمزة للسلب فيكون معناه إزالة الفساد ، وسمى به الإعراب لأنه يزيل فساد التباس بعض المعانى ببعض . والإعراب بمفهومه هذا لم يتعد المعنى اللغوى له . ومن معنى التغير من قولهم عَرِبت معدته إذا تغيرت ولأنه تغير يلحق أواخر الكلم فيقال أعربت الكلام أى أُزلت عربه وفساده وغيرت أواخر كلماته ، بالنهايات الإعرابية الصحيحة ومن معنى التغير للفظة الإعراب يتضح لنا أن دلالة هذه اللفظة قد انتقلت من مجال مادى وهو إزالة فساد المعدة أى التخمة إلى مجال معنوى يتصل بفهم الكلام وإزالة فساده . ثم تخصصت دلالة لفظة الإعراب باستخدامها كمصطلح نحوى خاص بتغير أواخر الكلمات بنهايات إعرابية صحيحة .

ومن الاشتقاقات التى وردت فى كتابات أبى حيان من المادة « عرب » مثل : تعريب ، ومعرب ، ومعربة ، ومستعرب .

معنى **التعريب** كما جاء فى اللسان ، فى تعريب الاسم الأعجمى : أن تتفوه به العرب على منهاجها ، تقول : عَرَّبْته العرب ، وأعْرَبْته أيضا ، وأعْرَب الأعجم وعَرُب لسانه ، بالضم عربة أى صار عربيًا . وعن الأزهرى : الإعراب والتعريب معناهما واحد ، وهو الإبانة ، وعن ابن الأعرابى التعريب :التبيين والإيضاح[1] ، ولفظة **تعريب** ذكرها أبو حيان فى قوله : « نعوذ بالله من العجمة المخلوطة بالتعريب ، ومن العربية المخلوطة بالتعجيم »[2] .

---

(١) مثالب الوزيرين ص ٣٥٩ .　　(٢) اللسان حـ ٢ ص ٧٢٤ .

ولفظة مُعرِّب وقد جاءت فى اللسان بمعنى المفصح[1] وبهذا المعنى وردت لفظة معرب عند أبي حيان فى نص له يقول فيه : ياهذا ! قد اخترط الحق لسانا لا يمر بصدع إلا شعبه ، ولا يلم بقلب إلا رعبه ، واملأ عيانك منه ، فليس فى كل حين تحال من الماء والطين ، ولا فى كل زمان تحض بالأمان ، ولا فى كل وقت تناغى بلحن مطرب ، أو تناجى **بلسان مُعرِّب**[2] .

وذكر أبو حيان لفظة **مُعرِّبة** بمعنى مفصحة أى فصيحة واضحة فقال : قال المبرد : أحسن المراثى ، ما خلط مدحًا بتفجع ، واشتكاء بفضيلة ، لأنه يجمع إلى التشكى الموجع تفرجا ، فإذا وقع نظم ذلك بكلام صحيح ، ولهجة معربة ، ونظم غير متفاوت فهو الغاية من كلام المخلوقين[3] معرب ومعربة كما جاءتا فى نصوص أبي حيان بمعنى الإفصاح ، فمعرب مفصح وهذا المعنى هو الذى جاء فى اللسان من قبل فقال : المُعرِّب هو المفصح بالحق ولا يتوقاهم ، ومن المادة « عرب » يذكر أبو حيان لفظة **المستعربين** . والمُسْتَعْرِب كما عرفه اللسان هو الأعجمى الذى ينتمى إلى العرب فيتخذ لغتهم لغة له ويقال أعرب الأعجمى إعرابًا وتَعَرَّب تعربًا واسْتَعْرب استعرابًا[4] وقال أبو حيان ذاكرًا لفظة مستعربين فى وصفه للفن البلاغى السجع ومن يفرطون فى استعماله من المنتمين إلى العربية : متى زاد على المقدار ، ضارع كلام النشأة والكهنة من العرب أو كلام المستعربين من العجم[5] .

---

(١) اللسان جـ ٢ ص ٧٢٤ .

(٢) الإشارات الإلهية ص ٨ .

(٣) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٧٢ .

(٤) اللسان جـ ٢ ص ٧٢٤ .

(٥) البصائر الذخائر جـ ١ ص ٣٦٥ .

حركات الإعراب ، الرفع ، النصب ، الخفض ، الكسر :

جاء فى اللسان الحَرَكة ضد السكون من حَرُك يحْرُك حَرَكة وحركا وحَركتُه فتحَرَّك[1] ولفظة **حَرَكة** ترد عند أبى حيان ومعها لفظة الجمع حركات بالمعنى اللغوى العام وهو ضد السكون وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : قيل : كم الحركات ؟ قال : ستة أصناف ، أولها حركة الانتقال ، وهى ضربان : أما حركة الجسم بكله من مكان إلى مكان ، وأما حركته بأجزائه كالفلك والرحى[2] . وبهذا المعنى اللغوى يذكر أبو حيان أيضا لفظة الحركة فيقول : فتهالكت على وقارك وسكون أطرافك ، وسكوت لفظك وتناسب حركاتك[3] .

وترد لفظة حركة والجمع حركات بالمعنى الاصطلاحى النحوى فى نصوص عديدة من كتابات أبى حيان فيقول بهذا المعنى مبينًا أهمية حَرَكة الإعراب بالنسبة لمن يتبع قواعد النَّحو : إن حاجته إلى **حركة الكلمة** بأخذه وجوه الإعراب حتى يتميز الخطأ من الصواب[4] ويقول أيضا موردًا لفظة الحركة بالمعنى النحوى ، فى قوله : الإعراب الذى هو حَرَكة آخر الكلمة[5] ونقلا عن ثعلب يقول أبو حيان مبينًا عمل حركة الإعراب : الكلام مبنى على الحركة والسكون ، **الحركة** تتبدل وعلى السكون يوقف ، ولو كان متحركًا لقلق اللسان وطاش ، ولو كان ساكنًا ما كان كلامًا ، وباجتماع الحركة والسكون يصير كلامًا[6] . ولفظة الجمع **حركات** يذكرها أبو حيان قائلًا : قال أبو سعيد : معانى النحو منقسمة بين **حركات اللفظ** وسكناته ، وبين وضع الحروف فى موضعها المقتضية[7] ، ويقول أبو حيان ذاكرًا

---

(١) اللسان جـ ١ ص ٦١٥ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١٣٣ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٣٨ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢١٥ .
(٥) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢١٥ .
(٦) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٢١٦ .
(٧) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٢١ .

لفظة الجمع حَرَكات بالمعنى الاصطلاحى الخاص بحَرَكات الإعراب نقلًا عن أستاذه السيرافى : إنك فى هذا الاسم والفعل والحرف فقير إلى وصفها وبنائها على الترتيب الواقع فى غرائز أهلها ، وكذلك أنت محتاج بعد هذا إلى **حركات هذه الأسماء والأفعال والحروف** ، فإن الخطأ والتحريف فى الحَرَكات **كالخطأ** والفساد فى المتحركات[1] .

أما الحركات التى تلزم أواخر الكلام للإعراب فهى ثلاث : الرفع ، والنصب والخفض[2] .

جاء فى اللسان الخفض : ضد الرفع ، خفض يخفضه خفضًا فانخفض واختفض[3] والرفع : ضد الوضع ، رفعته فارتفع ، هو نقيض الخفض فى كل شيء ، رفعه يرفعه رفعًا ، ورفع هو رفاعة وارتفع[4] والنصب : مصدر نصبت الشيء إذا أقمته ، وصفيح منصب أى نصب بعضه على بعض . نصب له الحرب نصبا : وضعها[5] والرفع والنصب يختصان بالأسماء المتمكنة المنونة ، أما الفتح والخفض فهما يختصان بالأسماء المبنية وغير المتمكنة الممنوعة من الصرف[6] فيكون الرفع إذن ما وقع فى أعجاز الكلم منونًا ، والفتح : ما وقع فى أعجاز الكلم غير منون ، والنصب والخفض ما وقع فى أعجاز الكلم منونًا[7] .

وعن ألقاب حَرَكات الإعراب الرَّفع والنَّصب والجر يحدثنا أبو حيان ، فيقول : الرفع ، والنصب ، **والخفض** ، والهمز ، والإدغام ، والإمالة وأشباه ذلك ألقاب وضعها النَّحْويون للمتعلمين من العرب والمتكلفين ليقربوا إليهم البعيد ، ويجمعوا الشتيت[8] .

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١١٥ . (٢) مفاتيح العلوم ص ٢٩ .
(٣،٤) اللسان جـ ١ ص ٨٦٧، ١١٩٧. (٥) اللسان جـ ٣ ص ٦٤٥ .
(٦،٧) مفاتيح العلوم ص ٣٠ ، وانظر الكتاب جـ ١ ص ١٣ تحقيق عبد السلام هارون .
(٨) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٩٨ .

ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الفتح : الأفعال ثلاثة : ماض وهو مبنى على الفتح ومستقبل ، والدائم وهو الحال[1] والفتح نقيض الإغلاق فَتَحَهَ يَفْتَح فتحًا[2] .

ويقول أبو حيان فى بصائره أيضًا ذاكرًا الرفع ، والنصب ، والجر بمعنى ألقاب حركات الإعراب : لم يؤت المبطلون العلل فى غلطهم على العرب إلا من جهة الألقاب ، لأنهم رأوا النحويين يقولون رفعت العرب كذا بكذا ، ورأوا العرب لا تعرف الرفع ولا النصب ولا الجر ، فقضوا على عللهم بالبطلان ولو أنعموا النظر لميزوا بين المعنيين وهذا قد يجيبك عن الإعراب بالاستدلال من غير سماع[3] .

ويذكر أبو حيان لفظ الجر فيقول : الاسم ما وقع على معنى غير مقرون بزمان محصل ، ويعرف أيضا بدخول الجر عليه[4] .

نجد مما تقدم من نصوص التوحيدى أن لفظة الخفض ، ولفظة الجر قد استخدمهما التوحيدى بمعنى واحد خاص بالمعنى الاصطلاحى لحركة من حركات الإعراب وهذا الاستعمال يوضحه الخوارزمى فى مفاتيح العلوم قائلا : وقد يسمى الخفض أيضا جرًّا وقد فرق البصريون بين هذه الأسماء فجعلوا الرفع لما دخل على الأسماء المتمكنة التى يلزمها الإعراب بالحركات الثلاث ،وجعلوا النصب للأسماء المتمكنة التى يلزمها الإعراب بالحركات الثلاث ، وجعلوا الخفض للأسماء المتمكنة التى يلزمها الإعراب بالحركات الثلاث وجعلوا الكسر لما بنى مكسورًا[5] .

---

(١) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢٠٨ .

(٢) اللسان جـ ٢ ص ١٠٤٤ .

(٣) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٩٨ .

(٤) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢٠٧ .

(٥) مفاتيح العلوم الخوارزمى ص ٢٩ .

وهناك رأى للمخزومى حول استخدام لفظة الخفض عند الكوفيين يقول فيه : الخفض ويريد به الكوفيون ما يريد البصريون بالجر ، والخفض ليس من وضع الكوفيين ، ولا الجر من وضع البصريين ، وإنما هما مقتبسان من أوضاع الخليل ومصطلحاته ، إلا أن الكوفيين توسعوا فى الخفض . فاستعملوه فى الكلمات المنونة وغير المنونة بعد أن كان الخليل لا يستعمله إلا فى المنون وأن البصريين نقلوا الجر من كونه حركة يستعان بها -عند الخليل- على التخلص من الساكنين[١] وكيفما كان الأمر فإن اختلاف الفريقين فى هذه المصطلحات شكلى أيضا ، لأن الحالات التى يطلق البصريون فيها الكسر والجر يطلق الكوفيون فيها كلمة الخفض[٢] .

مما تقدم نجد أن الألفاظ رَفْع ، ونَصْب ، وخَفْض وجَرّ جاءت فى كتابات أبى حيان بالمعنى الاصطلاحى الخاص بحركات الإعراب . وهذه الألفاظ جاءت فى اللسان بالمعنى اللغوى العام وغفل اللسان عن ذكر المعنى الاصطلاحى .

أما التغير الدلالى فنجد أن الألفاظ الخاصة بألقاب حركات الإعراب ، قد تخصصت دلالتها عندما استخدمت كمصطلحات نحوية ، ودلت فى اصطلاح النحويين على ما وقع فى أعجاز الكلم منوَّنًا فى نحو زيدٍ فى الخفض ، وزيدٌ فى الرفع ، وزيدًا فى النصب ، فهى كلمات خاصة بالحركات الثلاثة للكلمة المعربة . أما لفظة الفتح فقد اختصت فى النحو بما وقع فى أعجاز الكلم غير منونٍ والفتح فى البناء يستخدم كالنصب فى الإعراب .

---

(١) مدرسة الكوفة ، مهدى المخزومى ص ٣١١ .
(٢) مدرسة الكوفة مهدى المخزومى ص ٢٥٨ .

(٥) الصرف ، التصريف :

الصَّرف فى اللغة : رَدُّ الشيء عن وجهه ، صَرَفه يَصْرِفُه صَرْفًا ، فانْصَرَف والصَّرْف : أن تصرف إنسانًا عن وجهٍ يريده إلى مصرفٍ غير ذلك . والصَّرْف : فضل الدرهم والدينار على الدينار لأن كل واحد منهما يصرف عن قيمة صاحبه . والصَّرْف : الحيلة ، والتقَلب ، والعدل الغرض ، وصرّفنا الآيات أى بيَّنّاها ، وتصريف الآيات تبينها ، وتصاريف الأمور تخاليفها . والتصريف فى جميع البياعات إنفاق الدراهم[١] ، والصَّرْف فى الاصطلاح هو تغير الكلمة بالحركات والزيادات والقلب حتى تصير على مثال لفظة أخرى[٢] والصَّرْف عِلْم يعرف به أحوال الكلم من حيث الإعلال[٣] وصَرْف الكلمة إجراؤها بالتنوين والتصريف . والتصريف فى الكلام اشتقاق بعض من بعض وأن تبنى من الكلمة بناء لم تبنه العرب على وزن ما تبنيه ثم تعمل على البناء الذى بنيته ما يقتضيه قياس كلامهم[٤] . ولفظة الصَّرْف ترد فى كتابات أبى حيان بمعانٍ متنوعة ففى المعنى اللغوى العام لهذه اللفظة يقول أبو حيان : ونحن نحس بمعان جمة ، وفوائد كثيرة . لا نستطيع صرفها عن أنفسنا[٥] .

ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة **الصَّرف** بالمعنى الاصطلاحى النحوى : حدثنا على بن عيسى عن شيخه ابن السراج فقال : سألت المبرد فقلت : إذا كان الواحد فى صيغة الجمع ما يصنع به فى الصرف فى مثل : شعره هراميل وهذه سراويل وما أشبهه ، فقال ألحقه بالجمع فامنعه الصرف ، لأنه مثله وشبيهه قال : وسألت أحمد

---

(١) اللسان جـ ٢ ص ٤٣٢ . (٢) الكتاب جـ ٢ ص ٣١٥ .
(٣) التعريفات ص ١٣٩ ، وانظر تاج العروس جـ ٦ ص ١٦٥ .
(٤) كشاف اصطلاحات الفنون جـ٣ ص٨٣٧ . (٥) المقابسات ص ٩٧ .

ابن يحيى عن ذلك ، فقال : أخبرنا سلمة عن الفراء قال : ألحقه بأحمد فامنعه الصرف فى المعرفة واصرفه فى النكرة حتى يكون بين الواحد والجمع فرق[1] .

وترد لفظة الصرف بالمعنى الاصطلاحى النحوى فى نص من كتاب البصائر يذكر فيه أبو حيان الصَّرْف ، والممنوع من الصَّرْف فى حديثه عن تصغير الأسماء المصروفة ، فيقول نقلًا عن أستاذه أبى سعيد السيرافى : فى الأسماء المصروفة ما إذا صغر منع الصرف ، وفى الأسماء ما لا ينصرف وإذا صغرته صرف ، وفيها ما لا ينصرف فى مصغره ومكبره[2] ويورد أبو حيان أمثلة على هذه الاصطلاحات الصرفية التى وردت فى نصه فيقول : فأما ما ينصرف ، إذا صغر لم ينصرف فهو الاسم المعرفة الذى فى أوله من زوائد الفعل ، وفيه حرف زائد يخرجه عن بناء الفعل ، فينصرف بخروجه عن بناء الفعل كرجل سميناه يضارب أو يضاريب فهو منصرف ، فإذا صغرناه قلنا يضرب ويضيرب ، وأما ما لا ينصرف فإذا صغرناه انصرف كنحو عمر وبكر ، فينصرف لزوال لفظ العدل ، وكذلك رجل يسمى بمساجد فلا ينصرف لأن هذا البناء يمنع من الصرف ، فإذا صغرناه أسقطنا الألف فقلنا : مسيجد تصغير مسجد فينصرف . وأما ما لا ينصرف فى مصغر ولا مكبر فما كان فى أوله زيادة الفعل نحو : رجل اسمه تغلب ويزيد وما أشبه ذلك . وأما ما ينصرف فى المصغر والمكبر كنحو : زيد وبكر وما أشبه ذلك تقول : هذا زيد وزييد ، ومررت بزييد[3] فى نص أبى حيان ورد الفعل ينصرف ولا ينصرف وهذا يدخل ضمن مجال باب الممنوع من الصرف وفى نص آخر من كتاباته يذكر أبو حيان الفعل **صرف** ، والفعل تصرف فيقول : سئل الزجاج عن قابوس فقال : إذا

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٩٦ ، ١٩٧ . (٢) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ١٥٩ .

(٣) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ١٦٠ .

جعلته أعجميا لم تصرفه وإن اشتققته من قولك : قبسته نارًا فهو فاعُول صَرَفْتَه قيل : فجامُوس ؟ قال : اصرفه لأنه جِنْس ، قال ولم صَرَفْتُهُ ؟ قال لأن العرب أخرجته من العجمة بالألف واللام فجرى مجرى أجناس العربية[(١)] والتصاريف الثلاثة للفعل صرف وردت فى هذا النص . ويذكر أبو حيان الفعل ينصرف فيقول : سمعت فى مجلس أبى سعيد شيخًا من أهل الأدب يقول : ومن الأفعال ما له وجهان ، كشىء ينصرف على معنيين مثل : أصاب عبد الله مالًا وأصاب عبد الله مال[(٢)] ويقول أبو حيان ذاكرًا الفعل ينصرف : نعم وبئس من باب أفعال ما لا ينصرف[(٣)] .

ولفظة **تصريف** ترد عند أبى حيان بالمعنى اللغوى وهو التغير والتحويل وفى هذا المعنى يقول أبو حيان فى حديثه عن النفس : هى مصرفة للجسم على سعة ، عرض التصريف فى مواضعه ، والجسم مفعل لها أو بها ، على سعة عرض الانفعال واختلاف معان لها أو بها[(٤)] ويقول أبو حيان موردًا لفظة التصريف فى قوله بهذا المعنى اللغوى : ياهذا ، إنما يشع من هذه السكينة على قدر ما استودع صاحبها من نور العقل ، وقبس النفس ، وهبة الطبيعة ، وصحة المزاج ، وها هنا تمحى الجبلة البشرية ، وتتبدد الجبلة الطينية ، وتبيد الكمية الماديّة ، وتعفو الكيفيّة العنصرية ويكون السلطان والولاية والتصريف والسياسة كلها لتلك السكينة التى قدمنا وصفنا لها[(٥)] .

وترد لفظة تصريف فى نصوص كثيرة من كتابات أبى حيان بالمعنى الاصطلاحى وفى هذا المعنى يقول أبو حيان فى رسالة العلوم : وأما اللُّغة فجدواها

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ١٨٤ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢١٤ .
(٣) البصائر جـ ١ ص ٣٤٨ .
(٤) المقابسات ص ٣٠٧ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٢٠٨ .

عظيمة ومنافعها جمة لأنها مادة الكلام والنَّحو صورة من صورها ولأنها تحيط بالاشتقاق وأصوله والتصريف وأبْنِيته فكل من تكامل حظه من اللغة وتوفر نصيبه من النحو كان بالكلام أمهر ، وعلى تصريف المعانى أقدر(١) .

ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة تصريف فى نصوص عديدة من كتاب البصائر والذخائر بمعناها الاصطلاحى : كان أبو بكر ضعيفًا فى التصريف والنحو خاصة ، وفى كتاب الجمهرة خلل كثير(٢) ، وبهذا المعنى يقول أبو حيان فى بصائره أيضا ذاكرا لفظة **التصريف** : تركنا تصريف حروف مرت مجاورة لأخواتها من غير قصد ولكن لسوء تأتى فى نظم الباب إلى الباب ورد الشبيه إلى الشبيه(٣) ، ويقول أيضا ذاكرًا لفظة التصريف وما لها من تأثير فى بِنْيَة الكلمة : أتراه يصل إلى تخليص اللفظ المبنى على معنى دون اللفظ ، المبنى على معنى آخر ، إلا بحفظ الأسماء وتصريفها ، أو تراه يقف على تحصيل المعنى المدفون فى هذا اللفظ دون المعنى المدفون فى هذا اللفظ إلا بتميز وجوه حركات اللفظ(٤) .

ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الجمع **تصاريف** بمعناها الاصطلاحى : اللغات كلها منثورة مبسوطة متباينة الأوزان متباعدة الأبنية ، مختلفة التصاريف(٥) .

مما تقدم يتبين لنا أن الألفاظ صرف ، وتصريف ، وتصاريف وردت عند أبى حيان بالمعنى اللغوى العام ، وبالمعنى الاصطلاحى الخاص بأحكام أبنية الكلمة وأحوالها . وقد فرق أبو حيان بين مصطلح الصَّرْف وغيره من المصطلحات الخاصة بالعلوم النحوية واللغوية ، فنجد من نصوصه المتضمنة للفظة التصريف أنه أخذ وضعًا خاصًّا وهذا الوضع للفظة التصريف ، لم نجده فى كتب المتقدمين ممن

---

(١) رسالة فى ثمرات العلوم ص ٢٠٤ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٦٠٨ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ١٦٤.
(٤) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢١٥ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٣ .

عرفوا النحو تعريفًا عامًّا يشمل الصرف ، كذلك مما يدل على أن تصريف الكلمات وتغير بنيتها كان يدخل ضمن علم النحو[1] ، وفى اللسان نجد أن لفظة الصَّرف جاءت بالمعنى اللغوى وبالمعنى الاصطلاحى أما لفظة التصريف فلم يذكر اللسان لهذه اللفظة إلا المعنى اللغوى وكذلك لفظة الجمع تصاريف . فلفظة التصريف إذن جديدة فى معناها عند أبى حيان .

وفى مجال التغيير الدلالى نجد أن هذه الألفاظ مثل الصرف ، والتصريف هى ألفاظ عامة تخصصت دلالتها عندما استخدمت كمصطلحات صرفية ، هذا وقد دلت نصوص أبى حيان على هذا التخصيص الدلالى .

بناء ، أبنيـــة :

ومن المصطلحات الخاصة بالصَّرف والصيغ لفظة البناء والجمع أبنية وقد وردت هذه الألفاظ فى أماكن متعددة من كتابات أبى حيان وتناولت المعاجم لفظة البِناء بالشرح والتعريف .

وقد جاء فى اللسان : بناه يبنيه بنيًا وبناء ، وبنيانا وبنية . والبِناء : المَبْنَى والجمع أبنية . والبِناء : يكون من الخباء ، والجمع أبنية ، وهى البيوت التى تسكنها العرب فى الصحراء والبِناء : لزوم آخر الكلمة ضربًا واحدًا من السكون أو الحركة لا لشىء أحدث ذلك من العوامل ، وكأنهم إنما سموه بِناء لأنه لما لزم ضربًا واحدًا فلم يتغير تغير الإعراب . وسمى بناء من حيث كان البناء لازمًا موضعا لا يزول من مكان إلى غيره[2] .

(١) إنباه الرواة فى أنباه النحاة – للقفطى جـ ٣ ص ٢٩٢ وبغية الوعاة للسيوطى ص ٢٩٣ .
(٢) اللسان جـ ١ ص ٢٧٢ .

وقال التهانوى فى كشافه شارحًا لفظة أبنية : بأنه أريد بأبنية الكلم ما يطرأ عليها ، أى على الكلم من الهيئات والأحوال[1] وقال أيضا فى تعريفه للفظة الأبنية : يطلق على الهيئة الحاصلة للفظ باعتبار ترتيب الحروف وحركاتها وسكناتها، وقد يقال الصيغة والبناء والوزن لمجموع المادة والهيئة أيضًا[2] .

ولفظة **البِناء** ترد فى نصوص أبى حيان بمعانٍ متنوعة فيقول أبو حيان ذاكرًا لفظة البِناء بالمعنى اللغوى وهو التشيّد والعمارة : الروم لهم أبدان وثيقة وهم أصحاب بِناء وهندسة لا يعرفون سواهما[3] كلمة البِناء جاءت بمعنى عِلْم العمارة الخاص ببناء الأبنية من بيوت وغيرها . وهذا المعنى اللغوى للفظة البِناء قليل الورود عند أبى حيان . وترد لفظة البِناء بالمعنى الاصطلاحى وهو لزوم آخر الكلمة ضربًا واحدًا من السكون أو الحركة ، وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : ولأن الكلام بناء ، والبناء لا يكون بحرف واحد إنما يخرج الحرف من أحكام الحروف بارتدافه حرفًا آخر[4] ويقول أبو حيان أيضا : قال الخليل : الاسم لا يكون أقل من ثلاثة أحرف : حرف يبدأ به ، وحرف تحشى به الكلمة ، وحرف يوقف عليه ، نحو نصر وزيد ، فإن قصدت البناء مثل : هل ، وبل ، وقد ، ولو ، اسمًا أدخلت عليه التشديد فقلت : هذه لوّ حسنة الكتبة[5] وفى نص من كتاب البصائر والذخائر يذكر أبو حيان لفظة بناء بمعناها الاصطلاحى مع إيراده أمثلة على ذلك فيقول : هذا بمنزلة العدْل والعَديل، فالعديل ما عادلَك من الناس والعِدْل لا يكون إلا للمتاع وغيره ، ولكنهم فرقوا بين البنائين ليفصلوا بين المتاع وغيره، ومثل ذلك بناءٌ حَصين وامرأة حَصَان ، فرقوا بين البِنَاء والمرأة[6] .

(١، ٢) كشاف اصطلاحات الفنون جـ١ ص٢١ . (٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٧١ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣٧١ . (٥) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٤٦٩ .
(٦) البصائر والذخائر جـ ٤ ص ٢٠ .

ولفظة الجمع أبنية ترد عند أبي حيان بالمعنى الاصطلاحى وفى هذا المعنى يقول : اللغات كلها منثورة مبسوطة ، متباينة الأوزان ، متباعدة الأبنية مختلف التصاريف[١] ويقول أبو حيان فى نص آخر ذاكرًا لفظة الأبنية : ما وجدنا لشىء من هذه اللغات نصوع العربية ، أعنى الفرج التى فى كلماتها ، والفضاء الذى نجده بين حروفها ، والمسافة التى بين مخارجها ، والمعادلة التى نذوقها فى أمثلتها ، والمساواة التى لا تُجْحَد فى أبنيتها[٢] .

وفى نص من رسالة العلوم يقول أبو حيان موردًا لفظة الأبنية فى حديثه عن اللغة : وأما اللغة فجدواها عظيمة ومنافعها جمة لأنها مادة الكلام والنحو صورة من صورها ولأنها تحيط بالاشتقاق وأصوله والتصريف وأبنيته ، والوزن وأمثلته ، فكل من تكامل حظه من اللغة وتوفر نصيبه من النحو كان بالكلام أمهر[٣] ويذكر أبو حيان بعض الأمثلة على الأبنية الصرفيّة فيقول فى بصائره : قال بعض الكُتَّاب : هذا أمر طريف أى لم يُعْتَدْ ، ورجل طريف أى مُعْجب ، وقال صاحب الاشتقاق : الطرف دائر فى هذه الأبنية[٤] .

مما تقدم يتضح أن لفظة البناء والجمع أبنية وردت فى كتابات أبى حيان بمعانٍ متعددة ، منها المعنى اللغوى المادى ، ومنها المعنى الاصطلاحى الخاص بلزوم الكلمة لهيئة واحدة من السكون أو الحركة وهذا المعنى هو الأكثر ورودًا عند أبى حيان . وهذه المعانى للفظة البناء جاءت من قبل فى اللسان عند تناوله للمادة (ب ن ى) ومن معنى البناء يتبين لنا أنها ضد الإعراب بالمفهوم الاصطلاحى .

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٣٣ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٧٧ .
(٣) رسالة فى العلوم ص ٢٠٤ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ١٣٣ .

وفى مجال التغير الدلالى نجد أن دلالة لفظة البناء قد انتقلت من المجال المادى وهو المعنى القديم إلى المجال المعنوى مع اشتراك الدلالتين بجزء من المعنى وهو (اللزوم). أى لزوم آخر الكلمة ضربًا واحدًا وهذا المعنى أخذ من البِناء من حيث إن البِناء كان لازمًا موضعا لا يزول من مكان إلى غيره .

ثم تخصصت دلالة لفظة البناء بعد أن استخدمت كمصطلح خاص بعِلْم الصرف وهذا ما دلت عليه نصوص أبى حيان .

(٦) « الاشتقاق » :

نجد فى نصوص كتابات أبى حيان نظرته النفاذة العميقة لمفردات اللغة العربية وتبينه لسماتها ونفاذه إلى أسرارها وتفهمه لغزارة هذه المفردات وما بينها من ترادف أو تقارب أو تناظر وقابليتها للاشتقاق تلك الدراسة الجدية التى نضجت فى عصر أبى حيان التوحيدى وفى العصور التالية لعصره .

يقول آدم ميتز فى كتابه الحضارة الإسلامية عن علم الاشتقاق : ظهرت فى القرن الرابع دراسة جدية للاشتقاق اللغوى ، وبقيت عصرًا طويلًا ، وكان أُستاذ هذه الدراسة ابن جنى الموصلى المتوفى عام ٣٩٢ هـ ، وهو الذى ينسب إليه ابتداع مبحث جديد فى علم اللغة ، وهو المسمى بالاشتقاق الأكبر ، وهو البحث الذى لا يزال يؤتى ثمره إلى اليوم ، والذى يختص بمادة الكلمة دون هيئتها ، ولم يكن لعلماء اللغة من العرب إنتاج أعظم من هذا[١] .

---

(١) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ ١ ص ٤٣٧ .

وعن علم الاشتقاق قال طاش كبرى زاده فى كتابه مفتاح السعادة : علم الاشتقاق هو العلم الباحث عن كيفية خروج الكلم بعضها عن بعض بسبب مناسبة بين المخرج والخارج بالأصالة والفرعية ، وباعتبار جوهرها . وإنما ذكرنا هذا القيد إذ يبحث فى الصرّف أيضا عن الأصالة والفرعية بين الكم ، لكن لا بحسب الجوهرية ، بل بحسب الهيئة . وموضوع علم الاشتقاق : المفردات ومسائلة : القواعد التى يعرف منها أن الأصالة والفرعية بين المفردات بأى طريق يكون وبأى وجه يعلم ، ودلائله : مستنبطة من قواعد علم المخارج وتتبع مفردات ألفاظ العرب|واستعمالاتهاوغرضه : تحصيل ملكة يعرف بها الانتساب على وجه الصواب . وغايته : الاحتراز عن الخلل فى الانتساب الذى يوجب الخلل فى ألفاظ العرب(١) .

الاشتقاق فى اللغة : هو أخذ شق الشيء ، والأخذ فى الكلام وفى الخصومة يمينًا وشمالًا . واشتقاق الحرف من الحرف : أخذه منه(٢) والاشتقاق فى الاصطلاح : هو نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتهما معنى وتركيبًا ومغايرتهما فى الصيغة(٣) ومن المجاز شقق الكلام تشقيقًا أخرجه أحسن مخرج ومن المجاز سمى أخذ الكلمة من الكلمة اشتقاقا(٤) .

وجاء فى الكليات أن الاشتقاق هو من أصل خواص كلام العرب فإنهم أطبقوا على أن التفرقة بين اللفظ العربى والعجمى بصحة الاشتقاق(٥) .

والاشتقاق عند أهل العربية يحدّ تارة باعتبار العلم وهو أن تجد بين اللفظتين تناسبا فى أصل المعنى والتركيب فترد أحدهما إلى الآخر ، وتارة باعتبار العمل وهو

---

(١) مفتاح السعادة طاش كبرى زاده جـ ١ ص ١٣٠ ، ١٣١ .
(٢) اللسان جـ ٢ ص ٣٤٣ ، قاموس المحيط جـ ٢ ص ٧٣٩ .
(٣) التعريفات ص ٢٧ .
(٤) تاج العروس جـ ٦ ص ٣٩٨ .
(٥) الكليات جـ ١ ص ١٧٩ .

أن تأخذ من اللفظ ما يناسبه فى التركيب فتجعله دالًّا على معنى يناسب معناه[١] .

ولفظة **الاشتقاق** يعرفها أبو حيان فى كتاباته فيقول : إنما يدل الاشتقاق من الكلمة على جهة واحدة فى المطلوب المتنازع ، لأنه مأخوذ من تركيب الحروف ، وتأليف اللفظ وصورة المسموع[٢] .

ويوضح أبو حيان فى كتاباته عمل الاشتقاق فى الأسماء فيقول وإن كان (الاسم) عربيًّا نصرفه ولا نصرف الذى اشتق منه[٣] ، ويقول أبو حيان عن الاشتقاق وكيف يتم فى الأسماء فيقول : ويكون اسما غير مشتق فيجرى مجرى الاسم المحض مثل : قليب كأنها سميت لأنه قلب ما أخرج منها ، ثم صار اسمًا لازما[٤]ويقول في بصائره : وقد يكون الاسمان مشتقان من شيء والمعنى فيهما واحد ، وبناؤهما مختلف ، فيكون أحد البنائين مختصا بشيء دون شيء ليفرق بينهما[٥] .

ترد لفظة الاشتقاق فى كتابات أبى حيان بمعانٍ متعددة منها المعنى اللغوى العام ، وفى هذا المعنى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الاشتقاق ، بمعنى الأخذ فى الكلام يمينًا وشمالًا أى تفرعه وتشعبه : ما هو أول فى العقل ، وما هو أول فى النفس ، وما هو أول بالطبيعة ، وما هو أول بالزمان ، وما هو أول بالدهر وما هو أول بلا سبب أعنى بالإطلاق . وهذه تلاع لا يرقاها إلا الأقوياء الأصفياء وبحور لا يركبها إلا السعداء الفضلاء . وأنا أعتذر من اشتقاق الكلام فى هذا الموضع ، وتعرق الحديث به ، ولكن الكلام صوب لا يملك إذا تهطل[٦] .

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون جـ ١ ص ١٨ ، ١٤٠ .

(٢) المقابسات ص ٤٦٧ .

(٣) البصائر واذخائر جـ ٤ ص ٢٠ .

(٤) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٧٥٠ .

(٥) البصائر والذخائر جـ ٤ ص ٢٠ .

(٦) المقابسات ص ٣٨٢ .

وترد لفظة الاشتقاق بالمعنى الاصطلاحى وهو اقتطاع فرع من أصل الكلمة يدور فى تصاريفه حروف ذلك الأصل ، وفى هذا المعنى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الاشتقاق فى نصٍّ من رسالة العلوم وذلك فى تعريفه للغة : وأما اللُّغة فجدواها عظيمة ومنافعها جمة لأنها مادة الكلام والنَّحْو صورة من صورها ولأنها تحيط بالاشتقاق وأصوله والتصريف وأبنيته ، والوزن وأمثلته وبابها مردود إلى توسع السماع[1] .

ويقول أبو حيان أيضًا ذاكرًا لفظة الاشتقاق بالمعنى الاصطلاحى فى وصفه للغة العرب وميزاتها وذلك فى مجال حديثه عن العباس بن مرداس السلمى : لقد قرع العباس بهذا الكلام باب الغيب ، وشعر بالمستور ، وأحس بالخافى ، واهتدى بلطف هاجسه إلى الأمر المزمع ، والحادث المتوقع ، وهذا شيء فاشٍ فى العرب ، لطول وحدتها ، وصفاء فكرتها ، وجوده بنيتها ، وسعة لغتها وتصاريف كلامها فى أسمائها وأفعالها وحروفها وجولانها فى اشتقاقاتها ، ومآخذها البديعة فى استعاراتها ، وغرائب تصرفها فى اختصاراتها ، وعجيب مقاربتها فى حركات لفظها ، وهذا وأضعافه مسلم لهم ، ومعروف فيهم[2] ويورد أبو حيان فى كتاباته أمثلة كثيرة جدًّا على الاشتقاق وخاصة ما جاء فى كتابه البصائر والذخائر وأيضا فى المقابسات والإمتاع والمؤانسة . ومن الأمثلة التى أوردها أبو حيان فى كتابه البصائر والذخائر مبينًا فيها لفظة الاشتقاق قوله : السِّفارة : المَشْى فى الصُّلح ، وكأنها كشف ما غمَر الحال بين المتنابذيْن والمتباينين ، ويقال للسُّفْرة سَفْرة لأنها تبْسُط وتَكْشِف ، وكأنَّ السفر أيضًا يَكْشِفُ عن الأخلاق ، والإسفار ضياء الشمس فى ظلام الغَلَس ، والسِّفْر والأسفار : كُتُب لأنها ضُمنت البيانَ عن الحق، والكشف عمَّا استتر وكما يُقال سفَرَتْ بينهم وأنا سَفير . يقال سَمِلْتُ بينهم،

---

(١) رسالة فى ثمرات العلوم ص ١٩٣ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٧٦ .

وأنا سَامل وكأنَّ السَّاملَ فى الأصل من لاطَ الحَوْض ، وأصلحَ المَوْرِد وسهل مكان الشَّارِعة ، والكلام كلُّه مُتداخلٌ ، والاشتقاقُ فيه دائر ومنه ما يصحُّ ومنه ما يُجْفَى[1] .

وقول أبى حيان أيضا فى مسألة أخرى من مسائل الاشتقاق : المُرُوءة : هى الإنسانيَّة لم تسمع من العرب لكنها مقيسة بالتوليد على كلامهم ، وفلان يَتَمرَّأُ بنا أى يُبدى مُروءَته بسُوءِ القول فينا ، يقال امرأةٌ وامرأتانِ ونساءٌ ، ونِسْوَةٌ والمِراءُ والمماراةُ متقاومان عند القائل بالاشتقاق على تعسُّف فى التأويل ، وإنما أقول بالواو ولا أتعدّى الحَدَّ فى ذلك[2] . ونوع آخر من الاشتقاق يذكره أبو حيان فى بصائره فيقول : الاستدلال من غير سماع منها الاشتقاق فى الجوارح ، إنها اليدان والرجلان لأن الاجتراح الاكتساب وهى الكواسب ، وكذلك الجراح فى البدن هى الجنايات[3] .

ويقول أبو حيان فى كتاباته الأخرى ذاكرًا بعض الأمثلة على الاشتقاق : قيل : فى اللغة العربية هذا ملء هذا ، أى يملوءه ، ومنه الملأ ، والملىء ، والملاة ، والاشتقاق معروف ، ولا يدفعه إلا ضعيف[4] ، ويقول أبو حيان أيضًا : والصداقة إذا أخذتها من جانب اشتقاق لفظها ، كانت من الصدق ، والصدق ميزان النفس وصورة العقل ، وكمال الجملة[5] .

وترد لفظة الاشتقاق أيضا بالمعنى الاصطلاحى فى أمثلة ذكرها أبو حيان فى كتاباته ، وردت على لسان أصحاب الاشتقاق والمولعين بالاشتقاق كما يسميهم أبو حيان ومن هذه الأمثلة ، ما قاله أبو حيان فى نصٍّ من كتاب البصائر والذخائر نقلًا

---

(١) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٤٩٧ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٩٩ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٩٩ .
(٤) المقابسات ص ٤٢٨ .
(٥) المقابسات ص ٤٥٢ .

عن الزجاج ، مبينًا رأيه فى مسألة من مسائل الاشتقاق : قال الزجاج : إنما سُمى الخَلُّ خَلًّا لأنه اختلّ بالحموضة ، قيل له : فإن العسل أيضا خَلٌّ ، قال لأنه أخلّ بالحلاوة عن الحُموضة فقال : هذا لا يلزم لأن الاصطلاح سبق بالمعنى الذى دل على الاشتقاق ولم يسبق المعنى فيقع عليه قياس[1] .

وفى مثال آخر يقول أبو حيان : وزعم بعض المولعين بالاشتقاق أن الخفّ سمى خفًا لأن صاحبه خفّ به للحَرَكة ، لأنه لا يلبس للقعود والرفاهية والتثاقل[2] . ويذكر أبو حيان أصحاب الاشتقاق فيقول : قال أصحاب الاشتقاق : والجِرْجير فى البقل أخذ من الجَرّ ، أخذ فيه بالتضعيف ، قال : وسمى به لأنه يُجَرْجِر من الأرض فقيل لأبى بكر الرزى الفقيه هذا فقال : ينبغى أن تكون لحيته جرجراء لأنها تتجرجر من ذقنه فضحك من نادرته[3] . وفى نص من نصوص البصائر والذخائر يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الاشتقاق والعاشقين له : الخرّ فمصدر خَرَّ عليه السَّقْف ، وقد سأل سائل عن هذه الآية (فَخَرَّ عَلَيْهِم السَّقْف) وقال : قد علم من خرّ هذا المعنى ثم صح ذلك بقوله : عليهم ، وقال بعض العاشقين للكلام فى الاشتقاق أن خرير الماء مأخوذ منه[4] ثم يقول أبو حيان أيضا ذاكرًا مساءلة أخرى من مسائل الاشتقاق وردت عند أصحاب الاشتقاق : قال بعض أصحاب الاشتقاق : السموم سُمى به لدخولها فى مسام البدن ، هكذا رأيته فى كتاب عتيق فيه أراجيز رؤبة بتفسير أبى عمرو[5] . وهناك ألفاظ عديدة ترد فى كتابات أبى حيان من المادة « ش ق ق » مثل لفظة **مشتق** ، ولفظة **تشقيق** والفعل **شقق**

---

(١) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣٩٠ .

(٢) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ١٢٩ .

(٣) البصائر والذخائر جـ ٤ ص ٢٧٤ .

(٤) البصائر والذخائر جـ ٤ ص ٢٧٨ .

(٥) البصائر والذخائر جـ ٤ ص ٢٧٧ . .

بتصريفاته المتنوعة مثل : اشتق ، ويشقق ، ويشتق ، وتَشَقَّق . لفظة مُشْتق ترد عن أبي حيان فى نص يقول فيه : وأما الشريف فمعروف ، وهو مشتق من الشرف وهو العلو[١] . ويقول أيضا ذاكرًا لفظة **مشتق** فى حديثه عن الصاحب بن عباد : قال الصاحب الخمر تسمى نسيًّا ، فقيل له : ولم ؟ فقال ليس للأسماء علل . فلما خلوت بالزعفرانى الشاعر قال لى : أخطأ فإن الأسماء ضرب منها مبتدأ ، فالغرض منه اختصاص العين به ، ليقع التمييز بينه وبين غيره ، وضرب آخر يؤخذ من أصل العقل ، وهو الذى يسمى مشتقا ليكون فيه دلالتان : دلالة كدلالة الأول فى اختصاص العين ، ودلالة على النعت ، والنسىء فى أسماء الخمر من الضرب الثانى[٢] . ولفظة التشقيق من الاشتقاقات التى ذكرها أبو حيان فى كتاباته فقال فى وصفه لكتابه البصائر والذخائر : هذا من لا تستغنى -أعزك الله- عند موازنة الكلام وتشقيق اللفظ ، وإيضاح المراد ، وتمييز المتشابه فقس على بابه بالقياس الصحيح ، والسماع الفصيح ، وستقع من ذلك على شيء كثير فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى[٣] . ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة التشقيق : اللهم إن القلم قد تعرم فى نعت قصتنا معك ، واللسان قد طفىء فى تشقيق اللفظ بذلك[٤] ، ويذكر أبو حيان لفظة **التشقيق** فى حديث له عن المعتزلة فيقول : ولهم التشقيق والتمطيط والدعوى والإعراب ، والعصبية والتَشَيُّع[٥] هذا وقد وردت لفظة التشقيق عند أبي حيان فى مجال الخط والفعل **شقق** يذكره أبو حيان فى كتاباته فيقول متسائلًا فى هوامله : لم حمق الشاب إذا تشايخ وأخذ نفسه بالزماته والمتانة ، وآثر الجد ، واقشعر من الهزل ، وجمع عطفه فى قعوده ، وشقق فى لفظه ؟[٦] ويقول ذاكرًا

(١) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ١٣٦ .   (٢) مثالب الوزيرين ص ١٤٦ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٩٩ .   (٤) الإشارات الإلهية ص ١٩٠ .
(٥) الهوامل والشوامل ص ١٣٥ رأى المعتزلة فى الاشتقاق انظر الكليات جـ ٢ ، ص ١٨٠ .
(٦) الهوامل والشوامل ص ٤٧ .

الفعل **يشقق** : ولفظ لم يخدمه التنقيح ، ولم يشقق عليه الرأى[1] والفعل **اشتق** يرد فى قول أبى حيان نقلا عن الزجاج : سئل الزجاج عن قابوس فقال : إذا جعلته أعجميا لم تصرفه وإن اشتققته من قوله : قبسته نارًا فهو فاعول صرفته[2] ويرد الفعل **تشقق** فى نص لأبى حيان يقول فيه : تشقق الكلام فى وجوه مختلفة حتى كاد لا يحصل منه ما يكون تلو المسألة والجواب[3] .

مما تقدم يتضح أن لفظة الاشتقاق وردت فى كتابات أبى حيان بالمعنى اللغوى الدال على أخذ شق الشىء ، وبالمعنى الاصطلاحى الخاص بأخذ الكلمة من الكلمة وهذا المعنى هو الأكثر ورودًا عند أبى حيان . وفى اللسان جاءت هذه اللفظة بالمعنى اللغوى حقيقة ومجازًا وأغفل اللسان ذكر المعنى الاصطلاحى .

ومع الاشتقاق ذكر أبو حيان فى كتاباته لفظة التشقيق ولفظة المشتق بالمعنى الاصطلاحى ومن الملاحظ أن لفظة المُشْتق لم ترد فى اللسان فهى جديدة فى مبناها ومعناها عند أبى حيان .

وفى مجال التغير الدلالى نجد أن لفظة الاشتقاق من الألفاظ العامة التى تخصصت دلالتها عندما استخدمت كمصطلح خاص بعلم الاشتقاق . وهذا التخصص الدلالى للفظة الاشتقاق واضح فى نصوص أبى حيان .

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٤٨١ . (٢) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٩٩ .
(٣) المقابسات ص ٦٥ .

(٧) المصطلحات الدالة على عيوب الكلام :

أ ـ اللَّحن :

اللَّحن ظاهرة لغوية كان لها أثر بيّن فى لفت أنظار المسلمين إلى العناية بالقرآن ونشوء الدراسات القرآنية . ويؤكد المؤرخون أن اللحن لم يكثر إلا بعد الفتوح وانتشار العرب فى الآفاق ، فتذمر العمال مما كانوا يسمعونه من اللحن وخصوصا فى قراءة القرآن ، فأحسوا بحاجة شديدة إلى ضبط قواعد اللغة[١] ، وإذا ما وصلنا إلى العصر العباسى نجد أن المجتمع العباسى من أصلح المجتمعات لتفشي هذه الظاهرة اللغوية ، فأجناسه المتعددة واللغات التى اختلطت فيه ، والحضارات التى تمازجت به ، كل ذلك جعله بيئة صالحة لمثل هذه الظاهرة اللغوية ، ولعل اختلاط اللغات الأجنبية وتفاعلها مع اللغة العربية كان أهم عامل من عوامل تفشى اللحن . وقد تنبه علماء الأدب واللغة القدماء لهذا العامل ، ونرى الجاحظ فى البيان والتبيين يقول : واللغتان إذا التقتا فى اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منهما الضيم على صاحبتها[٢] ، ثم إن الاختلاط الذى نتج عن التزاوج والتصاهر بين العرب وغيرهم من الأقوام ، أدى بالضرورة إلى التقاء اللغات وتفاعلها ، فهو عامل مهم فى نشوء هذه الظاهرة ، وقد شخص أبو حيّان التوحيدى هذا العامل فقال : إنما فشا **اللحن** للسبايا التى كثرت فى الإسلام ، من الأعاجم وأولادهن ، فإنهم نزعوا فى اللكنة إلى الأخوال[٣] .

---

(١) تاريخ التمدن الإسلامى جرجى زيدان جـ ٣ ص ٨٥ .

(٢) البيان والتبيين للجاحظ جـ ١ ص ٣٦٨ . (٣) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢١٦ .

وأصبح اللَّحن فى القرن الرابع الهجرى من مظاهر هذا العصر وفى هذه الظاهرة يقول أبو حيان فى نص له من بصائره : يقال فى مثل هذا الفن : وقف رجل حسن الشارة حلو الإشارة على المبرد فسأله عن مسألة وأطال ولَحَن وتسكع فى الخطأ ، فقال المبرد : ياهذا ، ما أنصفتنا من نفسك ، إما أن تلبس على قدر كلامك ، وإما أن تتكلم على قدر لبسك[1] نص أبى حيان يوضح معنى الفعل لَحَن أى أخطأ فى الكلام ومال به عن الإعراب إلى الخطأ .

جاء فى اللسان : اللحن ،واللَّحْن ، واللَّحانة : ترك الصواب فى القراءة والنشيد ونحو ذلك . واللَّحن الميل عن جهة الاستقامة ، يقال : لَحَن فلان فى كلامه إذا مال عن صحيح المنطق . ولَحَن له يلحن لحنًا : قال له قولًا يفهمه عنه ويخفى على غيره لأنه يميله بالتورية عن الواضح المفهوم . واللحن ما تلحن إليه بلسانك يمثل إليه بقولك ومنه قوله عز وجل ﴿ولتعرفنهم فى لحن القول﴾ أى فى فحواه ومعناه . واللحن بفتح الحاء : الفطنة ، واللغة ، واللحن بالسكون الخطأ ، والتطريب وترجيع الصوت ، والوجه الذى يضرب به العواد . وعن ابن برى وغيره قال : للحن ستة معان : الخطأ فى الإعراب واللغة والغناء والفطنة والتعريض والمعنى. فاللحن الذى هو الخطأ فى الإعراب يقال منه لَحَن فى كلامه بفتح الحاء ، يلحن لحنا ، وهو العدول عن الصواب[2] ولحن فى كلامه إذا مال به عن الإعراب إلى الخطأ أو صرفه عن موضعه إلى الإلغاز[3] وعرف أبو حيان **اللَّحْن** فى كتاباته فقال : والخطأ فى النَّحْو يسمى لَحْنًا[4] . وقال أبو حيان معرفا لفظة اللَّحْن : يقال ما اللَّحْن ؟ الجواب : صوت بترجيع ، خارج من غلظ إلى حدة

---

(١) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢١٧ .

(٢) اللسان جـ ٣ ص ٣٥٣ .

(٣) أساس البلاغة جـ ٢ ص ٣٣٦ .

(٤) المقابسات ص ١٢٤ .

ومن حدة إلى غلظ بفصول بينة للسمع[١] معنى اللحن واضح فى نص أبى حيان وهو الغناء . وترد لفظة اللحن فى معانٍ متنوعة عند أبى حيان فمن معانيها المعنى العام وهو الخطأ فى الكلام وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : حدثنا ابن بشران بأبلة البصرة عن ابن الأنبارى عن عبد الله بن خلف عن عبد الله بن محمد الطوسى ، قال حدثنا عثمان بن عمر عن أبيه ، قال سمعت يزيد بن هرون يقول : كان أبو شيبة القاص من ألحن الناس كان يقول : حدثنا أبى إسحاق الأسود عن عبد الله قال : قال النبي ﷺ فسمعه رقية بن مصقلة فقال : ياأبا الشيبة لو كان لحنك من الذنوب لكان من الكبائر التى لا يغفرها الله[٢] . معنى اللَّحْن هنا هو الخطأ فى الكلام والميل عن صحيح القول . وبهذا المعنى أيضا يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة لحن : ولا ينكر اللَّحْن إذا كانت الحكاية عن سفيه أو ناقص[٣] .

هذا وقد حذر أبو حيان فى نصوص كثيرة من كتاباته على تجنب اللَّحْن[٤] وشارك علماء عصره فى عيب اللَّحْن والابتعاد عنه .

وترد لفظة لحن فى نصوص كثيرة من كتابات أبى حيان بمعنى الغناء والتطريب وبهذا المعنى العام للفظة اللحن يقول أبو حيان فى نصٍّ له من إشاراته وإن كنت مُتَرنِّما فأين لحنك[٥] وقال أيضا : أما ترى ما يعمل بناشَجا هذا الصوت ، وندى هذا الحلق ، وطيب هذا اللحن ونفث هذا النغم[٦] شبه أبو حيان الصوت الإنسانى الجميل الشجى بغناء الطير المنغم وهو أصل الغناء المحبب إلى النفوس . ويقول أبو حيان أيضا بهذا المعنى : ومن فضائل النَّظْم أنه لا يُغنى ولا يُحدى إلا

---

(١) المقابسات ص ٣٥٩ .

(٢) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ١٦٥ .

(٣) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١٢٧ .

(٤) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٤٢٧ .

(٥) الإشارات الإلهية ص ١١٢ .

(٦) المقابسات ص ١١٢ .

بجيده ، ولا يؤهل للحن الطنطنة ، ولا يحلى بالإيقاع الصحيح غيره[1] وهذا المعنى العام للفظة اللحن ورد ذكره فى حديثنا عن الألفاظ الخاصة بالموسيقى والغناء .

وبمعنى الخطأ فى اللغة يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة اللّحن فى نص من بصائره : مر عمر على رُماة غَرَضٍ فسمع أحدهم يقول لصاحبه أَخْطيتَ وأشئيتَ فقال عمر : مَهْ ، فَسُوءُ اللَّحْن أشدُّ من سوءِ الرِّماية[2] . سوء اللحن هنا يعنى فساد اللغة من جهة الصيغ ، ومجال استعمال بنية الكلمة .

وترد لفظة لحن بمعنى الخطأ فى الإعراب وفى هذا المعنى الاصطلاحى يقول أبو حيان : النَّحْو الذى قصد به الماهر ، فتق المعانى ، وصحة الألفاظ وتوخى الإعراب ، واعتياد الصواب ، ومجانبة اللَّحْن على حدود ما فى غرائز العرب وطبائعها ويقول فى هذا المعنى أيضا : سمعت السيرافى يقول : سمعت نفطويه يقول : لَحْن الكبراء الرَّفع ولَحْن الأوساط النَّصب ، ولحن السُّفْلة الكَسْر[3] . بيّن أبو حيان فى نصه هذا فشو اللحن وانتشاره ، فى جميع الأوساط وعند مختلف فئات المجتمع فى عصره . ويذكر أبو حيان أيضا لفظة اللحن بمعنى الخطأ فى الإعراب ويورد مثالًا على ذلك قائلًا : سمع غلام أمه تبكى فى السحر فقال لها : لم تبكين ؟ فقالت « ذكرت أبوك » فأقرح قلبي ، ويعلل أبو حيان ورود هذا الخطأ النّحوى فيقول : ولا تنكر قولها « ذكرت أبوك » فإن اللَّحن هاهنا أصلح من الإعراب ، وقد قيل لكل مقام مقال[4] لفظة اللحن هنا بمعنى اللهجة واللغة .

والخطأ فى الإعراب يستملح فى النوادر إذا كان خفيفا وفى هذا المجال يقول أبو حيان : إنى سمعت تميميًا من عسكر شيراز ، وكان انتجع الملك ، عضد الدولة

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٦ الغناء هو إزالة الكلام عن جهته الصحيحة بالزيادة والنقصان فى الترنم . انظر لحن العامة . د . عبدالعزيز مطر ص ١٩ .

(٢) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٤٢٧ .

(٣) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٣١٠ .

(٤) البصائر والذخائر جـ ٤ ص ٨٤ .

يقول : ملح النادرة فى لحنها ، وحرارتها فى حسن مقطعها ، وحلاوتها فى قصر متنها ، وهذا القائل كان يعرف بأبى فرعون بن حرب التميمى شاهدته سنة ست وخمسين وثلاثمائة[1] يستظرف اللحن فى النوادر لأن استعمال الإعراب فيها يخرجها من صورتها ويفسد الإمتاع بها[2] .

وكان اللحن فى عصر أبى حيان مألوفا جدا فى لغة العامة ، وهم الذين حرفوا اللغة ووقع منهم الخطأ فى أصواتها ومعانيها ، وقد ذكر أبو حيان **لحن العامة** فى نصوص عديدة من كتاباته فقال : لا تؤاخذ العامة باللَّحْن ، فإن الصواب فى المعنى ، والإعراب فى اللفظ[3] فالعامة الذين يتحدث عنهم أبو حيان هنا فى نصه هذا هم الذين يمكن أن يأخذ البليغ بعض معانيهم .

ثم تزايد فشو اللحن وانتشر حتى بلغ فى عصر أبى حيان أن شاع بين العامة والخاصة أيضا . وفى هذا المجال يقول أبو حيان محذرًا : فَتَوقَّ لحن العامة وأشباه العامة من الخاصة وروض لسانك على الصواب[4] ذكر أبو حيان فى نصه اصطلاح لحن العامة وهو اصطلاح شامل للعامة والخاصة فى ذلك العصر . ثم يورد أبو حيان مثالًا على لحن العامة فيقول : يقال ما الجَربَ ، والجِراب ، أما الجَرَبَ : فالدّاء المعروف . والجِراب : المِزْوَد بكسر الجيم ، وأبو حاتم يقول : الفتح من لحن العامة ، وجمعه جُرُب[5] أشار أبو حيان فى نصوصه إلى لحن العامة ، وهذا مما يوضح لنا أن هناك لغة أخرى يتكلمها عامة المجتمع ، وتبتعد عن الفصحى فى أحكامها وأساليبها ، وهو ما يفسر لنا ما ظهر فى الأدب من عناية

---

(١) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١٢٧ .　　(٢) لحن العامة د. عبد العزيز مطر ص ٤٠ .

(٣) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٦٥٣ إن اصطلاح لحن العامة كما يقول د. مطر فى كتابه لحن العامة ص ٤٠ وهو صادق على لحن يقع من العامة بالمعنى الواسع ثم يتسرب إلى الخاصة ويصححه اللغويون ويحذرون من الوقوع فيه .

(٤) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٦٦ .　　(٥) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٦٦٣ .

بالعامة وبحياتهم مما جعل علماء اللغة يهتمون بدراسة لغة العامة ، وما يعرض فيها من خطأ[1] .

ومن الملاحظ أن اللَّحْن بمعنى الخطأ فى الكلام هو أظهر اصطلاح للفظة اللحن ، وهو اصطلاح مبكر ، لا كما زعم يوهان فك بأن اللَّحن الذى يطلقه علماء اللغة والنحو اصطلاحًا على الخطأ فى اللغة ، إنما اكتسب هذا المدلول نتيجة لاتفاق عرفىّ على تغيير معناه الأصلى فى وقت متأخر[2] ولست مع فك فى هذا الرأى ، فالعرب عرفت اللحن بمعنى الخطأ فى الكلام فى وقت مبكر جدًّا[3] ارتقت به المصادر إلى عهد الرسول عليه السلام .

ولفظة **مَلْحُون** ترد فى كتابات أبى حيان من المادة (ل ح ن) بمعنى فيه خطأ بالإعراب أى مخطوء ، وفى هذا المعنى يقول أبو حيان ذاكرًا اللفظة ملحون : قال ابن عبيد : ومن عبر عما فى نفسه بلفظ ملحون أو محرف أو موضوع غير موضعه وأفهم غيره فقد كفى[4] وهذه اللفظة لم ترد فى اللسان عند تناوله للمادة « ل ح ن » فهى اشتقاق جديد عند أبى حيان .

وهناك عدة اشتقاقات جاءت من المادة « ل ح ن » وقد ذكرها أبو حيان فى كتاباته فى مجال الألفاظ الخاصة بالموسيقى وعلومها ، وهذه الاشتقاقات مثل مُلَحِّن ، وألحان ، ولُحُون ، لنا وقفة معها فى حينها وإلى أن نلتقى مع الموسيقى وألفاظها الخاصة . ومن المادة « ل ح ن » ذكر أبو حيان الفعل يُلْحن بمعنى من يخطىء فى الإعراب يقول أبو حيان : ومن كان نصف نحوى فإنه يُلْحن أبدا[5]

---

(١) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ١ ص٤٣٨ . (٢) العربية يوهان فك ص٢٣٦ .
(٣) طبقات النحويين واللغويين ص ٢٢ يقول أبو الأسود الدؤلى : إنى لأجد للحن غمر كغمر اللحم .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٩٧ . (٥) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٤٩٥ .

ويقول أيضا ذاكرًا الفعل يلحن بمعنى يميل عن صحيح القول : ابن الراوندى لا يلحن ، ولا يخطىء لأنه متكلم بارع[1] .

ولكثرة انتشار اللَّحْن وشيوعه فى عصر أبى حيان نراه يقول فى نصٍّ من كتاب الإمتاع والمؤانسة ، يذكر فيه الفعل يلحن بمعنى يخطىء فى اللغة ويترك الإعراب ويمكن أن يقال بالمثل الأدنى : إن من يتكلم بالإعراب والصحة ولا يَلْحن ولا يخطىء ويجرى على السليقة الحميدة والضريبة السليمة ، قليل أو عزيز ، وإن الحاجة شديدة لمن عدم هذه السجيّة وهذا المنشأ إلى أن يتعلّم النحو ويقف على أحكامه[2] .

مما تقدم يتبين لنا أن لفظة اللَّحْن جاءت بمعانٍ متنوعة فى كتابات أبى حيان فمن معانيها الخطأ فى الكلام والميل عن القول الصحيح[3] ومن معانيها التورية والتعريض[4] ومن معانيها الغناء وترجيع الصوت والتطريب[5] ومن معانيها كذلك اللغة واللهجة[6] وجاءت لفظة اللحن بمعنى الخطأ فى اللغة[7] والخطأ فى الإعراب[8] وهذا المعنى الاصطلاحى كثير الورود عند أبى حيان ، وهذه المعانى التى ذكرها أبو حيان للفظة اللحن تضمنتها المعاجم العربية وجمعها صاحب اللسان بقوله للحن ستة معان . ومن الملاحظ أن أبا حيان استخدم فى كتاباته معظم هذه المعانى ، وإن كان الخطأ فى اللغة والخطأ فى الإعراب هو المعنى الأكثر

---

(١) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢١٧ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٠٦ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ١٦٥ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١٢٧ .
(٥) المقابسات ص ٣٥٩ ، الإشارات الإلهية ص ١١٢ .
(٦) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٦٦ ، جـ ٢ ص ٤٢٧ ، ص ٦٦٣ وهذا المعنى كما يقول د. مطر : يدخل ضمن المعنى العام وهو الميل ، فاختلاف اللهجة عن اللغة المشتركة يعد ميلا عنها بوجه ما . انظر لحن العامة ص ٢٩ .
(٧) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٤٢٧ .
(٨) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٣١٠ .

ورودًا عنده ، ويليه المعنى الدال على الغناء والتطريب ، ثم الخطأ فى الكلام ، وبقية المعانى الأخرى هى الأقل ورودًا عند أبى حيان . ويتبين لنا من المعانى المتعددة للفظة اللحن ظاهرة تعدد المعنى وإن كان الأنبارى جعل لفظة اللحن من الأضداد[1] وهذا كلام يطول شرحه وفى مجال التغير الدلالى يتبين لنا أن لفظة اللحن قد مرت بأطوار دلالية متعددة حتى استقرت كمصطلح نحوى . فلفظة اللحن قديمة ولها معانٍ مختلفة يعرفها العرب من القديم وهذه المعانى التى تنصرف إليها كلمة اللحن لا تربطها رابطة واضحة ، وتبدو أحيانا وكأنها بعيدة كل البعد ، ونجد أن الشواهد التى أوردتها المعاجم على كثرتها لا تهدينا إلى تحديد عصر كل معنى بالرغم من توزع هذه الشواهد على عصور مختلفة ، إذ قد يشترك أكثر من معنى فى عصر كما فى معنى الخطأ والفطنة فى العصر الأموى . وأهم ما نعثر عليه فى هذا الصدد هو تحديد ابن فارس لمعنى اللحن فى الأصل ، وهو إمالة شيء عن جهته[2] وهذا المعنى صحيح عند تطبيقه على بعض معانى اللحن إلا أن بعض الباحثين طبق هذا الأصل على جميع معانى اللحن[3] وهذا الذى يقوله د. عبد العزيز مطر صحيح فيما لو كانت هذه المعانى قد استخدمت فى عصر واحد ، ولكن استخدام كل معنى من هذه المعانى للفظة اللحن ، إنما هو معنى متطور عن المعنى الذى سبقه فى الاستعمال وشاع فى الكلام ، حتى اقترب منه معنى آخر انتقلت الكلمة إليه منصرفة لهذا المعنى الجديد استعمالًا وشيوعًا ، وأقرب معانى اللحن صلة بمعنى إمالة الشيء عن جهته هو التورية فهو مصداق إمالة الشيء لأنها على غير الأصل ، وكل ما هو على غير الأصل ممال عن جتهه ، فصار اللَّحْن (الخطأ فى التورية) على قاعدة التعميم يعنى كل خطأ فى الكلام كناية

---

(١) الأضداد للأنبارى ص ٢٣٨ يقول محمد بن قاسم الأنبارى واللحن حرف من الأضداد . فيقال للخطأ لحن ، وللصواب لحن .

(٢) تهذيب اللغة حـ ٥ ص ٦٠ .

(٣) لحن العامة ص ٢٦، ٢٩ .

أو تصريحًا . ثم أصبح اللحن الذى يعنى الخطأ يعنى اللهجة ، فعندما يعتاد المتكلم الحديث بلهجة وتكون لديه كالبديهة ، فكل خلاف لغوى من وجهة نظر المتكلم خطأ لغوى ، فأصبح اللحن يعنى اللهجة ، وكثيرا ما استعمل القدماء اللغة بمعنى اللهجة فكان انصراف اللّحن ليعنى اللغة كانصرافه ليعنى اللهجة . وكان القدماء يرون أن للحيوان لغة وللطير لغة فأطلق اللحن الذى يعنى اللغة على تغريد الطير وهو التغير الذى يوقعه الطير محببا إلى النفوس ، ومما تطرب له ، فكان إذا أرادوا تشبيه الصوت الإنسانى الجميل ، شبهوه بتغريد الطير الموقع المنغم ، وأحلى أصوات الإنسان عندما يغنى وينغم ما يقول ، فكان هذا الانتقال فى دلالة لفظة اللحن من غناء الطير إلى غناء الإنسان حتى استقر المعنى عند غناء الإنسان ، وصار لفظ اللحن منصرفا إليه . هذا ما أردنا بيانه من تطور دلالة لفظة اللحن التى مرت بمراحل دلالية كثيرة حتى استقرت كمصطلح خاص بالنحو ، فتخصصت دلالتها مع سعة انتشارها ، وكثرة استعمالها فى عصر أبى حيان ، وليس الحديث عن اللحن حصرًا لما أورده أبو حيان ولكنه برهان على ما مرت به هذه اللفظة من أطوار دلالية .

ب ـ العُجمة :

جاء فى اللسان : العُجْمة بالضم : المُتراكِم من الرمل المُشرف على ما حوله وقيل : عُجْمة وعِجْمة ـ بالضم والكسر ـ ما تَعَقَّد من الرمل . ورملة عَجْماء : لا شجر فيها ، والعَجْماء التى لا تتكلم ، وكل من لا يقدر على الكلام فهو أعْجَم ومُسْتَعجم . والأعْجَم الذى لا يفصح ولا يبيّن كلامه أى هو الذى فى لسانه حُبْسة وإن كان عربيًّا : ورجل أعْجَم وأعْجَمىّ إذا كان فى لسانه عُجْمة ، وكلام أعجم وأعجمى بين العجمة أما العَجَمىّ فهو من جنس العَجَم ـ خلاف العرب ـ أفصَحَ أو لم يُفصح . والعَجْم : العَضّ الشديد ، وعَجَم الشىء يَعْجُمُه

عَجْمًا عَضّه ليعلم صلابته من رِخوه ، وعَجَمْت الرجل إذا خبرته[1] والعُجْمَة فى الاصطلاح هى كون الكلمة من غير أوزان العرب[2] كنوح ، ولوط ولا يعرف ذلك إلا بالسماع وهو من أحد أسباب منع الصرف[3] ، والعُجمة كما يعرفها أبو حيان هى سوء الفهم[4] .

ولفظة **العُجْمَة** ترد كثيرًا فى كتابات أبى حيان بمعانٍ متنوعة لا تخرج عن العيوب الخاصة بالكلام واللسان فيذكر أبو حيان لفظة العُجْمَة بالمعنى اللغوى أى بمعنى سوء الفهم فيقول على لسان ابن عباد فى خطابه لابن ثوابة : إنى أرى فصاحة لسانك سببًا لعُجْمة فهمك[5] ويذكر أبو حيان لفظة عُجْمة بمعنى عيوب من عيوب اللسان فيقول فى حديثه عن أستاذه أبى سليمان ، أما شيخنا أبو سليمان فإنه أدقهم نظرًا ، وأقعرهم غوصًا ، مع تقطع فى العبارة ، ولُكنة ناشئة من العجمة ، وقلة نظر فى الكتب وحسن استنباط العويص وجرأة على تفسير الرمز[6] .

وترد لفظة عُجمة بمعنى عيب من عيوب الكلام الفصيح وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : نعوذ بالله من العجمة المخلوطة بالتعريب ، ومن العربية المخلوطة بالتعجيم[7] يقصد أبو حيان فى نصه هذا بالعُجْمة أى الكلام غير العربى . ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة العُجْمة بمعنى الإبهام وعدم الوضوح : ولم يزده الإعراب إلا عُجْمة[8] ، ويذكر أبو حيان لفظة عُجْمة بالمعنى الاصطلاحى الخاص بأوزان اللغة العربية مبينًا دورها فى الصرف ومنع الصرف فيقول موردًا نصًّا من بصائره:

---

(١) اللسان جـ ٢ ص ٦٩٧، ٦٩٨ .
(٢) التعريفات ص ١٥١ .
(٣) كشاف اصطلاحات الفنون جـ٤ ص١٠٤٦ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ٤ ص ٣٨٣ .
(٥) مثالب الوزيرين ص ١٦٠ .
(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٣٣ .
(٧) مثالب الوزيرين ص ٢٥٩ .
(٨) الإشارات الإلهية ص ١٣٧ .

سئل الزجاج عن الجاموس ؟ فقال أصرفه لأنه جنس ، قال : ولم صرفته ؟ قال : لأن العرب أخرجته من العجمة بالألف واللام فجرى مجرى أجناس العربية[1] .

ومن المادة « ع ج م » ترد عند أبى حيان الاشتقاقات **أعجمى، وأعجمية وعجماء** ، **ومستعجم** ، **ومستعجمة** ، **وتعجيم** ، **والعَجْم** -بسكون الجيم- **والعجم والعجمان** ، **والعواجم** وغيرها من الاشتقاقات الأخرى للمادة « عجم » والتى سوف نتعرض لها عند الحديث عن الرموز المضافة للكتابة العربية ، وكذلك ترد مجموعة من الأفعال فى كتابات أبى حيان من مادة « ع ج م » .

لفظة **أَعْجَمىّ** المنسوب إلى الأعجم الذى فى لسانه عجمة أى الذى لا يفصح ولا يبين كلامه وإن كان عربى النسب[2] وبهذا المعنى الدال على العيب عند المتكلم يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الأَعْجَمىّ : ليس الشأن أن يفهم من أعجمى طمطمته فإن ذلك المفهوم لم يكن عن تمام اللفظ ، وصحة التأليف ، وإنما حدث بدلالة ما سمع على ما كان مارًّا فى الصدر منسوخًا عند العقل[3] وترد لفظة أَعْجَمىّ عند أبى حيان بمعنى ليس من أوزان العربية أى لفظ غير عربى فيقول : سئل الزجاج عن قابوس فقال : إذا جعلته أَعْجَميًّا لم تصرفه ، وإن اشتققته من قولك : قبسته نارا فهو فاعول صرفته[4] ، مما تقدم من نصوص أبى حيان نجد أن لفظة أعجمى جاءت بمعنى الذى لا يفصح فى كلامه ، وبمعنى الذى ليس بعربى أى الخارج على أوضاع اللغة العربية .

ولفظة **أَعْجَميَّة** مؤنث أعجمىّ وهو المنسوبة إلى الأعجم الذى لا يفصح فى

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ١٨٤ .

(٢) اللسان جـ ٢ ص ٦٩٧ .

(٣) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٩٢ .

(٤) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ١٨٤ .

كلامه وبهذا المعنى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الأعجمية أى الغير فصيحة ، واللُّكنة : اللغة الأعجميّة[1] ولفظة الأعجمية لم ترد فى اللسان عند تناوله للمادة « عجم » .

ولفظة عَجْماء يذكرها أبو حيان فى كتاباته وذلك فى حديثه عن اللغة المبهمة واللغة التى لا تتفق ومعايير الفصاحة ، وفى هذا المجال يقول أبو حيان فى إشاراته ذاكرًا لفظة العَجْمَاء : وتناغت الأشياء بلغة عَجْمَاء ولُكن مفهومة[2] ، ويقول أبو حيان فى إشاراته أيضا ذاكرًا لفظة عَجْمَاء : ياهذا ارحم غربتى فى هذه اللغة العجماء ، بين هذه الدهماء الغبراء[3] .

ويذكر أبو حيان لفظة عجماء بمعنى التى لا تنطق ولا تتكلم وفى هذا يقول : الصورة اللفظية مسموعة ، فهى مسموعة بالآلة التى هى الأذن ، فإن كانت عجماء فلها حكم ، وإن كانت ناطقة فلها حكم[4] معنى العَجْماء كما وردت فى النصوص السابقة هى اللغة التى لا تفهم والألفاظ التى لا تنطق . وترد كذلك لفظة عجماء بمعنى المبهمة غير الواضحة من الأمور والمسائل وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : وفى الجملة هذه المسألة عذراء صعبة ، وعَجْماء مشكلة ، ولكن العقل الذى هو خليفة الله تعالى فى هذا العالم يجول فى هذه المضايق ، ويفتح هذه المغالق[5] وبهذا المعنى أيضا الدال على عدم الوضوح والإبهام يقول أبو حيان موردًا لفظة عَجْماء : فكيف اليوم وقد استحالت الحال عجماء ، وملك الغنى والثراء الرؤساء والعلماء ، وقل الخائض فما كسب زيادة أو نفى نقيصة[6] معنى لفظة

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٨٦ .
(٢) الإشارات الإلهية ص ٥٤ .
(٣) الإشارات الإلهية ص ٩٣ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١٤٤ .
(٥) المقابسات ص ١١٩ .
(٦) مثالب الوزيرين ص ١٢ .

العجماء واضح فى نصوص أبى حيان فهى اللغة غير الفصيحة أو المبهمة والألفاظ غير المنطوقة والمسائل التى تحتاج إلى توضيح ، ولم يتطرق أبو حيان إلى ما قاله صاحب اللسان بأن العجماء هى الخرساء التى لا تنطق وهى أنثى الأعجم[١] .

وهناك مجموعة من الألفاظ وردت فى كتابات أبى حيان من المادة « ع ج م » مثل عجم ، ومستعجم ، ومستعجمة ، وعجم ، وعجمان ، وعواجم ، كذلك الفعل عجم ، واستعجم ويستعجم .

يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة « عَجْم » فى جوابه على من سأل ما العَجْم ؟ هو العَضّ بسكون الجيم[٢] ذكر أبو حيان معنى العجم بالمعنى اللغوى القديم .

ولفظة مستعجم ترد عند أبى حيان بمعنى مستبهم أى المبهم غير الواضح فى هذا المعنى يقول أبو حيان موردًا لفظة مُسْتَعْجم : ولا أخلط كلامى بالهزل ولا أشين دعواى بالمحال ، ولا أبعد الشاهد ، ولا أتعلق بالمُسْتَعجم ، ولا أجنح إلى التلفيق والتلزيق[٣] ويقول أيضا ذاكرًا لفظة مستعجم بمعنى الأمر المبهم فقال فى إشاراته : وواضحا يصلك باليقين ، ومُسْتَعْجِمًا يضلك عن الصراط المستقيم[٤] .

قال صاحب اللسان كل من لا يقدر على الكلام فهو أعجم ومُسْتَعْجِم[٥] . وهذا المعنى لم يتناوله أبو حيان .

ولفظة مُسْتَعْجِمَة يذكرها أبو حيان بمعنى غير الواضحة فيقول : فلا يصدنك عن سلوك هذه المحجة البيضاء أمر مبهم ، ولا حال مُسْتَعْجِمة[٦] .

ولفظة تعجيم وردت فى كتابات أبى حيان بمعنى عيب من عيوب الكلام وهو

---

(١) اللسان جـ ٢ ص ٦٩٨ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٣٨٣ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٨٩ .
(٤) الإشارات الإلهية ص ١٧ .
(٥) اللسان جـ ٢ ص ٦٩٨ .
(٦) المقابسات ص ٢٨١ .

الخلط بين نطق اللغة العربية واللغات الأخرى وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : نعوذ بالله من العُجْمة المخلوطة بالتعريب ، ومن العربية المخلوطة بالتعجيم[١] .

ولفظة عُجْمان وهى جمع الجمع العُجْم التى مفردها أعجم بمعنى الذى لا يفصح فى كلامه وبهذا المعنى يذكر أبو حيان لفظة العجمان فيقول : حدثنا أبو سعيد السيرافى قال : كان يقال فى عائشة بنت أبى بكر الصديق (رضى الله عنهما) : كانت « رجلة العرب » وإنما ضاعت هذه الصفة على مر الأيام بغلبة العجمان[٢] وهذه اللفظة لم ترد فى اللسان فهى لفظة جديدة عند أبى حيان .

ولفظة عَجَم جمعا لعجمىّ ترد فى قول أبى حيان : كان الخُوارزمى من أفصح الناس وما رأينا فى العَجَم مثله[٣] ، ويقول أيضا ذاكرًا لفظة العَجَم : ولكن أين مزية بيان العرب على جميع ما لأصناف العجم ؟[٤] ويقول أبو حيان : والعَجَم : ضد العرب[٥] . ولفظة الجمع عواجِم وردت عند أبى حيان بمعنى البلايا والمصائب وهو معنى مجازى وفى هذا المعنى يقول : ويقال عجمته العواجم[٦] والعَواجِم كما فسرها صاحب اللسان هى الأسنان ، والمصائب يقال عجمتنى المصائب كما عجمت الإبل العظام[٧] أما الفعل **عَجَمَ** بمعنى خبر فقد جاء فى نص أبى حيان : قلت للزعفرانى الشاعر ، وكان من أهل بغداد : اصدقنى أيها الشيخ عن هذا الإنسان كيف وجدته فى طول ما عَجَمْت عوده . وتصفحت أخلاقه ، وخبرت دخلته[٨] وقال ابن منظور فى معنى عَجَمْتُ عوده : أى بلوت أمره وخبرت حاله[٩] وهذا هو المعنى الذى قصده أبو حيان من الفعل عَجَمْت . ثم

---

(١) مثالب الوزيرين ص ٢٥٩ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٣٨٣ .
(٣) مثالب الوزيرين ص ٧٧ .
(٤) مثالب الوزيرين ص ٢٩٤ .
(٥) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٣٨٣ ، وجاء فى اللسان العجم خلاف العرب وهى جمع عجمى .
(٦) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٤٠٨ .
(٧) اللسان جـ ٢ ص ٦٩٨ .
(٨) مثالب الوزيرين ص ٧٤ .
(٩) اللسان جـ ٢ ص ٦٩٧ .

الفعل يستعجم بمعنى يبهم ولا يتضح وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : وقد يستعجم المعنى كما يستعجم اللفظ[1] والفعل استعجمت عليك مراسم الظاهر ، فأيدها بحجج الباطن[2] .

هذا بعض ما ذكره أبو حيان من الاشتقاقات المتنوعة للمادة « ع ج م » وهناك اشتقاقات أخرى نذكرها عند تناولنا للفظة الإعجام فى مجال الحديث عن الألفاظ الكتابية .

مما تقدم نجد أن لفظة عُجمة ومعها اشتقاقات متنوعة من المادة « ع ج م » وردت فى كتابات أبى حيان بمعانٍ متعددة تدور حول استعمال الكلمات استعمالاً لا يتفق مع معايير الفصاحة .

فقد جاءت لفظة عُجمة عند أبى حيان بالمعنى اللغوى الدال على عدم وضوح الكلام ، وسوء نطق المتكلم ، وهذا عيب من عيوب اللسان ، وبمعنى الإبهام أيضا وسوء الفهم . وجاءت لفظة العُجْمة عند أبى حيان بالمعنى الاصطلاحى الخاص بأوزان الكلمة فى اللغة العربية ، وهذا المعنى الاصطلاحى الخاص بالميزان الصرفىّ للكلمة لم يرد فى اللسان عند تعريفه للفظة العجمة ، واكتفى اللسان بذكر المعنى اللغوى فقط . وبهذا تكون لفظة عُجْمة قد استعملها أبو حيان فى وصف المتكلم ووصف الكلمة . ومن الاشتقاقات التى جاءت من المادة « ع ج م » وورد ذكرها فى نصوص أبى حيان الألفاظ التالية مثل : أعجمى ، وأعجمية – نسبة إلى أعجم – وعجماء ومستعجم ومستعجمة وعجمان وتعجيم وعَجْم ، وعَجَم وعواجم وأيضا الفعل عَجَمَ بتصاريفه . هذا وقد استخدم أبو حيان هذه الألفاظ فى مجال وصفه للغة والألفاظ غير الفصيحة ، وكذلك فى مجال

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٦٥ .   (٢) الإشارات الإلهية ص ١٧٥ .

ما أبهم من الأمور والمسائل . ولم يستخدم أبو حيان هذه الألفاظ فى وصف من لا يفصح ولا يبين كلامه كما جاء فى اللسان عند تعريفه للفظة الأعجمي والعجماء . وكذلك أغفل اللسان ذكر لفظة أعجمية ولفظة عجمان وذلك عند تناوله للمادة « ع ج م » وبهذا تعتبر لفظة أعجمية ولفظة عجمان من الألفاظ الجديدة مبنى ومعنى عند أبى حيان .

وفى التغير الدلالى نجد أن لفظة عُجْمة قد مرت دلالتها بأطوار مختلفة ، ففى البدء استخدمت بمعنى المتراكم من الرمل وما تعقد منه وهذا معنى قديم للكلمة ، ثم مع مرور الزمن استخدمت الكلمة بمعنى عدم وضوح الكلام أو عيب فى اللسان ، وبهذا انتقلت دلالة لفظة العجمة من المجال المادى ، إلى المجال المعنوى ، ثم تخصصت الدلالة عندما استخدمت كمصطلح لغوى ، ونصوص أبى حيان توضح هذا التطور والتغير الدلالى للفظة العجمة .

جـ - التمتمة ، العقلة ، الحبسة ، اللكنة :

وهناك مجموعة من المصطلحات اللغوية وردت فى كتابات أبى حيان فى مجال الألفاظ الخاصة بعيوب اللسان والكلام وهى : التَّمْتَمة ، والفَأْفَأة ، والعُقْلَة ، والحُبْسَة ، واللَّفَف ، والرُّتّة ، واللُّكْنَة ، واللُّثْغة ، والنَّغْنَغة ، ففى نص من كتاب البصائر والذخائر يذكر أبو حيان هذه الألفاظ - ما عدا لفظة اللثغة والنغنغة فهى ترد فى مكان آخر من كتاباته - ، بالمعنى الاصطلاحى فيقول شارحا كل لفظة منها : قال أهل اللغة : التَّمْتَمة : اللُّكْنَة فى التاء ، والفَأْفَأة : فى الفاء ، والعُقْلَة : لتواء اللسان عند إرادة الكلام ، والحُبْسَة : تعذّر الكلام واللَّفف : إدخال حرف على حرف ، والرُّتّة : كالرَّتْج يمنعُ منه ، واللُّكْنة : اللغة

الأعجمية[1] هذا ما قاله أبو حيان ، وما قاله أهل اللغة فى شرح تلك العيوب الكلامية ولنر ما يقوله صاحب اللسان فى معنى هذه الألفاظ وفى شرحه المفصل لها .

جاء فى اللسان : التَّمْتَمة : رد الكلام إلى التاء والميم ، وقيل : هو أن يَعْجَل بكلامه فلا يكاد يفهمك ، وقيل : هو أن تسبق كلمته إلى حنكه الأعلى وعن الليث : التَّمْتَمة فى الكلام أن لا يُبين اللسان يُخْطئ موضع الحرف فيرجع إلى لفظ كأنه التاء والميم ، وإن لم يكن بينًا[2] وجاء فى اللسان الفأفأة الفأفاء : الذى يعسر عليه خروج الكلام ، والفأفأة الترديد فى الفاء[3] . وفى معنى العقلة والحبسة فقد جاء فى اللسان : العُقْلَة : التواء اللسان عند إرادة الكلام . والحُبْسة : تعذر الكلام عند إرادته ، وتحبَّس فى الكلام : توقَّف[4] أما اللفف فى الكلام فهو ثقل وعى مع ضعف ، ورجل ألف بين اللَّفف أى عييٌّ بطىء الكلام إذا تكلم ملأ لسانه فمه[5] ويقول أبو حيان : اللَّفَف هو التاء فى اللسان كالردة[6] .

ومعنى الرُّتَّة كما جاء فى اللسان هى عَجَلة فى الكلام ، وقلة أناة وردة قبيحة فى اللسان من العيب وهو أن يقلب اللام ياء ، وقيل هى العجمة فى الكلام والحُكْلَة فيه ، والرُّتة كالريح تمنع منه أول الكلام وهى غريزة ، وعن ابن الأعرابى رترت الرجل إذا تعتع فى التاء وغيرها[7] . والأَرَتُّ : الذى فى لسانه عُقدة وحُبسة ، ويعجل فى كلامه[8] واللُّكْنَة كما جاء فى اللسان : عُجْمة فى اللسان وعى . وهى أن تعترض على كلام المتكلم اللغة الأعجمية . يقال فلان يرتضح لُكْنة روميّة ،

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٨٦ .
(٢) اللسان جـ ١ ص ٣٣٣ .
(٣) اللسان جـ ١ ص ٣٣٣ .
(٤) اللسان جـ ١ ص ٥٥١ .
(٥) اللسان جـ ٣ ص ٣٨٢ .
(٦) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ١٤١ .
(٧) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٨٦ .
(٨) اللسان جـ ١ ص ١١١٨ .

أو حبشيّة أو سنديّة أو ما كانت من لغات العَجَم[1] ولفظة **اللُّكْنة** يتردد ذكرها كثيرًا فى كتابات أبى حيان بمعنى العيب فى نطق الكلام ، وقصور فى الإفصاح ، وفى هذا المعنى يقول أبو حيان فى إشاراته : ياهذا : اختلط الإفصاح باللُّكنة ، والتبست الغباوة بالفطنة[2] ويقول أيضا : وجواب مثلك عن مسائلك المختلفة إنما يكون بصدر لا حرج فيه ، ولسان لا لُكنة به[3] ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة لُكْنة بمعنى العُجْمة فى اللسان : وإنما فشا اللحن للسبايا التى كثرت فى الإسلام ، من الأعاجم وأولادهن ، فإنهم نزعوا فى اللُّكْنَة إلى الأخوال[4] أى هم لا يقيمون العربية لعجمة فى ألسنتهم وهذا عامل وراثى . وأن اللُّكنة هنا فى نص أبى حيان بمعنى العيب الخلقى . ولفظة ألكن الذى لا يقيم العربية لعجمة فى لسانه[5] ، يذكر أبو حيان **الألكن** بهذا المعنى فيقول : تسمع الحق بأذن محاجة ، وتعيه بقلب متحزق وتتدبره بعقل سادر ، وتقرأه بلسان ألكن[6] وبهذا المعنى الدال على الذى لا يقيم الكلام من عُجْمة فى لسانه وعىّ يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الألكن : فإذا أنصفت فأنا الألكن المهذار ، والمتوهم العىّ[7] .

ولفظة الجمع « **لُكْن** » يذكرها أبو حيان جمعًا لألكن فيقول : ألا ترى أنه لا سبيل إلى أن يكون الناس كلهم طوال القدود أو قصارها ، أو ضخام الرؤوس أو صغارها وفصحاء الألسنة أو لُكْنها[8] .

ولفظة لُكَن جمعًا للكنة ترد فى نصٍّ لأبى حيان يقول فيه : وتناغت الأشياء بلغة عجماء ولُكَن مفهومة[9] ومما تقدم نرى أن لفظة لُكْنة والجمع لُكَن وردت عند

---

(1) اللسان جـ ٣ ص ٣٩٢ .
(2) الإشارات الإلهية ص ١١٨ .
(3) الإشارات الإلهية ص ١٨ .
(4) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢١٦ .
(5) اللسان جـ ٣ ص ٣٩٢ .
(6) الإشارات الإلهية ص ٣٩ .
(7) الإشارات الإلهية ص ٢٠٠ .
(8) المقابسات ص ١٠١ .
(9) الإشارات الإلهية ص ٥٤ .

أبى حيان بمعنى مطابق لما جاء فى اللسان .

وقبل أن أختتم الحديث عن عيوب الكلام واللسان أذكر الألفاظ لُثْغَة ، ونَغْنَغَة . ولفظة لُثْغة وردت عند أبى حيان فى نصوص متعددة من كتاباته ففى نصٌ له من كتاب الإمتاع والمؤانسة يقول أبو حيان فيه ذاكرًا لفظة لُثْغة : قال لى أبو الوفاء : لقد شاهدت من عز الدولة فى ذلك المجلس فى جده وشهامته ، وثبات قلبه وقوة لسانه ، مع بحح لذيذ ولثغة حلوة[1] .

ومعنى اللُّثْغة كما جاء فى اللسان هو أن تَعْدل الحرْف إلى حرْف غيره والألْثغ الذى لا يستطيع أن يتكلم بالراء . وقيل هو الذى يتحول لسانه عن السين إلى الثاء ، وقيل : هو الذى لا يتم رفع لسانه فى الكلام وفيه ثقل[2] . ويذكر أبو حيان لفظة **الألثغ** فيقول : قال الحسن بن سهل : كان جالينوس ألثغ[3] . ولفظة **نَغْنَغَة** وردت فى كتابات أبى حيان فى مجال الألفاظ الخاصة بعيوب اللسان والكلام ، والنَّغْنَغَة كما جاء فى اللسان هى غُدة تكون فى الحلق[4] وبهذا المعنى الخاص بالعيب العضوى الذى يصيب اللسان فيعيقه عن الإفصاح والانطلاق فى الكلام يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة النَّغْنَغة : الفصاحة : خلوص اللسان من التعقيد والنَّغْنَغْة[5] .

مما تقدم من نصوص أبى حيان المتضمنة الألفاظ التى دلت على عيوب اللسان والكلام نجد أن هذه المجموعة من الألفاظ قد تناولها أبو حيان بالمعنى الاصطلاحى وكان شرحه لهذه الألفاظ مطابقا للمعنى الذى جاء فى اللسان من قبل .

يتبين مما تقدم أن أبا حيان استعمل فى كتاباته عددا من الألفاظ الخاصة بعيوب

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١٥٩ .
(٢) اللسان جـ ٣ ص ٣٤١ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٤٢٨ .
(٤) اللسان جـ ٣ ص ٦٨١ .
(٥) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ١٣٩ .

اللسان والكلام . وهذه الألفاظ اللغوية من الممكن تقسيمها إلى ثلاث مجاميع . فالمجموعة الأولى من هذه الألفاظ مثل التَّمْتَمة ، والفأْفَأة واللُّثغة جاءت بالمعنى الاصطلاحى الخاص بعيب يتعلق بنطق بعض الحروف مثل التاء ، والفاء ، والراء .

والمجموعة الثانية مثل اللَّفف ، والحُبسة ، والعُقلة ، والنَّغنغة ، جاءت عند أبى حيان بالمعنى الاصطلاحى الخاص ببطء فى اللسان أثناء النطق يؤدى إلى احتباس الكلام وتعذره . أما المجموعة الثالثة فهى تشمل اللُّكنة والجمع لُكَن ، وكذلك الرُّتة فقد جاءت هذه الألفاظ بالمعنى الاصطلاحى الخاص بعدم إقامة العربية وفقدان القدرة على الكلام الفصيح لعجمة فى اللسان .

وفى مجال التغير الدلالى يتبين لنا أن هذه المجموعة الكبيرة من الألفاظ اللغوية ، قد تخصصت دلالاتها عند استخدامها كمصطلحات خاصة بعيوب اللسان والكلام ، على الرغم من كثرة استعمالها وسعة انتشارها فى عصر أبى حيان ونصوصه قد أوضحت هذا التخصص الدلالى وهى خير شاهد على ذلك العصر .

(٧) المصطلحات الدالة على الرموز المضافة فى الكتابة العربية :

الإعْجَام والنَّقْط والشَّكْل هذه الألفاظ اللغوية وردت فى نصوص كثيرة من كتابات أبى حيان وأخص بالذكر ما جاء فى رسالته المعنونة فى علم الكتابة .

يقول أبو حيان فى نص له من رسالته هذه ذاكرا لفظتى نَقْط وإعْجام : الأرض الملساء وحشة ، والروضة الزهراء بهجة ، وكذلك الخط بلا نَقْط ولا إعْجَام كالأرض الملساء والمنقوط المعجم كالروضة المنورة[١] .

---

(١) رسالة فى علم الكتابة ص ٤٥ .

جاء فى اللسان : أعْجَمت الكتاب أعْجِمُه إعجامًا وأعْجَم الكتاب وعَجَّمه نَقطه وعن ابن جنى : أعْجَمت الكِتاب أزَلْت اسْتعْجامه ، وكتاب مُعْجَم إذا أعْجَمه كاتبه بالنَّقْط ، سمى مُعْجَمًا لأن شكول النَّقط فيها عُجْمة لا بيان لها كالحروف المُعْجمة ، لا بيان لها وإن كانت أصول الكلام كله . وكتاب معجم فإن تعجيمه تنقيطه لكى تستبين عُجْمَتُه وتَصح والإعجام مصدر . والتعجيم هو إزالة العُجْمة بالنَّقْط . والعَجْم : النَّقْط بالسواد[1] .

وترد لفظة إعجام فى نصوص كثيرة من كتابات أبى حيان بالمعنى الاصطلاحى الدال على نَقْط الحروف وفى هذا المعنى الدال على الرَّمز المضاف للكتابة العربية . يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الإعجام : قال سعيد بن حميد : من سلك طريقًا بلا إعلام ضَلّ ، ومن قرأ خطًّا بلا إعجام زَلّ[2] ، ويقول أبو حيان أيضا فى رسالته فى علم الكتابة موردًا لفظة إعْجَام : قال ابن ثوابه : إعْجام الكتاب يمنع من اسْتعْجَامه[3] .

ومن المادة « ع ج م » وردت فى كتابات أبى حيان مجموعة من الاشتقاقات مثل : معجم ، ومعجمة ، واستعجام ، وكذلك الفعل أعجم . وهذه الألفاظ ذكرها أبو حيان بالمعنى الاصطلاحى الخاص بالكتابة فقال ذاكرًا لفظة معجم فى وصفه لنقط الحروف العربية : الكتاب المُعْجَم هو العربى ، وغير المُعْجَم هو النَبَطى[4] .

ومن الاشتقاقات التى ذكرها أبو حيان من المادة « ع ج م » اللفظة مُعْجَمة فقال : وأما الطَّريف بالطاء غير معجمة فهو ضدّ التالد[5] . وقال أيضا ذاكرًا لفظة

---

(١) اللسان جـ ٢ ص ٦٩٨ .

(٢) رسالة فى علم الكتابة ص ٤٥ .

(٣) رسالة فى علم الكتابة ص ٤٣ .

(٤) رسالة فى علم الكتابة ص ٤٥ .

(٥) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ١٣٢ .

مُعْجَمة : قال الأموى : إذا استسقى المستسقى الماء فانتضح عليه –بالخاء المُعْجَمَة– من الدلو فذلك السقىّ بتشديد الياء[1] ، ولفظة استعجام يذكرها أبو حيان فى نصوصٍ بالمعنى الاصطلاحى فيقول : إعجام الكتاب يمنع اسْتِعْجَامه[2] ، ويقول أيضا ذاكرًا لفظة استعجام بالمعنى اللغوى : فلما كان استعجام الحال أشد كان الأصل أضعف[3] وقد وردت لفظة الاستعجام فى نص أبى حيان بمعنى الاستبهام وهذا المعنى ذكر فى حينه عند تناولنا للفظة عجمة .

والفعل أعجم يرد فى نص من كتاب البصائر والذخائر وفيه يقول أبو حيان : المشكول : فما شددته بشكال كالدابة وكذلك شكلت الكتاب وأَعْجَمتُه[4] وفى نص آخر يقول : أَعْجَمْتُ الكتاب بالألف ، وعَجَمْتُ الكتاب إذا رُزْتَه[5] .

ومع لفظة الإعجام ترد فى كتابات أبى حيان لفظة النَّقْط واشتقاقات متعددة من المادة « ن ق ط » . وقد جاء فى اللسان : نَقَط الحرف يَنْقُطُه نَقْطًا : أَعْجَمه والاسم النُّقطة ، والنُّقَط الجمع ، ونَقَّطَ المصاحف تنقيطًا فهو نَقّاط[6] . وترد لفظة **نَقْط** فى نصٍّ من كتاب الإمتاع والمؤانسة يصف فيه أبو حيان جمهرة من أعلام عصره فيقول : وأما المرزبانى وابن شاذان وابن القومسينىّ وابن حيويه فهم رواة وحملة ليس لهم فى ذلك نَقْط ولا إعجام ولا إسراج ولا إلجام[7] . ويذكر أبو حيان لفظة النَّقْط فى رسالته المسماة فى علم الكتابة فيقول : الخط بلا نقط ولا إعجام كالأرض الملساء[8] ويقول ذاكرًا اللفظة (**مَنْقُوط**) فى نصه هذا : والمنقوط المعجم كالروضة المنورة[9] .

---

(١) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١٢١ .
(٢) رسالة فى علم الكتابة ص ٤٥ .
(٣) المقابسات ص ٢٩٨ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٥٢٣ .
(٥) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٣٨٣ .
(٦) اللسان جـ ٣ ص ٧٠٦ .
(٧) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٣٤ .
(٨، ٩) رسالة فى علم الكتابة ص ٤٥ .

ولفظة (منْقُوطة) ترد فى نص يقول فيه أبو حيان : يقال : رجل منجذ بالذال منقوطة[1] ومع النَّقط يذكر أبو حيان لفظة **نُقْطة** والجمع **نُقَط** فيقول : النُّقْطة هى مبدأ للكم المتصل بمنزلة الخط الذى تتصل أجزاؤه بعضها ببعض بحد مشترك هو النُّقْطة[2] ، ويذكر أبو حيان لفظة نُقْطة فيقول : الحركة ، والسكون ، والنُّقْطة والوحدة والصورة والمادة لم تختلف فى أعيانها[3] وجاءت لفظة نقطة فى نصوص أبى حيان بالمعنى الفلسفى وهذا أمر واضح ، ولسوف نتناول هذه اللفظة عند بحث الألفاظ الفلسفية ومجالاتها .

أما لفظة الجمع (نُقَط) فقد ذكرها أبو حيان فى كتاباته بالمعنى الاصطلاحى الخاص بالكتابة العربية فقال : قال أبو سعيد السيرافى : لا أزال أسمع من زيد بن رقاعة قولًا ومذهبًا لا عهد لى به ، يذكر الحروف ويذكر النُّقَط ويزعم أن الباء لم تنقط من تحت واحدة إلا بسبب ، والتاء لم تنقط من فوق إلا لعة ، والألف لم تعر إلا لغرض[4] ، وذكر أبو حيان لفظة نُقَط بالمعنى الهندسى فقال : المهندس الباحث عن مقادير الأشياء ونُقَطها وخطوطها وسطوحها وأجسامها وأضلاعها وزواياها[5] ، ولفظة **الشكل** من الألفاظ الدالة على الرموز المضافة للكتابة العربية والشَكْل كما جاء فى اللسان : بالفتح هو الشبه والمثل ، والجمع أشكال وشكول ، وشَكَل الكِتاب يَشْكُلُه شَكْلًا وأشْكَله : أعجمه ، وعن أبى حاتم : شَكَلْت الكِتاب أشْكله فهو مشكول إذا قيدته بالإعراب وأعْجَمْت الكتاب إذا نَقَطْتَه . ويقال أيضا : أشْكَلْت الكِتاب بالألف كأنك أزلت به عنه الإشكال والالتباس . وشَكَلَ الدابة يشكلها شكلًا : شدّ قوائمها بحبل . وأشكل الأمر : التبس[6]

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٤٠٨ .

(٢) المقابسات ص ٣٠٣ .

(٣) المقابسات ص ١٠٤ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٣ .

(٥) الإمتاع جـ ٢ ص ٧ .

(٦) اللسان جـ ٢ ص ٣٤٨ .

والشكل كما قال بعض أهل اللغة مأخوذ من شكل الدابة ، لأن الحروف تُضبط بقيد فلا يلتبس إعرابها كما تضبط الدابة بالشكال فيمنعها من الهروب[1] وترد لفظة **الشّكْل** عند أبى حيان بالمعنى الاصطلاحى فى نصوص كثيرة من كتاباته وأخص بالذكر ما قاله أبو حيان فى رسالته فى علم الكتابة : كان الحسن بن وهب يقول : يحتاج الكاتب إلى خلال منها : حسن التأنى لامتطاء الأنامل ، وإرسال المدة بقدر إشباع الحروف ، والتحرز عند إفراغها من التطليس وترك الشكل على الخطأ والإعجام على التصحيف[2] . وبالمعنى الاصطلاحى أيضا يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الشكل : قال ابن ثوابة : الشكل للكتاب كالشكل للدواب[3] .

ويقول أبو حيان : المراد بالتشقيق فتكنف الصاد والضاد والكاف والطاء والظاء وما أشبه ذلك مما يحفظ عليها التناسب والتساوى ، فإن الشكل بهما يصح ومعهما يحلو[4] .

وترد لفظة شكل فى كتابات أبى حيان بالمعنى اللغوى وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : الإنسان له فى كل شىء من هذه الأشياء شكل يباين شكله الآخر ضربا من المباينة[5] معنى الشكل واضح فى هذا النص ، أى : المثل والصورة والشبه وهذا المعنى قليل الورود عند أبى حيان .

ومن المادة « ش ك ل » ترد فى كتابات أبى حيان الألفاظ التالية : إشكال ومشكل ، ومشكلة ، ومشكول وترد أيضا الأفعال شكل ، ويشكل ، وأشكل ، وتشاكل . لفظة أشكال ترد عند أبى حيان بمعنى الالتباس وفى هذا المعنى يقول أبو حيان واصفا حديثه مع أستاذه أبى سليمان : تكلم أبو سليمان

---

(١) صبح الأعشى جـ ٣ ص ١٥٦ .
(٢) رسالة فى علم الكتابة ص ٤٦ .
(٣) رسالة فى علم الكتابة ص ٤٥ .
(٤) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٢ .
(٥) المقابسات ص ١٢٤ .

عشية يوم فى التوحيد بكلام طال ودق ، فقلت له : هذا مشكل فقال إشكاله يدل على وضوحه . فلما خرجنا من بين يديه ، قال لى النوشجانى : أراد أن إشكاله على شواهد الحس يدل على وضوحه عند شواهد العقل ، أى إشكاله فيما يألفه حسك ويلحظه عقلك ، يدل على وضوحه فى نفسه(1) . ويقول أبو حيان أيضا ذاكرا لفظة الإشكال بمعنى الالتباس والإيهام وعدم الوضوح : هذا فن لا يتسع القول فيه لضيق حدوده(2) ، وإشكال حقائقه(3) ولفظة مشكول يذكرها أبو حيان فيقول فى أحد نصوصه : وأما المشكول فما شددته بشكال كالدابة ، وكذلك شكلت الكتاب وأعجمته(4) .

ولفظة **مُشْكِل** ترد عند أبى حيان بمعنى المُبْهم وفى هذا المعنى يقول أبو حيان فى إشاراته : أيها الطالع علينا من بلد النازح والمستحث على ضعفنا بالبارح والسائح ، أما تعجب من رقة هذا اللسان المُشْكِل الواضح(5) ، ويقول أبو حيان أيضا موردا لفظة المشكل بالمعنى اللغوى أى المبهم وذلك فى وصفه لأولياء الله ممن يأتون بعد الأنبياء : وهم الذين يفسرون الغامض ويوضحون المشكل(6) ، وترد لفظة مشكل بالمعنى الفقهى أى على خلاف النص وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : ولقد اختلفت الأمة ضروبا من الاختلاف فى الأصول والفروع وتنازعوا فيها فنونا من التنازع فى الواضح والمُشْكِل من الأحكام(7) .

ولفظة مُشْكلة ترد عند أبى حيان بمعنى المبهمة الشائكة وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : ولا يفرق بين ما يجوز على الله وبين ما لايجوز على الله ، ويقصد إلى

---

(1) رسالة فى علم الكتابة ص ٤٦ .
(2) المقابسات ص ٢٩٢ .
(3) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٤١٣ .
(4) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٥٢٣ .
(5) الإشارات الإلهية ص ٢٤٥ .
(6) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٢٠٩ .
(7) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٩ .

المسائل المشكلة ، والمعانى المعضلة[1] والفعل شَكَل يرد فى كتابات أبى حيان بالمعنى الاصطلاحى وفى هذا المعنى قال أبو حيان : شكلت الكتاب وأعجمته[2] ، ويرد الفعل يشكل بالمعنى اللغوى أى يبهم ويغمض ويقول أبو حيان فى هذا المعنى : الركاكة التى ليس فوقها ركاكة الولوع بالغريب وما يُشكل فيه الإعراب ويتجاذبه التأويل[3] ويقول ذاكرًا الفعل تشكل أى تغمض : إنك واضح فلا تشكل ، ونير فلا تظلم[4] ويذكر أبو حيان الفعل أشكل بمعنى أبهم فيقول : حتى يخف عليك طلب ما أشكل واستيضاح ما غمض[5] ويذكر الفعل تشاكل بمعنى تماثل فيقول أبو حيان : وإذا عاد ما أرويه بفائدة ، لعلها تشاكل نفس ما نحن عليه ، أو تشهد له ، أو تحدث عنه[6] . ومن الملاحظ أن معنى الشكل كما جاء فى نصوص أبى حيان هو وضع الحركات على الحروف من ضمة وفتحة وكسرة وسكون .

وكذلك النَّقط والإعجام معناهما عند أبى حيان كما عرفهما صاحب اللسان فهذه المصطلحات التى نلحقها باللغة والخط معناها عند أبى حيان مطابقا لما جاء عند صاحب اللسان .

مما تقدم نجد أن الألفاظ إعجام ، ونَقْط ، وشَكْل وردت فى كتابات أبى حيان بالمعنى الاصطلاحى الدال على الرموز المضافة للكتابة العربية وهذا هو المعنى الاصطلاحى الذى جاء فى اللسان عند تناوله للمواد « ع ج م » و« ن ق ط » و« ش ك ل » .

---

(١) مثالب الوزيرين ص ١٧٠ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٥٢٣ .
(٣) مثالب الوزيرين ص ٩٤ .
(٤) المقابسات ص ٢٥٢ .
(٥) المقابسات ص ٣٠٦ .
(٦) المقابسات ص ١٢٩ .

وفى مجال التغير الدلالى نجد أن هذه الألفاظ قد مرت دلالتها بأطوار متعددة فلفظة إعجام من المادة « ع ج م » التى تدل على الإبهام . وكانت تستعمل هذه المادة قديما بالاستعمال الحسىّ الذى ينتهى إلى معنى الصلابة والصمت فالعجمات الصخور الصلاب . والعُجمة المتراكم من الرمل ، والأعجم من الموج الذى لا يسمع له صوت . والإعجام من العَجْم وهو النَّقْط بالسواد .

فالتغير الدلالى الذى طرأ على مادة العجم هو انتقال دلالتها من المجال المادى القديم إلى المجال المعنوى ثم خصص الإعجام بدلالة لغوية هى نقط الحروف لأن فى ذلك رفعا للإبهام عنها وهذا ما دلت عليه نصوص أبى حيان .

ولفظة النَّقْط جاءت فى نصوص أبى حيان مرادفة للفظة إعجام . ومن الملاحظ أن النَّقْط كان مستعملا بمعنى الضبط الإعرابى منذ أبى الأسود الدؤلى ، وحين طرأ استخدام النَّقْط بالتمييز بين الأشكال المتماثلة الحروف ، أطلق على ذلك لفظة إعجام بمعنى إزالة عجمة الحرف والتباسه بمثيله . أما أبو حيان فإنه لا يلحظ هذا المعنى بل يستخدم اللفظتين نَقْط وإعجام بمعنى واحد وهو إزالة عُجْمة الحرف .

ولفظة النَّقط (تخصصت دلالتها) بعد أن تغير شكل المدلول أى من استخدام النقط إلى استعمال الحروف .

أما لفظة الشَّكْل فقد طرأ عليها تغير مجال الدلالة من المادى إلى المجال المعنوى فالشكل مأخوذ من شكل الدابة إذا قيدت قوائمها ، لأن الحروف تضبط بقيد فلا يلتبس إعرابها كما تضبط الدابة بالشكل فيمنعها من الهرب . فانتقلت دلالة لفظة الشَّكْل من الصورة الحسية إلى الصورة المعنوية وتخصصت هذه الدلالة عندما استخدمت لفظة الشكل كمصطلح خاص بوضع الحركات على الحروف وهذا ما دلت عليه نصوص أبى حيان .

المصطلحات البلاغية :

المصطلحات البلاغية (٤٨) كلمة وهي :

أدب ، آداب ، أصحاب النثر . أعاريض ، أفانين ، إفصاح ، ألفاظ ، أوزان ، أهل الأدب ، بلاغة ، بلغاء ، بليغ ، تقفية ، شاعر ، شعر ، شعراء ، صاحب البلاغة ، طراز ، عروض ، عروضي ، فصاحة ، فصحاء ، فصيح ، فصيحة ، فن ، فنون ، قافية ، قوافي ، كُتاب البلاغة ، لفظ ، معاني ، معنى ، منتثرة ، منثور ، منثورة ، مناهج ، منظوم ، منهاج ، منهج ، ناثر ، ناظم ، نثار ، نثر ، نظام ، نظم ، نمط ، نهج ، وزن

* * *

وفيما يلى جدول يبين نسبة شيوع المصطلحات البلاغية :

الكلمة	عدد مرات ورودها	الكلمة	عدد مرات ورودها	الكلمة	عدد مرات ورودها
بلاغة	١٦٢	نهج	٩	صاحب البلاغة	١
أدب	١٢١	طراز	٩	كتاب البلاغة	١
فن	١٠٢	بليغ	٩	فصحاء	١
نظم	٩٥	شعراء	٩	فصيحة	١
لفظ	٩٢	منهج	٨	أفانين	١
فنون	٨١	بلغاء	٧	نظام	١
نثر	٨١	ناثر	٧	نثار	١
معنى	٧٨	فصيح	٦		
معانى	٦٩	شاعر	٦	المجموع	٤٨
ألفاظ	٥٠	أعاريض	٦		
نمط	٥٤	قوافى	٣		
شعر	٥٢	ناظم	٤		
وزن	٣٢	إفصاح	٣		
فصاحة	٢٠	تقفية	٣		
آداب	٢٠	قافية	٢		
عروض	١٧	أصحاب النثر	٢		
منظوم	١٦	منتثرة	٢		
منثور	١٤	منثورة	٢		
منهاج	١٢	أهل الأدب	٢		
مناهج	٩	أوزان	٢		
		عروضى	٢		

وردت فى كتابات أبى حيان مصطلحات خاصة بعلوم البلاغة والأدب وقد أمكن تقسيم هذه المجموعة من المصطلحات البلاغية من حيث دلالتها إلى خمس مجموعات دلالية فرعية وهى مصطلحات خاصة بالأدب وفنونه ومصطلحات خاصة بالنثر والنظم والشعر ومصطلحات خاصة بالبلاغة والفصاحة واللفظ والمعنى

ثانيا : المصطلحات البلاغية :

(١) الأدب وفنونه :

حدد أبو حيان مصادر الأدب فى مقدمة كتابه البصائر والذخائر فقال : كُتُب شتى حكيت عن أبى عثمان عمر بن بحر الجاحظ الكنانى ، وكتبه هى الدر النثير ، ثم كتاب النوادر لأبى عبد الله محمد بن زياد الأعرابى ثم كتاب الكامل لأبى عبد الله العباسى محمد بن يزيد الثمالى ، ثم كتاب العيون لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكاتب الدينورى ، ثم مجالسات ثعلب ، ثم كتاب ابن أبى طاهر الذى وسمه بالمنظوم والمنثور ثم كتاب الأوراق للصولى ، ثم كتاب الوزراء لابن عبدوس والحيوانات لقدامة ومما يطول إحصاؤه[١] .

ويتضح من محتوى هذه الكتب مفهوم الأدب عند أبى حيان ، فهذه كتب تضم نصوصًا شعرية وخطبًا بليغة ورسائل أدبية ، ولا تقتصر على تراث الجاهلية فهى تضم أيضا نصوصًا عباسيّة ، وتضم إلى جانب هذا كله معلومات لغوية للكلمة ، ففيها قضايا صرفية وأخرى دلاليّة . وتلك روافد أساسية فى ثقافة الكاتب .

ويقول أبو حيان عن الكَاتب الكامل فى نظره هو من يجمع أصول الفقه مخلوطة بفروعها ، وآيات من القرآن مضمومة إلى سعته منها ، وأخبارًا كثيرة مختلفة فى فنون شتى لتكون عدة عند الحاجة إليها ، مع الأمثال الثائرة والأبيات النادرة

---

(١) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٥، ٦ .

والفِقَر البديعة ، والتجارب المعهودة مع خط كتبر مسبوك ولفظ كوشى محوك ، ولهذا عز الكامل فى هذه الصناعة ، حتى قال أصحابنا : ما نظن أنه اجتمع هذا كله إلا لجعفر بن يحيى ، فإن كتابته كانت سواديّة ، وبلاغته سحبانيّة ، وسياسته يونانية ، وآدابه عربية ، وشمائله عراقية[1] .

وفى القرن الرابع الهجرى بلغت فنون الأدب أرقى مراحل الازدهار ، ونبغت فى هذه الفنون المختلفة مجموعة من أعلام الكُتَّاب ومن هؤلاء أبو حيان التوحيدى .

وهؤلاء الكتاب امتازت طريقتهم بالتعبير الدقيق عن أفكارهم مع جمال الأداء ، والابتعاد عن التزويق ، وكان فى هذا العصر كتاب آخرون اعتمدوا فى إنتاجهم على اللفظ والصناعة . ابتعد أبو حيان عن الأسلوب الشائع فى القرن الرابع ، فخرج عن أسلوب الاحتفاظ باللفظ أكثر من الفكرة ، ويؤكد د . أحمد الحوفى أن أبا حيان خرج أيضا على الموضوعات الغالبة فى عصره من رسائل إخوانيّة وديوانيّة ومقامات وكُتُب عهود[2] وبهذا احتل أبو حيان مكانًا بارزًا بين أعلام عصره من الكُتَّاب والأدباء ، وإن كان لابد من تعيين هذا المكان فيعتبر أبو حيان على رأس قائمة هؤلاء الأعلام ، وكما فعل آدم ميتز عندما قيم مكانة أبى حيان الأدبية فقال : إن رسائل القرن الرابع الهجرى هى أجمل آية للفن الإسلامى ومادتها أنفس ما اشتغل به الفنانون وهى اللغة ، ونرى فى هذه الرسائل مبلغ تقدير المسلمين للجمال الرقيق وامتلاكهم لناصية البيان فى أصعب صوره ، وهذه

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٠٠ .
(٢) أبو حيان التوحيدى . أحمد الحوفى ص ٣٦٥ .

الطريقة بما فيها من زخارف كثيرة جعلت اللغة سلسة القياد ، قوية التعبير ، وهى الطريقة التى لجأ إليها كل الذين يريدون التعبير عما فى نفوسهم مراعين فى ذلك ما أرادوا من الإيجاز والقوة والحرية فى التعبير . وقد بلغ أبو حيان التوحيدى عام ٤٠٠ هجرية مرتبة الأستاذ لهذه الطريقة[١] وإن كان أبو حيان فنانا غريبا بين أهل عصره وكان يعانى وحشة من يرتفع على أهل زمانه ويتقدم عليهم[٢] ، ويمثل أبو حيان أرقى ما وصلت إليه ثقافة الأديب فى عصره وهذا ما لاحظناه فى كتاباته[٣] المتنوعة التى كان يعبر فيها عن ثقافة القرن الرابع الهجرى ومثقفيه .

وفى هذا الإطار الثقافى نجد أبا حيان التوحيدى يعنى بدلالة كلمة « أدب » وترد عنده-أيضا فى سياقات مختلفة منها : رياض الأدب ، وأهل الأدب ، وأهل العلم والأدب . جاء فى اللسان : الأَدَب الذى يتأدب به الأديب من الناس سُمى أدَبًا لأنه يأدب الناس إلى المحامد ، وينهاهم عن المقابح . وأصل الأدْب الدُّعاءُ ، ومنه قيل للصنيع يدعى إليه الناس : مدعاة ومأدبة . والأدب : الظرف وحسن التناول ، وأدُب بضم الدال فهو أديب من قوم أدباء ، وأدبه بمعنى علمه، واستعمله الزجاج فى الله عز وجل فقال : وهذا ما أدب الله تعالى به نبيه ، ﷺ[٤] وجاء على لسان النبى ﷺ : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » أى جعله مكتمل الصفات الحميدة .

ولفظة الأدب من الألفاظ التى تطور معناها عند العرب باختلاف العصور ، فانتقل معناها من دور البداوة إلى دور الحضارة ، حتى وصلت إلى معناها المرسوم فى القرن الرابع الهجرى فدلت على صناعتى الشعر وفنون النثر الأدبية . أما المستشرق نالينو فيعتقد أن لفظة الأدب مقلوب دأب التى جمعها العرب على :

---

(١) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ١ ص٣٩٩. (٢) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ١ ص٤١٦.
(٣) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٨٤٨ . (٤) اللسان جـ ١ ص ٣٣ .

آداب ، كبئر ، آبار ثم نسوا (دأب) وتذكروا : أدب ، التى تدل على محاسن الأخلاق والشيم[١]–وهذا الكلام قد يكون مردودًا–وفى عصر بنى أمية أضيف إلى معناها التهذيبى معنى تعليمى ، واشتق من الأدب بهذا المعنى المُؤَدِّبون ، الذين كانوا يعلمون أولاد الخلفاء الثقافة العربية . وفى العصر العباسى أصبحت كلمة الأدب تعنى التهذيب والتعليم معا ، مثال ذلك الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع . وفى القرن الرابع الهجرى أصبحت كلمة الأدب تعنى جميع المعارف غير الدينية التى ترقى بالإنسان اجتماعيًا وثقافيًا . كما أن كلمة الأدب منذ القرن الثالث الهجرى كانت تعنى سنن السلوك التى يجب أن تراعى عند طبقة من الناس[٢] فألفت فى هذا المعنى كتب كثيرة مثل : أدب الكاتب لابن قتيبة . ولفظة **أدب** جاءت فى كتابات أبى حيان بمعانٍ متنوعة منها المعنى الخلقى وهو ما يدل على الخلق النبيل الكريم وما يتركه من أثر فى الحياة العامة والخاصة[٣] وفى هذا المعنى الأخلاقى للأدب يقول أبو حيان فى بصائره : وأما اللواتى فى **الأدب** : قيمة كل امرئ ما يحسنه والمرء مخبوء ، تحت لسانه ، والناس أعداء ما جهلوا[٤] ويقول أيضا بهذا المعنى فى الإمتاع والمؤانسة : ينبغى أن ألزم الحد **بحسن الأدب**[٥] .

ويقول أبو حيان أيضا بهذا المعنى الأخلاقى ذاكرًا كلمة الأدب موصوفا بالسوء : والسفه فى المتكلمين فاشٍ، **وسوء الأدب** عندهم من أجود سلاح[٦] ويقول أيضا : **وسوء الأدب** وإطلاق اللسان بما لا يجوز ومروءة غالبة على أصحاب الكلام[٧] .

---

(١) تاريخ الآداب العربية نالينو ص دار المعارف .
(٢) معجم المصطلحات العربية فى اللغة والأدب مجدى وهبة ص ١٣ .
(٣) دائرة المعارف الإسلامية جـ ١ ص ٥٣٢ . (٤) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١٩٦ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ٢٢٢ . (٦) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٤٧٥ .
(٧) مثالب الوزيرين ص ١٥٥ .

ومعنى آخر للفظة الأدب يورده أبو حيان فى كتاباته ، وهو المعنى العام للتعليم والتهذيب معا ، فيقول أبو حيان فى هذا المعنى : مِنْهاج التأديب تيقظ المرء لطلب الأدب[1] ويقول أيضا ذاكرًا لفظة الأدب بمعنى التعليم : قال شيخ من المشرق فى عصر ذى الرياستين لأحداث كانوا يقبسون الأدب عليه من مجلسه ، اعشقوا وإياكم والحرام[2] . المعنى الثقافى للفظة الأدب واضح فى نصوص أبى حيان فهو معنى تهذيبى تعليمى .

وقال أبو حيان فى نص له شارحًا لفظة الأدب بدلالة تجمع بين المعرفة والخلق : مدح أعرابى رجلًا فقال : هو والله فصيح النسب ، فسيح الأدب من أى أقطاره أتيته أثنى إليك بكرم المقال ، وحسن الفعال ، وفصيح النسب حلو جدًّا ، وهو استعارة إلا أنه ها هنا لاصق بالمعنى وذلك أنه أشار إلى صحة النسب ، وسلامة العرق وكرم المنبت ، أما قوله فسيح الأدب فقد والله جمع بين غزارة الموصوف فى **أدب النفس والعلم**[3] .

ووردت لفظة الأدب فى كتابات أبى حيان بمعنى الفن الإنشائى وبهذا المعنى يقول أبو حيان مخاطبًا القارئ : وإنما أُقَلبك من فن إلى فن لئلا تمل **الأدب**[4] . وبهذا المعنى الاصطلاحى الفنى للفظة الأدب يقول أبو حيان لصديقه ذاكرًا الأدب البارع : إن الحال التى أشرت إليها ببيانك الناصع ، من أدبك البارع فهى والله محوطة بالنفس والروح[5] . وترد لفظة الأدب بالمعنى الاصطلاحى الخاص بفنى النثر والشعر والتَّأليف فيهما فى نصٍّ لأبى حيان يصف فيه عَلَمًا من أعلام عصره فيذكر صفة أخرى للفظة الأدب ، هذا الفن الإنشائى وهو الأدب الواسع

---

(١) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٨٥٤ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٤٣٢ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٩٤ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١٠٠ .
(٥) الصداقة والصديق ص ٨٨ .

فيقول : وأما أبو إسحق النصيبى فدقيق الكلام ، يشك فى النبوءات كلها ، وقد سمعت منه فيها شبها ولغته معقدة ، **وله أدب واسع**[1] . وبهذا المعنى الاصطلاحى الخاص يذكر أبو حيان **الأدب الموروث** فيقول : وصاحبه حميد لا يدفعه من له مسكة من عقل وسيرة صالحة فى الناس ، وأدب موروث عن السلف[2] . وعن اقتباس الأدب يقول أبو حيان : واجهد فى طلب العلم **واقتباس الأدب**[3] ويقول أيضا : وليس يبعد منه الغرض المستفاد **والأدب المُقْتَبَس**[4] . ويقول أيضا فى هذا المعنى : حدثت بهذا الحديث ملأ من الصوفية والغرباء الجوالين فى الآفاق ، السائحين فى الدنيا ، الحافظين للعبر ،**المُقْتَبِسين للأدب**[5] .

لفظة الأدب التى وردت فى نصوص أبى حيان السابقة الذكر والتى كانت بمعنى الفن الإنشائى بما فيه من براعة واتساع ، وهو يقتبس ويورث على مدى الأجيال .

ولفظة الأدب وردت عند أبى حيان عنوانًا لموضوعات خاصة مثل **أدب القاضى** وأدب الطبخ وفى هذا المعنى يقول أبو حيان ذاكرًا أدب القاضى : سمعت القاضى أبا حامد المروروذى يقول فى كتاب **أدب القاضى** حاكيًا أن الشهادة كانت شائعة بين المسلمين[6] . ومعنى لفظة الأدب هنا ينطبق ليس على الصفة الإنشائية فقط ، وإنما على محتويات هذه الكتب وما يرى منها من قواعد يجب أن تراعى عند طبقة خاصة من الناس . وفى هذا المجال يصف التهانوى هذا النوع من الأدب قائلًا : أدب القاضى : المراد بالأدب فى قول الفقهاء كِتاب أدب القاضى

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٤١ .
(٢) مثالب الوزيرين ص ٢٩ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢٩٨ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢٩٧ .
(٥) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٦٣٤ .
(٦) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١٠٠ .

أى ما ينبغى للقاضى أن يفعله ، لا ما عليه[1] ، ويقول الجرجانى فى تعريفاته : وأدب القاضى هو التزامه لما ندب إليه الشرع من بسط العدل ورفع الظلم وترك الميل[2] . وبهذا المعنى الاصطلاحى الخاص بفن من فنون الأدب يقول أبو حيان ذاكرًا أدب الطبخ : كتب كشاجم إلى بعض إخوانه يصف طباخا جمع أشياء من أدب الطبخ[3] .

وترد لفظة الجمع **آداب** بهذا المعنى الاصطلاحى وفى هذا يقول أبو حيان : قال سلم الحرانى : عطروا دفاتر **آدابكم** بسواد الحبر[4] ، ويقول أبو حيان : بهذا المعنى أيضا ذاكرًا لفظة الآداب جمعا لأدب للدلالة على جملة المعارف غير الدينية التى تسمو بالذهن[5] : هذا آخر الجزء الثانى وهو مقطع الكتاب ، وقد غرست فيه وصايا شريفة ، وحكما غزيرة ، **وآدابا** غريبة ، وأصولا قوية ، وفروعا بديعة[6] .

ولفظة الأدب يذكرها أبو حيان فى أماكن عديدة من كتاباته فى تعابير سياقية متنوعة فيقول ذاكرًا مصطلح **رياض الأدب** فى مقدمة كتابه البصائر والذخائر : عند تصفح ما تضمن هذا الكتاب ، فإنك مع النشاط والحرص ستشرف على **رياض الأدب** ، وقرائح القول ، من لفظ مصون ، وكلام شريف ، ونثر مقبول ، ونظم لطيف ، ومثل سائر ، وبلاغة مختارة ، وخطبة محبرة ، وأدب حلو ، ومسألة دقيقة ، وجواب حاضر[7] . وتعبير سياقى آخر يذكره أبو حيان موردا فيه لفظة الأدب فيقول ذاكرًا **أهل الأدب** : هذا الجزء–أبقاك الله–هو

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون جـ ١ ص ٧٩ .
(٢) التعريفات للجرجانى ص ١٤ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٤٤٤ .
(٤) رسالة فى علم الكتابة ص ٣٩ .
(٥) دائرة المعارف جـ ١ ص ٥٣٢ .
(٦) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٢٤٩ .
(٧) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣ .

الجزء الثانى من كتاب البصائر ، بصائر أهل العلم والأدب ، والحكمة والتجربة[(١)] ويقول أبو حيان أيضا ذاكرًا أهل الأدب من أعلام عصره : كتبت أشياء كنت أسمعها من أفواه أهل العلم والأدب على مر الأيام[(٢)] .

مما تقدم نجد أن لفظة الأدب وردت فى كتابات أبى حيان بمعانٍ متنوعة منها المعنى اللغوى العام ويدل على التهذيب والخلق ، وبمعنى التعليم وأيضا بمعنى التهذيب والتعليم معا . ووردت لفظة الأدب بالمعنى الاصطلاحى الخاص بفنى النثر والشعر والتأليف فيهما وهذا المعنى هو الأكثر ورودًا عند أبى حيان ، وقد أهمل اللسان ذكر هذا المعنى الخاص بالفن الإنشائى عند تناوله للمادة أدب فإذن المعنى الاصطلاحى للفظة الأدب معنى حديث الظهور فى عضر أبى حيان وبهذا تعتبر لفظة الأدب جديدة فى معناها عند أبى حيان .

وفى مجال التغير الدلالى نجد أن لفظة الأدب من الألفاظ التى مرت دلالتها بأطوار متعددة عبر القرون . ففى الاستعمال القديم دلت مادة أدب على ترويض البعير وتذليله ، ودلت مادة أدب أيضا على الدعاء ومن هذا المعنى جاءت المأدبة (مائدة الطعام) فدلالة اللفظة بهذا المعنى حسى ثم انتقلت الدلالة إلى المجال المعنوى بعد أن دلت على التهذيب والتعليم ثم تخصصت دلالة لفظة الأدب بعد أن أطلقت على التهذيب والتعليم ثم أصبحت أكثر تخصصا بعد أن أطلقت على فنى الشعر والنثر وهو المعنى الخاص لهذه اللفظة لأن صناعة الشعر والنثر ترويض وتذليل للألفاظ والمعانى لكى تنقاد حسب هوى الشاعر أو الناثر للتعبير عن أفكاره فهى بذلك أشبه بترويض البعير على السير . ثم توسعت دلالة هذه اللفظة بعد أن أصبحت تشمل كل المعارف الثقافية غير الدينية وهذا ما دلت عليه نصوص أبى حيان .

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٢٩٠ .　　(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٦١ .

(٢) فن / فنون ، نمط ، طراز :

الفَنّ جاء فى لسان العرب الفن واحد الفنون ، وهى الأنواع ، والفَنّ : الحال ، ولغةً الفَنّ : الضَرب من الشيء ، والجمع أفنان وفُنون ، يقال : رعينا فنون النبات ، وأصبنا فنون الأموال . والفُنون تكون فى الأغصان ، وواحد الأفنان إذا أردت بها الألوان فن . وإذا أردت بها الأغصان فواحدها فنن . والفن : الغناء فننت الرجل أفنه فنًّا إذا عَنّيته ، وافتن أخذ فى فنونٍ من القول . والرجل يفنّن الكلام أى يشتق فى فَنّ بعد فنّ . وافتن فى حديثه إذا جاء بالأفانين وهو مثل يشتق ، والأفانين الأساليب وهى أجناس الكلام وطُرقه[١] . وعن الفَنّ والفنون يحدثنا أبو حيان فى كتاباته أحاديث متنوعة يتناول بها لفظة الفن والجمع فنون بمعانٍ متعددة ولنر ما يقوله أبو حيان فى نصوصه عن الفن والفنون فيذكر لفظة **الفَنّ** بمعنى الضرب من الشيء : وتصرف فى كل فن : إما بالشدو الموهم وإمابالتبصر المفهم[٢] . وترد لفظة الفن فى نصوص أبى حيان بمعانٍ متعددة منها الجنس والنمط والطريقة ومن هذه المعانى ما قاله أبو حيان ذاكرًا لفظة الفن بمعنى الجنس : فإن الفلسفة ليست من جِنْس الشريعة ولا الشريعة من فن الفلسفة[٣] ويقول ذاكرًا لفظة الفن بمعنى النوع فى نص من بصائره : هذه لطائف قوم لهم بكلام الله تعالى عناية دينية ، وليس من نمط الغريب المفسر ، والنحو المقدم ، ولعل ترك هذا الفن أعم . والعاقبة منه أسلم[٤] .

وترد لفظة الفَنّ بمعنى طريقة نَظْم الشعر أو الشعر نفسه ، وفى هذا المعنى يقول

---

(١) اللسان جـ ٢ ص ١١٣٧ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٤ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٧ .

(٤) البصائر والذخائر جـ ٤ ص ٢٧٩ .

أبو حيان فى حديث له : قال لى على بن الحسن الكاتب : أنشدت الصاحب قصيدة وأطربت بإنشادها ، فلما بلغت آخرها قال : أحسنت ! الزم هذا الفن فإنه حسن الديباجة ، وكأن البحترى قد استخلفك[1] .

ولفظة الفن ترد عند أبى حيان بمعنى العلم والأدب عامة ، وفى هذه المعانى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الفن مقابلة للعِلْم : وما أكثر من يظن أن الكون متضمن الوجوب ، والوجوب متضمن الكون ، وتحصيل الفصل بينهما بالنظر من سحر العقل ، وهذا فن لم أجد فيه لمشايخنا شوطًا محمودًا[2] . ويقول أبو حيان موردا لفظة الفن بمعنى العلم فى قوله : فأما المعرفة ، وما حدها وحقيقتها وكيف طريقها ؟ ففن طويل الذيل[3] ويذكر أبو حيان لفظة فن بمعنى الأدب عامة وطريقة التأليف : وفى هذا المعنى يقول فى بصائره : هذا فن لا تستغنى -أعزك الله- عنه عند موازنة الكلام وتشقيق اللفظ ، وإيضاح المراد ، وستقع من ذلك على شيءٍ كثير من هذا الكِتاب إن شاء الله تعالى ، وإنما أُقلبك من فنّ إلى فنّ لئلا تمل الأدب ، فإنه ثقيل على من لم تكن داعيته من نفسه[4] وبالمعنى الأدبى الاصطلاحى يقول أبو حيان أيضا ذاكرًا لفظة فن بمعنى الأدب : قد أتت هذه الرسالة على حديث الصداقة والصديق ، ولو أردنا أن نجمع ما قاله كل ناظم فى شعره ، وكل ناثر من لفظه ، لكان ذلك عسرًا بل متعذرًا ، فإن أنفاس الناس فى هذا الباب طويلة ، وما من أحد إلا وله فى هذا الفَنّ حصة[5] . جاءت لفظة الفَنّ هنا فى نص أبى حيان بمعنى أدب الصديق أى نوع متخصص من الأدب .

وترد لفظة الجمع **فنون** فى كتابات أبى حيان بمعانٍ متعددة ومن هذه المعانى ما

---

(١) مثالب الوزيرين ص ١٢٦ .
(٢) مثالب الوزيرين ص ١٢٣ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ١٣٥ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٩٩ .
(٥) الصداقة والصديق ص ٢٠٢ .

قاله أبو حيان ذاكرًا لفظة فنون بمعنى فروع : إن القصد الأول لم ينحرف إلى هذه الفنون والشعب ولكن الحديث ذو شجون[1] . وترد لفظة فنون عند أبى حيان بمعنى القواعد والأصول وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : جرت مُذاكرة فى البيان عن أصناف الحياة ، وكان الكلام فيها يقسو مرة ويلين أخرى وله فُنون تُرسم بالعِلْم ، وتنبسط باللّفْظ[2] ويقول أبو حيان أيضا فى هذا المعنى : كنت يومًا من الأيام عند بعض الرؤساء ، وجرى كلام فى نعت الخطّ وشرح أقسامه ، وتفصيل فنونه ، ووصف مذاهب أصحابه من أهل العراق وغيرهم[3] .

وترد لفظة الجمع فنون فى نصوص أبى حيان بمعنى أنواع العلوم وفى هذا المعنى يقول أبو حيان فى وصفه لإحدى مقابساته : لقد مرت فى هذه المقابسة التى تقدمت ، فنون من الحكمة[4] ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة فنون بمعنى علوم الغيب : ولله فى غيب سره وسر غيبه فنون الخلق فيها يضلون[5] ويقول بهذا المعنى أيضا : هناك فنون أنت منها فى عراء لا مؤنس لك[6] .

وترد لفظة فنون اقى أحد نصوص أبى حيان بمعنى الأحزان المدرة للدموع وفى هذا المعنى يقول أبو حيان ياهذا : الحديث ذو شجون ، فلا حسيس فيعلل به ، ولا أنيس فيستراح إليه . إنما هو رنين وأنين ، وحنين وزفرات ، تسخن العيون ، وتخيل الظنون ، وتبرز الفنون من ملاحظ العيون[7] . وترد لفظة فُنون بمعنى الأجناس والأنواع الخاصة بالكلام وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : إن الكلام الذى يراد به استصلاح العامة واستجماع الكافة ، لابد أن يكون مرة مبسوطًا ، ومرة موجزًا ، ومرة مستقصى بالإيضاح والإفصاح ، ومرة مجموعًا بالرمز

---

(١) مثالب الوزيرين ص ٣٤٩ .
(٢) رسالة الحياة ص ٥٢ .
(٣) رسالة فى علم الكتابة ص ٢٩ .
(٤) المقابسات ص ٣٥٥ .
(٥) الإشارات الإلهية ص ٢٤١ .
(٦) الإشارات الإلهية ص ٢٥٥ .
(٧) الإشارات الإلهية ص ٦ .

والتعريض ، ومرة مقيدًا بالحجج والعلل وعلى فنون لا وجه لاستيفائها[١] وبالمعنى الواسع للآداب والعلوم يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة فُنون : أعود إلى العادة فى نثر شيءٍ من البصائر والنوادر لئلا أكون خارجًا عما عقدت الكِتاب عليه ، ثم أذكر مسائل من فنون مختلفة . على قدر ما تم لى فى الحفظ[٢] .

اللفظة فنون ترد فى نصوص متعددة من كتابات أبى حيان مرتبطة بالألفاظ مثل كلام،وقول، ولغات ، وبلاغة ، ونظم ، وقريض ، وعلم ، وحديث وغيرها من الألفاظ ومن هذا الارتباط نجد المصطلحات التالية مثل فنون الكلام ، وفنون القول ، وفنون اللغات ، وفنون البلاغة ، وفنون النظم والنثر ، وفنون القريض ، وفنون الحديث ، وفنون العلم وغيرها من التعابير السياقية الأخرى . وكما يقول أبو حيان فى بصائره والكلام يفتن[٣] أى أخذ فى فنون القول[٤] .

فُنون الكلام مصطلح ورد ذكره فى نصوص من كتابات أبى حيان ، يقول فيها أبو حيان : إن فنون الكلام محصلة على التقريب بين البديع والسجع[٥] ويقول أيضا : وله فُنون من الكلام ما سبقه إليها أحد ، وما ماثله فيها إنسان[٦] ، والاختلاف واضح فى النصين ، ومعنى الفنون فى النص الأول أكثر شمولًا عند التصاقها بلفظة الكلام . وعن **فنون القول** يقول أبو حيان ذاكرًا هذا المصطلح : توضحت الأشياء بأعيانها ، ونقيت من أدرانها ، وزال شك الناظِر فى أثنائها ، ووقع على حقائقها وأنبائها وعاد ثلج الصدر باليقين ، غنيًّا عن تأليف القياس والبرهان ، وتصنيف **فنون القول** والبيان[٧] ويقول أبو حيان أيضا : ولو أن هذه

---

(١) المقابسات ص ٢٦٥ .

(٢) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣٠٥ .

(٣) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ١٣٩ .

(٤) اللسان جـ ٢ ص ١١٣٧ .

(٥) مثالب الوزيرين ص ٩٤ .

(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٦٨ .

(٧) المقابسات ص ١٣٣ .

الرسالة لا تحمل المسألة والجواب بما فيها من فنون القول لأتيت بالمجلس على وجهه[1] ومصطلح **فنون اللغات** يذكره أبو حيان فى حديثه عن عيسى بن على فيقول : أما عيسى بن على ، فله الذرع الواسع والصدر الرحيب فى العبارة ، حجة فى النقل والترجمة ، والتصرف فى فنون اللغات ، وضروب المعانى والعبارات[2] .

ويذكر أبو حيان مصطلح **فنون البلاغة** فى نصوص عديدة من كتاباته فيقول فى نص له من كتاب البصائر والذخائر : سأقتص لك فنون البلاغة اقتصاصًا مجملًا تقف به على تفصيلها[3] وفى الإمتاع والمؤانسة يقول أبو حيان ذاكرًا مصطلح فنون البلاغة وذلك فى وصفه لقدامة بن جعفر : وتفرد فى وصف فنون البلاغة فى المنزلة الثالثة[4] **وفنون النظم والنثر** يذكر أبو حيان هذا المصطلح فيقول واصفا زيد بن رفاعة للوزير صاحب مجالس الإمتاع والمؤانسة : هناك ذكاء غالب ، وذهن وقاد ، ويقظة حاضرة وسوانح متناصرة ، ومتسع فى فنون النظم والنثر[5] .

وفنون القريض يقول أبو حيان ذاكرًا هذا المصطلح مخاطبًا الصاحب بن عباد : قلة النائل منك ، مع تسيير فنون القريض فيك ، ونثر أصناف البديع عليك[6] ويرد مصطلح فنون الحديث فى قول أبى حيان : كتب ابن خنزابة من مصر كتابا خاطب فيه السيرافى بالشيخ الجليل وسأله عن ثلاثمائة كلمة من فنون الحديث المروى عن النبى ﷺ ، وعن السلف[7] ويذكر أبو حيان **فنون العلم** فيقول : إن الإنسان يستطيع حفظ جميع فنون العلم والقيام بها[8] ، ويحدثنا

---

(١) مثالب الوزيرين ص ١٤٠ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٣٦ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣٦٥ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٤٥ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٤ .
(٦) مثالب الوزيرين ص ٢٨٠ .
(٧) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٣ .
(٨) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٣٥ .

أبو حيان عن العلوم العقلية فيقول ذاكرًا مصطلح الفنون العقلية : الزراية على من جهل نفسه ولم يعرفها ، فيصير حينئذ بمنزلة البهائم ، لأنها لم تشركه فى التمييز ولا يشركها فى الجهل فلما حاول امتثال هذا الأمر لم يصل إليه إلا بعد التمهر فى **الفنون العقلية**(١) .

وترد لفظة فن عند أبى حيان بمعنى الغناء وفى هذا يقول خرج أبو سليمان يوما إلى الصحراء فى بعض زمان الربيع ، وصحبته فكان معنا أيضا صبى يترنم ترنما يفرج عن صوت شجي ونغمة رخيمة ، فقال لى صاحبى أما ترى ما يعمل بنا شجا هذا الصوت ، لو كان لهذا من يخرجه ويعنى به لكان يظهر آية ، ويصير فتنة فإنه عجيب الطبع ، بدين الفن(٢) .

هذا ما قاله أبو حيان عن الفن والفنون ، ونرى أنه قد استخدم لفظة الفن بمعنى واسع ولكنه لا يخرج عن الحدود الأدبية واستخدم لفظة الفنون لتدل على أنواع من الأدب والعلوم عامة ، وهكذا نرى هذه اللفظة اتسعت فى دلالتها لتشمل فى بعض الأحيان عند أبى حيان الأنواع الأدبية عامة ، هذا ما وجدناه فى نصوصه التى مر ذكرها . وهذا ما ذكرته المعاجم العربية وخاصة ما جاء فى لسان العرب تعريفًا للفظة الفن والجمع فنون .

وذكر أبو حيان لفظة **الأفانين** جمعا لفن فقال : ما أعجز عن استبانته واستيضاحه إلا بقوة الإله الذى هو سبب لحركته فى أفانين تصرفك ، وأعاجيب عدلك وتحيفك(٣) لفظة الجمع أفانين جاءت فى نص لأبى حيان بمعنى الأنواع والطرق المتبعة فى تصرفات الإنسان وسلوكياته .

---

(١) الإشارات الإلهية ص ٣٩٢ .
(٢) المقابسات ص ١١٢ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١٣٩ .

النمـــــط :

جاء فى اللسان : النمَط هو الضرب من الضروب والنوع من الأنواع ، والنمط : جماعة من الناس أمرهم واحد ، وفى الحديث : « خير الناس هذا النمط الأوسط » يقال الزم هذا النمط أى هذا الطريق والفَنّ والمذهب . ويقال ليس هذا من ذلك النمط أى من ذلك النوع والضرب ، يقال هذا فى المتاع والعلم وغير ذلك . والنمط : ضرب من البُسط . والنمط عند العرب ضُروب الثياب المصبَّغة[(١)] .

ولفظة **النمط** يذكرها أبو حيان فى نصوص كثيرة من كتاباته وبمعانٍ متنوعة ، منها ما قاله ذاكرًا لفظة النَمط بمعنى الطريق والمذهب الذى يجمع عليه جماعة من الناس أمرهم واحد : هذا المذهب يكون جامعا لحقائق الأشباه وأشباه الحقائق وهذا باب إن استقصيته خرج عن نمط ما نحن عليه فى المجلس[(٢)] وذكر أبو حيان النمط بمعنى الضرب من القول فقال : التوحيد مباين للشركة ، كانت الشركة مجازًا وإشارة أو تثبيتًا وحقيقة . وهذا كما تسمع ، وما أزيدك استبصارا وتعجبا منه . وهو نمط ما سمعته من صنف من أصناف الناس فإن سرك فاستفده ، وإن سقط عليك فدعه لأهله[(٣)] وترد لفظة **نمط** أيضا بمعنى الضرب من القول فى نص لأبى حيان يقول فيه : « والله ما هذا من لغة آبائك الفرس ولا لغة أهل دينك من هذا السواد ، فقد خالطنا الناس فما سمعنا منهم هذا النمط ، وإنى أظن أنك لو دعوت الله بهذا الكلام لما أجابك[(٤)] ولفظة نمط ترد فى كتابات أبى حيان بمعنى النوع والصنف وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : لئلا يكون هذا الإنسان ، مع

---

(١) اللسان جـ ٣ ص ٧٢٣ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٢٥ .

(٣) المقابسات ص ١٤٩ .

(٤) مثالب الوزيرين ص ٧٤ .

ضعف نحيزته واضطراب غريزته عداء على ربه ، متكبرًا على عباده ظانا بأنه يأتى فى شأنه ، قائم بجده وقدرته ، وحوله وقوته ، فإن هذا النمط يحجز الإنسان عن الخشوع لخالقه والإذعان لربه(١) .

وترد لفظة نمط بمعنى النوع والصنف وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : هذه لطائف قوم لهم بكلام الله تعالى عناية دينية ، وليس من نمط الغريب المُفَسَّر ، والنَّحْو المقدم(٢) وترد لفظة نمط عند أبى حيان بمعنى المذهب الدينى وذلك فى قوله : قيل لأبى سليمان يومًا : لِمَ لمْ يصفَّ التوحيد فى الشريعة من شوائب الظنون ، وأمثلة الألفاظ ؟ وقد سمعناك تذكر غير مرة : أن الشريعة ، إذا كانت حقًّا ، لا تكون كذلك إلا بقوة إلهية ، والقوة الإلهية تعاند النمط الذى قد ورد وانتشر وصار عقد الدهاء ، ونِحْلة الجمهور(٣) ، وترد لفظة نمط بمعنى العِلْم وبهذا المعنى الاصطلاحى العلمى للفظة النمط يقول أبو حيان : نظر المنطقىّ فيما حلاه العقل ، ونظر النحوىّ فيما حلاه اللفظ . ونظائر هذا المثال شوائع وذوائع فى غرض الفنين والنمطين ، أعنى المنطق والنحو(٤) .

وترد لفظة نمط بمعنى اللغة وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : كان ابن عباد كما قال أصحابنا : يستطيل بالعلم وهو قريب القعر منه ، ويدعى الرد على الأوائل وهو لا يعرف حرفا من نَمطِهم(٥) . ولفظة نَمط استخدمها أبو حيان بمعنى فَنّ من فنون الأدب وفى هذا المعنى يقول : وأما قوله : فسيح الأدب فقد والله جمع بين غزارة الموصوف فى أدب النفس والعِلْم وهذا نَمَط لا يتسع الكلام فيه على جميع ما يمر فى الكتاب(٦) .

---

(١) المقابسات ص ٦٤ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ٤ ص ٢٧٩ .
(٣) المقابسات ص ٢٦٥ .
(٤) المقابسات ص ١٢١ .
(٥) مثالب الوزيرين ص ٢٢٥ .
(٦) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٩٤ .

ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة النمط بمعنى الفن : أما العَلْم فمصدر عَلَمْت الشيء بالعَلامة ، وأما العِلْم : فهو سِمَةُ الشيء وعلامتُه ، والعالِم : هو الذى قد عَلِمَ أى صار ذا علامةٍ بالحق ، وأعلمتُ فلانًا خبرًا كأنَّك وسَمْتَهُ بالعَلامة والكلامُ فى هذا النمط يطول ، وعن غَرَضِ الكِتاب يخرج[1] وترد لفظة نمط بمعنى الصفات المميزة لصنف من الأشياء وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : قال أبو بكر الفارسى : أنا وأحزابى من العلماء فى نجوة من البطر . وفى مأمن من السطوة والشر ، ومن جرى منكم مجراى فحكمه حكمى ، وكان له كلام كثير فى هذا النمط وكان إمامًا من أصحاب الشافعى رضي الله عنه[2] وترد لفظة نَمط بمعنى الأسلوب الأدبى أو الطريقة التى يتبعها الشعراء فى النَّظْم وفى هذا المعنى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة نمط فى وصفه للبحترى : حدثنا أبو محمد العروضى عن أبى العباس المبرد قال : سألنى عبيد الله بن سليمان عن أبى تمام والبحترى فقلت : أبو تمام يعلو علوًّا رفيعًا ، ويسقط سقوطا قبيحًا ، والبحترى أحسن الرجلين نَمطًا ، وأعذب لفظًا[3] .

وترد لفظة نَمط فى نص آخر لأبى حيان بمعنى الأسلوب وطريقة التأليف فى الكتابة أيضا وفى هذا يقول أبو حيان : قد بعلت جدا بالكلام الذى تعقد أوله بآخره ، وساء تأليفه من جميع حواشيه . وعلى أنك لو علمت على أى حال نقل هذا القدر ، وفى أى وقت ، لاستكثرت قليله ، وما أكثر ما أخذت نفسى بتحويل ذلك كله إلى نمط آخر ، بطراز آنق من هذا الطراز[4] لفظة نمط فى هذا النص مرادفة للفظة الفن بمعناه الأدبى .

وترد لفظة نَمط بمعنى النموذج والمثال وفى هذا المعنى يذكر أبو حيان

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٣٨٣ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢٥٠ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١٨٦ .
(٤) المقابسات ص ٢١٦ .

لفظة النمط مرادفة للفظة فن فيقول : العرب تقول : فلان يدُلُّ ولا يُدَلُّ ، حكاه ابن الأعرابى وهذا لا يكون إلا من غزارة العلم ، حسن التصور ، وتصرف القريحة ولولا أن الأمر على ما ذكرت لكان ذلك الطريق الذى سلكه والفن الذى ملكه ، والكنز الذى هجم عليه ، والنمط الذى ظفر به[1] .

مما تقدم يتبين لنا أن لفظة النمط قد وردت فى نصوص أبى حيان بمعانٍ مطابقة لما جاء فى اللسان وإن كان أبو حيان قد أضاف إليها معانٍ اصطلاحية أخرى أغفل اللسان ذكرها . ولم تتجاوز لفظة النمط المعنى الدال على المذهب والطريقة عامة . واستعملها أبو حيان فى ميدان الأدب واللغة فدلت عنده على الصنف والنوع والفن الأدبى والأسلوب وطريقة التعبير .

« الطـــراز » :

نصت معاجم اللغة على أن الطِّراز بكسر الطاء لفظة فارسية معربة[2] وأكد الجواليقى فى المعرب فقال : الطِّرز والطِّراز : فارسى معرب وقد تكلمت به العرب[3] وللفظة الطِّراز فى الفارسية دلالة خاصة هى : عَلَمَ الثوب[4] أو الموضع الذى تنسج منه الثياب الفاخرة للملوك خاصة[5] وذكرت المعاجم أن أصل لفظة الطراز « ثراز » وهو التقدير المستوى بالفارسية جعلت الثاء طاء[6] وعندما عربت استعملت لفظة الطِّراز بكسر حرف الطاء ونقلت بمعناها الفارسى أيضا ، فكان الطِّراز يدل على الموضع الذى تنسج فيه الثياب الجياد[7] وتعدت لفظة الطِّراز

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٤٦ .

(٢) اللسان جـ ٢ ص ٥٨١ ، وانظر تاج العروس جـ ٤ ص ٤٨ ، ومعجم اشتاينجس ص ٨١١ .

(٣) المعرب للجواليقى ص ٢٧١ .

(٤) الألفاظ الفارسية المعربة أدى شير ص١١٢.

(٥) معجم اشتاينجس ص ٨١١ .

(٦) تاج العروس جـ ٤ ص ٤٨ ، وانظر معجم شتاينجس ص ٨١١ .

(٧) أساس البلاغة للزمخشرى جـ ٢ ص ٦٧ .

دلالتها المرتبطة بالثياب فاستعملت بالمعنى المجازى كقولهم للوجه المليح : هو مما عمل فى طراز الله تعالى ، وهذا الكلام الحسن من طِراز فلان، وهو من الطِّراز الأول[1] ويقال للرجل إذا تكلم بشيء جيد استنباطًا وقريحة هذا من طِرازه[2] وقال الزبيدى فى معجمه : الطِّراز أيضا النمط ، ومحلة بمرو[3] لفظة «الطِّراز» جاءت فى نصوص متعددة من كتابات أبى حيان وبمعانٍ متنوعة فترد لفظة الطِّراز بمعنى النمط من الناس وفى هذا المعنى يقول أبو حيان فى نص له من كتاب الصداقة والصديق : طِراز العرب غير طِراز المتشبهين بهم ، ولعمرى ، إن حسبية الطبع أكثر ماء ، وأبهى نضارة من مثقف التكلف ، والجواهر تشرف بمعادنها[4] وترد لفظة الطِّراز فى نص من كتاب مثالب الوزيرين بمعنى النوع ، والضرب ، وفى هذا المعنى يقول أبو حيان فى نصه : تابعت إلىّ من كِتاب بعد كتاب ، تطالبنى فى جميعه بنسخ أشياء من حديث ابن عباد وابن العميد وغيرهما مما أدركته فى عصرى من هؤلاء منذ سنة خمسين وثلاثمائة إلى هذه الغاية ، ولعمرى قد كان أكثر ذلك إما بالمشاهدة والصحبة ، وإما بالسماع والرواية من البطانة والحاشية ، والندماء ، وقلت : ينبغى أن تضيف إلى ذلك ما يتعلق به ، ويدخل فى طرازه . ولا يخرج عن الإفادة بذكره[5] .

وترد لفظة طِراز فى نصٍّ من كتاب المقابسات بمعنى النمط والمجال ، يقول أبو حيان فى فاتحة كتابه هذا : أطال الله حياتك ، وأعز قدرتك ، وقرن النجح بسعيك ، وضاعف منائحه قبلك وأدامها لك ، لم يذهب على خطى فى البدار إلى رسمك، والسرع إلى طاعتك، فيما أشرت إليه، وحضضت عليه من تصنيف

---

(١) أساس البلاغة للزمخشرى جـ ٢ ص ٦٧ . (٢) تاج العروس جـ ٤ ص ٤٨ .

(٣) تاج العروس جـ ٤ ص ٤٨ وانظر معجم شتاينجس ص ٨١١ .

(٤) الصداقة والصديق ص ٤٧٤ . (٥) مثالب الوزيرين ص ٨ .

أشياء من الفلسفة رويتها لك ، ونشرتها عليك ، وحطّت بها رغبتك فيها ونشاطك لاقتنائها ، وإضافة أشياء أخر ، تجرى معها وتدخل فى طرازها وتقوى عمدها وتدل على شرف جوهرها . عن مشايخ العصر الذى أدركته والزمان الذى لحقتهم فيه[(١)] وترد لفظة طِراز بمعنى النوع الجيد والنموذج المثالى فى نص لأبى حيان يقول فيه واصفًا ابن عباد : ثم يعمل فى أوقات كالعيد والفَصْل شعرًا ، ويدفعه إلى أبى عيسى بن المنجم ، فيقول له عند سماعه شعره فى نفسه ووصفه بلسانه ومدحه من تحبيره : أعد ياأبا عيسى والله قد صفا ذهنك ، وزادت قريحتك ، وتنقحت قوافيك ، ليس هذا من الطراز الأول حين أنشدتنا فى العيد الماضى[(٢)] وترد لفظة الطِّراز عند أبى حيان بمعنى الأسلوب المميز والطريقة الخاصة فى التّآليف وفى هذا المعنى يقول أبو حيان فى نصٍّ له ، من كتاب الإمتاع والمؤانسة : قال لى مرة :أبو حامد المروروزى : أوصل وهب بن يعيش الرقى رسالة يقول فى عرضها : إن هنا طريقًا فى إدراك الفلسفة مذللة مسلوكة مختصرة فسيحة ، وإن أصحابنا طولوا وهولوا وطرحوا الشوك فى الطريق ، وذلك أنهم اتخذوا المنطق والهندسة وما دخل فيهما معيشة ومَكْسَبة ، فكان من الجواب : قد عرفت مذهب ابن يعيش فى هذا الباب ، وهو جارى ، وكتب هذه الرسالة على هذا الطِّراز بالأمس إلى الملك السعيد سنة سبعين وتقرب بها[(٣)] .

ولفظة الطِّراز ترد فى بعض نصوص أبى حيان بالمعنى المادى الذى يدل على الثوب أو الثوب ذى النسج الفاخر ، أو النسج الجيد للثوب . وفى هذه المعانى يقول أبو حيان فى كتاباته ذاكرًا لفظة الطِّراز بمعنى النسج الجيد للثوب وذلك فى وصفه للسجع وموقعه من الكلام فيقول : السجع الذى يلهج به هو مما يقع فى

---

(١) المقابسات ص ٥٣ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٥٦ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

الكلام ولكن ينبغى أن يكون كالطِّراز فى الثوب ، والصنفة فى الرداء ، والخط فى القصب[1] فالسجع هنا يزين الكلام كتزين الطراز للثوب . وذكر أبو حيان لفظة الطِّراز فى نصٍّ آخر بمعنى الثوب الجيد النسج ، فقال على لسان الوزير صاحب مجالس الإمتاع فى وصفه لأبى سعيد السيرافى بعد انتهاء مناظرته الشهيرة مع متى : عين الله عليك أيها الشيخ فقد نديت أكبادًا ، وأقررت عيونًا ، وبيضت وجوهًا ، وحكت طِرازا لا يبليه الزمان ، ولا يتطرق إليه الحدثان[2] .

وفى نص آخر يذكر أبو حيان لفظة الطِّراز بالمعنى المادى أى بمعنى الأداة المستخدمة فى الرى أى كأداة من أدوات الرى فقال فى حديثه عن كتاب الدواوين : كعهد ينشأ فى إصلاح البريد ، وتقسط الشرب ، وكتاب فى العمارة وما نقص منها ، وفى حرز الغلة والدياس ، وفى الدوالى ، والدواليب ، والغرافات وفى القلب والقسمة ، وفى تقدير الخضر المبكرة ، وفى المساحة وفى الطِّراز وفى الجوالى[3] معنى لفظة الطِّراز كما هو واضح فى النص هو مقسم الماء ، هكذا ذكره الخُوارزمى فى كتابه مفاتيح العلوم فى الفصل الذى خصصه عن كُتَّاب ديوان الماء[4] وهذا المعنى لم أجده فى المعاجم العربية التى اعتمدت عليها فى بحثى هذا .

رأينا من استعراضنا للألفاظ فن ونمط وطراز أن الفن أكثرها استعمالًا وأسبقها فى التداول عند أبى حيان ، والطِّراز أقلها استعمالًا ، ولفظة النمط تلى لفظة الفَنِّ فى استعمالها عند أبى حيان . وكان أبو حيان يستعمل اثنتين من هذه الألفاظ فى نص واحد أحيانًا وهذا مما يدل على أن المصطلح لم يتركز فى لفظة واحدة ، فقد رأينا استعمال الفن والنمط فى نص واحد وهذا وروده كثير فى نصوص أبى حيان.

---

(١) مثالب الوزيرين ص ٩٤ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٢٨ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٩٩ .

(٤) مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٤٥ .

والألفاظ فَنّ ، نَمط وطِراز ترد فى نصوص أبى حيان متقاربة إلى حد بعيد فى دلالاتها ، بدليل أننا لو استبدلنا أحد هذه الألفاظ بإحدى اللفظتين لما اختل المعنى ، غير أن أبا حيان اقتصر بلفظة فن على ما يخص الأدب والعلم ، فى حين أنه أطلق لفظة نمط وهو يريد أمورًا كثيرة تخص فنونًا متنوعة ، وكانت لفظة الفنّ أكثر ورودًا عند أبى حيان وأطول استمرارًا وتليها لفظة النَّمط فى كثرة الاستعمال عند أبى حيان ثم لفظة الطِّراز .

(٣) النثر ، النظم :

يلاحظ فى النتاج الأدبى للقرن الرابع الهجرى عامة شيوع ظاهرة الأدب النثرى وتشعب أغراضه ، وتداخله مع الأغراض التقليدية للشعر وفى هذا يقول ابن خلدون فى مقدمته : لقداستعمل المتأخرون أساليب تختص بالشعر وموازينه فى المنثور من كثرة الأسجاع والتزام التقفية وتقديم النسيب بين يدى الأغراض . وصار هذا المنثور إذا تأملته من باب الشعر وفنه لم يفترقا إلا فى الوزن . وهو غير صواب من جهة البلاغة لما يلاحظ فى تطبيق الكلام على مقتضى الحال[١] .

ويلاحظ الباحث فى كتابات أبى حيان التوحيدى قدرته الفائقة على التعبير عن معطيات فترة خصبة حافلة فى تاريخ الفكر الإسلامى ، بكل ما احتوته تلك المعطيات من تفرع وتنوع ، وطرافة وجدة فى المحسنات اللفظية وعن هذه القدرة على التعبير القوى عن معطيات العصر يقول آدم ميتز : لم يكتب فى النثر العربى بعد أبى حيان ما هو أسهل وأقوى وأشد تعبيرًا عن شخصية صاحبه مما كتب أبو حيان[٢] ويقول أيضا : ربما كان أبو حيان التوحيدى أعظم كتاب النثر العربى على الإطلاق[٣] يبدو أن أبا حيان كان ممن رأوا فى النص النثرى أفضل وسيلة من وسائل

---

(١) المقدمة ابن خلدون ص ٥٦٧ .
(٢) الحضارة الإسلامية، آدم ميتز جـ١ ص٣٩٥.
(٣) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ١ ص٣٩٩ .

التعبير فى مختلف الموضوعات ، ما كان منها ذا طابع عقلى ، وما كان ذا طابع وجدانى .

وقد آمن أبو حيان بأفضليّة النَّثْر كما جاء فى نصوص كتاباته ففى الإمتاع والمؤانسة يقول : **النَّثْر** أصل الكلام ، **والنَّظْم** فرعه والأصل أشرف من الفرع والفرع أنقص من الأصل[1] ، ولم يعرف عن أبى حيان ممارسته لنظم الشعر كعادة الكثيرين من كُتَّاب القرن الرابع الهجرى وهو القائل : لست من الشعر والشعراء فى شيء وأكره أن أخطو على دَحْض[2] ، ونجد التوحيدى يقف موقف المناصر للنثر فى معرض المقابلة بالنظم ، وقد خصص الليلة الخامسة والعشرين من ليالى الإمتاع والمؤانسة ، وكذلك المقابسة الستين من مقابساته للحديث عن النثر والنظم ، وأورد حجج المحتجين لكل من هذين الفنين وإلى أى حد ينتهيان[3] .

ويلاحظ أن ما أورده من حجج فى مناصرة النثر كان أوفر وأقوى من نظيراتها فى مناصرة النظم ، وفى هذه الحجج يقول أبو حيان : من شرف النثر أن الكتب القديمة والحديثة النازلة من السماء على ألسنة الرسل بالتأييد الإلهى مع اختلاف اللغات كلها منثورة مبسوطة ، متباينة الأوزان ، متباعدة الأبنية ، مختلفة التصاريف ، لا تنقاد للوزن ولا تدخل فى الأعاريض[4] ويؤكد على قوله هذا فى المقابسات فيقول : إن الكتب السماوية وردت بألفاظ منثورة[5] . ويستشهد بقول ابن كعب الأنصارى : من شرف النثر أن النبى ﷺ لم ينطق إلا به آمرًا وناهيًا ومستخبرًا ومخبرًا ، وهاديًا وواعظًا ، وغاضبًا وراضيًا ، وما سلب النظم إلا لهبوطه عن درجة النثر ، ولا نزه عنه إلا لما فيه من النقص ولو تساويا لنطق بهما

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٢ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٣٤ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٠ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٣ .
(٥) المقابسات ص ٢٧٣ .
(٦) الإمتاع والمؤاسة جـ ٢ ص ١٣٥ .

ولما اختلفا اختص بأشرفهما[١] . ويقول أبو حيان : ولشرف النثر قال الله تعالى فى التنزيل : ﴿ إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤًا منثورًا ﴾ ولم يقل منظومًا[٢] .

ويرى أبو حيان أن من شرف النثر كذلك أن الوحدة فيه أظهر ، وأثرها فيه أشهر ، وهو إلى الصفاء أقرب ، ولا توجد الوحدة غالبة على شيء ، إلا إذا كان ذلك دليلًا على حسن ذلك الشيء وبقائه وبهائه ونقائه[٣] ، ويقول أبو حيان فى مقابساته : إن الوحدة فى النثر أكثر ، والنثر إلى الوحدة أقرب فمرتبة النظم دون مرتبة النثر ، لأن الواحد أول ، والتابع له ثان[٤] ويقول أيضا : ومن فضيلة النثر كما أنه إلهى بالوحدة ، هو طبيعى بالبداءة ، والبداءة فى الطبيعيات وحدة[٥] .

ويلاحظ أبو حيان أن النثر أول ما ينطق به الإنسان ، وعلى خلاف المنظوم لأن المنظوم صناعى[٦] داخل فى حصار العروض والوزن والتكليف ، ولا تعمل فيه دواعى الضرورة وفى هذا يقول أبو حيان : ومن شرف النثر أنه مبرأ من التكلف منزه عن الضرورة[٧] .

والنثر الذى يقف أبو حيان إلى جانبه هو النثر المكتوب الذى يتوفر فيه قدر من الجمال الفنى ، الذى يحتاج إلى معرفة وتنضجه الروية[٨] ، وليس النثر التلقائى الذى يصدر عن اللسان وتجرى فيه البديهة والارتجال ونصوص كثيرة فى كتابات أبى حيان تتحدث عن النثر[٩] .

والنَّثر هو أحد قسمى الأدب الإنشائى جاء تعريفه فى اللسان : النَّثر من نَثْرك

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٥ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٤ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٣ .
(٤) المقابسات ص ٢٧٢ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٣ .
(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٣ .
(٧) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٤ .
(٨) الهوامل والشوامل ص ٢٨٥ .
(٩) المقابسات ص ٢٣٩ .

الشيء بيدك ترمى به متفرقًا مثل نَثْر الجوز واللوز والسكر،وكذلك نَثْر الحَبِّ إذا بذر ، والنَّثور الكثير الولد ، وكذلك المرأة ، وقد نَثَرَ ولدًا ونثر كلامًا : أكثره ورجل نِثِر بَيِّن النَّثر ومُنثَر ، كلاهما : كثير الكلام[1] .

يقول أبو حيان عن فن النثر : **أما بلاغة النثر فأن** يكون اللفظ متناولًا والمعنى مشهورًا والتهذيب مستعملا ، والتأليف سهلا ، والمراد سليما ، والرونق عاليا ، والحواشي رقيقة ، والصفائح مصقولة ، والأمثلة خفيفة المأخذ ، والهوادى متصلة والأعجاز مفصلة[2] ويقول أيضا : ما رأيت أحدًا تناهى فى وصف النَّثر بجميع ما فيه وعليه غير قدامة بن جعفر فى المنزلة الثالثة من كتابه[3] .

والنظم هو التأليف الشعرى عامة الذى يلتزم قواعد متواضعًا عليها من حيث الوزن والعروض خاصة[4] .

والنَّظْم كما جاء فى اللسان : هو التأليف ، ونَظَمه يَنْظُمه نظمًا ونظامًا ونظمه فانتظم وتنظم . ونظمت اللؤلؤ أى جمعته فى السلك ، والتنظيم مثله ، ومنه نظمت الشعر ونظمته ، ونظم الأمر على المثل . وكل شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته . والنَّظْم : المنظوم وصف بالمصدر . والنظم : ما نظمته من لؤلؤ وخرز وغيرها ، كذلك هو فى كل شيء حتى يقال : ليس لأمره نظام أى لا تستقيم طريقته[5] . ويقول صاحب كتاب التعريفات فى تعريفه للفظة النظم : فى اللغة جمع اللؤلؤ فى السلك وفى الاصطلاح تأليف الكلمات والجمل مترتبة المعانى متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل وقيل الألفاظ المترتبة المسوقة المعتبرة دلالتها على ما يقتضيه العدد[6] .

---

(١) اللسان جـ ٣ ص ٥٣٨ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٤١ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٤٥ .
(٤) معجم المصطلحات العربية ص ٢٢٧ .
(٥) اللسان جـ ٣ ص ٦٦٧ .
(٦) التعريفات للجرجانى ص ٢٦١ .

ترد لفظة **نَظْم** فى نصوص كثيرة من كتابات أبى حيان بمعنى التأليف الشعرى أو الكلام الموزون . وفى هذا المعنى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة النظم : سمعت الخُوارزمى الكَاتِب يقول لأبى إسحاق الصابى إبراهيم بن هلال : لم إذا قيل لمصنِّف أو كَاتِب أو خطيب أو شاعر فى كلام قد اختل شىء منه ، وبيت قد انحل نظمه ، ولفظ قلق نصابه ، هات بدل هذا اللفظ لفظا ، وموضع هذا المعنى معنى آخر ، تهافتت قوته وصعب عليه تكلفه[(١)] وقال أبو حيان ذاكرًا لفظة النَّظْم بمعنى الشعر : فى المغرب من يقدم نثره على نثر إبراهيم بن العباس الصولى ، ويقدم نظمه على نظم أبى تمام[(٢)] .

وهناك نصوص كثيرة عند أبى حيان التوحيدى نجد فيها المقابلة بين كلمتى « **النَّثْر** »، و« **النَّظْم** » . يقول أبو حيان : الكلام يشقق بين ضروب النثر وأصناف النظم[(٣)] . وعن هذا النظم وفضائله يذكر أقوال العلماء فى عصره بدون أن يبدى أى رأى أو يورد أى تعليق على ما قالوه فى تفضيلهم للنظم على النثر . فيقول أبو حيان فى الإمتاع والمؤانسة : وأما ما يفضل به النظم على النثر فأشياء سمعناها من هؤلاء العلماء الذين كانت سماء علمهم درورا ، وبحر أدبهم متلاطمًا ونار بلاغتهم مشتعلة ، وأنا آتى على ما يحضرنى من ذلك منسوبًا إليهم ومحسوبًا لهم[(٤)] . ومن أقوال هؤلاء العلماء ما قاله السلامى فى تفضيله للنظم : من فضائل النظم أن صار لنا صناعة برأسها ، وتكلم الناس فى قوافيها وتوسعوا فى تصاريفها وأعاريضها وما هكذا النثر ، فإنه قصر عن هذه الذروة الشامخة ، والقلة العالية فصار بذلك بذلة لكافة الناطقين من الخاصة والعامة[(٥)] وقال السلامى أيضا فى

---

(١) المقابسات ص ١٠٢ .

(٢) الإمتاع جـ ٢ ص ١٣٦ .

(٣) المقابسات ص ٢٣٩ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٥ .

(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٥ .

تفضيله للنظم ، من فضائل النظم أنه لا يغنى ولا يحدى إلا بجيده ، ولو فعل هذا بالنثر كان منقوصًا[1] ، ويقول أبو حيان ذاكرًا قول ابن ثوابة فى تفضيله للنظم : وقال ابن ثوابة : من فضائل النظم أن الشواهد لا توجد إلا فيه ، والحجج لا تؤخذ إلا منه أعنى أن العلماء والحكماء والفقهاء والنحويين واللغويين يقولون : قال الشاعر وهذا كثير فى الشعر ، فعلى هذا الشاعر هو صاحب الحجة ، والشعر هو الحجة[2] .

وينظر أبو حيان إلى النظم والنثر نظرة الأستاذ العالم فيتعقب أثر كل منهما فى النفس ويعين له الحدود والشروط وقد ذكر فى مقابسته الستين كلامًا كثيرًا أورده على لسان أستاذه أبى سليمان وفيه يقول : النظم أدل على الطبيعة ، لأن النَّظْم حيز التركيب ، والنَّثر أدل على العقل لأن النثر من حيز البساطة ، والوزن معشوق الطبيعة والحسّ ، والعقل يطلب المعنى ، فلذلك لا خطر للفظ عنده وإن كان متشوقًا معشوقًا . والدليل على أن المعنى مطلوب النفس ، أن المعنى متى صودف بالسانح والخاطر وتوفى الحكم ، لم يبل بما يفوته من اللفظ الذى هو كاللباس والمعرض والإناء والظرف[3] .

وفى ختام حديثه عن النظم والنثر يقول أبو حيان عن هذين الفنيين ودلالتهما : التفاضل الواقع بين البلغاء فى النَّظْم والنَّثر إنما هو فى هذا المركب الذى يسمى تأليفًا ورَصفًا[4] ويقول أبو حيان أيضا : فإذا كان الأمر فى هذه الحال على ما وصفنا فللنثر فضيلته التى لا تنكر ، وللنظم شرفه الذى لا يجحد ولا يستر لأن مناقب النَّثر فى مقابلة مناقب النَّظْم ، ومثالب النظم فى مقابلة مثالب النثر ، والذى لابد

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٦ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٦ .
(٣) المقابسات ص ٢٣٩ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٢ .

منه فيهما السلامة والدقة وتجنب العويص وما يحتاج إلى التأويل والتلخيص[1] ومع هذا ففى النثر ظل من النظم ولولا ذلك ما خف ولا حل ولا طاب ولا تحلا . وفى النظم ظل من النثر ، ولولا ذلك ما تميزت أشكاله ولا عذبت موارده ومصادره ، ولا اختلفت بحوره وطرائقه[2] .

وهناك دلالة أخرى لكلمة نظم « بمعنى التأليف والتركيب الأدبى » ، ولا تقابل بينها وكلمة نثر . ترد لفظة النظم عند أبى حيان مرادفة للتأليف وفى هذا يقول فى كتابه مثالب الوزيرين : كيف يكون القرآن عندى آية ودلالة على النبوة ومعجزة من جهة نظمه وتأليفه ، وإن كان **النظم والتأليف** بديعين غريبين[3] . وهذا المعنى قريب من المعنى اللغوى . وهذا المعنى هو الذى أورده صاحب اللسان عند تناوله للفظة النظم ، ولم يرد فى اللسان المعنى الاصطلاحى للفظة النظم ولفظة النثر واكتفى اللسان بالمعنى اللغوى لهما عند تناوله لمادتيهما .

ويختم حديثه أبو حيان فى قضية النثر والنظم وأيهما أفضل ليقول : أحسن الكلام ما قامت صورته بين نظم كأنه نثر ، ونثر كأنه نظم[4] ومن نصه يتضح أن أبا حيان قارب بين فن النثر وفن النظم خاصة وأن نثر القرن الرابع ارتفعت موسيقيته حتى أوشكت أن تقارب نغمة الشعر ، هذا وقد احتفى بالنثر احتفاءً عظيمًا فى هذا العصر عصر ازدهار النثر[5] .

وقبل أن أنهى كلامى عن لفظتى النثر والنظم أذكر بعض الاشتقاقات التى أوردها أبو حيان فى كتاباته لمادتى « نثر » و« نظم » ومن هذه الاشتقاقات

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٩ .
(٢) المقابسات ص ٢٤٠ .
(٣) مثالب الوزيرين ص ١٩٨ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٤٥ .
(٥) الحضارة الإسلامية جـ ٢ ص ٤١٦ .
(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٦ .

الألفاظ منثور ، ومنظوم، ناثِر ، وناظِم ، ونثار ، ونظام ، ومنثورة ، وانتثار .

يقول أبو حيان موردًا لفظتى **مَنْثُور ومَنْظُوم** بالمعنى الاصطلاحى فى نصوصه الكثيرة التى ذكر فيها هاتين اللفظتين : إن صورة المنظوم محفوظة ، وصورة المنثور ضائعة[١] .

ويقول أيضا : إن الإنسان لا ينطق إلا بالمنثور المتبدد ، والميسور المتردد ، وليس كذلك المنظوم لأنه صناعىّ[٢] ويقول أيضا : الكلام المنثور أشبه بالوشى ، والمنظوم أشبه بالنير المخطَّط[٣] . هذا المعنى الاصطلاحى الخاص بفنى المنثور والمنظوم لم يرد فى اللسان .

ولفظتا **ناثِر وناظِم** ترد فى نصوص أبى حيان ومنها ما يقوله فى الصداقة والصديق : ولو أردنا أن نجمع ماقاله كل ناظِم فى شعره وكل ناثِر فى لفظه ، لكان ذلك عسرًا بل متعذرًا[٤] . يتبين لنا أن لفظتى الناثر والناظم هما لفظتان جديدتان فى مبناهما ومعناهما عند أبى حيان فقد أغفل اللسان عن ذكرهما .

ولفظة **مَنْثُورة** يذكرها أبو حيان فيقول : إن الكتب السماوية وردت بألفاظ منثورة ومذاهب مشهورة[٥] ، ثم لفظة **مُنْتَثِرة** يذكرها أبو حيان فيقول : ونجوم السماء منتثرة وإن كان انتثارها على نظام ، إلا أن نظامها فى حَدّ العقل ، وانتثارها فى حَدّ الحسن[٦] . واللفظتان **نِثار ونِظام** تردان عند أبى حيان بالمعنى اللغوى وفى هذا يقول : كنا فى نِثار فلان ، ولا يقال : كنا فى نظام فلان[٧] .

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٦ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٣ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٥ .
(٤) الصداقة والصديق ص ٢٠٢ .
(٥) المقابسات ص ٢٧٣ .
(٦) الإمتاع جـ ٢ ص ١٣٤ .
(٧) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٥ .

(٤) الشعر ، الوزن ، القافية ، العروض :

جاء فى اللسان : الشِّعْر : منظوم القول ، غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية والشِّعْر : القريض المحدود بعلامات لا يجاوزها والجمع أشعار ، وقائله شاعِر لأنه يَشْعُر ما لا يَشْعُرُ غيره أى يعلم . والجمع شُعراء وعن الأخفش : الشاعر مثل لابن وتامر أى صاحب شعر وسمى شاعرًا لفطنته[١] ومعنى الشعر فى المعاجم لا يخرج عن معناه عند صاحب اللسان ، ففى التعريفات قال الجرجانى فى تعريفاته : الشعر لغةً العلم وفى الاصطلاح كلام مقفى موزون ، والشِّعر فى اصطلاح المنطقيين قياس مؤلَّف من المخيلات والغرض منه انفعال النفس بالترغيب والتنفير[٢] .

وقال التهانوى فى كشافه : الشاعر عند أهل العربية من يتكلم بالشِّعْر أى الكلام الموزون وعند المنطقيين من يتكلم بالقياس الشعرى[٣] .

وقال أبو حيان فى مقابساته معرفًا **الشِّعْر** : يقال ما الشِّعْر ؟ الجواب : كلام ركب من حروف ساكنة ومتحركة بقوافٍ متوازنة ، ومعانٍ معتادة ، ومقاطع موزونة ، وفنون معروفة[٤] . وقال أبو حيان فى المقابسات أيضا عن الشعر وفنونه وخواصه الأساسية : الشِّعْر الذى منتهاه قائم فى النفس من صاحبه ، ثابت فى قريحته يجيش به صدره ، ويجود به طبعه ، ويصح عليه ذوقه ، من مدح مأمول ، وترقيق غزل ، وهجوٍ مسىء ، واستنزال كريم ، وتوشية لفظ ، وتحلية وزن ، وتقريب مراد ، وضرب مثل ، واختراع معنى ، وانتزاع تشبيه ، مع تصرف فى الأعاريض بيّن ، وقيام بالقوافى ظاهر[٥] .

---

(١) اللسان جـ ٢ ص ٣٢٣ .
(٢) التعريفات ص ١٣٢ .
(٣) كشاف اصطلاحات الفنون جـ ٣ ص ١٠٨ .
(٤) المقابسات ص ٣٥٩ .
(٥) المقابسات ص ٥٩ .

اختلفت الآراء حول مفهوم الشِّعْر وفنونه ، إلا أنه اتفق على أغلب خواصه الأساسية التى لابد من وجودها فى الكلام حتى نسميه شعرًا . ومن هذه الخواص ما قاله قدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣٣٧ هجرية فى كتابه « نقد الشعر » : الشعر قول موزون مقفى يدل على معنى ، فعناصره أربعة : اللفظ ، والوزن ، والمعنى ، والقافية[١] .

وعن الشِّعر وفنونه نجد فى كتاب البصائر والذخائر أحاديث وأقوالاً منسوبة للنقاد والأدباء فى الكلام على الشِّعْر . فيقول أبو حيان فى بصائره : موردًا لفظة شعر بالمعنى اللغوى : قال ابن طباطبا فى عيار الشعر : الشعر تدفع به العظائم ، وتسل به السخائم وتخلب به العقول ، وتُسحر به الألباب ، لما يشتمل عليه من رقيق اللفظ ولطيف المعنى[٢] . وفى البصائر أيضا يقول أبو حيان موردًا قول الناشئ فى بناء القصيدة العربية : قال الناشئ أبو العباس فى نقد الشعر : الشِّعْر قيد الكلام ، وعقال الأدب ، وسور البلاغة ، ومحل البراعة ، ومجال الجنان ، وشرح البيان ، وذريعة المتوسل ، ووسيلة المترسل ، وذمام العرب ، وحرمة الأديب ، وعصمة الهارب ، وعذر الراهب ، وفرحة المتمثل ، وحاكم الأعراب ، وشاهد الصواب[٣] وعن أركان الشِّعْر يقول أبو حيان : إنها أربعة أركان مديح رافع ، وهجاء واضع ، وتشبيب واقع ، وعتاب نافع[٤] وتناول أبو حيان فى كتاباته الشِّعر والشعراء بالنقد والتقويم برغم قوله لست من الشعر والشعراء فى شىء وأكره أن أخطو على دحض[٥] وفى حديث أبى حيان عن الشعر والشعراء ترد – فى سياقات مختلفة – الألفاظ **شعر** ، **شاعر** ، **شعراء** ، فيقول فى حديثه الممتع مبينا

---

(١) نقد الشعر قدامة بن جعفر ص ٢٧ .

(٢) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ١١٦ .

(٣) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٢٧٣ .

(٤) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢٧٩ .

(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٣٤ .

الإنتاج الشعرى لشعراء عصره : أما ابن جلبات **فمجنون الشّعْر** متفاوت اللفظ ، قليل البديع ، واسع الحيلة[1] وأما الخالع **فأديب الشّعْر** صحيح النحت ، كثير البديع ، مستوى الطريقة، متشابه الصناعة[2] ويقول أيضا : وأما ابن حجاج ، ليس للعقل فى شعره منال ، ولا له فى قرضه مثال ، على أنه قويم اللفظ سهل الكلام[3] . ويشهد لابن نباتة السعدى شاعريته فيقول فى وصفه للشاعر ابن نباتة : وأما ابن نباتة **فشاعر الوقت** لا يدفع ما أقول إلا حاسد أو جاهل أو معاند[4] . ويقول أيضا موردًا لفظة شعر ولفظة شاعر فى قوله : كان البديهى هذا **شاعرا** وكان شهرزوريًا ، وكان مغسول الشعر ما طن له بيت وإنما هاجه على هذا الثلب اختلافه إلى يحيى بن عدى المنطقى ولم يحل منه بشىء من الفلسفة ، ولكن كان يجعل إصابته فى حفظ العروض وعقد القافية وإقامة الوزن[5] .

ويقول أبو حيان أيضا ذاكرًا لفظتى شعر وشاعر : من فضائل النَّظْم أن الشواهد لا توجد إلا فيه ، يقولون : قال الشاعر ، وهذا كثير فى الشعر ، والشعر قد أتى به[6] . ويقول أيضا : الناس يقولون : ما أكمل هذا البليغ لو قرض الشعر ، ولا يقولون : ما أشعر هذا الشاعر لو قدر على النَّثر ، وهذا لغنى الناظم عن الناثر وفقر الناثر إلى الناظم[7] .

وترد لفظة الجمع شعراء فى نص لأبى حيان يقول فيه : وأما الشعراء وأصحاب النَّظْم وأرباب المدح والهجاء ، والثلب والحمد ، والتشنيع والتحسين ، فهو كالطّم والرِّم لا يكسبون إلا بهذا المذهب[8] .

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٣٥ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٣٦ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٣٧ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٣٦ .
(٥) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١٧١ .
(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٦ .
(٧) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٧ .
(٨) مثالب الوزيرين ص ٥١ .

ومن الملاحظ أن أحكام أبى حيان فى شعراء عصره ، امتزجت بأحكامه فى القول بشعرهم ، بجانب انعدام الشاهد وكأنها أحكام مسلم بها ، وربما لأن أبا حيان كان يقول هذه الأحكام فى مجلس عام من ذاكرته بالإضافة إلى أن هؤلاء الشعراء مازالوا يعيشون فى عصره .

وأحاديث أبى حيان عن الشِّعر والشعراء فى عصره أحاديث ممتعة حقا ولكن ما يعنينا من هذه الأحاديث الألفاظ التى وردت فيها مثل الشعر ، والنظم والشاعر والشعراء وأصحاب النَّظم والناظم . وهذه الألفاظ تدور حول قضية من قضايا الشعر ، وهى الشعر والنظم وسوف نتناول هذه المسألة من جانبها الدلالى فقط ، وإلى أى مدى أوضح أبو حيان فى كتاباته معنى لفظتى الشعر والنظم .

هناك نصوص كثيرة ذكرها أبو حيان فى كتاباته ترد فيها لفظة **شعر** مرادفة للفظة **نظم** . ومن هذه النصوص ما قاله فى الإمتاع والمؤانسة ذاكرًا لفظة النَّظم بمعنى الشِّعر : قال أدام الله دولته ليلة : أحب أن أسمع كلامًا فى مراتب النَّظم والنَّثر[1] وكان الجواب : أن الكلام على الكلام صعب ، فإنه يدور على نفسه ويلتبس بعضه ببعضه ، ولهذا شق النَّحْو وما أشبه النَّحْو من المنطق وكذلك النَّثْر والشِّعْر على ذلك[2] .

وفوق هذا فإن اللفظتين النظم والشعر قد وردتا فى مجال المقارنة بالنثر وهنا نجد دلالة محددة واضحة للفظة النظم ، فهو القالب الذى يُسْبك فيه الشعر ، والميزان الذى توزن به الكلمات ، وفى هذا المجال يقول أبو حيان عن نظم الشِّعر : إن الوزن هو النَّظم للشعر[3] فالنظم هنا ليس معناه الشِّعْر وإنما هو ما يوزن به الشِّعْر . وقد تناول هذه المسألة الخاصة بالشِّعْر والنَّظْم علماء البلاغة من الأقدمين مثل

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٠ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣١ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٣ .

العسكرى فى كتابه الصناعتين ، وفيه يقول عن الشعر ونظمه : إن من مراتبه العالية التى لا يلحقه فيها شىء من الكلام النظم الذى به زنة الألفاظ وتمام حسنها[1] .

ومفهوم النَّظْم عند أبى حيان يقصد به أحيانًا الكلام الموزون وهو الدرجة الدنيا من الشعر وهنا يقدم عليه النثر الفنى .

ولفظة الوزن كما جاء فى اللسان : الوَزْن : رَوْزُ الثِّقل والخِفّة . والوزن : ثَقْل شىءٍ بشىءٍ مثله كأوزان الدراهم وأوزان العرب : ما بنت عليه أشعارها ، واحدها وزن ، وقد وَزَنَ الشعر وزنًا فاتزن . وهذا القول أوزن من هذا أى أقوى وأمكن . ووازنه : عادله وقابله[2] . ووزن الجمع أوزان وردت فى قول أبى حيان : العقل قد يتخير لفظا بعد لفظ ، ويعشق صورة بعد صورة ، ويأنس بوزن دون وزن ، ولهذا يشقق الكلام بين ضروب النثر والنظم[3] وقوله أيضا : المنظوم لأنه صناعى ، داخل فى حصار العروض وأسر **الوزن** ، وقيد التأليف ، والعبارة تتركب بين وزن هو النَّظْم للشعر ، وبين وزن هو سياقة الحديث[4] . وعن الوزن الشعرى أى الوزن فى اصطلاح العروضيين يقول أبو حيان : رأينا بعض من يتذوق وله طبع يخطىء ويخرج من وزن إلى وزن ، وما رأينا عروضيا له ذلك[5] . ويذكر أبو حيان لفظة الوزن بمعنى البِنَاء للفظ فيقول ذاكرًا وزن اللفظ : التحسين تارة يكون بمعانى التوكيد ، وتارة بمعانى الحذف ، وتارة يكون **بوزن اللفظ** ، وبتعديل الوزن وبتسهيل المطالع[6] . الوزن هنا فى النصوص التى ذكرها أبو حيان قاصدًا بها الوزن الشعرى ووزن اللفظ وهى مجموعة الأنماط ، الإيقاعية للكلام

---

(١) الصناعتين أبو هلال العسكرى ص١٤٣ .
(٢) اللسان جـ ٣ ص ١٤٢ .
(٣) المقابسات ص ٢٣٩ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٣ .
(٥) الهوامل والشوامل ص ٢٨٢ .
(٦) مثالب الوزيرين ص ٢٩٤ .

المنظوم التى تتألف من تتابع معين لمقاطع الكلمات أو التى تشتمل على عدد ما من تلك المقاطع اللغوية[1] ، وفى العربية يتألف من المقاطع تفعيلات ، ومن التفعيلات تتكون البحور . ولفظة وزن ترد عند أبى حيان بالمعنى اللغوى أى بمعنى المشابهة والمقابلة والمعادلة ويقول أبو حيان فى هذا المعنى : لتكن عنايتك بحسن استماع ما تفهمه فى وزن عنايتك بحسن استعمال ما تكسبه[2] .

ويقول أبو حيان أيضا ذاكرًا لفظة الوزن بالمعنى اللغوى العام : أنت تعتبر حد الفاعل والمفعول من شكل اللفظ ووزن الترقيب ، بشائع العادة وقائم العرف[3] ، ويقول ذاكرا لفظة الوزن بمعنى البناء الصرفىّ إذا قلت هذا واجب فهذا الوزن وزن فاعل من جهة اللّفْظ[4] .

أما لفظة الجمع أوزان فيذكرها أبو حيان بمعنى الأبنية الصرفية فيقول : اللغات كلها منثورة مبسوطة متباينة الأوزان[5] .

ولفظة القافية وتعنى مؤخر الشىء ، ومنها قيل : قافية الرأس أى مؤخره ، وبتوضيح أكثر يقول صاحب اللسان : والقافية من الشعر من المادة قفا وسميت قافية لأنها تقفو البيت ، لأن بعضها يتبع أثر بعض ، وعن الأخفش قال : إنما قيل لها قافية لأنها تقفو الكلام وفى قولهم قافية دليل على أنها ليس بحرف لأن القافية مؤنثة والحرف مذكر ، وإن كانوا قد يؤنثون المذكر ، وقَفَيْت الشعر تقفية أى جعلت له قافية[6] . وأطلقت القافية على الشعر لأنه كلام منظوم على ترتيب معين[7] .

---

(١) معجم المصطلحات العربية مجدى وهبة ص ٢٣٨ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٣٠٩ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٢١٠ .
(٤) المقابسات ص ١٨٢ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٣ .
(٦) اللسان جـ ٣ ص ١٤٢ .
(٧) الزينة جـ ١ ص ٨٤ .

ولفظة **قافية** يعرفها أبو حيان فيقول : وقافية الشعر : ما انساق الكلام الموزون إليه ، وانقطع بتمام البيت عليه[1] ويقول أبو حيان فى وصفه لأحد معاصريه ذاكرًا لفظة القافية بمعنى البيت من الشعر : كان يجعل إصابته فى حفظ العَروض ، وعَقْد القافية ، وإقامة الوزن ، ورواية اللغة وحفظ الغريب المُصنَّف إعجابًا بنفسه ويتدرع به على الناس[2] .

وترد لفظة القافية فى نصٍّ لأبى حيان بمعنى الكلمة الأخيرة من بيت الشعر وفى هذا المعنى يقول : قال ما المثر ؟ قلت هى الضغائن التى ذكرها فى حشو البيت ، واحدها مثرة كأنه أراد وألبسهم على الضغائن حتى تبرأ الضغائن . فرجع من لفظ إلى لفظ ضرورة القافية لما كان معناهما واحدا[3] .

من الملاحظ أن لفظة القافية وردت عند أبى حيان بمعنى الشِّعْر أى الكلام المنظوم على ترتيب معين وبمعنى الكلمة الأخيرة من البيت وأيضا بمعنى الحرف الأخير منه وهذا المعنى الاصطلاحى هو الأكثر استخدامًا عند أبى حيان كما جاء فى اصطلاح العَروضيين .

ولفظة الجمع قوافى ترد عند أبى حيان مع لفظة التقفية وهذه الأخيرة ترد عند أبى حيان فى مجال الشعر والنثر ولنر ما يقوله أبو حيان عن القوافى : من فضائل النَّظْم أن صار لنا صناعة برأسها ، وتكلم الناس فى قَوافيها ، وتوسعوا فى تصاريفها ، وقال أيضا موردًا لفظة قوافى فى مجال وصفه لفن الشِّعْر : الشعر الذى منتهاه قائم فى النفس من صاحبه ، ثابت فى قريحته مع توشية لفظ ، وتحلية وزن ، وتصرف فى الأعاريض بيّن وقيام بالقوافى ظاهر[4] جاءت لفظة القوافى فى نصوص

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٨٨ .

(٢) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١٧٢ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٤٩ .

(٤) المقابسات ص ٥٩ .

أبى حيان بالمعنى الاصطلاحى الخاص بالكلمات الأخيرة من الأبيات الشعرية .

أما لفظة التقفية فهى كما يعرفها أبو حيان قائلا : التّقْفية ، صناعة الشاعِر والسَّاجِع كأنما تقفّوا كلامًا على وزن واحد[1] ، ومن نص أبى حيان يتبين لنا أن القافية تدخل بيت الشعر وقد تكون فى النثر كما فى السجع . وهناك نص لأبى حيان يبيّن فيه أن التّقفية تدخل النثر وذلك فى وصفه للبلاغة فيقول : فأما البلاغة فإنها زائدة الإفهام الجيد ، بالوزن والبناء والسجع ، والتّقْفية ، والحلية الرائعة[2] .

ويحدد أبو حيان عمل التّقْفية فيقول : وتكون الفائدة من طريق المعنى أبلغ من ترصيع اللفظ وتقفية الحروف[3] .

وفى مجال الحديث عن الشّعر وأوزانه وقوافيه يذكر أبو حيان لفظة العَروض ومصطلح عِلْم العَروض . ومعنى العروض كما جاء فى اللسان : هى عَروض الشّعْر وهو فواصل أنصاف الشعر وهو آخر النصف الأول من البيت ، والجمع أعاريض على غير قياس ، حكاه سيبويه ، وسمى عَروضًا لأن الشعر يعرض عليه ، ومنهم من يجعل العَروض طرائق الشعر وعموده مثل الطويل يقول هو عروضى واحد ، والعَروض . ميزان الشّعْر لأنه يعارض بها وهى مؤنثة ولا تجمع لأنها اسم جنس[4] .

والعَروض مصطلح يطلق على الجزء الأخير من الشطر الأول من البيت وبه سمى علم العَروض لأنه إن عرف نصف البيت سهل تقطيعه[5] وعلم العَروض يبحث فيه عن أحوال الأوزان المعتبرة للشعر العارضة للألفاظ والتراكيب العربية[6] .

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٨٨ .
(٢) المقابسات ص ١٢٢ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٤٢ .
(٤) اللسان جـ ٢ ص ٧٤٤ .
(٥) مفاتيح العلوم ص ٧٩ .
(٦) أبجد العلوم جـ ٢ ص ٥٤٦ .

ويرد مصطلح **علم العروض** فى نص لأبى حيان يقول فيه : ويمكن أن يقال بالمثل الأدنى : إن من يتكلم بالإعراب والصّحة ولا يلحن ولا يخطئ ويجرى على السليقة الحميدة ، ومتى اتفق إنسان بهذه الحلية وعلى هذا النجاد ، فلعمرى إنه غنى عن تطويل النَّحْويين ، كما يستغنى قارض الشعر بالطبع عن علم العَروض[1] ، هنا أبو حيان فى نصه هذا يدعو إلى الاستغناء عن علم العروض إذا توفرت شروط معينة بقارض الشعر يذكرها فى نصه .

وترد لفظة **العَروض** فى كتابات أبى حيان بمعنى العلم وبمعنى الأوزان الشعرية وفى هذه المعانى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة العَروض : فإن قيل : إن النَّظْم قد سبق العروض بالذوق ، والذوق طباعىّ ، قيل فى الجواب : الذوق وإن كان طباعيًّا فإنه مخدوم الفكر ، وما هو أكثر من هذا مما هو مدوّن فى كتب القوافى والعروض لأربابها الذين استنفذوا غايتهم[2] . ويتساءل أبو حيان فى هوامله عن العَروض فيقول : ألم تبنى العروض على الطبع ؟ أليست هى ميزان الطبع ؟ فما بالها تخون ؟ قد رأينا بعض من يتذوق وله طبع يخطئ ويخرج من وزن إلى وزن ، وما رأينا عروضيًّا له ذلك[3] ويفترض أبو حيان فى نصه هذا أنه من الممكن الاستغناء عن العَروض أو علم العَروض بالطبع السليم والمهارة .

ولفظة **أعاريض** وردت عند أبى حيان جمعا لعروض وفى هذا المعنى يقول أبو حيان موردا هذه اللفظة : الكتب القديمة والحديثة النازلة من السماء على ألسنة الرسل لا تنقاد للوزن ، ولا تدخل فى الأعاريض[4] ويقول أيضا ذاكرًا لفظة الأعاريض : قال السـلامى من فضائل النظم أن صار لنا صناعة برأسها وتكلم

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٠٧ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٤ .

(٣) الهوامل والشوامل ص ٢٨٢ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٣ .

الناس فى قوافيها ، وتوسعوا فى تصاريفها وأعاريضها ، وتصرفوا فى بحورها[1] .

وهناك كلمة **عروضىّ** صيغة نسب إلى كلمة عروض وهى صيغة نسب إلى الجمع على خلاف ما قال به النحاة ، وترد لفظة العروضىّ فى نصوصٍ لأبى حيان يقول فيها : لم صار العروضىّ ردىء الشعر قليل الماء، المطبوع على خلافه[2] ، ويقول أيضا ذاكرًا لفظة العروضىّ : حدثنا أبو محمد العروضىّ عن أبى العباس المبرد[3] .

يتبين **مما تقدم** أن الألفاظ وزن والجمع أوزان ، وقافية والجمع قوافى وعروض والجمع أعاريض ، وردت فى كتابات أبى حيان بالمعنى اللغوى العام وهذا قليل الورود ، وبالمعنى الاصطلاحى الخاص عند العروضيين وهو الذى يوزن به الشعر فتعرف التفعيلة والعلل وسلامة البيت وهذه المعانى التى ذكرها أبو حيان لهذه المجموعة من الألفاظ الخاصة بالفن الشعرى جاءت مطابقة لما جاء فى اللسان عند تناوله للمواد « وزن » و « قفا » و « عرض » .

وفى التغير الدلالى يتبين لنا أن لفظة الوزن ومعها الألفاظ قَافية وعَروض قد مرت دلالتها بأطوار متنوعة . فلفظة الوزن قديما استعملت فى وزن الأشياء المادية ثم استعملت لوزن الكلام وبهذا انتقلت الدلالة من المجال المادى إلى المجال المعنوى ثم تخصصت الدلالة لهذه اللفظة عندما استعملت كمصطلح خاص عند العروضيين .

ولفظة قافية من المادة « قفا » الدالة على الترتيب ، واختص هذا المعنى حينما أطلقت القافية على الشّعْر لأنه كلام منظوم على ترتيب معين . أما القافية التى هي

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٥ .
(٢) الهوامل والشوامل ص ٢٨٢ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١٨٦ .

اللفظ الأخير من البيت أو الحرف الأخير منه فمشتقة من معنى مؤخر الشيء وبما أن القافية هى آخر الأجزاء من البيت فقد سميت بهذا الاسم وخصصت بهذا المعنى فى اصطلاح العروضيين . وبهذا يتبين أن دلالة لفظة القافية انتقلت من المجال المادى القديم إلى المجال المعنوى ثم تخصصت دلالة هذه اللفظة عندما استعملت كمصطلح بلاغى .

ثم لفظة العَروض استعملت قديما بمعنى وسط البيت من البناء ثم انتقلت إلى المجال المعنوى فى استعمالها فى بيت الشعر وهذا البيت مبنى فى اللفظ على بناء البيت المسكون ، فقوام البيت من الكلام عروضه ، كما أن قوام البيت من الخرق العارضة ، التى فى وسطه وبهذا انتقلت دلالة لفظة العروض من مجال مادى إلى مجال معنوى خاص بأوزان الشعر ، العارضة للألفاظ . ثم تخصصت دلالة هذه اللفظة عندما استعملت كمصطلح خاص بالشعر وتقطيعه . وهذا التخصص الدلالى دلت عليه نصوص أبى حيان .

(٥) البلاغة ، الفصاحة :

وقف أبو حيان من البلاغة موقفا وسطا وفق فيه بين صنعته الأدبية التى تقوم على السليقة والذوق والطبيعة الجيدة والاختيار المحمود فى إجادة التعبير والبيان ، وإدراك الكلام ، وتمييز جيده من رديئه[١] وبين نشأته العقلية وتفكيره المنطقى الذى كونته البيئات الكلامية التى تستند إلى البرهان والاستنباط والاستدلال والجدل[٢] والمناهج التعليمية فى ضبط العلوم البلاغية .

يؤكد أبو حيان فى أحد نصوصه أن حد الإلهام والتفهم معروف وحد البلاغة

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٢٥ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٤٢ .

والخطابة موصوف ، **والبلاغة** لأنها مقدمة بالطبع أقرب إلينا وهى زائدة على الإفهام الجيد ، بالوزن والبناء والسجع ، والتّقفية والحلية الرائعة وتخير اللفظ . وإحضار الزينة بالرقة والجزالة والحلاوة والمتانة(١) .

البلاغة عند أبى حيان تستند إلى الأصالة الفنية والطبع المسعف ، وتستند أيضا إلى القواعد كائتلاف الأسماء والأفعال والحروف وإصابة اللغة ، وتحرى المُلاءمة والمُشاكلة ، برفض الاستكـراه ، ومُجانبة التعسف(٢) وعلى هذا الأساس حدد أبو حيان البلاغة وذكر نظامها وشروطها فقال فى بصائره : نظام البلاغة وعقدتها والذى عليه المدار والمحار أن يكون طالبها مطبوعًا بها مفطورًا عليها ، قد أعين بشهوة فى النفس ، وأدب فى الدرس ، فإنه متى اختل فى أحد الطرفين ، بدا عواره ، ولصق به عاره ، والآفة فيها من الدخلاء إليها الذين يستعملون الألفاظ ولا يعرفون موقعها ، أو يعجبهم الاتساع ، ويجهلون مقداره ، أو يروقهم المجاز ، ويتعدون حدوده ، أو يحسن فى حكمهم التصريح ، ولعل الكناية هناك أتم ، والإشارة فيه أعم ، وهذه الخلال نجدها فى قوم عدموا الطبع المنقاد فى الأول ، وفقدوا المذهب المعتاد فى الثانى ، والسر كله أن تكون ملاطفا لطبعك الجيد ، ومسترسلا فى يد العقل البارع ، ومعتمدا على رقيق الألفاظ ، وشريف الأغراض ، مع جزولة فى معرض سهولة ، ورقة فى حلاوة وبيان مع مجانبة المجتلب ، وكراهة المستكره(٣) .

ولفظة البلاغة كما يعرفها صاحب اللسان لغة هى الانتهاء والوصول من بَلَغَ الشيء يَبْلُغ بُلُوغًا وبَلاغًا ، وصل وانتهى وتبّلغ بالشيء : وصل إلى مراده وأشار ابن منظور إلى المعنى الاصطلاحى فقال : البلاغة : الفصاحة ، والبَلْغ والبِلْغ :

---

(١) المقابسات ص ١٢١ . (٢) المقابسات ص ٣٢٧ .

(٣) البصائر والذخائر جـ١ ص ٣٦٤ ، ٣٦٥.

البليغ من الرجال . ورجل بليغ وبَلْغ وبِلْغ : حسن الكلام فصيحه ، يبلغ بعبارة لسانه كنه ما فى قلبه والجمع بلغاء ، وقد بَلُغ بَلاغة : صار بليغًا[1] .

والبلاغة عند أبى حيان واسعة المعنى ومن هنا نراه يتحدث عنها كثيرًا ومن تعريفاته للبلاغة قوله : البلاغة أن يصيب الناطق بالطبع الجيد ، أو الصناعة المجتلبة ، أو بهما ، وإن ساء فهم السامع لقصور طباعه ، أو بعد عن أسباب الفضيلة ، وأقرب الطرق فى الأفهام أن تكون الغاية مثالًا للعقل ، ثم يكون المعنى مسوقًا إليها ، واللفظ منسوقًا عليها ، فهم السامع أو قصر[2] .

وهكذا نلاحظ تغيرًا دلاليا فى كلمة بلاغة فقد تغيرت دلالتها من الوصول إلى الغاية فأصبحت فى هذا الاستخدام تقتصر على الإجادة فى العبارة الأدبية .

وهناك نصوص عند التوحيدى نجد فيها البلاغة مرادفة للفصاحة . وهذا رأى معظم البلاغيين الأوائل ورأى أبى حيان كما أورده فى نصوص متعددة ، يقول فيها : قال بعض السلف : الظريف : من فيه أربع خصال وهى : الفصاحة والبلاغة والعفة ، والنزاهة . قلت لبعض العلماء : ذكر أربع وهى اثنتان لأن البلاغة والفصاحة خصلة واحدة ، والعفة والنزاهة خصلة واحدة فقال لى : ظلمت ، الفصاحة : خُلُوص اللسان من التَّعْقِيد **والتَّغْتَغة**، والبلاغة : تناهى المتكلم إلى الإرادة فقد يخلص ولا ينتهى وقد ينتهى ولا يخلص ، فإذا جمع بينهما كان فصيحا بليغا[3] .

إن موقف أبى حيان هذا من البلاغة وفق بين نزعتين ، أو مذهبين سادا تاريخ البلاغة العربية ، مذهب المتكلمين الذين قادتهم أبحاثهم فى إعجاز القرآن إلى الاعتماد على القضايا والأقيسة العقليّة والمنطقيّة فى تقدير وجوه الكمال البلاغى،

---

(١) اللسان جـ ١ ص ٢٥٨ .

(٢) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣٦٣ .

(٣) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ١٣٩ .

ومذهب الأدباء الذين يعتمدون على الذوق الفنى والممارسة والمحاكاة والاقتداء بمن سبق فى تقدير الآثار من الوجهة الفنية .

ويتصدى أبو حيان للبلاغة وينشر دستورها حتى يتأثر به الكُتَّاب والمنشئون فى عصره ، فيجمع أبو حيان فى ذلك الدستور أقوال العلماء والبلغاء والأدباء عربا وغير عرب ثم يزيد برأيه فى خاتمة المطاف محاولًا أن يحدد البلاغة ويرسم معالمها ، خاصة وقد مرت لفظة البلاغة بتعريفات كثيرة أورد أبو حيان عددًا كبيرًا من هذه التعريفات فى كتابه البصائر والذخائر فقال : قيل للهندى ما البلاغة فقال الهندى : أول البلاغة أن يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح قليل الحركات ، خفى اللحظ ، متخير اللَّفْظ لا يكلم الملوك بكلام السُّوقة[1] وقال الرومىّ : البلاغة : هى الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الإطالة[2] ، وقال الفارسىّ : البلاغة معرفة الفَصْل من الوصل[3] . وقال الأعرابى : البلاغة وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة ، وحسن الإشارة[4] وقال ابن حرب : البلاغة أن تجعل بينك وبين الإكثار سورة الاختصار ، وهذا يحتاج إلى تفسير[5] ، وقال إبراهيم الإمام : يكفى من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق ، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع[6] ويعقب أبو حيان على هذا القول قائلا : هذا الحكم مبتور لأن الإفهام قد يقع من الناطق ولا يكون بما أفهم بَليغًا ، والفهم قد يقع للسامع ممن ليس ببليغ ولا يكون بليغًا ، وليس اشتراكهما فى التفاهم بلاغة[7] وقال بعض أعراب بلحارث بن كعب عندما سئل ما البلاغة ؟ قال : السَّلاطة

---

(١) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣٦١ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣٦٢ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣٦١ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣٦١ .
(٥) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣٦٢ .
(٦) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣٦٢ .
(٧) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣٦٢ .

والإصابة ، والجزالة ، أراد بالسلاطة : الجرأة على الكلام[1] . لم يعرف أبو حيان البلاغة بعد أن ذكر كثيرًا من تعريفاتها واكتفى بأن اختار أقوالًا أعجبته منها قيل لحكيم : ما البلاغة قال تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام[2] وقيل لجعفر بن يحيى : ما البلاغة ؟ قال : أن يكون للكلام حدّ لا يدخل فيه غيره[3] . ويحدد أبو حيان المعنى الذى يرضاه للبلاغة فيقول : حَدّ بعض أشياخ العلم البلاغة فقال : هى ما أدى المعنى إلى القلب فى أحسن صورة من اللفظ[4] .

إن كل تعريف من هذه التعريفات التى وردت فى نصوص أبى حيان لا ينطبق على معنى الحدّ الصحيح الجامع المانع للبلاغة ، ولكن كل تعريف من تلك التعريفات يصور أبرز المسائل التى تتصل بالفن الأدبى من وجهة نظر صاحب التعريف . ومن الواضح أن كل تعريف منها يمس ناحية معينة من نواحى البلاغة ولكنه لا يمثل البلاغة كلها ، بل إن هذه التعريفات فى مجموعها تحصى جهات البلاغة وأبحاثها ومصطلحاتها المتعددة .

وحدد أبو حيان فنون البلاغة فوجدها ثلاثة مجملة فقال فى نص من بصائره : سأقتص لك **فنون البلاغة** اقتصاصًا مجملًا تقف به على تفصيلها : اعلم أن الفن الأول منه هو **الكلام** الذى يسنح به ، وليس يخلو هذا المطبوع من الصناعة والفن الثانى ، هو الذى يطلب بالصناعة ، ليس يخلو هذا **المصنوع** أيضا من طبع . والفن الثالث هو **المسلسل** الذى يتدرج فى أثناء المذهبين ، وأمثلة هذه الفنون ثابتة فى هذه النوادر والبصائر[5] .

ويذكر أبو حيان فنون البلاغة فى نصٍّ آخر من كتاباته يصف فيه قدامة بن

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٧٥٣ .

(٢) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٧٥٣ .

(٣) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ١٣٩ .

(٤) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١٧١ .

(٥) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣٦٦ .

جعفر أحد معاصريه فيقول : ما رأيت أحدًا تناهى فى وصف النثر بجميع ما فيه وعليه غير قدامة بن جعفر فى المنزلة الثالثة من كتابه ، قال لنا على بن عيسى الوزير : عرض على قدامة كتابه سنة عشرين وثلثمائة ، واختبرته فوجدته قد بالغ وأحسن وتفرد فى وصف فنون البلاغة فى المنزلة الثالثة بما لم يشركه فيه أحد من طريق اللفظ والمعنى ، مما يدل على المختار المجتبى ، والمعيب المجتنب . ولقد شاركه فيه الخليل بن أحمد فى وضع العروض ، ولكنى وجدته هجين اللفظ ركيك البلاغة فى وصف البلاغة[1] .

ووضع أبو حيان أوصافًا للكاتب البليغ فذكر البلاغة ونظامها قائلا : نظام البلاغة وعقدتها ، الذى عليه المدار والمحار أن يكون طالبها مطبوعًا بها مفطورًا عليها[2] ويوضح لنا أبو حيان ما يجب على الكاتب البليغ أن يعرفه حتى تكون فعلًا البلاغة عنده جامعة لثمرات العقل فيقول فى رسالته ثمرات العلوم : وأما الناظِر فى البلاغة فإنه يباشر بلسانه وقلمه أحوالًا مشتبهة يروم فيها أقصى معانيها والذى لا يجب البتة أن يكون القليل فيه القيام بطرق الألفاظ ومشارفة فرق المعانى لأنه قد يدفع بصناعته إلى سل السخائم وإلى حل الشكائم . والذى ينبغى له أن يبرأ منه ويتباعد عنه التكلف فإنه مفضحه وصاحبه مزحوم . ويقول أيضا : ومن استشار الرأى الصحيح فى هذه الصناعة الشريفة علم أنه إلى سلاسة الطبع أحوج منه إلى مغالبة اللفظ[3] .

وقسم أبو حيان البلاغة تبعا لرأى أستاذه أبى سليمان إلى ضروب منها : بلاغة **الشِّعْر**، ومنها **بلاغة الخطابة**، ومنها **بلاغة النَّثْر**، ومنها **بلاغة المثل**، ومنها **بلاغة العقل**، ومنها **بلاغة البديهة**، ومنها **بلاغة التأويل**[4] .

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص١٤٥، ص١٤٦ .   (٢) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣٦٤ .
(٣) رسالة فى ثمرات العلوم ص ١٩٥ .   (٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٤٠ .

ويشرح أبو حيان ضروب البلاغة ضربًا ضربًا فيقول : فأما بلاغة الشعر فأن يكون نحوه مقبولًا والمعنى فى كل ناحية مكشوفًا ، وأما بلاغة الخطابة فأن يكون اللفظ قريبًا والإشارة فيها غالبة والسجع عليها مستويًا ، وأما بلاغة النثر فأن يكون اللفظ متناولًا والمعنى مشهورًا والتهذيب مستعملًا ، وأما بلاغة المثل فأن يكون اللفظ مقتضبًا والحذف محتملًا ، وأما بلاغة العقل فأن يكون نصيب المفهوم من الكلام أسبق إلى النفس من مسموعه إلى الأذن[1] وأما بلاغة البديهة فأن يكون انحياش اللفظ للفظ فى وزن انحياش المعنى للمعنى ، وهناك يقع التعجب للسامع وأما بلاغة التأويل فهى تحوج لغموضها إلى التدبر والتصفح[2] . ويقول أبو حيان فى البصائر أيضا ذاكرًا بعضًا من ضروب البلاغة : وأعسر من ذلك أن تجتمع بلاغة القلم وبلاغة الشعر[3] .

ومن الملاحظ أن هذه الضروب المتعددة من البلاغة لها قاسم مشترك هو إصابة المعنى والقصد إلى الحجة . ونوع آخر من أنواع البلاغة يذكره أبو حيان فى هوامله متسائلًا عن الفرق بين بلاغة القلم وبلاغة اللسان برغم أن مستقاهما واحد فيقول : لم صارت بلاغة اللسان أعسر من بلاغة القلم ؟[4] فيوضح له مسكويه أن البلاغة التى تكون بالقلم تكون مع روية وفكر وزمان متسع للانتقاء والتخير أما بلاغة اللسان ، فإن البليغ فيها يكون حاضر الذهن سريع حركة اللسان ، بالألفاظ التى لا يقتصر منها أن يبلغ ما فى نفسه[5] .

ويذكر أبو حيان لفظة البليغ والجمع بلغاء فى أماكن عديدة من كتاباته وترد لفظة بليغ عند أبى حيان فى قوله : وإنما البليغ الذى يبلغ القصد بأقرب طرق

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٤١ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٤٢ .

(٣) البصائر والذخائر جـ ٤ ص ٢٩٢ .

(٤) الهوامل والشوامل ص ٢٨٥ .

(٥) الهوامل والشوامل ص ٢٨٦ .

الإفهام مع حسن الغرض، وأقرب الطرق فى الإفهام أن تكون الغاية مثالًا للعقل[1] .

ويذكر لفظة الجمع **بلغاء** فى قوله وهو يصف أحد معاصريه قائلا : وابن المراغى يقول كثيرًا – وهو شيخ من جلة العلماء ، وله سهم وافٍ فى زمرة البلغاء : ما أحسن معونة الكلمات القصار المشتملة على الحكم الكبار ، لمن كانت بلاغته فى صناعته بالقلم واللسان فإنها توافيه عند الحاجة[2] .

ولفظة البلاغة ترد – فى سياقات مختلفة – عند أبى حيان مثل كُتَّاب البلاغة وأصحاب البلاغة **وصانع البلاغة** . يحدثنا أبو حيان فى كتاباته حديثًا شيقا عن هذه المصطلحات فيقول فى نصوص من كتاباته ذاكرًا مصطلح **كُتَّاب البلاغة** : قال لنا الأنصارى : سمعت ابن ثوابة الكاتب يقول : لو تصفحنا ما صار إلى أصحاب النثر من **كُتَّاب البلاغة**، والخطباء الذين ذبوا عن الدولة . وتكلموا فى صنوف أحداثها وفنون ما جرى الليل والنهار به ، لكان يوفى على كل ما صار إلى جميع من قال الشعر ولاك القصيد[3] .

ويقول أبو حيان ذاكرًا مصطلح أصحاب البلاغة : وكن من **أصحاب البلاغة** والإنشاء فى جانب ، فإن صناعتهم يغتفر فيها أشياء يؤاخذ بها غيرهم[4] ، ويقول أبو حيان أيضا ذاكرًا صانع البلاغة : والحاجة تدعو إلى **صانع البلاغة** وواضح الحكمة وصاحب البيان[5] .

(١) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣٦٣ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٤٦ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٧ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٠ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٠١ .

الفصاحـــــــة :

نجد للفظة الفصاحة فى المعاجم العربية دلالتين لغوية واصطلاحية كما أوردها صاحب اللسان فقال : يوم مُفْصِح : لا غيم فيه ولا قر ، وأفصح اللبن : ذهب اللبأ عنه ، وأفْصَح الصبح : بدأ ضووءه واستبان ، وكل ما وضَحَ فَقد أفصح ، وكل واضِح مُفْصِح . وقال صاحب اللسان : الفَصاحة : البيان ، فَصُحَ الرجل فَصاحة فهو فَصيح من قوم فُصحاء ، وفِصاح وفُصُح ، وامرأة فصيحة من نسوة فِصاح وفَصائح ، ورجل فصيح وكلام فصيح أى بليغ ، ولسان فصيح أى طلق . وفَصُح الرجل وتفصح إذا كان عربى اللسان فازداد فصاحة ، وهو البين فى اللسان والبلاغة والفصيح فى اللغة : المنطلق اللسان فى القول الذى يعرف جيد الكلام من رديئه[1] .

ولفظة الفَصاحة عرفها العرب بمفهومها اللغوى قبل أن تأخذ الألفاظ دلالتها الفنية ، وحينما دخلت لفظة الفصاحة فى الدراسات البلاغية ارتبطت بلفظة البلاغة وصارت مرادفة لها ، وأصبح علماء البلاغة الأوائل لا يفرقون بينهما وهذا ما نلاحظه عند كُتَّاب القرن الرابع الهجرى كما فعل أبو حيان الذى لم يضع حدًّا واضحًا بين اللفظتين وإنما أوردهما فى نصوص كثيرة من كتاباته بمعنى واحد وفى هذا يقول أبو حيان : قال بعض السلف : الظريف : من فيه أربع خصال وهى : الفصاحة ، والبلاغة ، والعفة ، والنزاهة . قلت لبعض العلماء ذكر أربعًا وهى اثنتان ، لأن البلاغة والفصاحة خصلة واحدة ، والعفة والنزاهة خصلة واحدة فقال لى : ظلمت الفَصاحة : خلوص اللسان من التَّعقيد والتَّغْتَغة ، والبلاغة: تناهى المتكلم إلى الإرادة ، فقد يخلص ولا ينتهى وقد ينتهى ولا يخلص ، فإذا جمع بينها كان فصيحًا بليغًا[2] .

---

(١) اللسان جـ ٢ ص ١٠٩٨ .

(٢) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ١٣٩ .

ويحدثنا أبو حيان فى كتاباته عن **فصاحة الأعراب** أحاديث شيقة ، أذكر ما قاله عن الكسائى : قال : الكسائى : أصابت الأعراب مجاعة ، فتحولت طائفة منهم من البدو إلى الحضر ، فصرت إليهم لأسأل عن أهل بيوتات كنت أعرفهم بالفصاحة ، إذ سمعت شيخًا منهم وفى حجره صبى يبكى فنادى الشيخ : يابُكَيّر ! فأجابه غلام خماسىّ : هاأنذا يأبة . فقال : ما لك أبكيت أخاك ؟ فقال : والله يأبة ما فعلت ، غير أنى كنت ماشيًا وهو يَقْفونى إذا بصرت تُميرات مطروحات ، فأهويت نحوهن ، فعازنى عليهن ، فدفعته عنهن ، فأقبل إليك باكيًا[1] . وقد يكون المراد بالفصاحة فى النص السابق سلامة اللغة من اللحن . وهذا ليس المعنى الوحيد للفصاحة . يقول أبو حيان ذاكرًا قول الأصمعى : سئل عبيد الله بن عتبة عن الفَصاحة فقال : دنوّ المأخذ ، وقرع الحجة ، وقدح المراد ، وقليل من كثير[2] .

لم يضع أبو حيان حدًّا فاصلا بين لفظتى الفصاحة والبلاغة ولم ير بأسا باستعمال إحداهما مكان الأخرى واستعمل أبو حيان اللفظتين بمعنى واحد فى مواضع كثيرة من كتاباته ، فقال فى نص من مثالب الوزيرين : حدثنا أبو بكر الصيمرى قال : حدثنا ابن سمكة قال : حدثنا ابن محارب قال : سمعت أحمد بن الطيب يقول : إن صديقًا لابن ثوابة الكاتب أبى العباس يكنى أبا عبيدة قال له ذات يوم : إنك رجل بحمد الله ومنه ذو أدب وفصاحة وبراعة وبلاغة فلو أكملت فضائلك بأن تضيف إليها معرفة البرهان القياسىّ[3] .

ويقول أبو حيان أيضا ذاكرًا لفظة الفصاحة مرادفة للبلاغة فى نص له من كتاب الإمتاع ورد على لسان مالك بن عمارة اللخمى وهو يصف عبد الملك بن مروان فقال : كنت أُجالس فى ظل الكعبة أيام الموسم عبد الملك بن مروان

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ١٣٠ . (٢) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣٢٨ .

(٣) مثالب الوزيرين ص ١٥٧ .

وقبيصة بن ذؤيب وعروة بن الزبير وكنا نخوض فى الفقه مرة وفى الذكر مرة وفى أشعار العرب مرة فكنت لا أجد عند أحد منهم ما أجده عند عبد الملك بن مروان من الاتساع فى المعرفة والتصرف فى فنون العلم والفصاحة والبلاغة[1] .

ومن المادة « ف ص ح » وردت فى كتابات أبى حيان الألفاظ فصيح ، وفصحاء ، وفصيحة ، وإفصاح . يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الفصيح صفة للمتكلم الذى يعبر عن مراده بألفاظ فصيحة : وانقلب الفصيح المقول عيًّا فى كشف المراد على الغاية[2] ويقول أيضا ذاكرًا لفظة فصيح فى وصفه لأحدهم فصيح اللهجة : وكنت سمح الطباع ، ملىء النفس ، فصيح اللهجة ، حاضر الخاطر ، مرضىّ القول ، ويقول أيضا ذاكرًا لفظة فصيح فى وصفه للصاحب بن عباد بفصيح اللسان : إن الرجل كثير المحفوظ حاضر الجواب ، فصيح اللسان[4] .

ومن نصوص أبى حيان هذه يتبين لنا أن لفظة فصيح وردت فى سياقين دلاليين استخدمت فيهما اللفظتان لهجة ولسان بنفس المعنى الدال على اللغة الفصحى وهذا مما يبين لنا أن المصطلح القديم الدال على الفصحى هو اللسان وأما كلام القبائل فكان يطلق عليه لغات كلغة تميم ولغة هذيل وغيرها من لغات العرب ، ويبدو لى أن استخدام لفظة لهجة بدلًا من لغة وبنفس معناها كان استعمالًا حديثا نسبيا وربما ظهر واضحًا عند أبى حيان التوحيدى وهذا لا يمنع أن هناك من سبقوه فى هذا الاستخدام اللغوى .

ولفظة الجمع فصحاء وردت فى نص لأبى حيان يقول فيه : لا سبيل أن يكون الناس كلهم فصحاء الألسنة أو لكنها[5] ولفظة فصيحة ذكرها أبو حيان فى قوله :

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٧٠ .
(٢) الإشارات الإلهية ص ١٦٠ .
(٣) الإشارات الإلهية ص ١٧ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٥٤ .
(٥) المقابسات ص ١٠١ .

قال لى مرة – يقصد الوزير صاحب مجالس الإمتاع – اكتب لى جزءًا من الأحاديث الفصيحة المفيدة[1] .

ولفظة **الإفصاح** فيذكرها أبو حيان فى قوله : ياهذا اختلط الإفصاح باللكنة[2] ، ويقول أيضا : إذا جهلنا أشياء هى لأهل الأنس بلغات قد فطروا عليها ، وعبارات أنسوا بها ، كيف نجد السبيل إلى الإفصاح والإشارة إليها[3] .

ومما تقدم يتضح فى لفظة الفصاحة معنى البيان والوضوح وهذا المعنى ليس بالبعيد عن المعنى الذى اصطلح عليه علماء البلاغة وهو رقة الألفاظ وجمالها أو بيان التعبير ووضوحه وأن تكون كل لفظة فى الكلام بينة المعنى مفهومة .

وهذا المعنى الذى أورده أبو حيان فى نصوصه لا تخرج عنه معاجم اللغة ، فصاحب اللسان يقول : والبلاغة هى الفصاحة[4] والفصيح هو البليغ[5] ، ويقول الدكتور أحمد مطلوب فى كتابه أساليب بلاغية معلقا على اللفظتين بلاغة وفصاحة : كنا قد دعونا كما دعا أمين الخولى إلى الاقتصار على مصطلح البلاغة للدلالة على الفصاحة والبلاغة ، ونرى أنه لا حاجة إلى استعمال مصطلحين هما الفصاحة والبلاغة بل ينبغى التسوية بينهما ، ولكن الأيام تغير كثيرًا من الأحكام ، فقد اتضح لنا أن استعمال مصطلح الفصاحة للدلالة على الدراسة المتصلة بالألفاظ أكثر دقة وشمولًا وجمعًا لما تفرق من هذه المباحث فى كتب البلاغة والنقد ، ولا يضر الدراسات الحديثة التمسك بالمصطلحات القديمة ذات الدلالة الواسعة والواضحة معا والفصاحة إحدى تلك المصطلحات[6] .

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٧٠ .
(٢) الإشارات الإلهية ص ١١٨ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٢٠٧ .
(٤) اللسان جـ ١ ص ٢٥٨ .
(٥) اللسان جـ ٢ ص ١٠٩٩ .
(٦) أساليب بلاغية د . أحمد مطلوب ص ٥٠ .

(٦) اللفظ ، المعنى :

اللَّفظ فى اللغة مصدر « لفظ » وهو أن ترمى بشىء كان فى فيك . ويقال لَفَظت الشىء من فمى أَلفِظُه لفظًا رميته . ولَفَظَ الشىء وبالشىء يَلفظ لَفْظًا ، فهو مَلْفوظ : رمى ولَفَظَ بالشىء يَلْفِظ لَفْظًا : تكلَّم . وفى التنزيل العزيز : ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ ولَفَظت بالكلام وتلفظت به ، أى تكلمت به ، والدنيا لافِظة تلفظ بمن فيها إلى الآخرة ، أى ترمى بهم . والأرض تلفظ الميت إذا لم تقبله ورمت به . والبحر يلفظ الشىء : يرمى به إلى الساحل . ولفظ نفسه يلفظها لفظا : كأنه رمى بها إذا مات . واللفظ واحد الألفاظ[١] وهو فى اصطلاح النُّحاة ما من شأنه أن يصدر من الفم من الحرف . واحدًا أو أكثر . وفى اصطلاح أرباب المعانى عبارة عن صورة المعنى الأول الدال على المعنى الثانى[٢] .

جاءت لفظة « **اللَّفظ** » فى نصوص كثيرة جدًّا من كتابات أبى حيان ملتصقة بلفظة المعنى ومرافقة لها فى أكثر الأحيان ، وفى بعض النصوص يذكر أبو حيان هذه اللفظة منفصلة عن لفظة المعنى ويصفها بصفات مثل اللفظ المزخرف ، واللفظ الجريش[٣] ، واللفظ الغريب[٤] والمستكره وغيرها من الصفات التى تخص الكلمة المفردة ، والكلام . ويذكر أبو حيان أيضا فى مجال حديثه عن اللفظ بعض المصطلحات مثل علم اللفظ ، ومعانى اللفظ ، ومراتب اللفظ ، والاشتراك باللفظ ، واللفظ اللغوى ، وهذه المصطلحات مهمة جدًّا فى مجال بحثنا هذا . فأبو حيان يستعمل كلمة اللفظ بمعنى الكلام فى قوله : ياهذا ! ذهب اللَّفْظ المنمق ، فهات الآن المعنى المُحَقَّق[٥] ويقول أبو حيان أيضا فى نص آخر من كتاباته ذاكرًا

---

(١) اللسان جـ ٣ ص ٣٨١ وانظر قاموس المحيط جـ ٤ ص ١٥٧ ، وأساس البلاغة جـ ٢ ص ٣٤٧ .

(١) الكليات جـ ٤ ص ١٦٧ .

(٣) الإشارات الإلهية ص١٨٨، ص١٣٥.

(٤) الصداقة والصديق ص ٩ .

(٥) الإشارات الإلهية ص ٢٣٧ .

لفظة « اللّفْظ » بمعنى الكلام : قال أحمد بن محمد : إذا أنصفنا مزية العراقيين علينا بالطبع اللطيف والمأخذ القريب ، والسجع الملائم ، واللفظ المؤنق ، والتأليف الحلو[1] ويقول أيضا بهذا المعنى ذاكرًا كلمة اللّفظ : أبو حسن الفلكى ، وكان من أهل البصرة ، ووقع إلى المراغة ونواحيها وهو حسن الديباجة ، رقيق حواشى اللفظ[2] وترد لفظة « اللفظ » فى نصوص عديدة من كتابات أبى حيان بمعنى الكلمة المفردة وفى هذا المعنى يقول ذاكرًا **غريب اللفظ** : فقد أمسيت غريب الحال ، غريب اللفظ ، غريب النِّحْلة[3] وفى هذا المعنى أيضا يقول أبو حيان ذاكرًا اللفظ المَلْحُون والمُحَرَّف : فمن عبر عما فى نفسه بلفظ ملحون أو محرف أو موضوع غير موضعه وأفهم غيره ، وأبلغ به إرادته ، فقد كفى[4] ويذكر أبو حيان كلمة اللفظ مرادفة للفظة النُّطق فيقول : فقد بان هذا الحديث من ناحية اللّفْظ والنُّطْق[5] وترد لفظة « اللّفْظ » فى نص لأبى حيان بمعنى اللُّغة واللهجة وفى هذا المعنى يقول أبو حيان فى بصائره : قال بعض أصحابنا البغداديين : سمعت شيخًا من العامة يقول لآخر : وَالَك نهر جرى منه الماء لابد من أن يعود إليه ، وقال الآخر : وَالَك حتى يعود إليه ماتت ضفادعه ، حكيت لفظهم فهو الطريف فلا تعجب للصرفية[6] .

وترد كلمة « اللّفْظ » فى نصوص متعددة من كتابات أبى حيان بالمعنى الاصطلاحى الخاص بالنحو والصرف وفى هذا المعنى المتعارف عليه فى اصطلاح النحاة يقول أبو حيان ذاكرًا اللفظ فى حديثه عن بنْية الكلمة وتصريفها : الفعل ما شاع فى الزمان ، والحرف ما ائتلف به اللفظ[7] ويقول أيضا : إنما يدل الاشتقاق

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٦٤ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٦٨ .
(٣) الصداقة والصديق ص ٩ .
(٤) الإمتاع جـ١ ص٩٧ .
(٥) الصداقة والصديق ص ٧٢ .
(٦) البصائر والذخائر جـ ٤ ص ٦٤ .
(٧) مثالب الوزيرين ص ١٥٢ .

من الكلمة على جهة واحدة من المطلوب المتنازع ، لأنه مأخوذ من تركيب الحروف وتأليف اللفظ ، وصورة المسموع[١] ويذكر أبو حيان مصطلح اللفظ اللغوىّ فيقول : اللسان كثير الطغيان وهو مركب من اللفظ اللغوىّ والصوغ الطباعىّ[٢] وعن اللَّفظ ومراتبه وتحبيره وترصيعه يحدثنا أبو حيان فى كتاباته فيقول ذاكرًا مراتب اللَّفظ : سألت أبا سليمان عن البلاغة ما هى ؟ وقلت : أحببت أن أعرف قولًا على نهج هذه الطائفة وقد بحثوا عن مراتب اللفظ[٣] ويذكر أبو حيان كلمة اللفظ فى مجال الحديث عن البلاغة فيقول ذاكرًا **تحبير اللفظ** : إن التقصير فى تحبير اللفظ ضار ونقص وانحطاط[٤] ويقول أيضا : وتحبير اللفظ فيه تحبير[٥] ، وعن **ترصيع اللفظ** يقول أبو حيان : وتكون الفائدة عن طريق المعنى أبلغ من ترصيع اللفظ[٦] .

وعن الاشتراك فى اللفظ واللفظ المشترك يحدثنا أبو حيان فى نصوص عديدة من كتاباته ، ففى نص له من مثالب الوزيرين يذكر **الاشتراك فى اللفظ** فيقول : إن الحق ، والحق اسمان يقعان بالاشتراك فى اللفظ على معنيين مختلفين وأنا على الحق ، ولكن على الحق الذى ضده الباطل ، والحق يطلق على الله ، ويراد به أنه محقق ، والحق يطلق على ما عداه[٧] **واللفظ المشترك** يقول أبو حيان ذاكرًا هذا المصطلح فى مقابساته : وكان ذيل الكلام أطول من هذا ، شمرته خوفًا من جناية اللسان فى الحكاية ، ونزوة القلم فى الكتابة ، وإيثارًا للحياطة فيما يجب على الإنسان إذا نشر حديثًا ، وروى خبرًا ، وأثار دفينًا وأوضح مكنونًا خاصة إذا كان ذلك فى شىء غامض ، ومعنى عويص ، ولفظ مشترك وغرض متوزع[٨] .

---

(١) المقابسات ص ٤٦٧ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٩ .
(٣) المقابسات ص ٣٢٧ .
(٤) المقابسات ص ٣٥٨ .
(٥) الإشارات الإلهية ص ٦٨ .
(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٤١ .
(٧) مثالب الوزيرين ص ١٢٤ .
(٨) المقابسات ص ٢٦٨ .

ومن الاصطلاحات التى ذكرها أبو حيان فى كتاباته مصطلح « **علم اللفظ** ويرد هذا المصطلح فى نص لأبى حيان يقول فيه : العلم ثلاثة : علم الصناعات فى أنواع المركبات ، **وعلم اللفظ** فى تأليف العبارات ، وعلم التدبير فى ضروب السياسات[1] ثم مصطلح معانى اللفظ يقول أبو حيان ذاكرًا « **معانى اللفظ** » : كل من غلب عليه حفظ اللفظ وتصريفه وأمثلته وأشكاله بَعُد من معانى اللفظ ، والمعانى صوغ العقل واللفظ صوغ اللسان[2] .

وجمع اللفظ : **ألفاظ** وقد ذكر أبو حيان لفظة الجمع (ألفاظ) فى نصوص كثيرة جدًّا من كتاباته أذكر منها على سبيل المثال ما قاله فى بصائره واصفًا لعَلَم من أعلام عصره : ذلق الحدة ، جزل الألفاظ ، عربى اللسان[3] .

ويذكر أبو حيان لفظة الجمع (الألفاظ) فى نص له يقول فيه عن العامرى الفيلسوف : وتكلم فى مسألة فقهية وهى تحليل الخمر ، فاستظرفت كلامه فى الفقه بألفاظ الفلاسفة[4] .

ومن المادة « ل ف ظ » ترد فى كتابات أبى حيان بعض الاشتقاقات مثل لفظىّ ، ولفظيّة نسبة إلى لفظ ، وكذلك اشتقاق لفظة ، يقول أبو حيان ذاكرًا (**اللفظىّ**) فى مجال حديثه عن الشكل والمضمون : قال أبو سعيد : ها هنا مسألة علاقتها بالمعنى العقلىّ أكثر من علاقتها بالشكل اللّفْظىّ[5] ويقول ذاكرًا (**اللفظيّة**) نسبة إلى لفظ : وأما الصورة اللفظية فهى مسموعة بالآلة التى هى الأذن فإن كانت عجماء فلها حكم ، وإن كانت ناطقة فلها حكم[6] ثم كلمة **لفظة** ترد عند أبى حيان من المادة «ل ف ظ» وذلك فى نص يقول فيه: وأخو الثقة

---

(١) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٤٦٦ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١٢٧ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٤٤٥ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٥٤٥ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١١٨ .
(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١٤٤ .

يرمق الحركة ، ويراعى اللحظة ، ويتأول اللَّفْظَةَ[1] ويقول أبو حيان : بالجملة الألفاظ وسائط بين السامع والناطق[2] .

المعنـــــى :

المعنى لغة هو إما مَفْعَل من عنى يعنى إذا قصد المقصد ، وإما مخفف مَعْنيٌّ بالتشديد اسم مفعول فيه أى المقصود[3] وعَنَيْتُ الشيء أعنيه إذا كنت قاصدًا له ، وعَنَيْت بالقول كذا : أردت . ومعنى كل كلامٍ ومَعْناته ومَعْنِيَه : مَقْصِدُه ، والاسم العناء . ومَعْنى كل شيء : مِحْنَتُه وحالهُ التى يصير إليها أمْرُه . وروى عن الأزهرى عن أحمد بن يحيى قال : المعنى والتفسير والتأويل واحد[4] ويقال عَرَفْت ذلك فى مَعْنَى كلامه وفى مَعْناة كلامه وفى مَعْنِيِّ كلامه ، أى : فى فحواه . وقال الراغب : المعنى إظهار ما تضمنه اللفظ من قولهم عَنت الأرض بالنبات أظهرته حسنًا . ومَعْنى الشيء ومَعْناتُه واحد ومعناه وفَحْواه ومقتضاه ومضمونه كله هو ما يدل عليه اللفظ . وأجمع النحاة وأهل اللغة على هذا فى معنى هذا أى مماثل له أو مشابه . ويجمع المعنى على المعانى وينسب إليه فيقال المعنوىّ . والمعانى هى الصورة الذهنية من حيث وضع بإزائها الألفاظ . والصورة الحاصلة من حيث إنها تقصد باللفظ تسمى المعنى[5] والمعنى مطلقًا ما يقصد بشيء[6] .

ولفظة **المعنى** ترد فى نصوص كثيرة من كتابات أبى حيان ملازمة لكلمة اللفظ ، ونادرًا ما يذكر أبو حيان لفظة المعنى منفصلة عن اللفظ وذلك فى مثل قوله فى نص من كتاب المُقابسات : حركة الطبيعة فى الأجسام نَقْش مرموق ،

---

(١) الصداقة والصديق ص ٤٠٦ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٩٢ .
(٣) الكليات جـ ٤ ص ٢٥١ ، ٢٥٢ .
(٤) اللسان جـ ٢ ص ٩١٢، ٩١٣ .
(٥) تاج العروس جـ ١ ص ٣٥٨ ، وانظر كشاف اصطلاحات الفنون جـ ٥ ص ١٠٨٤ .
(٦) التعريفات ص ٢٣١ .

وحركة النفس فى الأرواح الشريفة معشوق وحركة العقل فى الأنفس الفاضلة مَعْنَى أنيق[1] ويقول فى المقابسات أيضا ذاكرًا لفظة المعنى بالمفهوم اللغوى ، أى القصد : سمعت الشيخ على بن عيسى الرمانى النحوى الصالح يقول : الشيء مصدر شاء يشاء كقولك جاء جيئا ، والمشيئة كالجيئة ، وإنما أعمل على ما ترى لتعلق كل ما نجد حسًّا وعقلًا ووهمًا بالشبه ، واكتسى بهذا المعنى بعض خصائص الاسم وخرج به عن أصل المصدر ، ولهذه أشباه[2] ، ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة المعنى فى وصفه لبلاغة التأويل : التى من أجلها يستعان بقوى البلاغات المتقدمة بالصفات الممثلة حتى تكون معينة ورافدة فى إثارة المعنى المدفون ، وإنارة المراد المخزون[3] وبمعنى القصد أيضا يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة المعنى : يقولون : إن زيدًا لمنطلق – إن وهى مكسورة لا تكون إلا وفى خبرها اللام – ولا يقولونه بغير لام مخافة أن تلتبس بالتى معناها ما[4] .

وعن تعدد المعنى يقول أبو حيان : قد يوصف الشيء بأنه واحد بالمعنى وهو كثير بالأسماء ويوصف بأنه واحد بالاسم وهو كثير بالمعنى[5] .

ولفظة الجمع **معانى** يذكرها أبو حيان فيقول: من بعد عن المعانى قل نصيبه من العقل، ومن قل نصيبه من العقل كثر نصيبه من الحمق[6] ويذكر أبو حيان لفظة الجمع معانى فيقول: أما عيسى بن على فله الذرع الواسع والصدر الرحيب فى العبارة، حجة فى النقل والترجمة، والتصرف فى فنون اللغات، وضروب المعانى والعبارات[7]، ويقول أيضا ذاكرًا لفظة المعانى فى حديثه عن أبى إسحاق إبراهيم بن هلال الصابى: وأبو إسحاق معانيه فلسفيّة، وطباعه عراقية، وعادته محمودة[8].

---

(١) المقابسات ص ٢٥٧ .
(٢) المقابسات ص ١٤٨ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١٤٣ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٤٢٣ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٨٨ .
(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١٢٧ .
(٧) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٣٦ .
(٨) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٦٨ .

وعن المعانى وأنواعها يحدثنا أبو حيان حديثًا طويلًا فى كتاباته فيقول ذاكرًا **المعانى اللفظيّة** : حصروا الموجودات فى دائرة العشرة ، وفصلوا خواصها وحققوا حدودها ، وأوضحوا علاماتها ، واستوفوا جميع أحكامها المفصلة بين المعانى اللفظيّة والحقائق الإلهيّة[1] .

وفى هذا المجال يذكر أبو حيان المعانى البسيطة، والمعانى المركبة ، والمعانى الجزئية والمعانى الكلية وغيرها من المعانى التى تدل على الجانب الموضوعى ، والتى تستعمل خاصة فى مجال الكتب العلمية ذات المضامين الدقيقة والدلالات الواضحة . يقول أبو حيان ذاكرًا المعانى البسيطة والمعانى المركبة : والإحاطة **بالمعانى البسيطة** تحتاج إلى الإحاطة **بالمعانى المركبة** ليتوصل بتوسطها إلى استثباتها ، والإحاطة بالمعانى المركبة تحتاج إلى الإحاطة بالمعانى البسيطة ليتوصل بتوسطها إلى تحقيق إثباتها[2] ثم يحدثنا أبو حيان عن المعانى الجزئية والكلية قائلا : وسألت أبا سليمان عن الفرق بين المعرفة والعلم ، فقال : المعرفة أخص بالمحسوسات ، و**المعانى الجزئية** . والعلم أخص بالمعقولات و**المعانى الكلية** [3] .

ويذكر أبو حيان فى كتاباته مصطلح **معانى النحو**[4] وقد مر ذكر هذا المصطلح عند الحديث عن النحو والمصطلحات النحوية .

ومما تقدم نرى أن أبا حيان قد استعمل اللفظ بمعنى الكلام ، واستعمل المعنى بمعنى المراد ، وبمعناهما الاصطلاحى الذى يعبر عنه بالشكل والمضمون وهو أحد فروع علم البلاغة وكانت قضية اللفظ والمعنى من قضاياها المهمة .

ونالت قضية اللفظ والمعنى اهتمام الكُتّاب والأدباء واللغويين على كافة

---

(١) المقابسات ص ٣٨٠ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٨٤ .

(٣) المقابسات ص ٢٩١ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٢١ .

المستويات وفى مراحل متعددة من العصور الإسلامية ولهذه القضية سجل حافل يتبين فيه ما وصل إليه الموضوع اللغوى من تشقق انتهى به إلى تعدد لا وجود له فى الأصل ، فاللغة تدور على الفعل الحى الذى يتضمنه الصوت مثلها فى ذلك مثل اللفظ الذى خصّ فى عرف اللغة بما صدر من الفم من الصوت المعتمد على المخرج ، حرفًا واحدًا أو أكثر مهملًا أو مستعملًا(١) .

ثم كان لما أشاعه الكُتَّاب والأدباء فى صدر الدولة العباسية من معايير فى نقد الشعر أثر فى الاحتراز من المادة اللغوية ومباعدة الشعر عنها ، فقد مالت بهم سليقة أصحاب الدواوين إلى ما يشبه التنقيح للغة فى ذلك العصر ، واصطفوا منها من متخير اللفظ ومنتخب المعانى(٢) .

والثنائية التى وصلت إليها اللغة فى قضية اللفظ والمعنى لم تكن الغاية التى انتهت إليها القسمة عند البلاغيين . ففى القول بالمعانى الأول والمعانى الثوانى ما يوحى بأن الكلام يتألف من أكثر من طبقتين . واللفظ أيضا لا يؤخذ عندهم على إطلاقه فهو على مصطلح أرباب المعانى عبارة عن صورة المعنى الأول الدال على المعنى الثانى على ما صرح به عبد القاهر حيث قال فى دلائل الإعجاز : إذا وصفوا اللفظ بما يدل على تفخيمه لم يريدوا اللفظ المنطوق ولكن معنى اللفظ الذى دل به على المعنى الثانى(٣) .

كان أبو حيان التوحيدى واحدًا من الكُتَّاب القدامى الذين تفهموا العلاقة ما بين اللفظ والمعنى ، وأدرك الرابطة التى تجمع بينهما ، وقد عبر عن ذلك فى ألوان مختلفة من إنتاجه الوفير ، ففى كتاب البصائر والذخائر الذى ابتدأ العمل فيه عام ٣٥٠ هـ وهو عام مبكر نسبيا فى تاريخ إنتاج أبى حيان الفكرى . يقول أبو حيان فى

---

(١) الكليات جـ ٤ ص ١٦٧ .   (٢) مثالب الوزيرين ص ٩٣ .
(٣) دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجانى ص ٦٤ .

نص له من كتابه هذا حول العلاقة بين اللفظ والمعنى : سمعت شيخًا من النحويين يقول : المعانى هى الهاجسة فى النفوس ، المتصلة بالخواطر ، والألفاظ ترجمة للمعانى وكل ما صح معناه صح اللفظ به ، وما بطل معناه بطل اللفظ به[1] .

وعن علاقة اللفظ بالمعنى يقول أبو حيان فى الإمتاع والمؤانسة : قدّر اللفظ على المعنى فلا يفضل ، وقدر المعنى على اللفظ فلا ينقص منه ، هذا إذا كنت فى تحقيق شيء على ما هو به فأما إذا حاولت فرش المعنى وبسط المراد ، فأجلّ اللفظ بالروادف الموضِّحة والأشباه المقربة ، وبيّن المعانى بالبلاغة[2] .

ويضع أبو حيان شرطًا أساسيًّا لبلاغة النصّ وهو عدم التفرقة بين اللفظ والمعنى فيقول فى نصٍّ له من رسالته المعنونة فى ثمرات العلوم : ومن استشار الرأى الصحيح فى هذه الصناعة الشريفة علم أنه إلى سلاسة الطبع ، أحوج منه إلى مغالبة **اللفظ** وأنه متى فاته اللفظ الحر ، لم يظفر **بالمعنى** الحر لأنه متى نظم معنى حرًّا ولفظًا عبدًا أو معنى عبدًا ولفظًا حرًا فقد جمع بين متنافرين بالجوهر ومتناقضين بالعنصر[3] .

وفى نصوص كثيرة من كتابات أبى حيان التى تحدث فيها عن اللفظ والمعنى نراه يميل إلى التسوية بينهما ، فلا يفرق بين اللفظ والمعنى لأن الصلة وثيقة بينهما وفى هذا يقول فى نص من بصائره : وليس للمتكلمين حجة فى اللسان فضلًا عن أن يكونوا حجة فى المعانى ، لأن حقائق **المعانى** لا تثبت إلا بحقائق **الألفاظ** ، وإذا تحرّفت المعانى فذلك لتزيف الألفاظ ، فالألفاظ متلاحمة متواشجة ، متناسجة ، فما سلم من هذه فقد أجحف بهذه ، وما نقص من هذه فقد فسد من هذه ، وليس

---

(١) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢٠٧ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٢٥ .

(٣) رسالة فى ثمرات العلوم ص ١٩٥ .

الشأن على أن يفهم من أعجمى طمطمته فإن ذلك المفهوم لم يكن عن تمام اللفظ وصحة التأليف[1]، عبر أبو حيان عن تلاحم وتناسج الألفاظ بالمعاني وعن الصلة بين اللفظ والمعنى ،دون أن يرجح أحدهما على الآخر وهو القائل اللفظ طبيعيّ والمعنى عقليّ[2] ويقول أبو حيان فى تسويته بين اللفظ والمعنى محذرًا من الفصل بينهما : ولا تعشق اللفظ دون المعنى ، ولا تهو المعنى دون اللفظ[3] ويرى أبو حيان ضرورة الإجادة فى اللفظ والمعنى لأن الإجادة فى أحدهما على حساب الآخر يؤدى إلى الجمع بين متناقضين متنافرين ، ولن يكتمل الكاتب ما لم يقرن اللفظ الجيد بالمعنى الجيد[4] .

وفى المقابسات يورد أبو حيان كلاما للقُوْمسى يتحدث فيه عن اللفظ والمعنى موضحًا هذه القضية بقوله : إن المعانى جواهر النفس وإن الألفاظ مستمدة منها ولا ينفصل اللفظ عن المعنى لأنها الوسيلة الجيدة للتعبير عن المرائى النفسيّة أو الصور الذهنيّة[5] ويبين لنا أبو حيان فى نص من مقابساته أرقى مراتب التعبير ، والعلاقة بين اللفظ والمعنى فيقول : ومدار البيان على صحة التقسيم وتخير اللفظ وترتيب النظم وتقريب المراد[6] هذا وقد أصبحت قضية تحديد علاقة الألفاظ بالمعانى من المسائل الفلسفية المعقدة فى ذلك العصر الذى نؤرخ له وفى هذا المعنى يقول أبو حيان :

أن اللَّفْظ نظير اللفظ فى أغلب الأمر وليس المَعْنَى نظير المعنى فى أغلب الأمر ، واللفظ كله من وادٍ واحد فى التركب بلغة كل أمة ، والمعانى تختلف فى البساطة على قدر العَقْـل والعَقْل ، والعاقِل والعاِقل[7] . ونجد أبا حيان فى بعض النصوص

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٩٢ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١١٥ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٠ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ١٢٣ .
(٥) المقابسات ص ٩٢ .
(٦) المقابسات ص ١٤٥ .
(٧) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١٣٤ .

من كتاباته يكشف عن عقلية فلسفيّة دقيقة تحفل بالمَعْنَى أكثر مما تحفل باللفظ وفى هذا المجال يقول أبو حيان ناصحًا قارئه : إياك أن تقف مع اللفظ القصير فتحسر به عن المعنى العريض ، فإن اللّفْظ للعامة والمَعْنَى للخاصة[1] ومن خلال متابعتنا لما قاله أبو حيان عن قضية اللفظ والمعنى ، نجد أن هذه القضية قد اتضحت معالمها عند أبى حيان ، وفى هذا المجال يقول : أحسن الكلام ما رق لفظه ، ولطف معناه ، وقامت صورته بين نظم كأنه نثر ، ونثر كأنه نظم[2] ولأبى حيان ، رأى بالنسبة لألفاظ اللغة المتقاربة فى معانيها أو التى يرى الكثيرون أنها متطابقة أو مترادفة ، وله نظر ورأى هما نظر الباحث الذى لا يرتاح إلى التسليم والتمعن لمجرد أن عامة الناس يسلمون ويتيقنون ، ولا يترك أبو حيان شكًّا فى أنه ينفذ بعقله الاستقصائى من خلال الفرج الدقيقة القائمة بين الكلمات المتقاربة المعنى فيسأل فى هوامله مسكويه قائلا : هل يجب أن يكون بين كل لفظتين-إذا توفقتا على معنى وتعاورتا غرضًا-فرق[3] وليرجع إلى الهوامل والشوامل للاطلاع على رد مسكويه .

وفى إشارة صريحة إلى تقارب المعانى فى الألفاظ المتقاربة ، ينقل لنا أبو حيان فى نص من كتابه مثالب الوزيرين عن أبى سعيد السيرافى ، شيخه فى اللغة فيقول : قال أبو سعيد السيرافى : الحلم مشارك لمعنى الحلم ، فصاحب الحلم هو الذى يعرض عما يرى ويسمع كالحالم ، واللفظ إذا واخى اللفظ كان معناه قريبًا من معناه ، وهكذا الخلق والخلق ، والعدل والعدل وييست الرِّجل ويئست المرأة[4] .

---

(١) الإشارات الإلهية ص ٣٦٥ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٤٥ .

(٣) الهوامل والشوامل ص ٥ .

(٤) مثالب الوزيرين ص ٢٠٤ .

ويشير أبو حيان فى كتاباته إلى الألفاظ المختلفة فيسأل القومسى قائلا : ما معنى قول بعض الحكماء : الألفاظ تقع فى السمع فكلما اختلفت كانت أحلى ؟ والمعانى تقع فى النفس فكلما اتفقت كانت أحلى ؟ فقال : هذا كلام مليح وله قسط من الصواب والحق . إن الألفاظ يستمليها السمع ، والسمع حسىّ ، ومن شأن الحس التبدد فى نفسه والتبديد فى نفسه . والمعانى تستفيدها النفس ، ومن شأنها التوحد بها والتوحيد لها ، وبالجملة الألفاظ وسائط بين الناطق والسامع ، فكلما اختلفت مراتبها على عادة أهلها كان وشيها أروع وأجهر ، والمعانى جواهر النفس فكلما ائتلفت حقائقها على شهادة العقل كانت صورتها أنصع وأبهر[1] .

مما تقـــدم نجد أن الكلمتين اللّفظ والمعنى قد أوردهما أبو حيان فى كتاباته بالمعنى اللغوى العام فقد دل اللفظ على الكلام ودل المعنى على القصد . وأوردهما أيضا بالمعنى الاصطلاحى الخاص بعد أن دل اللفظ على الشكل ودل المعنى على المضمون وهذا المصطلح البلاغى لم يرد فى اللسان عند تناوله للمادتين « ل ف ظ » و« ع ن ى » وقد اكتفى اللسان بذكر المعنى اللغوى وأسهب فى شرح المعنى المجازى . وبهذا تكون الكلمتان لفظ ومعنى جديدتين فى معناهما عند أبى حيان .

أما فى مجال التغير الدلالى فنجد أن هاتين الكلمتين قد مرت دلالتهما بأطوار متعددة عبر القرون . فنجد أن كلمة لفظ استخدمت قديما بالمعنى المادى وهو لفظ النواة ونحوها أى رميها من الفم . ثم استخدمت بالمعنى المجازى فى لفظ

---

(١) المقابسات ص ٩١ ، ٩٢ .

القول أى النطق به فانتقلت دلالة الكلمة من المجال المادى إلى المجال المعنوى لوجود قرينة تربط بين الدلالتين وهو الرمى .

ولفظة المعنى استخدمت قديمًا بالمعنى الحسىّ فى عنت الأرض أى أنبتت وأظهرت نباتًا حسنًا ، ثم استخدمت كلمة المعنى فى إظهار ما تضمنه اللفظ من قصد ، فانتقلت دلالة الكلمة من المجال المادى إلى المجال المعنوى ، ثم تخصصت دلالة اللفظ والمعنى بعد أن استخدمت كمصطلح بلاغى خاص بالشكل والمضمون وهذا ما دلت عليه نصوص أبى حيان .

* * *

الفصل الثـــانى

المصطلحـــــات الدينيــــــــة

يحتوى هذا الفصل على المجموعات الدلالية الأساسية التالية :

أولا : المصطلحات الخاصة برجال الدين :

(١) الفقيه ، الفقهاء . (٢) العالم ، العلماء .

(٣) المتكلم ، المتكلمون . (٤) المحدث ، أصحاب الحديث .

(٥) الإمام ، الأئمة . (٦) الحبر، القس، الراهب، الجاثليق.

ثانيًا : المصطلحات الخاصة بالفقه :

ويحتوى هذا القسم على المجموعات الدلالية التالية :

(١) الفقه ، الشريعة . (٢) الفتيا .

(٣) القياس . (٤) الإجمـــاع .

(٥) الاجتهاد .

ثالثًا : المصطلحات الخاصة بالعقيدة :

ويحتوى هذا القسم على المجموعات الدلالية التالية :

(١) العقيدة ، العقائد . (٢) علم الكلام .

(٣) المقالة ، المقال . (٤) التفسير ، التأويل .

(٥) الظاهر ، الباطن . (٦) الاستدلال ، الاحتجاج .

(٧) الاستنبـــاط . (٨) التوحيـــد .

(٩) التقديـــس . (١٠) الإلحـــاد .

رابعًا : المصطلحات الخاصة بالمذاهب والنحل :

ويحتوى هذا القسم على المجموعات الدلالية التالية :

(١) المذهب ، المذاهب . (٢) المنهج ، النهج .

(٣) الملة ، الملل ، السنة ، السنن ، النحلة ، النحل . الناموس .

(٤) الفرق الدينية الإسلامية :

المعتزلة ، الشيعة ، الإمامية ، الزيدية ، المرجئة ، الجبرية .

(٥) الفرق الدينية غير الإسلامية :

اليهود ، النصارى ، الصابئة .

(٦) الفرق الملحدة .

الدهرية ، الزنادقة .

* * *

أولا : المصطلحات الخاصة برجال الدين :

مصطلحات رجال الدين (٢٣) كلمة وهى :

أئمة ، أرباب الكلام ، أصحاب الكلام ، أصحاب الحديث ، إمام ، أهل العلم ، أهل الكلام ، جاثليق ، حبر ، حديثيّ ، راهب ، راهبة ، عالم ، علماء ، فقهاء ، فقيه ، قس ، قماسة ، قمس ، كلاميّ ، متكلم ، متكلمون ، محدث .

وفيما يلى جدول بنسبة شيوع هذه المصطلحات فى مؤلفات أبى حيان التوحيدى :

* * *

الكلمة	عدد مرات ورودها	الكلمة	عدد مرات ورودها
إمام	٣٤	أرباب الكلام	٢
فقهاء	١٧	أصحاب الكلام	٢
متكلمون	١٧	أهل العلم	١
علماء	١٤	أهل الكلام	١
عالم	١٢	كلامى	١
فقيه	١٢	حديثى	١
راهب	٨	جاثليق	١
أئمة	٧	راهبة	١
متكلم	٦	قمس	١
محدث	٥	قماسة	١
أصحاب الحديث	٤		
قس	٤		
حبر	٢	المجموع	٢٣

وقد أمكن تقسيم هذه المجموعة من المصطلحات الخاصة برجال الدين إلى ست مجموعات دلالية فرعية ، تشمل رجال الدين المسلمين كالفقيه والعالم والمتكلم والمحدث والإمام ورجال الدين غير المسلمين مثل القس،والراهب، والجاثليق .

أولًا : المصطلحات الخاصة برجال الدين :

(١) الفقيـــــه ، الفقهـــاء :

ورد فى لسان العرب : فَقُه يفقه فقاهة إذا صار فقيهًا من قوم فقهاء وفَقِه عنى كلامى يفقه أى فَهِم ، ورجل فقيه : عالِم . وكُلُّ عالِم بشيء فهو فقيه[١] . والفقيه فى الاصطلاح الشرعى من اتصف بالفِقْه وهو المجتهد[٢] ، ويطلق على العالِم بالأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية[٣] .

لفظة الفَقيه والجمع **فُقهاء** من الألفاظ التى انتشرت فى العصر العباسى، فقد كان العصر العباسى أكثر العصور الإسلامية نشاطًا فى التشريع ، وكثر عدد الفقهاء والمجتهدين ، وكتب الفِقْه مملوءة بمسائل الخلاف بين الأئمة ، وكما كثر الفقهاء والمشرعون وكثر اجتهادهم ، كثرت المسائل القانونية وأحكام الجزئيات كثرة لا يقاس بها ما كانت عليه قبل هذا العصر .

يقول آدم ميتز فى حديثه عن الفقهاء فى العصر العباسى : لقد تميز الفِقْه عن بقية علوم الدين فى هذا العصر ، وأصبح العلماء فريقين : الفقهاء ، والعلماء على الحقيقة ، وكانت غالبية طلبة العلم المكتسبين يقصدون الفقهاء هم حملة علوم الشريعة والعبادات ، فكان لابد لمن يريد تولى القضاء والخطابة فى المساجد من التتلمذ عليهم[٤] .

---

(١) اللسان جـ ٢ ص ١١١٩ .

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى جـ ٤ ص ١١٥٧ .

(٣) التعريفات للجرجانى ص ١٧٥.

(٤) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ١ ص٣٢٣ .

ولو تصفحنا كتابات أبى حيان التوحيدى نراه قد اورد النصوص العديدة المتضمنة للفظة الفقيه والجمع فقهاء ، فقد ذكر أبو حيان لفظة الفقيه بقوله : ولو قلت لفقيه : ما منتهى أربك من الفِقْه ؟ لقال : إن الدين محيط بحلال أو حرام ، وواجب ومستحب ، وعلة وحكم ، وقضاء وفضل وكل ذلك مقرون بعلم وعمل ، ومتى جهلت العلم أفسدت العمل[1] ، وذكر أبو حيان لفظة الفَقيه فقال : كان القاضى أبو حامد يقول : من كان نصف طبيب فإنه يقتل العليل ، ومن كان نصف فَقيه فإنه يحلل المحرم[2] وقال ذاكرًا لفظة الفقيه : ما معنى قول العلماء على طبقاتهم : « النادر لا حكم له » هكذا تجد الفَقيه ، والمُتكلم والنحوى والفلسفى فما السر فى هذا ؟ وما علمه وعلته ؟[3] ويسرد لنا أبو حيان حادثة له مع فَقيه من الفقهاء فيقول محذرًا : إياك أن تقيس اللغة ، وقد رأيت فقيها من الناس وقد سئل عن قومٍ ، فقال : هم خُروج ، فقيل ما تريد بهذا ؟ قال قد خرجوا كأنه أراد هم خارجون، قيل : هذا ما سمع ، قال : هو كما قال الله تعالى : ﴿ إذ هم عليها قعود ﴾ أى قاعدون[4] .

وترد لفظة فقيه فى نص لأبى حيان يصف فيه أحد فقهاء عصره ويدعوه لمُناظرة الصاحب بن عباد فيقول : قلت لأبى القصار الفقيه : لو ناظرته –ويقصد الصاحب بن عباد– وكان يذهب مذهب القلانسى . فقال : الرجل كلف بالمذهب والكلف لا يُفهمك ما يقول استكبارًا عليك ، ولا يَفْهَم ما تقول استحقارًا لك[5] . ويذكر أبو حيان لفظة فقيه مبينًا صفات ذلك الفقيه فيقول : وهذا الفقيه هو الداركى ، وكان ركيك اللسان ، مذم الطباع ، سيء الخلق ،

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ١٥٠ .

(٢) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٤٩٥ .

(٣) الهوامل والشوامل ص ٢٨٩ .

(٤) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٤٦ .

(٥) مثالب الوزيرين ص ٩٩ .

مشهودًا بالزور ، خبيث الدين[١] ويذكر نوعًا آخر من أنواع الفقهاء ويصفه بالعالِم فيقول : والعجب أنك أيها العالِم الفقيه والأديب النحوى تتكلم فى إعرابه وغريبه ، وتأويله وتنزيله ، ثم لا تجد فى شيء مما ذكرتك به ووصفتك منه ذرة تدل على صفائك فى حالك[٢] .

ولفظة الجمع فُقهاء ترد فى نصوص عديدة من كتابات أبى حيان ففى نصٍّ له من مثالب الوزيرين يذكر هذه اللفظة فى وصفه لأستاذه المرورّوذى ويلقبه بسيد الفقهاء فيقول : سمعت القاضى أبا حامد المرورّوذى يقول ، وكان سيد الفقهاء فى وقته ، وإمام أصحابه فى عصره ، وعجيب الفضل فى جميع أموره : لو أن رجلين طاهرين زكيا رجلًا عند الحاكم ثم سأل الحاكم آخرين مرضيين عن ذلك المزكى بعينه فجرحاه لكان الحاكم لا يقف ، ولا يتحير ، ولا يعيا ولا يحصر ولكنه يقدم الجرح على التزكية ، ويعمل بها دونها ويصير إليها تاركا لها[٣] . ومن النص السابق نرى أن الفقهاء فى عصر التوحيدى كانوا على درجات ، ففى أول القائمة نرى الطائفة التى رأت عدم العمل بالحديث والاكتفاء بالقرآن ، ومثل هؤلاء القوم يصح أن يوضعوا فى أعلى قائمة الحرية إذا كان مذهبهم أن نلتزم فقط بما جاء فى القرآن ، أما ما عداه فنعمل فيه بالرأى والعدالة ، كما يصح أن يوضعوا فى أسفل القائمة حتى بعد الظاهرية ؛ إن قالوا لا نعمل إلا بما ورد فى كتاب الله[٤] ويذكر أبو حيان لفظة الفقهاء فيقول فى مقابساته : سمعت أبا سليمان يقول : من التمس الرخصة من الإخوان عند المشورة ، ومن الفقهاء عند الشبهة ، ومن الأطباء عند المرض ، أخطأ الرأى ، وتحمل الوزر وازداد سقمًا[٥] . ويذكر أبو حيان لفظة

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ١٠٣ وانظر البصائر جـ ٣ ص ٤٩ .

(٢) الإشارات الإلهية ص ٣٩ .

(٣) مثالب الوزيرين ص ٣١٣ .

(٤) ضحى الإسلام أحمد أمين جـ٢ ص٢٤١.

(٥) المقابسات ص ٢٩١ .

الفقهاء فى وصفه لمجلس البصرىّ فيقول : أنت لا ترى اليوم ببغداد مجلسًا أبهى من مجلسه لما يجتمع فيه من مشايخ العراق ، وشبان خُراسان ، وفُقهاء كل مصر[1] ويحدثنا أبو حيان عن أحد الفقهاء فى زمن الرشيد وما حصل له فيقول : قال أبو يوسف : بقيت على باب الرشيد حولًا لا أصل إليه حتى حدثت مسألة ... فقلت للفضل بن الربيع : أعلم أمير المؤمنين أن بالباب رجلًا من الفقهاء عنده الشفاء من هذه الحادثة ، فأذن لى فلما وصلت قال : ما تقول فيما قال الربيع ؟ قلت ياأمير المؤمنين أقوله لك وحدك أو بحضرة الفقهاء فقال : بل بحضرة الفقهاء ليكون الشك أبعد ، واليقين أقصد ، وأمر بإحضار الفقهاء[2] . وهذه الحادثة تبين لنا حرية الفقهاء فى مناحيهم ونزعاتهم واجتهادهم ، ولم تلزمهم السلطة بقانون بعينه تفرضه على الدولة كلها ، بل اختارت القضاة من مناحٍ مختلفة فى الاجتهاد ، وأما غير القضاة من الفقهاء المجتهدين فحريتهم فى التشريع أظهر[3] .

وفى نص لأبى حيان من هوامله يذكر لفظة الفقهاء مبينًا رأيهم فى الأحكام فيقول : أما قول الفقهاء : إن الله – تعالى – بين الأحكام ، ونصب الأعلام ، ولم يترك رطبًا ولا يابسًا إلا فى كتاب مبين فكلام فى غاية الصدق ونهاية الصحة[4] . ويذكر أبو حيان لفظة الفقهاء فى نص له من بصائره يبين فيه حكمًا من أحكامهم الشرعية فيقول : الشافعى يروى خبرًا فى نجاسة الكلب ويوجب غسل الآنية ولوغه سبع مرات ، وأبو حنيفة يواطئه على النجاسة ولا يغسل هكذا ، ومالك يرى أن الكلب طاهر ولحمه مأكول ، ووجوه اختلاف الفقهاء متقاربة ، وأدلتهم مستوسقة[5] ويقول أبو حيان ذاكرًا الفقهاء وأحكامهم المختلفة : وهكذا الفقهاء

---

(١) مثالب الوزيرين ص ١٤٢ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ١٧٠ .
(٣) ضحى الإسلام أحمد أمين جـ٢ ص٢٢٧.
(٤) الهوامل والشوامل ص ٣٣٠ .
(٥) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٤٩٨ .

الذين اختلفوا فى الأحكام من الحلال والحرام منذ أيام الصدر الأول إلى يومنا هذا[1] .

مما تقدم نجد أن لفظة فقيه والجمع فقهاء جاءت عند أبى حيان بمعنى العالِم المختص بالأحكام الشرعية الثابتة للأفعال الإنسانية[2] والفقيه كما جاء فى اللسان هو العالم بكل شيء وهذا هو المعنى اللغوى للكلمة . ويتضح مما سبق أن الفرق الأساسى بين دلالة كلمة فقيه عند أبى حيان ، وما أورده صاحب اللسان من معنى لغوى للكلمة ، أنه حدث تحول فى معنى الكلمة من المعنى العام إلى المعنى الخاص .

ففى التغير الدلالى نجد أن لفظة الفقيه والجمع فقهاء من الألفاظ التى تحولت من معانيها العامة عند بدء استخدامها اللغوى إلى معانيها الخاصة فى عصر أبى حيان فتخصصت دلالتها بعد أن تحدد معناها . واكتسبت بذلك خصوصية الدلالة وتحديدها فى الذهن .

(٢) العالم / العلماء :

ورد فى لسان العرب : من صفات الله عز وجل العَليم والعالِم ، فهو العالِم بما كان وما يكون قبل كونه . ورجل عالِم وعليم من قوم عُلماء . قال الله عز وجل : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾، أى أن من عباده من يخشاه ، وأنهم هم العلماء . والعالم الذى يعمل بما يعلم . وعَلِم وفَقِه أى ساد العلماء والفقهاء . وجمع عالِم عُلماء وعَلّام أيضا . والعالَم الخلق كله وجمعه العوالِم[3] .

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٩ .
(٢) الإمتاع جـ ٢ ص ١٣٦ ، الإشارات ص ٣٩ ، البصائر جـ ٣ ص ١٦٨ ، جـ ٢ ص ٤٩٥ .
(٣) اللسان جـ ٢ ص ٨٧٠ .

وكان العلماء فى العصر العباسى يفرقون بين أنفسهم وبين الأدباء ، حتى قال ابن قتيبة : من أراد أن يكون عالمًا فليطلب فنًّا واحدًا ومن أراد أن يكون أديبا فليتسع فى العلوم[1] أى أن الأدباء فى ذلك العصر غير متخصصين يتكلمون فى جميع الأمور ، أما العلماء فقد أقبلوا على الدراسة العملية وعلى تنظيم المعارف وشعروا بما يجب عليهم من عناية فى تدوينها ، كانت لهم أرزاق جارية من السلطان . وكانوا من هذا الجانب فريقين : فُقهاء وعُلماء وفريق ثالث أكثر رزقًا ، وهم النُدماء الذين يجالسون الحضرة ، وكان البعض يأخذ رزقًا من هذه الطوائف كلها كالزجاج المتوفى عام ٣١٠ هـ فقد كان له رزق فى الندماء ورزق فى الفقهاء ، ورزق فى العلماء ومبلغ ذلك ثلثمائة دينار ، وكانت له منزلة عظيمة[2] ، ويندر أن نجد فى هذا العصر من العلماء من يتخذ صناعة أو تجارة يعيش منها إلى جانب العلم[3] .

ولفظة **عالِم** والجمع **عُلماء** وردت عند أبى حيان فى نصوصٍ كثيرة متناثرة بين كتاباته ، وفى هذا العصر ارتقت منزلة العالِم وأصبح ذا مكانة مرموقة حتى أن بعض العلماء دخلوا فى جملة العظماء وأصحاب الألقاب ، وكان الإسفراييني المتوفى عام ٤١٨ هـ بنيسابور أول من لُقب بين العلماء بركن الدين[4] وفى نهاية القرن الرابع الهجرى ظهر لقب على سبيل التكريم وهو لقب شيخ الإسلام[5] . وكان التوحيدى يلقب أساتذته بالعلماء الأجلاء ، وبشيوخ العلم ، وغيرها من الألفاظ التى تدل على التعظيم والاحترام ، ففى الإمتاع والمؤانسة يقول أبو حيان فى نص له واصفًا ابن المراغى أحد علماء عصره بصفات تدل على التبجيل : وابن

---

(١) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ١ ص٣١٩.
(٢) الفهرست لابن النديم ص ٩٦ .
(٣) الحضارة الإسلامية جـ ١ ص ٣٤٨ .
(٤) طبقات السبكى جـ ٢ ص ٨٥ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٣٠ .

المراغى يقول كثيرًا–وهو شيخ من جِلّة العلماء وله سهم وافٍ فى زمرة البلغاء– ما أحسن معونة الكلمات القِصار المُشْتمِلة على الحكم الكِبار[1] ، ويذكر أبو حيان لفظة العالِم فى نصوص كثيرة جدًّا من كتاباته فيقول موردًا لفظة العالم ومبينًا منزلته : قال بعض السلف من الحكماء الصرحاء والفضلاء القدماء : العِلْم ما تمم فضيلة العمل به ، على أن العالِم ، وإنْ لم يعمل حرى أن تتوق نفسه ، فى حال من الأحوال إلى محاسن ما عَلِم وحَفِظ[2] ويواصل أبو حيان كلامه عن العالِم فيقول : والعالِم ينفع وإن لم يعمل ، وليس ذلك الجاهل ، والعالم كاسب على الجاهل ، والجاهل كاسب للعالِم[3] .

وترد لفظة عالم فى نص لأبى حيان بمعنى صفة من صفات الخالق فيقول فى المقابسات : هناك تبقى ولا تبلى ، وتغنى ، ولا تضنى ، هناك الواصل والموصول والعالم والمعلوم ، والعاقل والمعقول فى قضاء الوحدة ، ومعانى القدس[4] وترتبط لفظة العالِم فى بعض نصوص أبى حيان بلفظة الفقيه ففى نص له يقول فيه متسائلًا : والعجب أنك أيها العالم الفقيه والأديب النَّحْوىّ تتكلم فى إعرابه وغريبه ، وتأويله وتنزيله وشأنه[5] ثم يحدد أبو حيان صفة هذا العالِم فيقول : الإنسان الجاهل ميت ، والعالم المتجاهل عليل والمؤثر للخير حىّ صحيح[6] ، ويذكر أبو حيان لفظة العالِم فى كتاباته مضفيًا عليها هالة من التقدير والإجلال فيقول فى نص له من مقابساته يصف فيه أستاذه السيرافى **بعالِم العالَم** : وأنا أسأل شيخنا أبا سعيد السيرافى فى غد إن شاءالله فهو اليوم عالِم العالَم ، وشيخ الدنيا ، ومقنع أهل الأرض[7] .

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٤٦ .
(٢) المقابسات ص ٢٧٤ .
(٣) المقابسات ص ٢٧٤ .
(٤) المقابسات ص ١٧٠ .
(٥) الإشارات الإلهية ص ٣٩هـ.
(٦) المقابسات ص ٢٥٩ .
(٧) المقابسات ص ١٢٩ .

ولفظة الجمع عُلماء ترد فى نصوص عديدة من كتابات أبى حيان ففى أحد النصوص يذكر العلماء فيقول فى حديثه عن أبى العباس البخارى : قلت له فى هذا الموضع : فهلا يحلى شخص بقوة النبوة من غير أن يستفسر بها ، ويعرض للخلق من أجلها ؟ قال : نعم . لا مانع من ذلك ، ولولا هذه القوة التى تشيع على حدودها ومراتبها ، فى أشخاص العلماء البررة ، ما كان يصح حدس ، ولا تصدق نفس[١] .

ويذكر أبو حيان لفظة العلماء فى حديثه عن طبقاتهم وأحكامهم فيقول فى هوامله : ما معنى قول العلماء على طبقاتهم « النادر لا حكم له » هكذا تجد الفقيه والمتكلم والنّحوىّ والفلسفىّ[٢] . يبيّن نص أبى حيان أن لفظة العلماء تشمل علماء الدين وعلماء العلوم العقلية فقد أطلقه أبو حيان على أصحاب العلوم الدينية والدنيوية . وإن كان صاحب العلوم الدنيوية فى ذلك العصر يسمى كاتِبًا ويتميز عن العلماء فى لباسه ، ويقارن أبو حيان بين العلماء والكُتّاب فيقول ذاكرًا عمل كل فريق منهم : الكُتّاب جهابذة الكلام ، والعلماء مستخرجوه[٣] ويذكر أبو حيان لفظة العلماء فى نص له من مقابساته يعتذر فيه عن اقتباساته من هؤلاء العلماء فيقول : ليس لى من جمعها إلا حظ الرواية عن هؤلاء الشيوخ وإن كنت قد استنفدت الطاقة فى تنقيتها وتوخى الحق فيها بزيادة يسيرة لا تصح إلا بها ، أو نقص خفى لا يبالى به . ولأجل ما سلف من القول فى المسائل ، ما أحببت أن أحكى حدودًا حصلناها على مر الزمان بعضها أُخذ من أفواه العلماء ، وبعضها لفظ من بطون الكُتب[٤] ، فى النص السابق نرى أن التوحيدى يبدد الشكوك التى حاكها النقاد حول مقابساته وهذه القضية التى تتعلق بمدى نسبة المقابسات إلى

---

(١) المقابسات ص ٢١١ .
(٢) الهوامل والشوامل ص ٢٨٩ .
(٣) الإمتاع جـ ١ ص ١٣٣ .
(٤) المقابسات ص ٣٥٥ .

إلى حيان قضية مهمة تستوجب التدقيق وقد ناقشتها عند تناول لفظة المُقابسة كنشاط من أنشطة المجالس الثقافية .

وترد لفظة علماء فى نص لأبى حيان يصور فيه مدى تأثر نفس العلماء بالعلم فيقول : قال أبو سليمان : العلم صورة المعلوم فى نفس العالم وأنفس العلماء عالِمة بالفعل(١) ويذكر أبو حيان لفظة العلماء فى حديثه عن مذاهبهم فيقول : كما يقولون هؤلاء بُلغاء ولكل واحد منهم أسلوب ، نقول : علماء ولكل واحد منهم مذهب(٢) وعن مكانة العلماء وما لهم من شأن فى عصره يقول أبو حيان ذاكرًا شرف العلماء : الناظِر فى الحساب المفرد بالعدد هو شريك صاحب النجوم اللهم إلا أن يتفرد فى الحساب بالعمل فحينئذ لا يستحق شرف العلماء لأنه يكون فى درجة الصُناع كالكاتب والماسح(٣) ، ويذكر أبو حيان علماء الدين ونِحلهم فيقول منتقدًا هذه النحل : وما شَمِت الحَاسِد المُرْصِد ، والطَّاعِن المُلْحِد حتى رأى علماءَ الدين وأنصار الشَّريعة يَمُوجُون فى نِحلهم ، ويكفّرون أهل القِبْلَة على اعتقادهم(٤) ، ويرد مصطلح أهل العلم عند أبى حيان مرادفًا للفظة العلماء فيقول فى مقدمة بصائره ذاكرًا أهل العلم : هذا الجزء أبقاك الله هو الجزء الثانى من كتاب البصائر ، بصائر أهل العلم والأدب ، والحكمة والتجربة(٥) .

يتضح من النصوص السابقة أن أبا حيان كان يطلق لفظة العَالِم والجمع العلماء على أصحاب العلوم الإسلامية الدينية والعقلية ، وأطلق مصطلح أهل العلم على جمهرة العلماء والمشتغلين بالبحث العلمى فى ذلك العصر .

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٤٠ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٢٠٥ .

(٣) رسالة فى ثمرات العلوم ص ١٩٥ .

(٤) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٤٣٢ .

(٥) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٢٩٠ .

مما تقدم نجد أن لفظة عَالِم والجمع علماء جاءت عند أبى حيان بمعنى اصطلاحى عام يدل على أصحاب العلوم الشرعية الإسلامية[1] والعلوم العقلية النظرية والعملية[2] ، فلفظة العالم عند أبى حيان تشمل الفقيه والمُحَدِّث والنَّحْوىّ والفلسفىّ[3] وهذا المعنى المتخصص لم يرد فى اللسان ولا فى المعاجم الأخرى واكتفى صاحب اللسان بذكر المعنى اللغوى لهذه اللفظة وهى تساوى عند ابن منظور لفظة الفقيه وهذا يختلف عما جاء فى كتابات أبى حيان . أما فى مجال التغير الدلالى فنجد أن لفظة عالِم والجمع علماء مرت بأطوار حتى وصلت إلى عصر أبى حيان وأصبحت تطلق على المشتغلين بالحياة الفكرية الدينية والعقلية وهذا الانتشار الواسع لاستخدام هذه اللفظة أدى إلى اتساع دلالتها عندما حدد استعمالها فى مجال العلوم الدينية الشرعية فَذِكر أبى حيان علماء الدين فيه تخصيص لدلالة هذه اللفظة وهذا التخصيص جاء بعد إضافتها .

(٣) المتكلم / المتكلمون :

يقول الغزالى فى كتابه (المنقذ من الضلال) فى الفصل الذى خصصه لعلم الكلام والمشتغلين به الذين يسمون بالمتكلمين : لما نشأت صنعة الكلام ، وكثر الخوض فيه تشوق المتكلمون إلى محاولة الذب عن السُّنة بالبحث عن حقائق الأمور وخاضوا فى البحث عن الجواهر والأعراض وأحكامها ، ولكن لما لم يكن ذلك مقصود علمهم ، لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوى[4]

من أهم رجال الدين فى العصر العباسى المتكلم والجمع المتكلمون ، ومنهج المتكلمين كما جاء فى مصادر كثيرة ، يقوم على تجريد قواعد الأصول عن الفِقه

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٤٣٢ ، الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٢٠٥ .

(٢) الإشارات الإلهية ص ٣٩ . (٣) الهوامل والشوامل ص ٢٨١ .

(٤) المنقذ من الضلال للغزالى ص ٧٢ الطبعة السابعة – بيروت .

والميل إلى الاستدلال العقلى ما أمكن ، فما أبدته العقول والحجج أثبتوه وإلا فلا دون اعتبار لموافقة ذلك للفروع الفقهية[1] ولو أننا استطعنا أن نتتبع أول ظهور للفظة المتكلم للدلالة على من يتولى النظر فى العقائد الدينية ، نرى أن هذه اللفظة قد بدأت فى الظهور فى أواخر القرن الأول الهجرى وهذا ما أكده الشيخ مصطفى عبد الرزاق فى كتابه « تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية » ، فهو يرى أن لفظة متكلم قد ظهرت قبل بداية القرن الثانى للهجرة[2] وإن صح ما افترضه الشيخ مصطفى عبد الرزاق عن استعمال لفظة المتكلم كان قبل تدوين العلوم ، وهذا أمر لم يثبت ، والواقع أننا لا نكاد نعثر على استعمال لفظة المتكلم قبل كتب الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ وقد عاش فى عصر أزمة خلق القرآن . فلهذا نرى أن استعمال لفظة المتكلم إنما يرجع إلى النصف الأول من القرن الثالث للهجرة استعمالاً واسعًا ، ولابد أن مسألة خلق القرآن وموقف المعتزلة منها ومعاضدة المأمون ثم المعتصم والواثق لهم فى ذلك الموقف ضد موقف ابن حنبل ، وما أدى إليه ذلك من اضطهاد وتعذيب وتنكيل بمن لا يقول بأن القرآن مخلوق[3] هو الذى جعل من الضرورى إيجاد تسمية لمن يخوضون فى البحث والجدل فى هذه المسألة الكبرى .

وقد جاءت لفظة **المتكلم** والجمع **المتكلمين** فى كتابات التوحيدى على اختلاف أنواعها، ففى البصائر يذكر أبو حيان لفظة مُتَكلِّم فى حديثه عن كعب الأنصارى وقد وصفه بالمتكلم الجاحظى فقال : دخل ابن عباس على بعض الأنصار فى وليمة فقاموا له فاستحى من ذلك وقال بالأبواء والنصر إلا جلستم ، حكى هذا ابن كعب الأنصارى وكان أديبًا مُتَكَلِّمًا جاحظيا حافظًا ، وكان يذهب مذهب

---

(١) الأصول العامة للفقه المقارن محمد تقى الحكيم ص ٨٤ .

(٢) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية مصطفى عبد الرزاق ص ١٥٥ .

(٣) مذاهب الإسلاميين عبد الرحمن بدوى جـ ٣٢ .

الاخشيد[١] وذكر أبو حيان نصًّا آخر موردًا لفظة المُتَكَلِّم فى نص له من مثالب الوزيرين يقول فيه محددًا مذهب المتكلم : قال عز الدولة : هاتوا شيئًا آخر قبل أن يتصرم النهار بما ليس له درء ، وكان فصيحًا ، فأعرض أبو الجيش الخراسانى ، وكان متكلم الشيعة . فسأل عن القرآن[٢] . وجاءت لفظة متكلم فى حديث أبى حيان وهو يصف أحد معاصريه من المتكلمين الصدوقين فيقول عنه : وحدثنى ابن الثلاج المتكلم ، وكان دينًا صدوقًا قال : العجب أن ابن عباد يدعى أنه قرأ شيخنا أبا عبد الله البصرى ولقد كذب فى دعواه[٣] .

ويعدد أبو حيان رجال الثقافة وحاملى مشعل العلوم الدينية والدنيوية وفيهم المتكلم وذلك فى حديثه عن أبى محمد الأندلسى النحوى وسؤاله لعيسى بن على الوزير : لِمَ قال صاحب كل علمٍ ليس فى الدنيا أشرف من علمى الذى أنظر فيه ؟ هكذا نجد الطبيب والمُنَجم والنحوى والفَقْيه والمُتكلم والمهندس والكَاتِب والشاعر[٤] من نصوص أبى حيان السابقة نلاحظ أنه يرتاب أحيانا فى صدق هذا المتكلم وأحيانا أخرى يضعه فى مصاف الفقيه العالم الدينى ، ولا يفوته أن يذكر مذهب هذا المتكلم وهذا مهم .

ولفظة الجمع المتكلمون وردت فى أماكن متعددة من كتابات أبى حيان ففى أحد نصوصه يتساءل أبو حيان عن الفرق بين المتكلمين والفلاسفة فيقول : قلت لأبى سليمان ما الفرق بين طريقة المتكلمين وبين طريقة الفلاسفة ؟[٥] ويذكر لفظة المتكلمين وطريقتهم فى نص آخر يصف فيه عِلْم الصاحب فيقول سائلا الخثعمى : كيف تدعى له التبريز فى كل عِلْم، وهو لا يعرف النَّحْو إلا ما جل منه،

---

(١) البصائر جـ ١ ص ٣١٨ .

(٢) مثالب الوزيرين ص ١٣٩ .

(٣) مثالب الوزيرين ص ١٣٦ .

(٤) المقابسات ص ٩٥ .

(٥) المقابسات ص ٢٠٣ .

ومن الكلام إلا ما وضح ، ثم هو فى اللغة على تصحيف شديد ، وتخليط كثير وفى الأخبار على تمويه لا يخفى عن مميز ، وقد أفسد رسائله بطريقة المتكلمين ، وأفسد طريقة المتكلمين بطريقة الكُتَّاب ، وكذلك النَّحْو واللغة والحديث[1] ، وفى حديث لأبى حيان عن الصاحب بن عباد يحدثنا عن المتكلمين المعتزلة فيقول : والغالب عليه كلام المتكلمين المعتزلة وكتاباته مهجنة بطرائقهم[2] وعن المتكلمين واختلافهم فى تناول المسائل العقائدية يقول أبو حيان : قيل لأبى الخير : حدثنا عن معرفة الله ، تقدس وعلا ، أضرورة هى أم استدلال ؟ فإن المتكلمين قد اختلفوا فى هذا اختلافًا شديدًا ، وتنابذوا عليه تنابذا بعيدًا[3] .

ويصف أبو حيان مجالس الوزير أبى الفتح ابن العميد العامرة برجال الدين والمعرفة ويذكر لفظة المتكلمين فيقول : ودخل بغداد فتكلف واحتفل وعقد مجالس مختلفة للفقهاء يومًا ، وللأدباء يومًا وللمتكلمين يومًا وللمتفلسفين يومًا[4] . ويقول أبو حيان فى انتقاده للمتكلمين : كل من تكامل حظه من اللغة وتوفر نصيبه من النحو كان بالكلام أمهر وعلى تصريف المعانى أقدر وازداد بصيرة فى قيمة الإنسان المفضل على جميع الحيوان وعرف عوار المتكلمين[5] ويقول أيضا : والسفه فى المتكلمين فاشٍ وسوء الأدب عندهم أجود سلاح[6] ، ويقول فى نقده للمتكلمين : وليس للمتكلمين حجة فى اللسان فضلًا عن أن يكونوا حجة فى المعانى[7] ، ويقول أبو حيان منتقدًا المتكلمين وذلك فى نص جاء على لسان يحيى بن عدى الذى يلقبه بالشيخ : كان يحيى بن عدى شيخنا يقول : إنى لأعجب كثيرًا من قول أصحابنا إذا ضمنا وإياهم مجلس ، نحن المتكلمون ، ونحن

---

(١) مثالب الوزيرين ص ١١٣ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٥٤ .
(٣) المقابسات ص ١٧٤ .
(٤) مثالب الوزيرين ص ٢٧٠ .
(٥) رسالة فى ثمرات العلوم ص ١٩٤ .
(٦) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٤٧٥ .
(٧) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٩٢ .

أرباب الكلام ، والكلام لنا ، بنا كثير وانتشر ، وصح وظهر ، وكأن سائر الناس لا يتكلمون ، أو ليسوا أهل الكلام لعلهم عند المتكلمين خرس أو سكوت ؟[1] فى النص السابق نجد أن أبا حيان ذكر **أرباب الكلام** وأهله وفى نص آخر يورد مصطلح أصحاب الكلام فيقول معيبًا لسلوكهم : وإنما البلاء كله من أصحاب الكلام الذين يظنون أن التوحيد لا يصح إلا بنظرهم ، والدين لا يثبت إلا بنصرتهم ، والحق لا يعرف إلا بمقاييسهم[2] . وترد لفظة كلامىّ نسبة إلى علم الكلام فى نص لأبى حيان يقول فيه : أما أبو يزيد البسطامى فكان من عجائب الرجال وكان كلاميًّا لا يحسن من المذهب إلا النص فإذا نازعه الخصم أفلت وانحص[3] وهذا الاشتقاق يعتبر كلمة جديدة مبنى ومعنى ، وقد استخدمها أبو حيان فى كتاباته وهذه اللفظة يوضحها أبو هلال العسكرى فى الفرق بين المتكلم والكلماتى فيقول العسكرى : إن المتكلم هو فاعل الكلام ثم استعمل فى القاص ومن يجرى مجراه من أهل الجدل على وجه الصناعة والكلماتى ألحقت به الزوائد للمبالغة[4] .

الألفاظ متكلم ومتكلمون وكلامىّ لم ترد فى اللسان عند تناوله للمادة (ك ل م)، وأيضا هذه الألفاظ لم ترد فى المعاجم الأخرى إلا فى إشارات عابرة فى الحديث عن الكلام .

مما تقدم نجد أن الألفاظ متكلم ومتكلمين وكلامىّ جاءت عند أبى حيان بمعنى اصطلاحى دال على المشتغلين بعلم الكلام[5] وخاصة فى معالجة المسائل

---

(١) المقابسات ص ٢٠٤ .   (٢) البصائر جـ ٢ ص ٤٩٨ .

(٣) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢٥٣ .

(٤) الفروق فى اللغة لأبى هلال العسكرى ص ٢٧ .

(٥) المقابسات ص ١٥٩ ، البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٤٣١ ، جـ ١ ص ٥٠ ، ص ٢٥٣ .

الاعتقادية[١] وكان لهؤلاء المتكلمين طرق معينة يتبعونها فى جدلهم[٢] تختلف عن طرق الفلاسفة[٣] وهذه الألفاظ التى كثر ورودها فى كتابات أبى حيان بهذا المعنى الاصطلاحى لم ترد فى اللسان عند تناوله للمادة « ك ل م » فهى إذا اشتقاقات جديدة مبنى ومعنى كثر استعمالها فى القرن الرابع الهجرى ولم تذكرها المعاجم .

وفى مجال التغير الدلالى نجد أن لفظة متكلم مرت بأطوار أثناء مسيرتها اللغوية ففى البدء استخدمت بالمعنى اللغوى العام الدال على من يجيد القول ثم أطلقت على من يجيد النظر فى المسائل العقائدية الإسلامية وفى عصر أبى حيان أصبحت دلالة لفظة المتكلم أكثر تخصصًا بعد أن تميزت المذاهب الكلامية والتزم كل متكلم بمذهب كلامى يسير على هداه أمثال : المتكلم المعتزلى[٤] ، والمتكلم الشيعى[٥] والمتكلم الجاحظى[٦] وبهذا تخصصت دلالة لفظة المتكلم بعد أن كانت عامة .

(٤) المَحَدِّث ، أصحاب الحديث :

جاء فى اللسان الحديث : الخبر ، والحديث ما يُحَدِّث به المُحَدِّث تحديثًا ، وقد حَدَّثه الحديث ، ورجل حدث وحدث وحديث ومُحَدِّث بمعنى واحد ، كثير الحديث ، حسن السياق له[٧] ، وجاء فى كشاف اصطلاحات الفنون المُحَدِّث : بكسر الدال المشددة هو اسم فاعِل من التحديث وهو عند المحدثين من يكون كتب وقرأ وسمع ورعى ورحل إلى المدائن والقرى وحصل أصولًا وعلق فروعًا من كُتُب المسانيد والعلل والتواريخ ، وقيل هو من تحمل الحديث رواية واعتنى به دراية ، وقيل هو من اشتغل بالسُّنة النبوية[٨] وعن المُحَدِّث ومكانته فى

(١) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٥٤٩ .
(٢) مثالب الوزيرين ص ١١٣ .
(٣) المقابسات ص ٢٠٣ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٥٤ .
(٥) مثالب الوزيرين ص ١٣١ .
(٦) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣١٨ .
(٧) اللسان جـ ١ ص ٥٨١ .
(٨) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى جـ ١ ص ٢٨٣ .

العصر العباسي يقول آدم ميتز : كان المُحَدِّث فى العصر العباسى يعتبر من أكبر العلماء شأنا ، وكان يعد من أعظم رجال الإسلام ، ولا يفوت المؤرخين ذكر وفاة المحدثين إلى جانب القليلين الذين يختارون ذكرهم ، وهم يقصون الحكايات العجيبة التى تدل على مقدرتهم فى الحفظ[1] على أن التحديث فى العصر العباسى والعصور الإسلامية كلها يعتبر نوعًا من العبادة يحتاج إلى آداب خاصة : فيستحب للمُحَدِّث قبل أن يجلس للحديث أن يتطهر ويتطيب ، وأن يجلس متمكِّنًا بوقار ، وعليه أن يقبل على الحاضرين كلهم[2] وعن المُحَدِّث ومقدرته فى الرواية والحفظ ، يقول أبو حيان فى وصفه لأستاذه السجستانى ذاكرًا لفظة مُحَدِّث فى قوله : كان أبو داود السجستانى ثقة ، محدِّثًا ،راوية ، زعموا أنه فى أيام حداثته ، وزمان طلبته للحديث وكتابته ، جلس فى مجلس بعض الرواة يكتب فدنا رجل من محبرته وقال له : استمد من هذه المحبرة ؟ فالتفت إليه أبو داود فقال : لا[3] ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة مُحَدِّث بهذا المعنى الدينى الفقهى : حكى أن المَحاملِى المُحَدِّث قرأ : وفاكهة وإِبًّا فقيل له : الألف مفتوحة فقال : هو فى كتابى مضبوط[4] وترد لفظة محدث عند أبى حيان بمعنى من يُجيد الحديث ويحسن سياقه فيقول فى نصٍّ له : فمن نظر فى كتابنا هذا نظرًا ظاهرًا أمتعه ، وألذه ، وألهاه ، وسره ، وصار له جليسًا فصيحًا ، ومُحَدِّثًا بيّنًا[5] ويقول بهذا المعنى أيضا : وهل حدثك مُحَدِّث بلا لفظ محكى ولا معنى مروى ، ولا قول مسطور ، ولا مراد مشهود ؟[6] .

---

(١) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ١ ص٣٥٥.
(٢) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ١ ص٣٣٩.
(٣) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ١٠٤ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٨٤ .
(٥) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٢٩٩ .
(٦) الإشارات الإلهية ص ٣٦٦ .

ويذكر أبو حيان مصطلح **أصحاب الحديث** فيقول : كان لأصحاب الحديث أنصار الأثر ، مزية على أصحاب الكلام وأهل النظر[1] ، ويذكر أصحاب الحديث فى نصوصٍ من بصائره فيقول : كان عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى شيخ أصحاب الحديث بهيًّا فاضلًا وكان ذا سلامه[2] ويقول منتقدًا بعض أصحاب الحديث من الخلفاء : قال أبو حامد المرورذى : إن بعض خلفاء أصحاب الحديث قال يوما وهو فى جماعة من طلاب الحديث يمشون إلى شيخ للرواية عنه : امشو قليلًا قليـلًا[3] هذا النص يبين مرحلة من المراحل المتقدمة لتدوين الحديث ، ويوضح كيفية تلقى الطلاب عن شيوخ العلم رواة الأحاديث . وترد اللفظة حديثىّ فى نص لأبى حيان يقول فيه : أما يتكلم ياقوم الفقيه والنحوى ، والطبيب ، والمهندس ، والمنطقى ، والمنجم ، والطبيعى ، والإلهى ، والحديثىّ ، والصوفىّ[4] . معنى الحديثىّ فى نص أبى حيان راوى الحديث النبوى نسبة إلى الحديث ، وهى اشتقاق جديد أورده أبو حيان فى كتاباته ولم يذكره صاحب اللسان عند تناوله للمادة « ح د ث » ولم يقف صاحب اللسان عند المعنى الاصطلاحى للفظة المحدث بل مر عليها مرورًا عابرًا عند ذكره للمعنى اللغوى لهذه اللفظة .

ومما تقدم نجد أن لفظة محدث جاءت عند أبى حيان بمعنى لغوى عام[5] ومعنى اصطلاحى فقهى[6] ، وجاء مصطلح أصحاب الحديث عند أبى حيان جمعًا للفظة محدث[7] ، ولم يذكر أبو حيان جمعًا آخر للفظة المُحَدِّث . أمّا فى مجال التغير

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٤٢ .

(٢) البصائر والذخائر جـ ٤ ص ٦٤ .

(٣) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٦٣٣ .

(٤) المقابسات ص ٢٠٤ .

(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٧ .

(٦) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ١٠٤ .

(٧) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣١٦ .

الدلالى فنجد أن لفظة محدث بعد أن كانت عامة فى بدء استخدامها اللغوى القديم أصبحت فى العصر العباسى مخصصة الدلالة ، وذكرها أبو حيان بهذا المعنى الخاص وقد اكتسبت لفظة المحدث دلالة قوية حين أطلقت على رجال الدين المشتغلين بأحاديث الرسول ﷺ .

(٥) الإمام ، الأئمة :

جاء فى اللسان الإمام : كل من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين . والجمع أئمة والإمام ما أئتم به من رئيس أو كِتاب أو غيرهما والإمام : المثال ، وفلان إمام القوم ، هو المتقدم لهم ، ويكون الإمام الطريق الواضح ، ودليل السفر[١] ، وجاء فى التعريفات : الإمام هو الذى له الرياسة العامة فى الدين والدنيا جميعًا[٢] ، وفى كشاف اصطلاحات الفنون جاء تعريف مسهب للإمام : فهو الرئيس والمرشد والقرآن واللوح المحفوظ ، وعند المتكلمين هو : خليفة الرسول عليه السلام فى إقامة الدين ، وعند المحدثين هو المحدث ، والشيخ وعند القراء والمفسرين وغيرهم : مُصْحَف من المصاحف التى نسخها الصحابة بأمر عثمان رضي الله عنه[٣] ولفظة **إمام** والجمع **الأئمة** ذكرها أبو حيان فى أماكن كثيرة من كتاباته فوصف رجل الدين بالإمام وكذلك رجل العلم ، ففى نص له يصف أعلام عصره وترد لفظة الإمام فى وصفه لمقابسة دارت فى مجلس أبى سليمان محمد ابن طاهر بن بهرام السجستانى وعنده أبو زكريا الصيمرى ، وأبو الفتح النوشجانى ، وأبو محمد العروضىّ والمقدسى ، والقومسى ، وغلام زحل ، وكل واحد من هؤلاء إمام فى شأنه ، وفرد فى صناعته[٤] .

---

(١) اللسان جـ ١ ص ١٠١ .
(٢) التعريفات للجرجانى ص ٣٧ .
(٣) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى جـ ١ ص ١٣٢ .
(٤) المقابسات ص ٥٧ .

ويحدثنا أبو حيان أحاديث عديدة متناثرة بين طيات كتاباته عن أساتذته الذين يلقبهم بالأئمة ، ويطلق على كل أستاذ منهم لفظة الإمام وهو إمام العلم وأكثر ما لقب أستاذه السيرافى بالإمام[1] ، ويورد نصوصًا لآخرين لقبوا أستاذه السيرافى بالإمام فيقول : وقد كتب إليه نوح بن نصر-وكان من أدباء ملوك آل سامان-سنة أربعين كتابًا خاطبه فيه بالإمام وسأله عن مسائل تزيد على أربعمائة مسألة وكان هذا الكتاب مقرونًا بكتاب الوزير البلعمى خاطبه فيه بإمام المسلمين ، ضمنه مسائل فى القرآن وأمثالاً للعرب مشكلة[2] والإمام هنا هو الذى له الرياسة العامة فى الدين وفى العلم . وفى نص آخر يذكر أبو حيان لفظة الإمام وهو يعظم أستاذه السيرافى ويصفه بالشيخ والإمام فيقول : قال شيخنا أبو سعيد السيرافى الإمام-نضر الله وجهه-المصادر كلها على تَفْعال بفتح التاء[3] .

وهناك نصوص كثيرة على هذه الشاكلة فما إن يذكر التوحيدى أستاذه السيرافى إلا ولقبه بالإمام والنصوص كثيرة لا مجال لذكرها . وترد لفظة إمام فى نصوص عديدة لأبى حيان بمعنى إمام الجماعة فى الصلاة ومرشدهم فى أمور الدين وفى هذا المعنى يقول فى بصائره : أبو بكر الفارسى صاحب كتاب الأصول بخراسان وكان إمامًا من أصحاب الشافعى رضى الله عنه[4] ويقول فى مثالبه ذاكرًا لفظة إمام بمعنى عالم الدين والمرشد : سمعت القاضى أبا حامد المروروذى يقول : وكان سيد الفقهاء فى وقته ، وإمام أصحابه فى عصره ، لو أن رجلين طاهرين زكيا رجلًا عند الحاكم ثم سأل الحاكم آخرين مرضيين عن ذلك المزكى بعينه فجرحاه لكان الحاكم يقدم الجرح على التزكية[5] .

---

(١) الصداقة والصديق ص ٢٩٩ وفى أماكن أخرى كثيرة من كتاباته .

(٢) الإمتاع جـ ١ ص ١٢٩، ص ١٣٠ .

(٣) الإمتاع جـ ٢ ص ٢ .

(٤) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢٥٠ .

(٥) مثالب الوزيرين ص ٣١٣ .

ترد لفظة إمام بمعنى عالم الدين والفقيه والمرشد فى نص لأبى حيان يقول فيه : قال الحسن البصرى : أربع قواصم للظهر : إمام تطيعه ويضلك وزوجة تأمنها وتخونك ، وجار إن علم خيرًا ستره أو شرًّا نشره ، وفقر حاضر لا يجد صاحبه عنه متلددًا[1] فى النص السابق بيّن أبو حيان أهمية الإمام فى ذكره لنص الحسن البصرى ، وأطلق لفظة الإمام اصطلاحًا للدلالة على عالم الدين وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : انظر إلى زمانك وإمامك وسلطانك[2] .

وترد لفظة إمام بمعنى القرآن الكريم ، والشّريعة الإسلامية وذلك فى نص لأبى حيان يحدثنا فيه عن حادثة جرت لشريك القاضى مع الخليفة العباسى المهدى فيقول على لسان شريك : ما أعرف دينًا إلا عن الجماعة فكيف أخالفها ، وأما الإمام فما أعرف إمامًا إلا كتاب الله وسنة نبيه ، فهما إمامى ، وعليهما عقيدتى ، وأما ما ذكره أمير المؤمنين أن مثلى لا يولى أحكام المسلمين فذاك شيء أنتم فعلتموه ، فإن كان خطأ فاستغفروا ربكم منه ، وإن كان صوابًا وجب عليكم الإمساك عنه[3] .

وفى نص آخر يذكر أبو حيان لفظة الإمام بمعناها الدينى كما جاء عند الشيعة فيقول : وقولهم : فلان يقول بإمامه المفضول ، هذا يراد به كأن أبا بكر قد فضله على فهو مفضول ، لكنه إمام[4] ، ويقول أبو حيان مبديًا رأيه فى مسألة دينية تتعلق بأقوال مِلة الرافضة عن الإمام المعصوم فيذكر لفظة الإمام : ها هنا أشياء لا حقيقة لها منها إمام الرافضة ، والاستطاعة مع الفعل ، والبذل للبخار والهيولى[5] ، ويذكر أبو حيان إمام الرافضة فى وصفه للوزيرين ابن عبادٍ وابن العميد فيقول :

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٣٧٢ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٤٥٣ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٢١٤ .
(٤) البصائر جـ ٢ ص ٥١٥ .
(٥) مثالب الوزيرين ص ٢٦٠ .

وإنهما كانا فى شعار إمام الرافضة وعصمته المعروفة[١] فى هذه النصوص التى ذكر فيها أبو حيان لفظة الإمام وحدد الطائفة أو الملة التى ادعت بهذا الإمام المعصوم ، هنا يتبين المعنى الدينى المحض الذى أطلقته بعض الفرق الدينية على الإمام .

ولفظة الجمع **أئمة** جاءت فى نصوص عديدة من كتابات أبى حيان ، ففى نص له من كتاب الإمتاع والمؤانسة يذكر لفظة أئمة مبينًا مركزهم الدينى وتأثيرهم على من يتولى أمور المسلمين فيقول : وللأئمة كلام كثير فى الإمامة والخلافة وما يجرى مجرى النيابة عن صاحب الديانة على فنون مختلفة وجمل متعددة[٢] ، ويذكر أبو حيان لفظة أئمة وهو يعنى آل البيت ومن يكون بمعيتهم فيقول داعيًا : حرس الله تعالى سرائرنا عن مقت الأئمة ، وعداوة الصالحين ، والاعتراض على السلف الطيب[٣] ، ويذكر أبو حيان أئمة المسلمين فى نص له جاء نقلًا عن أبى حنيفة فى خطبته التى يقول فيها : هذا زفر بن الهذيل ، وهو إمام من أئمة المسلمين ، وعلم من أعلامهم فى حسبه وشرفه وعلمه[٤] ، وفى نص آخر يذكر أئمة الكفر أى رؤساء الكفر وقادتهم فيقول واصفًا أحدهم : كان غاية فى سوء الأدب ، ومعدنًا من معادن الكفر ، وإمامًا من أئمة الشرك[٥] .

وترد لفظة أئمة فى حديث أبى حيان عن الصوفيّة ومقالاتهم فيقول فى الإمتاع والمؤانسة : لو جمع كلام أئمتهم وأعلامهم لزاد على عشرة آلاف ورقة عمن نقف عليه فى هذه البقاع المتقاربة[٦] وترد لفظة أئمة فى نصوص أخرى لأبى حيان بمعنى رواد العلم الأوائل والعلماء المتخصصين بشتى فروع العلم ومنهم أئمة اللسان

---

(١) مثالب الوزيرين ص ٥٥ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٣٣ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣١١ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٣١٤ .
(٥) مثالب الوزيرين ص ١٥٨ .
(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ٩٧ .

وهم علماء اللغة وبهذا المعنى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة أئمة : الشّاربة : الذين يَرِدون الماء فيشربون هكذا حفظت عن أئمة هذا اللسان وما لى منه إلا حظُّ الرواية[1] . وفى نص آخر يذكر لفظة أئمة فى مجال حديثه عن الفلسفة وشيوخها من اليونانيين الذين أخذ عنهم فلاسفة الإسلام فيقول فى مجلس من مجالس الإمتاع : وما عندى أن الأئمة الذين يأخذ عنهم ويقتبس منهم كأرسطوطاليس وسقراط وأفلاطون ، رهط الكفر ذكروا فى كتبهم حديث الظاهر والباطن[2] . وإمام على وزن فِعَال من صيغ الآلة وهو جمع بلفظ الواحد ، وليس على حد عدل ، لأنهم قالوا إمامان ، بل جمع مكسر وأيمه وأئمة شاذ والجمع أئمة[3] .

ومما تقدم نجد أن لفظة إمام والجمع أئمة جاءت عند أبى حيان بمعنى لغوى عام يدل على المتقدم الذى يؤتم به سواء كان إنسانًا أو كتابًا أو غيرهما . ومن هذا المعنى دلت لفظة إمام على الرئيس[4] ، والمُرشد المُصْلح[5] والمُحَدِّث الفذ[6] وعالم اللغة[7] ورائد الفلسفة[8] وجاءت أيضا بمعنى القرآن الكريم والشريعة الإسلامية[9] ، ولفظة إمام جاءت بمعنى اصطلاحى دينى محض وهو إمام الشيعة أى على وبنوه[10] وهذا المعنى الدينى الخاص الذى ذكره أبو حيان فى نصوص كثيرة من كتاباته لم يذكره صاحب اللسان عند تناوله لمادة (أم م) وتعريفه للفظة إمام والجمع أئمة التى جاءت فى اللسان بالمعنى العام ، أما فى مجال التغير الدلالى

---

(١) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١٦٦ . (٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٦ .
(٣) القاموس المحيط للفيروز آبادى جـ ١ ص ١٨١ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٤٥٣ ، ومثالب الوزيرين ص ١٥٨ ، والإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٢٩ .
(٥) مثالب الوزيرين ص ١٤٤ ، البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٣١٤ .
(٦) مثالب الوزيرين ص ٣١٣، ص ١٤٢ . (٧) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١٦٦ .
(٨) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٦ . (٩) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٢١٤ .
(١٠) مثالب الوزيرين ص ٥٥ ، ص ٢٦٠، والبصائر والذخائر جـ ٢ ص ٥١٥ .

فقد مرت لفظة إمام بأطوار مختلفة وانتقلت دلالتها من العام إلى الخاص ثم إلى العام الشامل والخاص المحدد بفرقة معينة من الفرق الدينية التى كثر عددها فى العصور العباسية . فى بدء استخدام لفظة إمام كانت ذات دلالة عامة وتخصصت هذه الدلالة – بعد ذلك – بظهور الفرق الدينية المختلفة ومنها فرقة الشيعة التى استعملت لفظة الإمام بالمعنى الدينى القائم على مفهوم الخلافة فى أفراد البيت العلوى بقوة إلهية مقدسة[1] ، وهذه اللفظة استمرت فى استخدامها اللغوى هذا حتى استقرت فى القرنين الأول والثانى الهجريين بمعناها العام وبمعناها الخاص ، والقرون التالية لهذه الفترة الزمنية لم تضف للفظة الإمام أى جديد فى مجال تطور الدلالة . وما أن نصل إلى عصر أبى حيان ، حتى نجد هذه اللفظة أصبحت دلالتها أكثر اتساعًا ؛ نتيجة لكثرة انتشارها فى كافة المجالات الدينية والدنيوية ، وأتساع دلالة لفظة الإمام عند أبى حيان لا يمنع من الإشارة إلى أن هذه اللفظة استخدمها أبو حيان فى بعض نصوصه بالمعنى الخاص بإضافة بعض الألفاظ لهذه اللفظة مثل الرافضة أو وصف الإمام بالمفضول لهذه الإضافة وهذا الوصف خصص من دلالة لفظة الإمام .

(٦) الحبر ، القس ، القمس / القماسة ، الراهب/الراهبة / الجاثليق :

جاءت فى كتابات التوحيدى ألفاظ خاصة برجال الدين غير المسلمين ولكنهم من أهل الكتاب ، وهم كثيرون فى العصر العباسى ؛ نتيجة لتمازج المسلمين بأهل الديانات الأخرى من أهل الكتاب وغيرهم ومن هذه الألفاظ التى وردت فى

(١) المقدمة لابن خلدون ص ٢٢٧ وجرى الخلاف فى أول من أطلق عليه لقب الإمام ولكن كما يقول حسن الباشا إنه من المتيقن أن لفظة الإمام أطلقت بالمفهوم الدينى القائم على النص الإلهى على على بن أبى طالب رابع الخلفاء الراشدين ، دراسات فى الحضارة الإسلامية ص ٣٩٠ .

كتابات أبى حيان الحِبْر والقسّ والرَاهِب والقُمس. يقول صاحب اللسان: الحِبْر والحَبْر واحد أحبار اليهود، وهم العلماء[١] والأحبار مختص لعلماء اليهود من ولد هارون كعب الحبر، والحِبْر ومعناه العالِم بتحبير الكلام والعلم وتحسينه. وقيل بالفتح والكسر للعالم ذميًّا كان أو مسلمًا بعد أن يكون من أهل الكتاب[٢] وجاءت لفظة الحَبْر عند أبى حيان بالفتح العالم الدينى الذى يجيد تحبير الكلام والعلم. ذكر أبو حيان لفظة الحَبْر فى نصوص عديدة من كتاباته فقال: سمعت الناشئ سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وقد قيل له: ما تقول فيما ترويه الناصبة من قول على رضى الله عنه أنه قال على منبر الكوفة: حَبْر هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، فقال: الخبر صحيح، نعم إنما أشار إلى هذه الأمة الفاسقة المرتدة وكان أبو بكر حَبْرها، لا لم يكن حبر من عرفتم[٣] فى النص السابق جاءت لفظة الحبر بمعنى عالم الإسلام وبمعنى عالم من علماء اليهود. وفى نص آخر يذكر أبو حيان لفظة حبر بمعنى من يجيد تحبير الكلام وتحسينه فيقول: كان على فى العلم عليًّا ، وكان عبد الله بن العباس الحَبْر والبحر، وكان العباس بن عبد المطلب إذا تكلم أخذ سامعه ما يأخذ النشوان على نقر العيدان، وأراك تسقط فى كلامك، وهذا لا يشبه منصبك ومحتدك[٤]. واختلف الفقهاء واللغويون فى الأحبار، يعلق الأصمعى على لفظة الحَبر فيقول: لا أدرى أهو الحَبْر أو الحِبر للرجل العالِم، ويؤكد الفراء إنما هو حِبْر، بالكسر، هو أفصح لأنه يجمع على أفعال دون فعل، ويقال ذلك للعالم وإنما قيل كعب الحِبْر لمكان هذا الحِبْر الذى يكتب به، وذلك أنه كان صاحب كتب، وكان أبو الهيثم يقول واحد الأحبار حَبْر لا غير وينكر الحِبْر[٥].

---

(١) اللسان جـ ١ ص ٥٤٨ .

(٢) الكليات لأبى البقاء جـ ٢ ص ٢٦٧ وانظر غرائب اللغة لرفائيل نخلة ص ١٧٩ .

(٣) البصائر والذخائر جـ ٤ ص ٢٩ .

(٤) مثالب الوزيرين ص ١٤٩ .

(٥) اللسان جـ ١ ص ٥٤٩ .

ولفظة أخرى القسّ وهو من مراتب رجال الكنيسة ويكون تحت يد الأسقف[1] وقد عرف صاحب اللسان القس بأنه رئيس من رؤساء النصارى فى الدين والعلم[2] يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة القّس فى بصائره : ما الغَسُّ ، وما القَسُّ[3] ويذكر أبو حيان القَسّ فقال : سألت على بن القاسم عن ابن عباد فى كتابته فقال : هو مجنون الكلام ، تارة تبدو لك منه بلاغة قَسّ ، وتارة يلقاك بعى باقل[4] ويقول : قال قيصر لقَسّ : ما أفضل الحكمة ؟ قال : معرفة الإنسان بقدره[5] . وقَسّ الذى يذكره أبو حيان فى نصوصه ويصفه بالبلاغة والحكمة هو كما عرفه صاحب اللسان قَسّ بن ساعده الإيادى أحد حكماء العرب ، وهو أسقف نجران[6] .

ثم لفظة أخرى تدخل فى مجال الحديث عن رجال الدين النصارى وهو القُمّس والجمع قمامس وقمامسة ، يقول صاحب اللسان : القومِسى : السيد وهو القمس والجمع قمامس وقمامسة[7] ، ويقول صاحب التاج : القُمّس الرجل الشريف وفسر بالسيد والجمع قمامس وقمامسة البطارقة[8] ، ويذكر أبو حيان لفظة القُمّس والجمع قماسة ويقول : قال ابن الكلبى : والقماسة الأشراف والواحد قمس[9] فى نص أبى خيان جاءت لفظة قماسة جمعا لقمس وليس قمامسة التى فسرها محقق كتاب البصائر ببطاركة أقباط النصارى[10] . ومن ألفاظ رجال الدين النصارى الراهب .

---

(1) مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ١٣ .

(2) اللسان جـ ٣ ص ٨٤ .

(3) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٧٩ .

(4) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٦١ .

(5) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٨٣٠ .

(6) اللسان جـ ٣ ص ٨٤ .

(7) اللسان جـ ٣ ص ١٦٢ .

(8) تاج العروس جـ ٤ ص ٢٢٣ .

(9) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣٩٧ .

(10) انظر الهامش البصائر جـ ١ ص ٣٩٧ .

يقول صاحب اللسان : ترهب الرجل إذا صار راهبًا يخشى الله ، والترهب التعبد ، والراهب : التعبد فى الصومعة ، وأحد رهبان النصارى[1] ، ويقول الجرجانى فى تعريفه للراهب : هو العالم فى الدين المسيحى من الرياضة والانقطاع من الخلق والتوجه إلى الحق[2] والراهب لفظة معربة عن السريانية[3] .

ترد لفظة الراهب فى نصوص عديدة من كتابات أبى حيان بمعناها الدينى العام وفى هذا المجال يقول أبو حيان : قيل لراهب : أين الطريق ؟ يسألونه عن الهداية فأشار إلى السماء وقال ها هنا[4] ، وترد لفظة راهب فى نص لأبى حيان يقول فيه محددًا مكان عبادته : قال بعض الصالحين : مررت براهب فى صومعته وهو يبكى ويقول : أمر عرفته فقصرت فى طلبه[5] وترد لفظة الراهب فى نص لأبى حيان يصف فيه الحسن البصرى فيقول ذاكرًا لفظة الراهب بمعنى المنقطع للعبادة ليلًا : قال هشام لخالد بن صفوان : أكنت تعرف الحسن ؟ قال كان فيما بلغنى فى داره صغيرًا ومجلسى فى حلقته كبيرًا ، قال : فكيف كان ؟ قال : كان أعمل الناس بما امره به ، وأترك الناس لما نهى عنه ، وكان إذا قعد على أمر قام به وإذا قام على أمر قعد به ، وكان معلمًا بالنهار وراهبًا بالليل[6] وفى هذا النص نرى أن لفظة الراهب أطلقت على الحسن البصرى وهو غنى عن التعريف ومكانته فى الإسلام معروفة ، ومذهبه فى الاعتزال واضح المعالم ، وجلى ، وقد جاءت لفظة الراهب هنا بمعنى المتعبد ليلًا الذى يقضى ليله فى الصلاة وخشية الله . أما لفظة راهبة فهى مؤنث راهب وقد ذكرها أبو حيان فى نص له محددًا معناها الخاص بالدين المسيحى

---

(١) اللسان جـ ١ ص ١٢٣٧ .

(٢) التعريفات للجرجانى ص ٥٨ .

(٣) غرائب اللغة رفائيل نخلة ص ٢٧٩ .

(٤) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٣٦ .

(٥) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ١٠٨ .

(٦) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٤٥٥ .

فقال : كان فى بعض الديارات راهبة قد انفردت بعبادتها وكانت تقرى الضيف[1] . وهذه الصيغة المؤنثة لم ترد فى اللسان .

وأخيرًا لفظة أخرى من الألفاظ الخاصة برجال الدين وهى لفظة الجاثليق المستعملة لرجال الدين النصارى ، فالجاثليق : الرئيس الدينى الأعلى عند الكلدان النساطرة فى أيام الملوك الساسانيين والخلفاء العباسيين[2] ، ويكون الجاثليق أو القاثوليق كما ذكره الخُوارزمى فى مفاتيح العلوم تحت يد البطريق ومقام الجاثليق فى حضرة الإمام ببلد العراق مدينة السلام فيكون تحت يد بطريق أنطاكية[3] وذلك بعد انتقال مركز الدولة الإسلامية إلى الشرق حيث أصبح هذا الرئيس الأكبر الذى تنتخبه الكنيسة ويصادق الخليفة على انتخابه وكان يمثل النصارى فى بلاط الخليفة[4] ، وقد جاءت لفظة الجاثليق فى نص لأبى حيان يقول فيه : وشتم أحدهم آخر فقال : يارأس الأفعى ، وياعصا المكارى ، ويابرنس الجاثليق ، ويا ناقوس النصارى[5] . ولفظة الجاثليق هذه لم ترد فى اللسان وهى من الألفاظ المعربة عن اليونانية[6] .

يتضح **مما تقدم** أن الألفاظ السابقة معربة ، وهى : الحَبْر ، والقَسّ ، والراهب ، والقُمسّ والقماسة ، والجاثليق ، جاءت عند أبى حيان بالمعنى الدال على رجال الدين المسيحى واليهودى .

فاللفظة حَبْر المعربة من السريانية جاءت عند أبى حيان بمعنى عالم الدين

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٢٢٩ .

(٢) الديارات كوكيس عواد، هامش ص ٢٨ .

(٣) مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٧٨ .

(٤) الحضارة الإسلامية ميتز جـ ١ ص ١٨ .

(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٥٩ .

(٦) غرائب اللغة رفائيل نخلة ص ٢٦ .

اليهودى وغير اليهودى(١) وأيضًا بمعنى العالم بتحبير الكلام(٢) ولفظة القسّ المشتقة من القسيس السريانية الأصل وكذلك لفظة الراهب والمؤنثة راهبة جاءت جميعها عند أبى حيان بمعنى الألفاظ الخاصة بالدين المسيحى(٣) وهذه المعانى ذكرها صاحب اللسان عند تناوله لهذه الألفاظ ، ولم ترد فى اللسان لفظة المفردة المؤنثة راهبة التى ذكرها أبو حيان فى كتاباته(٤)أما لفظة القمس والجمع قماسة كما جاءت عند أبى حيان–وهذا الجمع لم يرد فى اللسان–وكذلك الجاثليق وقد جاءت هذه الألفاظ– المعربة من اليونانية–عند أبى حيان بمعنى يدل على مراتب رجال الدين المسيحى . ومن الملاحظ أن لفظة الجاثليق لم ترد فى اللسان فهى جديدة مبنى ومعنى عند أبى حيان .

وفى مجال التغير الدلالى نلاحظ أن هذه الألفاظ السريانية واليونانية قد تغيرت دلالتها حينما انتقلت إلى العربية ، وكان هذا التغير إما بتخصيص الدلالة للكلمة وإما بتعميمها . فمن الألفاظ التى تخصصت دلالتها بعد أن عربت لفظة الجاثليق فى اليونانية معناها عام ثم تخصص بحيث أطلق بعد التعريب على أعلى مرتبة من مراتب رجال الكنيسة ، وأيضا لفظة القمس فى اليونانية تعنى عامة من يحمل لقب شرف فى الإمبراطورية الرومانية وبعد أن انتقلت إلى العربية أصبحت خاصة بالمرتبة العالية لرجل الكنيسة . ولفظ القس فى السريانية تدل على الشيخ والكاهن ، وبعد تعريبها أصبحت دلالتها مخصصة فدلت على مرتبة رجل الكنيسة وهو تحت القمس والجاثليق .

---

(١) البصائر جـ ٤ ص ٢٩ .
(٢) مثالب الوزيرين ص ١٤٩ .
(٣) البصائر جـ ٢ ص ٨٣١ ، ص ٣٦ ، ص ٤٥٥ .
(٤) البصائر جـ ٢ ص ١٠٨ .

أما الألفاظ التى أصبحت دلالتها عامة بعد تعريبها فهى لفظة الحبر ولفظة الراهب ، فالحبر فى السريانية أحد علماء اليهود ، وأصبحت فى العربية أكثر تعميمًا فدلت على عالم الدين من أهل الكتاب ، والعالم بتحبير الكلام ، أما لفظة الراهب ففى السريانية تعنى رجل الدين المتعبد المسيحى وفى العربية أصبحت بعد تعريبها تطلق على كل متعبد منقطع إلى عبادة الله وخشيته .

* * *

ثانيا : المصطلحات الخاصة بالفقه :

وتشمل المصطلحات الخاصة بالفقه وعلومه (١٩) كلمة وهى :

اجتهاد ، إجماع ، أصول الفقه ، افتيات ، شرائع ، شريعة ، علم القياس ، فتوى ، فتيا ، فقه ، فقهية ، قياسى ، قياس ، قياسية ، قيس ، مقايسة ، مقاييس ، مقيس ، مقيسة .

وفيما يلى جدول بنسبة شيوع هذه المصطلحات فى كتابات التوحيدى :

الكلمة	عدد مرات ورودها	الكلمة	عدد مرات ورودها
قياس	٧١	مقايسة	١
شريعة	٣٧	مقاييس	١
اجتهاد	٢٤	قيس	١
فتيا	٩	قياسية	١
فقه	٤	قياسى	١
إجماع	٤	أصول الفقه	١
مقيس	٤	أصول الشريعة	١
شرائع	٢		
علم القياس	٢		
فتوى	١	المجموع الكلى	١٩
افتيات	١		
فقهية	١		
مقيسة	١		

ولقد أمكن تقسيم هذه المجموعة من المصطلحات الدينية الخاصة بالفقه وأصوله إلى خمس مجموعات دلالية حسب ورودها فى كتابات أبى حيان .

ثانيا : المصطلحات الخاصة بالفقه

الفقه ، أصول الفقه ، الشريعة :

الفِقه : العِلم بالشيء والفهم له والفقه : الفِطْنة . وقد غلب على عِلْم الدين لسيادته وشَرفه وفَضْلِه على سائر أنواع العلم[1] والفِقْه فى اللغة هو عبارة عن فِهْم غرض المتكلم من كلامه ، وفى الاصطلاح هو العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية ، وهو علم مستنبط بالرأى والاجتهاد ويحتاج فيه إلى النظر والتأمل[2] . والفِقْه فى العرف : الوقوف على المعنى الخفى الذى يتعلق به الحكم[3] وسمى علم الشرع فقها لأنه مبنى على معرفة كلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ ويُعَرِّف أبو حيان الفِقْه فى رسالته المعنونة فى بيان ثمرات العلوم فيقول :[4] الفِقْه دائر بين الحلال والحرام وبين اعتبار العلل فى القضايا والأحكام وبين الفرض والنافلة وبين المحظور والمباح وبين الواجب والمستحب وبين المحثوث عليه والمنزه عنه ، وكل ذلك موقوف على ظاهر الكتاب وباطنه وتنزيله وتأويله ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وتقديمه وتأخيره وعمومه وخصوصه وإجماله وتفسيره وإطلاقه وتقييده وجمعه وتوحيده وكنايته وضميره ومجازه وحقيقته وتعريضه وتصريحه وإشباعه ونصه وأغراضه ومفهومه وشرحه وحذفه وزيادته وإشارته وتوكيده ووعده ووعيده سوى أسرار تجل عن إفهام الخلق[5] .

---

(١) اللسان جـ ٢ ص ١١١٩ .

(٢) التعريفات للجرجانى ص ١٧٥ .

(٣) الكليات لأبى البقاء جـ ٣ ص ٣٤٤ .

(٤) الفروق فى اللغة ، أبو هلال العسكرى ، ص ٨٠ .

(٥) رسالة فى ثمرات العلوم ص ١٩١ .

ويقول أبو حيان فى تعريفه لعلم الفقه : العلوم ثلاثة عِلْم يرفع ، وعِلْم ينفع ، وعِلْم يزين ، الرافع الفِقْه ، والنافع الطب ، والمزين الأدب[1] ويقول أيضا : العلوم أربعة : الفِقْه للأديان ، والطب للأبدان ، والنجوم للأزمان والنَّحْو للسان[2] وفى حديثه عن أصناف الناس يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الفِقْه : خلق الله الناس أطوارًا ، فطائفة للسياسة وطائفة للفقه والسنة ، وطائفة للبأس والنجدة ، وآخرون بين ذلك يكدّرون الماء ويغلون السعر[3] ويقول أبو حيان موضحًا لفظة الفِقْه فى معناها الاصطلاحى : الفقه الذى قصد صاحبه فيه إصابة الحكم ، وإقتضاب الفُتيا ، وإيجاب الحق ، ورفع الخلاف ، وإقناع الخصم ، وحسم مواد التنازع ورد أهله إلى الرضا والتسليم[4] ، وترد لفظة فقه فى أماكن كثيرة من كتابات أبى حيان لا يمكن حصرها ويذكر أبو حيان علماء عصره الذين نبغوا فى الفقه والذين ابتعدوا عن هذا العلم فيحدثنا عن أستاذه أبى سعيد السيرافى ذاكرًا لفظة الفقه فى حديثه فيقول : كان أبو سعيد بعيد القرين ، لأنه كان يقرأ عليه القرآن والفقه والشروط والفرائض والنحو واللغة[5] .

ويقول أبو حيان فى حديثه عن المروروزى ونبوغه فى علم الفقه : وكان أصحابنا المتكلمون لا يرون له وزنًا فى الكلام ، ولا يعدونه فى طبقة أهل التمام . ويقولون : الفقه مسلم إليه ، والسِّيَر موقوفة عليه ، فأما ما عداهما فهو ظالم فيه إن تكلم[6] ، ويقول أبو حيان على لسان أبى زيد المروزى الفقيه فى حديثه عن علم الكلام ذاكرا لفظة الفقه : ثم ثبتنى الله تعالى على هجران هذا الفن ، وأقبل بى على الحق والفقه ، وبلغنى هذا الحال التى أسأل الله عز وجل تمامها وخير عاقبتها[7].

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٧٤٩ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١١٣ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٤٨ .
(٤) المقابسات ص ٥٨ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٣٣ .
(٦) البصائر جـ ١ ص ٥٥١ .
(٧) البصائر جـ ١ ص ٤٠٨ .

فى نص أبى حيان الذى أورده على لسان الفقيه أبى زيد يتضح الفرق بين الفقه وعلم الكلام وأن علم الفقه هو الحق وأن الفقيه لا يرضيه أن يتشبه بالمتكلم لما يتمتع به الفقيه من مكانة رفيعة فى ذلك العصر[1] . ويواصل أبو حيان حديثه عن معاصريه ولفظة الفقه ترد فى أحاديثه التى يذكرها فى كتاباته ففى كلامه عن أبى حنيفة والكسائى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الفقه : حضر على بن حمزة الكسائى وأبو حنيفة عند هارون الرشيد ، فقال أبو حنيفة للكسائى مالكَ لا تنظر فى الفقه ؟ فقال له الكسائى : أنا أفقه منك[2] ويقول أبو حيان : رأيت الجبائى وقد ألم فى كتبه الكلامية بشىء من الفقه فبدت سوءته ، وأمل الحاسد الوقيعة فيه[3] هذا مثال لمن لا يجيد الفقه وآخر يقول فيه أبو حيان : وأما ابن خيران فشيخ لا يعدو الفقه ، وفيه سلامة[4] وهناك طائفة من العلماء ممن كان لا يستسيغ الفِقْه ولا يقترب منه ويذكر أبو حيان مثالًا على هذا فيقول موردًا لفظة الفقه فى قوله : قال يونس بن عبد الأعلى : قدم على الليث بن سعد منصور بن عمار يسمع منه الحديث فقال له : إنى أتيت شيئا أريد أن أعرضه عليك ، فإن كان حسنًا أمرتنى أن أذيعه ، وإن كان مما تكرهه انزجرت ، قال : ما هو ؟ قال : كلام الفِقْه ومواعظ القصاص ، قال : ليس غير القرآن والسنة ، وما خالف ذلك فليس بشىء[5] .

ويقول التوحيدى ذاكرًا لفظة الفِقْه : بلغنى أن ابن عباس كان يقول فى مجلسه بعد الخوض فى الكتاب والسنة والفقه والمسائل : احْمِضُوا ، وما أراه أراد بذلك إلا لتعديل النفس لئلا يلحقها كلال الجد ، ولتقبس نشاطا فى المستأنف[6] .

---

(١) البصائر جـ ١ ص ٤٠٨ .

(٢) البصائر جـ ٢ ص ٢٧ .

(٣) البصائر جـ ٣ ص ٦٠١ .

(٤) الإمتاع جـ ١ ص ١٤١ .

(٥) البصائر جـ ٣ ص ٦٨ .

(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٦٠ .

ومصطلح **أصول الفقه** يذكره أبو حيان فى كتاباته وهو العلم الذى يتعرف منه تقرير مطلب الأحكام الشرعية العملية وطرق استنباطها ومواد حججها واستخراجها بالنظر[1] فيقول أبو حيان فى نصوصه : فعلى جميع الأحوال لا يكون الكاتب كاملا ، ولا لاسمه مستحقا ، إلّا بعد أن ينهض بهذه الأثقال ، ويجمع إليها أصولا من الفقه مخلوطة بفروعها[2] ، وقال أيضا ذاكرًا أصول الفقه وذلك فى حديثه عن الصاحب ابن عباد : وجمع كتبى وأحرقها بالنار وفيها كتب الفراء والكسائى ، ومصاحف القرآن وأصول كثيرة فى الفقه والكلام[3] ، وبذلك يختلف الفقه عن علم الأصول فى أن الأصول هو المنهاج الذى يبين الطريق الذى يلتزمه الفقيه فى استخراج الأحكام من أدلتها . أما الفقه فهو استخراج الأحكام مع التقيد بهذه المناهج[4] .

ومن المادة (ف ق هـ) يذكر أبو حيان الأفعال فَقِه وتَفَقّه ويتفقه ففى نصوص من كتاباته يرد الفعل « **فقه** » وذلك فى قوله : ليس الشأن على أن يفهم من أعجمى طمطمته فإن ذلك المفهوم لم يكن عن تمام اللفظ وصحة التأليف ، وإنما حدث بدلالة ما سمع على ما كان قارًّا فى الصدر منسوخًا عند العقل ، فلا يغرنك ذلك فتظن أنك متى سمعت كلامًا آخر فَقِهْتَهُ كذلك ، أقبستَه إلى هناك[5] ويذكر الفعل تفقه فيقول : سمعت أبا حامد يقول لأبى طاهر العبادانى وكان يتصوّف ويتفقّه : لا ينبغى أن تصحب ثلاثة : الجندى والعلوى والصوفىّ[6] وقال

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى جـ ١ ص ٤٠ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص ١٠٠ .

(٣) مثالب الوزيرين ص ١٢٦ .

(٤) المدخل للفقه الإسلامى محمد مدكور ص ١٩٥ ، وأصول الفقه المتفق عليها يذكرها الخوارزمى فى مفاتيح العلوم ص ٦ ، وهى كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة وهى الأصول المتفق عليها ، والمختلف فيها القياس ، والاستحسان والاستصلاح .

(٥) البصائر جـ ٢ ص ٩٢ .

(٦) البصائر جـ ١ ص ٣٤٢ .

أبو حيان ذاكرًا الفعل **تفقه** : قال عبد العزيز الدراوردى : كان مالك ينظر فى كتب أبى حنيفة ليتفقه بها[1] .

ويذكر أبو حيان فى كتاباته اشتقاقات متنوعة من المادة « ف ق هـ » مثل **فقهيّة** ، **وأفقه** ، **وتَفَقُّه** . ففى نص له من بصائره يذكر لفظة **فقهية** فيقول فى حديثه عن أبى الحسن العامرى : شاهدته ببغداد سنة ستين وقد حضر مجلس أبى حامد المروروزى وتكلم فى مسألة فقهية وهى تحليل الخمر[2] .

ويذكر أبو حيان اللفظة **أفقه** فى بصائره أيضا فيقول : قال عبد الله بن المبارك كتبت عن أفقه الناس ، عن أبى حنيفة ، وأعبد الناس الحسن بن صالح[3] ولفظة **تَفَقُّه** ترد عند أبى حيان فى نص له يصف فيه ابن عباد فى مجلس من مجالس الإمتاع فيقول معددًا أساتذته : وعلى عيسى بن دأب فى الرواية ، وعلى الواقدى فى الحفظ ، وعلى النجار فى البدل ، وعلى ابن ثوابة فى التَّفَقُّه[4] وفى ختام كلام أبى حيان عن الفقه واشتقاقاته يقول : لا خير فى منظر لا مخبر له ، ولا خير فى فقه لا ورع معه[5] .

مما تقدم يتضح أن لفظة الفِقْه التى هى فى الأصل من الشَّق والفتح[6] جاءت عند أبى حيان بالمعنى الاصطلاحى الخاص بالعلوم الشرعية . ولفظة الفقه من الألفاظ التى ظهرت بظهور الإسلام وعرفت فى القرن الأول الهجرى ثم استقرت دلالتها واتخذت مصطلحًا فى العلوم الشرعية فى القرن الثانى الهجرى ، فتحولت دلالتها من معناها العام إلى معناها الخاص بعد أن اختص الفقه بعلم الدين وزاد تخصيصًا بعلم الفروع منها[7] .

---

(١) البصائر جـ ٢ ص ٦٠٢ .

(٢) البصائر جـ ٣ ص ٥٤٥ .

(٣) البصائر جـ ٢ ص ٣١٣ .

(٤) الإمتاع جـ ١ ص ٥٨ .

(٥) الصداقة والصديق ص ١٠٥ .

(٦) اللسان جـ ٢ ص ١١١٩ .

(٧) معجم ألفاظ القرآن جـ ٢ ص ٣٤٣ .

أما مصطلح أصول الفقه فهو من التراكيب اللغوية التى استخدمت فى العصر العباسى وكثر استخدام هذا المصطلح فى عصر أبى حيان واستخدمه فى كتاباته متضمنًا معنى اصطلاحيًّا جديدًا .

ولفظة شريعة والجمع شرائع ترد فى كتابات أبى حيان كثيرًا بمعانٍ متعددة والمعاجم العربية عرفت لفظة الشريعة وأسهبت فى شرحها لهذه اللفظة ، فصاحب اللسان يقول فى معجمه معرفا لفظة الشريعة : الشريعة والشرعة : ما سنَّ الله من الدين وأمر به كالصوم والصلاة والحج والزكاة وسائر أعمال البِرّ مشتق من شاطئ البحر ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ لكل جعلنا منكم شِرعة ومنهاجًا ﴾ ، قيل فى تفسيره : الشِّرعة الدين ، والمِنهاج الطريق ، وقيل : الشِّرعة والمِنهاج جميعًا الطريق ، والطريق ههنا الدين . وعن ابن عباس : شِرعة ومِنهاجًا سبيلًا وسُنة ، وعن قتادة : شِرعة ومِنهاجا ، الدين واحد والشريعة مختلفة ، وعن الفراء فى قوله تعالى ﴿ ثم جعلناك على شريعة ﴾ : على دين ومِلة ومِنهاج ، وكل ذلك يقال . وعن القتبى : على شريعة على مِثال ومَذهب[1] . وفى التعريفات يقول الجرجانى : الشريعة هى الائتمار بالتزام العبودية وقيل الشريعة هى الطريق فى الدين[2] ويعرف التهانوى لفظة الشريعة فى كشافه ويسهب فى الكلام عن أصولها وتعاليمها فيقول : الشريعة ما شرَّعَ الله تعالى لعباده من الأحكام التى جاء بها نبى من الأنبياء صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم ، سواء كانت متعلقة بكيفية عمل وتسمى فرعيّة وعمليّة ودون لها عِلْم الفِقْه ، أو بكيفية الاعتقاد وتسمى أصليّة واعتقاديّة ودون لها علم الكلام ، ويسمى الشَّرع أيضًا بالدين والملة ، فإن تلك الأحكام من حيث إنها تطاع دين ، ومن حيث إنها تملى وتكتب مِلة ، ومن حيث إنها مشروعة شرع ،

---

(١) اللسان جـ٣ ص ٢٩٩ .

(٢) التعريفات للجرجانى ص ١٣٢ .

فالتفاوت بينهما بحسب الاعتبار لا بالذات ، إلَّا أن الشَّريعة والمِلة تضافان إلى النبى عليه السلام ، وإلى الأمة فقط استعمالًا . والدين يضاف إلى الله تعالى أيضا[١] ويقول التهانوى : والشريعة كل طريقة موضوعة بوضع إلهى ثابت من نبى من الأنبياء ويطلق كثيرًا على الأحكام الجزئية التى يتهذب بها المكلف معاشًا ومعادًا ، وسواء كانت منصوصة من الشارع أو راجعة إليهْ[٢] .

ويعرف أبو حيان لفظة الشريعة والجمع شرائع بمعناها اللُّغوى فيقول : الشرائع جمع شريعة ، وهى حيث يُشَرَّع فى الماء ، وكأنَّ الشريعة فى الدّين من هذا لأنَّ صاحبَها يشرب منها فَيَروى[٣] ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الشريعة بمعناها الاصطلاحى : هى هيئة فى آخر الذروة البشرية ، تصدر عن القوة الإلهية ليس لها هناك طبيعة ولا معادن حسيّة :[٤] ويقول أبو حيان فى تعريفه للفظة الشريعة فى نصٍّ له من كتاب الإمتاع والمؤانسة : الشَّريعة هى الروحانيّة ، لأنها صوت الوحى والوحى من الله عز وجل[٥] ومعانٍ أخرى للشريعة يذكرها التوحيدى فى نصوصه فيقول : الشريعة مأدبة الله للعباد[٦] .

ويذكر أبو حيان لفظة الشريعة بمعناها الأخلاقى فيقول فى مدحه لابن العميد : قد أتى بنبوة الكرم ، وإمامة الأفضال ، وشريعة الجود ، وخلافة البذل[٧] ، وقال أيضا فى هذا المعنى : ولهذا طال كلام الأولين فى الأخلاق ، وجاءت الشريعة واللغة واضحة كلا فى موضعها[٨] ، وفى مجال التساؤل الفلسفىّ يذكر أبو حيان لفظة الشريعة فى حديثه عن إخوان الصفا فيقول : كيف يسوغ لإخوان الصفا أن

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون جـ ٤ ص ١٢٩ . (٢) كشاف اصطلاحات الفنون جـ ٤ ، ص ١٣٠ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٥٢٧ . (٤) المقابسات ص ٤٧٣ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣ . (٦) الإشارات الإلهية ص ٢٤٨ .
(٧) مثالب الوزيرين ص ٣٢٩ . (٨) مثالب الوزيرين ص ١٦٦ .

ينصبوا من تلقاء أنفسهم دعوة تجمع حقائق الفلسفة فى طريق الشريعة ؟[1] ، ويسأل أحد أساتذته قائلًا : حدثنى أيها الشيخ : على أى شريعة دلت الفلسفة ؟ أعلى اليهوديّة أم على النصرانيّة أم على المجوسيّة ، أم على الإسلام[2] ويرد عليه أستاذه أبو سليمان قائلا : إن الفلسفة حق لكنها ليست من الشريعة فى شىء ، والشريعة حق لكنها ليست من الفلسفة فى شىء[3] . ويقول أبو حيان موردًا لفظة الشريعة : قيل لأبى سليمان يوما : لِمَ لم يصف التوحيد فى الشريعة من شوائب الظنون ، وأمثلة الألفاظ كما صفا ذلك فى الفلسفة ؟ وقد سمعناك تذكر غير مرة : إن الشريعة ، إذا كانت حقا ، لا تكون كذلك إلّا بقوة إلاهية[4] .

ويقول أبو حيان فى ختام كلامه عن الشريعة والفلسفة : إن الشريعة إلهيّة ، والفلسفة بشريّة[5] . ويقول أبو حيان ذاكرًا الشريعة العربية أى المِلة العربية : وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال[6] فى نص أبى حيان جاءت لفظة الشريعة بمعنى المِلة والطريقة .

ومع لفظة الشريعة يذكر أبو حيان فى كتاباته مصطلح **أصول الشريعة** فيقول فى هوامله معلقًا على مسألة دينية : وهذه مسألة ليس يجب أن يكون مكانها فى هذه الرسالة ، لأنها ترد على الفقهاء أو على المتكلمين الناصرين للدّين ، لكنى أحببت أن يكون فى هذا الكتاب بعض ما يدل على أصول الشريعة[7] ، ويرد مصطلح **أحكام الشريعة** فى نص لأبى حيان يقول فيه : إن النّاظر فى أحوال الناس ينبغى أن يكون قائمًا بأحكام الشريعة ، حاملًا للصغير والكبير على طرائقها المعروفة، لأن

---

(١) الإمتاع جـ ٢ ص ٨ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٤ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٨ .
(٤) المقابسات ص ٢٦٥ .
(٥) الإمتاع جـ ٢ ص ٢١ .
(٦) الإمتاع جـ ٢ ص ٥ .
(٧) الهوامل والشوامل ص ٣٢٩ .

الشريعة سياسة الله فى الخلق[1] ويقول أيضا معقبًا على كلام أبى حامد المروروزى : كان يقول كلامًا كثيرًا يتصل بأصول السياسة وآدابها ، وأحكام الشريعة وتأويلاتها وعلى قدر ما تعين فى ذلك أرويه وأكتبه لك[2] .

ويذكر أبو حيان لفظة الجمع الشرائع فيقول متسائلا : النواميس الخفية والشرائع الإلهية هل لهما أسرار طبيعية أو رسوم عقلية ؟[3] ويقول أبو حيان موضحًا لفظة الشرائع : على أنا ما وجدنا الديانيين من المُتهالين من جميع الأديان يذكرون أن أصحاب شرائعهم قد دعوا إلى الفلسفة وأمروا بطلبها واقتباسها من اليُونانيّين[4] ، ويقول أبو حيان أيضا موردًا لفظة شرائع بمعناها الدينى : هذا كلام على طريق الصالحين وأهل الديانة من أصحاب الشرائع[5] ولفظة شرائع وردت عند أبى حيان بمعناها المادى أى بمعنى موارد الماء وذلك فى قوله : الله أسأل أن يزيدك من مواهبه الصافية ما تصير به فردًا ، ويوردك من شرائعه الصافية ما تزداد به[6] .

يتضح مما تقدم أن لفظة شريعة والجمع شرائع جاءت عند أبى حيان بمعانٍ متنوعة منها المعنى اللغوى الدال على موضع ورود الماء الجارى[7] ومنها المعنى الاصطلاحى الدال على الدّين[8] والمِلة[9] والمذهب[10] والطريقة الموضوعة بوضع إلهى ثابت من نبى من الأنبياء[11] ، وهذا المعنى هو الأكثر ورودًا عند أبى حيان . ومن الملاحظ أن هذه المعانى المتعددة للفظة شريعة والجمع شرائع التى

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٣٣ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٦٦٧ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٦٠٨ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٨ .
(٥) المقابسات ص ١٦٧ .
(٦) الإشارات الإلهية ص ١٥ .
(٧) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٥٢٧ .
(٨) الهوامل والشوامل ص ١٤٨ . وانظر الإمتاع جـ ٢ ص ١٤ .
(٩) الإمتاع جـ ٢ ص ٥ .
(١٠) البصائر جـ ٣ ص ٥ .
(١١) الإمتاع جـ ٢ ص ٢١ .

ذكرها أبو حيان هى نفس المعانى التى جاءت فى اللسان . وتبين لنا هذه المعانى ظاهرة المشترك اللفظى للفظة الشريعة .

وفى مجال التغير الدلالى نلاحظ أن لفظة شريعة قد انتقلت دلالتها من مجال مادى إلى مجال آخر معنوى لوجود قرينة بين الدلالتين .

(٢) الفتيا / الافتيات ، الفتوى :

الفُتيا ، والفتوى ، والافتيات من الألفاظ الفقهية التى تبيّن المُشْكِل من الأحكام . وأصل الفُتيا من الفتى وهو الشاب الحدث الذى شب وقوى ، فكأنه يقوى ما أشكل ببيانه فيشب ويصير فَتِيًّا قويًّا ، وأفتى المفتى إذا أحدث حكمًا . والفتيا والفتوى والفتوى : ما أفتىٰ به الفقيه[1] وعن الفُتيا يقول ابن خلدون فى المقدمة : أن السنة مختلفة الطرق فى الثبوت وتتعارض فى الأكثر أحكامها فتحتاج إلى الترجيح وهو مختلف أيضا فالأدلة منْ غير النصوص مختلفة فيها وأيضا فالوقائع المتجددة لا توفى بها النصوص وما كان منها غير ظاهر فى المنصوص فيحمل على المنصوص لمشابهة بينهما وهذه كلها إشارات للخلاف ضرورية الوقوع ومن هنا وقع الخلاف بين السلف والأئمة من بعدهم[2] ، ويقول ابن خلدون مواصلًا كلامه عن الفتيا : إن الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فتيا ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم وإنما كان ذلك مختصا بالحاملين للقرآن العارفين بناسخه ومنسوخه ومتشابهه ومحكمه وسائر دلالته بما تلقوه من النبى ﷺ أو ممن سمعه منهم[3] .

وقد وردت هذه الألفاظ فى نصوص كثيرة من كتابات أبى حيان ففى نص له من بصائره يذكر أبو حيان لفظة الفُتيا بمعناها الفقهى الاصطلاحى فيقول : ومن

---

(١) اللسان جـ ٢ ص ١٠٥١ .

(٢) المقدمة لابن خلدون ص ٤٤٥ .

(٣) المقدمة ص ٤٤٦ .

العلماء من ينصب للفتيا فيفتى بالخطأ والله يبغض المتكلفين فذاك فى الدرك الخامس من النار[١] ، ويقول أبو حيان أيضا فى نص آخر موردًا فيه لفظة الفُتْيا بالمعنى الاصطلاحى : وكذلك الفقه الذى قصد صاحبه فيه إصابة الحكم ، واقتضاب الفُتيا ، وإيجاب الحق ورفع الخلاف ، وإقناع الخصم ، وحسم مواد التنازع ورد أهله إلى الرضا والتسليم[٢] ويقول ذاكرًا لفظة الفُتيا بمعناها العام فى نص له ورد على لسان أبى سليمان : قال أبو سليمان : التمام أليق بالمحسوسات ، والكمال أليق بالأشياء المنقولة ، قال : وليست هذه الفُتيا منى جازمة ولا من العرب العاربة مروية[٣] .

ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الفُتيا : إذا سئلت عما لا تعلم أن تقول : لا أعلم ، وقل إذا علمت ، واصمت إذا جهلت ، وأقلل الفُتيا[٤] ، ويذكر أبو حيان لفظة الفُتيا فى نص يتحدث فيه عن ابن عباس ، قال ابن عباس : وقد بلغت من الكبر عتيا ، قال خمس وتسعون ، ويعلق أبو حيان على حديث ابن عباس فيقول : ليت ابن عباس عرفنا وجه هذا القول ، فإنه فُتيا مجردة والله لا يدل عليه والعرف لا يشهد له[٥] ويذكر أبو حيان فى نصوص من كتاباته بعض المسائل التى تحتاج إلى الفُتيا فيسأل معاصره الفَقيه ابن زرعة عن الصاحب ذاكرًا لفظة الفُتيا بمعنى الحكم : ما أحوجنى إلى فُتياك فى هذا الرجل ؟ فقال قد والله جبت الآفاق ولقيت أصناف الناس فى الشرق والغرب فما رأيت رجلًا فى جنونه أعقل منه ، ولا فى عقله أجن منه[٦] . وترد لفظة الفُتيا فى نص آخر بمعنى الحكم اللغوى :

ففى أحد مجالس الإمتاع والمؤانسة يوجه له الوزير بعض الأسئلة مثل من لقبه

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٦١٢ .
(٢) المقابسات ص ٥٨ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١٣٥ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ١٤ .
(٥) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٤٤٠ .
(٦) مثالب الوزيرين ص ٢١٢ .

الخُرَسِيّ إلى أى شىء يُنْسَب ؟ فيجيبه . يقال : رجل خُراسانِىّ وخُرَسِيّ ، وخُراسِىّ ، ولكن الوزير يظل متسائلًا فيقول له : من أين لك تلك الفُتيا ؟ فكان من الجواب : قرأته على أبى سعيد الإمام فى شرحه كتاب سيبويه[1] .

ولفظة **فَتْوى** ومعناها ما أفتى به الفقيه وترد فى اللسان بلغتين فَتْوى ، وفُتْوى والفتح فى الفَتوى لأهل المدينة[2] وقد ذكر أبو حيان لفظة الفَتوى فى كلامه عن أبى سعيد السيرافى فقال : أبو سعيد أجمع لشمل العلم ، وأنظم لمذاهب العرب وأدخل من كل باب ، وأخرج من كل طريق ، وألزم للجادة الوسطى فى الدّين والخلق وأروى فى الحديث ، وأقضى فى الأحكام ، وأفقه فى الفَتوى[3] . وذكر أبو حيان لفظة الجمع **أُفْتيات** فى أحد نصوصه الواردة فى كتاب المقابسات ، فقال : والكلام فى العَقل ، والعاقِل ، والمعقُول ، واسع . ولسنا نقدر على أكثر من هذا الإيضاح ، فى هذا الوقت ، مع تقسم البال ، وأُفتيات القول[4] ، وفى اللسان لم يذكر لنا ابن منظور لفظة **أُفتيات** ولم أجدها فى معظم المعاجم العربية التى اعتمدتها فى البحث عن الكلمات ومعانيها وأصولها . فلفظة أفتيات إذن صيغة جديدة من المادة فتى استخدمها أبو حيان فى كتاباته جمعًا للفظة فُتيا .

ومما تقدم نجد أن الألفاظ فتيا وفتوى وأفتيات جاءت عند أبى حيان بالمعنى الاصطلاحى وهو تبين المشكل من الأحكام وهو الاستعمال المعنوى لهذه الألفاظ وأصلها من الفتى فتحولت الدلالة من المجال المادى إلى المجال المعنوى مع وجود رابطة بين الدلالتين وهو القوة على ما يشكل .

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٢٢٢ .
(٢) اللسان جـ ٢ ص ١٠٥١ .
(٣) الإمتاع جـ ١ ص ١٢٩ .
(٤) المقابسات ص ٤٦٩ .

(٣) الإجمـــــاع :

لفظة الإجماع من الألفاظ الفقهية ، وتعتبر من الأدلة الشرعية ، وابن خلدون فى مقدمته يقول : وتعينت دلالة الشرع فى الكتاب والسُّنة ثم ينزل الإجماع منزلتهما لإجماع الصحابة على النكير على مخالفتهم ولا يكون ذلك إلا عن مستند لأن مثلهم لا يتفقون من غير دليل ثابت مع شهادة الأدلة بعصمة الجماعة فصار الإجماع دليلًا ثابتًا فى الشرعيات(١) . والإجماع فى اللغة العزم والاتفاق(٢) وفى الاصطلاح اتفاق المجتهدين من أمة محمد عليه السلام فى عصر على أمر دينى(٣) وهو من أصول الفِقْه المتفق عليها(٤) والمراد بالاتفاق الاشتراك فى الاعتقاد ، أو الأقوال أو الأفعال ، أو السكوت ، أو التقرير(٥) ، ويقول التهانوى فى كشافه شارحًا بإسهاب معنى الإجماع أذكر ملخصًا لما قاله : واحترز بلفظ المجتهدين بلام الاستغراق عن اتفاق بعضهم ، وعن اتفاق غيرهم من العوام والمقلدين ، فإن موافقتهم ومخالفتهم لا يعبأ بها . ومعنى قولهم فى عصر : فى زمان ما قل أو كثر . وفائدته الإشارة إلى عدم اشتراط انقراض عصر المجمعين(٦) .

ولفظة الإجماع يعرفها أبو حيان بقوله : وحَدّ الإجماع عدم الخلاف بين من يسمع وينسب القول إليهم(٧) . ويذكر أبو حيان لفظة الإجماع مع مجموعة من الألفاظ الفقهيّة كان يتجاذب بها الحديث مع أبى الحسن إسحاق الطبرى . وقد طلب منه الطبرى أن يصف له مجلس أبى الفرج بن العباس وهو يتدفق بالكلام مع ابن طرارة فقال الطبرى : ارسم لنا كلامًا خفيفًا فى الدليل والحجة ، والبرهان

---

(١) اللسان ، جـ ١ ، ص ٥٠٠ .
(٢) اللسان جـ ١ ص ٥٠٠ .
(٣) التعريفات للجرجانى ص ٨ .
(٤) مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٩ .
(٥، ٦) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى جـ ١ ص ٣٨٨ . ص ٣٤٠ .
(٧) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢٨٥ .

والبيان ، والقياس ، والعلة ، والحكم والاسم ، والفعل ، والحرف ، والنص ، والظاهِر والباطِن ، والتأويل ، والتفسير ، والفحوى ، والاستحسان ، والتقليد ، والاقتداء ، والإجماع ، والأصل ، والفرع ، والوجوب ، والجواز[1] ، ويجيبه أبو حيان شارحًا هذه التعريفات المتنوعة ومنها يقول فى شرحه للإجماع : والإجماع اتفاق الآراء الكثيرة[2] . ويقول أبو حيان فى بصائره ذاكرًا لفظة الإجماع أيضا بمعناها الفقهى : كان أبو حامد شديد الازورار عن الخلاف رشيد الكلام فى أهله –أى المتكلمين– وكان أدنى ما يقول فيهم : الفقهاء ، إذا قالوا قال الإجماع . وانعقد الإجماع . إنهم لا يُرادون بهذا اللفظ . لأن الإجماع لا ينْعقد بهم . والخلاف منهم لا يعتدّ به . وشريعة النبى ﷺ إنما هى الحلال والحرام . والنظر فى قواعد الأحكام[3] .

يتضح مما تقدم أن لفظة الإجماع وردت عند أبى حيان بالمعنى الاصطلاحى الخاص بالفقه . وهذا المعنى الفقهى لم يرد عند صاحب اللسان فى تعريفه للفظة الإجماع ، وفى التغير الدلالى نجد أن لفظة الإجماع عامة جاءت من معنى العزم والاتفاق وقد تخصصت دلالتها فى العصور الإسلامية الأولى بعد أن دخلت مصطلحًا فى الفقه . ودلت نصوص أبى حيان على تخصيص دلالة لفظة الإجماع فى تلك الفترة وعلى وجه التحديد فى القرن الثانى الهجرى .

(٤) علم القياس ، القياس :

قاسَ الشيء يقيسه قَيْسًا وقياسًا واقتاسه وقيّسه إذا قدّره على مثاله وقاس الشيء يَقُوسه قوسًا : لغة فى قَاسَه يقيسه . ويقال قِسْته وقُسْتُه أَقُوسُه قوْسًا وقياسًا ولا

---

(١) مثالب الوزيرين ص ١٥١ . (٢) مثالب الوزيرين ص ١٥٢ .

(٣) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣٠٤ .

يقال أقسته . ويقال : قايست بين شيئين إذا قادرت بينهما[1] وقايست بين الأمرين مُقايسة وقياسًا ، والمُقايسة مُفَاعَلة من القياس . ويقال قايَسْت فلان إذا جاريته فى القياس . وهو يقتاس الشيء بغيره أى يقيسه به[2] .

القياس عند أهل اللغة من قَيْس : قاس الشيء يقيسه قَيْسًا وقياسًا واقتاسه وقيّسه إذا قدره على مثاله[3] ، وعند أهل الأصول القياس إبانة مثل حكم المذكورين بمثل عليه فى الآخر واختار لفظة الإبانة دون الإثبات لأن القياس مظهر للحكم لا مثبت وذكر مثل الحكم ومثل العلة احتراز عن لزم القول بانتقال الأوصاف واختار لفظ المذكورين ليشمل القياس بين الموجودين وبين المعدومين[4] . والمنطقيون يعرفون القياس بأنه قول مؤلف من قضايا إذا سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر . كقولنا العالم متغير وكل متغير حادث فإنه قول مركب من قضيتين إذا سلمنا لزم عنهما لذاتهما العالم حادث[5] .

وأصل القياس أن يعلم حكم فى الشريعة لشيء فيقاس عليه أمر آخر لاتحاد العلة فيهما ، ولكنهم توسعوا فى معناه أحيانًا فأطلقوه على النظر والبحث عن الدليل فى حكم مسألة عرضت لم يرد فيها نص ، وأحيانًا يطلقونه على الاجتهاد فيما لا نص فيه هكذا كان موقف الفقهاء من القياس وانقسم الفقه فيهم إلى طريقين ، طريقة أهل الرأى والقياس وهم أهل العراق وطريقة أهل الحديث وهم أهل الحجاز[6] ، وجعلوا القياس مرادفًا للرأى ويعنون بالرأى وبالقياس بهذا المعنى أن الفقيه من طول ممارسته للأحكام الشرعية تنطبع فى نفسه وجهة الشريعة فى النظر إلى الأشياء ، وتمرن ملكاته على تعرف العلل والأسباب ، فيستطيع إذا عرض عليه أمر

---

(١) اللسان جـ ٣ ص ٢٠٠ .

(٢) اللسان جـ ٣ ص ٢٠٠ .

(٣) اللسان جـ ٣ ص ٢٠٠ .

(٤) التعريفات للجرجانى ص ١٩٠ .

(٥) التعريفات للجرجانى ص ١٩٠ .

(٦) المقدمة لابن خلدون ص ٤٤٦ .

لم يرد فيه نص أن يرى فيه رأيًا قانونيًّا متأثرا بجو الشريعة التى ينتمى إليها وبأصولها وقواعدها التى انطبعت فيه من طول مزاولتها ، ومن أجل هذا ذموا الرأى الذى لا تسنده أصول الدين ، وهذا الرأى أو القياس كان مثارًا للنزاع بين العلماء[١] .

ويعرف أبو حيان **علم القياس** بقوله قال بعض الأوائل لنا عِلْمان : أحدهما عِلْم محض ، كعلمنا بالأشياء الأوائل بلا روية ولا فكر ولنا عِلْم فكرى ، مثل عِلْم القياس الذى يستنبط به الشيء من شيء آخر[٢] ولفظة القياس وردت عند أبى حيان فى أماكن كثيرة جدًا من كتبه ورسائله وقد شرح معنى القياس وبين أقسامه وما يتعلق به من مسائل دينية ولغوية وسوف نستعرض هذه النصوص التى جاءت فيها لفظة القياس الذى يعتبر مصدرًا مهما من مصادر الأحكام ، ولم يخل إمام من الأئمة سواء أكان من أهل الرأى أم الحديث من القول بالرأى[٣] ، وإن كان أهل العراق قد استكثروا من القياس ومهروا فيه فلذلك قيل أهل الرأى ومقدم جماعتهم الذى استقر المذهب فيه وفى أصحابه أبو حنيفة[٤] ، وللتوحيدى نص عن أبى حنيفة يقول فيه ذاكرًا لفظة القياس : وكان أبو حنيفة صاحب الرأى والقياس خزازًا[٥] .

ولفظة **القياس** يذكرها أبو حيان شارحًا معناها الفقهى ومبيّنًا أنواع القياس وأقسامه فيقول : سمعت أبا الحسن بن كعب الأنصارى يقول : القياس ينقسم ثلاثة أقسام : جَلىّ ، وواضح ، وخفىّ ، فالجلىّ لا يرد الشرع بخلافه ، مثل : ﴿ ولا تقل لهما أفٍّ ﴾ والواضح أن يرد الشرع بخلافه مثل العبد قياس الأمة ، لعلة الرق ، والنبيذ قياس الخمر لعلة الشدة[٦] ،وفى نص آخر يقول أبو حيان محددًا

---

(١) ضحى الإسلام جـ ٢ ص ١٥٤ .
(٢) المقابسات ص ٣٩٧ .
(٣) ضحى الإسلام جـ ٢ ص ١٥٤ .
(٤) المقدمة ص ٤٤٦ .
(٥) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٤٤ .
(٦) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢٨٣ .

أقسام القياس ، والقياس قياسان : قياس جلىّ وقياس خفىّ ، فالجلىّ ما لا يتجاذب فيه ، والقياس الخفىّ ما تتجاذبه الأصول ، كالجناية على العبد[1] ، ويعرف أبو حيان لفظة القياس بقوله : وإنما كان العلم حقا ، والاجتهاد فى طلبه مخلصًا والقياس فيه صوابًا وبذل السعى دونه محمودًا[2] ، ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة القياس بمعناها العام المستنبط من النص : وإذا صح لك النظر فى حاشية من حواشى أسباب العالم ، وأمور الكون بمثال واضح ، أو قياس مستنبط أو علة ظاهرة ، أو سبب قائم ، فانتبه إليه ،واعتكف عليه[3] ، ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة القياس بمعنى التقدير : وأضف إلى الغائب أثرًا من الشاهد حتى يبيّن لك القياس ، فإن العالم متلبس أغنى أن بلد الحس متاخم لبلد العقل[4] . ويشرح أبو حيان لفظة القياس بلغة المنطقيين فيقول : والعيان العقلى فوق القياس الحسيّ لأن العقل مولى والحس عبد[5] ، ويحدثنا أبو حيان عن طائفة من العلماء توسعوا فى الأخذ بالقياس والرأى . فيقول عن هؤلاء الفقهاء الآخذين بالقياس مبينًا أصنافهم ذاكرًا لفظة القياس بمعنى أصل من أصول الفقه المختلف فيها : ولو حمل الأمر رأيهم فى جميع أركان الشريعة سقط ثلثا الشريعة وحصل الثلث ، وما أحوج الناظر فى الدين إلى حسن الظن واليقين ، وإلى متن متين فيه ، فإنه متى حاول معرفة كل شىء بالرأى والقياس كل ومل ، ومتى استرسل مع كل شىء زل وضل ، والاعتدال بينهما الجمع بين الرأى والأثر والقياس والخبر ، مع التخفف إلى ما بان وأشرق ، والتوقف عما أبهم وأغلق[6] ويقول أيضا فى حديثه عن الفقهاء الذين توسعوا فى الأخذ بالقياس : المتكلمون لا يرضون بهذا الجواب-وهو تعليق على

---

(١) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٥١٨ .
(٢) المقابسات ص ٦٤ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١٨٩ .
(٤) رسالة الحياة ص ٦٠ .
(٥) رسالة الحياة ص ٦١ .
(٦) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٩٨ .

أهل الجنة وأهل النار إذ أن أهل الجنة نووا أن يطيعوه أبدا ، وأن أهل النار نووا أن يعصوه أبدا ، فلذلك صاروا مخلدين–ولا يغجبون به ، ولا يميلون إليه ، وما أكثر ما يزيفون الرواية ، ويقدحون فى الأثر ويستبدون بالرأى ، ويفزعون إلى القياس[١] ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة القياس : ليس للتقليد وجه إذا كانت الرواية شائعة والقياس مطردًا[٢] . معنى القياس هنا اعتبار الشيء بنظيره .

وفى حديث أبى حيان عن القياس يذكر لنا بعض المسائل الفقهية . وترد لفظة القياس بمعناها الفقهى : وهو القياس الشرعى فيقول : قال والحرام فى السمع على ضربين : منه حرام لعلة فما كان منهما لم يكن لأحد أن يقيس عليه ، وليس فيه متعلق ، وما كان ذا علة بالقياس ، إن كل شيء فيه تلك العلة إنه حرام مثله[٣] ، ويذكر أبو حيان لفظة القياس مع ألفاظ فقهية متنوعة تعنى بالأحكام وأدلتها التى اختلف المجتهدون فى فهمها وتأويلها فإذا اختلف المجتهدون فى حكم لاختلاف الأدلة فيه ولم يرد فيه نص صريح ولم يسبق فيه إجماع من قبل قاسوا الأمور بأشباهها وألحقوا المثيل بمثيله[٤] ، والألفاظ التى يذكرها أبو حيان مع لفظة القياس وهى الحجة والدليل والبرهان وغيرها من الألفاظ الفقهية الأخرى التى جاءت على لسان الطبرى فى سؤاله لأبى حيان أن يحدثه عن أبى حامد المروروذى فيقول : قال أبو الحسن إسحاق الطبرى : ارسم لنا كلامًا خفيفًا فى الدليل والحجة ، والبرهان ، والبيان ، والقياس والعلة والحكم[٥] . فيجيب أبو حيان على سؤال الطبرى : الدليل ما سلكك إلى المطلوب ، والحجة ما وثقك من نفسه ، والبرهان ما أحدث اليقين ، والبيان ما انكشف به الملتبس والقياس ما أعارك مشبهه من غيره أو استعار شبه غيره فى نفسه[٦] .

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٤٣١ .
(٢) مثالب الوزيرين ص ١٥٠ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٧٤٢ .
(٤) الكليات لأبى البقاء جـ ٤ ص ٢٥ .
(٥) مثالب الوزيرين ص ١٥١ .
(٦) مثالب الوزيرين ص ١٥١ .

ويستخدم أبو حيان لفظة القياس فى مجالات دلالية متعددة ، بالإضافة إلى استخدامها فى مجال الألفاظ الفقهية فيذكر فى كتاباته لفظة القياس فى مجال الفلسفة والمنطق وفى مجال اللغة . ففى مجال الفلسفة يذكر أبو حيان مصطلحات القياس الأنسي والقياس البرهانى ، فيقول فى مقابساته ذاكرًا **القياس الأنسى** وذلك فى حديثه عن العلل والأشياء ونظرة جالينوس فى هذه المسألة : عن علتين إحداهما موضوعة لذاك ومطبوعة على ذاك ، والأخرى بدينها فيها ، ويضيفها إليها ، ويشبهها بها ، اقتداء بالعقل بالبشرى ، وتصرفًا بالقياس الأنسى ، وإثارة للحكمة الإلهية(١) ويذكر مصطلح **القياس البرهانى** فيقول مخاطبًا الصاحب : اتصل بى جعلنى الله فداك أن رجلًا من إخوانك أشار عليك تكميل فضائلك وتقويتها بمعرفة شيء من القياس البرهانى وطمأنينك إليه(٢) ، ويقول أيضا فى مقابساته ذاكرًا القياس البرهانى : العلة الأولى طباعيّة ، والأخرى صناعيّة ، والقياس المشار إليه من الأولى برهانى ، والقياس المدلول عليه من الأخرى بيانى(٣) . وهذه الأنواع من القياس الأنسيّ والبرهانيّ التى يذكرها أبو حيان فى مجال الفلسفة والمنطق ، ويقول أيضًا ذاكرًا لفظة القياس واستخداماتها فى مجال الفلسفة : ولكنى أخط به الهندسة وأقيم عليها البرهان بالقياس والفلسفة(٤) .

ترد لفظة القياس بمعنى التقدير فى نص لأبى حيان يقول فيه : إذا وجد شيئا أبيضًا حكم بأنه أبيض بلا فكر ولا قياس(٥) . ويشرح أبو حيان هذا النص فيقول ذاكرًا أفق القياس : وأما الاختيار فيوافق الفكر ، كقولك : النفس لا تموت فهذا قول اختيارى بعد الفكر ، فإن كان هذا هكذا فالاختيار ليس بقياس ولكنه أفق

---

(١) المقابسات ص ٤٣٩ .
(٢) مثالب الوزيرين ص ١٥٧ .
(٣) المقابسات ص ٤٣٩ .
(٤) مثالب الوزيرين ص ١٦٢ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٤١ .

القياس[١] ، وفى نص آخر يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة قياس بمعنى الشبيه والنظير : ما السبب فى أن الناس يقولون : هذا الهواء أطيب من ذلك الهواء وذلك الماء أعذب من الماء ، وتربة بلد كذا وكذا أصلب من تربة كذا ؟ ثم لا يقولون في قياس هذا : بلد كذا تارة أجود وأحسن وأصفى ، أو أشد حرًّا وإحراقا وأعظم لهيبًا[٢] . وترد لفظة القياس فى نص لأبى حيان بمعنى التقدير وفى هذا المعنى يقول فى إشاراته : وأى عزلما يتبذله الليل والنهار ! وأى عز لما يتخونه القياس والمقدار[٣] . وفى مجال اللغة يذكر أبو حيان لفظة القياس فيقول : هذا فن لا تستغنى -أعزك الله- عنه عند موازنة الكلام وتشقيق اللفظ ، وإيضاح المراد ، وتمييز المتشابه فقس على بابه بالقياس الصحيح ، والسماع الفصيح[٤] ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة القياس فى هذا المجال اللغوى : فرق يتوسط بين الصواب والخطأ ، صوابه إيمان وخطؤه كفر ، لأن علي بن أبى طالب رضى الله عنه سمع قارئًا يقرأ على غير وجه الصواب فساءه ذلك ، فتقدم إلى أبى الأسود الدؤلى حتى وضع للناس أصلًا ومثالًا وبابًا وقياسًا[٥] .

ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة القياس فى نصوصه بمعناها الخاص باللغة : سئل بعض العلماء بالنحو واللغة فقيل له : أيستمر القياس فى جميع ما يذهب إليه فى الألفاظ فقال : لا . فقال السائل : فينكسر القياس فى جميع ذلك ؟ فقال : لا . فقيل له : فما السبب ؟ فقال : لا أدرى ، ولكن القياس يفزع إليه فى موضع ، ويفرع منه فى موضع[٦] . ونذكر مثالًا على القياس فى اللغة وفنونها فى مثل قول أبى حيان : لا يقال فى عذلته بالذال منقوطة ، العذل هنا لم يسمع ، والقياس فيه

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٤١ .
(٢) الهوامل والشوامل ص ٢٥٧ .
(٣) الإشارات الإلهية ص ١٧٨ ، ويعاد نفس النص فى ص ٣٥٢ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٩٩ .
(٥) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢١٦ .
(٦) الهوامل والشوامل ص ٢٩٣ .

مرذول[١] ، وهناك أمثلة كثيرة جدًا لا يمكن إيرادها هنا وسوف نتناولها عند الحديث عن المصطلحات اللغوية وما للقياس معها من شأن ، وقد أفرد التوحيدى للقياس المتعلق بأمور اللغة صفحات وصفحات ، ومن المادة « قيس » وردت عند أبى حيان اشتقاقات متنوعة مثل مقيس ومقيسة ومقاييس ومقايسة ، وقياس وقياسية وكذلك وردت الأفعال يقيس ويقاس ويقايس فى نصوص كثيرة من كتابات أبى حيان بمعنى قدر ويقدر على مثاله .

يرد الفعل يقيس بمعنى يقدر فى نصٍ للتوحيدى يقول فيه : وكنت كأنى رجل من النظارة ، وكان يظن الظن ثم يقيس عليه[٢] ويقول أبو حيان أيضا ذاكرًا الفعل يقيس بهذا المعنى : وإنما ترسم هذه الأسماء والألقاب ما دمت تتصفح الأمور ، وتقيس بعضها ببعضها ، وتستعمل أسماءها ، وتثبت صفاتها[٣] ويذكر الفعل يقايس بمعنى يقدر فيقول : وما كاد يكون منه إلى سنة وسنين لأنه يفلى الأحوال فليًا ويجلوها جلوًا ، فيقايس بينها قياسًا ، ويلتقط من الناس لفظًا لفظًا[٤] ، والفعل يقاس بمعنى يماثل يرد عند التوحيدى بقوله : ولعمرى ما حل ذنب يقاس إلى فضلك ولاعظم جرم يضاف إلى صفحك[٥] ، والفعل قسّ بمعنى قدر يذكره أبو حيان فى نص له فيقول : وإيضاح المراد ، وتمييز المتشابه فقسّ على بابه بالقياس الصحيح[٦] .

والفعل يقيسوا يرد فى قول أبى حيان ردا على الخثعمى فى حديثه عن ابن عباد : زعم أنه إنما منع المذكرين والقُصاص لئلا يفشوا الحشو والتشبيه ، ولئلا يقيسوا عليه الصغير والكبير[٧] ومن الاشتقاقات التى ذكرها أبو حيان من المادة «قيس»

---

(١) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣٧١ .
(٢) البصائر والدخائر جـ ٣ ص ٦٠٧ .
(٣) المقابسات ص ٤٤٠ .
(٤) المقابسات ص ٧٢ .
(٥) الصداقة والصديق ص ٤٤٩ .
(٦) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٩٩ .
(٧) مثالب الوزيرين ص ١١٧ .

لفظة **مقاييس** فترد هذه اللفظة فى حديثه عن فئة من الفقهاء فيقول : يظنون أن التوحيد لا يصح إلّا بنظرهم ، والدين لا يثبت إلا بنصرتهم ، والحق لا يعرف إلا بمقاييسهم[١] ، ويقول أيضا : والله تعالى أجل من أن يصح توحيده عقول خلقه ومقاييس عباده[٢] . وهذه اللفظة لم ترد فى اللسان عند تناوله المادة (ق ى س) ويذكر أبو حيان لفظة **قَيْس** فى تساؤلاته عن الحال التى ليس للعلم فيها نسب فيقول : فكيف يستطاع الامتلاء بها على صحة الإرادة والحقيقة والقيس .؟[٣] ومعنى القيس يفسره صاحب اللسان بالشدة ، ومنه امرؤ القيس أى رجل الشدة[٤] .

ولفظة **مُقايسة** ترد عند أبى حيان فى نص يقول فيه : هذا كله سماع بعد تحكيك ومُدارسة وتصحيح ، ومُقايسة[٥] والمُقايسة مفاعلة من القياس وجاء فى اللسان : المُقايسة تجرى مجرى المقاساة التى هى معالجة الأمر الشديد ومكابدته وهو مقلوب حينئذ[٦] ، وهناك اشتقاقات أخرى ترد عند أبى حيان من المادة (ق ى س) ، وهى مُقيس ومُقيسة وقياسية وقياس وقد ذكر أبو حيان هذه الاشتقاقات فى نصوص متعددة أذكر مثالا على كل منها مثل لفظة **مُقيس** جاءت فى نص لأبى حيان يقول فيه شارحًا مسألة لغوية قال نحوى لرجل : أتشعر حمارك ؟ أى تعلقه الشعير ، سألت الثقة عن هذا فقال : هو منكر ، ولعله مُقيس على كلام العرب وهو مجهول الأصل[٧] .

ولفظة **مُقيسة** يذكرها أبو حيان فى شرحه لمسألة لغوية أيضا فيقول : والمروءة

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٤٩٨ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٤٩٨ .
(٣) الإشارات الإلهية ص ٨٧ .
(٤) اللسان جـ ٣ ص ٢٠٠ .
(٥) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣٥٠ .
(٦) اللسان جـ ٣ ص ٢٠٠ .
(٧) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٣٦ .

هى الإنسانية لم تسمع من العرب لكنها مقيسة بالتوليد على كلامهم[١]. ويذكر لفظة قياسيّة وهى هيئة القياس فيقول : والمعانى قد تنتظم فى أماكن وأسماؤها منتشرة ، ولهذا احتيج إلى الآلة المنطقية والأمثلة القياسية فى الأمور الجزئية[٢] .

ولفظة قياسيّ نسبة إلى قياس يقول أبو حيان ذاكرًا هذه اللفظة مخاطبًا ابن ثوابة الكاتب فيقول : إنك رجل بحمد الله ومنه ، ذو أدب وفصاحة وبراعة وبلاغة فلو أكملت فضائلك بأن تضيف إليها معرفة البرهان القياسيّ[٣] وهذه الاشتقاقات لم ترد فى اللسان ما عدا لفظة مُقايسة فهى ، إذن اشتقاقات جديدة استخدمت عند أبى حيان .

أما موقف العلماء ورجال الدين من القياس وهو الذى يعنينا هنا فى مجال حديثنا عن الألفاظ الفقهية وكيف أن جمهور الفقهاء يعتبر حجية القياس فى أنه دليل من أدلة الأحكام وهو يفيد غلبة الظن فيكون حجة يجب العمل به إذ هو يستند إلى علة حقيقية ظاهرة ويتفق العمل به مع مقاصد الشريعة الأصلية ، ولكن الفقهاء تفاوتوا فى الأخذ به بين مضيق وموسع وأنكر القياس طائفة من العلماء وأبطلوا العمل به وهم الظاهريةوجعلوا المدارك كلها منحصرة فى النصوص والإجماع وردوا القياس الجلىّ والعلة المنصوصة إلى النص[٤] . .

يتضح مما تقدم من نصوص أبى حيان المتضمنة للفظة القياس أن هذه اللفظة جاءت عند أبى حيان بالمعنى اللغوى العام وهو التقدير[٥] والتشبيه[٦] أى تشبيه الشيء بالشيء . وجاءت بالمعنى الاصطلاحى الخاص[٧] بالفقه والمنطق وعلم

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٩٩ .
(٢) رسالة الحياة ص ٦٧ .
(٣) مثالب الوزيرين ص ١٥٧ .
(٤) المقدمة ص ٤٤٦ .
(٥) الصداقة والصديق ص ٤٤٣ .
(٦) مثالب الوزيرين ص ٤٦ ، ص ١٥١ .
(٧) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٤٣١ ، جـ ١ ص ١٨٩ ، جـ ٢ ص ١٣٤ .

اللغة . وهذا المعنى الاصطلاحى للفظة القياس هو الأكثر ورودًا فى كتابات أبى حيان . ولم نجد هذا المعنى فى اللسان عند تناوله للمادة « قيس » فلفظة القياس جديدة فى معناها عند أبى حيان . وذكر أبو حيان فى كتاباته بعض الاشتقاقات من المادة « قيس » مثل مقيس ، ومقيسة ، ومقاييس ، وقياسىّ نسبة إلى القياس وقياسيّة وهى الهيئة التى تجعل القياس ضرورى النتيجة بينًا[1] ، وهذه المجموعة من الاشتقاقات التى جاءت فى كتابات أبى حيان لم يرد ذكرها عند صاحب اللسان عند تناوله للمادة « قيس » فهى إذن اشتقاقات أو ألفاظ جديدة فى معناها ومبناها عند أبى حيان نتيجة لكثرة استخدامها فى عصره . وفى مجال التغير الدلالى يلاحظ أن لفظة القياس من الألفاظ العامة التى تخصصت دلالتها فى القرن الثانى الهجرى وقد دلت نصوص أبى حيان على تخصيص دلالة لفظة القياس فى ذلك العصر بعد أن استخدمت هذه اللفظة مصطلحًا فى الفقه والمنطق وعلم اللغة .

(٥) الاجتهـــــاد :

لفظة الاجتهاد من الألفاظ الفقهية التى لعبت دورًا كبيرًا فى الحياة الثقافية فى العصر العباسى وكان من أكبر مظاهر هذا العصر القول بسد باب الاجتهاد ، ولم يكن سده بناء على مجلس اجتمع فيه الفقهاء وقرروا فيه إقفال باب الاجتهاد إنما كان شعورًا عامًا بالضعف والنقص ، ونوعًا من التقديس للفقهاء السابقين . ومن ذلك الحين ، أعنى القرن الرابع الهجرى ، وقد سُيِّر التشريع الإسلامى ومضى عصر الابتكار ، وبدأ عصر التحجر ، وأصبح الفقيه لا يستطيع الحكم فى مسألة إلا إذا كانت مسألة جزئية تطبيقًا على قاعدة كلية ، قالها إمامه من قبله . وهذا هو الذى يسمى اجتهاد مذهب. أما قبل ذلك فكان الاجتهاد مباحًا، ولم يكن مقصورًا على

---

(١) المعجم الفلسفى جـ ٢ ص ٢١١ .

المذاهب الأربعة ، بل حكى أن بعض العلماء كان لا يرضى أن يتبع مذهبًا من المذاهب بل يجتهد لنفسه . ولكن تغير هذا الأمر فى أوائل القرن الرابع الهجرى فتجمدت المذاهب ، واقتصر فيها على المذاهب الأربعة[1] .

واقتصر الناس فى هذا العصر على تقليد الأئمة الأربعة ومنعوا تقليد سواهم لذهاب الاجتهاد لصعوبته وتشعب العلوم التى هى مؤداة باتصال الزمان وافتقاد من يقوم على سوى هذه المذاهب الأربعة ، فأقيمت هذه المذاهب الأربعة أصول الملة وأجرى الخلاف بين المتمسكين بها والآخذين بأحكامها مجرى الخلاف فى النصوص الشرعية والأصول الفقهية وجرت بينهم مناظرات فى تصحيح كل منهم مذهب إمامه ، ومدعى الاجتهاد لهذا العهد مردود على عقبه مهجور تقليده[2] . هذا ما كان من أمر الاجتهاد فى ذلك العصر أى القرن الرابع الهجرى حيث صار مذهب كل إمام من الأئمة الأربعة علمًا مخصوصًا عند أهل مذهبه ، ولم يكن لهم سبيل إلى الاجتهاد .

والاجتهاد فى اللغة بذل الوسع والمجهود وهو افتعال من الجهد[3] وفى الاصطلاح : استفراغ الفقيه الوسع ليحصل له ظن بحكم شرعى[4] ويفسر التهانوى فى كشافه ما قاله الأصوليون عن لفظة الاجتهاد فيقول : قولهم استفراغ الوسع معناه بذلك تمام الطاقة بحيث يحس من نفسه العجز عن المزيد عليه وهو كالجنس ، وقيل الفقيه احتراز عن استفراغ غير الفقيه وسعه ، وقيد الظن احتراز من القطع إذ لا اجتهاد فى القطعيات ، وقيد شرعى احتراز عن

---

(١) ظهر الإسلام أحمد أمين جـ٢ ص ٧ .

(٢) المقدمة ص ٤٥٦ ، ص ٤٤٨ .

(٣) اللسان جـ ١ ص ٥٢١ .

(٤) التعريفات للجرجانى ص ٨ .

الأحكام النقلية والحسية[1]

ولفظة الاجتهاد ترد فى نصوص كثيرة من كتابات أبى حيان بالمعنى الفقهى ، وفى هذا المعنى يقول أبو حيان فى بصائره ذاكرًا لفظة **الاجتهاد** : ومتى فرع للعباس فى ترتيب الناس ، يكفيه أنه لم يدخل الشورى ، ولم يشهد بدرًا ، ولم يبادر الحظ بالاستبصار فى الدين ولا بالرأى فى الدنيا ، وحقه موفور ، ومكانه من الشيخوخة ، والتقدم مشهور ، ولكن أين الفقه ، والورع والاجتهاد والسبق ؟[2] ، ويقول أبو حيان أيضا فى بصائره ذاكرًا لفظة الاجتهاد بالمعنى الفقهى : قال الحسن بن عثمان القنطرى دفنت كتبى وأقبلت على العبادة ، والتشمير ، والاجتهاد[3] وترد لفظة الاجتهاد بهذا المعنى الفقهى فى نص لأبى حيان من كتاب الإمتاع والمؤانسة يقول فيه مخاطبًا ابن يعيش : انثر علينا درر هذه الطائفة التى تميل إليها بالاعتقاد وإن كنا نقع دونها بالاجتهاد[4] ويذكر أبو حيان لفظة الاجتهاد بمعناها العام وهو بذل الوسع فيقول : وتحصيل الحكمة اجتهاد من لا يرى لكونه فائدة إلا بها[5] ، وفى جواب له عن معنى الحكمة قال التوحيدى ذاكرًا لفظة الاجتهاد بمعناها اللغوى : القيام بحقائق الاعتقاد فى العلم ، والتناهى فى الاجتهاد ببذل الوسع فى صلاح العمل[6] ، ويقول فى تعريفه لحد الصداقة والصديق موردًا لفظة الاجتهاد فى قوله : فإن هذا الحد إذا لحظ أفقه العلى سلك إليه بالهمة الشريفة ، والعزيمة التامة ، والحد البليغ ، والاجتهاد المستخرج للوسع[7] ،

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى جـ ١ ص ٢٨٠ ، ص ٢٨١ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٢١٦ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ١٠٥ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٢١٨ .
(٥) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢٩٨ .
(٦) المقابسات ص ٤٧٢ .
(٧) المقابسات ص ٤٥٠ .

ويقول أبو حيان أيضا ذاكرًا لفظة الاجتهاد بمعناها العام : إنما كان العلم حقا ، والاجتهاد فى طلبه مخلصا ، والقياس فيه صوابا[1] .

ويقول أيضا : واصرف عناية اجتهادك ونهاية سعيك ، وبليغ كدحك فى اقتباس العلم[2] ، وفى نص له من إشاراته الإلهية يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الاجتهاد : فإن رأيت الرشد والغبطة والسرور والحبور والتمام والعزة والعظمة فى ذلك فزد فى اجتهادك ، وتصف فى اعتقادك[3] .

وفى نصٍ من نصوصه يذكر أبو حيان لفظة الاجتهاد بمعنى القياس فيقول : اللغة قد عرفتها بالمنشأ والوراثة والمعانى نقرت عنها بالنظر والرأى والاعتقاب والاجتهاد[4] .

ونختم نصوص التوحيدى عن لفظة الاجتهاد-هذا المصطلح الفقهى-فى نص له من مثالبه يقول فيه : وأرجع فأقول : وما خلا الناس منذ قامت الدنيا من تقصير واجتهاد ، وبلوغ الغاية[5] ، وجاء الفعل اجتهد فى نصوص عديدة لأبى حيان بمعنى جدّ فى طلب الأمر وسوف أذكر مثالين لتوضيح هذا الفعل ، ففى أحد النصوص يقول أبو حيان ذاكرًا الفعل اجتهد فى مناجاته : اجتهد أن تعرف الحق عند إيرادك وإصدارك[6] .

وقال أبو حيان موردًا الفعل اجتهد فى قوله : ما أشك فى أطراف زلت عنى عند اختلاسها وإقباسها ، وقد ثقفت الجواب عنها على أوجه أنا أجتهد فى الإعراب عنها فى هذا الموضع بمبلغ وسعى[7] . والاجتهاد بمفهومه العام اختلفت

---

(١) المقابسات ص ٦٤ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ر .
(٣) الإشارات الإلهية ص ٣١٢ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١١٦ .
(٥) مثالب الوزيرين ص ٢٠ .
(٦) الإشارات الإلهية ص ١٣٩ .
(٧) المقابسات ص ٦٣ .

الآراء فى تحديده بالنسبة للقياس وحول هذا الموضوع تحدث الكثيرون ، ففى كتاب الفروق يذكر أبو هلال العسكرى آراء علماء الدين فى الفرق بين القياس والاجتهاد فيقول : الفقهاء يقولون القياس حمل الفرع على الأصل لعلة الحكم ، والاجتهاد موضوع فى أصل اللغة لبذل المجهود ، وهو عند المتكلمين ما يقتضى غلبة الظن فى الأحكام التى كل مجتهد فيها مصيب ولهذا يقولون قال أهل الاجتهاد كذا وقال أهل القياس كذا فيفرقون بينهما ، فعلى هذا الاجتهاد أعم من القياس لأنه يحتوى على القياس وغيره ، وقال بعض الفقهاء : الاجتهاد بذل المجهود فى تعرف حكم الحادثة من النص لا بظاهره ولا فحواه . وقال الشافعى : الاجتهاد والقياس واحد[(1)] وفى الكليات يقول أبو البقاء : الاجتهاد قد يكون مورد النص ، والقياس شرطه فقد النص . فالاجتهاد يوجد بدون قياس ولا يوجد القياس بدون اجتهاد[(2)] ومصطفى عبد الرزاق يعتبر الاجتهاد مرادفًا للقياس والاستحسان والاستنباط[(3)] والعجيب أن يرادف الأستاذ عبد الرزاق بين هذه الألفاظ وهى مختلفة المفاهيم ويجعلها تعبر عن مفهوم واحد .

يتضح **مما تقدم** أن لفظة الاجتهاد جاءت عند أبى حيان بالمعنى العام ، وبالمعنى الاصطلاحى الخاص بالفِقْه . ولم يختلف أبو حيان عن صاحب اللسان فى تعريفه لهذه اللفظة إلا أنه وضح معنى الاجتهاد كمصطلح فقهى .

وفى التغير الدلالى يتضح لنا أن لفظة الاجتهاد من جهد يجهد إذا تعب ، ولا يكون إلَّا فى حمل الأشياء التى فيها ثقل . ومن هذا المعنى دل الاجتهاد فى الفِقْه

---

(١) الفروق فى اللغة ص ٧٠ . (٢) الكليات لأبى البقاء جـ ١ ص ٥١ .

(٣) تمهيد تاريخ الفلسفة الإسلامية . مصطفى عبد الرزاق ص ١٣٨ .

على تحمل الفقيه التعب والمشقة بحيث يحس من نفسه العجز عن المزيد وذلك بتحصيل ظن بحكم شرعى . فالاجتهاد من الألفاظ العامة التى تخصصت دلالتها بعد ظهور الإسلام . ويبين أبو حيان فى نصوصه المتضمنة لهذه اللفظة تخصيص دلالة لفظة الاجتهاد بعد أن استخدمت مصطلحا فى الفقه .

* * *

ثالثا : المصطلحات الخاصة بالعقيدة :

مصطلحات العقيدة (٤٧) كلمة وهى :

احتجاج ، استنباط ، استدلال ، اعتقاد ، اعتقادات ، إلحاد ، الإلهية ، إلهى ، الإلهيات إلهية ، الألوهية ، باطن ، بطانة ، بواطن ، تأول ، تأويل ، تأويلات ، تفسير ، تقدس ، تقديس ، توحيد ، توحيدية ، ظاهر ، ظاهرة ، ظاهرى ، ظواهر ، ظهارة ، عقائد ، عقيدة ، علم الكلام ، قدس ، قدسى ، قدسية ، كلام ، متأول ، متقدس ، مستنبط ، معتقد ، مقال ، مقالة ، مقالات ، مقدس ، مقدسة ، مقدسون ، ملحد ، ملحدون ، ملحدة .

وفيما يلى جدول بنسبة شيوع هذه المصطلحات فى كتابات أبى حيان :

* * *

الكلمة	عدد مرات ورودها	الكلمة	عدد مرات ورودها
ظاهر	١٣٧	الإلهيات	٥
باطن	٩٢	ظواهر	٥
الإلهية	٨٨	إلالهية	٥
توحيد	٧٤	بواطن	٤
تأويل	٥٨	ظاهرة	٤
تفسير	٣٨	ملحد	٤
مقالة	٣٣	احتجاج	٤
قدس	٣٢	اعتقادات	٤
الإلهى	٣١	مقدس	٣
مقال	٣١	الألوهية	٢
استنباط	٢٧	مقدسون	٢
اعتقاد	٢٤	تقدس	٢
عقيدة	١٧	بطانة	٢
كلام	١٤	عقائد	٢
مقالات	١٠	ملحدون	٢
معتقد	٧	متقدس	١
تأويلات	٧	توحيدية	١
إلحاد	٧	ظهارة	١
استدلال	٧	ظاهرى	١
مستنبط	٦	قدسية	١
متأول	٦	علم الكلام	١
تأول	٦	قدسى	١
مقدسة	٦	ملحدة	١
تقديس	٥	المجموع الكلى	٤٧

وهذه المجموعة من المصطلحات الخاصة بالعقيدة قسمت إلى عشر مجموعات دلالية فرعية .

ثالثا : المصطلحات الخاصة بالعقيدة :

(١) العقيدة / العقائد ، الاعتقاد / الاعتقادات / المعتقد :

. ورد فى كتاب التعريفات « العقائد » ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل[١] وقواعد العقائد هى أصل الأصول ومبنى الإسلام ومقدمة جميع الأحكام[٢] . والعقد نقيض الحل والعقد : العهد[٣] .

ولفظة **العقيدة** والجمع **العقائد** ذكرها أبو حيان فى كتاباته شارحًا معناها ومعددًا عقائد من يدين بها من الأمم فقال : ألا ترى أن لغة الهند غير لغة الروم ، وكذلك الصناعة والعقيدة وما يجرى مجراهما فعلى هذا اشتركوا فى الأخلاق واللغات ، والعقائد والصناعات ، وجر المنافع ودفع المضار ، فى اختلافهم فيها بنوع ونوع[٤] ، ويضيف أبو حيان أنواعًا من البشر باختلاف صحة عقيدتهم فيقول واصفًا صحيح العقيدة : ومن وهب الله له عقلًا ، وكلفه الإقرار وألزمه الأمر ، والنهى ، فهو صحيح العقيدة ، ثابت الأساس[٥] ، ويقول أيضًا عن هذا الإنسان : ومن حيث هو ناطق هو إنسان عاقل حصيف ، ومن حيث يبلغ إلى مشاكهة الملك بقوة الاختيار البشرى ، والنور الإلهى -أعنى ينعت فى حياته هذه التى وهبت له بدءًا ، بصحة العقيدة وصلاح العمل وصدق القول هو ملك[٦] أما من فسدت عقيدته فيصفه أبو حيان بقوله : فأى عجب من أن تكون النفس التى

---

(١) التعريفات للجرجانى ص ١٥٨ .

(٢) مفتاح السعادة طاش كبرى زاده جـ ٣ ص ٢٤ .

(٣) اللسان جـ ٢ ص ٨٣٦ .

(٤) الإمتاع والمؤاسة جـ ١ ص ٢١١ .

(٥) البصائر والذخائر جـ ٤ ص ٢٥٥ .

(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١١٣ .

استعبدتها الشهوات الغالبة ، والعقيدة الرديئة ، والأفعال القبيحة معوقة ممنوعة من الصعود إلى معانق الفلك ، ومخاوف النجوم ، وعالم الروح[1] وقال أيضا فى هذا المجال ، ذاكرًا لفظة العقيدة فى وصفه لمعاصرٍ له فقال : لقد جمع هذا الرجل فرق الخزى فى جلدته خبث الطبع وسفه اللسان ، وفساد العقيدة[2] ، ثم يذكر أبو حيان لفظة العقيدة فى نصائحه المنتشرة بين طيات كتاباته فيقول : واعمل ما دام الإخلاص صاحبك ، واعتقد ما صحب اليقين عقيدتك[3] ، وفى دعائه يذكر لفظة العقيدة مناجيا خالقه : وأسألك أن تجعل الإخلاص قرين عقيدتى[4] ، ويقول : أيضًا : وحلمى وانتباهى بالعقيدة والطوية ، وفكرى وذكرى بالمعرفة والتصفية[5] .

ولفظة الجمع **عقائد** يذكرها أبو حيان فى نصوصٍ عديدة من كتاباته أذكر منها هذا النص عن العقائد اليقينية ، يقول أبو حيان فى نصه : لأن النفس كما تستنير بالمعارف الصحيحة والعقائد اليقينية ، والحركات المعتدلة ، والأفعال الواجبة ، كذلك تصدأ وتظلم وتثوى بالجهالات الراكدة[6] ، وفى نص آخر يقول أبو حيان موردًا لفظة عقائد : العقول فى خفياتها أسرى ، والإحساس فى جلياتها فوضى مبددة ، والعقائد فى التنقير عنها منحلة[7] .

كلمة العقيدة لم ترد فى اللسان وأيضا فى معظم المعاجم الأخرى ، وهناك بعض المعاجم ذكرت العقيدة والعقائد بإيجاز مثل التعريفات وأقرب الموارد .

والاعتقاد يعرفه أبو هلال العسكرى فى كتابه الفروق فيقول : هو اسم لجنس

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٣٩ .

(٢) رسالة فى علم الكتابة ص ٤٧ .

(٣) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ز .

(٤) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٣ .

(٥) الإشارات الإلهية ص ٢١١ .

(٦) رسالة الحياة ص ٦٥ .

(٧) الإشارات الإلهية ص ٢٢ .

الفعل على أى وجه وقع اعتقاده والأصل منه أنه مشبه بعقد الحَبْل والخيط فالعالم بالشيء على ما هو به كالعاقد المحكم لما عقده ، واسم الاعتقاد أجرى على العلم مجازًا وحقيقة العالم هو من يصح منه فعل ما علمه متيقنًا إذا كان قادرًا عليه[(١)] ، ويعرف التهانوى الاعتقاد فى كشافه تعريفًا مستفيضًا فيقول : الاعتقاد له معنيان أحدهما المشهور وهو حكم ذهنى حازم يقبل التشكيك والثانى الغير المشهور وهو حكم ذهنى جازم أو راجح لا يقبل التشكيك ، والاعتقاد المشهور الظنّ . فالاعتقاد بالمعنى المشهور يقابل العِلْم وبالمعنى الغير المشهور يشتمل العِلْم ، ويطلق الاعتقاد على التصديق مطلقًا وهذا متداول مشهور[(٢)] ويقول أبو البقاء فى الكليات : الاعتقاد هو إثبات الشيء بنفسه وهو التصور مع الحكم بخلاف اليقين[(٣)] ، ويقول الشرتونى فى أقرب الموارد : الاعتقاد هو اطمئنان القلوب على شيء ما يجوز أن ينحل عنه والجمع اعتقادات وربما أطلقت الاعتقادات على ما يعتقد به من تعاليم الدين . والمعتقد مصدر ميمى بمعنى الاعتقاد وما يعتقده الإنسان من أمور الدين[(٤)] . والعقيدة هى الحكم الذى لا يقبل الشك فيه لدى معتقده ، ويراد منها الاعتقاد ، والمعتقد ، وجمعها عقائد ، والعقيدة أيضا هى الرأى المعترف به بين أفراد مذهب واحد وتطلق فى الدين على ما يؤمن به الإنسان ويعتقده كوجود الله ، وبعثه الرسل والعقاب والثواب وغيرهما[(٥)] .

ولفظة الاعتقاد يعرفها أبو حيان تعريفًا لغويًّا وحرفيًّا فيقول فى هوامله : إن الاعتقاد افتعال من العَقْد ، يقال : عَقَد واعتقد ، والكلام عقد ، والتاء عرض لغرض ليس من سوس الكلمة ، فإذن هو فعل مضاف إلى العاقد الذى له عَقْد ،

---

(١) الفروق فى اللغة أبو هلال العسكرى ص ٦٥ .
(٢) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى جـ ٤ ص ٩٥٤ .
(٣) الكليات لأبى البقاء جـ ١ ص ١٤١ .
(٤) أقرب الموارد للشرتونى جـ ٢ ص ٨٠٩ .
(٥) المعجم الفلسفى جـ ٢ ، ص ٩٢ .

والمعتقد لِهِ اعتقاد ، والمسألة لم تقع عن فعل ، وإنَّما وقعت عن العلم الذى له قوام بنفسه وانفصال عن العالم[١] .

ولفظة الاعتقاد والجمع اعتقادات يذكرها أبو حيان فى نصوص متعددة من كتاباته فيقول ذاكرًا لفظة اعتقاد : وقد اتفقت آراء الأوائل كلها على إصلاح السيرة ، وتصحيح الاعتقاد ، والسعى فيما يراه أثمر وأجدى[٢] ويقول أبو حيان فى هوامله ذاكرًا لفظة الاعتقاد بمعنى ما يعتقد به من أمور ذهنية : وعلى ذكر الله تعالى ، بم يحيط العلم من المشار إليه باختلاف الإشارات والعبارات ، أو هو شيء يلصق بالاعتقاد ؟ أهو مطلق لفظ بالإصلاح ؟[٣] ويقول أيضا فى الهوامل موردًا لفظة الاعتقاد مقترنة بالعلم : إن كان حد العلم اعتقاد الشيء على ما هو به فحد العالم أنه معتقد للشيء على ما هو به[٤] ويذكر أبو حيان لفظة الاعتقاد بمعنى الإيمان فى نص من مقابساته ، فيقول : سئل ابن سوار ، فى دكان ابن السمح بباب الطاق ، هل ما فيه الناس من السيرة ، وما هم عليه من الاعتقاد حق كله ، أو أكثره ، حق أو كله باطل ، أو أكثره ؟[٥] ويذكر لفظة الاعتقاد بمعناها الدينى البحت فيقول : إنى حشوت وقتى بالظلف والتنزه اللذين يعمران حال النفس بالرياضة والتهذيب ثم رفعت التهمة من الاعتقاد والضمير التى تزلى الآفة وتذيب الخاطر وتضل الرأى[٦] ويذكر سوء الاعتقاد فيقول : وكيف تتهم بسوء اعتقاد وقلة حفاظ ، وتوان عن رعاية عهد ، وقيام بحق ، وأنت من فرقك إلى قدمك فضل وخبر وجود ومجد وإحسان وكرم ومعونة ورفد وإنعام[٧] . وفى نص لأبى حيان ترد لفظة الاعتقاد بمعنى الرأى أى الثقة برأى الشاهد فيقول على لسان الوزير

---

(١) الهوامل والشوامل ص ١٣٥ .
(٢) المقابسات ص ١٦٤ .
(٣) الهوامل والشوامل ص ٥٥ .
(٤) الهوامل والشوامل ص ١٣٥ .
(٥) المقابسات ص ١٠٩ .
(٦) الإشارات الإلهية ص ١٦٤ .
(٧) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١١٧ .

صاحب مجالس الإمتاع : وقال مرة أخرى : حدثنى عن اعتقادك فى أبى تمام والبحترى[1] .

ولفظة الجمع **الاعتقادات** وردت عند أبى حيان بمعنى الآراء فى نص من رسالة الحياة يصف فيه الشباب فيقول : الشباب الأغرار الذين ليست لهم بصيرة فى الأمور ، وهم عبيد الإحساسات الوافدة والعادات الفاسدة ، والاعتقادات الرديئة بتلقين قرناء السوء[2] . وترد لفظة الاعتقادات بمعنى الآراء اليقينية فى نص لأبى حيان يعرف فيه كلمة المنطق فيقول فى مقابساته : يقال ما المنطق ؟ الجواب : هو صناعة أدوية يتميز بها الصدق والكذب فى الأقوال ، والحق والباطل فى الاعتقادات والخير والشر فى الأحوال . ثم لفظة معتقد وقد أوردها أبو حيان فى أماكن عديدة من كتاباته مرادفة للفظة عقيدة ففى نص له من مقابساته يقول فيه ذاكرًا لفظة **المعتقد** : واعلموا أنه إذا لحظ استيلاء الطبيعة عليهم ، وغلبة آثارهم فيهم ، فى الرأى والمعتقد ، والسيرة المؤثرة فأكثر ذلك باطل[3] ، ويقول أبو حيان فى نص آخر ذاكرًا المعتقد بمعنى الرأى : ولا يزيغنى إلى ما يقطع مادة إحسانك وعائدة رأيك ونافع نيتك وجميل معتقدك بمنه ولطفه[4] ويقول أيضا موردًا لفظة المعتقد بمعنى الرأى المستند إلى حجج منطقية : وأما الحركة والسكون ، فليسا من حديث الخلق فى شيء لأنهما عامان لجميع الأحوال سواء كان العمل مباشرًا أم كان معتقدًا[5] . وفى الإشارات يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة المعتقد بمعنى المقصود : ولكن العبارة قد تخون مطلقها فى اشتمالها على غير المعتقد[6] .

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١٨٥ .
(٢) المعجم الفلسفى جـ ١ ص ١٠٤ .
(٣) المقابسات ص ١٠٩ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٣ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٥٥ .
(٦) الإشارات الإلهية ص ١٥٩ .

مما تقدم نجد أن الألفاظ عقيدة ، واعتقاد ، ومعتقد والجمع عقائد ، واعتقادات جاءت جميعها فى كتابات أبى حيان بمعان تدل على أمور دينية يقينية لا تقبل الشك كالإيمان بالله تعالى[1] وأمور ذهنية قابلة للشك وتشمل الرأى والظن[2] والمعنى الدينى الخاص على ما يؤمن به الإنسان هو الأكثر ورودًا عند أبى حيان وخاصة لفظة العقيدة وأشكالها الحسنة السالمة من الشك[3] والفاسدة الرديئة[4] ، ونجد أن لفظة الاعتقاد أفرد لها أبو حيان صفحات عديدة من كتاباته وقد جاءت بالمعنى العام الذى يطلق على الرأى والظن[5] وبالمعنى الخاص برأى عالم أو شاهد حصل التصديق برأيه[6] وأيضا جاءت الاعتقاد بمعنى دينى فلسفى مرادف للعلم[7] وهذه الألفاظ التى ورد ذكرها لم ترد فى اللسان عند تناوله للمادة « ع ق د »[8] وأيضًا لم ترد فى معظم المعاجم العربية الأخرى ، فهى إذن ألفاظ جديدة فى مبناها ومعناها استخدمها أبو حيان فى كتاباته لكثرة استخدامها فى عصره ومترادفة فى معانيها . الألفاظ عقيدة وعقائد ، واعتقاد ، واعتقادات ، ومعتقد من مادة « عَقْد » ، والأصلُ فى استخدام العَقْد للحبل والخيط ثم للعَهْد والبيع ، وفى عصر أبى حيان كثر استخدامها فى مجال القلب والضمير ، فانتقلت دلالات هذه الألفاظ من مجال مادى إلى مجال معنوى وهو ما عقد عليه القلب

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٢١١ ، والبصائر والذخائر جـ ٣ ص ٣ ، ص ٤١٧ ، والإشارات الإلهية ص ٢١١ ، ومثالب الوزيرين ص ٣٠٧ ، والمقابسات ص ٣٨٧ ، ١٧٠ .

(٢) رسالة الحياة ص ٦٥ ، البصائر والذخائر جـ ٢ ص ز .

(٣) البصائر جـ ٤ ص ٢٥٥ ، الإمتاع جـ ٣ ص ١٣٣ .

(٤) الإمتاع جـ ١ ص ٣٩ ، رسالة الكتابة ص ٤٧ .

(٥) الإمتاع جـ ٢ ص ١١٧ ، مثالب الوزيرين ص ٣ ، المقابسات ص ١٠٩ .

(٦) الإمتاع جـ ٣ ص ١٨٥ .

(٧) الهوامل والشوامل ص ١٣٤ ، ١٣٥ ، البصائر جـ ٢ ص ٢٩٧ .

(٨) اللسان جـ ٢ ص ٨٣٦ .

والضمير وما يدين به الإنسان . وهذا الاستخدام أضاف على مادة (عقد) هيبةً وإجلالًا وهذا أدى إلى رقى دلالة هذه الألفاظ فى استخداماتها المتعددة بين أوساط رجال الدين والفكر . وقد جاءت هذه الألفاظ الدالة على العقائد فى المعاجم المتخصصة بالألفاظ الإسلامية فقط .

(٢) علم الكلام :

اجتمعت أقوال القدماء فى معنى علم الكلام وتعريفه بأنه علم يعتمد على (العقل) فى أمر إثبات العقائد الدينية والدفاع عنها وفيما يلى مختصر لأقوالهم : عرف الفارابى علم الكلام فقال : صناعة الكلام يعتقد بها الإنسان على نصرة الآراء ، والأفعال المحدودة التى صرح بها واضع الملة وتزييف ما خالفها بالأقاويل[1] وقال الجرجانى فى تعريفه لعلم الكلام : هو علم يبحث فيه عن ذات الله تعالى وصفاته وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد على قانون الإسلام[2] ، وعرف الغزالى علم الكلام بأن مقصوده حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدعة[3] وعرف أبو حيان التوحيدى هذا العلم فى رسالته المسماة فى ثمرات العلوم فقال : وأما **علم الكلام** : فإنه باب من الاعتبار فى أصول الدين يدور النظر فيه على محض العقل فى التحسين والتقبيح والإحالة والتصحيح والإيجاب والتجويز والاقتدار والتعجيز والتعديل والتجويز والتوحيد والتكفير ، والاعتبار فيه ينقسم بين دقيق يتفرد العقل به وبيّن جليل يفزع إلى كتاب الله تعالى فيه ، ثم التفاوت فى ذلك من المتحلين به على مقاديرهم فى البحث والتنقير والفكر

---

(١) إحصاء العلوم للفارابى جـ ١ ص ١٣١ . (٢) التعريفات للجرجانى ص ١٩٤ .

(٣) المنقذ من الضلال للغزالى ص ٦، ٧ ويكرر هذا القول ابن خلدون فى المقدمة ص ٤٥٨ ونجد مثل هذا القول عن علم الكلام عند الإيجى فى المواقف ص ٧ ، وعند طاش كبرى زاده فى مفتاح السعادة جـ ٢ ص ٢٠ وعند التفتازانى فى شرح العقائد ص ١٥ .

والتحبير والجدل والمناظرة والبيان والمفاضلة والظفر بينهما بالحق سجال ولهم عليه مكر ومجال وبابه مجاور لباب الفقه والكلام فيهما مشترك[1] وجمع التهانوى فى كشافه أسماء علم الكلام وهى : أصول الدين ، والفقه الأكبر ، وعلم النظر والاستدلال ، وعلم التوحيد والصفات[2] .

ذكر التوحيدى مصطلح **علم الكلام** ولفظة **كلام** بنفس المعنى ، ففى بصائره يذكر علم الكلام فى نص له فيقول : كان أبوزيد المروزى يقول : وشاهدته بمكة سنة ٣٥٣ ، كنت أقرأ علم الكلام على الأشعرى أيام حداثتى بالبصرة ، فرأيت فى المنام كأنى قد فقدت عينى جميعًا فاستعبرت حاذقا بعلم الرؤيا[3] وفى نص آخر يورد لفظة الكلام بقوله : وسأسوق إليك من غرائب ألفاظ الصوفية ، وبدائع كلام النساك ، ومحاسن كلام أرباب المقالات وطرائق ما لاح لذوى الآراء ، والديانات[4] ويذكر حادثة لعلى بن الحسن الكاتب مع الصاحب بن عباد فيقول أبو حيان موردًا لفظة كلام بمعنى علم الكلام فى حديثه : جمع كتبى وأحرقها بالنار وفيها كتب الفراء والكسائى ، ومصاحف القرآن وأصول كثيرة فى الفقه والكلام[5] .

ويذكر أبو حيان لفظة الكلام كمصطلح علمى قائم بذاته ومنفصل عن الفقه بعد أن ارتبط به فترة من الزمن وكما يقول آدم ميتز : إن القرن الرابع الهجرى مر فيه علم الكلام الإسلامى فى أهم أدوار حياته وهو دور تحرره من الفقه بعد أن ظل حتى ذلك الحين خادمًا له ، ومرجع الفضل فى حدوث هذا التغير إلى المعتزلة[6] ، وفى هذا المعنى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الكلام : حدثنى على بن المهدى

---

(١) رسالة فى ثمرات العلوم ص ١٩٢ .

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى جـ ٥ ص ١٢٧٢ .

(٣) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٤٠٧ .

(٤) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١٧٩ .

(٥) مثالب الوزيرين ص ١٢٦ .

(٦) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ١ ص٣٥١.

الطبرى ، قال : قلت ببغداد لأبى بشر : لو نظرتَ فى شىء من الفقه مع هذه البراعة التى لك فى الكلام ، ومع هذا اللسان الذى تحير فيه كل خصم . قال : أفعل ، قال : فكنت أقرأ عليه بالنهار مع المختلفة الكلام ، وكان يقرأ على بالليل شيئًا من الفقه ، فلما كان بعد قليل أقصر عن ذلك ، فقلت له : ما السبب ؟ قال : والله ما أحفظ مسئلة جليلة فى الفقه إلا وأنسى مسئلة دقيقة فى الكلام[1].
يفصل أبو حيان بين علم الكلام والفقه فى نصه ، وهذا يوضح مسألة مهمة وهو تحرر علم الكلام من الفقه فى ذلك العصر بعد أن ظل تابعًا له وقال أبو حيان موردًا لفظة كلام بمعنى علم الكلام وذلك فى وصفه لأحد معاصريه : هو فى الشعر مغلق وفى الكتابة بارع ، وفى الفلسفة غاية ، وفى الكلام نهاية وفى الفقه آية وفى النحو مذكور ، وفى الطب مشهور[2] وفى نص آخر ترد لفظة كلام بمعنى علم الكلام عند المتكلمين المعتزلة ، فيقول فى وصفه لابن عباد : والغالب عليه كلام المتكلمينِ المعتزلة ، وكتابته مهجنة بطرائقهم[3] ، وقال أيضا ذاكرًا لفظة الكلام بمعنى العِلْم : قيل للكرخى : لم لا تصنع لنا كلامًا فى الأصول على مذاهب المتكلمين[4] . جعل أبو حيان علم الكلام يشمل المعتزلة وغيرهم من المذاهب الأخرى .

يتضح **مما تقدم** من نصوص أبى حيان المتضمنة للفظة كلام أن هذه اللفظة استخدمت بالمعنى الاصطلاحى الدال على العلم الخاص بالعقائد الدينية أى علم الكلام . وإن أردنا تحديد بدء استخدام هذه اللفظة بالمعنى الاصطلاحى فمن الصعب أن نعثر على استعمال الكلام بالمعنى الاصطلاحى قبل كتب الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هجرية وقد عاصر الجاحظ أزمة خلق القرآن فلهذا من الممكن

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٣٦ .
(٢) مثالب الوزيرين ص ٣٤٠ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٥٤ .
(٤) البصائر جـ ٣ ص ٦٠١ .

القول إن استعمال هذا الاصطلاح إنما يرجع إلى النصف الأول من القرن الثالث للهجرة . ومما يؤكد رأينا هذا أن صاحب اللسان لم يذكر لفظة كلام بهذا المعنى الاصطلاحى عند تناوله للمادة « ك ل م » فهو إذن اصطلاح استخدم بعد القرن الثانى . وكان علم الكلام يطلق عليه فى البدء اسم الفِقْه بإطلاق ثم اختص به اسم الفقه الأكبر كما أطلقه عليه أبو حنيفة ثم علم التوحيد والصفات وأخيرًا علم الكلام ، وكثر استخدامه فى عصر أبى حيان بهذا الاسم بعد انفصاله عن الفقه وأصبح علمًا قائمًا بذاته فى هذا العصر وما قبله بفترة من الزمان . هذا وقد مر ذكر لفظة الكلام فى مجال الألفاظ اللغوية .

(٣) المقالة / المقالات ، المقال :

الألفاظ مقالة والجمع مقالات ، ومقال من الألفاظ الدينية التى وردت عند أبى حيان فى أماكن متعددة من كتاباته ، ومن النصوص التى وردت فيها لفظة مقالة بمعنى المعتقد الدينى قول أبى حيان فى مقابساته : لا سبيل إلى أن يكون الناس كلهم طوال القدود ، أو قصارها ، أو ضخام الرؤوس أو صغارها ، وفصحاء الألسنة أو لُكنها ، أو على مذهب واحد ومقالةٍ واحدة[1] وقول أبى حيان فى نصٍّ آخر موردًا لفظة المقالة بمعنى المسألة : إن الدين موضوع على القبول والتسليم والمبالغة والتعظيم، وهذا لا يخص دنيا دون دين ولا مقالة دون مقالة ولا نحلة دون نحلة ، بل هو سار فى كل شىء فى كل حال فى كل زمان[2] ، ويذكر أبو حيان بعض النصوص المتضمنة للفظة مقالة وقد تحددت نوعية هذه المقالة بالفئة الناطقة بها ففى أحد هذه النصوص يقول أبو حيان ذاكرًا مقالة بمعنى الفكرة والرأى

---

(١) المقابسات ص ١٠١ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة ج ٣ ص ١٨٧ .

الفلسفي : على أني ما بهرجت مذهب المتكلمين ، ولا زيفت مقالة المتفلسفين[1] .

وقال أيضا فى نص آخر موردًا لفظة **مقالة** بمعنى المذهب : فما فزعت طائفة من هذه الطوائف إلى الفلاسفة ، ولا حققت مقالتها بشواهدهم وشهاداتهم ولا اشتغلت بطريقتهم[2] ، وذكر أبو حيان فى بعض نصوصه لفظة مقالة بمعنى المعتقد الديني والمبحث الكلامى فقال فى نص له : ما الشبهة التى عرضت لابن سلام البصرى فيما تفرد به من مقالته حين زعم أن الله–تعالى–لم يزل ناظرًا إلى الدنيا[3] .

وقال ذاكرًا لفظة مقالة بمعنى المِلة : وقد شككت فى مسائل الأصول الخمسة التى عليها مدار المذهب ، وركن المقالة[4] . وقال أيضا بهذا المعنى ذاكرًا لفظة مقالة فى وصفه لابن العميد : يتشيّع لمذهب أبى حنيفة ومقالة الزيدية[5] .

ولفظة مَقالة تدخل مجال الدرس كعِلْم من العلوم الدينية ونرى أبا حيان يورد بعض النصوص يذكر فيها لفظة المقالة بالمعنى الدال على الرأى الكلامى فيقول : والكلام فى القدر لطيف وسأحكى لك عنه مسألة جرت فى مجلس كبير ، وأوضح المعنى والاسم ، وأدرس لك مقالة الناس ليتبين لك الحق إن شاء الله تعالى[6] .

وقال ذاكرًا لفظة مقالة بمعنى الفكرة المدونة فى كتاب أو رسالة أى المؤلَّف أو جزء من المؤلف : إن كنت تنفر من مقالتنا التى شاهدناها ونصرناها فاحضر واقرأ أى مقالة أحببت فإنى أدرسها لك[7] .

---

(١) مثالب الوزيرين ص
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٩ .
(٣) الهوامل والشوامل ص ٣٠٤ .
(٤) مثالب الوزيرين ص ١٣٤ .
(٥) الإمتاع جـ ١ ص ٥٥ .
(٦) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١٥٤ .
(٧) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٤٠٧ .

وفى نص آخر يقول موردًا لفظة مقالة فى نصه بمعنى المذهب الفكرى : والتتبع لمقالتك يقضى أن العلل تابعة للأشياء ، ليس الأشياء تابعة للعلل[1] ، وجاءت لفظة مقالة بمعنى القول الذى ينطق به اللسان فقال أبو حيان يروى قصة ابن الأعرابى مع المفضل : قال ابن الأعرابى عن المفضل : جاء رجل إلى مطيع بن إياس فقال : قد جئتك خاطبا ، قال لمن ؟ قال لمودتك قال : قد أنكحتك إيَّاها ، وجعلت الصداق أن لا أقبل منك مقالة لائم[2] . وقال أيضا بهذا المعنى : خير الإخوان من عظم حلمه وحسن لفظه وشرهم من عجلت بادرته ، وساءت مقالته[3] .

وترد لفظة **مَقالات** جمع مَقالة عند أبى حيان بمعنى المِلَل والمذاهب وذلك فى نصٍّ يقول فيه : إن الأمة اختلفت فى آرائها ومذاهبها ومقالاتها ، فصارت أصنافًا فيها وفرقًا ، كالمرجئة ، والمعتزلة والشيعة والسنية والخوارج ، فما فزعت طائفة من هذه الطوائف إلى الفلاسفة ، ولا حققت مقالاتها بشواهدهم وشهادتهم[4] وقال أبو حيان فى نص آخر موردًا لفظة المقالات بمعنى المذاهب : وسأسوق إليك من غرائب ألفاظ الصوفية وبدائع كلام النساك ومحاسن كلام أرباب المقالات وطرائق ما لاح لذوى الآراء[5] ، ويذكر أبو حيان لفظة المقالات اسمًا لكتاب ، فيقول تكلم الكعبى فى كتاب المقالات خاليًا بأوراق يقل محصولها عند التناقد والتناصف[6] ، ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة مقالات بمعنى النِحل وذلك فى سؤال له من أسئلته الكثيرة الموجهة إلى مسكويه : لم صار اسم من الأسماء أخف عند السماع من اسم ، حتى إنك لتجد الطرب يعترى سامع ذاك ؟ وهذا عارض

---

(١) المقابسات ص ٤٣٧ .

(٢) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٣١٥ وقد ورد هذا النص فى الصداقة والصديق ص ٣١ .

(٣) الصداقة والصديق ٤٣٥ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٩ .

(٥) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١٧٩ .

(٦) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ١٣٥

موجود فى الأسماء والكنى والشمائل والحلى ، والصور ، والبنى ، والأخلاق ، والخلق والبلدان والأزمان ، والمذاهب والمقالات والطرائق ، والعادات[1] وقال فى وصفه لزيد بن رفاعة موردًا لفظة مقالات بمعنى الأحكام الدينية : هناك ذكاء غالب ، وذهن وقاد ، ويقظة حاضرة ، ومتسع فى فنون النظم والنثر ، مع الكتابة البارعة فى الحساب والبلاغة ، وحفظ أيام الناس ، وسماع للمقالات ، وتبصر فى الآراء والديانات[2] ، وفى حديثه عن أبى إسحاق الصابى الكاتب يقول أبو حيان : اعلم أن المذاهب والمقالات والنحل والآراء ، وجميع ما اختلف الناس فيه وعليه ، كدائرة فى العقل[3] .

ثم لفظة **المقال** ترد فى نصوص كثيرة من كتاباته ففى أحد هذه النصوص يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة مقال بمعنى القول أى الكلام : وقد صنف الحكماء الأولون والآخرون كتابًا فى الأخلاق وذكروا أعيانها بأسمائها وصفاتها وحدودها ورسومها ، ومجملها ومفصلها ، ودلوا على الحسن والقبيح منها ، ودعوا إلى التحلى بأحسنها والتعرى من أسمجها فضربوا لها الأمثال ، وسحبوا عليها ذيول المقال[4] ، ويقول فى مقدمة البصائر وقد ذكر لفظة المقال بمعنى القول والرأى : وكن من إخوان الصدق ، وأعوان الحق ، ولك لعمرى على مقال فيه ، ومتعلق به ، ومدخل منه[5] وفى معنى القول تأتى لفظة مقال فى نص لأبى حيان يقول فيه : قال لى أبو الوفاء : لقد شاهدت من عز الدولة فى ذلك المجلس ، المنصور فى جده وشهامته ولقد قلت له بعد ذلك : أيها الأمير ما ظننت إذا خلعت رداءك ونزعت حذاءك تقول ذلك المقال وتجول ذلك الجوال ، وتنال ذلك المنال ، لقد انصرف

---

(١) الهوامل والشوامل ص ٢٠ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٤ .
(٣) المقابسات ص ١٠٠ .
(٤) رسالة الحياة ص ٥٨ .
(٥) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ١٣ .

ذلك الرهط على هيبة لك شديدة وتعظيم بالغ ، ولقد تداولوا لفظك وتتبعوا معانيك(١) .

وترد لفظة مقال عند أبى حيان بمعنى القول فى نص له يقول فيه : لن تجد معنى قول الناس : لكل مقام مقال(٢) ، ويقول بهذا المعنى : واعترف بحق الله عليك فى كل مقال ومقام(٣) ، بمعنى القول يذكر أبو حيان لفظة مقال فى حديثه عن أعرابى فيقول : ولقد سمعت بدويا فى أرض بنى ربيعة يقول لمسايره : أيها الإنسان : عِه مقالى(٤) ، وبمعنى القول جاءت لفظة مقال فى نص لأبى حيان يقول فيه : ياهذا ! زللت عن رسم حالى ، لاختلافى فى مقالى وفعالى(٥) وبهذا المعنى يقول أبو حيان أيضا : مدح أعرابى رجلًا فقال : هو والله فصيح النسب ، فسيح الأدب ، من أى أقطاره أتيته انثنى إليك بكرم المقال ، وحسن الفعال(٦) .

يتضح مما تقدم أن الألفاظ مقالة ، ومقالات ، ومقال ، جاءت جميعها عند أبى حيان بمعنى اصطلاحى خاص بالعقائد والمذاهب الدينية . فنجد أن لفظةَ مقالة جاءت فى كتابات أبى حيان بمعنى المذهب(٧) والمعتقد الدينى(٨) والمِلَّة الإسلامية(٩) وبمعنى الرأى والقول(١٠) ، وجاءت أيضًا بمعنى الكتاب ، أو جزء من الكتاب كالفصل مثلًا ويكون موضوعه معينا أى يختص بموضوع من المواضيع

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١٥٩ .

(٢) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣٠٥ ويرد هذا النص فى جـ ٤ ص ٨٤ نفس المصدر . ويرد أيضا فى الإشارات الإلهية ص ١٢ وفى الصداقة والصديق ص ٣٢٧ .

(٣) الإشارات الإلهية ص ٣٣ .

(٤) الإشارات الإلهية ص ٤٠٤ .

(٥) الإشارات الإلهية ص ٢٩٢ .

(٦) البصائر جـ ٢ ص ٩٤ .

(٧) مثالب الوزيرين ص ١٤٤ .

(٨) الهوامل والشوامل ص ٣٠٤ .

(٩) مثالب الوزيرين ص ١٣٤ ، ص ١٧٧ ، والإمتاع جـ ١ ص ٥٥ .

(١٠) الإمتاع جـ ١ ص ٢٦ .

الكلاميَّة أو غيرها[١] ولفظة الجمع مقالات جاءت بمعنى الملل الدينية[٢] والأقوال والأحكام والآراء الكلامية[٣] ، ولفظة المقال جاءت عند أبى حيان بمعنى القول والرأى[٤] .

وكل هذه المعانى التى ذكرها أبو حيان لهذه الألفاظ المتعلقة بالعقائد لم يذكر صاحب اللسان معناها الاصطلاحى كما جاء عند أبى حيان ، بل إن صاحب اللسان لم يقف عند هذه الألفاظ إلا وقفة عابرة عند تناوله للمادة (ق و ل)[٥] ولم يعرفها بتعريف يوضح معناها من أجل أن نستنير به فى مجال بحثنا هذا وكذلك فعلت المعاجم الأخرى مثل التاج وأساس البلاغة والقاموس المحيط وغيرها حتى المعاجم المتخصصة بالألفاظ الإسلامية لم تتطرق لهذه الألفاظ بالتعريف الكافى . أما صيغة الجمع مقالات فلم ترد فى اللسان .

وفى مجال التغير الدلالى نجد أن الألفاظ مقالة ، ومقالات ، ومقال قد مرت بأطوار أثناء مسيرتها اللغوية ، وفى العصر العباسى عصر ازدهار الثقافة والعلوم العقلية تخصصت دلالات هذه الألفاظ وقد استخدمها أبو حيان فى كتاباته بهذه الدلالة المتخصصة فهى من الألفاظ التى كانت فى البدء ألفاظًا عامة فى معانيها ثم تخصصت بعد أن تطورت فى استخدامها اللغوى ونصوص أبى حيان خير شاهد على عصره .

(٤) التفسير ، التأويل :

جاء فى اللسان : فَسَر الشيء يَفْسُرُه فَسْرًا وفَسَّره : أبانه . والفَسْر : كشف

---

(١) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٤٠٧ . (٢) المقابسات ص ٤٤٧ .
(٣) البصائر جـ ٢ ص ١٣٥ .
(٤) الإمتاع جـ ١ ص ١٢٤ ، رسالة الحياة ص ٥٨ .
(٥) اللسان جـ ٣ ص ١٨٩ ، وانظر أساس البلاغة جـ ٢ ص ٢٨٤ والتاج جـ ٨ ص ٨٩ .

المُغَطّى ، والتفْسير كشف المُراد عن اللفظ المشكل[1] والتفسير فى اللغة : الكَشْف والإظهار وفى الشرع توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها والسبب الذى نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة[2] .

ويعرف أبو حيان لفظة التفسير التى ترد فى نصوصٍ كثيرة من كتاباتِه فيقول فى بصائره : حَدُّ التفسير : بيان المراد بالمجمل[3] وفى نص آخر يقول أبو حيان عن التفسير : والتفسير عبارة عن عبارة على طريق الخلافة[4] ، ويذكر أبو حيان لفظةَ التفسير فى نصوص متعددة من كتاباته بمعنى العلم الدينى أى علم التفسير ، فيقول فى نص له أورده على لسان معاوية ذاكرًا لفظة التفسير : أنا أقع إذا طرتم ، وأطير إذا وقعتم ولو وافق طيرانى طيرانكم لاختلفنا . هذا يحتاج إلى تفسير إلا عند من هو أعلم ممن هو فى طبقتى[5] . ويذكر أبو حيان لفظة التفسير بمعنى علم التفسير وذلك فى حديثه عن المشتغلين بهذا العلم ومنهم الكعبى فيقول عنه : وللكعبى أبى القاسم كتاب فى التفسير يزيد حجمه على كتاب أبى زيد[6] ، ويذكر أبو حيان الجبائى وهو ممن ألفوا كُتبًا فى علم التفسير فيقول موردًا لفظة التفسير بهذا المعنى الاصطلاحى : وسمعت أبا حامد يقول : عيب على أبى على الجبائى فى كتابه فى التفسير حين ذهب فى الفَرْش إلى ما يُفْرَش[7] .

ويذكر أبو حيان لفظة التفسير بمعنى شرح الكتب المتنوعة والتعليق عليها فيقول فى هذا المعنى متعجِّبًا من أستاذه أبى على : أما أبو على كيف تم له تفسير كتاب سيبويه من أوله إلى آخره[8] ويقصد هنا أبا على الفسوى أحد علماء

---

(١) اللسان جـ ٢ ص ١٠٩٥ .
(٢) التعريفات للجرجانى ص ٦٥ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢٨٥ .
(٤) مثالب الوزيرين ص ١٥٢ .
(٥) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢٣٦ .
(٦) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٣٨٠ .
(٧) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٨٦٢ .
(٨) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٣١ .

عصره ، وعالم آخر يذكره أبو حيان فى هذا المجال موردًا لفظة التفسير فيقول : أبو سليمان وهو من غلمان يحيى بن عدى النصرانى ، ويقرأ عليه كتب يونان ، وتفسير دقائق كتبهم بغاية البيان[1] ، ويقول أبو حيان أيضا موردًا لفظة التفسير بالمعنى الاصطلاحى الدال على الشرح اللغوى : قال بعض أصحاب الاشتقاق السموم سمى به لدخولها فى مسام البدن . هكذا رأيته فى كتاب عتيق فيه أراجيز رؤبة بتفسير أبى عمرو[2] وترد لفظة التفسير فى بعض نصوص أبى حيان بمعنى توضيح وبيان الغامض من الأقوال فى المسائل العامة فيقول : تجمع عن تفرقك ، وتفرق فى تجمعك أتدرى ما تفسير هذا اللغز ؟[3] ، ويقول أيضًا : وقال بعض السلف الصالح : خير إخوانك من وعظك برؤيته قبل أن يعظك بكلامه ، قلت لبرهان الصوفى : ما تفسير هذا ؟[4] .

التأويل عرفه صاحب اللسان فقال : التأويل هو تَفْعِيل من أَوِلَ يؤول تأويلًا أى رَجَع وعاد ، وأَوَّلَ الكلام وتأوله : دبره وقدره وفسره . والتأَول والتأويل تفسير الكلام الذى تختلف معانيه ولا يصح إلا ببيان غير لفظه وقوله عز وجل : ﴿ولما يأتيهم تأويله﴾ ، أى لم يكن معهم علم تأويله . والمراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلى إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ[5] ، وعرف الجرجانى التأويل فقال فى تعريفاته : هو فى الأصل الترجيع ، وفى الشرع صرف الآية عن معناها الظاهر إلى معنى يحتمله ، إذا كان المحتمل الذى يراه موافقًا بالكتاب والسنة[6] ، وفى كتابات أبى حيان ترد لفظة التأويل بهذا المعنى الاصطلاحى الشرعى المتعلق بمعانى الآيات القرآنية والكشف عن معانيها الخفية

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص١٨ .
(٢) البصائر والذخائر جـ٤ ص٢٧٧ .
(٣) الإشارات الإلهية ص١٧٦ .
(٤) الصداقة والصديق ص٣٣٩ .
(٥) اللسان جـ١ ص١٣٠ .
(٦) التعريفات للجرجاني ص٤٩ .

وفى هذا المعنى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة التأويل فى نص له من بصائره : إنما الأمر فى الأخبار موقوف على السابق فى النفس ، وعلى حسن الظن بالرواية وعلى مخرج الكلام فى التأويل[(١)] ، ويقول أيضا فى نص آخر موردًا لفظة التأويل : فكيف ولا شيء مما نقم عليه وإلا وفيه باب واسع فى التأويل وفِقْه صحيح المخرج بالأعتبار[(٢)] وفى إشاراته يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة التأويل محذرًا من عدم التوسع والخروج من ظاهر النص : هذا الحديث كما ترى ، وله نظائر ، ومتى حملته إلى صنف المتكلمين ونقد الناقدين تعذر متنه وتحللت عراه ، وإن توسعت قليلًا فى مجازه ، وقاربت فى تأويله عاد عليك نافعه ، وسقط عنك ضاره[(٣)] ويقول ذاكرًا التأويل وباطنه أى ما خفى من معانى الآيات وفسر تفسيرًا رمزيًّا : يدعوك الله إلى حظك : تارة بظاهر تنزيله ، وتارة بباطن تأويله ، وتارة على لسان رسوله[(٤)] ويذكر أبو حيان التأويل الصحيح فى سؤال يطرحه حول قوله عز وجل : ﴿ وما رَميْت إذْ رَمَيْتَ ولكن الله رَمَى ﴾ فيقول : فقد رأيت ناسًا عَرضَ لهم من مظاهر هذا الكلام ما يُنافى المعنى ، ولم يصح لهم التأويل الصحيح ، وكانوا طوال الأيدي في العِلْم[(٥)] وينتقد أبو حيان بعض المفسرين ممن خرجوا عن ظاهر القرآن بالتأويل الواسع البعيد فيقول في هوامله : ويتحكمون التحكم القبيح ويتبعون الهوى والشهوة ، ويتسعون في طريق التأويل ، وليس هذا من فعل أهل الدين والورع[(٦)] وترد لفظة التأويل في نص لأبي حيان يقول فيه : قال بعض السلف : لعلي أربع خصال ضوارس قواطع : سِطَةٌ في العشيرة ، وصهر بالرسول ، وعلمٌ بالتأويل ، وصبرٌ إذا دُعِيَتْ نَزَالِ[(٧)] . وعن وجوه التأويل يقول أبو حيان : يطول الكلام

---

(١) البصائر والذخائر جـ١ ص٣١٠ .
(٢) البصائر والذخائر جـ٣ ص٦٦٧ .
(٣) البصائر والذخائر جـ٣ ص٦١٠ .
(٤) الإشارات الإلهية ص٣٢ .
(٥) البصائر والذخائر جـ١ ص٥٣٩ .
(٦) الهوامل والشوامل ص٣٢٩ .
(٧) البصائر والذخائر جـ٢ ص٥٨٣ .

بصرف وجوه التأويل في حكم أنواع الاحتمال[١] وعن التأويل البعيد ومن اتخذه من الفرق الإسلامية لإثبات دعاويهم وفي هذا المجال يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة التأويل بالمعنى الفقهى : فما تشككت الدول وانتقضت العلل إلا بهذا التأويل الذى ينشئه هوى الملك فى واحد بعد واحد[٢] وهذا هو الجديد الذى نلاحظه بالنسبة لعلم التأويل ، وقد ابتعد المفسرون العلماء عن هذا التأويل البعيد وقالوا بالظاهر المستفيض من التفسير والتأويل[٣] واستخدم أبو حيان لفظة التأويل فى مجال النثر والنظم ولم يقتصر هذا العلم على القرآن فيقول فى الإمتاع ذاكرًا لفظة التأويل : ومثالب النظم فى مقابلة مثالب النثر ، والذى لا بد منه فيهما السلامة والدقة ، وتجنب العويص ، وما يحتاج إلى التأويل والتخليص[٤] ، ومن مستلزمات علم التأويل البلاغة وفى هذا المجال يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة التأويل : وأما **بلاغة التأويل** فهى التى تحوج لغموضها إلى التدبر والتصفح وهى التى تأولها العلماء بالاستنباط[٥] ومع لفظة التأويل يذكر أبو حيان الفعل تأوَّل ويتأول والاشتقاقات متأول ، ومتأول ، وتأول ، وتأويلات .

ويقول أبو حيان ذاكرًا الفعل يتأول : والنص لا يحذف ولا يتأول فإن الله تعالى أنزله بعلمه[٦] ويقول أيضًا : وأخو الثقة يرمق الحركة ، ويراعى اللحظة ويتأول اللفظة[٧] ، ويقول ذاكرًا الفعل **تأول** : ويبين صحة قول من تأول قول الله عز وجل ﴿وجعلنا لهم لسان صدق عليا﴾[٨] ، ويذكر الفعل أتأول فيقول : وأستشهد كل حاضر وغائب ، وأتأول كل مشكل وغامض[٩] ولفظة **مُتَأَوِّل** ترد

---

(١) البصائر والذخائر جـ٢ ص٩٣ .
(٢) البصائر والذخائر جـ٢ ص٧٩٩ .
(٣) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ١ ص٣٦٦ .
(٤) الإمتاع جـ٢ ص١٣٩ .
(٥) الإمتاع جـ٢ ص١٤٢ .
(٦) مثالب الوزيرين ص١٨٢ .
(٧) الصداقة والصديق ٤٠٦ .
(٨) البصائر والذخائر جـ١ ص٥٤١
(٩) الإمتاع جـ٢ ص١٨٩ .

فى قول أبى حيان : قال حمزة المصنف فى بعض كتبه : قال النبى ﷺ لسلمان الفارسى : أن اتخذ لنا سورا أى طعاما كطعام الوليمة ، وهى فارسية ، قال شيخنا أبو سعيد السيرافى : أخطأ هذا المتأول ، وإنما أراد النبى ﷺ : أن سلمان اتخذ لنا خندقًا يوم الأحزاب[1] ، ويذكر لفظة **مُتَأَوَّل** فيقول فى نص له من مثالب الوزيرين : فما تأويل خبيث اللسان وطيب القلم ؟ فقال البخارى : حشو فشرى ليس عليه معول ، ولا لقوله **مُتَأَوَّل**[2] .

ولفظة التّأول يذكرها أبو حيان فى كتاباته فيقول : الستر أجمل ، والإبقاء أحمد ولأن يطلب التّأول فهو سهو يعرض ، أحسن من أن يستثار الخلل فيما لعله لا يستتب[3] أما لفظة الجمع تأويلات فقد ورد ذكرها فى نصوص عديدة من كتابات أبى حيان لكثرة استخدام هذه اللفظة فى عصره ذلك العصر الذى كثرت وتعددت فيه الفرق الدينية فكانت كل فرقة من هذه الفرق تستشهد بالقرآن وتعتبره مستودعها الذى تتسلح به فى أدلتها لإثبات دعواها وكما يقول آدم ميتز فى كتابه الحضارة الإسلامية أن الصوفيّة والشيعة اشتهروا بتأويلاتهم وقد جروا على عادة مألوفة من قبل وهى الخروج عن ظاهر القرآن بالتأويل البعيد لإثبات ما يدعونه[4] . وفى هذا المجال يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة **التأويلات** : وقد سمعنا تأويلات هذه الطوائف لآيات القرآن فى قوله عز وجل : ﴿ انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب ﴾ وفى قوله تعالى : ﴿ عليها تسعة عشر ﴾ وفى قوله تعالى : ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق ﴾[5] وأقوال أخرى كثيرة غيرها ، ويذكر أبو حيان لفظة التأويلات فى نص آخر قائلًا عن ابن العميد : كان ينتصب للناس فى جامع الرى

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ٣ ص٨٣ .
(٢) مثالب الوزيرين ص١٧٧ .
(٣) المقابسات ص٣٥٧ .
(٤) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ١ ص٣٦٦ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص١٦ .

ويفسر القرآن ويتكلم على وجوهه ونظائره وتأويلاته[1] وترد لفظة تأويلات عند أبى حيان بالمعنى العام الشامل الذى يستخدم فى مجالات متعددة وفى هذا المعنى يقول أبو حيان فى مقابساته : الحقائق عرية من العلل والشبهات بعيدة من الشكوك والمعارضات ، غنية عن التأويلات والاحتمالات [2]وهذا القول مسلم به فى مجال البرهان المنطقى . ولفظة الجمع هذه لم ترد فى اللسان عند تناوله للمادة : «أول» فهى صيغة استعملها أبو حيان فى كتاباته جمعا للفظة تأويل .

وترد اللفظتان التفسير والتأويل متلازمتين فى نصوص كثيرة من كتابات أبى حيان ففى نص له من كتاب الإمتاع يقول أبو حيان : ولقد اختلفت الأمة ضروبًا من الاختلاف فى الأصول والفروع ، وتنازعوا فيها فنونًا من التنازع فى الواضح والمُشْكل من الأحكام والحلال والحرام ، والتفسير والتأويل[3] ويقول أبو حيان فى تعريفه لمعنى الباطن ذاكرًا لفظة التفسير ولفظة التأويل : والباطن ما غيض عليه بالتفسير ، والتأويل الجهة المتباعدة عن المراد ومع ذلك فهى مشغولة تارة بالقصد ، وتارة بغير القصد[4] ويقول أبو حيان على لسان الطبرى مخاطبًا المرورذى : ارسم لنا كلامًا خفيفًا فى الدليل والحجة والبرهان والبيان ، والتأويل والتفسير[5] . ويقول أبو حيان فى مثالب الوزيرين ذاكرًا اللفظتين التفسير والتأويل بمعناهما الاصطلاحى ، فى وصفه لابن العميد وكان لا يعرف القرآن وأحكامه وغريبه وإعرابه واختلاف العلماء فيه بضروب التأويل وغرائب التفسير[6] ويحدثنا أبو حيان عن الصاحب واستهانته بالتفسير والتأويل وعن معاملته لأهل القصص والحديث ، وترد فى حديثه اللفظتان التفسير والتأويل

---

(١)مثالب الوزيرين ص٢٩٧ .
(٢)المقابسات ص٣٧٩ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص٩ .
(٤) مثالب الوزيرين ص١٥٢ .
(٥) مثالب الوزيرين ص١٥١ .
(٦) مثالب الوزيرين ص١٨٨ .

فيقول : منع أهل القصص من القصص والذكر والرجز والمواعظ والرقائق ، ومنع من رواية الحديث – وقال : الحديث حشو – وتفسير القرآن ونشر التأويل وسماع قول الصحابة والتابعين[1] ، وفى نص لأبى حيان يورده على لسان متكلم الشيعة أبو الجيش الخراساني وفيه يصف القرآن وترد اللفظتان تفسير وتأويل فى قوله : فإنى أجد عند جملته اختلافًا كثيرًا فى تحريفه وتصحيفه ، ونقصه وزيادته ، وإعرابه وغريبه ، ووضعه وترتيبه ، ولهذا وأشباهه اختلف فى تأويله ، وشك فى تنزيله ، وكثر الخوض فى تفسيره[2] ، ومما تقدم من نصوص أبى حيان نرى أن الفرق بين التفسير والتأويل قد تبين من خلال أحاديث أبى حيان عن هاتين اللفظتين ، ويتضح من كلام أبى حيان أن التفسير لفظة تعنى الشرح للألفاظ وبيان مراد المتكلم والفهم والإفهام ، والتأويل استخراج معنى الكلام عن معناه الظاهر إلى معنى باطن خفى . والفرق واضح بين اللفظتين وفى اختصاص كل منهما كما يحدده أبو حيان فى نصوصه ، أما صاحب اللسان فيؤكد أن معنى اللفظتين واحد[3] .

وعن الفرق بين التفسير والتأويل يقول أبو هلال العسكرى فى كتابه الفروق : إن التفسير هو الإخبار عن أفراد آحاد الجملة ، والتأويل الأخبار بمعنى الكلام ، وقيل التفسير أفراد ما انتظمه ظاهر التنزيل ، والتأويل الإخبار بغرض المتكلم بكلام ، وقيل التأويل استخراج معنى الكلام لا على ظاهره بل على وجه يحتمل مجازًا أو حقيقة ومنه يقال تأويل المتشابه ، وتفسير الكلام أفراد آحاد الجملة ووضع كل شيء منها موضعه ومنه أخذ تفسير الأمتعة بالماء[4] .

ومما تقدم يتضح أن أبا حيان استخدم اللفظتين التفسير والتأويل بالمعنى

---

(١) مثالب الوزيرين ص١١٧ .
(٢) مثالب الوزيرين ص١٣٩ .
(٣) اللسان جـ١ ص١٣٠ ، جـ٢ ، ص١٠٩٥ .
(٤) الفروق فى اللغة ، أبو هلال العسكرى ص٤٨ ، ٤٩ .

اللغوى العام[1] وبالمعنى الاصطلاحى الخاص بعلوم الدين المتعلقة بألفاظ القرآن ومعانيه[2] فلفظة التفسير جاءت عند أبى حيان بالمعنى الواسع لمصطلح الشرح - فالتفسير عند أبى حيان هو الشرح اللغوى لألفاظ القرآن وأبيات الشعر والأراجيز[3] والشرح الدينى المذهبى لكتاب الله[4] ولكتب أخرى خاصة بالعلوم اللغوية والنحوية والفلسفية[5] واستخدم أبو حيان لفظة التأويل بمعنى التفسير لمعانى النص القرآنى ولنصوص النثر والنظم[6] وإن كان الاستخدام الدينى للفظة التأويل هو الأكثر ورودًا عند أبى حيان . ويتضح أيضًا أن لفظة التفسير استخدمها أبو حيان فى كافة المجالات الدينية وغير الدينية . وهذا المعنى الاصطلاحى الخاص للفظة التفسير لم يذكره صاحب اللسان وأكد ابن منظور أن اللفظتين تفسير وتأويل مترادفتان وهما بمعنى واحد عنده وهذا مخالف للتوحيدى .

أما التغير الدلالى فيتضح لنا أن لفظة التفسير وأيضًا لفظة التأويل على الرغم من كثرة استخدامهما فى عصر أبى حيان بين أوساط العلماء وطبقات المفسرين[7] إلا أن دلالة هاتين اللفظتين قد تخصصت فى هذا العصر ، عصر العلوم الكلاميّة - والعقائدية وأصبح لكل من التفسير والتأويل مصطلح علمى لا يمكن جوازه دون استيفاء شروطه فظهر علم التفسير وعلم التأويل وتخصصت دلالة كل منهما بتحديد مجال استخدامهما .

---

(١) البصائر والذخائر جـ٤ ص١٢ ، مثالب الوزيرين ص١٥٢ ، والإمتاع جـ٢ ص٧ .

(٢) مثالب الوزيرين ص١٨٨ والبصائر جـ٢ ص٨٦٢ ، جـ٣ ص٣١ ، والإمتاع جـ٢ ص٩ .

(٣) البصائر جـ٤ ص٢٥١ ، جـ٣ ص٣٧ .

(٤) البصائر جـ٣ ص٩٨ ، جـ٤ ص٢٧٧ ، والصداقة والصديق ص٨٦ ، والمثالب ص٣٠٤ .

(٥) البصائر جـ١ ص٣٦٢ .

(٦) الإمتاع جـ٢ ص١٣٩ ، ص١٤٢ .

(٧) البصائر جـ١ ص٢٣٦ ، جـ٢ ص٣٨٠ .

(٥) الظاهر ، الباطن :

الظاهر : خلاف الباطن ظَهَر يظهر ظُهُورًا فهو ظاهر ، وهو الذى ظهر فوق كل شىء وعلا عليه[١] والظاهر فى الاصطلاح هو اسم لكلام ظهر المراد منه للسامع بنفس الصيغة ويكون محتملًا للتأويل والتخصيص[٢] والبَاطِن اسم فاعل من بَطَن الشىء بطنًا وبطونًا خفى والجمع بواطن[٣] والظاهر والباطن من أسماء الله تعالى ، لا يقال إلا مزدوجتين كالأول والآخر[٤].وعلم الظاهر والباطن عرفهما الحسينى فى أبجد العلوم فقال : أما الظاهر فهو علم الشرع ، وأما الباطن فيقال له علم الطريقة ، وعلم التصوف ، وعلم السلوك وعلم الأسرار[٥] .

واللفظتان **الظاهر والباطن** تردان فى نصوص كثيرة من كتابات أبى حيان ففى البصائر والذخائر يعرف أبو حيان اللفظتين ظاهر وباطن فيقول : ظاهر الكتاب المنزل وباطن معناه المتأول[٦] ، ويقول أيضًا معرفًا الظاهر والباطن : إن الله تعالى ظاهر بالقدرة وباطن بالحكمة ، أى يظهر قدرته ويبطن حكمته[٧] فى النصين السابقين ذكر أبو حيان اللفظتين ظاهر وباطن من أسماء الله تعالى ويقول فى بصائره أيضًا موردًا اللفظتين الظاهر والباطن : حَدّ النصّ : مساواة باطنه لظاهره ، وحَدّ الظاهر ما كان أحد الاحتمالين أولى من الآخر[٨] ، وترد اللفظتان الظاهر والباطن فى نصوص أخرى من كتابات أبى حيان فيقول فى الإمتاع والمؤانسة : فلا تنظروا من كل شىء إلى ظاهره إلّا بعد أن تصلوا بنظركم إلى باطنه ، فإن الباطن إذا واطأ

---

(١) اللسان جـ٢ ص٦٥٥ . (٢) التعريفات للجرجانى ص١٤٧ .

(٣) القاموس المحيط جـ١ ص٢٨٩ ، وانظر المعجم المفهرس جـ١ ص١٠٩ .

(٤) سورة الأنعام (١٢٠) ، وانظر سورة الرعد (٣٣) وسورة الحديد (٣) الظاهر هو العالى على كل شىء ، والباطن معناه أنه غير مدرك بالحواس المعجم المفهرس جـ٢ ص١٧٤ .

(٥) أبجد العلوم جـ٢ مجلد (٢) ص٥٣٨ . (٦) البصائر والذخائر جـ١ ص١٧٤ .

(٧) البصائر والذخائر جـ٢ ص١٧٠ . (٨) البصائر والذخائر جـ١ ص٢٨٤ .

الظاهر كان توحدا ، وإذا خالفه إلى الحق كان وحدة ، وإذا خالفه إلى الباطن كان ضلالة[1] ويقول فى إشاراته ذاكرًا هاتين اللفظتين الظّاهِـر والبَاطِـن : إذا استجمعت عليك مراسم الظاهِر ، فأيدها بحجج الباطِن[2] .

ويذكر أبو حيان اللفظتين ظاهر وباطن بمعناهما فى المصطلح الفلسفى فيقول فى مقابساته : الفلسفة ، أدام الله توفيقك ، محدودة بحدود ستة ، كلها تدل على أنها بحث عن جميع ما فى العالم مما هو ظاهر للعين ، وباطن فى العقل[3] ويقول أيضًا ذاكرًا الظاهر والباطن بمعناهما الفلسفى وذلك فى حديثه عن الممكن والواجب والممتنع قال : عن ابن يعيش : ولهذا تعلقت التكاليف به فى ظاهر الجبال وبادىء الأمر وعارض الشأن ، واستولى الوجود عليه بباطن الحال وخفى الأمر ، وراتب الشأن ، ولكن هذا الفصل الذى اشتمل على الظاهر والباطن ليس ينكشف للحس كما ينكشف للعقل[4] . ويقول أبو حيان ذاكرًا الظاهر والباطن بمعناهما الدينى الفلسفى : فما الذى تركت للذين جمعوا بين الفلسفة والديانة ، ووصلوا هذه بهذه على طريق الظاهر والباطن ، والخفى والجلى ، والبادى والمكتوم ؟[5] وترد اللفظتان ظاهر وباطن عند أبى حيان فى حديثه عن الإنسان وصفاته وخلقه وبهذا المعنى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظتى ظاهر وباطن : المرائى له ظاهر يحمد ، وإن كان له باطن يذم ، وليس كذلك مظهر الشنّان ، فإنه ليس له باطن يحمد ولا ظاهر يقبل[6] ويقول أيضًا بهذا المعنى الأخلاقى للفظتى ظاهر وباطن : واستعفف فى ظاهرك ، واستشرف فى باطنك ، فإنك بأحدهما تكسب عزوفًا ، وبالآخر تنال

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ٣ ص٩٦ .

(٢) الإشارات الإلهية ص١٧٥ .

(٣) المقابسات ص٢٠٣ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص٢١٧ .

(٥) الإمتاع جـ٢ ص٢٠ .

(٦) الصداقة والصديق ص١٢٠ .

معروفًا[١] ونكتفى بهذا القدر من نصوص أبى حيان المتضمنة للفظتى الظاهر والباطن وقد جاءتا متلازمتين ، وهناك نصوص أخرى من كتابات أبى حيان ترد فيها كل من اللفظتين منفصلة عن الأخرى .

ولفظة **الظاهر** يذكرها أبو حيان بمعنى العالى المكانة ، الرفيع المقام بين قومه فيقول عن أحدهم : ولعله من بيت ظاهر الشرف ، منيف المحل[٢] ، ويذكر لفظة الظاهر بمعنى الواضح الجلى فيقول متسائلًا فى هوامله : لم قال الناس لا خير فى الشركة ؟ وهذا نجده ظاهر الصحة ، لأنا ما رأينا ملكًا ثبت ولا أمرًا تم ، ولا عقدًا صح بشركة[٣] وبمعنى الواضح من غير تأمل أى ما اتضح معناه للسامع يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الظاهر فى مجلس من مجالس الإمتاع وذلك فى حديث عن الشريعة : هى متداولة بين متعلق بظاهر مكشوف ، ومحتج بتأويل معروف[٤] .

ولفظة الباطن ترد عند أبى حيان بمعنى الخفى المحتجب الذى فى علم السرائر والخفيات وفى هذا المعنى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الباطن فى حديثه عن العقائد : سمعت رجلًا يذهب مذهبًا فى الباطن يقول : والله ما أعجب إلا من قوم يعتقدون أن الجنة واحدة والله عز وجل يقول : وجنات ألفافا[٥] .

وهناك مجموعة من الاشتقاقات ذكرها أبو حيان من المادة « ب ط ن » والمادة « ظ هـ ر » ، ومن هذه الاشتقاقات الألفاظ بواطن ، وباطنة ، وظواهر ، وظاهرة وظهارة وظَهْر واشتقاقات أخرى غيرها وذكر أبو حيان أيضًا الفعل بَطَن ويبطن ، وتَبَاطَن ، وظَاهَرَ ، ويظهر ، وترد هذه الاشتقاقات والأفعال متلازمة

---

(١) الإشارات الإلهية ص ١٣٦ .

(٢) الهوامل والشوامل ص ١٩٣ .

(٣) الهوامل والشوامل ص ٦٤ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٧ .

(٥) البصائر والذخائر جـ١ ص٥٤٢ .

فى نصوص أبى حيان .

فلفظة **البواطن** جمع باطن و**الظواهر** جمع ظاهر[1] تردان فى نصوص عديدة من كتابات أبى حيان ففى إشاراته الإلهية يقول أبو حيان موردًا لفظة البَواطن والظوَاهِر : الأشياء لا يحويها شرح كتاب ، ولا يستغرقها بيان خطاب ، لأنها مشتبهة المناظر ، متلونة البواطن والظواهر[2] ، ويقول أبو حيان فى إشاراته أيضا : فناجوا فى السرائر ، وباحوا بالضمائر ، ورفعوا رقوم البواطن والظواهر ، وافترقوا عن الألفة وتكثروا بالوحدة[3] وذكر فى رواياته أيضًا لفظة **الظاهرة** ولفظة **الباطنة** فقال : فى جميع خطراتك الباطِنة ونظراتك الظاهِرة بين قدرة بها استترت فى هذا الظلام[4] ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة **بِطانة وظَهارة** : ولك فى إيثار الحسنى بطانة وظهارة[5] وترد الاشتقاقات المختلفة للمادة ظهر وللمادة بطن ومعها الفعل يظهر والفعل يبطن وذلك فى نص لأبى حيان ذكره فى بصائره ويقول فيه : وأما الظهر : فمعروف من الإنسان ، وفلان ظهر فلان إذا استظهر به أو تظاهر به ، والظهارة من الظهور ، والظاهر ، والبطانة من البطون والباطن ، ورجل مظهر : إذا كان قوى الظهر ، وظهر : إذا كان ظهره يوجعه ، ويقال إن الله ظاهر بالقدرة وباطن بالحكمة ، أى يظهر قدرته ويبطن حكمته ، والظهر أيضا ما غلظ من الأرض[6] .

ويرد الفعل بطن فى قول أبى حيان : حاضرى إذا غبت ، وظاهرى إذا بطنت[7] والفعل ظَاهَر يذكره أبو حيان فى قوله وهو يناجى خالقه : وملكت

---

(١) اللسان ، جـ١ ص٢٢٩ ، جـ٢ ص٦٥٥ .
(٢) الإشارات الإلهية ص ١٦٤ .
(٣) الإشارات الإلهية ص ١١١ .
(٤) الإشارات الإلهية ص ٣١٤ .
(٥) الإشارات الإلهية ص ١٣٤ .
(٦) البصائر والذخائر جـ٢ ص١٦٩ .
(٧) الإشارات الإلهية ص ٢٤٣ .

نواصينا بقدرتك ، وظاهرت عندنا المخبرين عنك والمرشدين إليك[١] . والفعل تباطن يأتى فى نص لأبى حيان يقول فيه : وإذا كنت تباطننى على ما عهدناه قديما ، لم يضرك أن يكون ظاهرك على ما تستديم به[٢] ، هذه الأفعال والاشتقاقات من المادة بطن . ترد فى اللسان مشروحة شرحًا موجزًا ، يقول صاحب اللسان : بطنت بفلان أى صرت من خواصه ، وبطنت الأمر إذا عرفت باطنه ، ويقال : أنت أبطنت فلانًا دونى أى جعلته أخص بك منى ، وتبطّنت الأمر : علمت باطنه . والبِطانة السريرة والباطنة خلاف الظاهرة ، والبِطانة خلاف الظهارة[٣] .

يتضح مما تقدم أن الألفاظ ظاهر وباطن والجمع ظواهر وبواطن جاءت فى كتابات أبى حيان بالمعنى الاصطلاحى الخاص بالعقيدة . وترد هذه الألفاظ عند أبى حيان أحيانًا بالمعنى اللغوى العام ، وتشترك معها بهذا المعنى مجموعة من الاشتقاقات للمادة ظهر ، وللمادة بطن . ومن الملاحظ أن المعنى الاصطلاحى للفظتى الظّاهر والبّاطن هو الأكثر ورودًا عند أبى حيان وقد برز هذا المعنى فى مجال الدين والفلسفة ، ونجد أن صاحب اللسان عند شرحه للفظتى الظاهر والباطن لم يذكر المعنى الاصطلاحى لهما كما أورده أبو حيان .

أما التطور الدلالى لهذه الألفاظ فيتضح فى الاستخدام اللغوى حتى القرن الرابع الهجرى . فالمتتبع لمادة ظهر وبطن ، يجد أن أصل مادة ظهر يدل على البروز والقوة ، ومن بروز الظهر فى الأشياء قيل ظهر أى خرج على الظهر وتبين . ومن معانى الظهر المختلفة وردت لفظة الظاهر وغيرها . أما مادة بطن فالأصل فيها معروف من الإنسان وسائر الحيوان وهو يقابل الظهر وبه شبه بطن الأرض وبطن

---

(١) الإشارات الإلهية ص ٢٦٧ . (٢) الصداقة والصديق ص ٢٦١ .

(٣) اللسان جـ١ ص٢٢٧ .

الوادى وبطن الأمر ، وهنا نلاحظ انتقال الدلالة من المجال المادى إلى المجال المعنوى . وبعد هذا العرض الموجز لرحلة مادة اللفظتين الظاهر والباطن نجد أن دلالة هاتين اللفظتين قد تخصصت فى عصر أبى حيان بعد أن أطلق الظاهر مقابل الباطن على ما يبدو من الشيء فى مقابل ما هو عليه فى ذاته ، وهو تخصيص لهذه الألفاظ حيث تضمنت مفهومًا عقائديًا وفلسفيًّا ، ونصوص أبى حيان خير شاهد على ذلك .

(٦) الاستدلال ، الاحتجاج :

لفظة الاستدلال من الألفاظ العقائدية وقد عرفها صاحب التعريفات فقال : الاستدلال تقرير الدليل لإثبات المدلول سواء كان ذلك من الأثر إلى المؤثر فيسمى استدلالًا آنيًّا ، أو بالعكس فيسمّى استدلالًا : لميًا أو من أحد الأثرين[١] .

والاستدلال فى اللغة طلب الدليل ، وفى عرف الأصوليين يطلق على إقامة الدليل مطلقًا من نص أو إجماع أو غيرهما ، وقيل هو ما ليس بنص ولا إجماع ولا قياس . وبالجملة فالاستدلال فى عرفهم يطلق على إقامة الدليل مطلقًا ، وعلى إقامة دليل خاص ، فقيل هو ما ليس بنص ولا إجماع ولا قياس ، وهو المأخوذ به والقائلون بأنه دليل اختلفوا فقيل هو استدلال مطلقًا لأنه غير النص والإجماع والقياس[٢] ويقول التهانوى فى ختام كلامه عن الاستدلال : وبالجملة فتعريفه بالنظر فى الدليل يختص بمذهب الأصوليين والمتكلمين ، وتعريفه بإقامة الدليل يشتمل مذهب المنطقيين أيضًا[٣] .

---

(١) التعريفات للجرجانى ص ١٧ .

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون جـ٢ ص ٢٩٩ . التعريفات .

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون جـ٢ ص ٣٠١ .

ولفظة **الاستدلال** يذكرها أبو حيان فى كتاباته كثيرًا ففى رسالة الحياة يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الاستدلال : وكل بادٍ فى فضاءِ العقل فهو خفى فى ساحة الحس ولولا هذا البون لكان الاستدلال من الشاهد على الغائب سهوًا[١] ، وفى إحدى المقابسات يذكر أبو حيان لفظة الاستدلال بالمعنى الخاص بالعقيدة التى لاتحتاج لإقامة دليل فيقول : قيل لأبى الخير : حدثنا عن معرفة الله تقدَّس وعلا أضرورة هى أم استدلال ؟ فإن المتكلمين قد اختلفوا فى هذا اختلافًا شديدًا ، فقال هى ضرورة من ناحية العقل واستدلال من ناحية الحس[٢] ، ويعلق أبو حيان على قول أبى الخير : ولما كان كل مطلوب من العلم إما أن يطلب بالعقل فى المعقول ، أو بالحس فى المحسوس ، فلهذا هو من الشاهد إلى الغائب ، ساغ أن يظن تارة أن معرفة الله اكتساب واستدلال ، لأن الحس يتصفح ويستقرى بمؤازرة العقل ومظاهرته وتحصيله[٣] ، وفى تعريف أبى حيان للبديهة يقول ذاكرًا لفظة الاستدلال بالمعنى الفلسفى : البديهة أبعد من معانى الكون والفساد ، وأغنى عن ضروب الاستدلال والاستشهاد[٤] ، وفى سؤال لأبى حيان عن معنى المعرفة يقول فى نص له شارحًا لفظة الاستدلال بمعنى الفعل الذهنى الواقعى : إن كانت ضرورة فهى نتيجة الفطرة ، وإن كانت استدلالًا فهى ثمرة الفطنة ، ولا بد فيها من البحث الطويل والعريض والسماع الواسع الكبير[٥] ، ويقول أبو حيان فى ختام كتابه الإمتاع والمؤانسة ذاكرًا لفظة الاستدلال بمعنى الاستقراء والتعليل : هذا الجزء – وهو الثالث – وقد والله نفثت فيه كل ما كان فى نفسى من جد وهزل ، وغث وسمين ، وشاحب ونضير ، وفكاهة وطيب ، وأدب واحتجاج ، واعتذار واعتلال واستدلال ، وأشياء من طريق المماَلحة[٦] . وقال ذاكرًا لفظة الاستدلال

---

(١) رسالة الحياة ص ٦٠ .

(٢) المقابسات ص ١٧٤ .

(٣) المقابسات ص ١٧٥ .

(٤) المقابسات ص ٢٢٨ .

(٥) المقابسات ص ٤٥٥ .

(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص١٨٦ .

بمعنى الاستنتاج فى حديثه عن علم الفلك وما يصدره من أحكام ومدى صحتها : صحتها وبطلانها متعلقان بآثار الفلك ، وقد يقتضى شكل الفلك فى زمان أن لا يصح منها شيء وإن غيص على دقائقها وبلغ إلى أعماقها ، وقد يزول ذلك الشكل فيجيء زمان لا يبطل منها شيء فيه وإن قورب فى الاستدلال وقد يتحول هذا الشكل فى وقت آخر إلى أن يكثر الصواب فيها أو الخطأ أو يتقاربان[1] . وترد لفظة استدلال عند أبى حيان بمعنى إقامة الدليل فى اللغة وذلك فى حديثه عن أوجه الإعراب فيقول فى هذا المعنى : ولم يؤت المبطلون العلل فى غلطهم على العرب إلا من جهة الألقاب ، لأنهم رأوا النحويين يقولون : رفعت العرب كذا بكذا ، ورأوا العرب لا تعرف الرفع ، ولا النصب ، ولا الجر ، فقضوا على عللهم بالبطلان ، ولو أنعموا النظر لميزوا بين المعنيين ، وهذا قد يجيبك عن الإعراب بالاستدلال من غير سماع[2] هذا ولنا وقفة أخرى مع الاستدلال فى الحديث عن اللغة وبحوثها وألفاظها . ولفظة الاستدلال لم يذكرها صاحب اللسان عند تناوله للمادة (دلل) فهى اشتقاق جديد أورده أبو حيان فى كتاباته نتيجة لكثرة استخدامه فى عصره[3] .

ولفظة أخرى من الألفاظ الخاصة بالعقيدة وهى **الاحتجاج** جاءت من الجدل والمناقشة وإقامة الحجة ، وقد كان باب الجدال مفتوحا فى الرد والقبول ومتسعًا لكل من يرسل عنانه فى الاحتجاج وقد يكون هذا الاحتجاج حقا وصوابا وقد يكون خطأ ، والجدل هو رفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجته أو شبهة أو يقصد به تصحيح كلامه[4] واحتج بالشيء : اتخذه حجة والحجة هى البرهان[5] وهى الاستقامة فى النظر وهى الطريق المستقيم ويحج إذا استقام فى قصده ، أما

---

(١) المقابسات ص ٧٨ .
(٢) البصائر والذخائر حـ٣ ص٩٩ .
(٣) اللسان جـ١ ص١٠٠٥ .
(٤) التعريفات للجرجانى ص ٧٨ .
(٥) اللسان جـ١ ص٥٧٠ .

الاحتجاج فهو الاستقامة فى النظر سواء كان من جهة ما يطلب معرفته أو من جهة غيره[1] .

ويذكر أبو حيان لفظة الاحتجاج فى مجال كلامه عن المباحث الدينية فيقول : أرونى من القرآن تنزيله على هيئته الأولى حين نزل به جبريل على قلب محمد ﷺ وتلاه على أمته بلسانه ، فإنى أجد عند حملته اختلافًا كثيرًا فى تحريفه وتصحيفه ، ونقصه وزيادته ، وإعرابه وغريبه ، ووضعه وترتيبه ولهذا وأشباهه اختلف فى تأويله ، وشك فى تنزيله وكثر خوض الناس فيه وفى تفسيره والاحتجاج له[2] وفى نص آخر يذكر أبو حيان لفظة الاحتجاج فى حديثه عن أصحاب الدواوين فيقول : الدواوين التى ينفرد أصحابها فيها بعمل الحساب فقيرة إلى إنشاء الكتب فى فنون ما يصفونه ويتعاطونه بل لا سبيل لهم إلى العمل إلا بعد تقدمة هذه الكتب التى مدارها على الإفهام البليغ والبيان المكشوف والاحتجاج الواضح[3] . ويقول أبو حيان فى حديثه مع الوزير ابن عباد ذاكرًا لفظة الاحتجاج فى كلامه : ذكرنا – حاطك الله – جملة من القول رأينا تقديمها والاستظهار بها قبل أخذنا فيما أنشأنا له هذا الكلام قصدًا لفل حدّ الطاعن ، وحسما لمادة الحاسد ، وتعلما للجاهل ، وإرشادًا للمستجير ، واحتجاجًا على من يدل بحفظ اللسان وكتمان السر[4] . وذكر أبو حيان الفعل احتج بقوله : قال الشافعي : قلت لمالك : أرأيت أبا حنيفة ؟ قال : نعم رأيت رجلًا لو قال : إن هذه السارية من ذهب لاحتج له[5] ويوضح أبو هلال العسكرى الفرق بين الاحتجاج والاستدلال فيقول : إن الاستدلال طلب الشيء من جهة غيره . والاحتجاج هى الاستقامة فى النظر سواء

---

(١) الفروق فى اللغة أبو هلال العسكرى ص ٦١ وانظر المقدمة لابن حمدون ص ٤٥٧ .

(٢) مثالب الوزيرين ص ١٣٩ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص٩٨ .

(٤) مثالب الوزيرين ص ٥٣ .

(٥) البصائر والذخائر جـ٢ ص٦٠٣ .

كان من جهة ما يطلب معرفته أو من جهة غيره[١] .

ومما تقدم يتضح أن لفظة الاستدلال جاءت عند أبى حيان بالمعنى اللغوى العام ، وجاءت بالمعنى الاصطلاحى وهو الأكثر ورودًا فى كتابات أبى حيان وقد اتخذ أبو حيان من لفظة الاستدلال مصطلحًا فى علم الكلام والمنطق والعلوم البحتة وفى اللغة ، وبهذا خصص دلالة لفظة الاستدلال بهذا المفهوم الاصطلاحى . وهذه اللفظة لم ترد فى اللسان عند تناوله للمادة « دلل »[٢] أما لفظة الاحتجاج فقد جاءت عند أبى حيان بالمعنى الدال على الجدل والمناقشة ، وإقامة الحجة ، وهذا هو المعنى العام للفظة الاحتجاج التى لم يذكرها صاحب اللسان عند تناوله للمادة « حجج »[٣] .

ونستنتج مما تقدم أن لفظة الاستدلال ولفظة الاحتجاج هما من الألفاظ الجديدة فى مبناها ومعناها عند أبى حيان فقد استخدم أبو حيان هاتين اللفظتين كمصطلحين فى علم الكلام والمنطق واللغة وفى مجالات أخرى .

(٧) الاستنباط :

ومن الألفاظ الكلامية لفظة الاستنباط وقد انتشرت هذه اللفظة فى العصر العباسى بعد أن عظمت الأمصار الإسلامية وذهبت الأمّية من العرب بممارسة الكتابة وقد تمكن الاستنباط فى هذا العصر ، بعد أن كمل الفِقْه وأصبح صناعة وعلمًا[٤] .

والاستنباط فى اللغة : الاستخراج وأصله من النَّبْط ، وهو الماء الذى يخرج من البئر أول ما تحفر ، ويقال من ذلك : أنبط فى غضراء أى استنبط الماء من طين[٥] ،

(١) الفروق فى اللغة للعسكرى ص ٦١ .
(٢) اللسان جـ١ ص١٠٠٥ ، ص ٥٧٠ .
(٣) اللسان جـ١ ص١٠٠٥ ، ص ٥٧٠ .
(٤) المقدمة ابن خلدون ص٤٤٦ .
(٥) اللسان جـ٣ ص٥٦٨ .

والاستنباط اصطلاحًا استخراج المعانى من النصوص بفرط الذهن وقوة القريحة[١] واستنبط الفقيه إذا استخرج الفقه الباطن باجتهاده وفهمه . قال الله عز وجل : ﴿ لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ معنى يستنبطونه فى اللغة يستخرجونه[٢] ولفظة **الاستنباط** وردت فى مؤلفات التوحيدى فى أماكن عديدة لا يمكن حصرها فنراه يذكر الاستنباط بقوله : أن الفكر مشوب بالروية ، والظن مخلوط بالوهم ، والذكر معنى بالتخيل ، والبديهة جانحة إلى الحسن ، والاستنباط موصوف بالغوص[٣] ، ويقول أبو حيان ناصحًا : فكن جامعًا بين فضائل نفسك ومحاسن جسدك بالرغبة فى العلم ، والنية الصادقة فى العمل ، والفكر الصحيح فى الاستنباط[٤] ، ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الاستنباط فى نص يرد على لسان الحسن بن سعيد يقول فيه : أفئدة العلماء ينابيع الحكم ، ومعادن جواهر الفطن إذا جرت مياه فكرها فى جداول الاستنباط[٥] .

وفى حديث جرى فى مجلس من مجالس الإمتاع يذكر أبو حيان لفظة الاستنباط بمعنى الفهم فى استخراج معانى الكلام ، والآراء الصائبة، فيقول عن ابن المقفع فى قوله : أى الأمم أعقل ؟ فظننا أنه يريد الفرس ، فقال كلا : ليس ذلك لها ولا فيها وهم قوم علموا فتعلموا ، ومثل لهم فامتثلوا وبدئوا بأمر فصاروا إلى اتباعه ، ليس لهم استنباط ولا استخراج[٦] ، وفى مجلس آخر يذكر لفظة الاستنباط بالمعنى الفلسفى فيقول : فصار الاستنباط والغوص والتنقير والبحث والاستكشاف والاستقصاء والفكر ليونان[٧] . استخدم أبو حيان هنا لفظة الاستنباط فى مجال قضايا الفلسفة والمنطق وما يستنبط منها من نتائج وأحكام . وترد لفظة الاستنباط

---

(١) التعريفات للجرجانى ص ٢٢ .
(٢) اللسان جـ٣ ص٥٦٨ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ٣ ص١٢٨ .
(٤) البصائر والذخائر جـ٣ ص٣٤٥ .
(٥) البصائر والذخائر جـ٣ ص٢٠ .
(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص٧١ .
(٧) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص٢١٢ .

بمعنى استخراج معانى الكلام فى نصٍ لأبى حيان يقول فيه عن رسالة حررها فيصفها : لعلنا كنا نحرر فى الأخلاق رسالة واسطة بين الطويلة والقصيرة يستفاد منها ما وضح لنا بالمشاهدة والعيان وبالنظر والاستنباط[١] .

ويذكر أبو حيان لفظة الاستنباط فى نصوص كثيرة من كتاباته بالمعنى الاصطلاحى الدينى ففى نص له من كتاب الإمتاع ترد لفظة الاستنباط بالمعنى الكلامى وذلك فى وصفه لعلماء الدين فى تناولهم لنص القرآن الكريم والسنة النبوية فيقول : وأما بلاغة التأويل فهى التى تحوج لغموضها إلى التدبر والتصفح ، وهذا يفيد أن المسموع وجوه مختلفة كثيرة نافعة ، وبهذه البلاغة يتسع فى أسرار معانى الدين والدنيا ، وهى التى تأولها العلماء بالاستنباط من كلام الله عز وجل وكلام رسوله - ﷺ - فى الحرام والحلال ، والحظر والإباحة والأمر والنهى ، وغير ذلك[٢] ، ويذكر لفظة الاستنباط أيضا فى حديثه عن العلماء والفقهاء واجتهاداتهم فيقول : وأنت لو عرفت تصرف العلماء والفقهاء فى مسائلهم ، ووقفت على غورهم فى نظرهم وغوصهم فى استنباطهم ، وحسن تأويلهم لما يرد عليهم ، وسعة تشقيقهم للوجوه المحتملة والكتابات المفيدة ، لحقرت نفسك ، وازدريت أصحابك[٣] ، ويحدثنا أبو حيان عن أستاذه أبى سليمان ذاكرًا لفظة الاستنباط بالمعنى العام وهو استخراج معانى الكلام فيقول : أما شيخنا أبو سليمان فإنه أدقهم نظرًا ، وأقعرهم غوصًا ، وأصفاهم فكرًا ، وأظفرهم بالدرر ، وأوقفهم على الغرر ، مع تقطع فى العبارة ولُكنة ناشئة من العُجمة ، وقلة نظر فى الكتب ، وفرط استبداد بالخاطر وحسن استنباط للعويص ، وجرأة على تفسير الرمز[٤] . وهذه المعانى التى ذكرها أبو حيان للفظة الاستنباط هى التى جاءت فى

---

(١) الصداقة والصديق ص ٧٣ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص٢١ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص١٢٧ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص٣٣ .

اللسان والمعاجم الأخرى . ويذكر أبو حيان أيضًا لفظة الاستنباط فى مجال المنطق والفلسفة ، ويبتعد بنا قليلًا عن قيود الدين فيقول فى أحد نصوصه : مبدأ الجوهر الصورة والمادة ، ومبدأ الكم النقطة والوحدة ، ومبدأ الكيف السكون والحركة ، وهذه المبادئ هى أوائل العالم العلوى والسفلى والعقلى والحسى ، وصار إيضاحه بهذا التلخيص ببحث العقل ، واستنباط النفس وشهادة الحال وحقيقة المطلوب(١) . ويقول ذاكرًا لفظة الاستنباط بهذا المعنى الفلسفى : إن العلل تابعة للأشياء ، ليس الأشياء تابعة للعلل ، لأنك هكذا وجدتها ، فعلى ما وجدتها بنيتها ، ولو وجدتها على غير ما هى عليه لكان استنباطك على ما كنت تجدها عليه(٢) . ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الاستنباط بهذا المعنى المنطقى : وكما أن الإنسان ذو طبيعة لآثارها الظاهرة فى بدنه ، كذلك هو ذو نفس لآثارها الظاهرة فى آرائه وأبحاثه ، ومطالبه ومآربه وكذلك هو ذو عقل لتمييزه وتصفحه ، واختباره وفحصه واستنباطه ، ويقينه وشكه(٣) . وهناك بعض الكلمات تشارك لفظة الاستنباط فى المادة « نبط » ومنها الفعل استنبط وقد ذكره أبو حيان فى قوله : هذا مقال ما استنبط علمه مذ كتم(٤) والفعل يستنبط يذكره أبو حيان فى قوله عن أحدهم : يستنبط الحق من الباطل ، واليقين من الشك(٥) ، ولفظة أخرى مُسْتَنْبَط يذكرها أبو حيان قائلا : وأمور الكون بمثال واضح ، أو قياس مستنبط ، أو علة ظاهرة(٦) .

يتضح مما تقدم أن لفظة الاستنباط جاءت عند أبى حيان بالمعنى الاصطلاحى العام(٧) الدال على استخراج معانى الكلام ،وبالمعنى الخاص بأمور الدين العقائدية

---

(١) المقابسات ص ١٠٤ .
(٢) المقابسات ص ٤٣٧ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ٣ ص١١٠ .
(٤) الإشارات الإلهية ص ٦٨ .
(٥) البصائر والذخائر جـ٣ ص١٤٩ .
(٦) البصائر والذخائر جـ١ ص١٨٩ .
(٧) البصائر والذخائر جـ٣ ص٣٤٥ ، والإمتاع والمؤانسة جـ١ ص٣٣ .

والأحكام الفقهية[1] ونتائج القضايا الفلسفية والمنطقية[2] وهذا المعنى الاصطلاحى ورد ذكره عند صاحب اللسان فى تعريفه للفظة الاستنباط . ومن الملاحظ أن صاحب اللسان لم يتعرض للمفهوم الفلسفى لهذه اللفظة ..

ومن الاشتقاقات الجديدة التى جاءت فى كتابات أبى حيان لفظة مستنبط ، وهذه اللفظة لم ترد فى اللسان عند تناوله للمادة (ن ب ط) فالمستنبط إذن اشتقاق جديد كثر استخدامه فى عصر أبى حيان وذكره فى كتاباته . أما بشأن التطور الدلالى للفظة الاستنباط فنلاحظ أن هذه اللفظة انتقلت دلالتها من مجال مادى وهو استخراج الماء من منبعه إلى مجال معنوى وهو استخراج معانى الكلام ثم تخصصت دلالة لفظة الاستنباط بعد أن استخدمت فى مجال علم الكلام والفقه والفلسفة . وتخصيص الدلالة لهذه اللفظة يتضح فى نصوص أبى حيان بعد أن استخدمها بالمفهوم الكلامى الفقهى والفلسفى المنطقى .

(٨) التوحيد ، الإلهى :

لفظة التوحيد من الألفاظ الخاصة بالعقائد والعبادات والتوحيد فى المقام الأول هو القول بأن الإله واحد لا إله سواه ، ويسوق المتكلمون الأدلة على الوحدانية بهذا المعنى .

والتوحيد فى اللغة الحكم بأن الشيء واحد والعلم بأنه واحد[3] ثم يستعمل فى الخبر عن كون الشيء واحدًا ، أما فى اصطلاح المتكلمين فهو العلم بأن الله تعالى واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات : — نفيًا وإثباتًا — على الحد الذى يستحقه ، والإقرار به ولا بد من اعتبار هذين الشرطين : العِلْم ، والإقرار

---

(١) الإمتاع جـ٢ ص٢١ ، جـ١ ص١٢٧ .　　(٢) المقابسات ص ٤٣٧ .

(٣) التعريفات للجرجانى ص ٧٣ .

جميعًا لأنه لو علم ولم يقر ، أو أقر ولم يعلم ، لم يكن موحدًا[1] أما صاحب اللسان ، فيعرف لفظة التوحيد فيقول : التوحيد : الإيمان بالله وحده لا شريك له . والله الواحد الأحد : ذو الوحدانية والتوحد .وعن ابن سيده يقول : والله الأوحد والمتوحد ذو الوحدانية ومن صفاته الواحد الأحد ، وقيل : الفرق بينهما أن الأحد بنى لنفى ما يذكر معه من العدد ، وقيل : الواحد هو الذى لا يتجزأ ولا يثنى ولا يقبل الانقسام ولا نظير له ولا مثل ولا يجمع هذين الوصفين إلا الله عز وجل . والتوحيد ثلاثة أشياء معرفة الله تعالى بالربوبية ، والإقرار بالوحدانية ونفى الأنداد عنه جملة[2] .

تؤكد المصادر أن أبا حيان كان معتزليًا جاحظى المسلك[3] وكان له فى التوحيد لسان خاص وهو بحكم اعتزاله قائل بالتعطيل[4] أى تجريد الذات الإلهية من الصفات . وفى كتابات أبى حيان وخاصة المقابسات نصوص عديدة تثبت هذا الرأى وهو انتساب أبى حيان إلى مذهب الاعتزال . هذا وقد احتلت فلسفة التوحيد مكانة كبرى فى مذهب أبى حيان الذى جمع بين الكلام والفلسفة والتصوف ، ولنر ما قاله فى كتاباته عن التوحيد وأنواعه وشرحه لمذهبه فى التوحيد ففى نص له من الإشارات يقول أبو حيان معرفًا لفظة **التوحيد** : متن التوحيد مشاهدة الواحد بالضمير المعتقد على الآخر على مباينة كل ما سواه[5] ، ويقول أبو حيان نقلًا عن أستاذه أبى سليمان فى تعريفه للفظة التوحيد : سمعت أبا سليمان يقول : المحال ما لا صورة له فى النفس . فقيل له : والبارى على هذا ما نقول فيه ؟ أمحال هو ؟ فقال : لكن عليه شهادة من العقل ، فشهادته تثبت

---

(١) مذاهب الإسلاميين د. عبد الرحمن بدوى ص ٥٨ .

(٢) اللسان جـ٣ ص٨٨٨ ، وانظر التعريفات ص ٧٣ .

(٣) معجم الأدباء جـ١٥ ص ٥ وانظر مفتاح السعادة جـ١ ص١٨٨ .

(٤) لسان الميزان للعسقلانى جـ٩ ص٣٦٩ .

(٥) الإشارات الإلهية ص ١٠٨ .

أنيته ، وبارتفاع صورته ارتفعت كيفيته ، وهذا هو عين التوحيد[1] .

ويذكر أبو حيان لفظة التوحيد فى نص جاء على لسان أستاذه أبى حامد فى تفسيره لدلالة التوحيد من الآيات القرآنية التى لها مساس بفكرة التوحيد فيقول : سمعت أبا حامد يقول رأيت بعض الصحابة فى المنام فقلت له : ما الدلالة على التوحيد ، فقال : ﴿ إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ﴾[2] وفى هوامله يقول أبو حيان موضحًا لفظة التوحيد من خلال الآية الكريمة الآتية : قال الله – عز وجل ذكره – ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ وصار هذا المعنى أشرف دليل فى توحيد الله – جل ثناؤه – ونفى كل ما عداه[3] ، ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة التوحيد وموقف أصحاب الكلام من هذا المبحث العقائدى : وإنما البلاء كلّه من أصحاب الكلام الذين يظنون أن التوحيد لا يصح إلا بنظرهم[4] .

ولفظة التوحيد لها سمو عند أبى حيان وهو أعلم الناس بهذا فنراه يخاطب الإنسان قائلًا : إذا سما بك العز إلى علياء التوحيد ، فتقدس قبل ذلك عن كل ما له رسم فى الكون ، وأثر فى الحس ، وبيان فى العيان[5] .

والفرق الواضح الذى يقيمه أبو حيان بين توحيد العامة وتوحيد الخاصة هو ما عبر عنه بوضوح حينما عرف لفظة التوحيد فقال : إنه اعتراف النفس بالواحد لوجدانها إياه واحدًا من حيث هو واحد ، لا من حيث قيل إنه واحد ، وهذا هو الحد بين توحيد الجمهور بالتقليد وبين توحيد الخاصة بالتحقيق[6] يربط أبو حيان فى نصه هذا إيمان العامة بالتقليد بينما يربط إيمان الخاصة بالتحقيق فيقيم بذلك الدليل

---

(١) المقابسات ص ٣٦٠ .

(٢) البصائر والذخائر جـ٣ ص١٧٨ .

(٣) الهوامل والشوامل ص ٦٤ .

(٤) البصائر والذخائر جـ٢ ص٤٩٨ .

(٥) الإشارات الإلهية ص ٢٥٤ .

(٦) المقابسات ص ٤٥٧ .

على أن توحيد الخاصة أكثر صفاء فى نظره من توحيد العامة . وعن توحيد العامة يقول أبو حيان فى مقابساته : والعامة لا توحيد لها ، ولا حقيقة معها ، ولا مبالاة لها[1] .

ويتساءل أبو حيان فى إحدى مقابساته عن السبب فى أن التوحيد لم يصف فى الشريعة من شوائب الظنون ، وأمثلة الألفاظ كما صفا ذلك فى الفلسفة ؟[2] ، هذا إننا لو عدنا إلى كلام الأوائل فى التوحيد لوجدناه كلامًا متفاوتًا لا يخلو من شوائب الظنون[3] .

ويعقب أبو حيان على هذه المقابسة التى دارت حول سبب عدم صفاء التوحيد فى الشريعة من شوائب الظنون فيقول : وكان ذيل الكلام أطول من هذا فشمرته خوفًا من جناية اللسان فى الحكاية ونزوة القلم فى الكتابة فيما يجب على الإنسان إذا نشر حديثًا ، وروى خبرًا ، خاصة إذا كان ذلك فى شئ غامض ومعنى عويص[4] ، واضح من هذا النص أن أبا حيان قد أمسك عن الاسترسال فى شرح مذهبه فى التوحيد مخافة أن يرميه بعض الناس بالكفر ، جريًا على عادتهم فى ذلك العصر ، ويذكر أبو حيان لفظة التوحيد بمعنى آخر لهذه اللفظة لعله هو السبب المباشر فى اتهامه بالكفر فيقول فى نص له من هوامله موجهًا سؤاله إلى مسكويه : ما الذى حرك الزنديق والدَّهْرِىّ على الخير ، وإيثار الجميل ، وأداء الأمانة ، ومواصلة البر أترى الباعث على هذه الأخلاق الشريفة ، رغبة فى الشكر ؟ فهل فى هذه الأمور ما يشير إلى توحيد الله تبارك وتعالى[5] يتضح من سؤال أبى حيان أنه ينسب إلى الزنديق والدهرى ضربًا من الإيمان العقلى ، وكأن أفعالهما تشهد بذلك ، وهذا شاهد على اعتراف أبى حيان بأن الإيمان بالله تعالى حقيقة مسلّم بها

---

(١) المقابسات ص ٨٤ .

(٢،٣) المقابسات ص ٢٦٥ ، ص ٢٦٦

(٤) المقابسات ص ٢٦٨ .

(٥) الهوامل والشوامل ص ١٩٢ .

من قبل الجميع ، وإنْ اختلفت مذاهبهم وعقائدهم فى تحديد علاقتهم بالخالق .

وترد لفظة توحيد فى بعض نصوص أبى حيان بالمعنى اللغوى العام وفى هذا المعنى يقول أبو حيان فى مقابساته : لو كانت الأشياء تحتاج فى كل عرض إلى من ينسب إليه لبطل التوحيد رأسًا ، أعنى أنها كانت إذا تضامت تحتاج إلى ضامٍ لها[1] ويقول بهذا المعنى أيضًا فى نصٍ له من بصائره : وكل صانع من الناس فليس يستغنى فى إظهار مصنوعه عن أشياء تكون عللًا لها : أحدها مادة له آلة ، ومادة يعمل بها ، والثانى : صورة ينحو بفعله نحوها ، والثالث : حركة يستعين بها فى توحيد تلك الصورة بالمادة[2] .

ويرد فى نصوص أبى حيان مصطلح « العدل والتوحيد » ومشكلة « العدل والتوحيد » من مشاكل علم الكلام الإسلامى بصورة عامة والاعتزال بصفة خاصة ، وقد كثر جدل المتكلمين فى عصر أبى حيان حول العدل والتوحيد حتى أصبحت مشكلة المشاكل لدى الخاصة والعامة على السواء ، والدليل على ذلك ما رواه أبو حيان فى كتاباته وخاصة كتاب مثالب الوزيرين فى وصفه للصاحب فقال : وكان مع هذا المذهب الذى يدل به ويسميه العدل والتوحيد قليل التوجه إلى القبلة قليل الركوع والسجود[3] ، ويقول أيضًا فى مثالبه : ومن العجب أنه يدعى العدل والتوحيد وهو لا يفيق من قتل من ظن به عداوته ، والوقيعة فيه ، أو القدح فى رقعة له ، وإن كان ذلك الإنسان من الصالحين[4] ويقول أبو حيان نقلا عن الخُوارزمى فى وصفه للصاحب يدعو إلى العدل والتوحيد ، ويدعى الوعد والتخليد ثم يخلو باستعمال الأمور ويشتمل على الفسوق والفجور[5] ، ويروى أبو حيان نقلًا عن أبى راغب العتيبى فى رسالته إلى الصاحب ذاكرًا العدل والتوحيد

---

(١) المقابسات ص ٤٤٢ .

(٢) البصائر جـ٢ ص٧٦٤ .

(٣) مثالب الوزيرين ص٨٢ .

(٤) مثالب الوزيرين ص١٣٣ .

(٥) مثالب الوزيرين ص٧٧ .

فيقول على لسان العتيبى : فيا أيها المدل بالتوحيد والعدل أهذا كله فى مذهبك أو فى مذاهب أسلافك مثل واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، وأبى موسى المردار[١] ، ويقول أبو حيان فى مثالبه أيضا ذاكرًا شيخ العدل والتوحيد : ولكن صدق عمرو بن عبيد شيخنا وشيخ الإسلام ، وشيخ العدل والتوحيد حين قال : لن يكون العبد مستكملًا لاسم الولاية حتى يسمع للكلمة العوراء فيجعلها دبر أذنه[٢] .

وفى تعريفنا للفظة العدل بمعناها اللغوى فهى مصدر عدل يعدل عدلًا . وقد يُذكر ويراد به الفعل ، ويذكر ويراد به الفاعل وذلك على طريق المبالغة وإذا استعمل فى الفعل فمعناه : توفير حق الغير ، واستيفاء الحق منه . وأما إذا استعمل فى الفاعل فهو : فاعل هذه الأمور هذا فى أصل اللغة . وأما فى الاصطلاح فإنه إذا قيل إنه تعالى عدل فالمراد به أن أفعاله كلها حسنة ، وأنه لا يفعل القبيح ، ولا يخل بما هو واجب عليه ، وهذا التعريف هو اصطلاح المعتزلة الذين يقولون بالعدل والتوحيد وإن سألهم سائل : كيف يصح قولكم إن أفعاله كلها حسنة ، مع أنه هو الفاعل لهذه الصور القبيحة المنكرة يجيبون عن هذا التساؤل : أنا لا نعنى أنه يحسن من جهة المرأى والمنظر ، وإنما نريد أنه يحسن من جهة الحكمة[٣] . ويربط أبو حيان معنى التوحيد بمعنى التنزيه الذى يقوم على تجريد الذات الإلهية من سائر الصفات لأن من ينسب إلى الله صفات لا بد أن يشرك بالوحدانية كما يقول أبو حيان فى مقابساته : من اعترف بالوحدانية ثم شبه ، فقد ارتجع ما قاله ، ونقض ما اعتقد ، وأما من ذكر أكثر من واحد فقد ضل عن الحق كل الضلال . وأما من أشار إلى الذات فقط بعقله البرىء السليم ، من غير تورية باسم أو تحلية برسم ،

---

(١) مثالب الوزيرين ص١٠٧ . (٢) مثالب الوزيرين ص١٧٢ .

(٣) مذاهب الإسلاميين د. عبد الرحمن بدوى ص٦٠ ، ٦١ .

فقد وفى حق التوحيد بقدر طاقته البشرية لأنه أثبت الأنيّة ونفى الأينيّة والكيفيّة ، وعلاه عن كل فكر وروية[1] ومشكلة الصفات الإلهية أثارها أبو حيان بصورةٍ واضحة صريحة فى هوامله فقد سمع سائلًا يسأل قائلًا : ما بال أصحاب التوحيد لا يخبرون عن البارى إلا بنفى الصفات ؟ فقيل له بيِّن قولك ، قال : إن الناسَ فى ذكر صفات الله تعالى على طريقين : فطائفة تقول لا صفات له كالسمع والعلم والبصر والحياة والقدرة ، لكنه مع نفى هذه الصفات موصوف بأنه سميع بصير حى قادر عالم ، وطائفة قالت : هذه أسماء لموصوف بصفات هى العلم ، والقدرة والحياة ، ولا بد من إطلاقها وتحقيقها ثم إن هاتين الطائفتين تطابقتا على أنه عالم لا كالعالمين وقادر لا كالقادرين[2] والمتأمل فى هذا السؤال الذى طرحه أبو حيان فى الهوامل والشوامل على صديقه مسكويه ، يلاحظ أن التوحيدى يميل إلى القول بأن نفى الصفات عند الطائفة الأولى يفضى فى النهاية إلى إثباتها ، فى حين أن إثبات الصفات عند الطائفة الثانية يكاد يفضى فى خاتمة المطاف إلى نفيها ، ويرد الفعل توحد فى نصوص عديدة من كتابات أبى حيان يذكر الفعل توحّد فيقول : يا هذا ! لو توحدت عن كثرتى ، أو تفردت عن صحبتى ، أو لزمت حجتى بدل شبهتى ، لأبصرت الطريق واضحًا[3] وتوحّد برأيه : تفرد به ، ويقول ابن منظور : أما قول الناس : تَوَحَّد الله بالأمر وتفرد ، فإنه وإن كان صحيحًا فإنى لا أحب أن ألفظ به فى صفة الله تعالى فى المعنى إلا بما وصف به نفسه فى التنزيل أو فى السُّنة[4] ، ويذكر أبو حيان لفظة التَوَحُّد فيقول : يا هذا إنْ عاقك العجز المبذور فيك عن تناول الجوهر المنثور عليك ، فارع زهرة الأمانى متعلِّلًا وتشبث بعلائق التوحّد مترسلًا[5] . ويذكر أبو حيان لفظة توحيديَّة فيقول : وإثارة

---

(١) المقابسات ص٢٦٧ .
(٢) الهوامل والشوامل ص٢٧٨ .
(٣) الإشارات الإلهية ص ١٠٤ .
(٤) اللسان جـ٣ ص٨٨٨ .
(٥) الإشارات الإلهية ص ١١٣ .

للحكمة الإلهية واستنارة بالحال التوحيديّة[1] وهذه اللفظة لم ترد فى اللسان عند تناوله المادة (وحد) ولفظة توحيديّة مصدر صناعى كثر استخدامه فى العصر العباسى .

والألفاظ : **الإلهى والإلهية والإلهيات** ألفاظ كلامية عقائدية وقد خلط المتأخرون من المتكلمين مسائل علم الكلام بموضوع الإلهيات ، ومسائله بمسائلها فصارت كأنها فرع واحد . وصار علم الكلام مختلطًا بمسائل الحكمة وكتبه محشوة بها كأن الغرض من موضوعهما ومسائلهما واحد والتبس ذلك على الناس وهو صواب لأن مسائل علم الكلام إنما هى عقائد متلقاة من الشريعة كما نقلها السلف من غير رجوع فيها إلى العقل[2] . وقد جاء فى اللسان الإله : الله عز وجل ، وكل ما اتخذ من دونه معبودًا إله عند متخذه وأصله من أله يأله إذا تحيّر ، أى إذا وقع العبد فى عظمة الله وجلاله لأن العقول تأله فى عظمته ، والتألّه : التنسك والتعبد . ويقال إله بين الإلهية والإلهانية[3] والإلهىّ هو المنسوب إلى الله ، أو الموحى به من الله[4] . وموضوع العلم الإلهى هو الوجود المطلق ولوّاحقه التى له بذاته ومبادئه وينتهى فى التفصيل إلى حيث تبتدئ منه سائر العلوم . وفيه بيان مبادئها[5] .

لفظة الإلهى ترد فى أماكن كثيرة جدًا من كتابات أبى حيان بالمعنى الخاص بالعقيدة الإسلامية فيذكر أبو حيان لفظة الإلهى فى أحد نصوصه فيقول : وأفعال الله تعالى خفية المطالع جلية المواقع ، مطوية المنافع ، لأنها تسرى بين الغيب الإلهى

---

(١) المقابسات ص ٤٣٩ .
(٢) المقدمة ص ٤٩٥ .
(٣) اللسان جـ١ ص ٨٨ .
(٤) المعجم الفلسفى جـ١ ص٣٥ ، ص١٢٩ .
(٥) الملل والنحل للشهرستانى جـ٣ ص١٨ إلى ص٤١ ، وانظر مفتاح السعادة ، طاش كبرى زاده جـ١ ص٣١٣ إلى ص٣٢٠ .

والعيان الإنسي[1] ويقول أبو حيان : الأدب كله فى السُّنة ، وهى الجامعة للأدب النبوى والأمر الإلهى[2] ، وترد لفظة الإلهى فى رسالة الحياة وفيها يقول أبو حيان : وهذه الحياة تستفاد بالتأييد الإلهى ، والاختيار البشرى ، مع النية الحسنة[3] وحدد أبو حيان أفعال الإنسان فى نص له يذكر فيه لفظة الإلهى فيقول مخاطبًا : كانت حركاتك موزونة بالناموس الإلهى وسكناتك معدلة بالغيب الحكمى[4] ، ويذكر أبو حيان الكمال الإلهى فيقول : والكمال الإلهى غنى عن الكمال البشرى ، والكمال البشرى فقير إلى الكمال الإلهى[5] ، وهناك تعابير يذكرها أبو حيان فى حديثه عن الجزء الإلهى فيقول : هذا لى ، وهذا بى ، وهذا منى ، وعنى ، وفى ، ثم يتساءل فى مقابساته فيقول : أما تعلم أن الإضافة ، فى مثل هذه المواضع كلها ، إلى الجزء الإلاهى لأن الإنسان محدود بأنه حى ناطق مائت[6] عندما ترد فى نصوص أبى حيان عبارات مثل الأمر الإلهى والتأييد الإلهى والجزء الإلهى فقد يتبادر إلى الذهن عند البعض أنه ينسب إلى الله تعالى مقصدًا شبيهًا بمقاصد البشر أو غرضًا شبيهًا بأغراضنا . ولكن الظاهر أن أبا حيان كان يميل إلى تنزيه الله عن كل غرض أو مقصد بدليل قوله فى إشاراته الإلهية : إلهى ما أقوله فأنت فوقه وكل ما أضمره فأنت أعلى منه ، فالقول لا يأتى على حقك فى نعتك والضمير لا يحيط بكنهك[7] .

أما لفظة **الإلهية** فهى كل اسم إلهى مضاف إلى البشر والإلهية هى أحدية جمع جميع الحقائق الوجودية[8] . يذكر أبو حيان لفظة الإلهية فيقول : قوة الإلهية تنشأ

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص١٦٣ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص٧٦ .

(٣) رسالة الحياة ص٥٦ .

(٤) الإشارات الإلهية ص ١٦٥ .

(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص٢١ .

(٦) المقابسات ص٢٣١ .

(٧) الإشارات الإلهية ص ٢١٨ .

(٨) التعريفات للجرجانى ص٣٩٥ .

من النفس لها فواتح طبيعية وأوائل حسية[1] وقال أبو حيان : لكل امرئ شان مخصوص وهوية : إما زائد ، وإما منقوص الإلهية[2] . هذا وقد جعل أبو حيان لفظة الإلهية عنوانًا لأحد كتبه وأسماء الإشارات الإلهيَّة ، وفى هذا الكتاب ترد لفظة الإلهيّة فى أماكن لا يمكن حصرها ففى نص له من إشاراته يقول فيه : إن أدهشك فضاء الإلهية فاستأمن إلى حَدِّ العبودية[3] ، وفى نص آخر يذكر لفظ الإلهية فى مناجاته فيقول : اللهم إن إلاهيتك بحر لا ساحل له[4] ، ويقول أيضًا : ولا إطناب لى فى نعت إلاهيتك إلا لتشيع عنى ما وجدته بك[5] . يعترف أبو حيان فى نصوصه عن عجزه التام فى وصف الذات الإلهية ، ويقول أبو حيان فى نص آخر من إشاراته ذاكرًا لفظة الإلهية : يا هذا : إن كنت غريبًا فى هذه اللغة فاصحب أهلها ، واستدم سماعها ، فإنك بذلك تقف على هذه الأغراض البعيدة المرامى ، السحيقة المعامى ، لأنها إشارات إلهية وعبارات أنسية[6] ثم يستمر فى مناجاته هذه فيقول : وأنتِ محتاج إلى أن تألف فى الأول بطول السماع ، ثم تتصعد من ذلك إلى الإشارات الإلهية ببسط الذراع ورحب الباع ولطف الطباع[7] ونتابع لفظة الإلهية فى كتابات أبى حيان فنراه يقول فى حديثه عن الحياة الإلهية وهل يصح أن ننسب لها صورة من صور الحياة : وقد صار مستحقا للحياة الإلهية ، والحياة الإلهية من الخلود والديمومة والسرمدية[8] ، يبين أبو حيان فى نصه هذا بأن الذات الإلهية يصح أن ينسب لها صورة من صور الحياة التى بها يقال عن الله إنه حى ولكن هذه الصور ليست من الصور التى يلم النطق بحقيقتها . وكيف يصح أن يتصور البشر الحياة الإلهية وهم بطبعهم ميالون إلى ربط الحياة بالحس والحركة

---

(١) المقابسات ص٤٧٤ .
(٢) الإشارات الإلهية ص ٣٠١ .
(٣) الإشارات الإلهية ص ١١٢ .
(٤) الإشارات الإلهية ص ١٩٦ .
(٥) الإشارات الإلهية ص ٢١١ .
(٦) الإشارات الإلهية ص ٣٢٤ .
(٧) الإشارات الإلهية ص ٢٢٤ .
(٨)الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص١١ .

والمادة والهيولى[1] ، ويؤكد أبو حيان أنه ليس من حق الإنسان أن يتكلم عن تلك الحياة الإلهية ما دامت هذه الحياة لا تدخل فى باب الهيولى والصورة[2] .

ولفظة **الإلهيات** ترد عند أبى حيان فى نصوص عديدة من كتاباته بمعنى « علم الإلهيات » ففى أحد النصوص يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الإلهيات فى حديثه عن الجبر والاختيار : إن من لحظ الحوادث والكوائن والصوادر والأواتى من معدن الإلهيات أقر بالجبر وعرًّى نفسه من العقل والاختيار والتصرف والتصريف[3] ، ويقول واصفًا أستاذه يحيى بن عدى ذاكرًا لفظة الإلهيات بالمعنى الاصطلاحى : ولم يكن يلوذ بالإلهيات ، كان ينبهر فيها ويضل فى بساطها[4] ، وقال التوحيدى على لسان أبى عائد الكرخى : والبدأة فى الطبيعيات وحدة ، كما أن الوحدة فى الإلهيات بدأة ، وهذا كلام خطير[5] . ولفظة الإلهيات لم ترد فى اللسان عند تناوله للمادة (أل هـ) فهى صيغة جديدة أوردها أبو حيان فى كتاباته وكذلك لفظة الإلهى .

مما تقدم يتضح أن أبا حيان أكد فى كتاباته على وحدانية الله تعالى ، ونفى سائر الصفات عنه فربط التوحيد بالتنزيه . وأوضح أبو حيان فى كتاباته قصور العقل البشرى عن الإحاطة بالذات الإلهية ونزه الله فى الوقت نفسه عن سائر الصفات البشرية وأكد أن الإيمان بالله تعالى حقيقة مسلّم بها من قبل الجميع وإن اختلفت العقائد فى وصف الذات الإلهية وتحديد علاقات الخالق بالبشر . وانتهى أبو حيان من دراسته لعقيدة التوحيد إلى الاعتراف بأن الذات الإلهية لا يمكن وصفها أو إدراك كنهها . وكشف الأسرار الخفية لعقيدة التوحيد التى تحار فيها العقول واحتلت فلسفة التوحيد مكانة كبرى فى فكر أبى حيان . أما لفظة التوحيد فقد وضعها أبو حيان فى منزلة سامية .

---

(١) رسالة الحياة ص٦٢ .

(٢) رسالة الحياة ص٦٣ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص٢٢٣ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص٣٧ .

(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص١٣٣ .

ومن الملاحظ أن دلالة لفظة التوحيد قد ارتقت فى عصر أبى حيان بسمو مكانتها ، واستخدم أبو حيان الألفاظ التوحيد والتوحد والتوحيدية والإلهى والإلهية والإلهيات بالمعنى الاصطلاحى الخاص بعلم الكلام العقائدى ، وهذا المعنى الخاص لم يتطرق له صاحب اللسان فى معجمه عند تناوله للمادة « وحد » والمادة « أله » كما أن صاحب اللسان لم يذكر الألفاظ إلهىّ ، والإلهيات وتوحيدية فهى اشتقاقات أوجدها أبو حيان فى كتاباته نتيجة لكثر استخدامها فى عصره ولفظة توحيديَّة مصدر صناعى وإن كانت الصيغة التى استعملت ليست إلا صيغة النسب المعروفة مع تاء الاسمية .

(٩) القدس ، التقديس ، المقدس :

القدس : تنزيه الله تعالى ، والقدس : البركة ، والقُدْس ، والقُدُس ، بضم الدال وسكونها ، اسم ومصدر ومنه قيل للجنة حظيرة القدس . والتَقديس : التطهير والتبريك ، وتَقَدَّس أى تطهر . والأرض المقدسة : المطهرة المباركة وهى دمشق وفلسطين ، وبعض الأردن وبيت المقدس من ذلك أيضًا . وروح القدس : جبريل عليه السلام معناه روح الطهارة أى خلق من طهارة[(١)] .

ولفظة قدس وردت فى كتابات أبى حيان ومعها اشتقاقات متعددة مثل مقدس ومقدسة وتقديس وقدسى وقدسية ومتقدس والفعل قدس تقدس . ويذكر أبو حيان لفظة **قُدْس** فيقول : وكانت هذه العصابة قد تآلفت بالعشرة ، وتصافت بالصداقة واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة[(٢)] ، ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة القدس : هناك الواصل والموصول ، والعالم والمعلوم ، والعاقل والمعقول ، فى فضاء الوحدة ، ومغانى القُدْس[(٣)] .

---

(١) اللسان جـ٣ ص٣٣ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص٥ .

(٣) المقابسات ص١٧٠ .

ويذكر أبو حيان لفظة القدس مضافة إلى الألفاظ حظيرة وحضرة ومحلة ، وحظيرة القدس : معناها الجنة وأنزلك الله حظيرة القدس وهى الجنة[1] ذكر أبو حيان فى نصوص من كتاباته حظيرة القدس فقال : بهذه الحياة الجامعة بين السرور والبقاء السرمدى فى حظيرة القُدْس ومراد الأنس وقال أبو حيان فى إشاراته ذاكرًا حظيرة القدس : فلقد خصصت بحلاوة الأنس ، ومشارفة ودائع الله فى حظيرة القدس[2] ، ويقول أبو حيان فى إشاراته أيضًا : اللهم أنت بنا أبصر ، ونحن عن مصالحنا أقصر ، فرقنا بكرمك إلى حظيرة القُدْس[3] ، ويذكر أبو حيان حضرة القدس فيقول : فقد حماه الله غائلة هذا الرأى ، وكفاه مؤونة هذا الحظر ، وجعله من الأعلين فى حضرة القدس وحظيرة الأنس[4] ، وفى نص لأبى حيان يقول فيه ذاكرًا محلة القدس فيقول فى مناجاته : واستيقن أن محبة النفس فى معرفة النفس ، وأن معرفة النفس استكشاف لمحلة القدس[5] ، وفى نصوص أخرى من كتابات أبى حيان ترد لفظة القدس مضافة إلى روح ، وروح القدس عند المسلمين بمعنى الملك جبريل عليه السلام وقد ذكر أبو حيان **روح القدس** بهذا المعنى فقال : والنبى عليه السلام لا يرضى بلعن من يقول له حاضًّا على جوابه المشركين : قل ومعك روح القدس[6] وروح القدس عند النصارى الأقنوم الثالث من الأقانيم الإلهية[7] وقد ورد مصطلح روح القدس عند أبى حيان بالمعنى الذى ذكرته النصرانيَّة فقال فى بصائره على لسان أبى نواس : رأوا أبا نواس بقطربل وفى يده شراب وعن يمينه عنقود وعن يساره زبيب فقيل له : ما هذا ؟ قال ابن وأب وروح القدس[8] والفعل قَدَّس ومعناها طهر وبارك وقد ذكر أبو حيان الفعل قدس فقال : والعرب

---

(١) أساس البلاغة للزمخشرى جـ٢ ص٢٣٤ .
(٢) الإشارات الإلهية ص٣٧٧ .
(٣) الإشارات الإلهية ص٣٨٣ .
(٤) المقابسات ص٤٢٣ .
(٥) الإشارات الإلهية ص١٧٩ ، ص٣٥٣ .
(٦) مثالب الوزيرين ص٢٤ .
(٧) أقرب الموارد للشرتونى جـ٢ ص٩٧٢ .
(٨) البصائر والذخائر جـ٤ ص١٤٨ .

قد قدسها الله عن هذا الباب بأسره ، وجبلها على أشرف الأخلاق بقدرته[1] والفعل تقدس بمعنى تطهر وقد ذكره أبو حيان فى وصفه للبارى جل وعز اسمه فقال فى مقابساته : فإن الله تقدس اسمه معروف عند العقل بالاضطرار لا ريب عنده فى وجوده[2] ، ويقول أيضًا : وإلَّا فقولك علم ويعلم وعالم ، خبر من ضرب من ضروب الانفعال ، والبارى ، تقدس اسمه لا انفعال له بوجه البتة[3] والفعل تقدس يذكره أبو حيان فى مقابساته فيقول : نوحدك بسرائر سليمة من الشرك ، ونُقَدِّسك بألسنة نقية من الهجر[4] ويذكر الفعل قدس فيقول فى إشاراته مناجيًا : فجد علينا بك ، وآمنا منك ، وأوصلنا إليك ، وقدسنا إليك ، وأهلنا فى كل حال لما أنت أهله[5] .

ويذكر أبو حيان الفعل « تقدّس » فيقول : قد صح بالبرهان أن فعل الله تقدس وعلا ليس اضطرار ، لأن هذا فعل عاجز ، ولا دافع لهذا القول[6] ، ويقول ذاكرًا الفعل تقدس : لأن العقل السليم من الآفة ، البرىء من العانة ، يحث على الاعتراف بالله تقدس اسمه ويحضر على صاحبه جحده ، وإنكاره والتشكك فيه[7] .

وهناك مجموعة من الاشتقاقات جاءت فى كتابات أبى حيان من المادة (ق د س) مثل تقدس ، وتقديس ، ومقدس ، ومقدسة ومتقدس ، وقدس وقدسية . يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة تقدس فى نص له من مقابساته : تكون يقظة الإنسان فى اكتساب الهمة العالية ، والشجاعة البينة ، والخير والعدالة ، والتَقَدّس

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص٨٣ .
(٢) المقابسات ص١٧٤ .
(٣) المقابسات ص٢٨٩ .
(٤) المقابسات ص٥٢ .
(٥) الإشارات الإلهية ص٢٠ .
(٦) المقابسات ص٩٧ .
(٧) المقابسات ص١٧٤ .

والنزاهة[١] ويقول فى إشاراته ذاكرًا لفظة تقدس : اجعل علمنا كله بك ، وتقدسنا كله لك[٢] .

ولفظة التقديس ترد فى نصوص عديدة عند أبى حيان ومعنى التقديس فى اللغة : التطهير وفى الاصطلاح تنزيه الحق عن كل ما لا يليق بجنابه والنقائص الكونية مطلقًا وعن جميع ما يعد كمالات بالنسبة إلى غيره من الموجودات[٣] ، وذكر أبو حيان لفظة التقديس فقال : فتقدس قبل ذلك عن كل ما له رسم فى الكون وأثر فى الحس وبيان فى العيان فبالتقديس يمكنك أن تعانق البادى من ذلك المحل بكلك وبعضك[٤] وقال أبو حيان ذاكرًا لفظة التقديس بمعنى التنزيه فى حوار له مع أستاذه أبى سليمان : قلت لأبى سليمان فى خلوة : أيها الشيخ تكررت فى هذه المسألة كلمات جافية بشعة نابية مكروهة لا أراها تسلم أو تسلم ، قال : ما هى ؟ قلت : مثل قول القائل : مشاكها لربه ومناسبًا لبارئه ، ومثل قوله : نعته لصق به ، وحكمه لزمه ، وحليته بدت منه ، وصفته عادت عليه . فقال : لعمرى أن تقديس البارى يمحق هذا كله ، ويذهب به ، ويطوحه وينفيه[٥] .

وترد لفظة تقديس بمعنى تطهير فى نص لأبى حيان يتحدث فيه عن الإنسان ، فيقول : التكثير عليه أسهل من التوحد ، والتوحد عليه أعسر من التكثير ، ومن له بالبراءة من هذا الحال ، وبتقديس نفسه من هذا الدنس ، وهو ذو أنفس ثلاثة[٦] ولفظة قدسىّ المنسوبة إلى القدس يقول أبو حيان فى مناجاته ذاكرًا النسيم القدسىّ : أيها السامع ! هذه مناجاتى لربى مع أخوات لها عندى فإن حركك العشق الربانى ، وهب فى فضاء صدرك النسيم القدسى ، فتبلغ إلى واحمل ثقلك

---

(١) المقابسات ص٣٠٠ .
(٢) الإشارات الإلهية ص٢٣ .
(٣) التعريفات للجرجانى ص٦٧ .
(٤) الإشارات الإلهية ص٢٥٤ .
(٥) المقابسات ص٨٣ .
(٦) المقابسات ص٤٧٧ .

على حتى تصدر غنيًا بلا مال ، وعزيزًا بلا عشير[1] ولفظة **قدسيَّة** ترد فى نص لأبى حيان من إشاراته يقول فيه : إذا أنفت على هذه الدورة الإلهية ، وأشرفت على هذه الروضة القدسيَّة فلا يحول بك حال عن حال[2] معنى القُدْسِىّ والقدسيَّة خاص بالله تعالى وهذه مناجاة الصوفيَّة وكتاب الإشارات زاخر بهذه المناجاة . ولفظة **مُقَدَّسة** بمعنى مباركة وطاهرة وأرض مُقَدَّسة أى مباركة[3] ، وفى نصوص من كتاب الصداقة والصديق لأبى حيان يذكر لفظة مقدسة فيقول : كتب أبو الدرداء إلى سلمان الفارسى يدعوه إلى الأرض المقدسة[4] الأرض المقدسة يعنى بها أبو حيان « بيت المقدس » ، ويقول أيضًا ذاكرًا لفظة مُقَدَّسة بمعنى المباركة : وتلك العقوة مقدسة ولا شرع إلَّا وهو مشوق إليها ، ولا عقل إلا وهو متحسر عليها[5] ويقول ذاكرًا لفظة مقدسة أبو حيان بمعنى مطهرة فى إحدى مناجاته : تشهد العقول سائرة فى هوادج الكرامات نحو الأرواح المقدسة بالطهارة[6] وجاءت لفظة مقدس والجمع مقدسون فى أماكن متعددة من كتابات التوحيدى والمقدس المبارك وبهذا المعنى يقول أبو حيان : وأما من أشار إلى الذات فقط بعقله البرىء السليم ، من غير تورية باسم أو تحلية برسم ، مخلصًا مقدسًا . فقد وفى حق التوحيد[7] ، ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة مقدس بمعنى مطهر منزه فى دعائه : اللهم أنت الحى القيوم الأول الدائم ، والإله القديم ، والبارئ المصور ، والخالق المقدس[8] . وفى إشاراته يذكر لفظة مقدسين بمعنى مباركين فيقول : وتلقى هناك أولياءه مقدسين مقربين ، يتقلبون فى النعيم المقيم[9] . ولفظة **متقدّس** يذكرها أبو حيان فى قوله : لِمَ لا أصلى إلى مقامه مؤتمًّا به لم لا أسبح بثنائه متقدسا[10] وهذه

---

(1) الإشارات الإلهية ص٢٩٠ .
(2) الإشارات الإلهية ص٢٧٨ .
(3) اللسان جـ٣ ص٣٣ .
(4) الصداقة والصديق ص٣٧٨ .
(5) المقابسات ص٢٤٢ .
(6) الإشارات الإلهية ص١٥٨ .
(7) المقابسات ص٢٦٧ .
(8) البصائر والذخائر جـ٣ ص٤١٥ .
(9) الإشارات الإلهية ص٢٨١ .
(10) مثالب الوزيرين ص٣٣٠ .

الاشتقاقات المتنوعة للمادة (ق د س) جاءت عند أبى حيان بنفس المعنى الذى ذكره صاحب اللسان فى معجمه .

مما تقدم يتضح لنا أن أبا حيان فى استخدامه اللغوى للألفاظ قدس ، ومُقَدَّس ، ومُقَدَّسة ، ومُتَقَدِّس ، وتقديس ، وتقدس ، وقدسِيّ ، وقدسيَّة ، وكذلك الفعل قَدَسَ بتصريفاته المختلفة ، قد أتاح لنا عرضًا فريدًا حلق فيه أبو حيان فوق مجال الأشياء المنظورة والأرضية إلى سماء الذات الإلهية التى لا تدركها الأبصار ، فقد استعمل هذه الألفاظ بالمعنى الواسع للإجلال والتنزيه ، وإن كان جذر المادة اللغوية (ق د س) قد جاء فى اللسان بمعنى التنزيه والتطهير ، ومن الملاحظات أن ورود هذه الألفاظ المتنوعة من المادة (ق د س) عند صاحب اللسان يوحى بأنها كانت قائمة فى الاستعمال الدينى قديمًا ولعلها قد انتحلت معنى القدسية الدينية قبل عهد القرآن الكريم .

(١٠) الإلحاد ، ملحد / ملحدون ، ملحدة :

الألفاظ الإلحاد والملحد والملحدون اشتقاقات من المادة « لحد » أى حاد وأثم والإلحاد فى اللغة الميل عن القصد والعدول عن الشىء ، يقال : ألحد فى الدين ولحد ، أى حاد عنه وطعن فيه ، ولحد علىّ فى شهادته يلحد لحدًا : أثم . وقيل : الإلحاد فيه الشك فى الله ، وأصله من قوله تعالى : ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم ﴾ أى إلحادًا بظلم ، والباء فيه زائدة[1] ومفهوم الإلحاد يختلف باختلاف تصورات الناس واعتقاداتهم فإذا كان المذهب مخالفًا لاعتقاداتهم عدوه إلحادًا ، وإذا كان موافقًا لها عدوه دينًا وإيمانًا ، ومفهوم لفظة الإلحاد يختلف باختلاف الزمان والمكان ، وهذا ما نراه فى نصوص أبى حيان وهو يحدثنا عن الصاحب ابن عباد

---

(١) اللسان جـ٣ ص٣٤٨ .

وما له من سوء العقيدة فيقول فى أحد نصوصه : حدثنى العتابى : قال الرجل لا دين له ، سمعته يقول فى الخلوة كيف أنزل عن هذا المذهب ويعنى الاعتزال — وقد نصرته وشهرت به نفسى وعاديت الصغير والكبير عليه ، وانقضى عمرى فيه . فقلت للعتابى : ومن أين وقع هذا الإلحاد ؟ فقال لم يزل مترجمًا قليل الطمأنينة سيئ اليقين ، ولكنه أهلكه مقعده الذى يقال له النصيبى أبو إسحاق[1] ، وفى نص آخر يقول أبو حيان عن الصاحب أيضًا ذاكرًا لفظة إلحاد فى قوله بمعنى الإشراك ، فى الله : سمعت أبا الفضل الهروى يقول له يومًا : لو وضع فى خزانة الكتب للوَقْف شىء من الطب لكان ذاك بابًا من المنافع الحاضرة ، والفوائد المعجلة والخير العام . فقال على حدته وجنونه : الطب يا أبا الفضل سلم إلى الإلحاد[2] . فى نص أبى حيان نجد أنه ربط بين الإلحاد والطب وذلك لأن أصول الطب فى ذلك العصر ارتبطت بالنظريات والقضايا الرياضية والطبيعية والمنطقية وكان يوجب على الطبيب معرفة الفلسفة[3] .

ويصف أبو حيان الصاحب فى مثالبه ذاكرًا لفظة الإلحاد فيقول : يبلغ به قلة الدين وسوء النظر فيما يتعقب بالتقبيح والتحسين أنه يمدح واحدًا مقذوفًا بالزندقة والكفر ، ويقرظ آخر معروفًا بالإلحاد والسخف[4] ، وهناك نصوص متعددة من كتاباته يذكر فيها أبو حيان لفظة الإلحاد بمعنى الشرك بالله : ففى نص له يصف أحد معاصريه فيقول : ومرة يتقرب إلى العامة بكتب يصنفها فى نصرة الإسلام وهو على ذلك يتهم ويقرف بالإلحاد . وبقدم العالم والكلام فى الهيولى والصورة[5] .

---

(١) مثالب الوزيرين ص١٩٦ . (٢) مثالب الوزيرين ص٨١ .

(٣) تاريخ الفلسفة فى الإسلام دى بور / ترجمة أبوريدة ص١٤٦ ، ص١٤٧ .

(٤) مثالب الوزيرين ص٥٧ . (٥) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص١٥ .

ويقول أبو حيان أيضًا ذاكرًا لفظة الإلحاد بمعنى الكفر والزندقة : كان بالمغرب وَرَّاق وكان معروفًا بالإلحاد لظاهر مجونه وإفراطه فى جنونه[1] وفى مؤلفات التوحيدى أمثلة كثيرة تدل على أن العلماء الذين يأتون بالغريب وغير المألوف من الآراء يمتحنون فى حياتهم ، ويمتهنون ، ويتهمون بالكفر والإلحاد ، ويكاد يكون تطور لفظة الإلحاد موازنًا لتطور فكرة التعصب ، فكلما زاد التعصب كثر عدد الملحدين فى نظر الناس . وبهذا المعنى ذكر أبو حيان لفظة **المُلْحِد** بمعنى الذى يشك فى إيمانه بالله فقال فى أماكن عديدة من كتاباته أذكر منها بعض الأمثلة كقوله : وما شمت الحاسد المرصد ، والطاعن المُلْحد حتى رأى علماء الدين ، وأنصار الشريعة يموجون فى نحلهم[2] . وترد لفظة الملحد عند أبى حيان فى نص يقول فيه : سأل ملحد موحِّدًا فقال : ما الدليل على أن للعالم صانعًا[3] ؟ ويذكر أبو حيان حديثًا له مع البسطامى وقد أورد فيه لفظة الجمع « ملحدين » فيقول عن البسطامى فى رده على سائل سأله : وقال للسائل : والله لولا أننى أعلم أنك جاهل وغر لأمرت بك حتى تسحب على وجهك ، وتضرب بالسياط ، ولكنك تلقفت هذا من هؤلاء الحمقى المكذبين المحتالين الملحدين[4] ولفظة ملحدة يذكرها أبو حيان فى كتاباته بمعنى الفرقة الدينية المشركة بالله تعالى فيقول فى نص له من كتاب الإمتاع والمؤانسة على لسان صاحب مجالس الإمتاع : فما تقول فى ابن الباقلانى قلت : يزعم أنه ينصر السُّنة ويفحم المعتزلة وينشر الرواية ، وهو فى أضعاف ذلك على مذهب الخرمية وطرائق الملحدة[5] ، وفى الهوامل يوجه أبو حيان عدة تساؤلات لابن مسكويه عن الإلحاد ذاكرًا الفعل « **أَلْحد** » فى سؤاله الذى يبين فيه معنى الفعل ألحد أى مال عن طريق الإيمان فيقول فى نصه : حدثنى عن مسألة

---

(١) البصائر والذخائر جـ٣ ص٦٣٤ .

(٢) البصائر والذخائر جـ٣ ص٤٣٢ .

(٣) مثالب الوزيرين ص١٥٥ .

(٤) البصائر والذخائر جـ١ ص٢٥١ .

(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص١٤٣ .

هى ملكة المسائل ، والجواب عنها أمير الأجوبة ، وهى حرمان الفاضل وإدراك الناقص ، ولهذا المعنى خلع ابن الراوندى ربقة الدين ، وقال أبو سعيد الحصرى بالشك وألحد فلان الإسلام ، وارتاب فلان فى الحكمة[1] ومن هذا النص يتبين لنا أن الإلحاد هو إنكار وجود الله ، ولكن الناس فى مختلف العصور وفى العصر العباسى بالذات أطلقوا لفظة الإلحاد تارةً على إنكار وجود الله ، وتارةً على إنكار علمه ، وعنايته أو قدرته ، ويكفى أن ينكر المرء أصلًا من أصول الدين أو اعتقادًا من الاعتقادات المألوفة أو رأيًا من الآراء الشائعة آنذاك حتى يتهم بالإلحاد ، وربما كان أحسن تحديد لمعنى الإلحاد إطلاقه على المذهب الذى ينكر وجود الله ، لا على المذاهب التى تنكر بعض صفات الله ، أو تخالف معتقدًا دينيًا معينًا أو رأيًا جماعيًا مقررًا[2] ، وفى ختام حديثنا عن الإلحاد والمُلْحدين نذكر نصًا لأبى حيان يذكر فيه الفعل تلحدون فيقول : « أعوذ بالله من الحين وأبرأ إليه منكم ومما تلحدون والله ولى المؤمنين »[3] .

ويحدد لنا أبو هلال العسكرى الفرق بين الكفر والإلحاد فيقول : إن الكفر اسم يقع على ضروب من الذنوب فمنها الشِّرك بالله ومنها الجحْد للنبوة ومنها استحلال ما حرم الله وهو راجع إلى جحد النبوة وغير ذلك مما يطول الكلام فيه وأصله التغطية والإلحاد اسم خص به اعتقاد نفى التقديم مع إظهار الإسلام وليس ذلك كُفْر الإلحاد ألا ترى أن اليهودى لا يسمى ملحدًا وإن كان كافرًا وكذلك النّصرانىّ وأصل الإلحاد الميل ومنه سمى اللحد لحدًا لأنه يحفر فى جانب القبر[4] .

---

(١) الهوامل والشوامل ص٢١٢ . اتهم ابن الراوندى بالزندقة والكفر لقوله بأن القرآن غير معجز وأن فى كلام أكثم بن الصيفى ما هو أحسن من بعض القرآن وكان ابن الراوندى فى نظر ابن الجوزى من زنادقة الإسلام . انظر بغية الوعاة للسيوطى ص٣٤٨ ، وتاريخ ابى الفدا جـ٢ ص٤٢٣ .

(٢) المعجم الفلسفى جـ١ ص١١٩ .

(٣) مثالب الوزيرين ص١٦٠ .

(٤) الفروق فى اللغة ، أبو هلال العسكرى ، ص٢٢٣ .

مما تقدم يتضح لنا أن الألفاظ إلحاد ، ومُلحد ، ومُلحدة والجمع ملحدين قد جاءت جميعها عند أبي حيان ومعها الفعل ألحد ، يلحد بالمعنى العقائدى العام فلفظة الإلحاد ذكرها أبو حيان فى كتاباته بالمعنى الدال على الإشراك بالله تعالى[1] أو بمعنى إنكار أصلًا من أصول الدين[2] أو اعتناق اعتقاد خاطئ يؤدى إلى سوء اليقين[3] وهذه الألفاظ ذكرها أبو حيان بنفس المعنى الذى أورده صاحب اللسان عند تناوله للمادة (ل ح د) وما جاء منها من اشتقاقات أخرى وهناك بعض الاشتقاقات من مادة « لحد » ، لم يذكرها صاحب اللسان فى معجمه مثل لفظة **مُلْحِدة** فهى اشتقاق جديد مبنى ومعنى ظهر فى العصر العباسى واستعمله أبو حيان فى كتاباته . وأيضًا لفظة ملحدين وهى صيغة الجمع للملحد لم يذكرها صاحب اللسان .

أما فى مجال "تغير الدلالى فنجد أن لفظة إلحاد قد مرت بأطوار فى مسيرتها اللغوية ، فانتقلت من مجال إلى مجال آخر فالإلحاد فى الأصل هو الميل عن القصد واستعملت اللفظة فى المجال المادى وهو ميل الميت عن وسط القبر إلى جانبه ثم استعملت لفظة الإلحاد فى المجال المعنوى وهو الميل عن الدين فانتقلت دلالتها من المجال المادى إلى المجال المعنوى لوجود قرينة بين الدلالتين . ومن الإلحاد الذى هو العدول عن الدين أخذت اللفظة **مُلحد** معناها الاصطلاحى وهو العادل عن الدين المائل عن الحق . وبهذا المعنى أوردها أبو حيان فى كتاباته نتيجة لكثرة استخدامها بين أوساط الفقهاء ورجال الدين بمعناها العقائدى الاصطلاحى . ومن الملاحظ أن لفظة الإلحاد جاءت عند أبى حيان بالمعنى المضاد للفظة التوحيد .

---

(١) مثالب الوزيرين ص١٦٠ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص١٥ .

(٣) مثالب الوزيرين ص١٩٦ .

رابعًا : المصطلحات الخاصة بالمذاهب والنحل :

مصطلحات المذاهب والنحل (٦١) كلمة وهى :

اعتزال ، إمامية ، إماميون ، أهل السنة ، أهل الكتابين ، تشيع ، ثنوى ، جاحظى ، جبائية ، جبرية ، جبرى ، جهمية ، حشوية ، خرمية ، دهرى ، دهرية ، ديصانى ، رافضة ، رافضى ، زنادقة ، زنديق ، زندقة ، زيدية ، زيدى ، زيديون ، سنة ، سنن ، سنية ، شيعة ، شيع ، شيعية ، شيعى ، شيعيون ، غالية ، قدرية ، قدرى ، قدريون ، مانوى ، مجبر ، مجبرة ، مجوس ، مجوسى ، مجوسية ، مذاهب ، مذهب ، مرجئة ، مزدك ، معتزلة ، معتزلى ، معتزلية ، ملة ، ملل ، ناموس ، نحلة ، نحل ، نصارى ، نصرانى ، نصرانية ، نواميس ، يهود ، يهودية ، يهودى .

وفيما يلى جدول بنسبة شيوع هذه المصطلحات عند أبى حيان التوحيدى :

الكلمة	عدد مرات ورودها	الكلمة	عدد مرات ورودها	الكلمة	عدد مرات ورودها
مذهب	١١٤	دهرى	٤	أهل الكتابين	١
مذاهب	٢٨	معتزلى	٣	يهودية	١
ناموس	١٦	دهرية	٣	مجبر	١
معتزلة	١٥	ثنوى	٣	مجبرة	١
شيعة	١٤	أهل السنة	٣	معتزلية	١
مجوسى	١٣	ملل	٣	اعتزال	١
يهودى	١١	رافضى	٣	شيعية	١
رافضة	١٠	الغالية	٣	شيعيون	١
سنة	٧	نواميس	٣	شيعى	١
نحلة	٦	نصارى	٣	يهود	١
ملة	٦	زنديق	٣	جهمية	١
مرجئة	٦	تشيع	٢	خرمية	١
قدرية	٦	جبرى	٢	جاحظى	١
زيدية	٦	نصرانى	٢	حشوية	١
زندقة	٦	جبائية	٢	ديصانى	١
شيع	٥	زنادقة	٢	مانوى	١
نحل	٥	مجوسى	٢	مزدك	١
جبرية	٥	مجوسية	٢	قدرى	١
إمامية	٥	سنية	١	قدريون	١
سنن	٤	الإماميون	١	زيدى	١
				زيديون	١
				نصرانية	١
				المجموع الكلى	٦٢

وهذه المجموعة الكبيرة من المصطلحات الخاصة بالمذاهب والنحل قسمت إلى أربع مجموعات دلالية رئيسية وهذه المجموعات قسمت إلى مجموعات صغيرة فرعية لتشمل المذاهب والملل والنحل السائدة فى عصر أبى حيان .

رابعًا : المصطلحات الخاصة بالمذاهب والنحل

يقول أبو حيان عن تعدد مذاهب الناس فى مقابساته : ألا ترى أنه لا سبيل إلى أن يكون الناس كلهم طوال القدود أو قصارها ، أو ضخام الرؤوس أو صغارها ، وفصحاء الألسنة أو لُكنها ، أو على مذهب واحد ومقالة واحدة[1] ، ويقول أبو حيان أيضًا عن اختلاف مذاهب الناس : سمعت أبا إسحاق الصابى الكاتب يقول : اعلم أن المذاهب والمقالات والنحل والآراء ، وجميع ما اختلف الناس فيه وعليه ، كدائرة فى العقل[2] .

لقد انتشرت فى العصر العباسى آراء وملل ونحل لاعداد لها ، وهذا شيء طبيعى إذ إن العراق كان فى ذلك العصر محطًا للثقات المختلفة والديانات المتعددة ، فقد كان موردًا لكثير من الفرس والهنود والسريان والنصارى واليهود . وقد انقسم هؤلاء إلى فرق كثيرة بحسب تعاليمهم ، وهؤلاء حين انتقلوا إلى بغداد دعوا إلى دياناتهم إما صراحة وإما تحت ستار الإسلام . ولذلك ترى فى العصر العباسى أناسًا كثيرون يتهمون بهذه الثنوية . وفى نص لأبى حيان يذكر فيه موقفًا للمروروزى والفقيه الكرخى يتهمه بمذهب الثنوية فيقول أبو حيان : أما أبو حامد المروروزى فإنه أربى على أصحاب هذه الحكايات رغم أنه ثنوى ، وأنه يعتقد ذلك ، وبسببه طرد الكرخى من مجلسه وذلك أنه كان صحب رجلًا مشهورًا بهذا المذهب ، فلما وقف الكرخى على ملازمته ذلك الرجل نهاه عنه ، ثم إن الكرخى أذكى عليه عينا فبلغه أنه يخالطه فى السر وأنه لقن عنه مذهب الثنوية فطرده[3] .

إن عملية تكون المذاهب بدأت فى العصر العباسى ولم يكن الأمر قاصرًا على المذاهب الأربعة الحنفى والمالكى والشافعى والحنبلى ، بل كانت فى ذلك العصر

---

(١) المقابسات ص١٠١ .
(٢) المقابسات ص١٠٠ .
(٣) البصائر والذخائر جـ٤ ص٢٧٦ .

مذاهب كثيرة غير هذه ، لم يقل بعضها فى القيمة والقوة عنها ، فكان مذهب الحسن البصرى ، ومذهب أبى حنيفة ومذهب سفيان الثورى ومذهب ابن جرير الطبرى وغيرهم . وعن مذاهب الأسلاف يذكر أبو حيان أصحاب هذه المذاهب فيقول مخاطبًا الصاحب : فيا أيها المدل بالتوحيد والعدل ، أهذا كله فى مذهبك أو فى مذهب أسلافك مثل واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، وأبى موسى المردار والجعفرين[1] وكان لكل مذهب من هذه المذاهب آراء وطرق فى الاجتهاد ، ولكل مذهب أتباع متفرقون فى الأمصار ، ولكن حدث أن بعض هذه المذاهب مات لظروف خارجية وأحيانًا لأسباب داخلية . وكان الذى كتب له البقاء من هذه المذاهب هى المذاهب الأربعة ولكن هذا الانحصار لم يتم إلا فى القرن الرابع وما بعده[2] .

ويذكر المقدسى فى أحسن التقاسيم المذاهب السائدة فى العصر العباسى فيقول : لم أر السواد الأعظم إلا من أربعة مذاهب أصحاب أبى حنيفة بالمشرق وأصحاب مالك بالمغرب وأصحاب الشافعى بالشلش وخزائن نيسابور وأصحاب الحديث بالشام واقور والرحاب وبقية الأقاليم ممتزجون[3] . وفى تركيزه على المذاهب السائدة فى العراق فى ذلك العصر يقول المقدسى : وقد حصل فى إقليم العراق عدة من المذاهب الغلبة ببغداد للحنابلة والشيعة وبه مالكية وأشعرية ومعتزلة ونجارية ، وبالكوفة الشيعة إلَّا الكناسة فإنها سُنة وأكثر أهل البصرة قدرية وشيعة ثم حنابلة[4] ، وفى نصوص عديدة من كتابات أبى حيان ترد أنواع هذه المذاهب . وعن المذاهب والفرق الدينية يحدثنا أبو حيان فى نصوص عديدة من كتاباته فيقول فى نص له من كتاب الإمتاع : ومما يزيدك وضوحًا ويريك عجبًا

---

(١) مثالب الوزيرين ص١٠٧ .
(٢) ضحى الإسلام أحمد أمين جـ٢ ص٢٤٠ .
(٣) أحسن التقاسيم المقدسى ص٣٩ .
(٤) أحسن التقاسيم المقدسى ص١٢٦ .

أن الأمة اختلفت فى آرائها ومذاهبها ومقالاتها فصارت أصنافًا فيها وفرقًا ، كالمرجئة والمعتزلة والشيعة والسنة والخوارج[1] ، ويقول أبو حيان ذاكرًا أنواعا من المذاهب التى انتشرت فى العصر العباسى ومنها مذهب أبى حنيفة الذى اعتنقه الكثيرون أمثال السيرافى وغيره . وأبو سعيد يصوم الدهر ، ولا يصلى إلا فى الجماعة ويقيم على مذهب أبى حنيفة[2] ويقول فى حديثه عن الصاحب بن عباد ذاكرًا مذاهب الإمامية : سمعته يقول : لله عندى أيادٍ متضاعفة ، ونعم متكاثفة ومن أجلها أنه لم يغمسنى فى مذاهب إلا فى الجماعة ويقيم على مذهب أبى حنيفة ، ويلى القضاء سنين ويتأله ويتحرج . وغيره بمعزل عن هذا[3] وعن الصاحب أيضًا يقول أبو حيان : ذاكرًا مذهب الاعتزال : وحدثنى العتابى : قال : الرجل لا دين له ، سمعته يقول فى الخلوة ، وقد جرى حديث المذهب ، كيف أنزل عن هذا المذهب – يعنى الاعتزال – وقد نصرته وشهرت به نفسى[4] . ويقول أبو حيان فى حديثه عن المذاهب السائدة فى عصره : ولما كانت أوائل الأمور على ما شرحت وأواسطها على ما وصفت ، كان من نتائجها هذه الفتن والمذاهب والتعصب والإفراط ، وما تفاقم منها وزاد ، وضاقت الحيل عن تداركه وإصلاحه ، وصارت العامة مع جهلها ، تجد قوة من خاصتها مع علمها ، فسفكت الدماء، وخربت الديارات، وكثر الجدال، وصار الناس أحزابًا فى النحل والأديان[5] .

وقبل الحديث عن المذاهب التى سادت فى العصر العباسى والتى ورد ذكرها فى كتابات أبى حيان وأسهب فى الحديث عنها ، أقف وقفة تأمل لبعض الألفاظ التى تختص بالمذاهب مثل منهج والجمع مناهج وسنة والجمع سنن ونحلة والجمع نحل

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص٩ .

(٢) الإمتاع جـ١ ص١٣٢ .

(٣) مثالب الوزيرين ص٢٦٥ .

(٤) مثالب الوزيرين ص١٩٦ .

(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص٧٦ .

وملة والجمع ملل وغيرها من الألفاظ التى ذكرها أبو حيان والتى وردت فى التنزيل ، ولكل من هذه الألفاظ معنى يخصها وحقيقة توافقها لغة واصطلاحًا .

(١) المذهب / المذاهب :

المَذْهَب :

مصدر كالذَّهاب ، والذهاب السير والمرور من ذَهَب يَذْهَب ذهَابًا والمذهب المُتَوضَّأ ، لأنه يذهب إليه . وهو مَفْعَل من الذَّهاب . والمذهب المرفق والمرحاض . والمذهب : المعتقد الذى يذهب إليه وذهب فلان لِذَهَبِه أى لمذْهَبِه الذى يذهب فيه . والمذهب الأصيل[١] والمذهب الطريقة يقال ذهب فلان مذهبًا حسنًا أى طريقة حسنة . والمَذاهِب سيور تموه بالذَّهب ، ويقال المذاهب البرود الموشاة[٢] .

لفظة المَذْهَب والجمع مذاهب معناها فى اللغة المُعْتَقد الذى يذهب إليه ، والمَذْهَب عند الفلاسفة مجموعة من الآراء والنظريات الفلسفية ارتبطت بعضها ببعض ارتباطًا منطقيًا حتى صارت ذات وحدة عضوية منسقة ومتماسكة ، والمَذْهَب أعم من النظرية[٣] ، وبهذا المعنى الفلسفى ترد لفظة مذهب فى قول أبى حيان : ولقد رأيت متكلمًا وقد سمع من فيلسوف مذهب أرسطاطاليس – فى شيء شرحه فأوضحه[٤] . المَذْهب والجمع مذاهب ترد عند أبى حيان مرتبطة بألفاظ العقيدة والاعتقاد ، والملل والفرق الدينية ومرتبطة أيضًا باللغة والنحو والفلسفة . فلفظة المَذْهَب ترد عند أبى حيان بمعانٍ متعددة وبأماكن ورود كثيرة . فيقول أبو حيان فى دعائه ذاكرًا لفظة المذهب بالمعنى الدينى : وأسأله

---

(١) اللسان جـ١ ص١٠٨١ . (٢) تاج العروس جـ١ ص٢٧٥ .

(٣) المعجم الفلسفى جـ٢ ص٣٦١ . (٤) البصائر والذخائر جـ١ ص١٢٤ .

الخير لنفسى ولمن يوافقنى فى دينى ومذهبى[1] ، أيضا ذاكرًا لفظة مذهب بمعنى المعتقد الدينى ، ويقول أبو حيان فى نصٍ من كتابه مثالب الوزيرين : والمذهب الأول هو مذهب الزُهاد المتأدِّبين وأصحاب الورع والمتعبدين[2] ويذكر أبو حيان لفظة المذهب بمعنى المعتقد فى نص يورده على لسان الزنجانى فيقول أبو الحسن الزنجانى موجهًا حديثه للمجوسى : قد أخبرتك بمذهبى وعقيدتى وما اشتمل عليه ضميرى فخبرنى أنت أيضًا عن شأنك ؟[3] ويقول لليهودى : يا فلان ، لست أراك تنصر مذهبك وتحقق رأيك[4] .

وترد لفظة مذهب فى كتابات أبى حيان فى مجالات أخرى غير المجال الدينى ففى حديثه عن قضايا اللغة والنحو يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة المذهب بمعنى المذهب النحوى أى الرأى فى قضية من قضايا النحو والحكم فيها : الحروف التى تتعدى إلى الأفعال ، والأفعال التى تتعدى بالحروف ، ويراعى فيها السماع فقط لا القياس هذا كان مذهب إمامنا أبى سعيد[5] ، ويقول فى هذا المعنى أيضًا : وقد جاء ظَفِر به وجاء سُخِرت به ومنه . ومن لا اتساع له فى مذهب العرب يظن أن سخِرتُ به لا يجوز وهو صحيح . حكاه أبو زيد[6] ، وفى مجال الحديث عن اللغة والنحو يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة مذهب بمعنى الصيغة : والأمر من البَر بَرَّنا هذا بفتح الباء على مذهب الجمع والمضارع منه يَبِرُّ[7] وترد لفظة مذهب بمعنى الطريقة والقاعدة التى يذهب إليها وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : نعلم أن التوكيد مذهب العرب وكذلك الزيادة والحذف والإضمار[8] وبمعنى المذهب الغنائى أو الطريقة المعينة فى الإلقاء يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة المذهب فى نص له من مثالبه :

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص١٥٨ .

(٢) مثالب الوزيرين ص٤٩ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص١٥٨ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص١٥٨ .

(٥،٦) الإمتاع جـ١ ص٢٢١ .

(٧) البصائر والذخائر جـ٤ ص٢٧٠ .

(٨) مثالب الوزيرين ص١٧٩ .

وكان ابن عباد يطالب الأقطع بأن يحفظ قصائده فى أهل البيت وينشدها الناس على مذهب النَّوْح[1] وترد لفظة مذهب فى نص لأبى حيان بمعنى الموضع والمكان فيقول فى مقابساته : أفدنا الآن الفرق بين الصداقة والألفة ، قد يألف الإنسان ثوبًا وزيًا وطعامًا وهديًا ومَذْهَبًا ومكانًا ، ولا يصادق شيئًا منها[2] . وفى سؤال لأبى حيان وجهه لأحد معاصريه ذاكرًا لفظة مذهب بمعنى السيرة وطريقة الحياة فيقول : يا هذا ما مذهبك ؟ قال : مذهبى ألا أقرّ على الضيم ولا أنام على الهون[3] .

ويذكر أبو حيان لفظة مذهب بمعنى طريقة الجدل فيقول : وذهبنا فى القول كل مذهب ، وفى الجملة القدر لا يسبق والقضاء لا يملك[4] . والمذهب الكلامى هو ذكر الحجة على صورة قياس[5] ، وعن المذهب الكلامى يقول أبو حيان فى نص له ذاكرًا مذهب الجاحظ : سمعت ابن ثوابة يقول : أول من أفسد الكلام أبو الفضل ، لأنه تخيل مذهب الجاحظ وظن أنه إن تبعه لحقه ، وإن تلاه أدركه ، فوقع بعيدًا من الجاحظ ، قريبًا من نفسه ، ألا يعلم أبو الفضل أن مذهب الجاحظ مدبر بأشياء لا تلتقى عند كل إنسان[6] . والمذهب الكلامى عند أهل البيان هو إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام ، وهو أن تكون بعد تسليم المقدمات مستلزمة للمطلوب[7] ، وفى هذا المعنى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة المذهب بمعنى طريقة التفكير : وهؤلاء بلغاء ولكل واحد منهم أسلوب وكما تقول : علماء ، ولكل واحد منهم مذهب[8] ويقول أبو حيان أيضًا موردًا لفظة المذهب بمعنى

---

(١) مثالب الوزيرين ص١٢٩ .
(٢) المقابسات ص٤٥٢ .
(٣) مثالب الوزيرين ص٩١ .
(٤) مثالب الوزيرين ص٣٥٩ .
(٥) الكليات لأبى البقاء جـ٤ ص٢٩٦ .
(٦) الإمتاع جـ١ ص٦٦ .
(٧) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى جـ٢ ص٣١٦ .
(٨) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص٢٠٥ .

الأسلوب والطريقة : اضطرب على نسخ الرسالة على مذهب المصنفين ، ولكن عذرى بيّن ، لأنى نقلت ما نقلت فى وقت صعب[1] ، وقال أبو حيان ذاكرًا مذهب المتكلمين أى بمعنى القول والحجة : أنى ما بهرجت مذهب المتكلمين ، ولا زيفت مقالة المتفلسفين[2] ، ويورد أبو حيان لفظة **مذاهب** بمعنى المذاهب الكلامية أى طريقة المتكلمين ، فيقول فى نص له من بصائره : قيل للكرخىّ لم لا تصنع لنا كلامًا فى الأصول على مذاهب المتكلمين ؟ قال : إنى أخاف التقصيرَ[3] . وترد لفظة مذاهب فى كتابات أبى حيان بالمعنى الدينى أى بمعنى العقائد والمعتقدات وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : إن المذاهب فروع الأديان ، والأديان أصول المذاهب فإذا ساغ الاختلاف فى الأديان - وهى الأصول - فلِمَ لا يسوغ فى المذاهب وهى الفروع[4] ، ويقول أبو حيان موردًا لفظة المذاهب فى قوله بمعنى المذاهب الخاصة بالجدل والكلام : حدثنا أبو سلمان السجستانى قال : لقينى البصرى أبو عبد الله وتصرف فى الحديث معى إلى أن قال لى : يا أبا سلمان.هل وجدتم فى فلسفتكم شيئًا تسكنون إليه وتعتمدون عليه ؟ فأنا من الكلام ومذاهب أهل الجدل على غرور . وقال آخر ما عندى أن الأدلة تتكافأ وأن المذاهب والآراء والنِحل جارية بين أربابها على قوة الناسخ وضعفها ، وجودة العبارة ورداءتها[5] ، فيرد عليه أبو سلمان قائلًا : ما بعد نظرك نظر ، ولا بعد تحصيلك تحصيل[6] . وترد لفظة مذاهب فى نصوص أبى حيان بمعنى فلسفى أى بمعنى الآراء والبراهين وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : وإنما الأمور بعواقبها ، والمذاهب بشواهدها ، والنتائج بمقدماتها . وترد لفظة مذاهب فى نص لأبى حيان بمعنى الطرق والصفات فيقول أبو حيان واصفًا أحدهم[7] . يعطى الجزيل من

---

(١) مثالب الوزيرين ص٣٠٣ .
(٢) مثالب الوزيرين ص٣١١ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٦٠١ .
(٤) الإمتاع جـ٣ ص١٨٦ .
(٥،٦) مثالب الوزيرين ص١٤٣ .
(٧) مثالب الوزيرين ص٥٤ .

النعمة ، ويحافظ على اليسير من الذمام ، ويتقبل مذاهب الكرام[1] .

يتضح **مما تقدم** أن لفظة مذهب والجمع مذاهب جاءت عند أبى حيان بمعانٍ متعددة منها المعنى العام الدال على مكان الذهاب[2] وبعنى الطريقة أى طريقة الذهاب فى مجالات الفكر والعلم والتعبد والجدل والإنشاد[3] وبمعنى المعتقد الذى يذهب إليه فى أمور الدين ، والفلسفة والعلوم واللغة[4] وجاءت لفظة المذهب عند أبى حيان بالمعنى الاصطلاحى الخاص بالآراء الدينية للطوائف والفرق والجماعات الإسلامية[5] التى كثر عددها فى العصر العباسى ، وأصبحت أكثر انتشارًا فى عصر أبى حيان . وهذا المعنى الاصطلاحى الذى أورده أبو حيان فى كتاباته لم يذكره صاحب اللسان عند تناوله للمادة « ذهب » ولم يذكر صاحب اللسان أيضًا الاستخدام المعنوى لصيغة الجمع مذاهب فقد ذكرها ابن منظور بالمعنى المادىّ فقط .

ومن الملاحظ أن المعانى المتعددة للفظة المذهب تبرز ظاهرة المشترك اللفظى لهذه اللفظة عند أبى حيان .

وفى مجال التغير الدّلالى يتضح لنا أن لفظة مذهب قد مرت بأطوار عديدة فى استخدامها اللغوى . فمن الناحية الاشتقاقية مذهب على وزن مفعل مشتق قياسىّ من ذهب يذهب ذهابًا ، والمذهب مصدر ميمى بمعنى الذّهاب وهو السير . فالواضع اللغوى الأول للفظة المذهب عنى بها السير وهذا السير له اتجاه ، وجاءت

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ٣ ص٢٢٩ .   (٢) المقابسات ص٤٥٢ .

(٣) الإمتاع جـ١ ص٣٧ ، ص٢٠٥ ، والبصائر جـ٤ ص١٢٥ ومثالب الوزيرين ص٤٩ ، ص١٣٤ ، ص١٣٩ .

(٤) مثالب الوزيرين ص١٤١ ، والبصائر جـ١ ص١٢٤ .

(٥) الإمتاع جـ١ ص١٣٣ ، ص٥٥ ومثالب الوزيرين ص١٤٣ ، ص٢٦٥ .

أيضًا لفظة المذهب من مكان الذَّهاب وهو المعنى المادى للفظة ، وأساس اللغة مادى قبل أن يكون معنويًا ، لأنه مرتبط بالحقيقة ، فتحولت دلالة لفظة المذهب من المجال المادى إلى المجال المعنوى ، ولا أستطيع أن أجزم أيهما أسبق المادى الذى هو مكان الذهاب أم المعنوى الذى هو طريقة الذهاب . وإن كان صاحب تاج العروس يؤكد أن المكان من المجاز[1] ، ومن معنى الذهاب أخذت لفظة المذهب كيفية السير فى اتجاهات مختلفة فأدى هذا إلى توسع دلالتها بتوسع الفكر عند الناس فى ذلك العصر ، ثم تخصصت هذه الدلالة عندما ارتبطت لفظة المذهب بالآراء الدينية أو الفلسفية أو الفقهية أو العلمية المنسوبة إلى أحد المفكرين أو إلى إحدى الفرق والطوائف والجماعات الإسلامية فى العصر العباسى . وقد دلت نصوص أبى حيان المتضمنة للفظة المذهب على تخصيص دلالة هذه اللفظة عندما أضيفت إلى أحد أعلام عصره[2] أو إلى الفرق والجماعات الدينية[3]

(٢) النَهْج ، المنهج ، المناهج ، المِنْهاج :

وردت هذه الألفاظ فى المعاجم العربية بمعنى الطريق أو الطريق الواضح البيّن[4] وجاء فى لسان العرب النَّهْج : الطريق المستقيم . وطريق نَهْج : بيّن واضح ، وهو النَّهْج ، والجمع نَهجات ونُهُج ، ونُهوج . وطرق نَهْجَه ، وسبيل مَنْهَجُ : كَنَهْج . ومَنْهَج الطريق : وضَحُه . والمِنْهاج : كالمَنْهَج .

وقال صاحب اللسان : أَنْهَج الطريق : وَضَح واستبان وصار نَهْجًا واضحًا بيّنًا . ونَهَجْت الطريق : أَبَنْتُه وأوضَحْته . ونَهَجْت الطريق : سَلَكْتُه . وفلان

---

(١) تاج العروس جـ١ ص٢٥٧ ، ومن المجاز المذهب المتوضأ لأنه يذهب إليه . وهو مفعل من الذهاب .

(٢) الإمتاع جـ١ ص١٠٥ ، ص٥٥ ، ص٢٢١ ، والبصائر جـ١ ص١٢٤ .

(٣) مثالب الوزيرين ص٢٦٥ ، ص٣٠٣ ، ص٣٥٩ ، ص١٤٣ .

(٤) أساس البلاغة للزمخشرى جـ٢ ص٤٨٤ .

يستنهج سبيل فلان أى يسلك مسلكه ، ونَهَجَ الأمر وأنهج ، لغتان ، إذا وضح .

وقال صاحب اللسان أيضا : قال الليث : ولم أسمع منه فعلًا ، وقال غيره : أنْهَج ينهج إنْهاجًا ، ونَهَجْت أنْهَج نَهْجًا ، ونَهَجَ الرجل نَهْجًا ، وأنهج إذا انْبَهر حتى يقع عليه النفس من البُهر ، وأنْهَجه غيره .

وقال الزبيدى فى تاج العروس : نهج الفعل منح كفرح وضرب وأكرم . ونهج الأمر كمنع وضح وواضح ، وأنهج الأمر والطريق وضح وأنهج : أوضح . وأفعل متعد يقال فلان ينهج فى النفس فما أدرى ما أنهجه[1] هذا بعض ما قالته المعاجم العربية شرحًا للفظة « النَّهْج » .

أما ما قاله أبو حيان عن لفظة النهج فهو كثير جدًا وسأذكر بعض النصوص التى وردت فيها لفظة **النَّهْج** بمعنى الشكل الواضح البيّن وفى هذا المعنى يقول أبو حيان الأمر جد ، والتشمير واجب والداعى معذر والطريق نهج ، والعلامة ظاهرة[2] ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة « نَهْج » بمعنى الطريق الواضح : إن الأشياء تنقسم انقسامًا منها ما سكونه طبيعة له ، ومنها ما حركته طبيعة له فلو أن مجموع هذا الباب راجع إلى واحد متى تحرك شيء فإليه يتحرك ، ومتى سكن شيء ففيه تسكين ، ومتى لزم شيء نهجًا واحدًا فله يلزم ، لكان الخلل يدخل ، والنظام يزول ، والفساد يقع[3] .

ويقول أبو حيان موردًا لفظة نهج بمعنى النوع والصنف والمسلك : التفاوت فى تلاشى الأشياء غير محاط به ، لأنه يلاقى اختلافا فى الأصول والاتفاق فى الفروع وكل ما يكون على هذا النَّهْج[4] .

---

(١) اللسان جـ٣ ص٧٢٧ ، وتاج العروس جـ٢ ص١٠٩ .
(٢) الإشارات الإلهية ص٣٢ .
(٣) المقابسات ص٤٤٣ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص١٢٨ .

ولفظة نَهْج ترد عند أبى حيان بمعنى طريقة التعبير وفى هذا المعنى يقول أبو حيان فى مقابساته : سألت أبا سليمان عن البلاغة ما هى ؟ وقلت : أحببت أن أعرف قولا على نَهْج هذه الطائفة ، لأن لهم كِتاب الخطابة فى عرض كُتب الفيلسوف وقد بحثوا عن مراتب اللفظ[1] وذكر أبو حيان الفعل « نهج » وينهج وأنهج فقال موردًا هذه الأفعال فى نصوصه ، الفعل نَهَجَ يقول أبو حيان موردًا هذا الفعل كما أوردته المعاجم العربية بمعنى سَلَكَ : وعدتنى فى بعضها صلاحًا ، وذهبت فى بعضها جماحًا ، ثم أبنت مرتاعًا إلى من نهج السبيل بالآلاء والنعم ، وأوضح الدليل بالأبناء والحكم[2] .

ويقول أبو حيان ذاكرًا الفعل يَنْهَج بمعنى يسلك فى نص له من الإمتاع والمؤانسة : قال البخارى : فلم لم ينهج صاحب الشريعة هذه الطريق ، وكان يزول هذا الخصام ، وينتفى هذا الظن وتكسد هذه السوق ؟[3] ويرد الفعل أَنْهَجَ بمعنى أَوْضَحَ وبيّن فى نص لأبى حيان يقول فيه : اللهم وصلنا من فضلك بما لا نستحقه ولا نكتسبه ، وكن دليلنا ، وأنهج سبيلنا[4] .

ومن المادة (ن هـ ج) وردت فى كتابات أبى حيان الألفاظ مَنْهَج ، ومِنْهاج ومناهج . وجاء فى المعاجم العربية المَنْهَج بالفتح والمِنْهاج بالكسر الطريق الواضح وفى التنزيل ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا ﴾[5] .

ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة « **منهج** » بمعنى الطريق الواضح : أخف اسمًا وألطف أوزانًا ، وأحضر عيانًا ، وأحلى مخرجًا وأجلى مَنْهَجًا وأعلى مدرجًا[6] .

---

(١) المقابسات ص٣٢٧ .
(٢) الإشارات الإلهية ص١٦٤ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص٢١ .
(٤) الإشارات الإلهية ص٢٢١ .
(٥) اللسان جـ٢ ص٧٢٨ وانظر تاج العروس جـ٢ ص١٠٩ .
(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص٧٨ .

ويقول أبو حيان أيضًا موردًا لفظة مَنْهَج بمعنى الطريق والمسلك : الرىّ جادة الدنيا ومنهج المشرق والمغرب ، والجوالين فى الآفاق[1] .

وترد لفظة منهج مجتمعة مع لفظة الطريق ومرادفة لها فى أكثر من نص من نصوص أبى حيان ، ففى الإشارات الإلهية يقول أبو حيان موردًا لفظة المنهج ومعها الطريق مرادفة لها : فإنه جماع كل نصيحة ، ونظام كل موعظة وباب كل نجاح وطريق كل فلاح ، ومنهج كل صلاح[2] .

وترد لفظة منهج عند أبى حيان بمعنى السلوك البين المعالم القويم وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : وفى الأخلاق كلام واسع نفيس على غير ما وجدت كثيرًا من الحكماء يطيلون الخوض فيه ، ويعوضون المرام منه بتأليف محرف عن المنهج المألوف[3] . ولفظة منهج يوردها أبو حيان فى نصوصه بمعنى الطريقة والنمط المتبع فى القول وفى هذا المعنى يقول فى إشاراته : وسؤالى لا يقف على منهج واحد ووتيرة واحدة ، فإن قادحه متلون ، ومنشئه مختلف[4] ، ويقول أبو حيان أيضًا ذاكرًا لفظة منهج بمعنى القاعدة المتبعة فى القول أى الطريقة : وبعدت – جعلنى الله فداك – عن منهج القول ، وسنن الحديث[5] ويقول أيضا بهذا المعنى : وإفراطى فى القول عدول عن منهجى اللائق بى ، وإسرافى فى الاعتذار تشاكى فى خلقى[6] .

وترد لفظة منهج عند أبى حيان بمعنى طريق العبادة وفى هذا المعنى يقول : القول فى هذه الحال العامة الطامة طويل عريض فقد أصبح الدين وما لمنهجه سالك ولا عن حكمه سائل[7] .

---

(١) مثالب الوزيرين ص٢٣١ .

(٢) الإشارات الإلهية ص٢٧٢ .

(٣) الصداقة والصديق ص٧٣ .

(٤) الإشارات الإلهية ص٤٠٧ .

(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص١٨٦ .

(٦) الإشارات الإلهية ص٣٥٨ .

(٧) الإشارات الإلهية ص٣٣٥ .

ولفظة الجمع « **مناهج** » ترد فى نصوص أبى حيان بمعنى الطرق وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : فإن صح لك عزم ، ولاح لك نور ، فجد فى هذه المناهج سالكًا إلى تلك الغايات التى قد شوقت إليها بكل ما أدرك طرفك[1] وترد لفظة مناهج بمعنى طرق العبادة وفى هذا يقول أبو حيان : وفق الله الجميع وجعلك منهم وحرسك بعين ولائه ، وثبّتك على مناهج صفائه[2] .

ولفظة مناهج ترد عند أبى حيان بمعنى المذاهب الدينية وذلك فى قوله : قيل لما كانت المذاهب نتائج الآراء ، والآراء ثمرات العقول ، والعقول منائح الله للعباد ، وهذه النتائج مختلفة بالصفاء والكدر ، وجب أن يجرى الأمر فيها على مناهج الأديان فى الاختلاف والافتراق وإن كانت تلك منوطة بالنبوة[3] .

وترد لفظة مناهج فى نصوص أبى حيان بمعنى أساليب النطق وطرق القول : وفى هذا المعنى يقول أبو حيان واصفًا اللغة العربية : فعلى ما ظهر لنا ، وخيل إلينا ، لم نجد لغة كالعربية ، وذلك أنها أوسع مناهج ، وألطف مخارج[4] ويقول أيضًا : العربية عندنا أحسن الألفاظ مخارج ، وأوسعها مناهج[5] .

لفظة المناهج التى ذكرها أبو حيان جمعًا للفظة منهج ، لم ترد فى لسان العرب فلم يتناول ابن منظور لفظة المنهج بالتفصيل ولم يتطرق إلى ذكر لفظة الجمع مناهج عند تناوله للمادة (ن هـ ج) فلفظة مناهج إذن جديدة فى مبناها عند أبى حيان .
لفظة المِنهاج وردت فى المعاجم العربية بمعنى الطريق[6] ، أو الطريق الواضح والسلوك البين[7] ولم أجد أصلًا ماديًا لهذه الكلمة ، وأما فى كتابات أبى حيان فقد وردت لفظة المنهاج بمعانٍ متنوعة وفى نصوص متعددة .

---

(١) الإشارات الإلهية ص٢٧٩ .
(٢) الإشارات الإلهية ص١٢٧ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ٣ ص١٨٧ .
(٤) المقابسات ص٣٢٨ .
(٥) البصائر والذخائر جـ١ ص٣٦٣ .
(٦) أساس البلاغة للزمخشرى جـ٢ ص٤٨٤ .
(٧) اللسان جـ٣ ص٧٢٨ ، وانظر تاج العروس جـ٢ ص١٠٩ .

فترد لفظة منهاج فى نصوص عديدة من كتابات أبى حيان بمعنى الطريق بالمفهوم الدينى وفى هذا المعنى يقول : فصارت هذه الأسماء والصفات سلالم لنا إليه ، لا حقائق يجوز أن يظن به شيء منها على سبيل السياج الممدود ، والمِنهاج المحدود[1] وبهذا المعنى الدينى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة المنهاج : الحق بين منهاجه ، ومنير سراجه ، ومعقول بيانه ، ومعلوم برهانه[2] ويقول أيضًا ذاكرًا لفظة مِنهاج بمعنى الطريق الواضح . وصف أعرابى رجلًا فقال : ذاك رجل سبق معروفه إلىَّ قبل طلبتى إليه ، فالعرض وافر ، والوجه بمائه ، وكان والله ، مع هذا منهاجًا للأمور المُشكلة إذا ما تناحا ذوو الألباب باللائمة[3] وذكر أبو حيان لفظة المنهاج بمعنى السلوك فى نص له يقول فيه وقد جمع بين المنهاج والطريق : وأحث كل من أراه بعدك على سلوك طريقك فى الخير ، ولزوم منهاجك فى الجميل ، والدينونة بمذهبك المستقيم[4] جاءت لفظة المِنهاج فى نص أبى حيان مرادفة للفظة المذهب .

وترد لفظة منهاج عند أبى حيان بمعنى السلوك الأخلاقى والطريقة فى التعامل ، وفى هذا المعنى يقول أبو حيان واصفًا سلوك الطبقة التى تخلف الأنبياء : السكينة التى تظهر على طائفة تخلف الأنبياء ، ودخلوا فى زمرتهم ، وحاكوهم فى الشمائل والأخلاق وسلكوا منهاجهم فى القياذ والسياق[5] ويذكر أبو حيان لفظة المنهاج بمعنى الطريقة بالمعنى الأخلاقى فيقول : فمنهاج التأديب تيقظ المرء لطلب الأدب[6] وترد لفظة المنهاج بمعنى الأسلوب والطريقة ، وفى هذا المعنى يقول أبو حيان فى نص له : إن المجنون بقدر ما يبدر منه لا يكون عاقلًا ، والعاقل بقدر

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ٣ ص١٣٤ .
(٢) المقابسات ص ٣٩٠ .
(٣) البصائر والذخائر جـ١ ص١٧٩ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص١٨٨ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص٢٠٩ .
(٦) البصائر والذخائر جـ٢ ص٨٥٤ .

ما بدر منه لا يكون مجنونًا . ثم أنصباء جميع العقلاء والمجانين محصلة على هذا المنهاج[1] .

ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة منهاج بمعنى المذهب : حكى عيسى بن زرعة فقال : إنى لأعجب من ناس يقولون : كان ينبغى أن يكون الناس على رأى واحد ، ومنهاج واحد وهذا لا يستقيم ولا يقع به نظام[2] وبمعنى النَّهْج يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة منهاج : وأن الحال تدوم على ذلك المنهاج ، وتستمر على ذلك السياج[3] .

ومما تقدم نرى أن لفظة المنهاج وردت عند أبى حيان بدلالات مختلفة لم ترد فى اللسان فى تناوله هذه اللفظة .

ونرى هذه المجموعة من المصطلحات مثل : المنهج ، والنهج ، والمنهاج كثيرا ما ترد فى مؤلفات أبى حيان بمعنى واحد حتى أنه من الممكن أن تحل الواحدة منها محل الأخرى فى أكثر الأحيان .

مما تقدم نجد أن أبا حيان ذكر الألفاظ نهج ومنهج ومنهاج بمعنى واحد قريب من معنى الطريق وإن كانت لفظة النهج أقرب هذه الألفاظ إلى معنى الطريق . وعندما يريد أبو حيان أن يزاوج فى كلامه نراه يأتى بلفظة النهج ولفظة المنهج – فى نص واحد – مقابلة للفظة الطريق بالمعنى الحسي . أما فى مجال التغير الدلالى فنجد أن هذه الألفاظ قد تخصصت دلالتها عند أبى حيان عندما استخدمت كمصطلحات دينية .

(٣) الملة / الملل ، السنة / السنن ، النحلة / النحل ، الناموس/نواميس :

جاء فى اللسان المِلَّة فى اللغة : الطريقة والسُّنة ومن هذا أخذ المِلّة أى الموضع

---

(١) المقابسات ص ٢٢٦ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ٣ ص١٣١ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ٣ ص٦٦ .

الذى يختبر فيه لأنه يؤثر فى مكانها كما يؤثر فى الطريق . والمِلَّة : الشريعة والدين كملة الإسلام والنصرانيَّة واليهوديَّة ، وقيل معظم الدين وجملة ما يجيء به الرسل وتملَّل وامتلّ : دخل فى المِلَّة[1] . وجاء فى الأساس من المجاز المِلَّة الطريقة المسلوكة ، ومنها مِلَّة إبراهيم خيرُ الملل[2] . وجاء فى الفروق أصل المِلَّة فى العربية الملل وهو أن يعدو الذئب على شيء ضربا من العدو فسميت المِلَّة ، ملة لاستمرار أهلها عليها ، وقيل أصلها من التكرار من قولك طريق مليل إذا تكرر سلوكه حتى توطأ[3] . ويقول أبو حيان فى شرحه للفظة المِلَّة وأصلها اللغوى : وأمَّا المَلُّ فمصدر مَلَّه إذا أحماه ، والمَلَّة الرَّماد الحار ، ويسمى بها الحَرَّة المعروفة للبادية . والمِلَّة من ذلك ولكن ضَمَّها إلى الباب لطيف كأنَّها حامية شملت القائلين بها ، والصائرين إليها والصابرين عليها[4] ، ويقول التهانوى فى شرحه الملة : هى فى الأصل اسم من أملت الكتاب بمعنى أمليته ومنه طريق مملول ومسلوك معلوم ، ثم نقل إلى أصول الشرائع باعتبار أنها يمليها النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا يختلف الأنبياء عليهم السلام فيها ، وقد يطلق على الباطل كالكفر مِلّة واحدة ولا يضاف إلى الله فلا يقال ملة الله . قال تعالى : ﴿ دينًا قيَما ملة إبراهيم ﴾ ، وقد يطلق الدين على الفروع تجوزًا ويضاف إلى الله وإلى الإلحاد وإلى طرائق مخصوصة نظرًا للأصل على أن تغاير الاعتبار كافٍ فى صحة الإضافة[5] . وبمعنى الشريعة ترد لفظة المِلّة فى نص لأبى حيان يقول فيه ذاكرًا ملة إبراهيم : ومن لم يرغب فى الثناء فقد رغب عن ملة إبراهيم خليل الرحمَن ، لأن الله تعالى أخبر أنه سأله ذلك ، وما

---

(١) اللسان جـ٣ ص٥٣١ . (٢) أساس البلاغة جـ٣ ص٤٠٠ .

(٣) الفروق فى اللغة لأبى هلال العسكرى ص ٢١٤ .

(٤) البصائر والذخائر جـ١ ص٤٥٩ .

(٥) كشاف اصلاحات الفنون جـ٢ ، ١٣٤٦ .

سأله إلا بعد أن أذن له وما أذن له إلّا بعد أن علم أنه الخلق الأسنى[١] ويعرف الشهرستانى ملة إبراهيم فيقول : اعلم أن الملة الكبرى هى مِلّة إبراهيم الخليل عليه السلام ، وهى الحنفيّة التى تقابل الصبوة تقابل التضاد[٢] .

وفى نصوصٍ أخرى للتوحيدى يذكر فيها لفظة ملة بالمعنى الدينى فيقول واصفًا العرب : وانتشرت دعوتهم بالملة وعزت ملتهم بالنبوة ، وغلبت نبوتهم بالشريعة[٣] ويقول أبو حيان موردًا لفظة ملة بمعنى الشريعة وذلك فى وصفه لبعض التجـار : قد تعاطوا المنكر حتى عرف ، وتناكروا المعروف حتى نسى ، ويتمسكون من الملة بما أصلح البضائع ، وينهون عنها كلما عادت الوضائع[٤] وبمعنى ملة الإسلام يذكر أبو حيان لفظة الملة فيقول : وهكذا مشايخ دينك ، وأنصار شريعتك ، وأعلام ملتك ، والمسلمون فى بلادك[٥] . ومن نصوص أبى حيان يتضح أن لفظة الملة جاءت بنفس المعنى الذى ذكره صاحب اللسان والمعاجم الأخرى . وفى كتاب الفروق يوضح أبو هلال العسكرى الفرق بين الدين والملة فيقول : الملة اسم للشرائع مع الإقرار بالله والدين مما يذهب إليه الإنسان ويعتقد أنه يقربه إلى الله وإن لم يكن فيه شرائع وكل مِلَّة دين . وليس كل دين مِلَّة[٦] .

لفظة السُّنَّة والجمع سنن ذكرها أبو حيان فى أماكن متعددة من كتاباته وللفظة السُّنة تحديدات تختلف باختلاف المصطلحين ، فهى فى عرف أهل اللغة الطريقة المسلوكة ، وأصلها من قولهم سَنَنْتُ الشيء بالمسن إذا أمررته عليه حتى يؤثر فيه

---

(١) مثالب الوزيرين ص٢٤٤ .
(٢) الملل والنحل للشهرستانى ص٣٨٠ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص٨١ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ٣ ص٦٢ .
(٥) البصائر والذخائر جـ٣ ص٥ .
(٦) الفروق فى اللغة أبو هلال العسكرى ص٢١٤ .

سَنًّا أى طريقًا[١] والسُّنَّة أصلها الطريقة المحمودة المستقيمة ولذلك قيل : فلان من أهل السُّنَّة[٢] وقيل هى الطريقة المعتادة سواء كانت حسنة أو سيئة كما فى الحديث الصحيح : من سن سُنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سن سُنّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة[٣] وتطلق السُّنَّةُ فى عرف أهل الشرع على ما أمر به النبى ﷺ ، ونهى عنه وندب إليه قولًا وفعلًا مما لم ينطق به الكتاب العزيز ، ولهذا يقال فى أدلة الشرع : الكتاب والسُّنَّة أى القرآن والحديث[٤] وتطلق السُّنَّةُ على الشريعة وبهذا المعنى وقع فى قولهم : الْأَوْلَى بالإمامة الأعلم بالسُّنَّة ، وتطلق على النفل فى العبادات وهو ما يثاب المرء على فعله ولا يعاقب على تركه وتطلق على الطريقة المسلوكة فى الدين . وسنة الله : أحكامه وأمره ونهيه[٥] هذا وقد اختلف الأصـوليون فى مدلول السنة من حيث السعة والضيق مع اتفاقهم على صدقها . ولفظة السُّنَّة يعرفها أبو حيان بقوله : الشريعة مأدبة الله للعباد ، السنة حلية الديانيين . والتوحيد حياة النفس[٦] وترد لفظة السنة فى نص لأبى حيان بمعنى الفرقة الدينية وفى هذا المعنى يقول فى تعريفه لمذهب الباقلانى : قلت : يزعم أنه ينصر السنة ويفحم المعتزلة وينشر الرواية ، وهو فى أضعاف ذلك على مذهب الخرمية[٧] .

يقول أبو حيان فى أحد مجالس الإمتاع ذاكرًا لفظة السُّنَّة بمعنى ركن من أركان الدين الأربع وموضحًا أحكام هذه السُّنَّة : فما بالنا لا نرى واحدًا منكم يقوم بأركان الدين ، ويتقيد بالكتاب والسنة ويراعى معالم الفريضة ووظائف

---

(١) الأصول العامة للفقه المقارن محمد تقى الحكيم ص ١٢١ دار الأندلس بيروت ، طبعة ثانية .

(٢) اللسان جـ٢ ص٢٢١ وانظر تاج العروس جـ٩ ص٢٤٤ .

(٣) الكليات لأبى البقاء ص٣ .

(٤) اللسان جـ٢ ص٢٢٢ .

(٥) كشاف اصطلاحات الفنون جـ٣ ص٥٦ .

(٦) الإشارات الإلهية ص٢٤٨ .

(٧) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص١٤٣ .

النافلة[١] ، ويصف أبو حيان أصناف الناس موردًا لفظة السنة بمعنى الشريعة فيقول : خلق الله الناس أطوارًا : فطائفة للسياسة ، وطائفة للفقه والسنة وطائفة للبأس والنجدة[٢] ، ويذكر أبو حيان لفظة السنة بمعنى أحد الأدلة الشرعية وركن من أركان الإسلام فيقول : السنة أشرف من الأدب بل الأدب كله فى السنة وهى الجامعة للأدب النبوى والأمر الإلهى ولكن لما غلبت عليهم العزة ، ودخلت النعرة فى آنافهم وظهرت الخنزوانة بينهم سموا آيين العجم أدبًا ، وقدموه على السُّنَّة التى هى ثمرة النبوة[٣] .

ولفظة الجمع السُّنَن ترد عند أبى حيان فى نصوص عديدة من كتاباته ففى مثل قوله : الناس يكتسبون على رأس كل مائة سنة عادة جديدة ، وخليقة غير معهودة ، وبدء هذه المئين هو الوقت الذى فيه تنعقد شريعة ، وتظهر نبوة ، وتفشو أحكام ، وتستقر سُنَن[٤] وترد لفظة سُنَن بمعنى الأدلة الأربعة الشرعية فى نص لأبى حيان يصف فيه الوزير صاحب مجالس الإمتاع فيقول : يجرى الأمور بسنن الدين ما استجابت ، فإن عصت أخذ بأحكام السياسة التى هى الدنيا[٥] . وفى مجال الألفاظ الخاصة بالمذاهب والملل ترد لفظة نِحْلَة والجمع نِحَل ، وصاحب اللسان يعرف معنى النحلة بأنها الدين والتدين وفى التنزيل العزيز : ﴿ وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ﴾ قال بعضهم : فريضة ، وقال بعضهم : ديانة ، كما تقول فلان ينتحل كذا وكذا أى يدين به ، ويقال ما نِحْلَتُك أى ما دِينُك ؟ والنحلة : الدعوى[٦] ومنه الإنتحال وهو ادعاء ما لا أصل له[٧] .

وفى مقدمة كتاب الملل والنحل قال الشهرستانى واصفًا أصحاب المِلَل

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص١٤ .
(٢) البصائر والذخائر جـ١ ص٤٦ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص٧٦ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ٣ ص٣ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص١١٦ .
(٦) اللسان جـ٣ ص٥٩٨ .
(٧) تاج العروس جـ٨ ص١٣٩ .

والأهواء والنِّحَل : لما وفقنى الله تعالى لمطالعة مقالات أهل العلم من أرباب الديانات والملل وأهل الأهواء والنحل ، والوقوف على مصادرها ، أردت أن أجمع ذلك فى مختصر يحوى جميع ما تديّن به المتدينون وانتحله المنتحلون ، عبرة لمن استبصر ، واستبصارًا لمن اعتبر ، وقد تطلق النِّحْلة على طائفة من الناس يجمعهم مذهب واحد ، فتكون مرادفة للجماعة والفرقة ، أو تطلق على طائفة من الناس تجمعهم عقيدة باطلة أو عقيدة مخالفة لعقيدة الجماعة ، فتكون حينئذ مرادفة للبدعة[1] ، وعن أصحاب النحل ، يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة نحل بمعنى المذاهب : وما شمت الحاسد المرصد ، والطاعن الملحد حتى رأى علماء الدين ، وأنصار الشريعة يموجون فى نحلهم ، ويكفرون أهل القبلة على اعتقادهم[2] ولفظة **نِحْلَة** ترد فى أماكن عديدة من كتابات أبى حيان بمعنى المذهب والمعتقد ففى المقابسات يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة نِحْلة بمعنى المذهب بالمعنى العام : وليس من شىء إلا وقد علم أو يعلم وهكذا فى الظن والرأى وغير ذلك . ومثال هذا بين فى كل ماأردته . وذلك أنك لاتشير إلى رأى ونحلة إلا أمكنك أن تظن به كل ماظن ، وتقول كل ما قيل ويقال[3] ويقول أبو حيان فى مقابساته موردًا لفظة النِّحْلَة بمعنى الدعوى : معرفة النفس التى هى طلبة كل ناظِر فى علم ومتحقق بنحلة[4] . والنِّحْلَة هى العقيدة والمذهب وبهذا المعنى يقول أبو حيان فى مقابساته مخاطبًا أستاذه أبا سليمان : سمعناك تذكر غير مرة : أن الشريعة ، إذا كانت حقًّا لاتكون كذلك إلا بقوة إلاهية ، والقوة الإلاهية تعاند النمط الذى ورد وانتشر ،وصار عقد الدهاء، ونِحْلَة الجمهور[5]، ويصف أبو حيان نفسه ذاكرًا فظة النِّحْلَة بمعنى

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى ص٨ .
(٢) البصائر والذخائر جـ٣ ص٤٣٣ .
(٣) المقابسات ص١٠٠ .
(٤) المقابسات ص١١٦ .
(٥) المقابسات ص٢٦٥ .

المعتقد فيقول : فقد أمسيت غريب الحال ، غريب اللفظ غريب النحلة ، غريب الخلق[1] ، ويقول أبو حيان عن مسكويه موردًا لفظة النحلة فى كلامه بمعنى الدعوى : وهو غنى عن تقريظى له ، ودلالتى على حسنه ، لظهور الحق عليه . فمن جعل هذا نحلة صدره ، وعقيدة سره ووسيلة بينه وبين ربه ، فهو الفيلسوف المحقق[2] . ومن معنى الدعوى أخذت النحلة وهى المذهب والمعتقد الدينى والفلسفى .

ولفظة الجمع نِحَل يذكرها أبو حيان فى نصوص عديدة من كتاباته ففى أحد هذه النصوص يقول ذاكرًا لفظة نحل بمعنى المذاهب : وصار الناس أحزابًا فى النحل والأديان فهذا نصرى ، وهذا أشجعى ، وهذا جارودى ، وهذا قطعى ، وهذا جبائى ، وهذا أشعرى ، وهذا خارجى ، وهذا شعيبى ، وهذا قرمطى ، وهذا راوندى ، وهذا بخارى ، وهذا زعفرانى ، وهذا قدرى ، وهذا جبرى ، وهذا لفظى ، وهذا مستدركى ، وهذا حارثى ، وهذا رافضى ، ومن لا يحصى عددها إلا الله الذى لا يعجزه شيء[3] .

ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة النحل مرادفة للآراء والمذاهب : اعلم أن المذاهب والمقالات والنحل والآراء ، وجميع ما اختلف الناس فيه وعليه ، كدائرة فى العقل ، فمتى فرض فيها قول وجعل مبدأ للأقوال انتهى منه إلى آخر ما يمكن أن يقال[4] ، ونص آخر لأبى حيان ترد فيه لفظة النحل بمعنى الاعتقادات والبدع وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : ما عندى أن الأدلة تتكافأ ، وأن المذاهب والآراء والنحل جارية بين أربابها على قوة السانح وضعفها وجودة العبارة ورداءتها[5] ومما

---

(١) الصداقة والصديق ص٩ .

(٢) المقابسات ص٣٨٧ .

(٣) الإمتاع جـ٢ ص٧٧ .

(٤) المقابسات ص١٠٠ .

(٥) مثالب الوزيرين ص١٤٣ .

تقدم يتضح أن لفظة نحل ترادف لفظة مذاهب فى بعض نصوص أبى حيان .

ولفظة ناموس والجمع نواميس تعرفها المعاجم بتعريفات متنوعة فقد جاء فى اللسان : الناموس هو وعاء العِلْم ، وهو صاحب السر وهو المطلع على باطن الأمور ، وقيل هو السِّر . والناموس جبريل عليه السلام لأن الله تعالى خصه بالوحى والغيب اللذين لا يطلع عليهما أحد[1] وجاء فى مفاتيح العلوم : النواميس هى السنن التى تضعها الحكماء للعامة لوجه من المصلحة واحدها ناموس[2] ، وفى التعريفات الناموس : هو الشرع الذى شرعه الله[3] .

ولفظة الناموس والجمع نواميس يذكرها أبو حيان فى أماكن متعددة من كتاباته ففى نصٍّ له يقول فيه ذاكرًا الناموس بمعنى الشرع والسنة : إن أبا سليمان قال لنا فى هذه الأيام : إن الناموس ينطق بما هو استصلاح عام ، ليكون النفع به شائعًا فى سكون النفس وطيب القلب وروح الصدور[4] ، ويقول أبو حيان ذاكرًا الناموس الإلهى بمعنى الشرع : الناموس الإلهى نصيحة عامة للكافة ، وجب أن يستعان عليها بكل ما يكون ردءًا لها ورفدًا معها[5] ، وفى نص آخر يقول أبو حيان ذاكرًا الناموس الإلهى وموضحًا أبعاده : الناموس الإلهى ، الشارع لطرق الخيرات ، القائد إلى غاية السعادات[6] ويصف فى إشاراته الإنسان المؤمن موردًا لفظة **الناموس** الإلهى بمعنى الشرع الذى شرعه الله : فيقول : فإذا كان تقيًّا جليًّا نقيًّا ذكيًّا كانت حركاته موزونة بالناموس الإلهى[7] ، ويقول أبو حيان معرفًا لفظة الناموس : الناموس الحق يعترف له بأكثر مما يعرف به[8] . ويذكر معانى أخرى للفظة الناموس ، ففى نصٍّ له يقول أبو حيان موردًا لفظة الناموس بمعنى جبريل :

---

(١) اللسان جـ٣ ص٧٢٢ .

(٢) مفاتيح العلوم للخوارزمى ص٨٤ .

(٣) التعريفات للجرجانى ص٢٥٨ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص٢٢٤ .

(٥) المقابسات ص٩٠ .

(٦) المقابسات ص٢٩٩ .

(٧) الإشارات الإلهية ص١٦٥ .

(٨) المقابسات ص٢٤٨ .

فإن الحلم سكينة إلاهية ، وحلية ملكية ، وقنية عقلية ، وقد أطلقه الناموس الحق على الله عز وجل[1] ، وفى وصفه لأبى بكر الرازى ترد لفظة ناموس بمعنى الطريقة والسنة فيقول : وكان قليل الهزل ، كثير الصمت على ناموس المشايخ[2] وبمعنى الشرع يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الناموس : ومتى رام فيلسوف أن يضع ناموسًا إلاهيًا ، محلى بالكلمات الصحيحة ، مؤيدًا بالعقول السليمة ، مجموعا فيه مصالح البرية ، قدر على ذلك[3] وفى تعريف أوسع للفظة الناموس أى بمعنى الشرع والسنة والقانون يقول أبو حيان : ليس ليونان نبى يعرف ، ولا رسول من قبل الله صادق ، وإنما كانوا يفزعون إلى حكمائهم فى وضع ناموس يجمع مصالح حياتهم ونظام عيشهم ومنافع أحوالهم ، وكان ذلك الناموس يعمل به ويرجع إليه[4] ويروى أبو حيان حادثة عن سقراط موردًا لفظة النواميس فى حديثه بمعنى التشريعات فيقول : نظر رجل إلى سقراط فى ثياب لا تواريه فقال : أهذا سقراط واضع النواميس وأكثر التعجب منه ، فقال له سقراط : ليس علة نواميس الحق الكساء الجديد ولا علة ناموس الباطل الكساء الخلق[5] . فى هذا النص يتبين لنا أن لفظة نواميس جاءت بمعنى التشريعات وبمعنى السنن وهذا المعنى الاصطلاحى لم يرد فى اللسان عند تناوله للمادة (ن م س) ، ومن الملاحظ أن صاحب اللسان لم يقف طويلًا عند المعنى الاصطلاحى للفظة ناموس ومر عليه مرورًا عابرًا .

مما تقدم يتضح لنا أن الألفاظ ملة والجمع ملل ، وسنة والجمع سنن ونحلة والجمع نحل ، وناموس والجمع نواميس جاءت فى كتابات أبى حيان بالمعنى اللغوى العام ، وبالمعنى الاصطلاحى وهذه الألفاظ تشترك فى المعانى التالية : الطريقة ، والشريعة ، والمعتقد ، والدين ، والسنة ، والرأى ، والفريضة ،

---

(١) المقابسات ص٤٣١ .

(٢) البصائر والذخائر جـ٤ ص٣٧٤ .

(٣) المقابسات ص٤٧٥ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص٢٢ .

(٥) البصائر والذخائر جـ٣ ص٥٤٤ .

والدعوى ، والمذهب ، وهذه المعانى ذكرها أبو حيان لمجموعة الألفاظ الخاصة بالمذاهب والملل مقاربة للمعانى التى ذكرها صاحب اللسان عند تناوله لمواد هذه الألفاظ ، وأحيانًا نلاحظ أن أبا حيان ذكر هذه المجموعة من الألفاظ بنفس المعانى التى وردت فى اللسان فليس هناك فرق يذكر بين ما جاء فى اللسان وما ورد عند أبى حيان ؛ إلا أن المعنى الاصطلاحى لهذه الألفاظ يمر عليه ابن منظور مرورًا عابرًا وذلك فى بعض الألفاظ مثل لفظة مذهب ، ولفظة نحلة وأيضًا لفظة ناموس ، فالمعنى الاصطلاحى لهذه الألفاظ غير واضح فى اللسان . وهذا مخالف لما أجاد فى توضيحه أبو حيان ؛ إذ إن المعنى الاصطلاحى لهذه المجموعة من الألفاظ هو الأكثر ورودًا .

ونستنتج مما تقدم أن الألفاظ ملة ، وسنة ، ونحلة ، وناموس ، قد جاءت عند أبى حيان مترادفة المعنى وأيضًا مرادفة للفظة المذهب التى سبق ذكرها فى أول البحث عن الألفاظ الخاصة بالمذاهب والملل .

وفى مجال التغير الدلالى نجد أن الألفاظ التالية : ملة ، وسنة ، ونحلة ألفاظ قديمة وقد جاء ذكرها فى القرآن الكريم . وكذلك لفظة الناموس التى لم ترد فى القرآن ولكنها استخدمت قديمًا منذ العصر الجاهلى[1] فهذه الألفاظ العامة كثر استعمالها فى العصر العباسى وقد تخصصت دلالة هذه الألفاظ فى هذا العصر بعد أن ارتبطت بالفروق الدينية أو بأعلام الفكر فى ذلك العصر . وأصبحت هذه الألفاظ فى عصر أبى حيان أكثر تخصصا عندما أضيفت إلى الطوائف والفرق والجماعات الإسلامية ، أو عندما أضيفت إلى أشخاص ذوى مكانة علمية أو دينية وهم أصحاب المبادئ والمذاهب والنظريات الفلسفية والفقهية واللغوية ، فتخصصت الدلالة بهذه الإضافة .

---

(١) صحيح البخارى جـ١ ص٤ باب كيف كان بدء الوحى « حديث ورقة بن نوفل » : هذا الناموس الذى نزل الله على موسى .

(٤) الفرق الدينية الإسلامية :

أ - المُعْتَزِلة :

يقول صاحب اللسان عَزل الشيء يعزله عَزْلًا وعَزَله فاعْتَزل وانْعَزل : نحاه فتنحى وتَعازَل القوم انْعَزَل بعضهم عن بعض . واعْتَزَلت القوم أى فارقتهم وتنحيت عنهم وقوم من القدرية يلقبون بالمعتزلة ، زعموا أنهم اعتزلوا فئتى الضلالة عندهم . يعنون أهل السنة والجماعة والخوارج الذين يستعرضون الناس قتلا[١] ويقول صاحب الكليات : العزل بكسر الزاى : اسم مكان العزلة ، وكذا اسم الزمان . وبالفتح : مصدر ، وأصله من العزل وهو التنحية والإبعاد[٢] .

المعتزلة لفظة ظهرت فى العصر العباسى للدلالة على فرقة من الفرق الإسلامية التى انتشرت وكثرت فى العصر العباسى وكانت هذه الفرقة تمثل أهم الظواهر الفكرية والدينية فى ذلك العصر . وكان للمعتزلة الفضل الأكبر فى نضوج علم الكلام ، فإنهم وقفوا أنفسهم موقف الدفاع عن الإسلام[٣] ، ولهذا بدأنا كلامنا عن الفرق الإسلامية بهذه الفرقة لأنها أهم فرقة يدين لها علم الكلام بما أثارت من مسائل ، وبسطت من شرح ووضعت من أصول[٤] ، ويصف هذه الفرقة التهانوى فى كشاف اصطلاحات الفنون فيقول : المعتزلة فرقة من كبار الفرق الإسلامية وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزالى اعتزل عن مجلس الحسن البصرى وذاك أنه دخل على الحسن رجل فقال يا إمام الدين ظهر فى زماننا جماعة يكفرون صاحب الكبيرة يعنى الخوارج وجماعة أخرى يرجون الكبائر ويقولون لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة فكيف تحكم لنا أن نعتقد ذلك فتفكر الحسن وقبل أن يجيب قال واصل : أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقًا

---

(١) اللسان جـ٢ ص٧٦٨ .

(٢) الكليات لأبى البقاء جـ٤ ص٢٩٩ .

(٣) ظهر الإسلام أحمد أمين جـ٤ ص١ .

(٤) ضحى الإسلام أحمد أمين جـ٣ ص٢٠٧ .

ولا كافر مطلقًا فأثبت المنزلة بين المنزلتين وقال : إذا مات مرتكب الكبيرة بلا توبة خلد فى النار ؛ إذ ليس فى الآخرة إلا فريقان فريق فى الجنة وفريق فى السعير لكن يخفف عليه ويكون دركته فوق دركات الكفار ، فقال الحسن قد اعتزل عنا واصل فلذلك سمى هو وأصحابه معتزلة ويلقبون أيضًا بالقدرية والمعتزلة لقبوا أنفسهم بأصحاب العدل والتوحيد ، وافترقوا عشرين فرقة يكفر بعضهم بعضا[1] ، أما ما يمتاز به المعتزلة من الخصال فيقول المقدسى عنهم : والمعتزلة من أربع من اللطافة والدراية والفسق والسخرية[2] .

ولفظة **المُعْتَزِلة** وردت عند أبى حيان فى نصوص متعددة من كتاباته ففى نصٍّ له من كتاب الإمتاع يصف فيه الصاحب فيقول ذاكرًا لفظة المعتزلة بمعنى الطائفة الدينية : فصيح اللسان ، قد نتف من كل أدب خفيف أشياء ، وأخذ من كل فن أطرافا ، والغالب عليه كلام المتكلمين المعتزلة[3] ، وذكر لفظة المعتزلة بهذا المعنى فقال يصف ابن الخليل : وكان من كبار المعتزلة ، ولكنه خالفهم ، وأفرط فى التشنيع عليهم[4] ، وفى نص لأبى حيان من بصائره ترد فيه لفظة المعتزلة مع بعض الفرق الإسلامية الأخرى المنتشرة فى ذلك العصر يقول أبو حيان نقلًا عن أستاذه أبى حامد : وكان أبو حامد يقول : لولا أن الخوارج قالت : على كافر لما قالت الغالية : على إله ، عز الله وجل وتعالى . ولولا أن المعتزلة قالت الأمر كله إلينا ، لما قالت الجهمية : نحن كالشجر إن هبت الريح تحركت ، وإن ركدت سكنت[5] .

ويلخص الشهرستانى المتوفى سنة ٥٤٨ هـ فى كتابه الملل والنحل ما أجمعت عليه المعتزلة فيقول : والذى يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد والقول بأن الله تعالى

(١) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى جـ٢ ص١٠٢٥ طبعة كلكتا .

(٢) أحسن التقاسيم للمقدسى ص٤١ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص٥٤ .

(٤) البصائر والذخائر جـ٣ ص٧ .

(٥) البصائر والذخائر جـ٤ ص٢٨٦ .

قديم ، والقدم أخص وصف ذاته ، ونفوا الصفات القديمة أصلا . واتفقوا على أن كلامه محدث مخلوق فى محل ، واتفقوا على نفى رؤية الله تعالى بالأبصار فى دار القرار ، ونفى التشبيه عنه من كل وجه ، وسموا هذا النمط : توحيدًا . واتفقوا على أن الله تعالى لا يفعل إلا الصلاح والخير ، ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد ، وأما الأصلح واللطف ، ففى وجوبه عندهم خلاف . وسموا هذا النمط : عدلًا . واتفقوا على أن المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة ، استحق الثواب والعوض وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها ، استحق الخلود فى النار ، لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار ، وسموا هذا النمط : وعدا ووعيدا[1] .

ولفظة المُعْتَزِلة ترد فى كتابات أبى حيان فى نصوص عديدة تشير إلى معتقداتهم ولا يتسع المجال هنا لذكر كل هذه النصوص التى أوردها أبو حيان ولكن هذا لا يمنع من الإشارة إلى بعضها ، ففى نص لأبى حيان يسألونه عن الاستطاعة عند المعتزلة فيقول له السائل : عرفنى معنى الاستطاعة ، وما سرُّها ؟ وهل هى على حدّ ما ذهبت إليه المُعْتَزِلة أو على سبيل ما قالته المُجْبرة وما حَيْثِيَّتُهَا وما مثالها[2] ويرد أبو حيان على صاحب السؤال قائلا : الاستطاعة : طلب الطاعة ، والاستطاعة عند المعتزلة : قبل الفعل ، زعموا كما أن العين قبل الإدراك ، واليد قبل الضرب[3] ويعلق التوحيدى على قول المعتزلة فى الاستطاعة فيقول : وهذه القوة الاستطاعة هى عَوَارِيٌّ عند الإنسان تزداد مرة بامتداد المُعير ، وتنقص على ذلك التَّقدير ، ولهذا لم يكن الإنسان قادرًا على الإطلاق ، ولا عاجزًا على الإطلاق ، بل كان وِعاءً لهما محمولًا عليهما ، ولو عُرِّى من القدرة رأسًا لما

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى جـ١ ص٤٤ .

(٢) البصائر والذخائر جـ١ ص٥٤٦ .

(٣) البصائر والذخائر جـ٢ ص٤٧٧ .

كُلّف ، ولو ملَك الاستطاعة رأسا لما لجأ إلى الله ولا تضرَّع[1] ، ويصف أبو حيان المعتزلة فى هوامله فيقول : ولهم التشقيق والتمطيط ، والدعوى ، والإعراب ، والعصبية والتشيع[2] وعن فرق المعتزلة يقول الخوارزمى فى كتابه مفاتيح العلوم : المعتزلة ويتسمون بأصحاب العدل والتوحيد،وهم ست فرق ، الفرقة الأولى هم الحسنية ، وهم المنتسبون على زعمهم إلى الحسن البصرى رحمه الله ، الثانية الهذيلية أصحاب أبى الهذيل العلاف ، والثالثة النظامية أصحاب إبراهيم بن يسار النظام ، الرابعة المعمرية أصحاب معمرِ بن عباد السلمى ، الخامسة البشرية نسبوا إلى بشر بن المعتمر ، السادسة الجاحظية أصحاب عمرو بن بحر الجاحظ[3] .

وعن فرق المعتزلة يقول آدم ميتز : كان بين المعتزلة شيعة كالزيدية وكان من هؤلاء بعض أهل البيت ، وكان من الشيعة المعتزلة المشهورين أبو الحسن الراوندى . وكان بعض المعتزلة فى القرن الرابع يتكلمون فى القدر وتحديد معنى الفسق والإيمان[4] ويذكر أبو حيان لفظة **القدرية** بمعنى الفرقة الدينية وذلك فى حديث ابن عباس فيقول : قال ابن عباس : لعن الله القدرية ما قالوا كما قال الله ولا كما قالت الملائكة ، ولا كما قال الأنبياء ولا كما قال أهل الجنة ، ولا كما قال أهل النار ولا كما قال الشيطان[5] ، وفى حديث لأبى حيان عن القدرية يقول فيه : قال إبراهيم الحرانى : كان بالبصرة أربعة من النحويين من أصحاب سنة وسائرهم قدرية : الخليل ، وأبو عمرو بن العلاء ، ويونس والأصمعى[6] وفرق القدرية كما يصفها البغدادى فى كتابه الفرق بين الفرق ، فيقول : وأما القدرية المعتزلة عن

---

(١) البصائر والذخائر جـ٢ ص٤٧٧ .
(٢) الهوامل والشوامل ص ١٣٥ .
(٣) مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ١٩ .
(٤) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ ١ ص ٣٧٢ ، ٣٧٣ .
(٥) البصائر والذخائر جـ٢ ص٧٨٢ .
(٦) البصائر والذخائر جـ٣ ص٥٩٢ .

الحق قد افترقت عشرين فرقة كل منها تكفر سائرها ويعدد هذه الفرق بأسمائها وأوصافها ويسهب فى شرحه[1] وصاحب التعريفات يقول عن القدرية : هم الذين يزعمون أن كل عبد خالق لفعله ولا يرون الكفر والمعاصى بتقدير الله تعالى[2] . وفى مجال الحديث عن المعتزلة ترد فى كتابات أبى حيان بعض الاشتقاقات من المادة عزل وهذه الألفاظ هى : اعتزال ، ومعتزلىّ ، ومعتزليّة نسبة إلى معتزلة .

يذكر أبو حيان لفظة **الاعْتِزال** بمعنى المذهب الدينى فيقول فى وصفه للصاحب على لسان العتابى : سمعته يقول فى الخلوة ، وقد جرى حديث المذهب كيف أنزل هذا المذهب – يعنى الاعتزال – وقد نصرته وشهرت به نفسى ، وعاديت الصغير والكبير فيه[3] ، ولفظة الاعتزال هذه لم ترد فى اللسان عند تناوله المادة عزل فهى من الألفاظ المستحدثة والتى كثر استعمالها فى العصر العباسى . ولفظة أخرى ترد عند أبى حيان ولم يذكرها صاحب اللسان وهى المعتزلىّ وقد ذكر أبو حيان لفظة **المعتزلىّ** نسبة إلى المعتزلة فقال مبديا رأيه فى مسألة دينية : والمعتزلىّ يقطع بتخليده فى النار ، وليس دخول الرجاء فى المعنى على الاتساع[4] .

وترد لفظة معتزلىّ فى نصوصٍ كثيرة لأبى حيان أذكر منها هذا النص فى حوار لمعتزلىّ مع مجبر يقول أبو حيان فيه : فاعرفنى موضع الدلالة من قول معتزلى لمجبر : أليس الباطل بين السماء والأرض ؟ قال : بلى ، قال : فاعلم أن الله ما خلقه لأنه قال : ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلًا﴾ فانقطع الخصم[5] ولفظة **معتزليّة** للمفردة المؤنثة ترد فى قول أبى حيان : كان للحصين بن أبى الحر بن حصين أخى

---

(١) الفرق بين الفرق البغدادى ص٢٤ .

(٢) التعريفات للجرجانى ص١٨١ .

(٣) مثالب الوزيرين ص١٩٦ .

(٤) البصائر والذخائر جـ٣ ص٣٤١ .

(٥) البصائر والذخائر جـ١ ص٥٤٠ .

عيينة بن حصين ابن رافضىّ ، وابنة حروريّة ، وامرأة معتزليّة[1] ، وقبل أن أختم كلامى عن المعتزلة ألقى بعض الضوء على أدب المعتزلة فهم أئمة البيان فى الأمة العربية وقد كانوا أدباء من نوع عميق لا يدانيهم فيه أحد غيرهم ، ومن ثم اخترعوا علم البلاغة ، فكانوا من هذه الناحية أكثر اتصالًا بالأمة الإسلامية وأبعد تأثيرًا ، وإن لم يقرأ الناس كلامهم لاعتزالهم قرأوه لأدبهم وبلاغتهم ، فكان الاعتزال يندس فى ثنايا قولهم العذب ، ومنطقهم الفصيح ، ومعانيهم السائغة[2] .

مما تقدم يتضح أن لفظة معتزلة جاءت عند أبى حيان بالمعنى الذى جاء فى اللسان وهو الدال على طائفة من الطوائف الدينية ذات الفرق المتعددة . أما الألفاظ اعْتِزال ومُعْتَزلىّ ومُعْتَزليّة فقد جاءت عند أبى حيان بالمعنى الاصطلاحى الدال على مذهب المعتزلة والنسبة إلى هذه الفرقة وهذه الاشتقاقات لم ترد فى اللسان عند تناوله للمادة (ع ز ل) فهى إذن اشتقاقات جديدة فى مبناها ومعناها ظهرت فى العصر العباسى واستخدمها أبو حيان فى كتاباته .

وفى مجال التغير الدلالى يتضح أن لفظة معتزلة ومعها الألفاظ اعتزال ومعتزلىّ ومعتزليّة هذه الألفاظ ظهرت فى العصور الإسلامية الأولى واستخدمت بكثرة فى العصور العباسية وهذا مما أدى إلى اتساع دلالة هذه الألفاظ وقد دلت نصوص أبى حيان على ذلك .

(ب) الشيعة / التشيع :

الشِّيعة : كل قوم اجتمعوا على أمر واحد ويتبع بعضهم بعضا فهم شِيْعة . وهم أتباع الرجل وأنصاره ، وجمعها شيَع ، وأشياع جمع الجمع . ويقال شايعه كما يقال والاه من الولى . والشيعة الفرقة من الناس وأصلها من المُشايعة وهى المتابعة

---

(١) البصائر والذخائر جـ٢ ص٩٨ .

(٢) ضحى الإسلام أحمد أمين جـ٣ ص٢٠٧ .

والمطاوعة وقد غلب هذا الاسم على من يتولى عليًّا وأهل بيته حتى صار لهم اسمًا خاصًّا[1] .

ولفظة الشيعة فسرها ابن خلدون فى مقدمته فقال : اعلم أن الشِّيعة لغة هم الصحب والأتباع ، ويطلق فى عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتباع على وبنيه رضى الله عنهم . ومذهبهم جميعًا متفقين عليه أن الإمامة ليست من المصالح العامة التى تفوض إلى نظر الأمة ويتعين القائم بها بتعيينهم بل هى ركن الدين وقاعدة الإسلام ولا يجوز لنبى إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة بل يجب عليه تعيين الإمام لهم ويكون معصومًا من الكبائر والصغائر وأن عليًّا رضى الله عنه هو الذى عينه صلوات الله وسلامه عليه بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جهابذة السُّنة ولا نقلة الشريعة بل أكثرها موضوع أو مطعون فى طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة[2] .

وعرف التهانوى فى كشافه الشِّيعة فقال : هى فرقة من كبار الفرق الإسلامية ، وهم اثنتان وعشرون فرقة يكفر بعضهم بعضا ، أصولهم ثلاث فرق غلاة وزيدية وإمامية[3] ، وهناك عدة تعريفات للشيعة يجمعها معنى واحد يدل على الجماعة التى شايعت عليًّا وقالوا بإمامته بعد الرسول وإمامة أولاده من بعده وعلى كثرة فرقهم وألقابهم واختلافهم فى بعض المبادئ والعقائد لكنهم يجمعهم هذا اللقب[4] وبهذا تكون لفظة الشيعة من الألفاظ الصادرة عن الطابع الجديد فى

---

(١) اللسان جـ٢ ص٣٩٣ . (٢) المقدمة لابن خلدون ص١٩٧ .

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى جـ٤ ص١٣٦ .

(٤) التعريفات للجرجانى ص١٣٥ والشيعة هم الذين شايعوا عليًّا على الخصوص وقالوا بإمامته نصًّا ووصيّة إما جليًّا وإما خفيًّا واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو تبقيه من عنده . الشهرستانى : الملل والنحل جـ١ ص١٤٦ .

الإسلام وذلك فى إطلاق الأوصاف على الجماعات التى يجمعها جامع معين[١] .

وفى كتابات أبى حيان ترد لفظة الشيعة فى أماكن متعددة ولا يتسع المجال لذكرها ففى نص له من كتاب الإمتاع والمؤانسة يقول فيه ذاكرًا لفظة الشيعة بمعنى الفرقة الدينية : إن الأمة اختلفت فى آرائها ومذاهبها ومقالاتها فصارت أصنافًا فيها وفرقًا كالمُرجئة والمُعتزلة والشِّيعة والسُّنة والخوارج[٢] ، وترد لفظة الشيعة فى نصٍّ من كتاب البصائر يبين فيه أبو حيان موقف الشيعة . هذه الطائفة الدينية التى شايعت على بن أبى طالب وفى هذا المجال يذكر أبو حيان موقف شعر ورد على لسان الرشيد يقول فيه :

أريــد حياتــه ويريــد قتلى عذيرك من خليلك من مراد[٣]

وفى تعليق التوحيدى على هذا البيت يقول : فأما البيت فقديم ، أعنى الذى أنشد الرشيد ، وسمعت بعض الشيعة يقول : البيت لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه قاله لعبد الرحمن بن ملجم لعنه الله حين علم أنه ضاربه على هامته وسائل دمه على شيبته ، قال : والدليل على ذلك قوله : من مراد ، وعبد الرحمن مرادى ، وأصحابنا يأبون هذا الكلام ، ولكن الشيعة إذا سمعوا هذا الكلام ، رموا قائله ببغض على وقذفوه بكل قبيح والفتنة منهم شديدة[٤] . وعن على رضى الله عنه يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الشيعة بمعنى الأتباع والأنصار : وعلى بحر علم ووعاء دين ، وقرين هدى ، ومسعر حرب ، ومِدْرَهُ خطب ، وفارج كرب ، مضاف إلى النسب ، معطوف النسب على الأدب ، ولكن شيعته شديدة الخلاف عليه ، قليلة الانتهاء إلى أمره[٥] وترد لفظة شيعة بمعنى الأتباع والمُريدين فى الفكر والعلم

---

(١) الصلة بين التصوف والتشيع كامل مصطفى الشيبى جـ١ ص١٠ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص٩ .

(٣) البصائر والذخائر جـ٢ ص٤٨٨ .

(٤) البصائر والذخائر جـ٢ ص٤٩١ .

(٥) البصائر والذخائر جـ١ ص٢٠٤ .

وفى هذا المعنى يقول أبو حيان مخاطبًا أحدهم : هل عندك أيها الرجل المدعى للعقل ، المفتخر بالمال ، إلا الجهالة والضلالة ؟ تزعم أنك من شيعة أفلاطون وسقراط أرسطوطاليس ، أو أشاروا هؤلاء فى كتبهم بالجمع والمنع[1] .

ويذكر أبو حيان فى كتاباته أقوالًا وردت على لسان الشيعة فيقول : سمعت بعض الشيعة يحكى قال : قال أبو حنيفة يومًا لجعفر بن محمد رضى الله عنهما : بما فضلتم الناس ؟ قال : فضلناهم بأن الأمة كلها تَمنَّت أنها مِنَّا ، ولم نَتَمَنَّ أنَّا منها[2] . ويذكر أبو حيان لفظة الشيعة مبينًا معتقدات بعض فرقها فيقول : قال ابن أبى حية : كان عندنا شيخ من الشيعة يتألَّه[3] هذه بعض أقوال الشيعة وهناك الكثير منها التى ذكرها أبو حيان وأفاض فى سردها ، ولا يسع المجال لذكرها هنا . وعن الحديث عن فرق الشيعة سوف نستعرض أقوال بعض هذه الفرق ومعتقداتهم . هذا وقد انضم إلى الشيعة أقوام مختلفة لأسباب مختلفة ويوضح هذه الأسباب أحمد أمين فى ضحى الإسلام فيقول : وقد بدأ التشيّع من فرقة من الصحابة كانوا مخلصين فى حبهم لعلى ، ويرونه أحق بالخلافة لصفات رأوها فيه . وتشيع قوم كرهوا الحكم الأموى ثم العباسى ، وتشيع كثير من الموالى لعدم معاملة الأمويين لهم معاملة العرب بسواء . وتشيع قوم من الفرس خاصة ، بل واعتنق التشيع قوم أرادوا الانتقام من الإسلام فتظاهروا بالغلو فيه خديعة ومكرًا من ضروب الغلو ، الغلو فى التشيّع[4] .

وفى غضون القرن الرابع الهجرى امتد مذهب الشيعة إلى البصرة ، وهى المنافس القديم للكوفة والتى قال عنها الجاحظ فى القرن الثالث الهجرى : أما

---

(١) مثالب الوزيرين ص٢١٥ .

(٢) البصائر والذخائر جـ٢ ص٥٣٩ .

(٣) البصائر والذخائر جـ٣ ص٨٥ .

(٤) ضحى الإسلام أحمد أمين جـ٣ ص٣٠٢ .

البصرة وسوادها فقد غلب علينا عثمان وصنائع عثمان فليس بها من شيعتنا إلا القليل وأما الكوفة وسوادها فقد غلب عليها علي وشيعته[1] وفي البصرة اضطر أبو بكر الصولي المتوفى ٣٣٠ هـ أن يستتر حتى مات لأنه روى خبرًا في علي رضي الله عنه، فطلبته الخاصة والعامة لتقتله[2] ، والمقدسي في أحسن التقاسيم يذكر مراكز تجمع الشيعة في العراق في ذلك العصر عصر انتشار الفرق الدينية فيقول : الغلبة ببغداد للحنابلة والشيعة ، وبالكوفة الشيعة إلا الكناسة فإنها سنة وأكثر أهل البصرة قدرية وشيعة وثم حنابلة[3] وعن شيعة بغداد يقول أبو حيان : ابن رباط الكوفي كان رئيس الشيعة ببغداد ، ولم أر أنطق منه[4] ، وعن أثر الشيعة في الحركة الثقافية يقول آدم ميتز : من أكبر ما تمتاز به الحركة الفكرية في القرن الرابع الهجري ظهور مذهب الشيعة[5] ، ويقول أحمد أمين عن ثقافة الشيعة : جاء الشيعة فأغنوا الأدب من الناحية السياسية والعاطفية لما وهبوا من لسان ناطق وقول عذب فأثرت عنهم الخطب الرنانة والكتب التي تقرب من حد الإعجاز ، والأجوبة القصيرة التي جمعت بين إصابة المعنى وإيجاز اللفظ[6] .

ولفظة **شيعيّة** ذكرها أبو حيان بمعنى طائفة الشيعة الدينية فقال : وكذلك رام أبو تمام النيسابوري وخدم الطائفة المعروفة بالشيعيّة ولجأ إلى مطرف بن محمد وزير مرداويج الجبلي ليكون له به قوة وينطق بما في نفسه من هذه الجملة[7] . استخدم أبو حيان في نصه لفظة الشيعيّة وهذا استخدام مستحدث في ذلك العصر لهذا المصطلح الديني . وذكر أبو حيان لفظة الشيعيين جمعا للشيعيّ المنسوب لطائفة

---

(١) ثلاث رسائل لأبي عثمان الجاحظ طبعة فلوتن ص٩ .

(٢) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ١ ص١٢٠ .

(٣) أحسن التقاسيم المقدسي ص١٣٦ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ٣ ص١٩٧ .

(٥) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ١ ص١١٩ .

(٦) ضحى الإسلام أحمد أمين جـ٣ ص٣٠٢ .

(٧) الإمتاع جـ٢ ص١٥ .

الشيعة فقال : وادعى فى فضائلك الظاهرة والباطنة دعوى أقوى من دعوة الشيعيين[١] ، صيغة الجمع هذه التى استخدمها أبو حيان فى نصه يغلب على الظن أنها استخدام لا يزال حديثًا فى ذلك العصر ؛ إذ يغلب على استعمال اللفظة فى عصرنا هذا المفرد شيعى والجمع شيعة ، وهذه الصيغة لم ترد فى اللسان وكذلك لفظة الشيعيّة لم يذكرها صاحب اللسان .

أما التشيع الذى هو أساس مذهب الشيعة فقد وردت هذه اللفظة بمعانى مختلفة فمعنى التشيّع من شَيّع تبع ، وشيع الرجل إذا ادعى دعوى الشيعة . وشيّعه : تابعه ، وشيعته نفسه على ذلك وشايعته نفسه ، كلاهما : تبعته وشجعته . ومعنى شيعت فلانا فى اللغة تتبعت . وشيعه على رأيه وشايعه ، كلاهما : تابعه ، وقواه ، وتَشَيَّع فى الشيء استَهْلك فى هواه[٢] ، هذا ما قاله صاحب اللسان فى تعريفه للفظة التَّشيّع ومن خلال نصوص أبى حيان نرى المعانى المتعددة للفظة التشيع ، ففى نص له من كتاب الإمتاع . يذكر أبو حيان لفظة التشيع بالمعنى الدينى الدال على مذهب الشيعة فيقول فى وصفه لبلاغة ابن عباد كما وردت على لسان أعلام عصره : سألت جماعة عن هذا فأجابنى كل واحد بجواب . قال على بن جعفر : وهو يكذب نفسه بحسن الظن فى البلاغة ، فهو يشين اللفظ ويحيل المعنى ، هذا مع الكبر الممقوت ، والتشيع الظاهر ، والدعوى العارية من البنية العادلة[٣] .

وذكر أبو حيان لفظة التشيع بهذا المعنى الدينى أيضا فى حديثه عن الصاحب فقال : قال لى الزعفرانى الشاعر : كيف يكون هذا الرجل – يعنى ابن عباد – ديانا ومتألها ، وهو يبتذل العلوية والأشراف ، ويهينهم وهم يعدون بين يديه فلا ينكر ذلك فيهم ، أفهذا من التشيع والولاء وما يجب لهذا البيت . ثم يدعى أنه

---

(١) الإمتاع جـ٢ ص١٨٨ . (٢) اللسان جـ٢ ص٣٩٤ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص٦٢ .

زيدى ، فإذا أقرض قصيدة غلا وزاد على العونى والناشئ[1] ، وترد لفظة التشيع فى نص لأبى حيان من هوامله بمعنى التعصب والمناصرة فيقول متسائلا ما بال خاصة الملك ، والدانين منه ، والمقربين إليه لا يجرى من ذكر الملك على ألسنتهم مثل ما يجرى على ألسنة الأباعد منه مثل البوابين ، والشاكرية ، والساسة ، فإنك تجد هؤلاء على غاية التشيع بذكره ، ونهاية الدعوى فى الإشارة إليه[2] .

ومن اشتقاقات المادة (ش ى ع) وردت فى كتابات أبى حيان لفظة تشيع بمعنى توديع وقد ذكر أبو حيان هذه اللفظة فقال : سقى الله ليلة تشييعك وتوديعك[3] جاءت لفظة تشييع هنا بالمعنى اللغوى وليس الاصطلاحى وهى بعيدة عن مجال الألفاظ الدينية والمذهبية .

ومن المادة (ش ى ع) أيضا وردت فى كتابات أبى حيان الأفعال التالية : شيّع ، يشيع ، يتشيع ، فقد ذكر أبو حيان الفعل شيّع بمعنى تبع وألحق وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : وإنما شيعت المسألة الأولى بهذا السؤال لأنه ناحٍ نحوها ، وقافٍ أثرها[4] ويقول أيضا ذاكرًا الفعل شيع بمعنى صحب وودع فى نصٍّ من مثالب الوزيرين ورد على لسان الخليل : فانصرفت فشيعنى غلامه على كتفه بدرة فرددتها عليه[5] والفعل يشيّع بمعنى يتبع ويتصل وفى هذا المعنى يقول أبو حيان فى إشاراته : ويالك من صفو لا كدر معه ، ويالك من وصل لا هجر يشيعه[6] أما الفعل يتشيع فقد ورد عند أبى حيان بمعنى اعتنق مذهب الشيعة وانضم إلى دعوتهم وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : رأيت رجلًا غير كنيته لضرورة لحقته ، وحال دعته ، وكان يكنى أبا حفص ، فأكنى أبا جعفر وكان سببه فى ذلك أنه قصد

---

(١) مثالب الوزيرين ص١٩٥ .

(٢) الهوامل والشوامل ص٣٠٤ .

(٣) مثالب الوزيرين ص٧ .

(٤) الهوامل والشوامل ص١٥٣ .

(٥) مثالب الوزيرين ص١٥٠ .

(٦) الإشارات الإلهية ص٧ .

رجلًا يتشيع فكره أن يعرفه بأبى حفص[1] ويذكر أبو حيان الفعل يتشيع بمعنى من اتخذ التقيّة وتخلق بأخلاق الشيعة أى تستر وضمر أمرا من الأمور ففى نص من هوامله يقول أبو حيان : فحدثنى : أأنصف أبو هاشم ، وخر الحق ؟ أم تشيع وقال ما لا يجوز أن يسمع منه ؟[2] فى هذا النص يدل الفعل تشيع على أن أبا هاشم تمذهب بمذهب الشيعة من الناحية الأخلاقية وليس من الناحية الدينية الفقهية .

وجاء فعل التفضيل **أشيع** بمعنى أظهر ، وأكثر نشرًا وذيوعا وذلك فى نص لأبى حيان يقول فيه : وكونوا فوق الظن بكم ، فذاك أعلى لقدركم ، وأرفع لناظركم ، وأشيع للأحدوثة الحسنة عنكم[3] .

مما تقدم يتضح أن الألفاظ شيعة ، وتشيع ، والأفعال شيع ، ويتشيع جاءت فى كتابات أبى حيان بمعانٍ متعددة .

فقد جاءت لفظة الشيعة عند أبى حيان بالمعنى اللغوى العام وهو الأتباع والأنصار المؤيدون لرأى الشخص وفكره ومعتقده[4] وبمعنى المحبين لعلى بن أبى طالب[5] وبمعنى الفئة السياسية التى ترى أحقية على بالخلافة[6] أى بمعنى الحزب السياسى وجاءت لفظة الشيعة بالمعنى الاصطلاحى الفقهى[7] أى بمعنى مذهب من مذاهب الإسلام ، وهذا المذهب الاصطلاحى هو الأكثر ورودا فى كتابات أبى حيان . قد استعمل أبو حيان نفس المعانى التى جاء بها اللسان فى تعريفه للفظة الشيعة ، إلا أن المعنى السياسى والفقهى لهذه اللفظة كان أكثر وضوحا عند أبى حيان .

---

(١) الهوامل والشوامل ص٣٠٤ .
(٢) الهوامل والشوامل ص٢٦٥ .
(٣) الإشارات الإلهية ص٣١ .
(٤) مثالب الوزيرين ص٢١٥ .
(٥) البصائر جـ١ ص٢٠٤ .
(٦) الإمتاع جـ٣ ص٢٩٧ ، ومثالب الوزيرين ص١٩٦ .
(٧) مثالب الوزيرين ص٣١٢ ، ص١٣٩ .

أما لفظة التشيع فقد ذكرها أبو حيان بالمعنى اللغوى العام وهو الانتصار لرأى أو معتقد ما ، وبمعنى الانتصار والمحبة لعلى . وذكرها بالمعنى الاصطلاحى الفقهى وهو اعتناق مذهب الشيعة . ولفظة التشيع هذه لم ترد فى اللسان عند تناوله للمادة (ش ى ع) فهى إذن اشتقاق جديد فى مبناه ومعناه ظهر فى العصور الإسلامية وكثر استخدامه فى عصر أبى حيان . وهناك اشتقاقات أخرى لم ترد فى اللسان عند تناوله لهذه المادة ووردت فى كتابات أبى حيان مثل الألفاظ تشييع جاءت عند أبى حيان بمعنى توديع ، وشيعية ذكرها بمعنى فرقة الشيعة وهذا استخدام مستحدث لمصطلح الشيعة فى ذلك العصر . وذكر أبو حيان أيضًا صيغة الجمع شيعيين جمعا لشيعى ، وصيغة الجمع هذه لا يزال استخدامها حديثا فى عصر أبى حيان ويغلب على استعمال اللفظة فى عصرنا هذا شيعى والجمع شيعة . فإذن هذه الاشتقاقات التى مر ذكرها وكما نصت عليها كتابات أبى حيان هى اشتقاقات جديدة فى مبناها ومعناها . وقد ظهرت فى العصور الإسلامية وكثر استعمالها فى العصر العباسى ودلت كتابات أبى حيان على استخدامها فى ذلك العصر .

وفى مجال التغير الدلالى يتضح لنا أن لفظة الشيعة قد مرت بأطوار عديدة فى استخدامها اللغوى . فهى من الألفاظ التى استخدمت بالمعنى العام منذ القدم وقد تخصصت دلالة هذه اللفظة فى العصور الإسلامية الأولى بعد أن أطلقت على المحبين والمنتصرين لعلى ومن فضلوه على باقى الصحابة . ثم استعملت لفظة الشيعة بمعنى الفئة السياسية التى تحولت فيما بعد إلى طائفة دينية ذات فرق متعددة وهذا مما أدى إلى اتساع دلالة هذه اللفظة لكثرة استخدامها فى ذلك العصر ، وفى العصر العباسى أصبحت لفظة الشيعة أكثر تخصصًا عندما استخدمت بالمعنى الفقهى كمذهب من المذاهب الإسلامية ، وقد دلت نصوص أبى حيان على تطور دلالة هذه اللفظة عبر مراحلها المتعددة .

(جـ) الإمامية ، الغالية ، الزيدية ، الرافضة :

وفرق الشيعة كما يذكرهم الشهرستانى فى الملل والنحل هم خمس فرق : كيسانية ، وزيدية ، وإمامية ، وغلاة ، وإسماعيلية ، بعضهم يميل فى الأصول إلى الاعتزال وبعضهم إلى السنة ، وبعضهم إلى التشبيه[1] وهذه الفرق العديدة لطائفة الشيعة ورد ذكرها فى أماكن كثيرة من كتابات أبى حيان وقد أفاض فى ذكر بعض هذه الفرق فقد جاءت فى أماكن لا يتسع المجال لذكرها والبعض الآخر أشار إليها بالاسم فقط دون ذكر التفاصيل عن معتقداتها .

نبدأ الحديث عن فرق الشيعة بفرقة الإمامية ويعرف الخوارزمى هذه الفرقة بالرافضة[2] ، ويقول الشهرستانى معرفا فرقة الإمامية : هم القائلون بإمامة على رضى الله عنه بعد النبى عليه السلام ، نصًّا ظاهرًا ، وتعيينًا صادقًا ، من غير تعريض بالوصف ، بل إشارة إليه بالعين ، وكانوا فى الأول على مذهب أئمتهم فى الأصول ، ثم لما اختلفت الروايات عن أئمتهم ، وتمادى الزمان : اختارت كل فرقة ، منهم طريقة ، فصارت الإمامية بعضها معتزلة ، وبعضها إخبارية[3] . وهذه الفرقة ترد فى نصوص عديدة من كتابات أبى حيان . يذكر أبو حيان لفظة **الإمامية** بمعنى فرقة من فرق الشيعة فيقول فى نصٍّ له مبينًا أهواء من ينتمون لهذه الفرقة : قال أبو طاهر بن حمزة العلوى حدثنى ثقة أنه رأى رجلاً من أصحاب الإمامية يضع على حكم بزرجمهر أسانيد أهل البيت رضوان الله عليهم[4] ويقول أبو حيان ذاكرًا فرقة الإمامية بمعناها الدينى الفقهى فى وصفه لأحدهم : هذا الرجل من النظارين وأهل الجدل على طريق الإمامية[5] وهذه اللفظة لم ترد فى

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى جـ١ ص١٤٧ .
(٢) مفاتيح العلوم للخوارزمى ص٢٢ .
(٣) الملل والنحل للشهرستانى جـ١ ص١٦٥ .
(٤) البصائر والذخائر جـ٢ ص٥٣٣ .
(٥) البصائر والذخائر جـ١ ص٥٤١ .

اللسان عند تناوله مادة (أمم) .

وفرقة أخرى من فرق الشيعة وهى **الغالية** وقد غالت هذه الفرقة فى حبها لعلى وأولاده ولفظة الغالية أصلها فى اللغة من الغُلُوّ وهو التجاوز لقدر ما يجب . وغَلا فى الدين والأمر يَغْلُو غُلُوًّا : جاوز حَدَّه . وأفرط فيه وفى التنزيل ﴿ لا تغلوا فى دينكم ﴾ وفى الحديث : إياكم والغُلُوّ فى الدين أى التشدد فيه ومجاوزة الحَدّ[1] والغُلُو وصف لجماعة تجاوزت الحد والمقدار ويندرج تحته أصحاب جميع الديانات كالقول بإلهيّة البشر . وفى هذا المعنى ذكر أبو حيان لفظة الغالية بمعنى الفرقة الدينية التى قالت بتأليه على وقد وصفها أبو حيان على لسان أبى حامد فقال : وكان أبو حامد يقول : لولا أن الخوارج قالت على كافر لما قالت الغالية : على إله عز الله وجل تعالى[2] والغالية هم الذين غالوا فى حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية ، وحكموا فيهم بأحكام الإلهية . فربما شبهوا واحدًا من الأئمة بالإله ، وربما شبهوا الإله بالخلق ، وهم على طريق الغُلُو والتقصير ، ولهم ألقاب وبكل بلد لقب[3] ، وإنما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلوليّة ، ومذاهب التناسخية ، ومذاهب اليهود والنصارى ، فسرت هذه الشبهات فى أذهان الشيعة الغلاة حتى حكمت بأحكام الإلهية فى حق بعض الأئمة[4] .

ولفظة الغالية يذكرها أبو حيان فى كتاباته بمعانٍ أخرى تختلف عن مجال الدين ففى نص له يذكر لفظة الغاليّة بمعنى نوع من الطيب الذى يتعطر به فيقول :

---

(١) اللسان جـ٢ ص١٠١١ . (٢) البصائر والذخائر جـ٤ ص٢٨٥ .

(٣) الملل والنحل للشهرستانى جـ١ ص١٧٤ . (٤) الملل والنحل للشهرستانى جـ١ ص١٧٣

فالغالية لا تقتصر على الشيعة وحدهم بل هناك فرق أخرى من غير الشيعة ، وتجمعهم مبادئ عامة متأثرة باليهودية والنصرانية والزرادشتية وديانات الهند القديمة وهى القول بالتشبيه والبداء والرجعة والتناسخ .

يحضرنا قوم لهم ذفر كصنان التيوس أعيا على المسك والغالية ، يسألون عما لا يعنيهم ، ولا يليق بقدرهم[1] ، ويقول ذاكرًا الغالية بمعنى المرتفعة المكانة التى لا تقدر بثمن : العالم مالكا للتمام ، جامعا لأدوات الكمال ، وسببه أنه نتيجة الكواكب الغالية ، والأجرام الشريفة من المواد المختلفة[2] . لفظة الغالية لم ترد فى اللسان بالمعنى الاصطلاحى الدال على الفرقة الدينية .

فرقة الزيدية فرقة من طائفة الشيعة وهم منسوبون إلى زيد بن على زين العابدين[3] وردت لفظة **الزيدية** فى كتابات التوحيدى بمعنى الفرقة الدينية المنسوبة لزيد بن على ففى نص له يصف الصاحب بن عباد وحكاياته مع أهل القصص والحديث فيقول : أجلس النجار ليجتدع الديلم بالزيدية ، ويزعم أنه على مقالة زيد بن على ورأيه ودينه ومذهبه[4] ، وفى نص آخر ترد لفظة الزيدية بهذا المعنى الدينى وذلك فى حديث أبى حيان عن انقياد الشريعة للفلسفة ، ومن يتزعم هذا الرأى فيقول : قد حاول هذا الكيد خلق فى القديم والحديث ، فنكصوا على أعقابهم خائبين ، منهم أبو زيد البلخى ، فإنه ادعى أن الفلسفة مقاودة للشريعة ، والشريعة مشاكلة للفلسفة ، وأن إحداهما أمٌ والأخرى ظئر ، وأظهر مذهب الزيدية[5] ، ويذكر أبو حيان لفظة الزيدية بمعنى الفرقة الشيعية فيقول واصفًا ابن عباد : طالعه الجوزاء ، والشعرى قريبة منه ، ويتشيع لمذهب أبى حنيفة ومقالة الزيدية ، ولا يرجع إلى الرقة والرأفة والرحمة[6] وصف أبو حيان فى نصه ابن عباد بأنه كان يتشيع على مذهب الزيدية وفى الفقه كان على أبى حنيفة . يقول الشهرستانى فى الملل والنحل معرفًا : الزيدية هم أتباع زيد بن على بن الحسين بن

---

(١) مثالب الوزيرين ص١٧١ .
(٢) مثالب الوزيرين ص٢٠٢ .
(٣) كشاف اصطلاحات الفنون جـ٣ ص١١٣ .
(٤) مثالب الوزيرين ص١١٧ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص١٥ .
(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص٥٥ .

على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، ساقوا الإمامة فى أولاد فاطمة رضى الله عنها ، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة فى غيرهم ، إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمى عالما شجاعا سخيا خرج بالإمامة ، وجوزوا خروج إمامين فى قطرين يستجمعان هذه الخصال[1] ، وقد تتلمذ الإمام زيد لواصل بن عطاء إمام المعتزلة فى الأصول ، ولذلك اقترب مذهب الزيدية من الاعتزال[2] .

اختلف المؤرخون المسلمون ممن عنى منهم بالتاريخ الفكرى للمذاهب الإسلامية حول معنى الرافضة وسبب تسميتهم بهذا الاسم ؟ واتفقت معظم الروايات على أن التسمية جاءت لرفضهم زيد بن على[3] ويذكر لنا الشهرستانى تفصيل هذا الرفض وسبب إطلاق هذه اللفظة على تلك الجماعة فيقول فقد كان من مذهب زيد بن على جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل . ولما سمعت شيعة الكوفة هذه المقالة منه ، وعرفوا أنه لا يتبرأ من الشيخين رفضوه حتى أتى قدره عليه ، فسميت رافضة[4] وسموا بالروافض أيضا وهو اسم مكروه[5] . والرافضة أصلها فى اللغة من الرَّفْض وهو تركك الشيء . والروافض : جنود تركوا قائدهم والرافضة الفرقة منهم ، وهى فرقة من الشيعة سموا بذلك لأنهم تركوا زيد بن على فرفضوه . وقالوا الروافض ولم يقولوا الرفاض لأنهم عنوا الجماعات[6] .

ويذكر أبو حيان لفظة **الرافضة** فى كتاباته فيقول واصفا معتقدات ومبادئ

(١) الملل والنحل للشهرستانى جـ١ ص١٥٤ . (٢) ظهر الإسلام أحمد أمين جـ٤ ص١٣٦ .

(٣) لزم هذا الاسم كل من غلا منهم فى مذهبه وتنقص السلف : الزينة للرازى ، ص٢١٥ وانظر مفاتيح العلوم للخوارزمى ص٣١ وانظر كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى جـ٣ ص٤٦ .

(٤) الملل والنحل للشهرستانى جـ١ ص١٥٥ . (٥) ظهر الإسلام أحمد أمين جـ٤ ص١٠٩ .

(٦) اللسان جـ١ ص١١٦٩ .

هذه الفرقة : قال سليمان بن جرير : إن الرافضة احتالت لأنفسها بحيلتين لا يطاقون معهما إحداها : القول بالبداء ، والأخرى إذا وقع اختلاف قالوا بالتقيّة ، فهاتان خصلتان[1] . ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الرافضة بمعنى الفرقة الدينية : ها هنا أشياء لا حقيقة لها منها : إمام الرافضة ، والاستطاعة مع الفعل ، والبذل للبخار والهيولى[2] . وعن الرافضة وما قالوه من روايات وأحاديث متطرفة تسيء إلى الدين الإسلامى ، يروى لنا أبو حيان بعض الحكايات عن فرقة الرافضة فيقول : سمعت بعض الرافضة يحكى عن على بن يقطين أنه قال يومًا : قد والله حرجت من سبّى لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما – لمزى بغى لأعراضهما ، وبرمت ، فقال له من حضره : بين يديك مصحف افتح على هذا الخاطر ، ففتح المصحف فخرج ﴿ ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس ﴾ فقال : اللهم إنى أستغفرك من ندمى على شتمهما ! ويعلق التوحيدى فيقول : هذا والله طريف ، ولا شك أنه مفتعل لا حقيقة له[3] ، وفى حديث آخر يقول أبو حيان : قال بعض الرافضة ، قال جعفر بن محمد رضى الله عنهما : يوم السبت يوم مكر ، والأحد يوم عرس ، والاثنين يوم سفر[4] ، ويروى أبو حيان أيضا هذا الخبر عن الرافضة فيقول : قال بعض النحويين لرجل من الرافضة كان يتعلم النحو : ما علامة النصب فى عمر ؟ قال : بغض على بن أبى طالب[5] . ومن الملاحظ أنه ليس هناك فرق يذكر بين ما قاله صاحب اللسان فى تعريفه للفظة الرافضة وما أورده أبو حيان فى كتاباته .

يتضح مما تقدم أن الألفاظ التالية : الإماميّة، والغاليّة، والرافضة ، والزيديّة،

---

(١) البصائر والذخائر جـ٢ ص٥٣٩ .
(٢) مثالب الوزيرين ص٢٦٠ .
(٣) البصائر والذخائر جـ٤ ص٢٨٤ .
(٤) البصائر والذخائر جـ٤ ص٢٢٢ .
(٥) البصائر والذخائر جـ٢ ص١٥٦ .

أسماء أطلقت على فرق الشيعة . وهذه الألفاظ هي أعلام منقولة عن صفات ثم تحولت هذه الصفات إلى أسماء . فاسم كل فرقة من هذه الفرق هو وصف تحول من الاستعمال الوصفي إلى الاستعمال الاسمي وهذا ما نسميه بالعلم المنقول . ولفظة الزيديّة قد مرت بثلاث مراحل لغوية ، فالعلم هو أصل الإطلاق ، ثم الوصف للنسب ، ثم تحولت الصفة إلى علم يطلق على اسم فرقة من فرق الشيعة . ويتضح من نصوص أبى حيان أن هذه الألفاظ جاءت بالمعنى الاصطلاحى الخاص بفرق الشيعة . ونلاحظ أن لفظة الغالية جاءت عند أبي حيان بمعانٍ متعددة منها المعنى اللغوي العام أي بمعنى الشيء الثمين وبمعنى الطّيّب وأيضا بالمعنى الاصطلاحي الخاص بالفرقة الدينية وهو الأكثر ورودًا عند أبي حيان . ومن المعاني المتعددة للفظة الغالية نلاحظ ظاهرة تعدد المعنى لهذه اللفظة .

ويتضح لنا أن الإمامية والزيدية اشتقاقان جديدان كثر استعمالهما ولم يذكر اللسان المعنى الاصطلاحي للفظة الغاليّة . أما لفظة الرافضة فليس هناك فرق يذكر بين ما جاء في اللسان وما ورد عند أبي حيان .

وهذه الألفاظ عامة ، تخصصت دلالتها بعد أن اختصت بفرق الشيعة ، وذلك في الفترة الواقعة بين سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية وأصبحت هذه الألفاظ أكثر تخصيصًا في الدلالة في العصر العباسي وقد دلت نصوص أبي حيان على هذا التخصص الدلالي للألفاظ الخاصة بفرق الشيعة .

د) المرجئة :

لفظة المرجئة من أرجأ أى أخر ، وأرجأت الأمر وأرجيته إذا أخرته ، وقريء : أرجه وأخاه ، وأرجئه وأخاه ، وإذا وصفت به قلت رجل مرجٍ وقوم مرجية ، وإذا نسبت إليه قلت رجل مرجىّ بالتشديد ، وقد وردت في الحديث ذكر المرجئة ، قال : وهم فرقة من فرق الإسلام يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية

كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة ، والإرجاء التأخير ، وهذا مهموز[1] . ويعرف الشهرستاني معنى الإرجاء . فيقول : الإرجاء على معنيين : أحدهما : بمعنى التأخير كما في قوله تعالى : ﴿ قالوا أرجه وأخاه ﴾ أي أمهله وأخره . والثاني : إعطاء الرجاء . أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح ، لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد . وأما بالمعنى الثاني فظاهر ، فإنهم كانوا يقولون : لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة . وقيل الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة ، وقيل الإرجاء : تأخير علي رضي الله عنه عن الدرجة الأولى إلى الرابعة . فعلى هذا المرجئة والشيعة فرقتان متقابلتان[2] . ويفسر التهانوي لفظة المرجئة في كشافه فيقول : المرجئة اسم فرقة من كبار الفرق الإسلامية لقبوا به لأنهم يرجئون العمل عن النية أي يؤخرونه في المرتبة عنها وعن الاعتقاد ، أو لأنهم يقولون لا تضر مع الإيمان معصية ولا تنفع مع الكفر طاعة فهم يعطون الرجاء وعلى هذا ينبغي أن لا يهمز لفظ المرجية[3] .

وترد لفظة المرجئة في كتابات أبي حيان بمعنى الفرقة الدينية ففي نص له من كتاب الإمتاع يذكر فيه الفرق الإسلامية فيقول : إن الأمة اختلفت في آرائها ومذاهبها ومقالاتها فصارت أصنافًا فيها وفرقًا كالمرجئة والمعتزلة والشيعة والسنة والخوارج[4] ، وترد لفظة المرجئة بمعنى الفرقة الإسلامية في قول أبي حيان وهو يصف الصاحب على لسان حسين الكلابي المتكلم فيقول : يا قوم أتُراني أصلى بنار جهنم ، وعقيدتي وسيرتي معروفتان ، ويتبوأ هو الجنة مع قتل الأنفس المحرمة ، وركوب المحظورات العظيمة ، إنّ ظنه بنفسه لعجب والله ! لو كان من

---

(١) اللسان جـ١ ص٣٣٨ .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني جـ١ ص١٣٩ .

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي جـ١ ص٥٢٤ طبعة كلكتا .

(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص٩ .

المرجئة لكان مخوفا عليه ، فكيف وهو يدعى الوعيد[1] وفي نص من كتاب البصائر يشرح أبو حيان أصل لفظة المرجئة والمرجيء فيقول : سمعت أبا حنيفة المتكلم يقول في مجلس : المرجيء إنما أخذ من الرجاء وفر على الخطأ ، وليس كما وهم ، أي ذهب وهمه إليه المرجيء مهموز ، وتليين الهمزة جائز ، وحذفها لغة ، وقد قريء ﴿ أرجه وأخاه ﴾ ومعنى الكلمة التأخير ، إن المرجيء ، مؤخر الكلام في عفو الله عن صاحب الكبيرة ، والمعتزلي يقطع بتخليده في النار وليس دخول الرجاء في المعنى على الاتساع بما نشتق الكلام منه في الإرجاء[2] . في هذا النص شرح أبو حيان المعنى اللغوي للفظة المرجئة كما جاء في اللسان وبقية المعاجم الأخرى .

وترد لفظة المرجئة في نص لأبي حيان يتحدث فيه عن أسرة مكونة من عدد من أفراد كل فرد منهم ينتمي إلى فرقة من الفرق الإسلامية التي انتشرت في ذلك العصر فيقول : قال ابن عائشة : كان للحصين بن أبي الحر بن حصين أخي عيينة ابن حصبن ابن رافضيّ ، وابنة حروريّة ، وامرأة معتزليّة ، وأخت مرجئة[3] . لفظة المرجئة في هذا النص بمعنى المفردة المؤنثة المنسوبة إلى مذهب الإرجاء .

وعن أقسام المرجئة يقسمهم الشهرستاني إلى أربعة أصناف : مرجئة الخوارج ، ومرجئة القدرية ، ومرجئة الجبرية ، والمرجئة الخالصة ، وكذلك الغيلانية أصحاب غيلان الدمشقي أول من أحدث القول بالقدر والإرجاء[4] وتناولنا في بحثنا هذا المرجئة الخالصة منهم . ويعلق أحمد أمين على تقسيم الشهرستاني فيقول عن معتزلة المرجئة[5] مثلا في هذا التعبير متسامح من كتب

---

(١) مثالب الوزيرين ص٣٠٨ .
(٢) البصائر والذخائر جـ٣ ص٣٤١ .
(٣) البصائر والذخائر جـ٢ ص٩٨ .
(٤) الملل والنحل الشهرستاني جـ١ ص١٣٩ .
(٥) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي جـ١ ص٥٢٤ طبعة كلكتا .

الفرق ، لأن الإرجاء في جوهره يخالف أصلا هاما من أصول المعتزلة ، وهو اعتبار العمل ركنا من الإيمان وخروج الفاسق عن الإيمان ، وإيجاب تعذيب العاصي وتخليد الفاسق في النار وهذا ضد ما قال به المعتزلة في أصولهم الخمسة ، فالقول بأن بعض الناس مرجيء معتزلي خطأ إذا أردنا الدقة في التعبير ، وصواب إن أردنا أنه يقول ببعض آراء الاعتزال[1] .

وعن تاريخ فرقة المرجئة يقول أحمد أمين : بدأ القول بالإرجاء بسيطًا ساذجًا في العصر الأموي ، ولما تفلسفت المذاهب الأخرى في العصر العباسي تفلسف الإرجاء ، وهناك باب واسع من أبواب الأدب وخصوصا في العصر العباسي تأثر تأثرًا كبيرًا بالإرجاء ، وهو عفو الله عن ذنوب العاصين ، فلما أفرط كثير من شعراء الدولة العباسية في اللهو وأسرفوا في اللذة من خمر ونساء وغلمان وما إليها ، ركنوا إلى عفو الله على مذهب الإرجاء يأملونه ويركنون إليه ، وفتحوا في ذلك بابا واسعا من أبواب الأدب وهو فلسفة العفو[2] .

مما تقدم نجد أن لفظة المرجئة وردت في كتابات أبي حيان بالمعنى الاصطلاحي الدال على الفرقة الدينية وهذا المعنى هو الذي جاء في اللسان عند تعريفه للفظة المرجئة ، التى جاءت من الإرجاء أى التأخير وإعطاء الرجاء ومن هذين المعنيين اشتقت لفظة المرجئة وأطلقت على فئة من المسلمين والنسبة إليهم مرجىّ . وذكر أبو حيان مرجئة بمعنى المفردة المؤنثة المنسوبة إلى الإرجاء وهي على مذهب فرقة المرجئة . ومن الملاحظ أن لفظة المرجئة من الألفاظ العامة التي تخصصت دلالتها وقد دلت نصوص أبي حيان على تخصص الدلالة لهذه اللفظة .

---

(١) ضحى الإسلام أحمد أمين جـ٣ ص٣٢٣ .

(٢) ضحى الإسلام أحمد أمين جـ٣ ص٣٢٩ .

هـ) المجبرة ، الجبرية ، القدرية :

ومن الألفاظ الخاصة بالفرق الإسلامية يذكر أبو حيان في كتاباته الجبريّة والمُجبرة ، الجَبْر : خلاف الكسر ، جَبَر العظم والفقير واليتيم يجبره جَبرًا . والجبر : تثبيت وقوع القضاء والقدر . وقيل للجبرية جبرية لأنهم نسبوا إلى القول بالجبر[1] . والجَبَريّة : بالتحريك : خلاف القَدرية ، والتسكين لحن أو صواب ، والتحريك للازدواج وهو اصطلاح المتقدمين وفي تعاريف المتكلمين يسمون المُجبرة ، وفي التعارف الشرعي المرجئة[2] والمُجْبَرة تتكون من خمس فرق[3] .

هذه الفرق الإسلامية ترد عند أبي حيان في نص يقول فيه مخاطبًا أحد علماء عصره : وعرفني معنى الاستطاعة وما سرها ؟ وهل هي على حد ما ذهبت إليه المُعْتَزِلة ، أو على سبيل ما قالته المُجبرة وما حيثيتها وما مثالها[4] ولفظة المُجبرة لم ترد في اللسان ، والمنسوب للمجبرة يسمى مُجْبر ، وذكره أبو حيان فقال : عرفني موضع الدلالة من قول معتزليّ لمجْبر : أليس الباطل بين السماء والأرض ؟ قال : بلى[5] ويعرف الشهرستاني في الملل والنحل فرقة الجبرية مبينا أنواع الفرق التي تنتمي إليها فيقول : الجبريّة من الجَبْر وهو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى ، والجبرية أصناف ، فالجبرية الخالصة : هي التي لا تثبت للعبد فعلًا ولا قدرة على الفعل أصلًا ، والجبرية المتوسطة : هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلًا ، والمصنفون في المقالات عدوا البخارية والضرارية من الجبرية ، والأشعرية سموهم تارة حشوية وتارة جبرية[6] ، ولفظة **الجبرية** ترد في نصٍّ يورده

(١) اللسان جـ١ ص٣٩٤ ، ص٣٩٦ .
(٢) الكليات لأبي البقاء جـ٢ ص١٧٣ .
(٣) مفاتيح العلوم للخوارزمي ص٢٠ .
(٤) البصائر والذخائر جـ١ ص٥٤٦ .
(٥) البصائر والذخائر جـ١ ص٥٤٠ .
(٦) الملل والنحل للشهرستاني جـ١ ص٨٦ . وانظر التعريفات للجرجاني ص٧٧ .

أبو حيان على لسان أستاذه أبي حامد المرورذي فيقول : قال أبو حامد : ذهب الإنصاف في العداوة والصداقة ، وأصبح الناس أبناء واحد في الرغبة والرهبة والجهل والجبرية والعمل على سابق الهوى وداعية النفس[1] ويذكر أبو حيان الجبريّ المنسوب إلى فرقة الجبرية فيقول : أو قلت كان النظام مأبونا أو كان العلاف ديصانيا ، أو كان الجبائي جَبْرِيًّا[2] ومن فرق الجبرية يذكر أبو حيان فرقة **الحشويّة** وذلك في حديثه عن أبي الفتح وابنه فيقول : أراد أن يطير ابنه من رأس الجوسق لأنه طلب زيادة رغيف في وظيفته ، وصب على هامة أبي الفضل في تلك العشية من نوادر العامة وسخافات الحشوية ومن ضروب الكذب والصدق ما لا يحصل[3] . وفرقة أخرى من فرق الجبرية وهي **الجهمية** التي ذكرتها كتب الفرق كركن أساسيّ للجبرية[4] ترد هذه الفرقة في كتابات أبي حيان بهذا المعنى الديني فيقول ذاكرًا فرقة الجهمية : ولولا أن المُعْتَزلة قالت : الأمر كله إلينا ، لما قالت الجهمية : نحن كالشجر إن هبت الريح تحركت ، وإن ركدت سكنت[5] .

لفظة **القدرية** تطلق على المعتزلة ، يقول الشهرستاني في كلامه عن فرقة المُعْتَزِلة : ويلقبون بالقدرية ، وهم قد جعلوا لفظ القدرية مشتركًا ، وقالوا : لفظ القدرية يطلق على من يقول بالقَدَر خيره وشره من الله تعالى ، احترازًا من وصمة اللقب ، إذ كان الذم به متفقًا عليه لقول النبي عليه السلام « والقدرية مجوس هذه الأمة » وكانت الصفاتية تعارضهم بالاتفاق ، على أن الجبرية والقدرية متقابلتان تقابل التضاد فكيف يطلق لفظ الضد على الضد ؟! وقد قال النبي عليه السلام : « القدرية خصماء الله في القدر » والخصومة في القدر ، وانقسام الخير

---

(١) الصداقة والصديق ص٢٩ .
(٢) مثالب الوزيرين ص٣٢٦ .
(٣) مثالب الوزيرين ص٢٣٩ .
(٤) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي جـ ١ ص٢٨٣ .
(٥) البصائر والذخائر جـ٤ ص٢٨٦ .

والشر على فعل الله وفعل العبد لن يتصور على مذهب من يقوم بالتسليم والتوكيل ، وحالة الأحوال كلها على القدر المحتوم والحكم المحكوم . ولفظة القدرية سبق تناولها في مجال الحديث عن فرق المعتزلة ويقول أبو حيان ذاكرًا القدرية هذه الفرقة الإسلامية التي عددها البغدادي بعشرين فرقة كل فرقة منها تكفر سائرها[1] ، في نص يرد على لسان ابن عباس يقول أبو حيان ذاكرًا القَدرية : لعن الله القدرية ، ما قالوا كما قال الله ، ولا كما قالت الملائكة ولا كما قال الأنبياء ، ولا كما قال أهل الجنة ولا كما قال أهل النار ، ولا كما قال الشيطان[2] .

وعن اسم القدرية وأصلها اللغوي يقول عبد الرحمن بدوي : سموا القدرية لأنهم اتخذوا من القدر أولا وبالذات موضوعا لبحثهم ودراستهم ، ولما كانوا أول من تناظر في مسألة القدر بشكل مستفيض فإن معاصريهم سموهم القدرية ، ولم يقصد بهذا الاسم الوقوف موقفًا موافقًا أو مخالفًا لحرية الإرادة والاختيار ولكن قصد به التعبير عن هذه الحقيقة ، حقيقة إعارة أهمية عظمى وتوجيه العناية كلها لمسألة القدر . ثم لما كان أول من اشتغلوا بهذه المسألة من القائلين بمذهب حرية الإرادة والاختيار ، فإن اسم قدريّ أصبح بعد زمن قليل مرادفًا لمن يقول بالاختيار وقدرة العبد على أفعاله ، وفي هذا ما فيه من التعارض مع الاشتقاق ، ومع ما كان يمكن أن يكون عليه الاستعمال اللغوي فيما بعد[3] وهذه الظاهرة اللغوية التي حدثت للفظة القدرية تبين مدى التغير في المصطلحات في ذلك العهد أعني في القرن الهجري الأول وما بعده ، ولم تتبلور المصطلحات إلا في العصر الذي نؤرخ له عصر ازدهار الثقافة العباسية عصر أبي حيان التوحيدي .

---

(١) الفرق بين الفرق البغدادي ص٢٤ . (٢) البصائر والذخائر جـ٢ ص٧٨٢ .

(٣) التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية د. عبد الرحمن بدوي ص٢٠٤ .

وترد لفظة القدرية بمعنى الفرقة الدينية في نص لأبي حيان يبين فيه بعض اعتقادات هذه الفرقة فيقول : كتب رجل إلى هشام الواسطي أن أكتب إليّ بما أنت عليه فإنا نلقى من القدرية والرافضة شدة ، فكتب إليه : إن كنت تحب أن تكون على ما كان عليه السلف من أصحاب محمد ﷺ فلا تكفّروا أحدا من هذه الأمة بذنب يكون منه[1] .

ويقول أبو حيان ذاكرًا القدريين نسبة إلى قدرية : قال المازني ، قال لي الأخفش قال لي أبو حية النميري : ما يقول القدريون ؟ قلت : ما يقولون ؟ قال : يقولون : إن الله يكلف العباد ما لا يطيقون ، صدق الله القدريون ، ولكن لا نقول ما يقولون[2] .

مما تقدم يتضح أن الألفاظ المُجبرة والجَبْريّة والقَدْريّة جاءت عند أبي حيان بالمعنى الاصطلاحي الدال على أسماء الفرق الإسلامية . وإن هذه الألفاظ هي أعلام منقولة عن صفات ثم تحولت هذه الصفات إلى أسماء أطلقت على الفرق المختلفة . لم ترد لفظة المُجبرة في اللسان عند تناوله للمادة « جَبْر » وكذلك صيغة النسب مجبرًا فكلتاهما اشتقاق جديد أورده أبو حيان في كتاباته نتيجة لكثرة استعماله في عصره .

٥) الفرق الدينية غير الإسلامية :

أهل الكتابين ، اليهود ، النصارى ، المجوس ، الصابئة .

يقول الشهرستاني عن أهل الكتاب : الخارجون عن الملة الحنيفية والشريعة الإسلامية ممن يقول بشرعية أحكام ، وحدود وأعلام . وهم قد انقسموا : إلى من

---

(١) البصائر والذخائر جـ٢ ص٥٥٤ .

(٢) البصائر والذخائر جـ٣ ص٢٥٦ .

له كتاب محقق مثل التوراة والإنجيل ، وعن هذا يخاطبهم التنزيل بأهل الكتاب . وإلى من له شبهة كتاب مثل المجوس والمانوية ، فإن الصحف التي نزلت على إبراهيم عليه السلام قد رفعت إلى السماء لأحداث أحدثها المجوس ، ولهذا يجوز عقد العهد والإمام معهم ، وينحى بهم نحو اليهود والنصارى ، إذ هم من أهل الكتاب ، ولكن لا يجوز مناكحتهم ، ولا أكل ذبائحهم ، فإن الكتاب قد رفع عنهم[1] .

وعبارة **أهل الكتابين**وأشباههم ترد في كتابات أبي حيان كثيرًا وفي أماكن متفرقة ، ففي أحد النصوص الواردة في كتابه الإمتاع يذكر مصطلح أهل الكتابين فيقول : ما خلق الله العقل إلا ليشهد بالحق للمحق والباطل للمبطل ، ولو كان شرعًا لكان ذلك شائعًا عند أهل الكتابين اليهود والنصارى ، وكذلك عند الصابئين وهم كانوا أكثر الناس عناية بالأديان والبحث عنها[2] ، وفي نص آخر يذكر أبو حيان الألفاظ الدالة على أهل الكتاب ويسميهم بأسمائهم وموقفهم من المسلمين فيقول ذاكرًا الألفاظ : يهود ، ونصارى ومجوس بعد أن يعدد الفرق والمذاهب الإسلامية وكثرتها يقول : لا يحصي عددها إلا الله الذي لا يعجزه شيء لاجرم شمت اليهود والنصارى والمجوس بالمسلمين ، وعابوا وتكلموا ، ووجدوا آجرا وجصا فبنوا وسمعوا فوق ما تمنوا فرووا[3] . ويحدثنا أبو حيان عن الأديان فيقول في نص له من بصائره ذاكرًا هذه الديانات **النصرانية اليهودية المجوسية** وأما أديان العرب فإن النصرانية كانت في ربيعة وغسان وبعض قضاعة ، واليهودية كانت في حمير وبني كنانة وبني الحرث بن كعب وكندة ، والمجوسية كانت في تميم منهم زرارة بن عدس ، وحاجب بن زرارة ، والأقرع بن حابس ، وكانت الزندقة في قريش[4] ويذكر أبو حيان الألفاظ : يهودي ونصراني ومجوسيّ المنسوبين إلى

---

(١) الملل والنحل ، للشهرستاني جـ ٢ ص١٣ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص٩١ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص٧٨ .

(٤) البصائر والذخائر جـ٢ ص٤٥ .

دياناتهم فيقول : هذا مما لا يسمع من مسلم ولا يهودي ولا نصرانيّ ولا مجوسيّ[١]. والقلقشندي في صبح الأعشى : يعرف الديانة اليهودية فيقول : اليهود هم أعم من بني إسرائيل لأن كثيرًا من أجناس العرب والروم وغيرهم قد دخلوا في اليهودية وليسوا من بني إسرائيل[٢] . وسميت اليهود اشتقاقا من هادوا أي تابوا وأرادوا باليهود اليهوديين ولكنهم حذفوا ياء الإضافة[٣] . واليهودية والنصرانية هما دينان غريبان عن الجزيرة العربية فدل ذلك على أن هذه الألفاظ دخيلة[٤] .

ولفظة **النصارى** والمفرد النصراني وهي معربة من السريانية[٥] أي التابع لدين المسيح عليه السلام وهو المنسوب إلى النَّصْران بمعناه للمبالغة وتأكيد المعنى ويرى بعض اللغويين أن النَّصران ومؤنثه النَّصرانة لم يردا في كلام العرب وإنما هذا تقدير ، ويرى بعضهم ورودهما في الكلام . وقلت نَصارىّ كما قلت ندامى وهذا أقيس لأنا نسمعهم قالوا نَصْرى . والنصارى جمع نصران ونَصرانة إنما يريد بذلك الأصل دون الاستعمال وإنما المستعمل في الكلام نصرانىّ ونصرانيّة ، بياء النسب[٦] .

ويعرف أبو حيان لفظة **النصارى** فيقول ذاكرًا معناها واشتقاقها : سميت النصارى لقرية يقال لها ناصِرة[٧] . والنصارى أمة المسيح عيسى بن مريم رسول

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص١٤ .

(٢) صبح الأعشى القلقشندي جـ١٣ ص٢٥٣ .

(٣) اللسان جـ ٣ ص٨٤٢ مادة هود . وانظر معجم ألفاظ القرآن جـ ٢ ص٨٠٧ .

(٤) المعرب للجواليقي ص٣٩٨ . يؤكد الجواليقي أن اليهود منسوبون إلى يهوذا بن يعقوب فسموا اليهود وعربت بالدال .

(٥) غرائب اللغة ص ٢٥٧ .

(٦) اللسان جـ ٣ ص٩٤٧ . وانظر معجم ألفاظ القرآن جـ ٢ ص٧٢٤ .

(٧) البصائر جـ ٢ ص٤٦ .

الله وكلمته عليه السلام[١] والنصارى جمع نصرى ونصران والأنثى نصرانة ولكن لم يستعمل نصران إلا بياء النسب لأنهم قالوا رجل نصرانيّ وامرأة نصرانيّة وهو المستعمل في الكلام[٢] .

ولفظة **المجوسية** التي ذكرها أبو حيان في نصوصه يفسرها صاحب اللسان فيقول : المجوسية نحلة واشتقاقها من مادة (مَجْس) والمجوسيّ منسوب إليها والجمع المجوس وعن ابن سيده يقول : المجوس هم جيل معروف واحدهم مجوسيّ ، وهو معرب أصله من « منج كوش » ، وكان رجلًا صغير الأذنين وهو أول من دان بدين المجوس ودعا الناس إليه فعربته العرب فقالت : مجوس ونزل القرآن به ، والعرب ربما تركت صرف مجوس إذا شبه بقبيلة من القبائل ، وذلك أنه اجتمع فيه العجمة والتأنيث[٣] والمجوسية وهي الملة التي كان عليها الفرس ومن دان بدينهم . وهم ثلاث فرق : الكوميرثية نسبة إلى كيومرث والفرقة الثانية من المجوس هم الثنوية[٤] وقد أطلقت الثنوية في العصر العباسي على المعتزلة لقولهم : الخير من الله والشر من العبد ، وكان المعتزلة الأقدمون يقولون : إن الله تعالى يخلق الخير وإن الشيطان يخلق الشر ، ولما كان هذان القولان يشبهان الثنوية المجوسية فإن المعتزلة اكتسبوا علاوة على أسمائهم العديدة اسم المجوس ، فإنهم بسبب هذه الاثنينية سموا مجوس الأمة الإسلامية[٥] ، هذا ما أورده إبراهيم الكيلاني في تعليقه على لفظة الثنوية التي وردت في نص لأبي حيان من كتابه البصائر والذخائر وهو يحدثنا عن أبي حامد المرورذي وموقف الكرخي منه بعد أن علم بمخالطته لرجل مشهور بمذهب الثنوية يقول أبو حيان : ثم إن الكرخي أزكى عليه عينا فبلغه أنه

---

(١) الملل والنحل جـ ٢ ص٢٦ .
(٢) اللسان جـ ٣ ص ٤٤٢ .
(٣) اللسان جـ ٣ ص ٤٤٢ .
(٤) الملل والنحل للشهرستاني جـ ٢ ص٣٨ .
(٥) هامش البصائر والذخائر جـ ٤ ص ٢٧٦ .

يخالطه في السر وأنه لقن عنه مذهب الثنوية فطرده[1] . والفرقة الثالثة من المجوسية وهم **الزرادشتية** أتباع زرادشت بن بورشب الذي ظهر في زمان كشتاسب بن لهراسب الملك[2] وادعى زرادشت النبوة وقال بوحدانية الله تعالى ، أنه واحد لا شريك له ولا ضد ولا ند ، وأنه خالق النور والظلمة ومبدعهما[3] . وأتى بكتاب قيل صنفه ، وقيل أنزل عليه وهو زند أوستا[4] . ولفظة **زرادشت** ترد في نص لأبي حيان يوضح فيه كذب نبوة زرادشت ومذهبه في الإلحاد فيقول : كذب القوم ، لم يكن زرادشت نبيًّا ولو كان نبيًّا لذكره الله تعالى في عرض الأنبياء الذين نوه بأسمائهم وردد ذكرهم في كتابه ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « سنوا بهم سنة أهل الكتاب » ، لأنه لا كتاب لهم من عند الله منزل على مبلغ عنه ، وإنما هو خرافة خدعهم بها زرادشت بقوة الملك الذي قبل ذلك منه وحمل الناس عليه طوعًا وكرهًا ، وترغيبًا وترهيبًا وكيف يبعث الله نبيًّا يدعو إلى إلهين اثنين ؟ وهذا مستحيل بالعقل[5] .

وهناك بعض الألفاظ الخاصة بالديانة المجوسية وردت في كتابات التوحيدي مثل : مزدك ، ومانوى ، وديصاني وغيرها من الألفاظ التي لا يتسع المجال لذكرها وسأكتفي بنص واحد لمكان ورود هذه الألفاظ ، ولفظة **مزدك** وردت عند أبي حيان في نص يقول فيه : ولو عاملوا زرادشت بما عاملوا به مزدك ما كان الأمر إلا واحدًا ، ولا كان الحق إلا منصورًا ، ولا كان الباطل إلا مقهورًا ، ولكن اتفق على مزدك ملك عاقل فوضع باطله ، واتفق لزرادشت ملك ركيك فرفع

---

(١) البصائر والذخائر جـ٤ ص ٢٧٦ .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني جـ ٢ ص٤١ .

(٣) صبح الأعشى للقلقشندى جـ ١٣ ص ٢٩٣ .

(٤) الملل والنحل للشهرستاني جـ ٢ ص٤٣ .

(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص ٩١ .

باطله ، وما نزع الله عنهم الملك إلّا بالحق[١] . وكان مزدك قد ظهر في أيام قباذ والد أنوشروان . ودعا قباذ إلى مذهبه فأجابه ، واطلع أنوشروان على خزيه وافترائه فطلبه فوجده فقتله. وكان مزدك ينهي الناس عن المخالفة والمباغضة ، ولما كان أكثر ذلك إنما يقع بسبب النساء والأموال ، أحل النساء وأباح الأموال . وجعل الناس شركة فيهما كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ . وحكي عنه أنه أمر بقتل الأنفس ليخلصها من الشر ومزاج الظلمة[٢] .

ولفظة **المانوي** ذكرها أبو حيان فقال : ويسمع من هذا ظاهر تنزيل وسائغ تأويل ، وتحقيق سنة ، واتفاق أمة ، ويسمع من الآخر الهيولي والصورة والطبيعة والأسطقس والذاتي والعرض والأيس والليس ، وما شاكل هذا مما لا يسمع من مسلم ولا يهوديّ ولا نصرانيّ ولا مجوسيّ ولا مانويّ[٣] ، ولفظة المانويّ منسوبة إلى ماني بن فاتك الحكيم الذي ظهر في زمان سابور بن آردشير وقتله بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير وذلك بعد عيسى بن مريم عليه السلام . أحدث دينًا بين المجوسيَّة والنصرانيَّة ، وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام[٤] . ولفظة **ديصاني** ترد عند أبي حيان في أماكن متفرقة ، ففي نصٍّ له من كتابه مثالب الوزيرين يقول للصاحب محتجًّا على ذنب لم يقترفه : كأني طعنت في القرآن ، أو عقرت ناقة صالح ، أو سلخت في زمزم ، أو قلت كان النظام مأبونًا ، أو كان العلاف ديصانيا[٥] . والديصاني من فرقة الديصانية منسوبون إلى ابن ديصان وهم ثنوية[٦] وهم فرقة من المجوس يشبه مذهبهم مذهب ماني ،

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص ٩٢ .

(٢) الملل و حل للشهرستاني جـ ٢ ص٥٤ .

(٣) الإمتا لؤانسة جـ٢ ص١٨ .

(٤) الملل وا ل للشهرستاني جـ ٢ ص٤٩ .

(٥) مثالب الوزيرين ص ٣٢٦ .

(٦) مفاتيح العلوم للخوارزمي ص ٢٥ .

يقول ابن النديم : وإنما بينهم خلف في اختلاف النور بالظلمة[1] ومع اليهود والنصارى يذكر أبو حيان الصابئين والمفرد صابئ . والصابئ بالهمز وبدونه : كل خارج من دين إلى آخر والصابئون جمع صابئ . ويختلف العلماء في مأخذ لفظة الصابئ من صبأ أى طلع ، أو أنها من صَبَا يصبو ، إذا نزع واشتاق أو صَبا ، إذا عشق وهوى . ويقول كاتب مادة (ص ب ء) في دائرة المعارف الإسلامية : ولا شك أن اسم الصابئة مشتق من الأصل العبري (ص ب ع) أي غطس ثم أسقطت العين ، ويرى أن الوثنيين من الصابئة قد اصطنعوا هذا الاسم الدال على معنى التعميد ، ابتغاء أن ينعموا بالسماحة التي أظهرها القرآن لليهود والنصارى وحين ندع هذا الخلاف اللغوي لمكانة تشير إلى ما عرفته العربية بين العين والهمزة في هذا الأصل ، فقد ورد « صبع على القوم صبعا » طلع عليهم وقيل إنما أصله صبا عليهم فأبدلوا العين من الهمزة كما نقلت : صبأت على القوم ، وصبعت : دللت عليهم[2] .

وترد لفظة الصابي في نص لأبي حيان من كتابه البصائر يقول فيه : وكان شيخ لنا يحدث : أن ثابت بن قرة الحراني الصابي الفيلسوف كان يقول : فضلت أمة محمد صلى الله عليه وسلم العربي على جميع الأمم[3] ، وفي نص آخر يذكر أبو حيان لفظة الصابئين فيقول لأحد علماء عصره : حدثني أيها الشيخ : على أي شريعة دلت الفلسفة ؟ أعلى اليهوديَّة ، أم على النصرانيَّة ، أم على المجوسيّة ، أم على الإسلام ، أم ماعليه الصابئون[4] ، والصابئون يعدهم الشهرستاني من أصحاب الأهواء والنحل فيقول عن هذه الفرقة هم قوم يقولون بحدود وأحكام عقلية ،

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٤٧٤ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية مادة ص ب ء .

(٣) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢٢٨ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص١٤ .

وربما أخذوا أصولها وقوانينها من مؤيد بالوحي ، إلا أنهم اقتصروا على الأول منهم ، وما نفذوا إلى الآخر ، وهؤلاء هم الصابئة الأولى[١] ويختلف الإسلاميون في بيان ملة الصابئين فعند الخُوارزمي هم فرقة من النصارى وبقايا السمنية بالهند والصين[٢] .

٦) الفرق الملحدة :

. الخرمية ، الدهرية ، الزنادقة :

تلك كانت وقفة قصيرة وقفتها مع من يقول بالشرائع والأديان وهذه وقفة عابرة مع من أنكر الشرائع والأديان واستبد برأيه واتبع الأهواء ، وهو مايسميهم البعض بالفرق المُلحدة ، ولفظة **المُلحدة** ترد عند أبي حيان بمعنى الجماعة التي ألحدت في الدين ومالت عنه فيقول أبو حيان ذاكرًا الملحدة ومعها لفظة الخرمية وهم أصحاب التناسخ والإباحة[٣] : فما تقول في الباقلاني ؟ قلت يزعم أنه ينصر السنة ويفحم المعتزلة وينشر الرواية ، وهو في أضعاف ذلك على مذهب الخرمية ، وطرائق الملحدة[٤] وفرقة الخرمية التي وردت في نص التوحيدي يعرفها البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق ، ويصنفها مع أصحاب الإباحة الذين خرجوا عن فرق الإسلام وهؤلاء صنفان : صنف منهم كانوا قبل دولة الإسلام كالمزدكية الذين استباحوا المحرمات . والصنف الثاني الخرمدينية ظهروا في دولة الإسلام[٥] .

ومن الفرق الملحدة الدهرية وواحدهم الدهريّ وقد اكتسبوا هذه التسمية من

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني جـ ٢ ص٦٢ .

(٢) مفاتيح العلوم للخوارزمي ص ٢٥ .

(٣) اللسان جـ ١ ص ١١٤٤ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص ١٤٣ .

(٥) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٦٦ .

اعتقادهم بتقدم الدهر والدلالة على أن للعالم محدثا وهو الله تعالى[1] والدهر : اسم لمدة العالم من بدء وجوده إلى انقضائه ، ثم يعبر به عن كل مدة طويلة : وهو بخلاف الزمان الذي يقع على المدة القصيرة والطويلة[2] ورجل دهري : ملحد لا يؤمن بالآخرة ويقول ببقاء الدهر . وهو مولد . ويقال بالنسبة للرجل القديم دهرِي . وإن كان من بني دهر من بني عامر يقال له دُهري لا غير ، بضم الدال وهم جميعًا منسوبون إلى الدهر[3] ولفظة الدهريّ ترد في كتابات أبي حيان بهذه المعاني التي جاءت في المعاجم المختلفة فيقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الدهري بمعنى الملحد الذي يؤمن ببقاء الدهر : ولعمري إن هذا المقدار لا يصبر عليه الدهري ولا التناسخي ، ولا الثنوي ولكن على كل حال تبصره من العمى[4] ، ويذكر أبو حيان لفظة الدهريّ بمعنى المُلحد وهو يتساءل في هوامله : ما الذي حرك الزّنديق والدهري على الخير ، وإيثار الجميل ، وأداء الأمانة ومواصلة البر ، ورحمة المبتلي ومعونة الصريخ ، هذا وهو لا يرجو ثوابا ، ولا ينتظر مآبا ، ولا يخاف حسابًا[5] ، وجاءت لفظة دهري بمعنى القديم نسبة إلى الدهر وفي هذا المعنى يقول أبو حيان : فلا تعجب من زمانيّ تحول دهريا بالمشابهة النفسية والمشاكلة الجوهرية[6] ، وقال أبو حيان أيضا بهذا المعنى : نشر الحكمة ثواب روحانيّ وذكر دهريّ وصيت باق ، وبهجة مومومقة[7] .

ولفظة دهرية ترد في نصٍّ لأبى حيان بمعنى أبدية ممتدة مدى الحياة وفى هذا

---

(١) مفاتيح العلوم للخوارزمي ص ٢٧ والدهرية فرقة من الكفار كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله : ﴿ ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ وذهبوا إلى ترك العبادات رأسا لأنها لا تفيد . الكشاف للتهانوي جـ ٢ ص٢٧٤ .

(٢) الكليات لأبي البقاء جـ ٢ ص٣٣٠ .

(٣) اللسان جـ ١ ص ١٠٢٣ .

(٤) الهوامل والشوامل ص٢١٤ .

(٥) الهوامل والشوامل ص١٩١

(٦) رسالة الحياة ص ٧٢ .

(٧) رسالة الحياة ص ٥٣ .

المعنى يقول في حديثه عن الشريعة والفلسفة : فليست تلك الفضائل من جنس هذه الفضائل لأن إحداهما تقليدية ، والأخرى برهانيّة وهذه مظنونة وهذه مستيقنة وهذه روحانية ، وهذه جسمية ، وهذه دهرية وهذه زمانية[1] ، ويقول أيضًا ذاكرًا لفظة دهرية بمعنى الحياة الباقية : فأما المقتبس لحياته الدائمة من حياته المنقطعة فإنه يسير من حياة زمانية إلى حياة دهرية بدليل أن الزمان خليفة الدهر[2] ، وترد لفظة الدُّهرية بضم الدال وهم المنسوبون لبنى دهر وذلك فى حديثه عن على بن عبيدة وكتابه المصون وإعجاب أهل عصره بهذا الكتاب فيقول : بلغني أن بعض الدهرية من الرؤساء وأصحاب السيف قال مرة لقوم مصونكم خير من قرآنكم[3] ويعلق أبو حيان على هذا النص قائلا : هذا جهل بالله العظيم وجرأة على حمله الكريم ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ﴾[4] .

ومن الفرق القائلة ببقاء الدهر الزنادقة والمفرد زِنْديق فارسي معرب وهو من الثنوية لا يؤمن بالآخرة ووحدانية الخالق ، وقد تزندق والاسم الزندقة ومعناها الضيق وقيل الزِّنديق منه لأنه ضيق على نفسه[5] .

لفظة الزندقة من الألفاظ التي انتشرت انتشارًا واسعًا فى العصر العباسى ، وأصبحت تتردد على الألسنة وكثر اتهام الناس بها حقا وباطلا في هذا العصر الذي نؤرخه والسبب في ذلك كما يذكره بالتفصيل أحمد أمين في كتابه ضحى الإسلام فيقول : إن الزندقة في بعض معانيها – وهو الشك أو الإلحاد – إنما تقترن عادة

---

(١) الإمتاع والمؤانسه جـ٢ ص١١ (٢) رسالة الحياة ص ٧٢ .

(٣،٤) البصائر والذخائر جـ٤ ص ١٦٣ .

(٥) اللسان جـ ٢ ص٥١ ويؤكد الجوالقي أن زنديق ليس من كلام العرب وإنما تقول العرب : رجل زندق وزندقي): اذا كان شديد البخل . وإذ أرادت العرب معنى ما تقوله العامة قالوا ملحد ودهري . المعرب ص ٢١٥ .

بالبحث العلمي وهو في العصر العباسي أبين وأظهر . ذلك أن العلم الذي كان شائعًا في العصر الأموي كان العلم الديني من جمع للحديث، وتفسير للقرآن الكريم . وهذه لا تثير في النفوس شكوكًا تبعث على الزندقة ، إنما الذي قد يثير هذه الشكوك مذاهب الكلام ، والجدل الديني حول المسائل الإسائية في الأديان ، والبحث الفلسفي على النحو الذي يبحثه أرسطو وأفلاطون وما إلى ذلك . وهذه الأشياء كانت قليلة في العصر الأموي وهي وفيرة جدًّا في العصر العباسي[١] .

وعن مفهوم الزندقة يقول أحمدأمين : إن كلمة الزندقة معناها لم يكن واحدا عند الناس ، فمعناها في أذهان الخاصة والعلماء ، غير معناها في أذهان العامة . فالعامة وأشباههم كانوا يطلقون على المستهتر الماجن زنديقًا أما الخاصة وأشباههم كانوا يفهمون معنى الزندقة بأنها اعتناق الإسلام ظاهرًا والتدين بدين الفرس القديم باطنًا ، وخاصة مذهب مانى . وأحيانًا تُطلق كلمة الزندقة على أتباع ديانة الفرس من غير أن ينتحلوا الإسلام[٢] ونرى هذا الاستعمال أحيانا فى كتاب الحيوان للجاحظ فهو يقول : وكان لهؤلاء الزنادقة كُتبٌ أجود ما تكون ورقًا ، يكتب عليه بالحبر الأسود البرَّاق ، ويستجاد له الخط[٣] ، ويطعن وينتقد الجاحظ كتب الزنادقة ويستخف بمعانيها فيقول : وأن كتبهم لا تفيد علمًا ولا حكمة وليس فيها مثل سائر ، ولا خبر ظريف ، ولا صنعة أدب ، ولا حكمة غريبة ولا فلسفة ولا مساءلة كلامية[٤] ، وهناك معنى آخر للفظة الزندقة ، يطلقونه في ذلك العصر على قوم جحدوا الأديان كلها عن نظر ، فهى بهذا المعنى مرادفة للفظة

---

(١) ضحى الإسلام أحمد أمين جـ ١ ص ١٣٩ .
(٢) ضحى الإسلام أحمد أمين جـ ١ ص ١٥٢ .
(٣) الحيوان للجاحظ جـ ١ ص ٢٨ .
(٤) الحيوان للجاحظ جـ ١ ص ٢٩ .

الدهرية وهذا ما ورد ذكره عندما تناولنا لفظة الدهرية . ومن هذا كله يظهر أن للفظة الزندقة معاني مختلفة وقد انتشرت بمعانيها المختلفة في هذا العصر الذي نؤرخ له وشاهدنا على ذلك ما يذكره أبو حيان في كتاباته من معان متعددة للفظة الزندقة ففي معنى التهتك والاستهتار يقول أبو حيان موردًا لفظة الزندقة في هجاء أحد معاصريه : أحسن آدابك الزندقة ، وأفضل|حالاتك الصدقة نذل الأبوة ذل الأخوة ، عدو المروءة ، لم تؤمن بنبوة ، ولم تعرف بفتوة[1] . ويقول أبو حيان في أحد نصوصه موردًا لفظة الزندقة بمعنى الإلحاد والشرك : يبلغ من قلة الدين وسوء النظر فيما يتعقب بالتقبيح والتحسين أنه يمدح واحدا مقذوفا بالزندقة والكفر ، ويقرظ آخر معروفًا بالإلحاد والسخف[2] ، وفي نص آخر يذكر لفظة الزندقة بمعنى الإلحاد مع التظاهر بالإسلام فيقول في مثالبه : وينقلني عما أعتقده وأراه وأضمره من الإيمان بالله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم فوطد لي الزندقة بتزينه الهندسة[3] ، ويقول أيضا موردًا لفظة الزندقة بمعنى الإلحاد : وصف النظام الكواكب وحسنها ، وكان الداركي حاضرًا وكان يتهم بالزندقة ، فقال : وأي شيء حسنها وما أشبهها إلّا بجوز كان في كم صبي فتناثر فوقع متفرقا ها هنا ثلاثة ، وها هنا أربعة ، وها هنا اثنتان[4] . وفي تعليق التوحيدي على ما جاء على لسان الداركي يتبين معنى لفظة الزندقة التي جاءت في نصه فيقول : أنا أرحم والله هذا القائل ، وهو بالغيظ عليه أولى ، بل حكم الله فيه أحق ، فقد ألحد في الدين[5] ، ويذكر أبو حيان لفظة الزندقة بمعنى الإلحاد في حديثه عن أديان العرب القديمة فيقول : وأما أديان العرب فإن النصرانيَّة كانت في ربيعة وغسان ، واليهودية كانت في حمير وبني كنانة وبني الحرث ، والمجوسية كانت في تميم ، وكانت الزندقة في قريش[6] .

---

(١) مثالب الوزيرين ص٤٥ . (٢) مثالب الوزيرين ص٥٧ .
(٣) مثالب الوريرين ص١٥٨ .
(٥،٤) البصائر والذخائر جـ٢ ص٦٩١ .
(٦) البصائر والذخائر جـ٢ ص٤٥ .

وقد كانت حركة الزندقة في العصر العباسي حركة عنيفة وكان من ضحاياها كثيرون وقد اتخذ بعض الناس الزندقة ذريعة للانتقام من خصومهم سواء في ذلك الشعراء والكتاب والعلماء والأمراء والخلفاء ولم يقف الاتهام بالزندقة في ذلك العصر عند حد . وكما كانت الخصومة الأدبية سببا في الرمي بالزندقة كذلك كانت الخصومة الدينية والسياسية[1] .

ولقد عربت لفظة زنديق في العراق سنة ١٢٥ هـ وبالتحديد عند موالي الحيرة والكوفة[2] . وفي عهد الخليفة المهدي اتخذت لفظة الزنديق مدلولاً سياسيا فقد تميز الخليفة المهدي باضطهاده للزنادقة وعهد إلى « صاحب الزنادقة » أو « عريف الزنادقة » بأن يكتشفهم ويلقي القبض عليهم ، فإذا لم يتوبوا عندما يطلب إليهم ذلك ، قتلوا وصلبوا وقطعت كتبهم[3] ، وكان المعنى الرسمي للفظة الزنديق آنذاك بأنه زاهد ثنوي وهو مسلم يبطن المانوية وهذا ما يشكل خطرا على السياسة العامة للدولة الإسلامية ، لذلك اتخذت لفظة زنديق مصطلحًا . ملحد عند فقهاء المسلمين هو الذي يفسر نصوص القرآن أو الحديث تفسيرًا يخالف المعنى الطبيعي مخالفة غير معقولة أو تأويلا منافيا للأصول الاعتقادية[4] . ويؤكد كولدزيهر أن لفظة الزنادقة تضم مختلف ظلال الإلحاد ولا تكاد تسمح بتعريف بسيط[5] ، وهذا ما نلاحظه في تطور معنى هذه اللفظة المتغيرة الدلالة فبعد أن كانت تطلق على الذين اعتنقوا الآراء الفارسية ثم خصصت بالذين اتبعوا الديانة المانوية[6] وفي تعريف متأخر للزنادقة يقول صاحب كشاف اصطلاحات الفنون : الزنادقة فرقة

---

(١) ضحى الإسلام أحمد أمين جـ ١ ص ١٥٢ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ ١ ص ٤٤٢ .

(٣) تاريخ الطبري جـ ٢ ص٤٩٩ .

(٤) تاريخ الأدب العباسي رينولد نكلسن ص ١٧٣ .

(٥) تاريخ الأدب العباسي رينولد نكلسن ص ١٧٣ .

(٦) الحضارة الإسلامية فون كريمر ص ١٥١ .

متشبهة مبطلة متصلة بالمجذوبين[1] ، ولفظة الزِّنديق والجمع الزنادقة وهي من الألفاظ التي ترد كثيرًا في كتابات أبي حيان ففي هوامله يذكر أبو حيان **الزنديق** بمعنى الملحد المرادف في معناه للدهري فيقول متسائلا : ما الذي حرك الزنديق والدهري على الخير ، وإيثار الجميل ، وأداء الأمانة هذا وهو لا يرجو ثوابا ولا ينظر مآبًا ، ولا يخاف حسابًا[2] وفي نص آخر من بصائره ترد لفظة الزنديق بهذا المعنى فيقول : وكان على مضى أبي العتاهية : أنا زنديق ، فكان الناس يتناولونه : أنا زنديق ، واسم أبي العتاهية زيد[3] . ولفظة الجمع **زنادقة** وعن صيغة الجمع هذه يقول صاحب اللسان : قال سيبويه الهاء في زنادقة عوض من الياء في زنديق وأصله الزناديق[4] ، ويذكر أبو حيان لفظة الزنادقة وما قيل عنهم فيقول : إن للزنادقة كبشًا ينثر الدراهم من صوفه فإذا اشتروا بها تحولت عند البائع ورق آس[5] وترد لفظة الزنادقة أيضا في نص لأبي حيان يصف فيه مناظرة جرت في مجلس عز الدولة فيقول : القرأة تختلف ضربًا من الاختلاف والنقلة تختلف ضربًا آخر ، والفقهاء تختلف على قدر ذلك ضربًا آخر ، وكذلك أصحاب الكلام ، وحتى أفضى هذا إلى طعن الزنادقة فيه وانجر عليه قدح الملحدين به[6] .

ومما تقدم نرى أن لفظة الزندقة أكثر ما كانت تطلق في العصر العباسي على من اعتنق المانوية باطنًا والإسلام ظاهرًا ، ثم توسعوا في معناها فأطلقوها على الإباحي ، والملحد الذي لا دين له . وبعد أن تعرضنا للفظة الزندقة ومعانيها المختلفة في العصر العباسي نقف وقفة تأمل مع من اعتنق هذه الفكرة ، أو الحركة

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي جـ ٢ ص١٧ .

(٢) الهوامل والشوامل ص١٩١ .

(٣) البصائر والذخائر جـ٣ ص ١١٠ .

(٤) اللسان جـ ٢ ص٥١ .

(٥) البصائر والذخائر جـ٢ ص٦٥٦ .

(٦) مثالب الوزيرين ص١٣٩ .

الدينية التي كانت من الظواهر الفكرية المهمة في العصر العباسي والحديث عن منتحلي الزندقة ، يقود إلى مفهوم الزندقة بالنسبة إلى الفرق الإسلامية وكيف ينظر إليها من خلال المذاهب المختلفة ولفظة زنديق والجمع زنادقة من الألفاظ التي اتخذت دلالة غير ثابتة في أول ظهورها ثم لما استقرت دلالتها فقدت مع استعمال معناها الدقيق .

ونجد أيضا أن لفظة الزنديق معناها في الأصل الفارسي هو الذي يعمل بكتاب (الزند) وهو شرح الافستا ، ثم انتقلت هذه اللفظة إلى العربية فدلت على الملحد أو على المسلم الذي يبطن المانوية وفي عصر أبي حيان اتسع مدلول هذه اللفظة وكذلك لفظة الجمع زنادقة والاسم زندقة وقد مرت هذه الألفاظ بأطوار عديدة عند استخدامها اللغوي .

فلفظة الزندقة بعد أن ظهرت وعربت اتخذت مدلولًا عاما هو الإلحاد والخروج على الدين أو الإخلال بأسسه فتطور معنى اللفظة من المعنى الفكري الذي يتضمن في أحد جوانبه معنى سياسيًّا إلى المعنى الديني المتضمن معنى الإلحاد سواء كان خروجًا على الدين أو عدم الاعتداد به . وبهذا كانت لفظة الزندقة ذات دلالة متغيرة من معنى إلى آخر ولما استقرت دلالة هذه اللفظة فقدت مع الاستعمال معناها الدقيق .

* * *

الفصل الثالث

المصطلحات الصوفية

يحتوي هذا الفصل على ثماني مجموعات دلالية أساسية للمصطلحات الخاصة بالصوفية وهي :

١) التصوف ، الصوفي ، الصوفية .

٢) الزهد ، الزهاد ، النسك ، النساك .

٣) مقامات ومراتب ودرجات الصوفية .

٤) أهل الاختصاص ، الخصوص ، العموم .

٥) الألوهية ، الربوبية ، الروحانية ، العبودية .

٦) إشارات وعبارات الصوفية .

٧) الرمز .

٨) الحضرة ، المريد ، المرشد .

٩) المدقق ، المحقق ، التحقيق .

١٠) الفتوة .

* * *

المصطلحات الخاصة بالصوفية :

مصطلحات الصوفية (٨٩) كلمة وهي :

اختصاص – أهل الاختصاص – استدراج ، إشارة ، إشارات ، الإلهية ، الإلهيات ، الإلهيين ، تأله ، تأليه ، تحقيق ، تخصيص ، تدرج ، تدريج ، تزهد ، تزهيد ، تصوف ، تعميم ، حضرة ، حضرات ، حضرى ، خاص ، خاصة ، خصائص ، خصوص ، خصوصية ، خواص ، خصيص ، درج ، درجة ، درجات ، رباني ، ربانية ، ربوبي ، ربوبية ، رتب ، رتبة ، رمز ، رمزة ، روحاني ، روحانية ، روحانيات ، زاهد ، زهاد ، زهد ، – أهل الزهد – سلالم ، سلاليم ، صوفي ، صوفية – أصحاب الصوف – عام ، عامة ، عبارة ، عبارات ، عبد ، عبودية ، عموم ، فتى ، فتوة ، فتيان ، متألهين ، متحقق ، متحققات ، متزهد ، متصوفة ، متناسك ، متنسكون ، محقق ، محققة ، مخصوص ، مخصوصون ، مخصوصة ، مدارج ، مدرج ، مدقق ، مراتب ، مرتبة ، مرشد ، مريد ، مريدون ، مقام ، مقامة ، مقامات ، معموم ، ناسك ، نساك ، نسك ، أصحاب النسك .

وفيما يلي جدول بنسبة شيوع هذه المصطلحات في مؤلفات أبي حيان :

الكلمة	عدد مرات ورودها	الكلمة	عدد مرات ورودها	الكلمة	عدد مرات ورودها
إشارة	٩٢	فتيان	١٨	الإلهية	٥
تحقيق	٩٢	مخصوص	١٧	تدريج	٤
صوفى	٥٢	اختصاص	١٥	مخصوصة	٤
مراتب	٥١	رمز	١٥	تخصص	٤
ربوبية	٥٠	حضرة	١٢	خاصة	٤
مرتبة	٤٤	عبارات	١٢	خواص	٤
صوفية	٤١	نسك	١٢	محققة	٤
مقام	٤٠	روحانية	١١	ربوبى	٤
زهد	٣٨	مقامات	١١	خاص	٣
عبودية	٣٨	مقامة	٨	أصحاب النسك	٣
درجة	٣٢	رتب	٨	الألوهية	٣
رتبة	٣١	مريد	٨	ربانى	٣
زهاد	٢٧	مخصوصين	٨	مدارج	٣
فتوة	٢٧	مرشد	٧	استدراج	٣
تصوف	٢٣	عموم	٦	الإلهية	٣
خصوصية	٢٢	عامة	٦	عبد	٣
إشارات	١٩	سلالم	٦	محققون	٣
درجات	١٩	ناسك	٥	مدقق	٢
زاهد	١٨	خصوص	٥	أهل الاختصاص	٢
محقق	١٨	الإلهين	٥	تعميم	٢

الكلمة	عدد مرات ورودها	الكلمة	عدد مرات ورودها
عموم	٢	روحانية	٢
عام	٢	روحانيات	٢
تأله	٢	روحانى	٢
تأليه	٢	متحقق	١
متألهين	٢	متحققات	١
أهل الزهد	٢	درج	١
أصحاب الصوف	٢	تدرج	١
فتى	٢	سلالم	١
متناسك	٢	حضرات	١
متنسكون	٢	حضرى	١
تزهد	٢	مريدون	١
متزهد	٢	خصيص	١
تزهيد	٢	إلهيات	١
ربانى	٢	خصائص	١
ربانية	٢	رمزة	
		المجموع الكلى	٨٩

أمكن تقسيم هذه المجموعة من المصطلحات إلى عشر مجموعات دلالية أساسية : منها مصطلحات خاصة بالتصوف والصوفية والزهد والزهاد وأصحاب النسك وأهل الاختصاص المتألهين ومصطلحات خاصة بالإشارات والمقامات والحضرة والمرشد والمريد والمدقق والمحقق ومن سلك طريق التصوف واتخذه منهجا . هذا وقد تميزت هذه الجماعة الدينية فى القرن الرابع الهجرى بطابع مميز ومصطلحات خاصة وضح أبو حيان دلالتها فى كتاباته .

أولا : التصوف ، الصوفى ، الصوفية :

عرف أبو حيان لفظة التصوف فقال : والتَّصَوُّف اسم يجمع أنواعا من الإشارات وضروبا من العبارة وجملته التذلل للحق بالتعزز على الحق[1] ، ويقول أبو حيان عن التصوف : والتصوف معناه أكبر من اسمه ، وحقيقته أشرف من رسمه[2] ، وترد لفظة **التصوف** عند أبى حيان فى مناجاته التى تضمنها كتابه الإشارات الإلهية فنراه يقول فى إحدى هذه المناجات : وإلى الله المرجع ، وإليه المعتمد فى فتح أبواب الأنس ، وبل غلل النفس ، وما أحوجنى إلى جسارة بانبساط يرخص لى معك فى التصرف ، وينيخ البلاغة عن طريق التصوف[3] .

ويشير أبو حيان فى نصوصٍ من كتاباته إلى بعض المراحل التى مرت بها لفظة التصوف ، منها المرحلة الأولى من نشأة التصوف وهى التى تسمى بمرحلة الزهد وعن هذه المرحلة يقول أبو حيان في نص له يوضح فيه سلوك فئة من الناس كانت لهم طريقة فى الزهد ويورد لفظة التصوف فى نصه هذا : الخليل ها هنا هو المختل الفقير ، وقيل فى إبراهيم الخليل صلوات الله عليه أنه أريد به هذا المعنى كأنه عليه السلام كان فقيرًا إلى الله تعالى وأخلصهم فقرًا إليه ، وفيه كلام غير هذا يمر فى الخبر أفرده لأصحاب الضمير الوساوس الذين يصيرون إلى مذاهب النسك والتصوف[4] . ويرد مصطلح علم التصوف فى نص لأبى حيان يصف فيه شيخا من شيوخ عصره ممن ألف كتابًا فى علم التصوف ، فيقول : فلقينا فى الطريق شيخًا من الحكماء يقال له أبو الحسن العامرى ، وله كتاب فى التصوف قد شحنه بعلمنا وإشارتنا ، وكان من الجوالين الذين نقبوا فى البلاد واطلعوا على أسرار الله فى العباد[5] ، ويذكر أبو حيان لفظة التصوف ملازمة للفظة التفلسف وهذا مما

---

(١) الإشارات الإلهية ص١١٥ .

(٢) الإشارات الإلهية ص١٦٣ .

(٣) الإشارات الإلهية ص١٣ .

(٤) البصائر والذخائر جـ٤ ص ١٢٥ .

(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ٣ ص ٩٤ .

يسمى بالتصوف الفلسفى وهو الذى بدأ ظهوره فى القرنين الثالث والرابع الهجريين وهذا اللون من التصوف امتزج بالفلسفة وقد تسرب إلى التصوف الإسلامى من الفلسفات الأجنبية المتعددة ، اليونانية والفارسية والهندية والمسيحية وذلك لا ينفي أصالته لأن صوفيته تمثل هذه الثقافات ، وحافظوا فى نفس الوقت على استقلاليتهم فى مذاهبهم باعتبارهم مسلمين[١] ، وفي معنى التصوف الفلسفي ، يقول أبو حيان موردًا لفظة التصوف مرادفة للفظة التفلسف : الصوفية إشارات سليمة وألفاظ صحيحة ، فيها حشو كثير ، وفوائد جمة ، وأتكلم أيضا في غرائب كلام الفلاسفة ، فإن التصوف والتفلسف يتجاوران ويتزاوران[٢] .

ولقد حفلت كتابات أبي حيان بأقوال الصوفية الذين عاشوا في القرنين الثالث والرابع الهجري ونلمح في أقوالهم تقعيد القواعد ورسم الطريق الصوفي ومن أبرز مشايخ الصوفية في تلك الفترة الجنيد بن محمد الصوفي البغدادي العالم ، والحارث ابن أسد المحاسبي ، ورويم ، وأبو سعيد الخراز ، وعمرو بن عثمان المكي ، وأبو يزيد البسطامي[٣] وغيرهم . ومن أقوال الجنيد الذي يعتبر شخصية هامة في تاريخ التصوف الإسلامي وترجع هذه الأهمية إلى خصوبة آرائه وإلى أنه كان يجمع فيها بين الشريعة والحقيقة وكان أستاذًا قديرًا يجمع حوله المُريدين ليعلمهم التصوف وله مدرسة مشهورة في التصوف[٤] يقول الجنيد : إذا أراد الله أن يتخذ عبدًا وليًّا سلط عليه من يظلمه[٥] ، ويقول أيضًا : الحكمة تنهى عن كل ما يحتاج أن يعتذر عنه وعن كل ما إذا غاب عمله من غيرك احتشمك ذكره في نفسك[٦] ، ومن

---

(١) مدخل إلى التصوف ، التفتازاني ص ٢٢٧ .

(٢) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٢٧٧ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ٣ ص ٩٧ وانظر البصائر جـ ٢ ص ٣٣٤ جـ ١ ص ٤٦٢ .

(٤) مدخل إلى التصوف الإسلامي د . التفتازاني ص ١٢٩ .

(٥) البصائر جـ ١ ص ٤٦٢ . (٦) البصائر جـ ١ ص ٤٦٢ .

أقوال الجنيد التي أوردها أبو حيان في كتاباته : العلم علمان : علم البسط وهو من وحدة الواحد إلى غاية الكثرة ، وعلم القبض وهو من الكثرة إلى الوحدة[1] .

وعلم آخر من أعلام التصوف السري السقطي إمام البغداديين توفي سنة ٢٥٧ هـ ويعتبر صاحب مدرسة في التصوف[2] وهو أول من تكلم ببغداد في لسان التوحيد وحقائق الأحوال ومن أقواله التي ذكرها أبو حيان قال السري السقطي : إذا رأيت الله تعالى يوحشك من الخلق فاعلم أنه يريد أن يؤنسك بنفسه[3] ، ومن أقواله أيضا صدق الانقطاع ألا يكون لك إلى غير الله عز وجل حاجة[4] ، وهناك صُوفِيٌّ آخر تكلم في ترتيب الأحوال والمقامات وهو ذو النون المصري الذي جيء به من مصر إلى بغداد ليرد عن نفسه تهمة الزندقة ، إلا أنه أعلن وليًا من الأولياء بعد موته ، ومن أقواله : حقيقة الأنس بالله الاستيحاش من القواطع عن الله[5] ومن أعلام التصوف الذي ورد ذكر أقواله عند أبي حيان يحيى ابن معاذ ، ويقال إنه أول من حاضر الناس في التصوف فقال : « الجاهل رأى الذنب في الخطيئة فنظر بالغلظة إليه والعارف عرف موقعه منه فنظر بالشفقة عليه »[6] ، وقال يحيى بن معاذ : « على قدر الخروج من الذنوب تكون إفاقة القلوب » ، وقال : « خوفك من خلقه يوحش ، وخوفك من الله يؤنس »[7] .

نرى مما تقدم من أقوال أعلام التصوف في عصر أبي حيان أنهم يمثلون العصر الذهبي للتصوف الإسلامي في أرق وأصفى مراتبه ، وبعد هذه الوقفة المتأنية مع التصوف ننتقل إلى من اعتنق هذه النزعة وسلك طريق التصوف وتخلق بأخلاق

---

(١) البصائر جـ ١ ص ٤٦٢ .
(٢) مدخل إلى التصوف الإسلامي – التفتازاني ص ١٢٧ .
(٣) البصائر والذخائر جـ٢ ص ٣٣٤ .
(٤) البصائر والذخائر جـ١ ص ٤٦١ .
(٥) البصائر والذخائر جـ١ ص ٤٦٢ .
(٦) البصائر والذخائر جـ١ ص ٤٦٣ .
(٧) البصائر والذخائر جـ١ ص ٤٦٥ .

المتسبين إلى هذه الطائفة الدينية ولم يكن السالكون لطريق الله في القرون الإسلامية الأولى يعرفون باسم المتصوفة ، وإنما الصوفي لفظ اشتهر في القرن الثالث . وورد لفظ الصُّوفيّ لقبًا مفردًا لأول مرة في التاريخ في النصف الثاني من القرن الثاني إذ نعت به جابر بن حيان وهو شيعي من أهل الكوفة وأبو هاشم الكوفي الصوفي المشهور . وأما صيغة الجمع الصوفيَّة التي ظهرت عام ١٩٩ هـ فكانت تدل – قرابة ذلك العهد – على مذهب من مذاهب التصوف يكاد يكون شيعيًّا نشأ في الكوفة وكان عبدك الصوفي آخر أئمته[١] .

ولفظة «الصوفي» والجمع «الصوفيّة» أول مشكلة تصادفنا بالنسبة لهاتين اللفظتين هى مشكلة اشتقاقهما ومن أين جاءتا وما أصلهما ؟ ، وهذه المشكلة قديمة نجدها تثار في أقدم ما لدينا من كتب التصوف الإسلامي مثل كتاب اللُّمع للسراج ، والرسالة القشيرية للقشيري .

فالسراج المتوفي سنة ٣٧٨ هـ يعقد فصلا بعنوان « باب الكشف عن اسم الصوفية » يبدأه بالسؤال عن السبب في تسمية «الصوفية» بهذا الاسم دون نسبتهم إلى حال ولا إلى عِلْم ، كما ينسب الفقهاء إلى الفقه وأصحاب الحديث إلى الحديث ، ولم يقف إليهم حالًا كما يضاف الزهد إلى الزهاد ، والصبر إلى الصابرين ، ويجيب عن هذا قائلًا : لأن الصوفيّة لم ينفردوا بنوع من العلم دون نوع ، ولم يترسموا برسم من الأحوال والمقامات دون رسم ، وذلك لأنهم معدن جميع العلوم ، ومحل جميع الأحوال المحمودة ، والأخلاق الشريفة سالفًا ومستأنفًا ، وهم مع الله تعالى في الانتقال من حال إلى حال ، مستجلبين للزيادة ، فلما كانوا في الحقيقة كذلك لم يكونوا مستحقين اسمًا دون اسم ، فلأجل ذلك ما أضفت إليهم حالًا دون حال ، ولا أضفتهم إلى علم دون علم[٢] ، وينتهي

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ ٥ ص ٢٧٧ .   (٢) اللمع للسراج ص ٤٠ .

السراج إلى القول بأن اسم «الصوفيّة» نسبة إلى ظاهر اللبسة ، لأن لبسة الصوف دأب الأنبياء عليهم السلام وشعار الأولياء والأصفياء ، وشعار المتنسكين[1] ، ويرد السراج على من يقول إن اسم الصوفيَّة مُحْدَث ، ولم يوصف به أحد من أصحاب رسول الله ولا فيمن كان بعدهم ، ولا يعرف الناس إلا العباد والزهاد والسياحين والفقراء ، وما قيل لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صُوفيّ » يقول بأن السبب في ذلك أنهم نسبوا إلى الصحبة التي هي أجل الأحوال[2] ، وأما من قال بأنه اسم محدث أحدثه البغداديون رد السراج على هذا بقوله بأن هذا محال ، لأن في وقت الحسن البصري رحمه الله كان يعرف هذا الاسم ، وقد روى عنه أنه قال : رأيت صُوفيًّا في الطواف فأعطيته شيئًا فلم يأخذه وقال : معي أربعة دوانيق فيكفيني ما معي[3] ، ويذهب السراج إلى أبعد من ذلك فيقول : إنه في الكتاب الذي جمع فيه أخبار مكة عن محمد بن إسحاق بين يسار يذكر أنه قبل الإسلام قد خلت مكة في وقت من الأوقات حتى كان لا يطوف بالبيت أحد ، وكان يجيء من بلد بعيد رجل صوفي فيطوف بالبيت وينصرف.. » فإن صح ذلك فإنه يدل على أنه قبل الإسلام كان يعرف هذا الاسم ، وكان ينسب إليه أهل الفضل والصلاح[4] .

والقشيري صاحب الرسالة القشيرية المتوفي سنة ٤٦٦ هـ يطعن في رأي السراج بنسبة الصوفية إلى لباس الصوف قائلًا : فأما قول من قال : إنه من الصوف ، ولهذا يقال : تَصَوّف إذا لبس الصوف كما يقال : تقمص إذا لبس القميص ، فذلك وجه ، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف[5] ، ويرى

---

(١) اللمع للسراج ص ٤١ .

(٢) اللمع للسراج ص ٤٢ .

(٣) اللمع للسراج ص ٤٣ .

(٤) الرسالة القشيرية للقشيري ص ٥٥٠ .

(٥) الرسالة القشيرية للقشيري ص ٥٥٠ ، ويقول القشيري : ومن قال إنهم منسوبون إلى «صفة» مسجد رسول الله ﷺ فالنسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو : الصوفي . ومن قال إنه من الصفاء فاشتقاق الصوفي =

القشيري أن لفظة الصوفية لقب إذ لم يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق ثم إن هذه الطائفة أشهر من أن يحتاج في تعيينهم إلى قياس لفظ واستحقاق واشتقاق[١] .

ولعل أقدم ما وصلنا من مؤلفات ذكرت اسم الصوفي والصوفية هو كتاب البيان والتبيين للجاحظ المتوفي سنة ٢٥٠ هـ إذ يذكر « الصوفية من النساك » ونجد أن الجاحظ يضع عنوانا لأحد فصول كتابه هذا ويسميه « أسماء الصوفيّة من النساك ممن كان يجيد الكلام »[٢] .

أما آراء الباحثين من المستشرقين حول لفظة « صُوفيّ » و « صُوفيّة » فسوف نلقي نظرة سريعة على بعض هذه الآراء وذلك قبل أن نتعايش مع أجواء الصوفية وأحوالهم من خلال كتابات أبي حيان .

لقد حاول بعض الباحثين من المستشرقين أن يجد للفظة الصوفي أصلا غير عربي ولكن البحث الحاسم في هذه المسألة هو الذي قام به المستشرق الألماني نيلدكه وينتهي نيلدكه في بحثه إلى تأييد ما ذهب إليه السراج وكثير من المؤلفين المسلمين من أن الصوفي نسبة إلى الصوف ، وبرأى نيلدكه أخذ نيكلسون في مقاله في دائرة معارف الدين والأخلاق[٣] وكذلك ماسينيون في مقاله عن التصوف في دائرة المعارف الإسلامية[٤] .

= من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة . وقول من قال إنه مشتق من الصف فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة من الله تعالى فالمعنى صحيح ، ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف . هذه هي الآراء الأخرى التي ذكرتها المصادر العربية في اشتقاق أو سبب التسمية في الصوفي والصوفية وكلها بعيدة من جهة القياس اللغوي .

(١) الرسالة القشيرية للقشيري ص ٥٥١ .

(٢) البيان والتبيين للجاحظ جـ ١ ص ١٣ المقدمة ص ٣٦٦ .

(٣،٤) دائرة المعارف الإسلامية مادة تصوف جـ ٨ ص ٢٦٦ .

ولفظة الصُّوفيّ والجمع الصُّوفيّة ترد في نصوص كثيرة جدًّا من كتابات أبي حيان وفى هذه النصوص يصور لنا أبو حيان الانفعالات والأفكار التى تعتلج بها نفس الصوفى تصويرًا حيًّا يجسد عناصر التصوف بمعناها الدقيق مثل الوجود والتوحيد والحق وغيرها من الألفاظ التى تبين رسوم الطريق عند الصوفى .. يذكر أبو حيان لفظة **الصوفى** فى نصوص من بصائره فيقول : قيل لصوفى : أين الحق ؟ قال : لو كان له أين لم تثبت له عين[1] . وقيل لصوفى : على من تعول فى معاشك ؟ قال : على لطيف نقلنى إلى الوجود من العدم ، وتولانى فى اليقظة والحكم[2] ، ويقول أبو حيان فى بصائره : قيل لصوفى : ما الذى تطلب : قال : أطلب الراحة فى الدنيا ، قيل : فهل وجدتها ؟ قال : قد وجدت أنى لا أجدها[3] ، وقيل لصوفى : أين حطّ العارفون رحالهم ؟ قال : حيث ناجاهم الحق وبدا لهم[4] ، ويذكر أبو حيان أعلام الصوفية فى عصره وأقوالهم ، فيقول ذاكرًا لفظة الصوفى : وكنت سمعت الحرانى الصوفى يقول قديما بمكة : هذه الأمور ، وإن كانت منوطة بهذه العلويات ، مربوطة بالفلكيات ، عنها تحدث ، ومن جهتها تنبعث[5] ، وعن الحرانى يقول أبو حيان أيضًا موردًا لفظة «الصوفى» فى قوله : سمعت الحرانى الصوفى بمكة يقول : قم فى مفانى الأسى على الترب والحصا ، وناد فلعل وعسى[6] .

وترد لفظة الصوفى فى أحاديث أبى حيان المتناثرة بين طيات كتاباته ذاكرًا اسم هذا الصوفى وما يردده من أقوال فيقول : سمعت ابن سمعون الصوفى يقول : ما يقف البشر على بعد غور قول الله تعالى لكليمه ﴿ وألقيت عليك محبة منى

---

(١) البصائر والذخائر جـ٢ ص٣٢٣ .

(٢) البصائر والذخائر جـ٤ ص ١٩١ .

(٣) البصائر والذخائر جـ٣ ص ٦١٧ .

(٤) البصائر والذخائر جـ٣ ص ٦٥٢ .

(٥) المقابسات ص ٧٥ .

(٦) البصائر والذخائر جـ٣ ص ٣١٣ .

ولتصنع على عيني ﴾ فإن فى هاتين الكلمتين ما لا يبلغ كنهه[1] ، ويقول أبو حيان : سمعت ابن السراج الصوفى يقول : قلت لأبى الحسن النوشيحى : من أصحب ؟ قال : من يصفو كدرك بصفائه[2] ويقول أبو حيان فى حديثه عن الجنيد ذاكرًا لفظة الصوفى : سمعت برهان الصوفى الدينورى يقول : سمعت الجنيد يقول : لو صحبنى فاجر حسن الخلق ، كان أحب إلى من أن يصحبنى عابد سيء الخلق[3] ، وفى حديث أبى حيان عن ابن عباد ترد لفظة الصوفى فيقول : ورأيته يناظر أبا الفرج البغدادى الصوفى ، وكان فى أذنه وقر فى وساوس الصوفيّة وخطراتهم[4] ، ويذكر أبو حيان حديثًا للرازى مع ابن عباد ذاكرًا لفظة «الصوفى» فيقول : وكان معنا إذ ذاك أبو صالح الرازى الصوفى ، وكان مفوها ، جدلًا فقال له : ماذا أراد بقوله : أرواحه مستقيمة ؟ قال أراد أن أخلاقه لا تحول عن الخير ، وعادته لا تزيغ إلى القبيح ، وأنه على ديدنة فى الكرم[5] وذكرنا أقوال الصوفيّة مثل الجنيد ، والسرى السقطى وهم الذين رسموا الطريق للسلوك الصوفى وقعدوا القواعد له . وترد لفظة الصوفىّ فى نص لأبى حيان يصف فيه مناجاة هذا الصوفى فيقول : قال الخراباتى الصوفى : إلهى لو قلت لى عبدى كنت أرى ذلى ، ولو كنت ذليلًا قطعت من همتى سرور إضافتى إليك ، لأنك أجل من أن يكون لك شيء ذليل[6] ، ويعلق أبو حيان على كلام الخراباتى الصوفى بقوله : هذا كلام عويص ، وإشارة دقيقة وما أقدم على شرحه ولو كان حقا ظاهره ، مرفوعا عند لطف باطنه ، يتم الأنس به وحلت الإشارة فيه ، ولكن الصفو فى هذا وفى غيره عزيز وستصير من كلام هذه الطائفة المتصوفة إلى ما يجل عن الفهم ، ولا يدق على المتفهم[7] .

---

(١) الصداقة والصديق ص ٢٧٨ .
(٢) الصداقة والصديق ص ٣٠٧ .
(٣) الصداقة والصديق ص ٧٢ .
(٤) مثالب الوزيرين ص ١٨٥ .
(٥) مثالب الوزيرين ص ٣٣٧ .
(٦) البصائر والذخائر جـ١ ص ٤٦٠ .
(٧) البصائر والذخائر جـ١ ص ٤٦١ .

ولفظة الصوفيّة انتشرت فى العراق مع إطلالة القرن الثالث الهجرى وصارت بغداد فى منتصف هذا القرن قصبة الحركة الصوفيّة ، وفى النصف الثانى من هذا القرن كانت فى خراسان لفظة الملامتية وقد اشتهرت لأهل الطريق ، ولكن ما إن انتهى القرن الثالث إلّا وكانت كلمة الصوفية عامة فى جميع الأصقاع الإسلامية[١] .

لفظة **الصوفيّة** ترد عند أبى حيان جمعًا للفظة الصوفىّ وكذلك لفظة الجمع المتصوفة وأيضا مصطلح أصحاب الصوف . وقد أفرد أبو حيان أجزاءً كاملة من كتاباته وخاصة كتاب البصائر والذخائر للحديث عن الصوفيّة وأقوالهم ومناجاتهم فى التعبير عن حقائق التصوف . ففى نص له من كتاب البصائر والذخائر يقول أبو حيان ذاكرًا مصطلح أصحاب الصوف : قد مر فى آخر الجزء الثانى فصل فى هذا الباب ، وسيمر أيضا نوع من الكلام فيه ، إذا صرنا إلى الجزء الذى نفرده للعارفين وأصحاب الصوف إن شاء الله[٢] . ويذكر أبو حيان فى بصائره أيضا لفظة المتصوفة فيقول : هذا كلام عويص ، وإشارة دقيقة ، وما أقدم على شرحه ولو كان حقا ظاهره ، مرفوعا عند لطف باطنه ، يتم الأنس به ، وحلت الإشارة فيه ، ولكن الصفو فى هذا أو فى غيره عزيز وستصير من كلام هذه الطائفة المتصوفة إلى ما يجل عن الفهم ، ولا يليق على المتفهم[٣] أما لفظة الصوفيّة فترد فى أماكن متعددة من كتابات أبى حيان ففى البصائر والذخائر يقول أبو حيان واصفًا الصوفيّة بالطائفة : ما أحوجنا إلى عالم منطيق يكشف لنا كلام

---

(١) نشأة التصوف الإسلامي د. إبراهيم بسيونى ص ١١٥ .

(٢) البصائر والذخائر جـ٢ ص ١٣٥ . (٣) البصائر والذخائر جـ١ ص ٤٦١ .

ومعنى المتصوفة هم المقبلون على العبادة فاتحدوا بالذات الإلهية حتى صاروا يتكلمون باسمها . وقد انفرد خواص أهل السنة باسم المتصوفة والصوفية واشتهروا بهذا الاسم قبل المائتين من الهجرة . انظر دائرة المعارف الإسلامية جـ ٥ ص ٢٧٦ .

هذه الطائفة ، وسأسوق إليك من غرائب ألفاظ الصوفية وبدائع كلام النساك[1] ، ويقول أبو حيان فى وصفه لألفاظ الصوفية : للصوفية إشارات سليمة ، وألفاظ صحيحة فيها حشو كثير ، وفوائد جمة ، وأردت إفراد جزء من الكتاب لوساوسهم وملحهم ، ونوادرهم ، وحقائقهم لكنى قد عجزت عنه عجزًا أوضح عذرى ، وكشف حجتى ولو جمع من أثناء الكتاب ما يشاكل عبارتهم ، ويطابق إشارتهم لكان له وقع وأثر[2] ، وفى بصائره أيضا يقول أبو حيان ذاكرًا الصوفيَّة وألفاظهم المهذبة : سمعت أبا النفيس الرياض يقول : الظريف من صار ظرفا للمناقب ، وحسن المناقب ، والكلام يفتن إلى هذا الفن ، وأنا إلى اختصار ينفى سآمة القارئ أحوج منى إلى تطويل يسد باب النشاط ، وللصوفيَّة ألفاظ مهذبة فى جواب نظائر هذه المسألة كقولهم : من الظريف ، ومن الفاضل ، ومن العارف ، ومن العاشق[3] وكان أبو حيان ذا موقف واضح من تراث الصوفيَّة العلمى حتى عصره إذ نراه يدافع عنه ويشيد بإنتاجهم الفكرى حينما وصفهم صاحب مجالس الإمتاع بقوله : إن الصوفية لا يرجعون إلى ركن من العلم ، ونصيب من الحكمة ، وإنهم إنما يهزون بما لا يعلمون ، وأن بناء أمرهم على اللعب واللهو والمجون . فيرد عليه أبو حيان قائلا : لو جمع كلام أئمتهم وأعلامهم لزاد على عشرة آلاف ورقة عمن نقف عليه فى هذه البقاع المتقاربة ، سوى ما عند قوم آخرين لا نسمع بهم ولا يبلغنا خبرهم . قال فاذكر لى جماعة منهم فيجيبه أبو حيان : الجنيد بن محمد الصوفى البغدادى العالم ، والحارث بن أسد المحاسبى ، ورويم ، وأبو سعيد الخراز ، وعمرو بن عثمان المكى ، وأبو يزيد البسطامى ، والفتح الموصلى[4] .

---

(١) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١٧٩ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٢٧٦ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ٢ ص١٣٩ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص٩٧ .

ويصف «الصوفيّة» أبو حيان فى كتاباته بأوصاف مختلفة مثل سادة الدنيا والجفاة ، والغرباء ، والنساك ففى نص له من إشاراته الإلهية يقول فيه : فأعم بأجمل تحية سائر ذوى الفضل من الصوفية ، فإنهم ملوك الدنيا وسادة الآخرة[1] وفى نص آخرُ من بصائره يقول أبو حيان ذاكرًا الصوفية ويصفهم بالجفاة : على ما يرى جفاة الصوفية وما يقولون ، فإنهم يرون الجلالة له حجابًا وحجازًا ويجعلونها مانعة من إصابة الزهد وسلوك محجته ، وإقامة مناره[2] ويصف طريقة الصوفيّة في معاشهم فيقول : تحدثت بهذا الحديث فى ملأ من الصوفية والغرباء الجوالين فى الآفاق ، السائحين فى الدنيا ، الحافظين للعبر ، المُقْتَبِسِين للأدب[3] ، ويقول أيضًا واصفًا الصوفية بالغرباء : بمخالطة الصوفية والغرباء والمجتدين الأدنياء الأردياء ، إنك تقدر على مثل هذه الحال[4] ، وترد لفظة الصوفية فى نص من كتاب المقابسات وفيه يصف التوحيدى الصوفية بالنساك فيقول : على أننى شاهدت قبل هذا إنسانًا متناسكًا وكان له حظ من التجربة ، بالسن العالية . والسفر البعيد ، وكان متميزًا بمذاهب الصوفيّة[5] . ويذكر أبو حيان لفظة الصوفيّة محددا مستوى معيشتهم ونوع سكناهم البسيط فيقول : وكنا جماعة غرباء نأوى إلى دويرة الصوفية لا نبرحها ، فتارة ننام وتارة نهذى ، والجوع يعمل عمله[6] ويبين أبو حيان منزلة الصوفية الدينية وما لهم من مكانة جليلة عند صاحب مجالس الإمتاع إذ إنه يطلب من أبى حيان قائلا : اختم مجلسنا بدعاء الصوفية[7] . وعند الحديث عن الصوفية ترد فى كتابات أبى حيان الأفعال تصوّف ، يَتَصوّف بمعنى سلك ويسلك مسلك الصوفى وفى هذا المعنى يقول

---

(١) الإشارات الإلهية ص ١٢٨ .

(٢) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢٤٩ .

(٣) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٦٣٤ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٧ .

(٥) المقابسات ص ١٩٤ .

(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ٩٢ .

(٧) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١٤٧ .

أبو حيان ذاكرًا الفعل «يتصوّف» : سمعت أبا حامديقول لأبى طاهر العبادانى وكان يتصوَّف ويتفقه : لا ينبغى أن تصحب ثلاثة : الجندى والعلوى والصوفى[1] ويقول فى نص آخر من كتاب البصائر ذاكرًا الفعل تصوف : حدثت أبا حامد أن عمى كان قاعدًا فى بعض العشيات فى قطيعة الربيع ، فاجتزت به متوجهًا إلى مجلس أبى الحسن بن القطان الفقيه الشافعى ، فقال له جلساؤه : إن ابن أخيك يا أبا العباس مجتهد فى طلب العلم ، يغدو ويروح ، ولقد سمعنا تلاوته للقرآن فاستجدناها ولقد سمعنا منطقه فاستأنسنا به ، وقد كتب الحديث الكبير ، وسافر وتصوف فقال للجماعة : هذا لله كما تقولون[2] .

يتضح مما تقدم من نصوص أبى حيان أن الألفاظ التالية تَصَوف وصُوفىّ ، وصُوفيّة ومتصوفة والفعل تَصَوَّف هى كلمات حضارية نشأت من أصول إسلامية عقائدية وتكونت عن طريق الاشتقاق من المادة اللغوية القديمة (ص و ف) ولم تخرج عن الأوزان العربية المعروفة . والأصل فى اشتقاق هذه الكلمات من الصوف الذى هو للغنم كالشعر للمعز والوبر للإبل ثم اتخذت دلالتها المعروفة فى التصوف واشتق منها الفعل تصوف . ونسب إليها صُوفىّ على وزن فُعْلىّ . والجمع صوفية وهى صيغة ناشئة من إضافة ياء النسب مع التاء للدلالة على المذهب ، ومن الملاحظ أن جميع هذه الاشتقاقات هى صيغ جديدة ، تولدت فى العصور الإسلامية الأولى ، وعلى وجه التحديد فى القرن الثانى الهجرى حيث استخدمت بمعناها الاصطلاحى . وبهذا المعنى جاءت فى كتابات أبى حيان فهى صيغ جديدة فى مبناها ومعناها كما ذكرها أبو حيان هذا وقد أغفل صاحب اللسان ذكر هذه الاشتقاقات عند تناوله للمادة (ص و ف) وفى مجال التغيير الدلالى نجد

---

(١) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣٤٢ . (٢) البصائر والذخائر جـ٢ ص٤٧٥ .

أن هذه الألفاظ قد تطورت دلالتها نتيجة لتطور الحياة العامة فى المجتمع الإسلامى وتطور الحياة الدينية ومفاهيمها فى القرنين الأول والثانى للهجرة وفيما بعدهما . وما أن نصل إلى عصر أبى حيان حتى نجد أن هذه الألفاظ قد اتسعت دلالتها نتيجة لكثرة استخدامها فى ذلك العصر ، وأصبحت دلالة هذه الألفاظ أكثر اتساعًا بعد أن استقلت بمعناها كمصطلحات لها تعريفات متعددة .

ثانيا : الزهد ، الزهاد ، النسك ، النساك :

اهتم التوحيدى فى مؤلفاته بالزهد ، وأفاد بالتعبير عنه بعدة كلمات من مادتى (زُهْد) و (نسْك) ، فى مقدمتها : زهد ، زاهد ، زُهاد ، زاهدين ، تزهيد ، زهد ، زَهادة ، نسك ، نَاسك ، نُساك ، متنسكين ، متناسك .

ونعرض فى الصفحات التالية لدلالات هذه الكلمات فى ضوء نصوص التوحيدى :

الزُّهد مصطلح فى التصوف الإسلامى ، وهو صفة الزاهد (الجمع زاهدون وزُهاد)[1] ولفظة الزهد اتخذت عدة معانٍ حتى استقرت كمصطلح فى التصوف الإسلامى ، ويحسن بادئ ذى بدء تحديد مفهوم الزُهد فى الإسلام .

للإسلام مفهوم خاص للزُّهْد ، فهو ليس رُهبانيّة أو انقطاعًا عن الدنيا ، وإنما هو معنى يتحقق به الإنسان ، يجعله صاحب نظرة خاصة للحياة الدنيا ، ولا يدعها تصرفه عن طاعة ربه ، إن الزهد فى الإسلام معناه ارتفاع الإنسان بنفسه فوق شهواتها وأهوائها بمحض إرادته ، مع قدرة الإنسان فى نفس الوقت على تحقيق تلك الشهوات والسير وراء هذه الأهواء ، ولكن يمنعه من ذلك إيمان قوى

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ ١٠ ، ص ٤٥١ .

بالله وبثوابه وعقابه فى الآخرة ، فالزُّهد فى الإسلام إذن منهج فى الحياة ، قوامه التقلل من ملذات الحياة ، والانصراف إلى الجاد من أمورها ، فتحقق بذلك حرية الإنسان المتمثلة فى ارتفاعه فوق شهواته وأهوائه[1] ، وبداية لزهد ورع دينى ، أى بعد عن كل ما حرم الدين وهو الكف أولا عن المعصية وعما زاد عن الحاجة ، وترك ما يشغل عن الله ثم الكف عن أمور الدنيا جميعا بتخلية القلب (وهنا ندخل فى الصوفية) والتقشف التام وترك كل ما هو مخلوق[2] .

وقد انفرد القرن الأول فى الإسلام بالعوامل الكثيرة التى شجعت على ظهور الزُّهد وانتشاره فظهرت حركة الزهد قوية عنيفة ، وانتشرت على مر الأيام فكانت زُهدًا دينيًّا خالصًا فى بادئ الأمر ثم دخل إليها بالتدريج بعض العناصر الصوفيّة حتى تحولت فى النهاية إلى أقدم صورة نعرفها للتصوف الإسلامى[3] ، وترجع العوامل الرئيسية فى ظهور نزعة الزُّهد – كما يقول جولدزيهر – إلى عاملين هامين :

الأول : المبالغة فى الشعور بالخطيئة . والثاني : الرعب الذى استولى على قلوب المسلمين من عقاب الله وعذاب الآخرة[4] ويرى جولدزيهر أن ثمة تيارين فى التصوف الإسلامى ، الأول : الزُّهد وهذا فى نظره قريب من روح الإسلام ومذهب أهل السنة ، وإن كان متأثرًا إلى حد كبير بالرهبانية المسيحية[5] ،

---

(١) مدخل إلى التصوف الإسلامى د. التفتازانى ص ٦٩ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ ١٠ ص ٤٥١ .

(٣) فى التصوف الإسلامى وتاريخه – نيكلسون ترجمة أبو العلا عفيفى ص ٤٤ .

(٤) فى التصوف الإسلامى وتاريخه – نيكلسون ترجمة أبو العلا عفيفى ص ٢ .

(٥) مدخل إلى التصوف الإسلامى ، التفتازانى ص ٦٩ . ويرى نيكلسن أنه ليس هنا ما يدل فى أقوال متصوفة الزهاد على أنهم تأثروا بالمسيحية أو بأى مصدر أجنبى آخر إلا قليلا . التصوف الإسلامى ص ٣ .

والثاني : التصوف بمعناه الدقيق[١] ، ويقول التفتازانى فى رده على من قال بأن المسيحية عامل من عوامل نشأة الزُّهد فى الإسلام : بأن رأيا كهذا فضلا عن غرابته فهو بعيد عن الروح العلمية المنصفة لاختلاف زهد الإسلام عن زهد المسيحية فى الطابع ، ولأن ما هو طبيعي أن يستمد الزهاد المسلمون مبادئهم أول ما يستمدون من القرآن والسنة وليس من أى مصدر أجنبى[٢] . فضلا لقد انفرد القرن الأول فى الإسلام بالعوامل الكثيرة التى شجعت على ظهور الزهد وانتشاره مثل الحروب الأهلية الدامية التى وقعت فى عهد الصحابة وبنى أمية ، والتطرف العنيف فى الأحزاب السياسية والاستهانة بالمسائل الخلقية ، وعسف الحكام والمستبدين الذين يعلون آراءهم الدينية على غيرهم ممن أخلصوا فى الإسلام[٣] كل أولئك عوامل حركت فى النفوس الزهد فى الدنيا ومتاعها ، وحولت أنظارهم نحو الآخرة . ثم نشأت فكرة محاسبة النفس التى توسع فيها المحاسبى ، فأصبح التعويل على زهد النفس بترك الأغراض والشهوات مما يؤدى إلى فكرة التوكل[٤] والزهد كما عرفته المعاجم فى اللغة ترك الميل إلى الشيء وفى اصطلاح أهل الحقيقة هو بغض الدنيا والإعراض عنها[٥] والزُّهد فى الشرع : أخذ قدر الضرورة من الحلال المتيقن الحل ، والزهد فى الحرام واجب عام[٦] ولا يقال الزهد إلا فى الدين خاصة ،وزَهِد يَزْهَد زُهْدًا ، وزَهادة فهو زاهد من قوم زُهاد ، ويتزهد أى يتعبد[٧] .

(١،٢) مدخل فى التصوف الإسلامى التفتازانى ص ٧٠ ، ص ٧٨ .

(٣) فى التصوف الإسلامى وتاريخه نيكلسن ص ٥٢ ، ١١٣ .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية جـ ٥ ص ٢٦٩ .

(٥) التعريفات للجرجانى ص ١٢٠ وانظر الرسالة القشيرية ص ٣٦٥ ، واللمع ص ٧٢ .

(٦) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى جـ ٣ ص ١٠٧ جمع التهانوى فى كشافه تعريفات كثيرة للزهد ولكن أشملها هو ما قاله الدارانى فى عبارة موجزة معرفا الزهد : « هو ترك ما شغلك عن الله عز وجل » وهذا الزهد كما يقول التهانوى هو زهد المقربين الذين ليس لهم مقصد إلا الوصول إليه تعالى والقرب منه . وهذا المعنى الذى ذكره التهانوى هو الأقرب إلى التصوف .

(٧) اللسان جـ ٢ ص ٥٤ وانظر تاج العروس جـ ٢ ص ٣٦٥ وانظر الكليات جـ ٢ ص ٤١١ .

وفى نصوص التوحيدى ترد تعريفات كثيرة للزهد ولنتصفح كتاباته لنر ما قاله الزهاد فى الزُّهد ، يقول أبو حيان ، قال بعض السلف : الزهد خلع الراحة وبذل الجهد ، وقطع الأمل[1] ويقول معرفًا لفظة الزُّهد : وقال الأنطاكى أحمد بن عاصم : الزهد هو الثقة بالله والتبرؤ من الخلق ، والإخلاص فى العمل ، واحتمال الذل[2] ويقول أبو حيان فى تعريفه للزهد : قال بعض الأوائل : اعتد الزهد ، واقتنه فإن فيه راحة للبدن من النصب ، وإعتاقًا للنفس من العبودية ، وقطعًا للحسرة وإذهابًا للندامة ، وتخفيفًا للسأم[3] ، ويذكر أبو حيان أقوال أبى حامد القاضى فى تعريفه للزهد فيقول : الزهد فى الدنيا لا يصح ، لأن الإنسان خلق منها وعمّرها وسكن فيها ، فلا سبيل إلى انسلاخه منها على ما يرى جفاة الصوفية وما يقولون ، فإنهم يرون الجلالة له حجابًا وحجازًا ، ويجعلونها مانعة من إصابة الزهد وسلوك محجته ، وإقامة مناره[4] ، ويقول أبو حيان أيضا عن أبى حامد : وزعم أن الزهد إنما أريد به القيام بالأمر والنهى على قدر الطاقة وكنه القوة مع التقلب بين الرجاء والخوف ، وإصلاح القلب بحسن النية فى الخير ، وبذل المجهود من الموجود لمن يحسن معه الجود[5] . وترد لفظة الزهد فى نص لأبى حيان يصف فيه الحسن البصرى فيقول : والحسن البصرى ، فإنك إذا نظرت إلى كلامه ومواعظه وزهده وحكمته . عرفت علو درجته ، وسلطان دينه ، وقوة عقـدته[6] ويوضح أبو حيان بعض الأفكار التى تحوم حول الزهد فيقول : وقد ظن قوم أن الذين منعوا من الشهوات ورضوا بالزهد فى اللذات ، خانوا الناس وحالوا بينهم وبين

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص١٢٧ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص١٢٨ .
(٣) البصائر والذخائر جـ٣ ص ٥٥١ .
(٤) البصائر والذخائر جـ١ ص٢٤٨ .
(٥) البصائر والذخائر جـ١ ص٢٤٩ .
(٦) البصائر والذخائر جـ١ ص٢٣١ والحسن البصرى شيخ زهاد البصرة وقد اتسعت حركة الزهد فى عصره وأصبحت تأخذ شكلا تنظيميا ، واتخذت فى بعض الأحيان دورا سياسيا وادعائيا. انظر الصلة بين التصوف والتشيع لكامل الشيبى ، ص ٣٣١ .

حظوظهم ، وحرموهم ما هو لهم ، وصدوهم عن محبوباتهم وهذا ظن خطأ(١) .
فى نصه هذا عرف أبو حيان فكرة الزهد من منطق عصره ، وتخطئته لمن فهم معنى الزهد بمفهوم خاطىء وللفظة الزهد مرادفات مثل الورع ، والنسك وغيرها من المترادفات التى ترد فى نصوص أبى حيان فيذكر لفظة الزهد مع النسك والتعبد قائلا : وهل من قارع لباب الصفاء بيد الوفاء على الرفق والتأييد والصبر والتوحد ، والقناعة والنزاهة ، والزهد ، والنسك ، والتعبد ، والخلوة والتفرد(٢) ، ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الزُّهد بمعنى العبادة والورع : أهل العدالة والطهارة والزهد والعبادة والورع والأمانة(٣) ، ويذكر أبو حيان فى كتاباته حديثًا للرسول ﷺ ترد فيه لفظة الزهد بمعنى أخص من الورع فيقول : قال رسول الله ﷺ : ولا ورع كالوقوف عند الشبهة ، ولا زهد كالزهد فى الحرام ولا علم كالتفكر ، ولا عبادة كأداء الفرائض(٤) .

ويشير القشيرى فى الفصل الذى عقده فى رسالته عن الزهد إلى ما يزيد فيه من الأشياء أهو الحلال أم الحرام ، ويذكر أقوالًا متعددة فى هذا المجال(٥) .

ولفظة الزهد تتطور فى معناها مع تطور الزمن ، ويكفى لبيان تطور المعنى أن ننظر باختصار إلى تطور معنى الزهد فى بيئة البصرة فقد كان فيها زهد إسلامى مثله لنا الحسن البصرى ، وهو الزهد القائم على أساس الخوف من الله ، ثم نلاحظ ظهور دافع آخر للزهد فى أواخر القرن الثانى وهو الحب لله منزه عن الخوف من عقاب الله والطمع فى ثوابه فى آن معًا . وهذا الزهد الذى ظهر عند بعض المتأخرين وعند رابعة – يمكن لما – تميز به من تعمق فى التحليل أن يعتبر مرحلة

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص٩١ .
(٢) الإشارات الإلهية ص ٣٩ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص٧٦ .
(٤) البصائر والذخائر جـ١ ص ١٠٣ .
(٥) الرسالة القشيرية ص ٣٦٥ . يقول القشيرى اختلف الناس فى الزهد فى الحرام لأن الحلال مباح من قبل الله تعالى ص ٣٦٦ .

تمهيدية للتصوف . وأصحابه ، وإن كانوا يتقربون من التصوّف لا يعدون صوفية بالمعنى الدقيق للكلمة ، وإنما يمكن اعتبارهم روادًا أوائل لمن سيجىء بعدهم من صوفية القرنين الثالث والرابع[1] . وترد لفظة الزهد فى نصوص من كتابات أبى حيان بالمعنى اللغوى وهو الكف عن طلب الشيء والعزوف عن الأمور الدنيوية . ففى نص لأبى حيان من هوامله يتساءل فيه موردًا لفظة الزهد فيقول : لم تواصى الناس فى جميع اللغات والنحل وسائر العادات والملل بالزُّهد فى الدنيا ، والتقلل منها والرضا بما زجا به الوقت ، وقيس مع الحال ، هذا مع شدة الحرص والطلب[2] ، ويقول أبو حيان أيضًا موردًا لفظة الزهد بمعنى عدم الرغبة والإعراض عن الشيء فيتساءل : لم عظم ندم الإنسان على ما قصر فيه من إكرام الفاضل وتعظيمه ، واقتباس الحكمة منه بعد فقده ؟ ولم كان يعرض له الزهد فيه مع التمكن منه ، والانقطاع إليه[3] ويقول أبو حيان أيضا ذاكرًا لفظة الزُّهْد بمعنى التعفف عن طلب متاع الدنيا : ولا يجدون ألم الشح والبخل – يقصد المتفلسفين – ولا يأنفون من عارها وطلبنا العلة فى ذلك مع ما يقتضيه مذهبهم من الزهد والبذل والإيثار والتكرم فوجدناها فى آثار النجوم والنظر فى دلالتها[4] .

وعن **الزُّهاد** والمفرد **زَاهِد** ومُتَزهِّد يحدثنا أبو حيان حديثًا طويلًا فى كتاباته فيذكر هذه الألفاظ فى أماكن كثيرة جدا . ولفظة الزاهِد جاءت عند أبى حيان بمعنى المُعْرِض عن متاع الدنيا ولذاتها والعابد المواظب على العبادة . وأشمل تعريف للفظة الزاهِد جاءت فى كشاف التهانوى وفيه يقول التهانوى الزاهِد : هو الذى شغل نفسه بما أمره مولاه ، وترك شغله عن كل ما سواه . وقيل : من يخلو

---

(١) مدخل . التصوف الإسلامى ، التفتازانى ص١٠٦ .
(٢) الهوامل والشوامل ص٢٤ .
(٣) الهوامل والشوامل ص٢٥٤ .
(٤) مثالب الوزيرين ص٢٤٩ .

قلبه عن المقصود كما تخلو يداه عن الأسباب ، وقيل : هو من لا يأخذ من الدنيا إلا قوتًا[1] .

ولفظة الزَّاهد يذكرها أبو حيان فى أماكن كثيرة من كتاباته ففى نص من كتاب الإمتاع والمؤانسة ترد لفظة الزاهد فى حديث لأبى حيان يروى فيه قصة شيخ من شيوخ الصوفية فى تلك الأيام فيقول على لسان هذا الشيخ : كنت بنيسابور وجماعة غرباء وقلنا ليلة : قوموا بنا غدا حتى نزور أبا زكرياء الزاهد ، ونظل نهارنا عنده لاهين عما نحن فيه ، مقتدين به ، فغدونا وصرنا إلى أبى زكرياء الزاهد ، فرح بزيارتنا وقال : ما أشوقنى إليكم ، حدثونى ما الذى سمعتم من حديث الناس ، وأمر هؤلاء السلاطين ؟ فلما ورد علينا من هذا الزاهد العابد ما ورد ، دهشنا واستوحشنا ، قال : فَخَفَّفْنا الحديث وانسَلَلْنا ، وقلنا : ميلوا بنا إلى أبى عمرو الزاهد فله فَضْلٌ وعبادة وعِلمٌ وَتَفَرُّدٌ فى صومعته حتى نقيم عنده[2] فمشينا إلى أبى عمرو الزاهد فسر بحضورنا ، ثم قال : يا أصحابنا ما عندكم من حديث الناس ؟ فعجبنا من هذا الزاهد الثانى أكثر من عجبنا من الزاهد الأول[3] جاءت لفظة الزَّاهد فى نص أبى حيان بمعنى العابد المواظب على العبادة .

يذكر أبو حيان لفظة الزَّاهد بمعنى المعرض عن الدنيا المتعبد الذى لا يعرف الكذب فيقول فى نصٍّ من كتابه الصداقة والصديق مخاطبًا صديقًا له : وقد جدنى الفكر إلى تعرف ذلك منك فلسانك أنطق بالصدق من لسان العابد الزَّاهد[4] .

ويذكر أبو حيان لفظة الزَّاهد فى نصوص من كتاباته وذلك فى حديثه عن زُهاد عصره فيقول : قلت لموسى بن عمران الخلقانى وكان امرأ صدق زَاهدًا : أبشر

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى جـ٣ ص١٠٨ .

(٢،٣) الإمتاع والمؤانسة جـ٣ ص ٩٢ ، ٩٣ . (٤) الصداقة والصديق ص ٨٨ .

يا أبا عمران إن هذا الضيق الذى أنت فيه يأتيك من الله بسعة رزق[1] ، ويقول فى بصائره ذاكرًا لفظة الزّاهد فى وصفه لعالم من علماء اللغة . قال رجل لأبى عمر الزّاهد صاحب كتاب الياقوت فى اللغة : أنت والله عين الدنيا ، فقال : وأنت بؤبؤ تلك العين[2] . وفى بعض نصوص أبى حيان ترد لفظة زاهد بالمعنى اللغوى أى بمعنى المُعْرِض ، غير الراغب والمقل وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : قيل للعتابى : إنّا نراك زاهدًا فى استطراف الإخوان ، قال إنى لم أحمد تالدهم[3] وبهذا المعنى أيضا ترد لفظة «زاهد» عند أبى حيان فى نصٍّ له من هوامله يتساءل فيه فيقول : ما سبب محبة الناس لمن قل رزؤه ، حتى إنهم ليهيئون الطعام الشهى له بالغرم الثقيل ، ويحملونه إليه فى الجون على الرؤوس ، ويضعونه بين يديه . وكلما ازداد ذلك الزاهد تمنعا ازداد هؤلاء لجاجة فإن مات اتخذوا قبره مصلى ، وقالوا : كان كثير الصوم ، قليل الرزء[4] .

ولفظة الجمع «زُهاد» ترد عند أبى حيان فى أماكن متعددة من كتاباته فقد خصص أبو حيان صفحات من كتاباته لحديثه عن الزهاد المتعبدين وعن شؤون حياتهم وطبقاتهم فقد أفرد جزءًا كبيرًا من كتاب الإمتاع والمؤانسة للزهاد فى عصره أو العصر الذى سبقه وفى هذا المجال يقول ذاكرًا لفظة الزهاد : وأما حديث الزهاد وأصحاب النسك فإنه كان تقدم بإفراد جزء فيه وقد أثبته فى هذا الموضع ، ولم أحب أن أعزله عن جملته ، فإن فيه تنبيها حسنا ، وإرشادا مقبولا[5] ، ويقول أيضا ذاكرًا الزهاد فى نصٍّ له من الإمتاع : مخاطبًا جلساءه : وإنما غرَّكم ظنكم بالزهاد ، وقلتم لا ينبغى أن يكون الخبر عنهم كالخبر عن العامة ، لأنهم الخاصة ، ومن الخاصة خاصة الخاصة ، لأنهم بالله يلوذون وإياه يعبدون وعليه يتوكلون ،

---

(١) البصائر والذخائر جـ٣ ص ٦١١ .
(٢) البصائر والذخائر جـ٢ ص ٣١٨ .
(٣) الصداقة والصديق ص ٣٥ .
(٤) الهوامل والشوامل ص ١١٤ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص ١١٨ .

وإليه يرجعون[١] . يسمى أبو حيان الزُّهاد بخاصة الخاصة .

ويقسم أبو حيان الزُّهاد إلى طبقتين فيقول على لسان أبى سليمان : الزهاد فى الدنيا على طبقتين : منهم من يزهد فى الدنيا ولا تفتح له روح الآخرة فهو يغتم فى دنياه لأن نفسه قد يبست من شهواتها ، وليس شىء أحب إليه من الموت لما يرجو من نعيم الآخرة ، ومنهم من يزهد وتفتح له روح الآخرة فليس شىء أحب إليه من البقاء ليطيع[٢] .

ويذكر أبو حيان **علم الزُّهاد** وذلك فى حديثه عن يحيى بن معاذ فيقول على لسانه : من تعلم علم أبى حنيفة فقد تعرض للسلطان ، ومن تعلم النَّحو والعربية دُلِّهَ بين الصبيان ، ومن عَلِم عِلْم الزُّهاد بلغ إلى العرش[٣] ويورد أبو حيان لفظة الزُّهاد فى كتاباته مرادفة للفظة «عباد» ففى نصٍّ له يقول فيه ذاكرًا هاتين اللفظتين : وأين كان الصدر الأول من الفلسفة ؟ أعنى الصحابة ، وأين كان التابعون منها ؟ ولِمَ خَفى هذا الأمر العظيم مع ما فيه من الفوز والنعيم – على الجماعة الأولى والثانية والثالثة إلى يومنا هـذا وفيهم الفقهاء والزُّهاد والعباد وأصحاب الورع والتقى[٤] وفى نصٍّ آخر يذكر أبو حيان لفظة الزُّهاد مرادفة للفظة العباد فيقول : قال أبو عثمان النيسابورى – وكان من الزُّهاد العباد : أنكر على أبو حفص أيام ملازمتى وخدمتى له – شيئًا فضقت ذرعًا[٥] . ويذكر أبو حيان لفظة زاهدين جمعًا سالمًا «لزاهد» فيقول : نجا من آفات الدنيا من كان من العارفين ، ووصل إلى خيرات الآخرة من كان من الزاهدين ، وظفر بالفوز والنعيم

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ٣ ص ٩٥ .

(٢) البصائر والذخائر جـ٢ ص ٣٣٥ . ويضيف صاحب كتاب اللمع طبقة ثالثة على هاتين الطبقتين اللتين ورد ذكرهما عند أبى حيان فيقول : الزهاد على ثلاث طبقات : المبتدئون ، والمتحققون فى الزهد ، والفرقة الثالثة علموا وتيقنوا اللمع للطوسى ص ٧٣ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص ١٢٣ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص ١٤ .

(٥) الصداقة والصديق ص ٤٢ .

مع قطع طمعه من الخلق أجمعين ، والحمد لله رب العالمين[(١)] ، ويقول فى إشاراته موردًا لفظة زاهدين بمعنى المتعبدين : وليس على وجهك سحناء الزاهدين وعلى شمائلك سكون المخبتين[(٢)] . ويذكر أبو حيان أصحاب الزهد فيقول فى وصفه لأحدهم : وصفوته من أهل الورع أهل الزهد ، وصفوته من أهل الزهد أهل البصيرة[(٣)] .

وهناك ألفاظ أخرى مشتقة من « المادة» (ز هـ د) ذكرها أبو حيان فى كتاباته مثل متزهد ، وتزهيد ، وتزهد ، وزهادة والفعل زهد ، ويزهد ، وقد وردت هذه الألفاظ فى أماكن متعددة من نصوص أبى حيان وسوف أذكر مثالا لكل منها أو مثالين على الأكثر . فلفظة **مُتَزَهِّد** يذكرها أبو حيان فى وصفه لأحدهم فيقول : وقال حامد اللفاف المُتَزَهِّد : المرائى إذا ضاف إنسانا حدثه بسخاوة إبراهيم ، وإذا ضافه إنسان حدثه بزُهد عيسى بن مريم[(٤)] . معنى المتزهد فى نص أبى حيان هو البخيل المقتر .

ولفظة «**زهادة**» ترد عند أبى حيان بمعنى العبادة ففى نصٍّ له من الإشارات الإلهية يقول أبو حيان : أيها الباحث عن غيب هذه الشهادة بلسان النسك والزهادة تلق محبته لك بروحك[(٥)] ويقول أيضا : ولا أرواحكم هشت للاستفادة ، ولا أطماعكم انحمت بالزهادة[(٦)] ويقول فى الإشارات : والرياضة دونه عن نية التأثث فى العبادة وعن حال راثت فى تحقيق الزهادة[(٧)] .

ويذكر أبو حيان لفظة **تزهيد** بمعنى الترك والابتعاد عن الشيء فيقول : وتسهيل طريق فى أعتاب ، وتهنئة مسرور ، وتسلية محزون ، وتلهية عاشق ،

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص ١ .
(٢) الإشارات الإلهية ص٢٠٧ .
(٣) البصائر والذخائر جـ٢ ص٣٣٩ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ٣ ص ٣ .
(٥) الإشارات الإلهية ص ٢٧٢ .
(٦) الإشارات الإلهية ص ٣٨١ .
(٧) الإشارات الإلهية ص ٦٢ .

وتزهيد راغب ، وحسم مادة من طمع[1] . ولفظة «**تَزَهُّد**» ترد عند أبي حيان فى قوله : إن شرف الإنسان هو الفوز بالسعادة العظمى ، ونيل المنزلة عند الله تعالى ، فمن الواجب أن يكون غرض الصناعة المعينة بشأن الإنسان بما هو إنسان ، أعنى النسك والتزهد ، هو تحصيل السعادة العظمى والمنزلة عند الله تعالى[2] معنى التزهد فى نص أبي حيان مرادف للزهد والعبادة . ويذكر أبو حيان لفظة **أزهد** بمعنى أكثر تعبدا فيقول على لسان عبد الله بن المبارك : كتبت عن أفقه الناس عن أبي حنيفة ، وأزهد الناس الثورى ، وأورع الناس عبد العزيز بن أبي داود[3] .

والفعل «**زَهَدَ**» بمعنى أعرض يرد عند أبي حيان فى حديثه عن الصاحب فيقول : يذم شيئا فى الظاهر ثم يحبه فى الباطن ويزهد غيره فى شيء وهو يؤثره[4] ، والفعل **تَزَهَّد** بمعنى أعرض عن يذكره أبو حيان فى نص له يقول فيه ناصحًا : لا تعادين أحدًا وإن ظننت أنه لا يضرك ولا تزهدن فى صداقة أحد ، وإن ظننت أنه لا ينفعك[5] ، ويقول أيضا فى بصائره ذاكرًا الفعل تزهد بهذا المعنى اللغوى : ولا تزهدن فى صداقة أحد وإن ظننت أنه لا ينفعك[6] ، النص يتكرر فى كتابات أبي حيان وهذا ما نلاحظه كثيرًا .

ولفظة «**نُسْك**» ترادف لفظة زُهْد فى المعنى ، فالمصطلح «زهد» إذ يحل محل «نسك» المرادف له فى النصوص القديمة[7] وجاء فى اللسان وفى المعاجم الأخرى : النُّسْك ، والنُّسُك : العبادة والطاعة وكل ما تقرب به إلى الله تعالى . وقد نَسَكَ لله يَنْسُك ذبح لوجهه نَسْكًا ومَنْسكا . وأصل النُّسُك بالضم وبضمتين أو النَّسْك

---

(١) المقابسات ص ٦٠ .

(٢) المقابسات ص ٣٤٩ .

(٣) البصائر والذخائر جـ٢ ص٣١٣ .

(٤) مثالب الوزيرين ص٨١ .

(٥) الصداقة والصديق ٣٨١ .

(٦) البصائر والذخائر جـ١ ص٤٨٢ .

(٧) دائرة المعارف الإسلامية جـ ١٠ ص ٤٥١ .

بالفتح الدم ، والنَّسْك بالفتح المكان فى خير كان أو غيره . ونَسَك وتَنَسَّك أى تَعَبَّد . وَنَسُكَ ، بالضم صار نَاسِكًا والجمع نُسَّاك . وقيل للمتعبد ناسِك لأنه خلص نفسه وصفاها لله تعالى من دنس الآثام كالسبيكة المخلصة من الخَبَث . ومن المجاز نَسَكَ الثوب أو غيره غسله بالماء فطهره فهو منسوك ، وأرض ناسِكه أى خضراء حديثه المطر فاعِلَة بمعنى مفعولة ، وعشب ناسِك شديد الخضرة وهو مجاز[1] .

ويعرف أبو حيان لفظة النُّسْك فيقول فى مقابساته : النُّسْك والتزهد ، هو تحصل السعادة العظمى والمنزلة عند الله تعالى[2] ، ويذكر أبو حيان لفظة النُّسك مرادفة للفظة التصوف فيقول فى وصفه لجزء من كتاب البصائر والذخائر : وفيه كلام غير هذا يمر فى الخبر أفرده لأصحاب الضمير والوساوس الذين يصيرون إلى مذاهب النسك والتصوف[3] وفي نص له من مقابساته يقول أبو حيان موردًا لفظة النُّسك : هذه مقابسة تشتمل على كلمات شريفة ، من كلام أبى الحسن محمد بن يوسف العامرى ، علقت وسمعت أكثرها منه وهى التى مرت فى شرحه لكتابه الموسوم **بالنُّسك العقلى** ، ويصلح أن يأتى عليها هذا الكتاب[4] . فى نص أبى حيان نجد أنه ذكر مصطلح النُّسك العقلى وهذا من المصطلحات التى استحدثت فى العصر العباسى . وترد لفظة نُسْك بمعنى العبادة فى نص يقول فيه : أيها الباحث عن غيب هذه الشهادة بلسان النُّسْك والزهادة ، تلق محبته لك بروحك ، وانعم بنسيم وده تجد راحتك[5] ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة نُسْك فى نصٍّ ورد على لسان على بن عيسى الوزير فى وصفه لأبى مجاهد فقال : وجدته متواضعًا فى علمه

---

(١) اللسان جـ ٣ ص ٦٢٨ ، وانظر أساس البلاغة جـ ٤ ص ٤٣٩ والقاموس المحيط جـ ٤ ص ٣٦٦ وتاج العروس جـ ٧ ص ١٨٦ .

(٢) المقابسات ص ٣٤٩ .

(٣) البصائر والذخائر جـ٤ ص ١٢٥ .

(٤) المقابسات ص ٣٤٠ .

(٥) الإشارات الإلهية ص ٢٧٣ .

هشا فى نُسْكه ، كتومًا لسره ، حافظًا لمروءته[1] .

ومن المادة (ن س ك) ترد فى كتابات أبى حيان مجموعة من الاشتقاقات مثل ناسِك ونُسَّاك ، ومُتَنَسِّك ومتنسِّكين ، ويرد أيضا الفعل تَنَسَّك . فلفظة **ناسِك** بمعنى عابد يذكر أبو حيان هذه اللفظة فى نصٍّ له من إشاراته الإلهية فيقول مخاطبًا : ويا أيها النَّاسِك اثبت فالشجاع من ثبت ، ويا أيها العابد : أخلص ، فالمقبول من أخلص[2] ويقول أبو حيان أيضًا ذاكرًا لفظة الناسِك بهذا المعنى الدينى : قال ابن الخليل : اعلم ! أنى قد أصبحت بيد إمام لا يعدل ، ووزير لا يفضل ، وعالم لا يتأله ، وناسك لا يتنزه ، وغنى لا يواسى[3] .

وعن **أصحاب النُّسْك** والنُّسّاك يحدثنا أبو حيان فيقول فى أحد نصوصه موردًا مصطلح أصحاب النسك : فأما أصحاب النُّسْك ومن عرف بالعبادة والصلاح ، فقد ادعى لهم أن الصفـر يصـير ذهبًا ، وشيئًا آخر يصير فضة[4] ، ويقول أبو حيان أيضا : وأما أحاديث الزُّهاد وأصحاب النسك فإنه كان تقدم بإفراد جزء فيه ، وقد أثبته فى هذا الموضع[5] ، يقصد كتاب الإمتاع والمؤانسة .

ولفظة الجمع **نُسّاك** ترد فى أحاديث أبى حيان المنتشرة بين طيات كتاباته ففى نصٍّ له من كتاب البصائر والذخائر يقول مخاطبًا القارىء ومتحدثا إليه عن محاسن النُّسّاك : هذا أيدك الله – آخر الجزء الثالث ، وقد حوى من فقر البلغاء ، ونوادر الأدباء ، ومحاسن النُّسّاك والحكماء ما أسأل الله أن ينفعك به والرابع يتلوه على رسمه[6] .

وترد لفظة النُّسّاك بمعنى المنقطعين لعبادة الله فى نص لأبى حيان يقول فيه عن

---

(١) الصداقة والصديق ص ١٩٨ .
(٢) الإشارات الإلهية ص ٣٥٠ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٦ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص ٣٧ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص١١٨ .
(٦) البصائر والذخائر جـ٣ ص٦٨٣ .

صاحب مجالس الإمتاع وما طلبه منه : فقال : اجمع لى جزءا من رقائق العباد وكلامهم اللطيف الحلو ، قلت : أفعل ، فكتبت تمام ما تقدم به ، ثم كتبت بعد ورقات فى حديث النُّسّاك[1] وترد لفظة النساك أيضا فى حديث لأبى حيان عن اثنين من معاصريه وهما أبو سعيد الحسن ومروان بن المهلب فيقول أبو حيان واصفًا محادثة جرت بينهما : لا أقول : إن مروان بن المهلب أحق بما قال من الحسن ولكن الحسن تكلم على مذهب النُّسّاك ومروان قائل ذلك بمذهب الفتاك[2] ، ولفظة **مُتَناسِك** بمعنى متعبد ترد عند أبى حيان فى قوله : شاهدت قبل هذا إنسانًا متناسكًا وكان له حظ مِن التجربة ، بالسن العالية ، والسفر البعيد وكان متميزًا بمذاهب الصوفية[3] ويذكر أبو حيان لفظة الجمع مُتَنَسِّكين بمعنى متعبدين وذلك فى وصفه لأبى على العسوى فى مجلس من مجالس الإمتاع فيقول : وأبو على يشرب ويتخالع ويفارق هدى أهل العلم وطريقة الربانيين وعادة المتنسكين[4] .

والفعل «**تَنَسَّكَ**» بمعنى تعبد يذكره أبو حيان فى حديثه عن حماد عجرد وأبى حنيفة فيقول : كان حماد عجرد ينادم أبا حنيفة ، فلما تنسك أبو حنيفة وطلب الرأى قطعه وكان يعينه[5] .

وقبل أن نختم الحديث عن التصوف والصوفية والزُّهد والزُّهاد والنُّسْك والنُّسّاك ، يجب أن نشير إلى صعوبة تحديد فواصل زمنية بين حركتى الزهد والتصوف فى الإسلام ، إذ التطورات الفكرية لا تخضع بطبيعتها للتحديد الزمنى . ولنر ما قاله الباحثون فى هذا الصدد ، ونبدأ بالباحثين المحدثين ثم نختم حديثنا بالقدماء .

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص٨٠ .
(٢) مثالب الوزيرين ص٣٠ .
(٣) المقابسات ص١٩٤ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص١٣٢ .
(٥) البصائر والذخائر جـ٣ ص٤٦٩ .

يقول نيكلسون فى كتابه « فى التصوف الإسلامى وتاريخه » : لا يستطيع أحد أن يفصل الزهد عن التصوف أو يميز بينهما ، بل إن كثيرًا من المسلمين الذين أطلقوا على أنفسهم اسم الصوفيّة حتى القرن الثالث (الذى ظهرت فيه التفرقة بين الزُهد والتصوف واضحة جلية) لم يكونوا فى الحقيقة إلّا زُهادًا على حظ قليل جدا من التصوف فالأولى إذن أن نعتبر أوائل الصوفية منتمين إلى حركة الزهد[1] .

ويعلق التفتازانى فى كتابه مدخل إلى التصوف الإسلامى على أقوال نيكلسن فيقول : ملاحظة نيكلسون هذه تصدق على زهاد يتردد ذكرهم فى كتاب التصوف لقرابين وتعتبرهم بعض كتب التراجم من الطبقة الأولى من طبقات الصوفيةوحياتهم تقع فى القرن الثانى الهجرى ويمثلون فى الواقع طورًا انتقاليا ينتهي بانتهاء القرن الثانى تقريبا[2] . ولذلك فإن من الأدق عدم إطلاق اسم الصوفية على زهاد المسلمين حتى أواخر القرن الثانى ونؤثر أن نطلق عليهم ما أطلقته المصادر العربية القديمة من تسميات كالزهّاد والعبّاد ، والنسّاك ، والقرّاء وما إلى ذلك ، ويقول إبراهيم بسيونى فى كتابه «نشأة التصوف» : إن الزهد الصوفى معبر إلى الحب ، ومن هنا كان الانتقال من أفكار الزهد المعروفة فى القرن الثانى – أو على الأصح فى نصفه الأخير – إلى مذاقات الحب والفناء ، والمعرفة فى القرن الثالث انتقالا طبيعيا[3] .

هذا ما قاله الباحثون المحدثون من مستشرقين وغيرهم عن الفصل بين الزهد والتصوف والصعوبة فى التفريق بينهما في ذلك العصر العباسى المبكر ، ولكن هناك من يحدثنا عن حركة الزهد ، والتصوف وهى فى بدايتها وهو ينظر إليها من

---

(١) فى التصوف الإسلامى وتاريخه نيكلسن ص٤٨ . ·

(٢) مدخل إلى التصوف الإسلامى للتفتازانى ص ٩٨ ، ١٠٧ .

(٣) نشأة التصوف الإسلامى د . إبراهيم بسيونى ص ١٣١ ، ١٣٢ .

قرب ويطل عليها من نافذة التاريخ القريبة من عصره فابن الجوزى صاحب كتاب « تلبيس إبليس » الذى أورد فى كتابه هذا أمثلة طريفة على الزهد استمدها من سير أشهر الصوفية فى لغة ساخرة مرة[1] وقد ميز ابن الجوزى فى كتابه هذا بين التصوف والزهد على أساس منهجى وقال : التصوف مذهب معروف يزيد على الزهد ، والصوفية انفردوا عن الزهاد بصفات وأحوال ، وتوسموا بسمات ، فاحتجنا إلى إفرادهم بالذكر ، والتصوف طريقة ابتداؤها الزهد الكلى[2] .

مما تقدم نجد أن لفظة الزُّهْد جاءت عند أبى حيان بمعنى العبادة وبمعنى الترك للشيء وعدم الرغبة فيه . ولفظة الزَّاهِد جاءت بمعنى العابد وبمعنى المُعْرِض وغير الراغب فى الشيء . وجاءت لفظة زهادة مرادفة لمعنى العبادة وبهذا المعنى الخاص بالعبادة جاءت الألفاظ أزهد ، وتزهيد وتزهد ، أما لفظة متزهد فقد ذكرها أبو حيان بمعنى المتعبد ومعانى الألفاظ هذه هى مطابقة للمعانى التى وردت فى اللسان .

ولفظة الناسك ترادف لفظة الزاهد ، وظهرت لفظة الزاهد والناسك كمصطلحين أطلقا على طبقة معينة من الناس فى القرن الثانى الهجرى وما بعده ، وهى طبقة كانت منقطعة لعبادة الله ولهم غاية شديدة بأمر الدين ، والابتعاد عن ملذات الحياة ، ومظاهر الحضارة المادية التى شاعت فى العصر العباسى فى هذه الفترة .

---

(١) تلبيس إبليس ابن الجوزى ١٧١ نقد ابن الجوزى الأصفهانى فى اعتباره الحسن البصرى وسفيان الثورى وغيرهما من الصوفية ، ونقد السلمى فى اعتباره إبراهيم بن أدهم ، والفضيل بن عياض من الصوفية .

(٢) تلبيس إبليس ابن الجوزى ص ١٧٥ .

مما تقدم يتضح أن لفظة **النُّسْك** جاءت فى نصوص أبى حيان بمعنى العبادة وهى مرادفة للفظة الزُّهد . وجاءت لفظة النَّاسِك والجمع نُساك بمعنى العابد والجمع العباد ، وهى مرادفة للفظة الزاهد والجمع الزهاد . وهذه المعانى هى نفس المعانى التى وردت فى اللسان عند تناوله للمادة (ن س ك) أما لفظة متناسك التى جاءت عند أبى حيان بمعنى المتعبد وجمعها المتنسكين بمعنى المتعبدين ، فقد غفل صاحب اللسان عن ذكر لفظة المتناسك . فهى إذن اشتقاق جديد ظهر فى العصر العباسى وكثر استخدامه فى عصر أبى حيان ، واستعمله أبو حيان بكثرة فى كتاباته وذكر صيغة الجمع أيضا متنسكين .

وفى مجال التغير الدلالى يتضح لنا أن لفظة النسك انتقلت دلالتها من المجال المادى إلى المجال المعنوى ، واستخدمت فى عصر أبى حيان بهذا المعنى الذى أخذته من المعنى القديم للكلمة وهو مكان الذبح . ومن ذبح القرابين التى كانت تستخدم قديمًا حيث كانت تقدم للآلهة . وكذلك التطهير بالماء أو استعمال الزيت المعطر ، وهذا الأمر شمل معظم الشعوب السامية ، فاستخدمت الذبائح بدلالاتها الدينية القديمة ، عند العرب الجاهليين وعند الأمم الأخرى باختلاف أجناسها وعقائدها . حيث كانت تقدم القرابين للآلهة ، ومن الذبح والتطهير أخذت لفظة النسك معنى العبادة والانقطاع لله وتطهير النفس من الآثام . فانتقل معنى الدلالة من مجال مادى هو موضع الذبح والتطهير إلى مجال معنوى وهو التطهير للعبادة . ونجد أن لفظة النُّسك قد تخصصت دلالتها حينما أضيفت إلى لفظة أخرى مثل (العقلى) فاصطلاح النسك العقلى اصطلاح جديد استخدمه أبو حيان فى كتاباته .

ثالثا : مقامات ، ومراتب ودرجات الصوفية :

كان للمقامات والمراتب دور مهم فى التصوف الإسلامى . فالأساس فى التصوف يقوم على التجربة الباطنة المباشرة وعلى الاتصال بين العبد والرب . وهذا الاتصال ضرورى جدًّا فى مفهوم التصوف ويقوم على توكيد الوجود الحق ، أو الموجود الواحد الأحد الذى يشمل كل الموجودات ، وفى إمكان الاتصال به اتصالًا متفاوتًا فى المراتب حتى يصل المرء إلى مرتبة الاتحاد التام ،ومن هنا كان طريق التصوف سلّمًا صاعدًا ذا درجات نهايتها عند الذات العلية .

وللصوفية كلام طويل فى المقامات والدرجات والمراتب ، وخلاصته أن الطريق إلى الله – أى طريق الوصول إلى الله شاق عسير يجب أن يتدرج فيه المُريد فى مراحل يسلم بعضها إلى بعض وهذه المراحل المتعددة تسمى المقامات التى يتوصل إليها – كما يقول الباحثون فى التصوف – بالمجهود الشخصى . ويبيّن لنا الطوسى صاحب كتاب اللُّمع وهو من أقدم كتب الصوفية معنى المقامات وذلك فى الفصل الذى عقده للمقامات وحقائقها فيقول : فإن قيل : ما معنى المقامات ؟ يقال : معناه مقام العبد بين يدى الله عز وجل ، فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع إلى الله عز وجل ، والمقامات مثل التوبة والورع والزهد والفقر وغير ذلك[1] .

والقشيرى فى رسالته القشيرية يفسر الألفاظ التى تدور بين الصوفية – فيقول فى تفسيره للمقام : هو ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب ، مما يتوصل إليه بنوع تصرف ، ويتحقق به بضرب تطلب ، ومقاسات تكلف . فمقام كل أحد : موضع إقامته عند ذلك ، وما هو مشتغل بالرياضة له . وشرطه : أن

---

(١) اللمع للطوسى ص ٦٥ .

لا يرتقى من مقام إلى مقام آخر ، ما لم يستوف أحكام ذلك المقام ، فإن من لا قناعة له لا يصح له التوكل ومن لا توكل له لا يصح له التسليم ، وكذلك من لا توبة له لا تصح له الإنابة ، ومن لا ورع له لا يصح له الزهد(١) .

ويلاحظ أن جميع مقامات الصوفية وأحوالهم التى هى موضوع التصوف أساسا مستندة إلى شواهد من القرآن الكريم(٢) يذكر الله سبحانه أصحاب المقامات فى كتابه العزيز بمعان متفرقة منها قوله تعالى : ﴿ قال الذين كفروا للذين آمنوا أى الفريقين خير مقاما ﴾(٣) وقوله تعالى : ﴿عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا ﴾(٤) وقد اجتهد بعض الصوفية فى تحديد المقامات وهى المكاسب التى يحصل عليها السالك أثناء رحلة مجاهداته وإخلاصه وطاعته لله تعالى ، فيرى الحكيم الترمذى أن المقامات أربعة ، وهى مقام الصادقين والصديقين والمقربين والمتفردين(٥) .

والسهروردى يقسم المقامات إلى خمس درجات ، أعلاها مقامًا التوحيد وفيها يصل السالك إلى نور الأنوار(٦) ، ويشير ابن خلدون فى مقدمته إلى تدرج الصوفى لمراحل طريق تصوفه فيقول : ولا يزال المُريد يترق من مقام إلى مقام إلى أن ينتهى إلى التوحيد والمعرفة التى هى الغاية المطلوبة للسعادة(٧) ، ومقام التوحيد أو المعرفة بالله هو آخر مقامات الطريق(٨) .

هذه بعض الشروح للفظة المقام استخلصتها من كتب الصوفيّة وكتب الباحثين

---

(١) الرسالة القشيرية للقشيرى ص ٢٣٤ .
(٢) معجم ألفاظ القرآن ج ٢ ص٤٥٠ ، ٤٥١ .
(٣) سورة مريم الآية ٧٣ .
(٤) سورة الإسراء الآية ٧٩ .
(٥) الألفاظ الصوفية للشرقاوى ص١٣٢ .
(٦) أصول الفلسفة الإشراقية محمد على أبو ريان ص٩ .
(٧) المقدمة ص ٤٦٨ .
(٨) مدخل إلى التصوف الإسلامى . التفتازانى ص ١٢٩ .

المختصين بالتصوف وألفاظه ، وهناك العديد من الشروح فى المعاجم لهذه اللفظة جاء فى اللسان : المَقام والمَقامة : الموضع الذى تقوم فيه . والمُقام ، والمُقامة : الموضع الذى تقيم فيه . والمَقام والمُقام قد يكون كل واحد منهما بمعنى الإقامة ، وقد يكون بمعنى موضع القيام ، فإن جعلته من قام يقوم فمفتوح ، وإن جعلته من أقام يقيم فمضموم . والمُقامة بالضم : الإقامة ، والمَقامة بالفتح : المجلس والجماعة من الناس . ومقامات الناس : مَجالِسهم . وقيل المَقام المنزلة الحسنة[١] ويطلق المَقام على المجلس نادرًا ، ويطلق على المكانة والمنزلة الأدبية مجازًا[٢] والمقام بلسان أهل التصوف هو الوصف الذى يثبت على العبد ويقيم[٣] .

ولفظة **مَقام** والجمع **مَقامات** ترد عند أبى حيان التوحيدى فى نصوص كثيرة جدًّا من كتاباته وخَصَّ كتابه الإشارات الإلهية بالعدد الوفير من هذه النصوص ، ترد لفظة مقام بمعنى المكانة والمنزلة فى ابتهالاته فيقول فى نص له من إشاراته : أيها السامع ! احضر بقلبك ، واستدرك بلبك ، وانظر لنفسك فى يومك بغير ما كنت عليه فى أمسك فلا خاسر أخسر فيك إن لم يكن لك سكون من يقين أو تبصر من معرفة ، أو وجد لمشاة خلصت على الاتصال والتأييد فإن جسرت على أن تدعى هذا المقام وتحدث نفسك بهذا المرام فهات العلامة التى تدل على هذه الكرامة[٤] ، ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة مقام بمعنى مكان القيام : أيها السامع : أما ترى تناثرى فى كلامى ، وترجحى فى مقامى ، وقصورى لتلوئى عن مرامى[٥] .

ويوضح أبو حيان معنى المقام الرفيع الذى يتمتع به العبد عند ربه فيقول :

---

(١) اللسان جـ٣ ص١٩٥ .
(٢) معجم ألفاظ القرآن جـ٢ ص٤٥٠ .
(٣) كشاف اصطلاحات الفنون جـ٥ ص١٢٢٧ .
(٤) الإشارات الإلهية ص٣٢١ .
(٥) الإشارات الإلهية ص٢٦٢ .

فإن غاية الإيمان اليقين ، وغاية اليقين ما تجده بقلبك ، وتحسه بروحك ، وتهيم عليه بفؤادك ، وإن عبدا بلغ مع الله هذ المقام ، لجدير بأن يكون قرير العين مغبوط الحال ، عظيم القدر[1] ويصف أبو حيان المنزلة الرفيعة التى يتمتع بها المتصوفة الكرام فيقول ذاكرًا لفظة مقام : هذا ذرو من الحديث عن هذا المقام الذى وصل إليه بعض الكرام[2] يتساءل أبو حيان ذاكرًا لفظة مقام بمعنى الموضع : حدثنى عنك هل هز روحك هذا الكلام ؟ وهل حولك من مقام إلى مقام[3] ؟ هذا ما قاله أبو حيان فى إشاراته عن معنى المقام عند الصوفية ، والحديث عن المقام بالمفهوم الصوفى يطول عند أبى حيان ، وترد لفظة مقام فى أماكن أخرى من كتاباته بمعنى الموضع ومكان القيام وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : وقمت لى مقام الركن والسند ، فأصبحت لى على الدهر معينا[4] ويقول أيضا فى هذا المعنى موردًا لفظة مقام : أفليس هذا الحكم لازمًا لمن قام مقامه ، وجلس مجلسه ، وألقى إليه زمام الملك[5]ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة « مقام » بمعنى المجلس : وما ألهفنى عليكم الحمد لله الذى جمعنى وإياكم فى مقام واحد[6] ويقول أبو حيان أيضا ذاكرًا لفظة مقام بمعنى مجلس : وبفضلك أتحدث فى كل مقام وناد[7]وبمعنى الإقامة يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة المقام : وإذا طاب لك المقام فى وطن . فاعلم أنك بعدت عن آثار المعدن[8] . وترد لفظة مقام بمعنى المنزلة والمكانة الرفيعة فى نص لأبى حيان يقول فيه : لقد وهب الله لهذا الرجل مقامًا عاليًا[9] استخدم أبو حيان لفظة مقام هنا استخداما مجازيا . أما لفظة المُقام بضم الميم فترد عند أبى حيان بمعنى الإقامة وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : أحب إليك المُقام عندنا ولك النصفة فى

---

(١) الإشارات الإلهية ص ٣٣٢ .
(٢) الإشارات الإلهية ص ١٥٨ .
(٣) الإشارات الإلهية ص ٣٦٦ .
(٤) مثالب الوزيرين ص ٣٤ .
(٥) مثالب الوزيرين ص ٣٥٥ .
(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ٩٣ .
(٧) الإشارات الإلهية ص ٢٤٤ .
(٨) الإشارات الإلهية ص ١٧٥ .
(٩) الإمتاع جـ ٣ ص ١٤٥ .

المعاشرة[١] وترد لفظة مقام بمعنى محل الإقامة فى نص لأبى حيان يقول فيه : فلما تولوا قال لهم : لو كانت دار مقام لاتخذنا لها أثاثًا[٢] .

يتبين لنا **مما تقدم** أن لفظة مقام بالفتح من قام يقوم جاءت عند أبى حيان بمعنى مكان القيام ، وبمعنى الإقامة ، وبمعنى المجلس وهذا قليل الورود فى كتابات أبى حيان ، وبمعنى المكانة والمنزلة وهذا استعمال مجازى للفظة المقام وهو الأكثر ورودًا عند أبى حيان أما لفظة المُقام بالضم فقد جاءت عند أبى حيان بمعنى الإقامة مصدر ميمى من أقام يقيم ، وجاءت بمعنى محل الإقامة ، اسم مكان من أقام . ومن الملاحظ أن هذه المعانى المتعددة للفظة المقام كما وردت فى نصوص أبى حيان جاءت فى اللسان من قبل أبى حيان .

ولفظة الجمع مقامات يذكرها أبو حيان فى إشاراته بمعنى المنازل الرفيعة الصعبة المنال التى يرتقى إليها الصوفيّة فى مجاهداتهم فيقول : هيهات هيهات ! لن تنال المقامات والدرجات إلا برفض الهنات وما دون الهنات[٣] ، وبهذا المعنى يقول أبو حيان فى ابتهالاته موردًا لفظة مقامات : وأقررت عيوننا بالنظر إلى وجهك فى السبحات ، فلا بشيء من الأعمال والقربات ، بل بفضلك وجودك اللذين أتيا على الطلبات والرغبات وزادا عليها مقامات وبسطات بلا غايات ، ولا نهايات[٤] ، ويقول أيضا ذاكرًا لفظة مقامات بمعنى المنازل : يا قوام الليل بالأسحار ، أبشروا عند الله بمقامات الأبرار[٥] ، وفى مناجاته يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة مقامات بمعنى المكاسب التى يحصل عليها الصوفية فهل بعد سدة النعم والكرامات ، وبعد هذه الآثار والعلامات وبعد هذه السمات والأمارات ، وبعد

---

(١) الإمتاع جـ ٢ ص ٧١ .

(٢) البصائر والذخائر جـ ٤ ص ٨٤ .

(٣) الإشارات الإلهية ص ٣٢ .

(٤) الإشارات الإلهية ص ٢٦٧ .

(٥) الإشارات الإلهية ص ٤٤ .

هذه المرامات والمقامات ، ما يهتدى إليه اقتراح بشر ؟[1] .

وبمعنى المجالس والمراكز ترد لفظة المقامات عند أبى حيان ففى هذا المعنى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة المَقامات : والولاة فى مقاماتهم المؤرخة ومجالسهم الفاخرة[2] ، ويقول أيضا ذاكرًا لفظة المقامات بمعنى المجالس : وهذه المقامات مرتبة لأصحابها[3] .

ولفظة **مقامة** يذكرها أبو حيان فى الإشارات الإلهية وفى أماكن أخرى من كتاباته بمعنى موضع الإقامة فيقول فى إشاراته موردا لفظة المقامة : اللهم لا تحرمنا هذه المقامة فى دار المقام فإنك أنطقتنا بوصفها ، وشوقتنا إليها بذكرها[4] ، ويقول أبو حيان فى إشاراته أيضا ذاكرًا لفظة مقامة : إنك ذو الجلال والكرامة فى هذه الدار ودار المقامة[5] ، ويقول أيضا فى مناجاته ذاكرًا لفظة مقامة بمعنى محل الإقامة وكان إعراض من أعرض عنك هينا علينا وهلاك من هلك من حظه سهلا عندنا ، ولكنا نرى فى ذلك ما ترينا ، فيرى غيرنا منه ما يكون زيادتنا فى مقامتنا ، وسببا للرفق فى سعادتنا[6] ، **والمُقامة** بالضم الإقامة يقال أقام إقامة .. ومُقامة[7] ومع لفظة المقام ترد فى نصوص أبى حيان لفظة **الدَّرَجَة** وقد خص أبو حيان كتابه الإشارات الإلهية بالجزء الأكبر من هذه النصوص المتضمنة للفظة الدرجة والجمع درجات . ولقد تناولت المعاجم المختلفة لفظة الدرجة بالشرح والتفصيل فأسهبت أحيانا .

جاء فى اللسان : الدَّرَجَة : الرفعة فى المنزلة . والدَّرَجَة : المِرقاة . والدَّرجَة واحدة الدَّرَجات وهى الطبقات من المراتب . والدَّرجَة : المنزلة ، والجمع دَرَجٌ ،

---

(١) الإشارات الإلهية ص١٠ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص١١٧ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ٣ ص٩٦ .
(٤) الإشارات الإلهية ص٧ .
(٥) الإشارات الإلهية ص ٢٦٩ .
(٦) الإشارات الإلهية ص٢٥٦ .
(٧) تاج العروس جـ ٩ ص ٣٥ .

وكل برج من بروج السماء ثلاثون دَرَجة ، وَدَرجات الجنة : منازل أرفع من منازل ، ودَرَجَ الرجل يدرج دُرُوجًا أى مشى . ودَرَجَ ودَرِج أى مضى لسبيله ، والمَدارج : الثنايا الغِلاظ بين الجبال ، وهى المواضع التى يدرج فيها أى يمشى . ودرّجه إلى كذا واستدرجه ، بمعنى أى أدناه منه على التدريج فتَدرَّج هو . والدَّرْج : لف الشيء[1] وأدرج الكتاب : طواه ، واستدرجه : رقاه من درجة إلى درجة ، وقيل استدعى هلكته من درج إذا مات[2] واستدراج الله تعالى العبد بمعنى أنه كلما جدد خطيئة جدد له نعمة وأنساه الاستغفار[3] .

وجاءت لفظة الدَّرَجة والجمع درجات ومعها مجموعة من الاشتقاقات الخاصة بالمادة «درج» مثل مَدارج ، واستدراج ، ومُدرج وتدريج وتدرُّج ودِرْج ودُرْج وأيضا الأفعال أدرج ، ويتدرج ويستدرج وغيرها من الألفاظ التى تدخل فى مجال الحديث عن الصوفية ونصوص أبى حيان خير دليل على استخدام هذه الألفاظ كمصطلحات صوفية ، فلفظة درجة ترد عند أبى حيان مرادفة للفظة المقام وملازمة لها فى نصوص كثيرة من كتاباته وفى نص من كتاب الإشارات الإلهية يذكر أبو حيان لفظة **درجة** بمعنى المنزلة التى لا يرتقى لها فيقول فى وصفه للقرآن الكريم : إنك أيها العالم الفقيه تتكلم فى بلاغته ونظامه وغايته ودرجته ومقامه ثم لا تجد شيئا مما ذكرتك به ووصفتك فيه ذرة تدل على صفائك فى حالك وإدراكك مالك معلمك كله لفظ وروايتك حفظ[4] ، ويذكر أبو حيان لفظة درجة بمعنى المنزلة الحسنة فى نص له من رسالة الحياة يصف فيه علو منزلة الإنسان فيقول : وأما الحياة الثالثة فهى حياة العمل الصالح بالرفع والوضع والأخذ والعطاء والعشرة والصداقة والوداعة والرعاية وحسن العهد وصدق الوعد ، وهذه الحياة

---

(١) اللسان جـ١ ص٩٦٢ .
(٢) أساس البلاغة جـ ١ ص ٢٦٧ .
(٣) تاج العروس جـ ٢ ص٣٩ .
(٤) الإشارات الإلهية ص٣٩ .

كملت الإنسان وزادت في قيمته ، وعلت من درجته ، وأفادته شرفًا أبديًا[1] ، ويصف أبو حيان من ارتفعت منزلته عند الله فيقول ذاكرًا لفظة درجة بمعنى المنزلة الحسنة : ولله الشكر على ما أفردك به ، واستفردك له ، وعلى ما جعل لك إليك من تقويم كل رابع ، وتعديل كل زائغ ، وتهذيب كل قائل ، وإغناء كل سائل . وهذه درجة الأنبياء الذين هم بين الله وبين الخلق[2] ، وفى نص للتوحيدى من كتابه المقابسات يذكر لفظة الدرجة بمعنى منزلة العبد عند خالقه فيقول على لسان الصوفية : إن المتدين يفتتح بدرجة التقليد ، ثم يترق رويدا رويدا إلى معلوة التحقيق[3] ، ويقول واصفًا منزلة المتدين وموردًا لفظة درجة بمعنى المكان والمنزلة الرفيعة : وصاحب هذه الحال فائز بالسعادة العظمى ومتبوئ الدرجة العليا[4] . ويذكر أبو حيان لفظة درجة فى بعض نصوصه كمصطلح من مصطلحات علم الفلك أى بمعنى جزء من أجزاء بروج السماء وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : لعلك تقول : مواضع الكواكب ، ودرجة الطالع ، وشكل الفلك اقتضت له هذه الأحوال ، وقصرته على هذه الأمور[5] وبهذا المعنى الخاص بالبروج يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة درجة : والثالث إذا كانت فى أعلى درجة من الجوزاء أوجها ، لأن القوس آخر انحطاطها فى ثمانى عشرة درجة منه[6] .

ولفظة الجمع **درجات** ترد فى نصوص عديدة من كتابات أبى حيان بمعنى المنازل والطبقات التى يرتقى بها المتدين فى عبادته وبهذا المعنى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة درجات : ومن فتح الله نصر عقله ولحظ هذه الحقائق ، ترقى فى درجات المعارف وسلاليم الفضائل[7] ويقول أبو حيان فى ابتهالاته موردًا لفظة

---

(١) رسالة الحياة ص ٥٧ .
(٢) الإشارات الإلهية ص٢٤٤ .
(٣) المقابسات ص ٣٤٥ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص١١ .
(٥) الهوامل والشوامل ص٢٢٦ .
(٦) البصائر والذخائر جـ٣ ص٤٤٧ .
(٧) المقابسات ص ٩٤ .

درجات بمعنى الطبقات والمنازل الرفيعة : ومحوت بكرمك صحائف ذنوبنا ، وبدلت سيئاتنا حسنات ورفعتنا إليك درجات بعد درجات[1] ويقول أيضا فى ابتهالاته : أيها الصاحب ، الحافظ لأعيان الغيب ، الظاهر من أدران الريب ، الشاكر على اليسير من النعمة ، الراعى للقليل من الحرمة ، المتمكن فى درجات المعارف ، المنجو من سكرات المتالف[2] ويقول أيضًا ذاكرًا لفظة درجات بمعنى المنازل العليا : أو ليت من حطنى عن درجات المخدومين ، رقانى إلى مقامات الخدم[3] ، ويقصد أبو حيان فى نصه درجات الديانة والعبادة التى توصل إلى الجنة .

ويذكر أبو حيان درجات الجنة فيقول واصفا درجات الديانة لا فى درجات الديانة يرتقون إلى الجنة ، ولا بنصائح الحكم ينتقون من أوساخ الشبهة والظنة[4] وترد لفظة درجات فى حديث لأبى حيان يتحدث فيه عن النفس والفلسفة فيقول فى مقابساته ذاكرًا لفظة درجات الطبقات ومراتبها : إن الإنسان فى معارفه التى يترقى فى درجاتها يجد لنفسه قنية ليست كسائر القنيات[5] ويقول أيضا ذاكرًا لفظة درجات بمعنى المنازل والمراتب فيقول : فإن درجات الحكمة مختلفة ، ولكل كلمة قائل ، ولكل قول داع[6] .

وترد من المادة (درج) اشتقاقات متنوعة مثل مدارج ، ومدرج ، واستدراج والفعل يستدرج وأدرج وهذه الكلمات تدخل فى مجال الحديث عن مصطلحات الصوفية هذا وقد ذكر أبو حيان فى ابتهالاته ومناجاته ودعواته المبثوثة فى كتابه الإشارات الإلهية فيقول موردًا لفظة مَدارج بمعنى المواضع والمسالك والمذاهب :

---

(١) الإشارات الإلهية ص٢٦٧ .
(٢) الإشارات الإلهية ص٦٤ .
(٣) الإشارات الإلهية ص٢١٤ .
(٤) رسالة الحياة ص ٧٤ .
(٥) المقابسات ص١١٧ .
(٦) المقابسات ص٤٣٠ .

إذا عكسك حاضر الأمانى فى مدارج التوانى ، فاطرد أنت بثابت المعانى[1] ، ويقول أيضا فى نص آخر من إشاراته ذاكرًا لفظة مدارج بمعنى مذاهب: أماتستبين الفرق بين مدارج الإعلان ومناهج الأسرار[2] ؟ .

ولفظة استدراج ترد عند أبى حيان من المادة (درج) : واستدراج الله لعبده بمعنى أن يوليه من النعم أو يملى له فى المؤاخذة فتلهيه النعمة أو يتمادى فى غيه ويأخذه الله بالهلاك وهو فى غفلة[3] وبهذا المعنى ذكر أبو حيان لفظة استدراج فقال : ومن لزم حدود العبيد فى صبره وشكره ، فقد أمن من استدراجه ومكره[4] هذه اللفظة لم ترد فى اللسان عند تناوله للمادة درج .

ولفظة مُدْرِج ترد عند أبى حيان فى دعائه : يا مصرف الأسرار فى الإعلان ويا مدرج الأوان فى الأوان ، ويا مبرز الألوان فى الألوان ، ويا من هو كل يوم هو فى شأن . إلهنا ! [5] ، والفعل يستدرج يرد فى قول أبى حيان وهو يخاطب الغيب والغائب – إذ إن معظم نصوصه فى كتاب الإشارات الإلهية تبدأ « بياهذا » – فيقول أبو حيان موردًا الفعل « يستدرج » . يا هذا إن قبلك فلفضله عليك ، وإن ردك فلنقصك الذى لا يخفى عليك ، وإن عاتبك فلأنه يستصلحك وإن أعرض عنك فلأنه يستدرجك[6] والفعل أدرج بمعنى طواه وجعله فى ثنيه يرد فى كتابات أبى حيان بهذا المعنى فى نص يقول فيه أبو حيان فى مناجاته : وزينوا ما بدا منى بما بدا منكم ، وما خفى عنى بما خفى عنكم . وفى الجملة أدرجوا كلى فى كلكم ، حتى تكونونى وأكونكم ، أعنى بالتصافى بالمودة[7] ويذكر أبو حيان الفعل يتدرج فيقول فى حديثه عن أصناف الحياة :

---

(١) الإشارات الإلهية ص١٧٦ .
(٢) الإشارات الإلهية ص٢٦٤ .
(٣) أساس البلاغة جـ ١ ص ٢٦٧ وانظر معجم ألفاظ القرآن جـ ١ ص ٤٠٣ .
(٤) الإشارات الإلهية ص ٣٢٥ .
(٥) الإشارات الإلهية ص ٣١ .
(٦) الإشارات الإلهية ص٢٢٦ .
(٧) الإشارات الإلهية ص٣٠ .

فهذه ثمانية أصناف ، ويتدرج فيها الواحد بعد الواحد من البشر بحسب السهام العلوية والمكاسب السفلية[(١)] والفعل يتدرج مع الفعل تتدرج يذكرهما أبو حيان فى نص له من كتاب الإمتاع فيقول : الطبيعة تَتَدَرَّج فى فعلها من الكليات البسيطة ، إلى الجزئيات المركبة والعقل يتدرج من الجزئيات المركبة إلى البسائط الكلية[(٢)] .

وهناك اشتقاقات أخرى من المادة «درج» ترد فى كتابات أبى حيان ، ففى نصوص كتاب المقابسات يذكر أبو حيان لفظة «تدريج» قائلا : وما هو إلا أن تصمد نحو السعادة بتطهير الأخلاق ، وتدريج العادة ، وإصلاح السيرة[(٣)] ويقول أبو حيان أيضا : فمن استجاب للعقل كف عرام طبيعته ، وأمات هائج شهوته بالتدريج والترتيب ، ليكون إصغاؤه إلى نصح العقل وهدايته أتم[(٤)] ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة التدريج : إن الشيء متى كان مفرطًا فى الحسن فإنه يبهر العقل الجزئى ، فيحتاج فيه إلى التدريج إليه والتمرين عليه[(٥)] ولفظة تدرج ترد عند أبى حيان فى نص يقول فيه : وقفت هذه الصناعة هذا الموقف ، وتدرجت هذا التدرج لأن الله تقدس كما أراد بالعافية والبرء والسلامة والنجاة[(٦)] ويقول أبو حيان أيضًا موردًا لفظة التدرج فى قوله : وشقًّا للجيب على هذه النعمة ، تدرجا إلى هذه العاقبة[(٧)] ويذكر أبو حيان فى نصوصه لفظة درج فيقول : والعرب تقول : ما أنا إلا درج يدك : أى فى طاعتك[(٨)] ثم لفظة الدُّرج ترد فى نص لأبى حيان ورد على لسان أبى العيناء فقال : ما رأيت مثل الأصمعى أنشد بيتا من الشعر فاختلس الأعراب . وقال : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : كلام العرب الدرج[(٩)] .

---

(١) رسالة الحياة ص٥٥ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص٨٤ .
(٣) المقابسات ص٤٧٩ .
(٤) المقابسات ص١٦٥ .
(٥) المقابسات ص٣٥٢ .
(٦) المقابسات ص١٧٧ .
(٧) رسالة الحياة ص ٦٢ .
(٨) البصائر والذخائر جـ١ ص٦٥ .
(٩) البصائر والذخائر جـ٣ ص٢١٣ .

وهناك ألفاظ صوفية أخرى وردت فى نصوص أبى حيان مثل مَرْتَبة ومَراتِب ورُتبة ورُتَب وسلالم وسلاليم ، وهذه جميعها تدخل فى مجال حديثنا عن الألفاظ الصوفية وطريقة استخدامها اللغوى عند هذه الطائفة الدينية ، جاء فى اللسان : **الرُّتْبَة والمَرْتَبة** : المنزلة عند الملوك ونحوها . والمرتبة مفعلة من رَتَبَ إذا انتصب قائمًا . وهى المنزلة الرفيعة وأراد بها الغزو والحج ونحوها من العبادات الشاقة ، وكل مقام شديد مَرتَبة ، والمَراتِب جمعها وهى أعالى الجبل[١] وترد لفظة الرُّتبة عند أبى حيان مرادفة للفظة الدرجة فى نصوص كثيرة من كتاباته فيقول : أيها المبتدع بالقدرة الإلهية ، والإنسان المحفوف بالنعمة الملكية تأمل مواقع آياته فيك ، وانظر بأى فضل خصك ، ومن أى حال خلصك ، وإلى أى درجة رماك ، وبأى رُتبة حلَّاك[٢] وفى نص آخر من إشاراته يذكر أبو حيان لفظة الرُّتْبَة بمعنى المنزلة الرفيعة فيقول : ورماك إلى درجة ما خطرت قط ببالك وحلاك برتبة ما حلمت بها نفسك[٣] وفى مقابساته يقول أبو حيان موردًا لفظة رُتْبة بمعنى المنزلة والطبقة . كما أن المتدين يفتتح بدرجة التقليد ، ثم يترق رويدا رويدا إلى معلوة التحقيق ، ومهما اقتصر فى تدينه على الرتبة كان مذموما ، وإن لم يجد منه فى البداءة محيصا[٤] ، ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة رُتْبَة بمعنى المنزلة الرفيعة : إن هذه رتبة إلاهية ، وهى الفاصلة الكبرى[٥] ، ويقول أبو حيان فى الإمتاع موردًا لفظة «الرتبة» بمعنى الطبقة والمنزلة العالية : أما الصورة الإلهية وهى أعلاها فى الرتبة والحقيقة ، وهى أبعد منا فى التحصيل إلّا بمعونة الله تعالى[٦] . ويذكر أبو حيان لفظة الرتبة بمعنى المنزلة الرفيعة العالية فى نص من كتاب الإمتاع يصف فيه أستاذه على بن عيسى فيقول : وأما على بن عيسى فعالى الرتبة فى النحو واللغة والكلام[٧] .

---

(١) اللسان جـ ١ ص ١١١٧ .
(٢) الإشارات الإلهية ص٣٥ .
(٣) الإشارات الإلهية ص٣٦ .
(٤) المقابسات ص٣٤٥ .
(٥) المقابسات ص٦٩ .
(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ٣ ص١٣٧ .
(٧) الإمتاع جـ ١ ص ١٣٣ .

ولفظة **رُتب** جمع **رُتْبَة** يقول أبو حيان فى مثالبه موردًا هذه اللفظة بمعنى المنازل الرفيعة : والوشاة تدب ، والزمان يعمل عمله ، فلما مضى سائسها تفارقا الفرحة ، وتنازعا **الرتب** ، فكان ما كان[1] ولفظة الرتب ليست دائما ترد بمعنى المنازل الرفيعة المستوى إذ نجد فى بعض نصوص التوحيدى لفظة رتب ترد فى مستوى متدنى وهابط وذلك فى مثل قول أبى حيان عن أحدهم : إنه عندى لفى أقبح صور الذنوب ، وأعلى رُتَب العيوب[2] .

والفعل رَتَّبَ يرد فى كتابات أبى حيان فى نص يقول فيه : هكذا رتبك الملك وبهذا أرادك المريد[3] وفى نص آخر يقول أبو حيان ذاكرًا الفعل رتب : قد رتب لبريده أصلح الأولياء له[4] .

ولفظة **المَرْتَبة** ترد عند أبى حيان فى أماكن كثيرة وبمعانٍ عديدة فيقول أبو حيان ذاكرًا لفظة المرتبة بمعنى المنزلة والطبقة : أين أنت من مرتبتك فى همتك[5] .

ويقول أيضا فى إشاراته : وإن كنت مهجورًا فاعترف فإنك تنازل المرتبة العليا[6] ، وفى نص لأبى حيان من كتابه المقابسات يذكر لفظة مَرْتَبة والجمع مَرَاتِب بمعنى المنازل والطبقات فيقول : مراتب العبودية بحسب القوة العملية أربع : أولها مرتبة المتيقن ، وهى من علائق الرجاء ، والثانية مرتبة الأبرار ، وهى من علائق المحبة والرابعة مرتبة الصالحين وهى من علائق الاتحاد والاستقامة صورة لكل واحد[7] . فى نص أبى حيان هذا جاءت لفظة المرتبة لتبين المعنى الصوفى ومراتب الصوفية عند الله تعالى وكيف يتدرج فى المراتب من يسلك طريق التصوف .

---

(١) مثالب الوزيرين ص٩٣ .
(٢) الصداقة والصديق ص٤٤٩ .
(٣) الإشارات الإلهية ص٢٠٦ .
(٤) المقابسات ص٨٢ .
(٥) الإشارات الإلهية ص١١٨ .
(٦) الإشارات الإلهية ص٣٣٣ .
(٧) المقابسات ص٣٤٤ .

وترد لفظة مرتبة بمعنى الطبقة والمكانة فى نص لأبى حيان يتحدث فيه عن الموجود ويتطرق أبو حيان فى حديثه هذا إلى مجال التفلسف الصوفى فيقول : لو كان له واحد لكانت مرتبة الواحد فوق مرتبة الموجود[١] ويذكر أبو حيان لفظة مرتبة بمعنى المنزلة فى حديثه عن النثر والنظم فيقول : والنثر إلى الوحدة أقرب ، فمرتبةالنظمدون مرتبة النثر[٢] ويذكر المرتبة بمعنى المنصب والمركز المرموق فيقول فى رسالته فى علم الكتابة ، واصفًا أحدهم : نحوا هذا عن مرتبة الديوان فإنه عليل الخط[٣] وترد لفظة مرتبة فى كتابات أبى حيان بالمعنى المادى الدال على الأثاث والفرش فيقول ذاكرًا لفظة المَرْتَّبة بهذا المعنى : ولا يهولك هذا الحشم والخدم وهذه الغاشية والحاشية ، وهذه المرتبة والمسطبة وهذا الطاق والرواق[٤] أما لفظة الجمع مراتب فترد عند أبى حيان بمعنى المراكز والمناصب العالية وذلك فى نص لأبى حيان يقول فيه : أما أصحاب الدنيا وأرباب المَرَاتِب ، فيجب أن يدعو الهوينا جانبا[٥] وبمعنى المنازل العزيزة المقربة للنفس يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة مراتب مخاطبًا صديقًا له : وحللت أعلى المراتب من قلبى ، وحزت أجزل الحظوظ من ودى[٦] وفى مجال الفلسفة يذكر أبو حيان لفظة مراتب بمعنى المنازل والدرجات فيقول : ومراتب أبناء الطبيعة مختلفة اختلافًا لا نهاية له[٧] ويقول أيضا : فإنك تجد المواد التى من شأنها أن تنفعل على مراتب الانفعال ، وتجد الصورة التى من شأنها أن تفعل على مراتب الفعل[٨] وفى ختام الحديث عن المراتب نذكر نصا لأبى حيان يذكر فيه لفظة المراتب بالمعنى الدينى المستخدم بكثرة عند الصوفية ، والدال على منازلهم الرفيعة عند الله تعالى ، ومواضعهم

---

(١) المقابسات ص١٤٨ .
(٢) المقابسات ص٢٧٢ .
(٣) رسالة فى علم الكتابة ص٤١ .
(٤) مثالب الوزيرين ص٧٩ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص٤٦ .
(٦) الصداقة والصديق ص١٧٨ .
(٧) الإشارات الإلهية ص٣٨٨ .
(٨) المقابسات ص٤١٧ .

المقربة من خالقهم وفى هذا المعنى للفظة الجمع مراتب يقول أبو حيان فى إشاراته مخاطبًا كعادته ذلك المجهول : إنك بصفاقة وجهك وبذاءة لسانك ، وقبحك فى سخف عبادتك ، تدعى منازل الصادقين ، وتبحث عن ضمائر النبيين ، وتُهَجِّن مراتب المختصين ، وتعترض على أفعال رب العالمين[1] .

مما تقدم يتضح لنا أن لفظة مرتبة جاءت فى نصوص أبى حيان بمعانٍ متعددة ، منها المعنى اللغوى الدال على الطبقة والدرجة التى يرتقى عليها ، والمعنى المادى الدال على الفرش والأثاث ، وهذا قليل الورود عند أبى حيان ، ومنها المعنى المجازى الدال على المنزلة الرفيعة والمنصب العالى وهنا نجد **ظاهرة تعدد المعنى** لهذه اللفظة وهذا الاستخدام للفظة المرتبة كثير فى كتابات أبى حيان فى مجال الألفاظ الخاصة بالتصوف ، واستعمل أبو حيان لفظة المرتبة والجمع مراتب كمصطلح من المصطلحات الخاصة بالصوفية . ومن الملاحظ أن لفظة المرتبة وردت عند أبى حيان بنفس المعانى التى جاءت فى اللسان وكذلك لفظة الجمع مراتب ، وأيضا لفظة الرتبة ، أما لفظة الرتب فلم ترد فى اللسان فهى صيغة جديدة أوردها أبو حيان فى كتاباته . ومع المراتب والدرجات التى تستخدم فى مجال الارتقاء أو الصعود إلى المنازل العالية نذكر لفظة السلاليم جمع سلم ولفظة سلالم أيضا جمعا لسلم وقد وردت هاتان اللفظتان كمصطلحين يكثر استخدامهما فى مجال الألفاظ الصوفية ، ولفظة السلاليم كما جاء في اللسان جمعًا لسلم التى يرتقى عليها والسُّلَّم : الدرجة والمِرقاة . والسُّلم : السبب إلى الشيء ، وسمى السُّلَّم سُلمًا لأنه يُسْلِمُك إلى حيث تريد[2] وترد لفظة **سلاليم** فى نص لأبى حيان يقول فيه : وهذه المعارف بهذه النعوت هى سلاليم قلوب العارفين في الترقى إلى ساحة الربوبية[3] ، ويقول أبو حيان موردًا لفظة سلاليم مرادفة للفظة درجات : ومن فتح الله بصر عقله ولحظ

---

(١) الإشارات الإلهية ص٢٠٨ . (٢) اللسان جـ ٢ ص١٩٤ .

(٣) الإشارات الإلهية ص١٠٤ .

هذه الحقائق ترقى فى درجات المعارف وسلاليم الفضائل[1] ، ويتساءل أبو حيان فيقول ذاكرًا لفظة سلاليم بمعنى درجات : ترتقى بها أتظن ، الرقى فى سلاليم المعرفة ، والتناهى فى غايات التوحيد هين سهل ؟[2] ويقول أبو حيان أيضا ذاكرًا لفظة سلاليم بالمعنى المادى : وانتسب إلى الأقوى دون الأضعف وهو كالطرق المذللة ، والسلاليم الموصلة[3] ومع السلاليم يذكر أبو حيان لفظة السلالم جمعا لسلم وبهذا المعنى الخاص بالارتقاء إلى المنازل العالية يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة السلالم : وأن ترقى فى سلالم المعرفة بحقائق الحال على تبين المكاشفة وغلبات المشاهدة[4] ولفظة السلالم هذه لم ترد فى اللسان عند تناوله للمادة (سلم) فهى صيغة جديدة استخدمها أبو حيان فى كتاباته جمعا لسلم .

يتبين لنا مما تقدم من نصوص أبى حيان أن الألفاظ الخاصة بمقامات الصوفية هى مَقام ، ومُقام ، ومَقامة ، ومَقامات . وقد جاءت لفظة مقام من قام يقوم بمعان متعددة عند أبى حيان . وأن الألفاظ الخاصة بدرجات الصوفية هى : درجة ودرجات ، ومدارج ، واستدراج ، ومُدْرج ، وتدرج ، وتدريج ، ودُرْج ، ودَرَج وكذلك الأفعال أدرج يتدرج ، استدرج وهذه المجموعة من الألفاظ والأفعال التى أوردها أبو حيان من المادة (درج) أغفل اللسان ذكر بعضٍ منها عند تناوله لمادتها ، ومن الاشتقاقات التى ذكرها أبو حيان لفظة استدراج على وزن استفعال من استدرج يستدرج ولفظة تَدَرُّج مصدر من أدرج ولفظة مُدْرج اسم فاعل الإدراج . وهذه الألفاظ التى ذكرها أبو حيان ولم ترد فى اللسان ، تعتبر اشتقاقات جديدة فى مبناها ومعناها عند أبى حيان . وذكر أبو حيان الألفاظ الخاصة بمراتب الصوفية وهى مرتبة ، مراتب ، رتبة ، رتب ، وجاءت لفظة مرتبة

---

(١) المقابسات ص٩٤ .

(٢) المقابسات ص١٧٠ .

(٣) اللسان جـ ٢ ص١٩٤ .

(٤) المقابسات ص٤٦٠ .

على وزن مَفْعَلة من رتب بمعان عديدة عند أبى حيان وقد أظهرت نصوص أبى حيان المتضمنة للفظة المرتبة ظاهرة تعدد المعنى لهذه اللفظة ، وجاءت صيغة الجمع رتب فى كتابات أبى حيان ولم ترد فى اللسان عند تناوله للمادة (ر ت ب) فهى إذن صيغة جديدة فى استخدامها عند أبى حيان . وفى هذا المجال الصوفى الخاص بمراتب ومقامات الصوفية جاءت اللفظتان سلاليم ، وسلالم عند أبى حيان ولم ترد اللفظة سلالم فى اللسان عند تناوله للمادة (س ل م) .

ومما تقدم يتبين لنا أن ظاهرة الترادف واضحة بين الكلمات مقام ودرجة ، ومرتبة ، ورتبة ، وكذلك الترادف واضح بين صيغ الجمع مقامات ودرجات ، ومراتب ، ورتب ، وسلالم وسلاليم .

وفى مجال التغير الدلالى يتضح من نصوص أبى حيان أن هذه المجموعة من الألفاظ التى مر ذكرها ، قد مرت بأطوار فى مسيرتها اللغوية . فقد كانت هذه الألفاظ فى بدء استخدامها ذات دلالة مادية ، ولكنها عند استخدامها فى المجال الصوفى أصبحت لها دلالة معنوية ، وقد أشارت نصوص أبى حيان إلى الانتقال فى مجال الدلالة لهذه الألفاظ من المجال المادى إلى المجال المعنوى .

رابعا : أهل الاختصاص ، الخصوص ، العموم :

الخصوص والعموم من الألفاظ الشائعة فى كلام الصوفية ويؤكد لنا أبو حيان شيوع هذه الألفاظ فيما ذكره من اشتقاقات عديدة للمادتين خصص وعمم وهذا يرجع لاتساع استخدام هذه الألفاظ فى المجال الصوفى .

فأهل الخصوص كما عرفهم الطوسى فى كتابه اللمع هم الذين خصهم الله تعالى من عامة المؤمنين بالحقائق والأحوال والمقامات[1] .

---

(١) اللمع للطوسى ص ٤١٤ .

وجاء فى اللسان : خصّه بالشيء يخُصّه خَصّا وخصوصا وخصوصية وخُصُوصيّة وخَصّصَه واخْتَصّه : أفرد به دون غيره . واختص فلان بالأمر وتخصّص له إذا انفرد . والاسم الخَصُوصيّة والخُصُوصية (والفتح افصح) والخِصّيّة والخاصّة والخِصِّصى ، والخاصة : خلاف العامة ، والخاصة من تخُصّه لنفسك[1] .

يحدثنا الشرقاوى فى كتابه الخاص بمعانى الألفاظ الصوفية فيشرح معنى أهل الخصوص وحديثه عنهم مستفيض فيقول : يهتم أئمة الصوفية بالتمييز بين أهل العموم ، وأهل الخصوص ، وأهل العموم يقصد بهم عامة الناس ، لاشتراكهم فى كثير من الأخلاق والعادات والسلوك وهم الذين يهتمون بالدنيا ويتعلقون بها وهم محجوبون عن الحقائق والأسرار . أما أهل الخصوص فهم أصحاب علوم الحقائق والمسترسلين مع الله ، فيختصهم من دون عباده بفتوحات وعطايا ومنن ولكل منهم أحوال ومقامات ويقال لذلك إنهم أصحاب التلوين ، أى ينقلون من حال إلى حال ، ومن مقام إلى مقام ، وأهل الخصوص يمتازون بالانفراد عن العامة ، فمنهم طبقة تختلف عن الناس من جهة الفكر والمنطق والنظر للأشياء والأمور فهم يعتمدون على النظر والحس والعقل ، فى الحكم على الأمور وليس معنى ذلك أنهم لا يعترفون بالعلوم العقلية والكسبية ، إلا أنهم يؤكدون أنه يجب الرجوع على حكم العقل كميزان للشريعة ، فيما يتعلق بالكشف والفتح والعلم الوهبى فإذا خالفت حقيقة شريعة فهى باطلة ولا يعمل بالحقيقة إلا إذا وافقت للشريعة[2] .

وأهل الخصوص يذكرهم أبو حيان بأسماء مختلفة فى كتاباته فمرة يسميهم أهل الاختصاص ومرة يدعوهم بالمخصوصين ومرة يصفهم بأصحاب الخصوصية ، وهذه كلها ألقاب للصوفية أو بالأحرى أهل الخصوص كما يسميهم الباحثون المختصون بأمور التصوف .

---

(١) اللسان جـ ١ ص ٨٤١ .

(٢) الألفاظ الصوفية د. الشرقاوى ص٢٣٧ .

يصف أبو حيان **أهل الاختصاص** فيقول : فإن من حقق الإخلاص صار من أهل الاختصاص ومن صار من أهل الاختصاص غار الحق عليه من العام والخاص[1] ويقول أيضا ذاكرًا لفظة **الاختصاص** : وصرت من الذين أنعم الله عليهم على طريق الإخلاص من ناحية الاختصاص[2] وأهل الاختصاص الذين هم الصوفية يدعوهم أبو حيان فى كتاباته **بالمخصوصين** والمفرد مخصوص فيقول مناجيًا فى إشاراته : يا هذا ! إنك لمراد بأمر عظيم ، ومرشح لسر مكتوم ، فالجد الجد ، فكأنك وقد بلغت الحد إنما هى حياة ذات أنفاس ، فإن أغضيت عنها آنفًا منها ، ولم تحلم بها عائفا لها ، رفعوك إلى حضيرة القدس ، وردوك رداء المخصوصين وأنسوك جميع ما قاسيته بين العالمين[3] ويقول أيضا فى إشاراته ذاكرًا المخصوصين : يا هذا إحص أركان نعمتك عندك ، وأصناف أياديه قبلك ، فإنك إن سهوت عن الإحساس بنعمته لم تصلح أن تكون فى المخصوصين بخدمته[4] وعن المخصوصين أيضا يقول أبو حيان فى إشاراته : إلهنا قدنا بزمام طاعتك إلى كريم حضرتك ، وامح أسماءنا من ديوان غيرك ، واكتبنا فى المنيبين إليك ، والمخصوصين بالاطلاع على إسرارك وإعلانك[5] أما لفظة المفرد مخصوص فسيرد ذكرها فى مجال الحديث عن الاشتقاقات المتنوعة للمادة «خصص» ، والتى ورد ذكرها فى كتابات أبى حيان . وهناك عدة كلمات جاءت من المادة (خ ص ص) وهى اختصاص ، مخصوص ، خصوصية ، تخصيص ، مخصوصة ، خصائص ، خاصة ، خواص وغيرها من الاشتقاقات التى سيرد ذكرها عند مقارنتها مع الاشتقاقات المتنوعة للمادة (ع م م) وأيضا التصاريف المختلفة للأفعال خصص وعمم . ومن هذه الاشتقاقات المتعددة للمادة (خ ص ص) ذكر أبو حيان لفظة **الاختصاص**

---

(١) الإشارات الإلهية ص١٣٨ .
(٢) الإشارات الإلهية ص١٧٤ .
(٣) الإشارات الإلهية ص٢١٦ .
(٤) الإشارات الإلهية ص٢٥٦ .
(٥) الإشارات الإلهية ص٩ .

ومعنى الاختصاص فى اللغة هو امتياز بعض الجملة بحكم[1] أو هو انفراد بعض الأشياء بمعنى دون غيره[2] وبهذا المعنى يقول أبو حيان موردًا لفظة الاختصاص فى نصوص كثيرة من إشاراته الإلهية : يا هذا ! هذه نبرات قوم عن هواجس قد جادها الحق بصور الاختصاص[3] ، ويذكر أبو حيان لفظة الاختصاص فيقول : ونصير من حزبك بالاختصاص ، فإنك رب الناس[4] ، ويقول أبو حيان فى ابتهالاته موردًا لفظة اختصاص . اللهم إنا لا ندعو بلسان الإخلاص من معدن الاختصاص ، فنقول : إلهنا ! [5] .

وترد لفظة الاختصاص عند أبى حيان فى مجال الحديث عن النحو والاختصاص النحوى وذلك فى نص له يقول فيه عن الصاحب وقوله ليس للأسماء علل : فلما خلوت بالزعفرانى الشاعر قال لى : أخطأ الأسماء ضرب منها مبتدأ ، فالغرض فيه اختصاص العين به ، ليقع التمييز بينه وبين غيره ، وضرب آخر يؤخذ من أصل العقل ، وهو الذى يسمى مشتقا ليكون فيه دلالتان : دلالة كدلالة الأول فى اختصاص العين ، ودلالة على النعت[6] .

ولفظة **خصوصية** جاءت فى أماكن متعددة من كتابات أبى حيان وكما عرفتها المعاجم الخصوصية بالفتح أفصح ، وحينئذ تكون صفة ، وإلحاق الياء المصدرية يكون المعنى على المصدرية والتاء للمبالغة ، وإذا ضُمّ يحتاج إلى أن يجعل المصدر بمعنى الصفة ، أو الياء للنسبة والتاء للمبالغة كذا جاءت فى كليات أبى البقاء[7] ولفظة الخصوصية (بالضم) كما ترد فى نصوص أبى حيان فى قوله ، ومراد بالخصوصية التى هى غاية آمال الخلق[8] وترد لفظة الخصوصية فى نصوص من كتابات

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون جـ ١ ص ٢٠٠ .
(٢) الفروق فى اللغة أبو هلال العسكرى ص ١٣٢ .
(٣) الإشارات الإلهية ص٥٤ .
(٤) الإشارات الإلهية ص٣١١ .
(٥) الإشارات الإلهية ص٣٢٠ .
(٦) مثالب الوزيرين ص١٤٦ .
(٧) الكليات لأبى البقاء جـ ٢ ص٢٩٢ .
(٨) الإشارات الإلهية ص٧١ .

أبى حيان لقبا للصوفية أو ما يسميهم أبو حيان بأهل الخصوص فيقول : هو نمط قد خص الله به أعيان عباده ، وأعلام خلقه فى بلاده ، فلهم بهذه الخُصُوصية منازل الملائكة وكرامة أولى العزم من الرسل(١) ويقول أبو حيان أيضا ذاكرًا لفظة الخصوصيّة بمعناها الصوفىّ : فلعلك مستدرج من حيث لا تعلم ، ولعلك مراد بالخصوصية وأنت مستكتَم(٢) ، ويذكر أبو حيان لفظة الخصوصية فى المجال الصوفى فيقول : وأنوار الصورة الإلهية بروق تمر ، وأنوار الصورة العقلية شموس تستنير ، وتلك إذا حصلت لك بالخصوصية لا نصيب لأحد منها ، وهذه إذا حصلت لك فأنت وغيرك شرع فيها(٣) وترد لفظة خصوصية فى بعض نصوص أبى حيان بمعنى المزية والصفة وفى هذا المعنى يقول أبو حيان ، فى حديثه عن الفلك وعلم النجوم : إن البرد واليبس من آثار زحل يوحيان عوارض السوداء ، وكذلك حال عطارد فى خصوصيته باليبس(٤) ويذكر أبو حيان لفظة الخصوصية فى حديثه عن العلم والمال فيقول : والعلم نفسىّ ، والمال جسدىّ ، والعلم أكثر خصوصية بالإنسان من المال(٥) ومما تقدم من نصوص أبى حيان يتضح أن لفظة خصوصية جاءت فى هذه النصوص بمعنى اسم من أسماء الصوفية وبمعنى المزية والخاصية .

ولفظة **خِصّيص** ترد فى نص لأبى حيان بمعنى من اختص بأمر شخص من الأشخاص وفى نصه يتحدث عن ابن العميد فيقول : والقاضى ابن عبدالرحيم ، كان خصيصًا به وقهرمان داره ، ومشرفا على غوامض أمره(٦) .

ولفظة **مَخْصوصة** من اشتقاقات المادة (خ ص ص) وقد وردت هذه اللفظة عند أبى حيان فى نص له يقول فيه : وما أرى لمصنِّف من الموحدين متصرفا فى هذا

---

(١) الإشارات الإلهية ص٩٩ .
(٢) الإشارات الإلهية ص٢٧١ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ٣ ص١٣٧ .
(٤) مثالب الوزيرين ص٢٤٩ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص٤٩ .
(٦) مثالب الوزيرين ص٢١٩ .

النوع إلا لهذه العصابة الكريمة المخصوصة باليقظة[1] .

ويفسر التهانوى لفظة المخصوصة بأنها عند المنطقيين تسمى الشخصية[2] ولفظة مخصوصة يذكرها أبو حيان فى نصوص من كتاباته بالمعنى اللغوى فيقول : الإنسان هو الشيء المنظوم بتدبير الطبيعة للمادة المخصوصة بالصور البشرية[3] ويقول فى هذا المعنى أيضا : إن العنبر إنما هو طَلّ يقع على سطح ماء البحر ثم ينعقد فى مواضع مخصوصة فى زمان مقدر[4] .

وقبل أن أختتم الحديث عن اشتقاقات المادة «خصص» أذكر لفظة «**خصائص**» ، وقد وردت هذا اللفظة بالمعنى الصوفى فى نص لأبى حيان يقول فيه : تبحث عن أسرار الغيب مِنْ حافات الألوهية من تضاعيف النبوة لخصائص الولاية على أحكام الهداية[5] ، ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة خصائص بمعنى المزايا : ومحقق الحقائق ومسهل الطرائق شاهد على صادق دعواى فيك كما هو شاهد لك فى خصائص ما وهب لك[6] ، ويقول أبو حيان موردًا لفظة خصائص فى حديثه عن أحد شيوخ الصوفيّة : أطال الله أيها الشيخ بقاءك ولا غبطة فى البقاء ، وأدام صفاءك وكل العيش فى الصفا ، وحرس خصائص مواهبه عندك ولطائف منائحه قبلك وفكك من قيد نفسك وسلبك مدانس بنى جنسك[7] .

يرد الفعل (**خصَّص**) فى كتابات أبى حيان فى أماكن كثيرة وخاصة ما جاء فى كتاب الإشارات الإلهية ففى نصّ من هذا الكتاب يقول أبو حيان : فانظر : هل لك منا محيص إذا أردناك بما لا يوافقك ، وهى لك منا مانع إذا خصصناك بحلية الربوبية ؟[8] .

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص١٩١ .

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون جـ ٢ ص٢٠٠ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ٣ ص١١٢ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص١٠٨ .

(٥) الإشارات الإلهية ص٣٦٨ .

(٦) الإشارات الإلهية ص١٦٠ .

(٧) الإشارات الإلهية ص١٩٨ .

(٨) الإشارات الإلهية ص١٨٦ .

ويقول أبو حيان فى نص آخر موردا الفعل خصص : إلهنا ! ألا ألحقتنا بعصابة الأتقياء عندك ، وخصصتنا بعد هذا وهذا بما لا نحسن أن نتمناه ، ولا نجسر على أن نتخطاه[1] ويقول أيضا : وخصصتنا بالدعاء إليك والإجابة لك قولا وفعلا[2] .

ويرد الفعل «خَصّ» مع الفعل خصص فى نص لأبى حيان يقول فيه : وخصنى بالخيبة التى نالت منى ، فخصصته بالغيبة التى أحرقته ، والبادى أظلم[3] ويرد الفعل «اخصص» فى ابتهالات أبىْ حيان التى كثر ورودها فى كتاب الإشارات الإلهية ففى نص له من هذا الكتاب يقول أبو حيان : أهلنا لمؤانستك ، اخصصنا بمخالطتك[4] ويقول أبو حيان موردا الفعل اخصص فى قوله : اللهم اجعل قولنا موصولا بالعمل ، وعملنا محققا للأمل ، وكشف علينا سترك ، واخصصنا بما هو أليق بك[5] ، والفعل «اختص» يذكره أبو حيان فى دعائه فيقول : اللهم إنى كتبت هذه الكلمات إلى أشخاص أنشأتهم بين عبادك واختصصتهم بلطائف هدايتك[6] .

هناك عدة كلمات ذكرها أبو حيان فى كتاباته من المادة (خ ص ص) ومن المادة (ع م م) وترد هذه الكلمات فى مجموعتين متلازمتين مثل المعموم والمخصوص والعموم والخصوص ، والتعميم ، والتخصيص ثم العام والخاص ، والعامىّ والخاصىّ ، والعامة والخاصة والخواص . وهذه الاشتقاقات المتعددة ترد عند أبى حيان بالمعنى الاصطلاحى الصوفى وهو الأكثر ورودًا ، وبالمعنى اللغوى العام وهو الأقل ورودًا فى كتابات أبى حيان . ونبدأ باللفظتين **معموم ومخصوص** وهاتان اللفظتان لم أجدهما فى اللسان عند تناوله لمادتيهما ، ولم أجد لهما أى شرح فى المعاجم الأخرى فهما اشتقاقان جديدان عند أبى حيان . يقول أبو حيان ذاكرًا

---

(١) الإشارات الإلهية ص١٠٣ .
(٢) الإشارات الإلهية ص٣٤٤ .
(٣) مثالب الوزيرين ص٥٩ .
(٤) الإشارات الإلهية ص٢٣٠ .
(٥) الإشارات الإلهية ص٣٦١ .
(٦) الإشارات الإلهية ص٣١ .

المعموم والمخصوص فى المجال الصوفىّ : فإن كنت تجد ، فأنت والله المخصوص بالمنحة الكبرى ، والمعموم بالنعمة العظمى[(١)] ويقول أبو حيان أيضا فى إشاراته ذاكرًا المعموم والمخصوص : وعاد خفى الغيب يخطب ناصع التسليم ، وجلى الشاهد يشكل فى حشو المكتوم ، ويشير إلى الفصل الواقع بين المخصوص والمعموم[(٢)] ويذكر أبو حيان لفظة المخصوص وصفا لمن اصطفاه الله من عباده فيقول : ياولى الخير وقبيحه ، وواهب المأمول ومنيحه ، صل على صفيك المخصوص بفضلك ، والمبعوث إلى خلقك[(٣)] .

واللفظتان **عموم وخصوص** ، ومعنى العموم هو صفة الاسم من حيث هو ملفوظ ومدلول لفظًا[(٤)] والخصوص يكون فيما يرادبه بعض ما ينطوى عليه لفظه بالوضع ، وقيل الخصوص ما يتناول بعض ما يتضمنه العموم أو جرى مجرى العموم من المعانى[(٥)] ، ويقول أبو حيان فى تعريفه لهاتين اللفظتين : حَدّ العموم ، مساواة بعض ما تتناوله لبعض بغير مزية ، وأقله ما تناول شيئين فصاعدا ، وحَدّ الخصوص : ما تناول شيئًا واحدًا[(٦)] ، ويذكر أبو حيان اللفظتين خصوص وعموم فى تعليقه على من قال فى معنى قوله تعالى : ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء ﴾ وهو عموم فى باب الدعاء وخصوص فى باب الهداية ، وهل يصح هذا الإطلاق ، فإن العموم والخصوص معنيان يتبعان جوهر الكلام ، وعين الخطاب[(٧)] ، وترد لفظة العموم والخصوص فى نص آخر لأبى حيان يقول فيه : ولا بد من حس يبين به الخلق فى العموم ، ولا بد من عقل يوصل به إلى البارى على

---

(١) الإشارات الإلهية ص٣٠١ .
(٢) الإشارات الإلهية ص٢٩٤ .
(٣) الإشارات الإلهية ص٢٣٠ .
(٤) الكليات لأبى البقاء جـ ٣ ص ١٨٦ .
(٥) الفرق فى اللغة لأبى هلال العسكرى ص ٥٠ .
(٦) البصائر والذخائر جـ١ ص٢٨٤ .
(٧) البصائر والذخائر جـ١ ص٥٤٥ .

الخصوص[1] ، ويعرف الجرجانى معنى الخصوص والعموم فى تعريفاته فيقول بإيجاز : الخصوص أحدية كل شيء عن كل شيء بتعينه فلكل شيء وحدة تخصه ، والعموم ما يقع من الاشتراك[2] ، ويقول التهانوى معرفًا الخصوص والعموم فى كشافه : الخصوص بالفتح والضم فى اللغة الانفراد ويقابله العموم ، وعند الأصوليين كون اللفظ موضوعا بوضع واحد لواحد أو لكثير محصور وذلك اللفظ يسمى خاصا[3] . ومن الملاحظ أن اللسان لم يذكر لفظة العموم عند تناوله للمادة (ع م م) ، وذكر لفظة الخصوص ومر عليها مرورا سريعًا .

ولفظة أخرى من اشتقاقا المادة خصص هى لفظة «**تخصيص**» وترد فى نصوص عديدة عند أبى حيان ملازمة للفظة **تعميم** ففى نص للتوحيدى من الإشارات الإلهية ، يقول فيه : عم التلبيس ، فغمض الفرق بين التعميم والتخصيص[4] ، وفى نص آخر يقول أبو حيان موردًا لفظة التخصيص ومعها لفظة التعميم : وتارة أجرد لك اللفظ من عقال التعويص ، لترتقى من خصص التعميم إلى قلة التخصيص[5] .

ويعرف أبو حيان معنى لفظة التخصيص فى بصائره فيقول : حَدّ التخصيص : بيان المراد باللفظ العام[6] ومعنى التخصيص فى التعريفات هو قصر العام على بعض منه بدليل مستقل مقترن به[7] .

ويورد التهانوى فى كشافه عدة معانٍ للتخصيص ، ففى اللغة : هو تمييز بعض الجملة بحكم وفى عرف النحاة تقليل الاشتراك الحاصل فى النكرات ، وعند أهل المعانى هو القصر ، وعند الأصوليين يطلق على القصر العام ، وله معان عديدة عند

---

(1) المقابسات ص١٤٠ .
(2) التعريفات للجرجانى ص٢٩٥ .
(3) كشاف اصطلاحات الفنون .
(4) الإشارات الإلهية ص١٠٥ .
(5) الإشارات الإلهية ص١٩٦ .
(6) البصائر والذخائر جـ١ ص٢٨٥ .
(7) التعريفات للجرجانى ص٥٥ .

الأصوليين منها : قصر العام على بعض مسمياته وهذا مصطلح الشافعية والمالكية ، وقيل هو تعريف أن العموم للخصوص والمراد بالتخصيص هو الاصطلاحى وبالخصوص اللغوى كأنه قيل التخصيص تعريف أن المراد باللغة الموضوع لجميع الأفراد هو البعض منها والتخصيص كما يطلق على القول كذلك يطلق تجوزا على الفعل والنَّسْخ[1] وهاتان اللفظتان لم تردا فى اللسان عند تناوله لمادتيهما .

ومع الفعل **خصص** يرد الفعل **عمم** فى نصوص عديدة من كتابات أبى حيان ففى نص من الإشارات الإلهية يقول أبو حيان ذاكرًا هذين الفعلين : وعممتنا بالكرامات وخصصتنا بما لا نصل إليه بالصوم والصلاة والحج والغزاة[2] ويقول أيضا فى نص آخر من كتاباته ذاكرًا الفعلين أخصص واعمم : ومهما أثبت فى أمرنا فاخصصنا بتأييدك وأعممنا بتسديدك[3] .

العام : هو كل ما يتناول أفرادا متفقة الحدود على سبيل الشمول . والخاص لغة : المنفرد وهو كل لفظ وضع لمعنى معلوم على الانفراد . والخاصة ما يختص به الشيء ولا يوجد غيره كلًا أو بعضًا ، والخواص اسم جمع الخاصة[4] وخصان الناس أى خواص منهم . والخاصة خلاف العامة[5] .

اللفظتان عام وخاص ذكرهما أبو حيان فى نصوص كثيرة من كتاباته ، ففى نص له من مقدمة كتابه الصداقة والصديق يقول فيه : سمع منى فى وقت بمدينة السلام وكلام فى الصداقة والعشرة والمؤاخاة وما يلحق بهما مما قد ارتفع رسمه بين الناس ، وعفى أثره عند **العام والخاص**[6] وفى حديث لأبى حيان يرويه على لسان

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى جـ ٢ ص٢٠٣ .

(٢) الإشارات الإلهية ص٢٦٧ .

(٣) رسالة الحياة ص٥١ .

(٤) الكليات لأبى البقاء جـ ٢ ص٥٥ ، ص ١٨٦ ، جـ ٣ ص ١٩٠ .

(٥) اللسان جـ ١ ص ٨٤١ ، جـ ٢ ص٨٨٩ .

(٦) الصداقة والصديق ص١ .

أستاذه أبى سليمان يقول فيه ذاكرًا الخاصىّ والعامىّ – نسبة إلى الخاص والعام – قال أبو سليمان : قد قلنا مرارا ، إن الكلام الذى يراد به استصلاح العامة واستجماع الكافة ، لا بد من أن يكون مره مبسوطًا ومرة موجزًا ، وعلى فنون كثيرة لا وجه لاستيفائها، إذا بان المراد فى عرضها وأثنائها ، كان جميع ما يحويه الشرع من هذا الضرب ، ليجد **الخاصىّ** فيه إشارة تشفيه ، **والعامىّ** عبارة تكفيه[1] .

واللفظتان **عامة وخاصة** يذكرهما أبو حيان متلازمتان فى نصوص كثيرة من كتاباته ، فيقول فى نص له من مقابساته ذاكرا هاتين اللفظتين : اعلم أن العامة وكثيرًا من الخاصة ، لا يعرفون العقل ، ولا يحقون حده ، ولا يذوقون حلاوته[2] ويقول أيضا فى نص آخر موردًا اللفظتين عامة وخاصة فى قوله : قد ظنت العامة وكثير من أشباه الخاصة أن النفس هى الروح وأنه لا فرق بينهما إلا فى اللفظ والتسمية[3] وترد هاتان اللفظتان فى نص لأبى حيان يبيّن فيه مفهوم العامة والخاصة من الناس نحو العلم والمال فيقول : اطلب فى حياتك هذه العلم والمال تملك بهما الناس ، لأنك بين الخاصة والعامة ، فالخاصة تعظمك لفضلك ، والعامة تعظمك لمالك[4] وفى نصوص أخرى من كتاباته يذكر أبو حيان لفظة العامة منفصلة عن الخاصة فيقول ذاكرًا لفظة العامة فى حديثه عن المستوى اللُّغوىّ والمعيشىّ لهذه الطبقة العريضة من المجتمع فى عصره : قال بعض أصحابنا البغداديين : سمعت شيخا من العامة يقول لآخر ؛ وَالَك نهر جرى فيه الماء لا بد أن يعود إليه . وقال الآخر : وَالَك حتى يعود إليه ماتت ضفادعه ، حكيت لفظهم فهو الطريف ، فلا تعجب للحرفيّة[5] فى نص أبى حيان هذا يتبين الاستخدام اللغوى للطبقة العامة فى العصر العباسى وهم الذين يدعوهم أبو حيان بالحرفية .

---

(١) المقابسات ص٢٦٦ .
(٢) المقابسات ص٢٢٣ .
(٣) المقابسات ص٤٧ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص٤٩ .
(٥) البصائر والذخائر جـ٤ ص٦٤ .

ولفظة **الخاصة** يذكرها أبو حيان فى تعريفاته الفلسفية فيقول : يقال ما الخاصة ؟ الجواب : هى كالرسم ، إلّا أنها من صفة واحدة عرضية[١] أما لفظة **الخواص** فقد جاءت فى أماكن متعددة من كتابات أبى حيان ونذكرها هنا مع لفظة المفرد خاصة ، يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة خواص بالمعنى الفلسفى الطبيعى : وجه المباينة ظاهر بالشكل والتخطيط ، وانتصاب القامة ، وسائر الخواص الدالة على ذلك الحد الذى هو للجنس بالنظر المنطقى[٢] ويقول أيضا ذاكرًا لفظة الخواص – (وهذا المصطلح الصوفى كثر وروده عند أبى حيان) – : قيل : ما الروح ؟ قال : قوة منبثة فى الجسم ، بها قوامه فى الحس والحركة والسكون والطمأنينة ، ومبدؤها من ائتلاف الاستقسات ، ومادتها من جميع مالاءمها ووافقها من ضروب النبات وغير النبات ، وهى تابعة فى الأصل لخواص المركبات[٣] جاءت الخواص فى نص أبى حيان بمعنى المزايا .

يتضح **مما تقدم** من نصوص أبى حيان المتضمنة لألفاظ متنوعة جاءت من المادة (خ ص ص) ومن المادة (ع م م) وإن كانت الاشتقاقات التى ذكرها من المادة (خ ص ص) هى الأكثر ورودًا وتنوعًا . وإن معظم هذه الألفاظ لم يرد ذكرها فى اللسان عند تناوله للمادتين (خ ص ص) و (ع م م) .

فمن الاشتقاقات التى ذكرها أبو حيان من المادة (خ ص ص) ولم ترد فى اللسان الألفاظ التالية : اختصاص ، ومخصوص ، وخصيص ، وتخصيص ، ومخصوصة وصيغ الجمع مخصوصين وخصائص ، وخاصىّ « نسبة إلى خاص » . وذكر أبو حيان أيضا من المادة (ع م م) اشتقاقات لم ترد فى اللسان مثل معموم ، وتعميم وعموم ، وعامىّ . وهذه الاشتقاقات التى جاءت فى كتابات أبى حيان نتيجة لكثرة استخدامها فى عصره هى جديدة فى مبناها ومعناها عند أبى حيان وقد غفل اللسان عن ذكرها .

---

(١) المقابسات ص٣٧٠ .
(٢) المقابسات ص٣٨٠ .
(٣) المقابسات ص٤٧ .

ويتضح أيضا من نصوص أبى حيان التى أوردت هذه المجموعة من الألفاظ أن ظاهرة التضاد بارزة بشكل واضح فى الألفاظ التالية : التعميم والتخصيص ، والمعموم والمخصوص ، والعموم ، والخصوص ، والعام والخاص ، والعامة والخاصة ، والعامىّ والخاصىّ . هذا وقد جاءت هذه الألفاظ المتنوعة متلازمة ومتضادة فى كتابات أبى حيان .

وهناك عدد من التعبيرات السياقية أوردها أبو حيان فى كتاباته من المادة (خ ص ص) مثل **أهل الاختصاص** ، **وخاص الخاص** وغيرها من التعبيرات الأخرى . أما فى مجال التغير الدلالى فنجد أن هذه الألفاظ قد أصبحت أكثر تخصصا عندما استخدمت كمصطلحات صوفية .

خامسا : **الألوهية ، الربوبية ، الروحانية ، العبودية :**

وهذه مجموعة أخرى من الألفاظ الخاصة بالصوفية **فالألوهية** هى عند الصوفية اسم مرتبة جامعة لمراتب الأسماء والصفات كلها ، أو هى اسم لجميع حقائق الوجود ، وحفظها فى مراتبها . والمراد بحقائق الوجود أحكام المظاهر مع الظاهر منها أى الحق والخلق . فشمول المراتب الإلهية ، والكونية وإعطاء كلٍّ حقه من مرتبة الوجود هو معنى الألوهية . والله اسم لرب هذه المرتبة ، ولا يكون ذلك إلا لذات الواجب الوجود ، فأعلى مظاهر الذات الألوهية إذ له الحيطة على كل مظهر[1] .

وجاء فى اللسان : **الإله** : الله عز وجل وكل ما اتخذ من دونه معبودًا إله عند متخذه وأصله من أله يأله إذا تحيَّر ، يريد إذا وقع العبد فى عظمة الله وجلاله وغير

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون جـ ١ ، ص ١٤٦ .

ذلك من صفات الربوبية . والله : أصله إلاه أُدخلت الألف واللام تعريفًا فقيل الإلاه ، ثم حذفت العرب الهمزة استثقالًا لها ، فلما تركوا الهمزة حولوا كسرتها فى اللام التى هى لام التعريف ، وذهبت الهمزة أصلا فقالوا أللاه ، فحركوا لام التعريف التى لا تكون إلا ساكنة ، ثم التقى لامان متحركان فأدغموا الأولى فى الثانية فقالوا الله . وإلاه ، على فِعال ، بمعنى مفعول ، لأنه مألوه أى معبود . وكانت العرب فى الجاهلية يدعون معبوداتهم من الأوثان والأصنام آلهة[1] .

ويحدثنا التهانوى فى كشافه عن اختلاف العلماء فى أصل لفظة « الله » التى جاءت منه الألوهية فيقول : اختلف العلماء فى أنه مشتق أم لا ؟

فالمحققون على أنه ليس بمشتق بل هو اسم مرتجل لأنه يوصف ولا يوصف به ، ولأنه لو كان وصفًا لم يكن قوله : لا إله إلا الله ، توحيدًا ، وقيل : إنه مشتق من أله ، إله ، وألوهية ، وألوهة بمعنى عبد وأصله إله ، فِعَال بمعنى المفعول ، أى المعبود فحذفت الهمزة من غير تعويض بدليل قولنا الإله . وقيل : من أله الفصيل ، إذا أولع بأمه ، إذ العباد مولعون بالتضرع إليه ، وقيل : أصله لاه مصدره لاه يليه ، إذا احتجب وارتفع لأنه محجوب عن البصر ، مرتفع عن كل شيء . وقيل أصله لاها بالسريانية فعرب بحذف اللام الأخيرة ، وإدخال لام التعريف فى أوله[2] . لفظة الألوهية يذكرها أبو حيان فى نصوص كثيرة من كتاباته وكذلك الألفاظ الإلهيّة ، والإلهىّ ، والإلهيّات ، وتألّه ، وتأليه ، والإلهيين والمتألهين والفعل تأله . ترد هذه الألفاظ بالمعنى الخاص بالمجال الصوفىّ يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة **الألوهية** مخاطبا ذلك الغائب فى مناجاته : حتى تبحث عن أسرار الغيب من حافات الألوهية من تضاعيف النبوة لخصائص الولاية على أحكام

---

(١) اللسان جـ ١ ص ٨٧ .

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون جـ ١ ص ١٤٦ . ص ١٤٧ .

الهداية[١] ، وفى نص آخر يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الألوهية : فإن الأشكال والحدود من الأقوال والأغراض منفية فى ساحة الألوهية[٢] ويقول أبو حيان موردًا لفظة «ألوهية» : لا يحفظ شرائط العبودية ولا يقف عند حدود البشرية ، ولا ينصاع لأمر الألوهية[٣] . ولفظة إلاهية ترد كثيرًا عند أبى حيان ولا يسع المجال لإيراد أماكن ورودها . ويكفى أن أبا حيان أفرد فى كتابه الإشارات الإلهية عددًا كبيرًا من النصوص تحتوى على لفظة إلاهية ، وهذه ظاهرة واضحة فى كتاب الإشارات الإلهية ويكفينا عنوان الكتاب وهو خير دليل على قولنا فى كثرة ورود لفظة الإلهية عند أبى حيان . والإلهية هى كل اسم إلهى مضاف إلى البشر[٤] .

ونجد فى كتاب المقابسات ورود لفظة **الإلاهية** فى قول أبى حيان : إن الشريعة إذا كانت حقا ، لا تكون كذلك إلّا بقوة إلهيّة ، والقوة الإلاهية تعاند النمط الذى ورد وانتشر[٥] ويقول أبو حيان : كنى عن ربوبيته ، وأفصح عن إلاهيته[٦] ويقول أيضًا موردًا لفظة إلاهية : بل علم ثابت ، ومعرفة راسخة ، وبيان جلى ، وشاهد قائم ، وبرهان موجود . وللشفوف بالحكمة فى هذه المواضع مراد ومسرح ومرقى ومفتح ، وذلك لأن الإلاهية عالية ، وعلائقها متشابكة متناسبة ، فكلما كشف الغطاء بالبحث والنظر ، بأن ما يبهر كشعاع الشمس[٧] ولفظة الجمع **الإلهيات** يذكرها أبو حيان فى نصٍّ له من كتاب البصائر يقول فيه عن الصوفيّة : وهذه كتبهم فى الإلهيات مملوءة بأخوات هذه الإشارات[٨] ولفظة **الإلاهىّ** ترد فى نصوص عديدة عند أبى حيان ففى رسالة الحياة يقول : ويتدرج فيها الواحد بعد الواحد من البشر بحسب السهام العلوية والمكاسب السفلية ، والتأهيل الإلهى بالمواهب

---

(١) الإشارات الإلهية ص٣٦٨ .
(٢) المقابسات ص١٦٢ .
(٣) البصائر والذخائر ج٣ ص٤٣٣ .
(٤) التعريفات للجرجانى ص٣١٥ .
(٥) المقابسات ص٢٦٥ .
(٦) المقابسات ص٨٣ .
(٧) المقابسات ص١٢٨ .
(٨) البصائر والذخائر ج١ ص٤٦٦ .

السابقة[١] ، ويقول أيضا أبو حيان فى رسالته هذه موردًا لفظة « إلهى » فى قوله : وهذه الحياة تستفاد بالتأييد الإلهى ، والاختيار البشرى ، مع النية الحسنة[٢] .

ولفظة «**تألّه**» ترد عند أبى حيان فى وصفه لأحد شيوخ الصوفيّة ، وفى مجلس الإمتاع يقول أبو حيان واصفًا الوزير صاحب مجالس الإمتاع : ونظرت إليه وقد دمعت عينه ورق فؤاده ، وهو كما تعلم كثير التأله ، شديد التوقى ، يصوم الاثنين والخميس[٣] . ويقول أبو حيان موردًا لفظة «تأله» فى حديثه عن الوزير صاحب مجالس الإمتاع وما ذكر من أوصاف الصوفية : فقال : اجمع لى جزءًا من رقاق العباد وكلامهم اللطيف الحلو ، فإن مراميهم شريفة ، وسرائرهم خالصة ، ومواعظهم رادعة ، وذاك – أظن – للدين الغالب عليهم ، والتأله المؤثر فيهم[٤] ، ولفظة «تأليه» ترد عند أبى حيان فى قوله : وانفتح باب الحيرة عليهم ، وسد باب اليقين عنهم ، قال ولهذا أيضا **تأليهم** وتنزههم وصاروا يقولون بتكافؤ الأدلة[٥] .

والفعل «يتأله» يرد عند التوحيدى فى حديثه عن شيخه أبى سعيد فيقول : وأبو سعيد يصوم الدهر ، ولا يصلى إلا فى الجماعة ، ويقيم على مذهب أبى حنيفة ، ويلى القضاء سنين ، ويتأله ويتحرج ، وغيره بمعزل عن هذا[٦] ويذكر أبو حيان لفظتى الجمع **إلاهيين ومتألهين** فى أماكن عديدة من كتاباته فيقول : والإلهيون من الفلاسفة هم الذين جمعوا بين هاتين النغمتين ، وعلوا هاتين الذروتين ، فتوحدوا عند ذلك بخصائصهم وانسلخوا عن نقائصهم[٧] ، وفى المقابسات يقول أبو حيان ذاكرًا الإلهيين : وكان بعض الإلهيين يقول : الإحسان من الإنسان زلة ، والجميل

---

(١) رسالة الحياة ص٥٥ .
(٢) رسالة الحياة ص٥٦ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص٧٩ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص٧٩ .
(٥) المقابسات ص٢٢٧ .
(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص١٣٢ .
(٧) الإمتاع والمؤانسة جـ٣ ص١٤٣ .

منه فلتة ، والعدل منه غريب[1] . ولفظة المتألهين يذكرها أبو حيان فى كتاباته فيقول : على أنا ما وجدنا الديانين من المُتألهين من جميع الأديان يذكرون أن أصحاب شرائعهم قد دعوا إلى الفلسفة وأمروا بطلبها واقتباسها من اليونانيين[2] ، ويذكر أبو حيان لفظة « مُتألهين » فى نص آخر يصف فيه الصاحب بن عباد فيقول : وكان مع حفظه الغزير عليه مؤونة فى تلاوة آية من كتاب الله عز وجل إذا أراد أن يستدل بها فى المناظرة والجدل ولم يكن عليه طابع العبادة ولا سيما المُتألهين[3] . وهاتان اللفظتان لصيغة الجمع لم تردا فى اللسان عند تناوله للمادة «أله» .

ولفظة **الرُّبوبيَّة** ترد فى نصوص عديدة من كتابات أبى حيان وقد تناولت المعاجم هذه اللفظة بالشرح والتعليق . فقد جاء فى اللسان عند تناوله للمادة (ر ب ب) الربّ : هو الله عز وجل ، هو ربُّ كل شيء أى مالكه ، وله الرُّبوبيَّة على جميع الخلق . ولا يقال الربُّ فى غير الله ، إلا بالإضافة[4] ، والربُّ : المالك ، والمصلح، والسيد، والمعبود، وقد وقع فى بعض التفاسير أن الربَّ صفة من ربه بمعنى رباه تربية ، ثم سمى به الملك المربى وانسلخ عن الوصفية وصار كالاسم الشبيه بالصفة كالكتاب والإله والعالِم ، والدليل على كونه صفة لحوق التاء به فى المؤنث[5] ويشرح التهانوى لفظة الربوبية شرحا وافيا فيقول فى كشاف اصطلاحات الفنون : الرُّبوبيَّة عند الصوفية اسم للمرتبة المقتضية للأسماء التى تطلب الموجودات فدخل تحتها العليم والسميع والبصير والقيوم والمُريد ونحو ذلك ، وأن الأسماء التى تحت اسم الرب – بالفتح اسم من أسماء الله تعالى – هى

---

(١) المقابسات ص١٩٣ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص١٧ .

(٣) مثالب الوزيرين ص٨٢ .

(٤) اللسان جـ ١ ص ١٠٩٨ .

(٥) الكليات لأبى البقاء جـ ٢ ص٣٨٩ .

الأسماء المشتركة بينه وبين خلقه والرب اسم لمرتبة تحتها الأسماء المختصة والمشتركة والفرق بينه وبين الله أن الله اسم لمرتبة ذاتية جامعة لحقائق الموجودات علويها وسفليها ، فدخل الرحمن تحت حيطة اسم الله والرب تحت الرحمن والملك تحت الرب ، فكانت الربوبية عرشًا أى مظهرًا ظهر منها وبها الرحمن إلى الموجودات[1] .

ويقول التهانوى : وفى الاصطلاحات الصوفية : الرّب اسم للحق عز اسمه باعتبار نسبة الذات إلى الموجودات العينية أرواحًا كانت أو أجسادًا ، فإن نسبة الذات إلى الأعيان الثابتة هى منشأ الأسماء الإلهية كالقادر والمُريد ، ونسبتها إلى الأكوان الخارجية هى منشأ الأسماء الربوبية كالرزاق والحفيظ ، فالرب اسم خاص يقتضى وجوب المربوب وتحققه[2] .

ولفظة الربوبية ترد فى كتابات أبى حيان كثيرًا وخاصة ما ذكره فى كتابه الإشارات الإلهية ومع الربوبية ترد الألفاظ الربوبىّ ، والربانيّة والربانىّ . والمعنى الصوفى واضح عند أبى حيان فى تناوله لهذه الألفاظ يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الرُّبوبيِّة فى إشاراته عافاك الله - إلى حضرة العز ، وبساط الكرامة ، وسرر الأمان ، وساحة الإلهية ، وبحبوحة الربوبية ، حيث الكون بما فيه عدم ، وكله بما عليه حلم[3] ، ويقول أبو حيان أيضًا : وهذه ربوبيتك المسلمة لك ، وسلطانك المردود إليك[4] ، ويقول واصفًا لفظة الرُّبوبيَّة : ربوبيته غلبت على البشرية ، وبشريته بادت فى الربوبية - ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء[5] ، ويقول أبو حيان فى ابتهالاته موردًا لفظة **رُبوبيَّة** : وانعم لنا بحروف ربوبيتك حتى نخلص لك وننسى ما دونك[6] .

(١،٢) كشاف اصطلاحات الفنون جـ ٣ ص ٤ .   (٣) الإشارات الإلهية ص٢٦٠ .

(٤) الإشارات الإلهية ص٢٦٧ .   (٥) الإشارات الإلهية ص٢٧٩ .

(٦) الإشارات الإلهية ص٢ .

ويقول أيضا واصفًا الربوبية بمعناها الصوفيّ : والربوبية تسرى أنوارها ، والبشرية تضيق أقطارها[١] ومع لفظة الربوبية ترد لفظة العبودية عند أبى حيان وتلازمها فى أماكن كثيرة من كتاباته وكما أن الربوبية نعت للحق سبحانه لا يزول عنه ، فالعبودية صفة للعبد لا تفارقه ما دام . وعن الربوبية والعبودية يقول القشيرى فى رسالته القشيرية : الصوفية بأنهم صفوة الأولياء وصفاهم الله من كدورات البشرية ورقاهم إلى مجال المشاهدات بما تجلى لهم من حقائق الأحدية ووقعتهم للقيام بآداب العبودية ، وأشهدهم مجارى أحكام الربوبية[٢] ثم يفرد بابًا خاصًا يتحدث فية عن العبودية فيقول : العبودية أتم من العبادة ، فأولا : عبادة ثم عبودية ، ثم عبودة . فالعبادة للعوام من المؤمنين ، والعبودية للخواص ، والعبد لخاص الخاص[٣] وقد جاء فى اللسان : العبد الإنسان حرًا كان أم رقيقًا ، يُذهب بذلك إلى أنه مربوب لباريه عز وجل ، وأصل العبودية الخضوع والتذلل ، والعبد كما قال سيبويه هو فى الأصل صفة ، قالوا : رجل عَبْد ، ولكنه استعمل استعمال الأسماء[٤] وترد لفظة **العُبوديّة** فى نصوص أبى حيان ملازمة للفظة الربوبية فى معظم الأحيان فيقول فى إشاراته الإلهية ذاكرًا لفظة العبودية بمعناها الصوفى : أنت مناط الربوبية فلا تهبط إلى قاع العبودية[٥] . ويقول أيضا : وإلى حديث العبودية وصفاتها ، وإلى حديث الربوبيةومصافاتها، وأما العبوديّة فممحوقة ، وأما الربوبية فسحيقة . هذا نعت على الاختصار والإيجاز[٦] ، ويقول فى مناجاته ذاكرًا اللفظتين العبودية والرُّبوبية : يا هذا ! أين عزة الربوبية الصادرة عن القدرة التامة ، عن ذل العبودية الواقعة على العجز البادى[٧] .

---

(١) الإشارات الإلهية ص٢٧٥ .
(٢) الرسالة القشيرية للقشيرى جـ١ ص٢٦ .
(٣) الرسالة القشيرية للقشيرى جـ ٢ ص٤٢٨ .
(٤) اللسان جـ ٢ ص٦٦٤ .
(٥) الإشارات الإلهية ص٣ .
(٦) الإشارات الإلهية ص٩٠ .
(٧) الإشارات الإلهية ص٣٦٤ .

ويستخدم الصوفيّة لفظ العبد دلالة على مقام العبودية مقابل الرب فى مقام الربوبية ويقولون العبد فى تفكير والرب فى تدبير ، والعبودية خاصة بالعبد الصالح فإذا أكرمه الله تعالى وستر خطوط نفسه وهواها ، وجعله يتقلب فى نعم عبوديته وشغل بها نفسه[1] .

ويحدثنا أبو حيان فى إشاراته حديثًا طويلًا عن العبد والعبودية فيقول : فإنّ العبد إذا فرغ مما عليه بحق العبودية شغل بماله من حق الربوبية[2] ، وترد لفظة «العبد» في كتابات أبى حيان بمعناها المادى أى الشخص المملوك وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : إن صديقًا لى ضرب عبدًا له ، فحضره صديق له فمنعه الصديق فلم يمتنع ، فكتبت إليه أذكره بحق الصديق فى عبودية الطاعة ، وأخوة العبد فى حق الإيمان[3] .

والحديث عن الربوبية والعبودية فى كتابات أبى حيان ليس له خاتمة وخاصة ما قاله فى كتاب الإشارات الإلهية . وذكر أبو حيان فى كتاباته اشتقاقات متنوعة من المادة (ر ب ب) مثل ربانية وربانى وربوبى .

لفظة ربَانيَّة ترد عند أبى حيان فى نصوص كثيرة من كتاباته ففى نص له يقول موردًا لفظة «ربانيّة» فى وصفه للوجد عند الصوفية : فأما الوجد فيرتفع عن تجديده بنظم لفظ ، وترتيب حرف ، لأنه صوت من حضرة الحق بغشيان روحانى ، ومباشرة ربانية[4] . يقول أبو حيان أيضا فى إشاراته موردًا لفظة ربانية فى قوله : أيها المبتدع بالقدرة الإلهية ، والخلق المصطنع بالمشيئة الربانية ، والإنسان المحفوف بالغمة الملكية[5] .

---

(١) الألفاظ الصوفية الشرقاوى ص٢٣٠ .
(٢) الإشارات الإلهية ص٣٠٩ .
(٣) الصداقة والصديق ص٤٠٤ .
(٤) الإشارات الإلهية ص٢٠٤ .
(٥) الإشارات الإلهية ص٣٥ .

ولفظة **الربانيّ** وهو المنسوب إلى الرب ، بزيادة الألف والنون للمبالغة . والربانيّ هو العالم الراسخ فى العلم والدين ، وهو المتألّه العارف بالله تعالى ، والجماعة ربانيين والربانى هو فى الأصل ربى أدخلت الألف للتفخيم ثم أدخلت النون لسكون الألف كما فى نصرانى والربوبى هو المنسوب إلى الرب على غير قياس[1] .

واللفظة ربانى ترد عند أبى حيان فى قوله : أيها السامع ! هذه مناجاتى لربى مع أخوات لها عندى . فإن حركك العشق الربانى ، وحفز سرك الشوق الإلهى ، فتبلغ إلى واحمل ثقلك علىّ حتى تصدر غنيًّا بلا مال وعزيزًا بلا عشير[2] .

وترد لفظة ربانيّ فى تساؤلات أبى حيان : وأين النطق الإلهى والبيان الربانى والنظر الذى امتد شعاعه من العين أحرق الكون بجميع ما فى الكون ؟[3] .

ويعرف لفظة الربانى التهانوى فى كشافه فيقول : الربانى بالفتح وتشديد الموحدة قيل سريانى إلا أنه لم يوجد فى كلامهم وقيل منسوب إلى الربان كالربان وقيل إلى الرب الذى هو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى الحد التام ولا يقال مطلقا إلّا عليه تعالى ، فالألف والنون فيه كما فى الربان للمبالغة[4] ولفظة **رُبوبيّ** يذكرها أبو حيان فى إشاراته فيقول : وارع حمى التوحيد ،فإنه مجود بالغيث الربوبى[5] ، ويقول أبو حيان فى نصٍّ من كتاب الإمتاع موردًا لفظة رُبوبيّ : وهذا سوق إلهى وإن كان الانسياق بشريًّا ، ونظم رُبوبى وإن كان الانتظام إنسيًّا[6] ، ويقول فى المقابسات ذاكرًا لفظة ربوبيّ : يقال إن الولاية للجزء الإلاهى ، والمعنى الربوبى[7] .

---

(١) اللسان جـ ١ ص ١٠٩٨ .

(٢) الإشارات الإلهية ص٢٩٠ .

(٣) الإشارات الإلهية ص٢٦٣ .

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون جـ ٣ ص ٤ .

(٥) الإشارات الإلهية ص١٣٦ .

(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ٣ ص١١٥ .

(٧) المقابسات ص ٢٢٥ .

ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الجمع ربانيين : وما زهد فى هذه الحال كثير من الحكماء الأولين والعباد الربانيين ، إلّا لغلظها وصعوبتها[1] ويقول أيضا موردًا لفظة الربانيين فى قوله : وأبو على العسوى يشرب ويتخالع ويفارق هدى أهل العلم وطريقة الربانيين وعادة المتنسكين[2] وقيل إن الربانيين ليست بعربية ، وإنما هى عبرانية أو سريانية . وزعم أن العرب لا تعرف الربانيين وإنما عرفها الفقهاء وأهل العلم[3] .

ولفظة **الرُّوحانية** من الألفاظ التى كثر ورودها فى كتابات أبى حيان بالمعنى الصوفى وهى منسوبة إلى الروح – بضم الراء – وقد اختلفت الأقوال فى معنى الروح ، فقد جاء فى اللسان : الرُّوح ما به حياة النفس ، وهو النَّفَس الذى يتنفسه الإنسان . وهو خَلْق من خَلْق الله لم يعط علمه أحدًا . والروح : الوحى وأمر النبوة ، والقرآن . وقد تكرر ذكر الروح فى الحديث كما تكرر فى القرآن ووردت فيه على معانٍ[4] وقال كثير من أرباب علم المعانى وعلم الباطن والمتكلمين لا نعلم حقيقة الروح ولا يصح وصفه وهو مما جهل العباد بعلمه مع التيقن بوجوده[5] ، بدليل قوله تعالى : ﴿ ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ﴾[6] وفى الاصطلاحات الصوفية : فى اصطلاح القوم هى اللّطيفة الإنسانية المجردة[7] .

ولفظة **رُوحانيَّة** يذكرها أبو حيان فى نصوص عديدة من كتاباته المختلفة ففى الإمتاع يقول : فى نص له : العقل يحكم فى الأشياء الرُّوحانيَّة البسيطة الشريفة من جهة الصور الرفيعة[8] ، ويقول فى الإمتاع أيضا : البديهة قدرة روحانية ،

---

(1) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص٦ .
(2) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص١٣٢ .
(3) اللسان جـ ١ ص١١٠٠ .
(4) اللسان جـ ١ ص ١٢٥٠ .
(5) كشاف اصطلاحات الفنون جـ ٢ ص٥٤٨ .
(6) سورة الإسراء : ٨٥ .
(7) اصطلاحات الصوفية للقاشانى تحقيق محمد كمال إبراهيم ص ١٥١ .
(8) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص ٢٢٠ .

فى جبلة بشرية ، كما أن الروية صورة بشرية فى جبلة روحانية[1] ، ويتحدث أبو حيان عن أستاذه أبى سليمان فيقول موردًا لفظة روحانية فى حديثه : إن شيخنا أبا سليمان غزير البحر ، واسع الصدر ، لا يغلق عليه فى الأمور الروحانية والأنباء الإلهية والأسرار الغيبية[2] وترد لفظة روحانية فى نص لأبى حيان يوضح فيه الفرق بين الفلسفة والشريعة فيقول : وأما قولك : هذه روحانية - تعنى الفلسفة - وهذه حسية - تعنى الشريعة - فزخرفة لا تستحق الجواب على أنا لو قلنا : بل الشريعة هى الروحانية لأنها صوت الوحى ، والوحى من الله عز وجل[3] ويذكر أبو حيان لفظة الجمع **روحانيات** فيقول : وقال : إذا قلنا الروحانيات ، فماذا ينبغى أن يلحظ منها ؟ فقال : الروحانيات على أقسام ، فقسم منها متبدد فى المركبات من الحيوان والجماد ، وقسم منها مكتنف للحيوان والجماد[4] .

ولفظة الروحانية والجمع الروحانيات لم ترد فى اللسان عند تناوله للمادة «روح» . ولفظة رُوحانىّ بضم الراء جاءت فى كتابات أبى حيان مع لفظة الروحانية وذلك فى حديثه عن المجال الصوفى . والرُّوحانى من الخَلْق : نحو الملائكة ممن خَلَقَ الله رُوحًا بغير جسد ، وهو من نادر معدول النسب . وقيل إن العرب تقول روحانى لكل شىء كان فيه رُوح من الناس والدواب والجن والجمع روحانيون[5] .

ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة **روحانى** فى كتاباته : إنه صوت من حضرة الحق بغشيان روحانى ، ومباشرة ربانية[6] .

ويقول أبو حيان أيضا فى رسالة الحياة موردًا لفظة روحانى فى المجال الصوفى :

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص١٤٢ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص٢٣ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص١٣ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص٢١٣

(٥) اللسان جـ١ ص١٢٥٠ .

(٦) الإشارات الإلهية ص٢٠٤ .

نشر الحكمة ثواب روحانيّ ، وذكر دهريّ ، وصيت باق ، وبهجة موموقة[1]
ومعنى الروحانى يشرحه التهانوى فى كشافه قائلًا : روحانى بالضم آدمى
وملك ، وقيل من يكون هو نفسه روحا لا جسدا مثل الملائكة[2] .

مما تقدم يتبين لنا أن أبا حيان أورد فى كتاباته عددًا من الألفاظ مختلفة المواد جاءت بالمعنى الاصطلاحى الصوفى . فمن المادة « أ ل ه » ذكر أبو حيان الألفاظ التالية : الألوهية ، والإلهية (مصادر صناعية) والإلهى (صيغة النسب) والإلهيات ، والإلهيين ، والمتألهين (صيغ الجمع السالم) وذكر أيضا المصادر تألُّه وتأليه والفعل تأله .

ومن المادة (ر ب ب) ذكر أبو حيان الألفاظ مثل الربوبية ، والربانية (مصادر صناعية) والربوبى (صيغة نسب على غير قياس) والربانى (صيغة النسب للمبالغة) والربانيين صيغة الجمع . وذكر من المادة (ع ب د) اللفظتين عبودية (مصدر صناعى) والعبد (صفة استعملت استعمال الأسماء) .

ومن المادة (روح) أورد أبو حيان الألفاظ نحو الروحانية (مصدر صناعى) والروحانيات (صيغة جمع) والروحانى (صيغة النسب للمبالغة) .

ومن الملاحظ أن هذه الألفاظ المتعددة التى استعملها أبو حيان فى كتاباته كمصطلحات صوفية جاءت فى اللسان بالمعنى اللغوى الخاص بالأمور الدينية وهناك بعض من هذه الألفاظ أغفل ذكرها اللسان عند تناوله لموادها مثل لفظة المُتألهين وصيغة الجمع الإلهيات وأيضا الألفاظ تأليه وتأله . ثم لفظة الروحانية وصيغة الجمع الروحانيات ، وتعتبر هذه الألفاظ اشتقاقات جديدة فى كتابات أبى حيان نتيجة لكثرة استخدامها فى عصره .

---

(١) رسالة الحياة ص٥٣ .
(٢) كشاف اصطلاحات الفنون ج٣ ص٥٤٩ طبعة بيروت .

ويتبين أيضا أن هذه الألفاظ العديدة جاءت عند أبى حيان فى مجموعتين من الصيغ الجديدة التى كثر استخدامها فى عصره .

المجموعة الأولى « صيغ النسب » وهى الصيغ الناشئة من إضافة الألف والنون مع ياء النسب نحو رَبانىّ ، رُوحانىّ (الألف والنون من زيادات النسب للمبالغة) . والمجموعة الثانية وهى « المصادر الصناعية » وهذه ناشئة من إضافة ياء النسب المشددة مع التاء نحو الألوهيَّة ، والإلهيَّة ، والربوبيَّة ، والربانيَّة ، والعبوديَّة والروحانيَّة . وهذه الصيغ ظهرت فى العصور العربية بعد الإسلام أى مع بدء عصر تدوين العربية وكثر استخدامها فى العصر العباسى وكانت من الظواهر اللغوية المميزة فى عصر أبى حيان .

ومن الملاحظ أن أصول هذه الألفاظ التى مر ذكرها هى أصول عربية ثابتة مستقرة منذ العصر الجاهلى .

سادسا : الإشارات والعبارات الصوفية :

تمدنا الإشارات بمفهوم واضح للتصوف حسبما كان يؤمن به أبو حيان التوحيدى . فقد مر القول إن أبا حيان عرف التصوف بأنه إشارات إلهية وعبارات وهمية[1] وإن التصوف اسم يجمع أنواعًا من الإشارات وضروبًا من العبارات[2] إن الإشارة إلى علم التصوف بالإشارات والعبارات كان أمرًا معروفًا متداولًا لدى الصوفيّة فى عصر أبى حيان ، وإذا أردنا أن نستدل على ما كان يعنيه أبو حيان بكلمة الإشارات بشكل دقيق وواضح ، فعلينا أن نتأمل النصوص التى وردت فيها تلك الكلمة وعندئذ ندرك أن المعنى بالإشارات لدى أبى حيان هو محاولة

---

(١) الإشارات الإلهية ص١١٣ .

(٢) الإشارات الإلهية ص١١٥ .

المتصوف الذى ارتفع بمنزلته عن الناس واقترب من الوصول إلى الله أن يعبر عن الحقيقة الإلهية بصنوف مختلفة من العبارات التى يستعملها البشر جميعهم ، سواء أكان ذلك التعبير لتسبيح الله وحده أو لهداية الناس إلى الله تعالى . فالإشارة عند أبى حيان هى الطريق التى يشير بها من هم فى منزلة أرباب القلوب والرافعين لأستار الغيوب إلى غايات الحقيقة ولذا كانت إشاراتهم تطيح دون الحقيقة ذاتها فلا جرم لا إشارة ولا عبارة إلا على وجه الاستعارة والإعارة[1] فالإشارة فى نظر أبى حيان صعبة مدمجة[2] قد يتيه المرء فى أوائلها[3] وبهذا المعنى فإن الإشارة تختلف عن العبارة رغم أنها مدفونة فيها[4] وفى هذا المجال يقول أبو حيان : فإنه ليس يخفى عليك من هذه **العبارة** إلا ما تجده فى باب **الإشارة**[5] كما أن الإشارة تختلف عن العبارة لأنها واحدة بهدفها ومؤداها رغم تكثر أشكالها[6] وفى مقابل التكثر فى العبارة يقول أبو حيان : وإنما لطفت الإشارة عنها لأنها تنزهت عما يتحكم فى الأسماء والأفعال والظروف[7] .

ويعتبر أبو حيان العبارة وسيلة للإشارة ، ولذلك يقول لمخاطبه : طال القول المزين ، فحصل المراد المعين ، كثرت العبارة ، فحقق الإشارة[8] ويشير أبو حيان إلى اشتراك **العبارة والإشارة** فى تقريب الحقيقة الإلهية إلى الناس إذ الإشارة التى هى إليك هى منك ، ولم تختلف هذه الحروف إلا لحاجة الخلق إليها فى النكور وإلا فالمعنى واحد[9] وهذا هو المعنى الذى يدعو أبا حيان إلى أن يكتب كتابًا فى الإشارات ، وهو لذلك يقول لقارئ كتابه : يا هذا كن ذاكرًا لما ألقيته إليك فى هذا الجزء من وصف العبارة والإشارة ، فإنك تجد ما يقلك إذا نهضت ، ويظلك

---

(١) الإشارات الإلهية ص١٩٧ .

(٢) الإشارات الإلهية ص١٢٢ .

(٣) الإشارات الإلهية ص٢٢٢ .

(٤) الإشارات الإلهية ص٦١ .

(٥) الإشارات الإلهية ص١٢٥ .

(٦) الإشارات الإلهية ص٢٧٤ .

(٧) الإشارات الإلهية ص٦١ .

(٨) الإشارات الإلهية ص٢٢٧ .

(٩) الإشارات الإلهية ص٢٠٣ .

إذا ضحيت[1] والإشارة الإلهية والأنفاس الروحانية هى التسمية الكاملة لكتاب أبى حيان ، وتفيد عبارة الأنفاس الروحانية نوعًا من مناجاة الصوفى ووجده . هنا عرض موجز لمفهوم الإشارات عند أبى حيان كما ورد فى كتابه الإشارات الإلهية وهناك نصوص أخرى سنذكرها تباعًا عن أنواع الإشارة والجمع إشارات والعبارة والجمع عبارات ، وقبل أن نتناول نصوص أبى حيان المتضمنة لهذه الألفاظ نلقى نظرة على ما جاء فى المعاجم تعريفا لهذه الألفاظ وما قاله الباحثون فى هذا المجال ، إذإن أبرز ما يميز تصوف القرنين الثالث والرابع هو اصطناع أصحابه لأسلوب الرمز فى التعبير عن حقائق التصوف ، ورمزوا إلى التوحيد الصوفى بالإشارة حينا وبالعبارة المغلقة أحيانًا ، وكثر الإبهام والغموض فى أقوالهم[2] ، بصورة أثرت فى النتاج الفكرى فى بيئتهم فى هذا العصر الذى نؤرخ له وفى العصور التالية ويؤكد نيكلسن فى كتابه عن (التصوف الإسلامى) أن الصوفية اعتبروا أنفسهم خاصة أهل الله الذين منحهم الله أسرار العلم الباطن المودع فى القرآن والحديث ، وأنهم استعملوا فى التعبير عن هذا العلم لغة الرمز والإشارات التى لا يقوى على فهمها غيرهم من المسلمين[3] وبهذا المعنى يشير صاحب اللُّمع إلى الإشارة عند الصوفية[4] ويسمى أبو حيان الصوفية فى كتاباته بذوى الإشارة[5] .

جاء فى اللسان : الشَّوْر عرض الشيء وإظهاره . وأشار إليه وشَوَّرَ : أومأ ، يكون ذلك بالكف والعين والحاجب . وأشار الرجل يشير إشارة إذا أومأ بيديه ، وأشار عليه بالرأى وأشار يشير إذا ما وجه الرأى[6] وجاء فى الكليات تعريف وافٍ

---

(١) الإشارات الإلهية ص١٣ .

(٢) نشأة التصوف الإسلامى . إبراهيم بسيونى ص٢٨٢ .

(٣) فى التصوف الإسلامى وتاريخه نيكلسن ص ٧٧ .

(٤) اللمع للطوسى ص ٤١٤ .

(٥) البصائر والذخائر جـ١ ص٥٤٧ .

(٦) اللسان جـ٢ ص٣٨١ .

للفظة الإشارة التى هى التلويح بشىء يفهم منه النطق ، فهى ترادف النطق فى فَهْم المعنى . ويقول صاحب كتاب الكليات معددًا أنواع الإشارة : والإشارة عند إطلاقها حقيقية فى الحسيَّة ، وإشارة ضمير الغائب وأمثالها ذهنية لا حسية . والإشارة الحسية تطلق على معنيين أحدهما : أن يقبل الإشارة بأنه ههنا أو هناك . وثانيهما : أن يكون منتهى الإشارة الحسية منتهيًا إلى المشار إليه . والإشارة إذا استعملت بعلى يكون المراد الإشارة بالرأى ، وإذا استعملت بإلى يكون المراد الإيماء باليد . والإشارة أن يشير المتكلم إلى معانٍ كثيرة بكلام قليل يشبه الإشارة باليد[1] . وهناك عدة تعريفات تقليدية للإشارة أوردها التهانوى فى كشافه وتدور هذه التعريفات حول اعتبار الإشارة عند الأصوليين هى دلالة اللفظ على المعنى من غير سياق الكلام له ويسمى بفحوى الخطاب أيضا . وعند أهل البديع الإشارة هى الإتيان بكلام قليل ذى معان جمة وهذا هو إيجاز القصر[2] .

وعن معنى الإشارة عند الصوفية يقول الشرقاوى فى كتابه الألفاظ الصوفية ومعانيها : إن الوسائل التى يستخدمها عامة الناس فى الاتصالات تكون دائمًا عن طريق التخاطب أو التحاكى أو المقابلة ، أما أهل الخصوص فيستخدمون الإشارة تعبيرًا وإرسالًا واستقبالًا ويقول أحد أئمة الصوفية ما كتب صحيح إلى صحيح ، وما افترقا على الحقيقة . ومعنى ذلك أن لغة التخاطب العادية هى رسائل للعامة ، أما الأصحاء أى الصادقون أو العارفون فإنه لا داعى لديهم لهذه المخاطبات والمكاتبات ، وإنما طرق الاتصال تكون الإشارة أو عن طريق الرؤيا أو الإلهام[3] ويوضح لنا الشعرانى فى اليواقيت والجواهر السبب الذى من أجله استخدم الصوفية إشاراتهم فيقول : إن الفقيه إن لم يوفق يقال إنه أخطأ ، أما الصوفى فإنه

---

(١) الكليات لأبى البقاء جـ١ ص١٨٤ ، ص١٨٦ .

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون جـ٤ ص١١٥ .

(٣) الألفاظ الصوفية للشرقاوى ص٥٣ .

عندما لا يوفق يقال إنه كفر ، لذلك كان لزاما على الصوفية استخدام الإشارات حتى لا يشتد إنكار العامة لهم[1] .

ولفظة **إشارة** والجمع **إشارات** ترد بمعان متنوعة وفى أماكن كثيرة جدا من كتابات أبى حيان . ففى نص له من مثالب الوزيرين يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الإشارة بالمعنى المادى : وكان إيماؤه باليد والإصبع والحاجب والشفة وهذا كله لا يفصح عن حرف ، فلم يكن يفهم التاجر لشقائه معنى الإشارة[2] ويقول أيضا فى نص آخر من كتابه هذا ذاكرًا لفظة الإشارة بمعنى العلامة والأمارة : ولا بد للأصل من أمارة فى الفرع ، كما لا بد للفرع من الإيماء إلى الأصل ، والأصل والفرع متشابهان[3] وبالمعنى الفلسفىّ يقول أبو حيان ذاكرًا الإشارة بمعنى الدلالة : أملى على أبو سليمان فقال : الدهر هو إشارة إلى امتداد وجود ذات من الذوات[4] وعن الإشارة المعنوية يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الإشارة بمعنى الإبهام والغموض : كان أبو يزيد البسطامى غزير الركية ، بعيد القعر ، عويص الإشارة ، غريب العبارة[5] والإشارة بالمعنى البلاغى ترد فى نصوص عديدة من كتابات أبى حيان ففى نصٍّ من بصائره يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الإشارة بهذا المعنى : البلاغة وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة ، وحسن الإشارة[6] ويقول فى نصٍّ من كتاب الإمتاع ذاكرًا الإشارة بالمعنى البلاغى : وأما بلاغة المثل بأن يكون اللفظ مقتضبًا ، والحذف محتملًا ، والصورة محفوظة ، والمرمى لطيفًا ، والتلويح كافيًا ، والإشارة مغنية ، والعبارة سائرة[7] ، ويقول أيضا ذاكرًا لفظة الإشارة بالمعنى البلاغى : قلت لأبى عبيد الكاتب النصرانى ببغداد ، وكان سهل البلاغة ،

---

(١) اليواقيت والجواهر ، الشعرانى جـ١ ص١٩ .

(٢) مثالب الوزيرين ص١٩٧ .

(٣) مثالب الوزيرين ص٢٣٦ .

(٤) المقابسات ص٣٠١ .

(٥) البصائر والذخائر جـ١ ص١٧٨ .

(٦) البصائر والذخائر جـ١ ص٣٦٢ .

(٧) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص١٤١ .

حلو اللفظ ، حسن الاقتضاب ، غريب الإشارة ، مليح الفصل والوصل : كيف ترى كتابة ابن عباد ؟[1] ولفظة الجمع إشارات ترد عند أبى حيان بالمعنى المادى فى نص يقول فيه واصفًا أحدهم : قليل الحركات ، حسن الإشارات ، حلو الشمائل[2] وترد لفظة الجمع إشارات بدلالة معنوية وفى مجال الحديث عن اللغة يقول أبو حيان : هذه كلها نواطق ولكن بلا حروف ، وشواهد ولكن بلا لفظ ، وإشارات ولكن بلا أدوات[3] وفى مجال الإشارات اللفظية يقول أبو حيان : يا هذا ! أتدرى من الذى عاف الكون ، وأتى ممن وراء كل بحث دقيق ، واستخفى إشارات الألسنة بأنواع التكذيب والتصديق وهو الذى علل الفانى بالفانئ ؟ ، وأزعج هذه المعانى[4] .

ويشير أبو حيان إلى إشارات الصوفية فى نص يقول فيه : للصوفية إشارات سليمة ، وألفاظ صحيحة[5] وعن كتب الصوفية يقول أبو حيان موردًا لفظة إشارات وهذه كتبهم فى الإلهيات مملوءة بأخوات هذه الإشارات[6] .

وترد لفظة إشارات بمعناها الصوفى عند أبى حيان فى نصٍّ يقول فيه مخاطبًا جماعة الصوفيّة : وهذه إشارات لا تدق عن أذهانكم، ولا تفوت فطنكم ، فلهذا تلبست بها استعطافا لكم ، وتكثرت بذكرها تقربًا إليكم ، فلا تخيبوا رجائى فيكم[7] .

وبعد الإشارة والجمع إشارات نأتى إلى لفظة **العبارة** والجمع **عبارات** وإن كانت العبارة أقل ورودًا فى كتابات أبى حيان وقد اهتم أبو حيان بلفظة الإشارة

---

(١) مثالب الوزيرين ص٩٣ .
(٢) البصائر والذخائر جـ٢ ص٤٤٥ .
(٣) الصداقة والصديق ص٣٣٩ .
(٤) الإشارات الإلهية ص٢٣٣ .
(٥) البصائر والذخائر جـ٣ ص٢٧٦ .
(٦) البصائر والذخائر جـ١ ص٤٦٦ .
(٧) الإشارات الإلهية ص٣٠ .

والجمع إشارات اهتمامًا بالغ الأهمية ، وهذا لا يمنع من عرض ما قاله فى نصوصه عن العبارة واستخدامها فى مجال الألفاظ الصوفية . وقد تناولت المعاجم هذه اللفظة بالشرح والتوضيح ولنر ما جاء فى المعاجم تعريفًا للفظة العبارة .

جاء فى اللسان : عَبَرَ الرؤيا يَعْبُرُها عبرا وعِبارة وعبَّرها : فسرها وأخبر بما يؤول إليه أمرها وعَبّر عما فى نفسه : أعرب وبيّن . وعَبّر عنه غيره : عيي فأعرب عنه ، والاسم العِبْرة ، والعِبَارة والعَبارة ، وعَبّر عن فلان : تكلم عنه واللسان يعبر عما فى الضمير وعَبّرَ بفلان الماء وعَبّره به . وقيل أخذ هذا كله من العِبَرِ ، وهو جانب النهر[١] .

وفى كتاب التعريفات يقول الجرجانى معرفًا العِبارة بالمعنى الاصطلاحى : عبارة النص هى النظم المعنوى المسوق له الكلام سميت عبارة لأن المستدل يعبر من النظم إلى المعنى ، والمتكلم من المعنى إلى النظم فكانت هى موضع العبور فإذا عمل بموجب الكلام من الأمر والنهى يسمى استدلالًا بعبارة النص[٢] وفى كتاب الفروق فى اللغة يقول العسكرى : وسميت العبارة عبارة لأنها تعبر المعنى إلى المخاطب ، والتعبير وزن الدنانير لأنها تعبر به من حال المقدار إلى ظهره . والفرق بين العبارة عن الشيء والإخبار عنه ، أن الإخبار عنه يكون بالزيادة فى صفته والنقصان منها ، والعبارة عنه هى الخبر عنه بما هو عليه من غير زيادة ولا نقصان[٣] .

ولفظة **عبارة** ترد فى نصوص عديدة من الإشارات الإلهية ونصوص غيرها من كتاباته الأخرى ، ففى الإشارات الإلهية يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة عبارة بمعنى طريقة التعبير : يا هذا ! قد صرفت لك القول فى فنون من العبارة على ضروب من

---

(١) اللسان جـ٢ ص٦٦٧ .
(٢) التعريفات للجرجانى ص١٥١ .
(٣) الفروق فى اللغة للعسكرى ص٢٧ .

الإشارة جذبًا لضبعك إلى المحل الأعلى ، ورفعا لطرفك إلى الحد الأقصى[1] ويقول موردًا لفظة عبارة بمعنى الجملة الكلامية : وإذا استعرت عبارة الغائب فى الشاهد بالعادة ، فلا تطردها على وجهها فى الغائب[2] ويقول أبو حيان فى مناجاته ذاكرًا لفظة عبارة بمعنى القول أو النطق : بينى وبينك أحوال اللسان لا يصنفها ، والعبارة لا تصرفها ، والوصف لا يأتى عليها[3] . وترد أيضا لفظة عبارة بمعنى النطق أو القول فى نصٍّ لأبى حيان من كتاب الإمتاع يقول فيه : فإذا شهدت المخصوص بها كانت عبارتك عن الملحوظ منها مشاكلة لعبارتك عن أخلاق رضية وأحوال مرضية ، وإذا شهدت ذلك المعنى من المعانى الحق كانت عبارتك متلجلجة لا نظام لها ولا تعاطى ، ولا اتساق على العادة الجارية[4] ، ويورد أبو حيان لفظة عبارة بمعنى الجملة الاصطلاحية : فى نص من إشاراته الإلهية يقول فيه : فإذا سلمت هذه العبارة فتعال حتى نقول : متن التوحيد مشاهدة الواحد بالضمير المعتقد على الآخر[5] .

ولفظة الجمع **عبارات** جمع عبارة ترد فى نصوص عديدة من كتابات أبى حيان ففى أحد نصوصه يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة عبارات بمعنى الأقوال : لأنها إشارات إلهية وعبارات إنسية ، إلا أن العبارات الإنسية ليست مألوفة بالاستعمال الجارى[6] .

ولفظة الجمع عبارات ترد فى كتابات أبى حيان بمعنى طرق التعبير فى القول التى تتميز بها لغة دون غيرها من اللغات وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : وإذا جهلنا أشياء ، هى لأهل الإنس بلغات قد فطروا عليها ، وعبارات أنسوا

---

(١) الإشارات الإلهية ص٢٨٧ .
(٢) الإشارات الإلهية ص١٧٤ .
(٣) الإشارات الإلهية ص٤٠١ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص٢١٠ .
(٥) الإشارات الإلهية ص١٠٨ .
(٦) الإشارات الإلهية ص٢٢٤ .

بها[1] وترد لفظة الجمع (عبارات) بمعنى التراكيب البلاغية فى نص لأبى حيان يقول فيه : ومن المسائل مسائل لها جهات وحواشي ، فيختلف الجواب بين المجيبين بحسب نظرهم من تلك الجهات والحواشي ، أو بحسب العبارات التى تجزل مرة وتضعف أخرى[2] .

واللفظتان إشارة وعبارة تردان متلازمتين فى نصوص من كتابات أبى حيان ففى نص من بصائره يقول أبو حيان ذاكرًا هاتين اللفظتين فى مجال حديثه عن الصوفية : وأردت إفراد جزء من الكتاب – كتاب البصائر والذخائر – لوساوسهم وملحهم ، ونوادرهم ، وحقائقهم لكنى قد عجزت عنه عجزًا أوضح عذرى وكشف حجتى ولو جمع من أثناء الكتاب ما يشاكل عبارتهم ، ويطابق إشارتهم لكان له موقع وأثر[3] ويقول أبو حيان فى نص له من إشاراته ذاكرًا اللفظتين إشارة وعبارة وهما كثيرًا ما تردان متلازمتين فى نص واحد : وأسباب الخلق منفصلة وليس هذا الترتيب عبارة عن محايز ولكنه إشارة إلى عين من غير كيف ولا أين[4] ، ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظتى الإشارة والعبارة بمعنى الرمز والتلويح : فكان ذلك الوحى إنما كان تلطفا من الله له فى استيعابها بالإيماء والإشارة والخفيف من العبارة[5] .

ولفظتا الجمع إشارات وعبارات كثيرا ما تردان متلازمتين فى كتابات أبى حيان ففى نص له من هوامله يقول أبو حيان ذاكرًا الإشارات والعبارات بالمعنى الصوفى : وعلى ذكر الله تعالى ، بم يحيط العلم من المشار إليه باختلاف الإشارات والعبارات[6] وترد اللفظتان إشارات وعبارات كمصطلحات خاصة بالصوفية

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص٢٠٧ .
(٢) المقابسات ص٢٢٠ .
(٣) البصائر والذخائر جـ٣ ص٢٧٧ .
(٤) الإشارات الإلهية ص٢٨٠ .
(٥) الإشارات الإلهية ص٢٩٤ .
(٦) الهوامل والشوامل ص٥٥ .

فى نص لأبى حيان يقول فيه : اللهم ارحم روعتنا فى أطراف هذه الإشارات ، من اختلاف هذه العبارات فوحقك ما ندرى كيف ندعوك ، وبأى شيء نتقرب إليك[١] .

ومع الإشارة والعبارة يذكر أبو حيان فى مجال الحديث عن ألفاظ الصوفية لفظة (الرمز) واستخدام الصوفية للرمز للتعبير عن حقيقة تفوق الحس وفى هذا المجال يقول القشيرى مدافعا عن الصوفية ومناصرًا لهم فى استخدامهم للرمز فى تعابيرهم: نعم ما فعل القوم من الرموز، لأنهم فعلوا ذلك غيره على طريق أهل الله عز وجل أن تظهر لغيرهم فيفهموها على خلاف الصواب فيفتنوا أنفسهم أو يفتنوا غيرهم[٢] .

سابعا : الرمــز :

جاء فى اللسان : الرَّمْز فى اللغة كل ما أشرت إليه مما يبان بلفظ بأى شيء أشرت إليه بيد أو بعين . والرَّمْز : تصويت خفى باللسان كالهَمْس . وقيل : الرَّمْز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم . وفى التنزيل فى قصة زكريا عليه السلام : ﴿ ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزًا ﴾[٣] .

وجاء فى اللُّمع تعريف الرمز اصطلاحا هو معنى باطن مخزون تحت كلام ظاهر لا يظفر به إلَّا أهله[٤] .

وترد لفظة رَمْز فى كتابات أبى حيان بمعانٍ متنوعة وكلها تدور حول المعنى الاصطلاحى الخاص بالصوفية وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : يا هذا ! غيب هذا الحديث خاف والرَّمْز عنه متخاف ، وإنما ندندن حول هذه المغانى ، هناك

---

(١) الإشارات الإلهية ص٢٢٨ .
(٢) الرسالة القشيرية للقشيرى جـ ص .
(٣) اللسان جـ١ ص١٢٢٣ .
(٤) اللمع ص٤١٤ .

تنال مالا أذن سمعت ، ولا عين رأت(١) وبهذا المعنى الصوفيّ يقول أبو حيان ذاكرا لفظة رَمْز فى تعليق له على قول عيسى عليه السلام فى مخاطبته للحواريين : « إنكم لن تدركوا ملكوت السموات إلا بعد أن تتركوا نساءكم أيامى وأولادكم يتامى » وهذا رمز وراءه رمز ، وإشارة فوقها إشارة ، وعبارة حولها عبارة ، ولكن التقى ملجم ، ولابد من بعض السكوت(٢) ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة رمز بمعنى الدلالة والتفسير للمعنى وذلك فى وصفه للقرآن الكريم : وكيف ظاهره وباطنه ، ومشتمله ورمزه ، وماذا أوله وآخره ، وأين صدره وعجزه ، وكنايته وإفصاحه(٣) وترد لفظة رمز فى نصوصٍ من كتابات أبى حيان بالمعنى اللغوى الدال على الصوت الخفى والإشارة والإيماء وفى هذا المعنى يقول أبو حيان فى إشاراته الإلهية : فليس لمخلوق أن يلم بخافات هذا الحديث رمزًا أو نبسًا ، أو غمزًا أو همسًا(٤) وفى المقابسات يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الرمز مرادفة للفظة الإشارة : وليس يوصل إلى أعماق الفلسفة وغوامض الحكمة الإلهية ، إلا بالإشارة والإيماء والرمز ، والإيماض(٥) وبمعنى الإشارة والإيماء ذاكرًا لفظة رمز يقول أيضا فى مقابساته : إن الكلام الذى يراد به استصلاح العامة واستجماع الكافة ، لا بد أن يكون مرة مبسوطًا ، ومرة موجزًا ، ومرة مستقصى بالإيضاح والإفصاح ، ومرة مجموعًا بالرمز والتعويض(٦) ، وفى نص لأبى حيان يصف فيه أستاذه أبا سليمان الذى يلقبه بالشيخ موردًا لفظة رمز بمعنى الكلام المبهم فيقول : أما شيخنا

---

(١) الإشارات الإلهية ص ٣٢٢ .

(٢) الإشارات الإلهية ص ١٨٠ .

(٣) الإشارات الإلهية ص ١٩٠ .

(٤) الإشارات الإلهية ص ٣٤٠ .

(٥) المقابسات ص ١٤٥ .

(٦) المقابسات ص ٢٦٥ .

أبو سليمان فإنه أدقهم نظرًا ، وأقعرهم غوصًا ، وأصفاهم فكرًا ، وأظفرهم بالدرر مع تقطع فى العبارة ، ولكنه ناشئة من العُجمة ، وقلة نظر فى الكتب ، وفرط استبداد بالخاطر ، وحسن استنباط للعويص وجرأة على تفسير الرَّمْز[1] ، وهناك نصوص كثيرة جدًّا ترد فيها لفظة الرَّمْز . وتعبير سياق يذكره أبو حيان للفظة الرمز وذلك فى حديثه عن الفلسفة والمنطق **والرَّمْز الإلهى فيقول** : كان يحيى بن عدى شيخنا يقول : هذه الآداب والعلوم هى قشور الحكمة ، وما انتشر منها على فائت الزمان ، لأن القياس المقصود فى هذه المواضع ، والدليل المدعى فى هذه الأبواب ، معها ظل يسير من البرهان المنطقى ، والرمز الإلهىّ ، والإقناع الفلسفى[2] ومع الرمز يذكر أبو حيان لفظة **رمزة** وهذه اللفظة لم ترد فى اللسان عند تناوله للمادة (ر م ز) .

وترد اللفظة المؤنثة **رمزة** فى نص لأبى حيان من إشاراته الإلهية يتحدث فيه عن نفسه فيقول : وأنا فى أشباه ذلك ونظائره ، بل فى دواه تزيد عليه وتوفى ، لو ترجمت عنها بكلمة عوجاء ، أوْ رمزة هوجاء لضاق فى الثقلان والتقى على الخافقان[3] .

ويتبين **مما تقدم** من نصوص أبى حيان المتضمنة للألفاظ التالية : إشارة والجمع إشارات وعبارة والجمع عبارات ، ورمز أن هذه الألفاظ وردت فى كتابات أبى حيان بالمعنى اللغوى الذى جاء فى اللسان . وأن أبا حيان قد استخدم هذه الألفاظ بالمفهوم الصوفى الخاص بالألفاظ الصوفية . وقد أكثر أبو حيان من استخدام لفظة إشارة والجمع إشارات فى مجال التصوف ، وقد استعمل لفظة العبارة – كما هو متعارف عند الصوفية – من أجل الإشارة إلى الحقيقة الإلهية . وميز أبو حيان فى

---

(١) الإمتاع والمؤانسة حـ١ ص٣٣ .
(٢) المقابسات ص٢٠٥ .
(٣) الإشارات الإلهية ص٤٢ .

كتاباته بين الرمز والإشارة وإن كان قد استعمل الرمز فى بعض نصوصه مرادفا للإشارة . وقد مر هذا كله فيما تقدم عند بداية عرضنا لهذه الألفاظ وتوضيح الاستخدامات المتعددة لها عند أبى حيان .

ومن الألفاظ التى ذكرها أبو حيان فى كتاباته لفظة «رمزة» من المادة (ر م ز) وهذه اللفظة لم ترد فى اللسان فهى إذن اشتقاق جديد أورده أبو حيان وأغفله صاحب اللسان عند تناوله للمادة (رمز) .

وفى مجال التغير الدلالى يتبين لنا أن الألفاظ إشارة ، وعبارة ، ورمز ألفاظ قديمة فى استعمالها ، وقد انتقلت دلالتها عبر العصور منذ بدأ استخدامها إلى عصر أبى حيان التوحيدى من المجال المادى إلى المجال المعنوى . ولو تتبعنا كل لفظة من هذه الألفاظ لوجدنا أن لفظة الإشارة وهى الإيماء باليد والعين جاءت من المادة (ش و ر) التى تدل على عرض الشيء وإظهاره ، ثم انتقلت كلمة الإشارة إلى الدلالة الذهنية وهى أن يشير المتكلم إلى معانٍ كثيرة بكلام قليل يشبه الإشارة باليد . ومن هذا المعنى اتخذت لفظة الإشارة كمصطلح بلاغىّ وفلسفىّ ثم كمصطلح صوفى كما دلت عليه نصوص أبى حيان . وهذا الأمر ينطبق على دلالة لفظة الرمز فقد انتقلت دلالتها من الإيماء باليد إلى الإيماء إلى المعنى الخفى فى الكلام . أما لفظة عبارة من المادة (ع ب ر) وتفيد معنى العبور والانتقال ، أخذت من العبر وهو جانب النهر ثم انتقلت الدلالة إلى العبور من المعنى إلى اللفظ بالنسبة للمتكلم وبالعكس بالنسبة للمخاطب .

ومن الواضح أن هذه الألفاظ لم يطرأ عليها أى تغير يذكر حين استخدمت فى مجال الألفاظ الصوفية وقد أكثر الصوفية من استخدام الإشارة والرمز فى كلامهم وهذا راجع إلى أن التصوف حالات وجدانية .

ثامنا : الحضرة ، المُريد ، المُرشد :

وهناك مجموعة من الألفاظ وردت فى كتابات أبى حيان بالمفهوم الصوفى مثل : الحضرة ، والمريد ، والمرشد ، وتعريف الحضرة كما جاء فى اللسان الحضرة : من أحضر الشيء وأحْضَرَه إياه ، وكان ذلك بحَضْرَة فلان . والحُضُور نقيض المغيب . والحَضْرَة قرب الشيء ، وحَضْرَة الرجل قُرْبه وفناؤه . والحَضْرَة : الشدة[1] وأصل الحضرة مصدر بمعنى الحضور ثم تجوزوا به تجوزًا مشهورًا عن مكان الحضور نفسه ويطلق على كل كبير يحضر عنده الناس كقول أهل الكتاب وأهل الترسل والإنشا : الحضرة العالية تأمر بكذا والمقام ونحوه وهو اصطلاح أهل الترسل[2] وفى التعريفات يذكر الجرجانى الحضرات الخمسة الإلهية ، حضرة الغيب المطلق ، وحضرة الشهادة المطلقة ، وحضرة المغيب المضاف وهى تنقسم إلى ما يكون أقرب من المغيب المطلق وعالمه عالم الأرواح الجبروتية والملكوتية ويسمى بعالم الملكوت والخامسة الحضرة الجامعة للأربعة وعالمها عالم الإنسان الجامع بجميع العوالم[3] .

ويتكلم ابن عربى فى الفتوحات المكية عن الحضرة الإلهية والحضرة الإنسانية ويرى أن للحضرة الإلهية ، حروفًا ثلاثة تختص بها وهى الألف والزاى واللام تدل على معنى الأزل . وحروف الحضرة الإنسانية هى النون والصاد والضاد لذلك فهناك خلاف من حيث مردها لأن مقام العبودية لا يشترك مع الربوبية فى الحقائق حيث إن الله رب والعبد مخلوق ، فلا بد أن تكون الحقائق متباينة لهذا باينهم الحق تعالى بقربه كما باينوه بحدودهم[4] ويرى ابن عربى أن للحضرة أكثر من معنى ، فهناك العشق الإلهى حضرة ، ولأصحاب المعرفة حضرة ، وكلها حق وصدق

---

(١) اللسان جـ ١ ص ٦٥٨ .
(٢) تاج العروس جـ ٣ ص ١٤٦ .
(٣) التعريفات للجرجانى ص ٩٣ .
(٤) الفتوحات المكية ابن عربى السفر الأول ص ٢٣٧ .

ولكنها جميعا حضرات جزئية وأول حضرة فى رأيه هى حضرة الإيجاد ويسميها الألف واللام ولفظها لا إله إلا الله فهذه حضرة الخلق والخالق[1] .

ويفسر الشرقاوى الحضرة بمعنى الاجتماع الذى يلتقى فيه الشيخ بمريديه وعن أنواع الحضرات الصوفية يقول الشرقاوى : هناك حضرة أسبوعية أو يومية للمُريدين الذين يرعنون فى العلم والدرس ، فتقرأ وتناقش بعض كتب الفقه والتفسير وهناك حضرة أخرى للذكر والسماع ، وهناك حضرات أو مجالس للمُريدين المتقدمين وفيها يعرض موضوع أو مشكلة اجتماعية أو أخلاقية أو صوفية وتناقش ، ويدلى الشيخ برأيه ووجهة النظر التى يعتقدها . وتعد الحضرات الصوفية من المراسم التى يتسم بها مجالس الصوفية حيث يحضر المُريد رافعًا نعليه ويجلس بأدب جم[2] .

ولفظة **الحَضْرة** يذكرها أبو حيان فى كتاباته بهذا المعنى الصوفى الدال على اجتماع الشيخ بمريديه فيقول فى أحد نصوصه : ولم يجر هذا كله فى المذاكرة بالحضرة ، ولكن رأيت من تمام الرسالة أن أضم هذا كله إلى حومته وأبلغ الممكن من مقتضاه فى تتمته[3] ، ويقول أبو حيان فى هذا المعنى أيضا موردًا لفظة حضرة : وفارق الوزير حضرة الخليفة وعمل بما أمر به على الوجه اللطيف[4] .

وعن الحضرة الإلهية يقول أبو حيان فى نصوصه ذاكرًا حضرة الحق : فأما الوجد فيرتفع عن تجديده بنظم لفظ ، وترتيب حرف ، لأنه صوت من حضرة الحق ، يغشيان روحانىّ[5] وبهذا المعنى عن هذه الحضرة يقول أبو حيان : ستبلغ إلى حضرة ربك فتصادف روحا وريحانا ، وسكونا واطمئنانا[6] . وبهذا المعنى

---

(١) الفتوحات المكية ابن عربى السفر الأول ص ٣٢٦ .

(٢) الألفاظ الصوفية ومعانيها للشرقاوى ص ١٤٣ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٥٧ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ٩١ .

(٥) الإشارات الإلهية ص ٢٠٤ .

(٦) الإشارات الإلهية ص ٢٨١ .

الخاص بالحضرة الإلهية يقول أبو حيان فى نصوص عديدة من كتابه الإشارات الإلهية ذاكرًا لفظة الحضرة : اللهم ارحم روعتنا من أطراف هذه الإشارات ، فوحقك ما ندرى كيف ندعوك ، وأى باب نقرع حتى يؤذن لنا بالوصول إلى حضرتك[1] .

ويقول أبو حيان أيضا : لا تفرق شملنا من حضرتك ، بعد ما جمعت شملنا على معرفتك[2] ، ويقول أيضا : إلهنا ! قدنا بزمام طاعتك إلى كريم حضرتك ، واعصمنا من كيد كل كائد لنا من أجلك ، واكتبنا من المنيبين إليك ، المغمورين بعطائك المذكورين بحضرتك[3] .

وترد لفظة حضرة فى نصوصٍ من كتابات أبى حيان بمعنى مكان الاجتماع والمجلس الذى يحضره علية القوم وفى هذا المعنى يقول أبو حيان فى نصوص من كتاب مثالب الوزيرين : فإنى كاتب ركن الدولة ، وزعيم الأولياء بالحضرة والقيم بمصالح المملكة[4] ، ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الحضرة بمعنى المجلس : الزم هذا الفن فإنه حسن الديباجة ، وكأن البحترى قد استخلفك وأكثر بحضرتنا ، وارتفع بخدمتنا ، وابذل نفسك فى طاعتنا[5] ويقول أيضا بهذا المعنى للفظة الحضرة : قلت لأبى جعفر الوَرَّاق : ما أراك تخرج من حضرة هذا الرجل إلا وأنت ساهم الوجه مغيظ النفس[6] وترد لفظة حضرة فى نص لأبى حيان بمعنى الحضور وفى هذا المعنى يقول فى حديث له عن إحدى الجوارى : وأعطاها ألف دينار بحضرة القاضى ابن الدقاق عند مسجد ابن رعبنان[7] ويذكر أبو حيان لفظة حضرة بمعنى القرب المادى أى قرب الشيء فيقول : ولفظى أحب إلى من أن أصبر ملسوعًا

---

(١) الإشارات الإلهية ص ٢٢٩ .
(٢) الإشارات الإلهية ص ٢٣٠ .
(٣) الإشارات الإلهية ص ٩ .
(٤) مثالب الوزيرين ص ٢٢٤ .
(٥) مثالب الوزيرين ص ١٢٦ .
(٦) مثالب الوزيرين ص ٢١٠ .
(٧) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١٦١ .

بإبرته مكسوعًا بحضرته وبعده[١] .

ولفظة الجمع **حضرات** يذكرها أبو حيان فى كتاباته بالمعنى الصوفى فيقول : أيها الصاغى بأذنك إلى شرح هذه الحرق . الزم حدك فى العبودية التى فطرت عليها إلى أن تصطفق مزاهير الألوهية التى عساك ترقى إليها ، وإياك أن تحيد عن حدك صاعدًا أو نازلًا ، فإنك إن فعلت ذلك محى اسمك من ديوان الخدم وطردت إلى هوة الهوان من ذروة الكرم ، وقيل لك : اخسأ عن مرابع المقربين وابعد عن حضرات المستخلصين[٢] لفظة الحضرات هنا فى نص أبى حيان مرادفة للفظة المقامات بمعناها الصوفى كما مر فى نصوص سابقة .

ولفظة **حضرىّ** ترد فى نص لأبى حيان بمعنى الحضرة فيقول أبو حيان فى نصه هذا : يا هذا ! قدم إلىّ حضرى شخصك ، وأخر عن فهم مقالتى نقصك[٣] لفظة حضرى لم ترد فى اللسان عند تناوله للمادة (ح ض ر) فهى اشتقاق جديد عند أبى حيان .

مما تقدم يتضح لنا أن لفظة حضرة مصدر يدل على المقام الإلهى . وهى من الألفاظ المؤنثة فى استخدامها النحوى وقد قصد بها المذكر ففقدت معناها الأصلى وأصبحت فاقدة لمعناها الوظيفى ، فقيل الحضرة الإلهية .

وفى مجال التغير الدلالى نجد أن لفظة حضرة من الألفاظ التى قصد بها التحدث عن الله بصورة مباشرة وغير مباشرة وهذا مما أدى إلى ارتقاء دلالة هذه اللفظة عندما استخدمت كمصطلح من المصطلحات الصوفية الخاصة بالذات الإلهية وهذا مما دلت عليه نصوص أبى حيان . وهناك عدد من الألفاظ الخاصة بالصوفية ترد مع لفظة الحضرة مثل المُريد وهذه اللفظة لم تتطرق لها المعاجم مثل اللسان وغيره من

---

(١) رسالة فى علم الكتابة ص ٤٧ .

(٢) الإشارات الإلهية ص ١٤٧ .

(٣) الإشارات الإلهية ص ١٢٥ .

المعاجم اللغوية وقد عرفها التهانوى فى كشافه تعريفا وافيًا فقال : المُريد : اسم فاعل من الإرادة وهذا معناه اللغوى ، أما المعنى الاصطلاحى فيطيل فى شرحه قائلا : المُريد عند أهل التصوف يجىء على معنيين : الأول بمعنى المحب يعنى السالك والمجذوب ، والثانى ، بمعنى المقتدى ، والمقتدى هو الذى نور الحق سبحانه وتعالى نَوّر بصيرته بنور الهداية ، حتى لا يعود إلى نقصانه ، ويسعى دائما لطلب الكمال ولا يقر له قرار إلا إذا حصل على المقصود ، وتحقق له القرب من الحق سبحانه وتعالى ، وكل من عرف بأنه من أهل الإرادة فلا قصد له فى العالمين إلا وجه الحق وإذا غفل لحظة عن هذا لا يحق أن يطلق عليه أنه من أهل الإرادة . ويقول التهانوى المُريد الذى مات قلبه عن كل شىء دون الله فيريد الله وحده ويريد به قربه ويشتاق إليه حتى تذهب شهوات الدنيا من قلبه لشدة شوقه إلى الله . والمُريد الصادق هو الذى يتوجه كلا وجملة إلى الله ويجعل قلبه من شيخه دومًا بسبب فرط إرادته ويعتقد أن روحانية شيخه حاضرة فى جميع الأحوال ، ويستمد منه عن طريق الباطن . وفى خلاصة السلوك المُريد الذى أعرض قلبه عن كل ما سوى الله ، وقيل المريد من يحفظ ما أراده الله[1] .

ولفظة **المُريد** يذكرها أبو حيان فى كتاباته بالمعنى الصوفى فيقول : ما أشوقنى والله إلى أن أرى مريدًا له من القراءة ورد ، ومن الركوع والسجود وظيفة[2] ، ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة المريد بهذا المعنى الخاص بالصوفية : وإياك وأن تريد وأنت مريد ، فأما إذا كنت مرادا ، فتجنب كل إرادة لك ، فإنها إبادة فيك ، منك[3] ولفظة الجمع **المريدون** يذكرها أبو حيان فيقول : أردت بتنفيرك منى

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون جـ ٣ ص ٣٦ وانظر اللمع للطوسى فى باب ذكر آداب المريدين ص ٢٧٥ والرسالة القشيرية ص ١٨٤ .

(٢) الإشارات الإلهية ص ٢٢٥ .

(٣) الإشارات الإلهية ص ١٧٧ .

إغراءك بى ، وهذا من خدع المشايخ للمريدين[١] .

ولفظة المريد اشتقاق جديد ذكره أبو حيان فى كتاباته وكذلك صيغة الجمع مريدين ، وقد أغفل ذكره صاحب اللسان .

ولفظة مُرشد من الرُّشد والرَّشد والرَّشاد : نقيض الغيّ ورَشَد الإنسان ، بالفتح ، يَرْشُد رُشدًا بالضم ورَشِد ، بالكسر فهو راشد ورشيد ، وهو نقيض الضلال إذا أصاب وجه الأمر والطريق ، والإرشاد الهداية والدلالة ، وراشد ومُرشد : أسما[٢] وجاء فى التعريفات : المرشد هو الذى يدل على الطريق المستقيم قبل الضلالة[٣] ولفظة **المرشد** وردت فى كتابات أبى حيان بالمعنى اللغوى العام وفى هذا المعنى يقول أبو حيان مخاطبا أحدهم : إنك من الملحدين ، أتضرب لله أمثالا والله تعالى يقول : ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال ، إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ لعن الله مرشدًا أرشدنى إليك ، ودالًا دلنى عليك ، فما ساقك إلى إلا قضاء سوء[٤] وترد لفظة المرشد فى نصوص عديدة من كتابات أبى حيان بالمعنى الصوفى ال ال على الشيخ الهادى إلى طريق الحق فيقول أبو حيان ذاكرًا المرشد بهذا المعنى الدينى الصوفى فى أحاديثه عن ابن عباد وشيوخه من رجال الدين : ذاك حديث ابن عباد ، وهذا حديث شيخه وإمامه ، ومُرشده بزعمه ، وهو المرشد والهادى لمن أخذ عنه واقتدى به[٥] . وفى نص آخر يذكر أبو حيان لفظة المرشد بهذا المعنى أيضا فى حديث ابن عباد فيقول : ودالت الأحوال فكتب هذا الشيخ إلى هذا الإنسان بعماد الدين وأنا أبرأ إلى الله من دين هذا عماده . وكتب هذا – ويعنى ابن عباد – إلى ذلك – ويعنى أبا عبد الله البصرى – بالشيخ المرشد[٦] .

---

(١) الصداقة والصديق ص ٥٢ .
(٢) اللسان جـ ١ ص ١١٦٩ .
(٣) التعريفات للجرجانى ص ٢٣٢ .
(٤) مثالب الوزيرين ص ١٥٩ .
(٥) مثالب الوزيرين ص ١٤٤ .
(٦) مثالب الوزيرين ص ١٣٧ .

من نصوص أبى حيان يتبين لنا المعنى الاصطلاحى للفظة المرشد وهذا هو المعنى الصوفى وكان هو الأكثر ورودًا عند أبى حيان . ولم يقف صاحب اللسان عند معنى المرشد إلا وقفة عابرة لم يتضح معنى اللفظة بهذا المفهوم الصوفى الذى دلت عليه نصوص أبى حيان .

تاسعا : المدقق ، المحقق ، التحقيق :

جاء فى كشاف اصطلاحات الفنون : المدقق فى اصطلاح الصوفية الكامل الذى تظهر عليه حقائق الأشياء كما ينبغى ويتحقق هذا المعنى للشخص الذى يكون قد تجاوز عن مرتبة الحجة والبرهان ووصل إلى مرحلة الكشف الإلهى فيشاهد بعين العيان حقيقة جميع الأشياء على وجهها الحق . فالمدقق أعلى مرتبة من المحقق[1] وبهذا المعنى الصوفى للفظة **المُدَقِّق** يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة المدقق فى نص له من كتاباته : قال الخواص : الناس فى التوبة على خمسة أوجه : رجل مسوق بالتوبة مدافع عنها ، وقد اغتر بطول الأمل ، ونسى هجوم الأجل ، وآخر تائب ما لم يجد شهوة . فإذا وجد ركب هواه ، وأضاع المحاسبة لنفسه . ورجل تائب بقلبه إلا أن نفسه تدعوه إلى شىء مما يكره ، ورجل مدقق لحساب قد قام على ساق مقام الخصم فهذا مستوجب للعصمة من الله عز وجل ، ورجل قد هام به خوفه من ذنوبه فهذا المتوحد بولاية الله عز وجل[2] . وفى مجال آخر يذكر أبو حيان لفظة المدقق فى وصفه لابن مقلة الكاتب الفذ فيقول : قال المدقق الفاضل الوزير الكاتب أبو على بن مقلة فى وصفه للقلم : أطل الجلفة وحسنها وحرف القطة وأيمنها[3] معنى المدقق هنا فى نص أبى حيان هو من يثبت الدليل بالدليل

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون حـ٣ ص٢٧٨ . (٢) البصائر والذخائر حـ١ ص٤٦٥ .

(٣) رسالة فى علم الكتابة ص ٣١ .

فى المسائل على وجه الدقة أى هو الذى يلتزم الدقة فى العمل الكتابى والفكرى وغيرها من الأعمال الثقافية . وهذه اللفظة مدقق لم ترد فى اللسان عند تناوله للمادة (د ق ق) .

أما لفظة المحقق من التحقيق فهو عند الصوفية ظهور الحق فى صور الأسماء الإلهية[1] وفى هذا المعنى الصوفى للفظة المحقق يقول أبو حيان فى كتاباته ذاكرًا هذه اللفظة بالمفهوم الصوفى : والله محقق كل أمل ومزكى كل عمل ، بمنه وجوده[2] ويقول أيضا : ومحقق الحقائق ومسهل الطرائق وشاهد على صادق دعواى فيك[3] وترد لفظة محقق فى نصوص أخرى من كتابات أبى حيان بالمعنى اللغوى فيقول فى هذا المعنى فى نص من كتاب الإمتاع يصف فيه أستاذه أبا سليمان : كان والله شمس المعالى وغرة الزمن وحامل الأثقال ، وملتقى القفال ، ومحقق الأقوال والأفعال[4] وقال أيضا ذاكرًا لفظة محقق بمعنى الصادق الثابت الرصين فى أقواله : هو الفيلسوف المحقق والمبرز المحقق[5] وفى مجال آخر يذكر أبو حيان لفظة المحقق بدلالتها المعنوية فيقول : المنطق يدخل النحو محققا له[6] ولفظة الجمع محققون ترد عند أبى حيان بالمعنى الصوفى جمعا لمحقق وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : ونعتقد محققين ، ونحقق معتقدين[7] ، ويقول أيضا ذاكرًا المحققين بالمعنى الصوفى : هو كالمقلد بين المحققين والتابع للمتقدمين مع حب للدنيا شديد[8] ولفظة المحقق لم ترد فى اللسان عند تناوله للمادة (ح ق ق) .

وفى مجال الحديث عن الألفاظ الصوفية نذكر لفظة تحقيق ، وهذه اللفظة

---

(١) كتاف اصطلاحات الفنون للتهانوى حـ ٢ ص٨٩ .

(٢) الإشارات الإلهية ص١٧٤ .

(٣) الإشارات الإلهية ص١٦٠ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة حـ١ ص٣٠ .

(٥) المقابسات ص٣٨٧ .

(٦) المقابسات ص١٢٤ .

(٧) الإشارات الإلهية ص٣١٠ .

(٨) الإمتاع والمؤانسة حـ١ ص٣٥ .

ذكرها أبو حيان فى كتاباته فى مجالات عديدة منها المجال الفلسفى والبلاغى والصوفى .

« تحقيق » :

جاء فى اللسان : حَقّه يحقّه وحقّقَه : صدقه . ويقال أحقَقت الأمر احقاقًا إذا أحكمته وصححته . تقول حَقَقْت الأمر وأحققته إذا كنت على يقين منه . وأحققت الشيء أى أوجبته . وتحقق عنده الخبر أى صَحّ . وحقّق قوله وظنه تحقيقا أى صَدَّق ، وكلام مُحقق أى رصين . وصبغت الثوب صبغا تحقيقا أى مُشبعًا ، وثوب محقق إذا كان محكم النَسْج[1] .

والتحقيق عند الجرجانى إثبات المسألة بدليلها[2] .

وجاء فى تاج العروس : حققه تحقيقا صدقه والمُحَقّق من الكلام الرصين المحكم النظم وهو مجاز . وأحققت الأمر إحقاق أحكمته وصححته وهو مجاز[3] .

والتهانوى فى كشافه يشرح لفظة التحقيق شرحا مفصلًا فيقول : هو فى عرف أهل العلم إثبات المسألة بالدليل (كما أن التدقيق إثبات الدليل بالدليل) . والتحقيق عند الصوفية هو ظهور الحق فى صور الأسماء الإلهية وعند الفقراء إعطاء كل حرف حقه . والمتحقق عند الصوفية الذى يشاهد الحق متعينًا فى كل متعين دون تعينه لأن الله ولو أنه مشهور فإنه ليس منحصرًا ومقيدًا فى كل مقيد باسم أو صفة أو اعتبار أو تعين[4] .

وفى المعنى الصوفى للفظة **التحقيق** يقول أبو حيان : يا هذا اغترب عن وطنك

---

(١) اللسان حـ ١ ص ٦٨٠ ٦٨٢
(٢) التعريفات ص ٥٥ .
(٣) تاج العروس حـ ٦ ص ٣١٦ .
(٤) كشاف اصطلاحات الفنون حـ ٢ ص ٨٩ .

المألوف بالعزم الصحيح إلى وطنك بالتحقيق[1] ويقول أبو حيان أيضا : ألا ذاكر بالتحقيق الله ؟ إلا عابد الإخلاص لله[2] ويقول أيضا فى إشاراته ذاكرًا لفظة التحقيق فى دعائه : اللهم إنا قد أكثرنا القول فيك ثقة بك ، لا جرأة عليك . فقابل ثقتنا بك بالتحقيق[3] ويقول موردًا لفظة التحقيق بهذا المعنى الصوفى : والحال المفروضة بالكمال هى النهاية المنقوضة بالتحقيق عند الخواص[4] .

ولفظة التحقيق من الألفاظ التى ورد ذكرها كثيرًا جدًا فى كتابات أبى حيان وجاءت بمعانٍ متعددة ، ومنطلق البحث فى لفظة التحقيق هو معنى التحقيق وهو إثبات المسألة بدليلها ، ثم بدلالة المعرفة على نحو يقينى ، ثم تذكر المعانى الأخرى بعد ذلك . ففى مجال الألفاظ الفلسفية نذكر لفظة «تحقيق» كما وردت فى نصوص أبى حيان بمعنى إثبات المسألة بالدليل وهذا هو المعنى عند الفلاسفة من قدماء ومحدثين وفى هذا المعنى الفلسفى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة التحقيق فى حديثه عن الطبيعة : بموجب اللسان العربى ، وبمقتضى الاعتبار النظرى لم يبق فى الطبيعة ما يفتقر إلى إيضاحه ، لأن التصفح قد أتى على كل ما كان فى القوة من هذين الوجهين . فأما حدّها الذى هو لها بالتحقيق فهو ما قاله أرسطاطاليس أنه مبدأ الحركة والسكون[5] ، ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة «تحقيق» بمعناها الفلسفى : سمعت العباد بالرى سنة خمسين يقول : طبع العقل على أن يشهد للباطل ، كما يشهد للحق ، ولهذا اختلف العقلاء فى جمع أمر الدين والدنيا . وهذا أبقاك الله كلام خبيث وقد تكلمت عليه فى كتاب النوادر ، مع جميع علائقه وغواشيه ولولا ذلك لكان يجب أن لا يثبت هذا القول ها هنا على وجهه . وقد جرى هذا الكتاب فى ترتيب العقل ، وتحقيق المعقول ، وبلوغها إلى ما يكون به العاقل عقلًا ومعقولا . فانتبه له[6] وترد لفظة تحقيق أيضا فى مقابسات أبى حيان بمعناها

---

(١) الإشارات الإلهية ص٢٣٧ .
(٢) الإشارات الإلهية ص٩٥ .
(٣) الإشارات الإلهية ص١٥٧ .
(٤) الإشارات الإلهية ص١١٤ .
(٥) المقابسات ص١٣٢ .
(٦) المقابسات ص٢٢٧ .

الفلسفى الذى حدده الفلاسفة وذكره أبو حيان فى نصوصه فقال فى هذا المعنى : قال بعض أصحابنا : كل شيء أجوزه فى المنام من آثار النفس فإنى أجوزه فى اليقظة ، وكل شيء أجوزه فى اليقظة أجوزه فى المنام ، إلا التركيبات فإن النفس تخترع منها أمور لا تستجيب المواد لها . وهذا الذى قاله هذا الشيخ يحتاج إلى شرح . ولعمرى للنفس هذه القوة ، وهى لها بالحق الواجب ، ولكن البيان عن كون ذلك على التحقيق بالفعل عزيز(١) .

ويقول أبو حيان فى مقابساته أيضا ذاكرًا لفظة تحقيق بمعناها الفلسفى : الإنسان يحدث عن نفسه بما يغلب عليه منها ، وتحدثه نفسه بما يغلب عليها منه ، ولكن بنوع نوع ، وحال وحال ، واسم واسم ، وملحوظ وملحوظ ، وتقريب وتقريب ، وتحقيق وتحقيق ، هذه معانى اختلست من مذكرات المشايخ(٢) .

ويذكر أبو حيان لفظة تحقيق بمعناها الذى حدده قدماء الفلاسفة وهو إثبات المسألة بدليلها فيقول فى مقابساته أيضا : وقد يعرض فى تحقيق المعانى وتحصيل الأعراض ، بعض التجوز والسعة ، ولا يكون ذلك معتمدًا بالقصد الأول ولكنه يكون كالشيء الذى لا يعرى من مجاوره ، والأمر الذى لا يخلو من ضده(٣) .

ويقول أبو حيان فى المقابسة الرابعة والتسعين ذاكرًا لفظة تحقيق بالمعنى الفلسفى : وقد أتت المقابسات الأول على فقر بليغة فى تحقيق شأن النفس ، وإثبات أمرها . وهذا علم كلما قلّت الحروف فيه كان المعنى بها أتم وأخلص ، وكلما كثر اللفظ كان ما يراد به ويعنى فيه أنقص ، وليس كذلك باقى العلم . والسبب فى ضيق هذا العلم ، أنه بحث عن حقائق الموجودات وقصد إلى أعيان المعقولات ، والحقائق عرية من العلل والشبهات(٤) والحديث عن لفظة التحقيق

---

(١) المقابسات ص٤٣٢ .
(٢) المقابسات ص١١٠ .
(٣) المقابسات ص٣٨٣ .
(٤) المقاسات ص٣٧٩ .

ومعناها الفلسفى عند أبى حيان يطول ويطول . ولننتقل لمعنى آخر أورده أبو حيان لهذه اللفظة . ففى مجال الألفاظ الخاصة بالفقه والكلام أو على الأصح الألفاظ الكلامية ترد لفظة تحقيق فى نصوص كثيرة من كتابات أبى حيان فى سياق دينى فقهى بحت . يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة تحقيق بمعنى الإثبات والتصديق فى نص له من كتاب الإمتاع والمؤانسة : قلت : إن أبا سليمان يقول : صاحب الشريعة مبعوث ، وصاحب الفلسفة مبعوث إليه ، ويسمع من هذا ظاهر تنزيل ، وسائغ تأويل ، وتحقيق سنة ، واتفاق أمة ، ويسمع مع الآخر الهيولى والصورة والطبيعة والاسطقس والذاتى والعرض والأيسى والليسى[1] ، ويقول أبو حيان أيضا بهذا المعنى الفقهى للفظة التحقيق : وإن ذكر الفقه فقل : أين أبو حنيفة عن هذا التحقيق والتدقيق[2] .

وترد لفظة **تحقيق** أيضا بمعناها الفقهى وهو إثبات الدليل والحجة فى هذا المعنى يقول أبو حيان : الإنصاف المحمود ، والتنافس المقبول ، إلا ما خالطه من التعصب والمحك ، لأن صاحب هذين الخلقين لا يخلوا من بعض المكابرة والمغالطة وبقدر ذلك يصير له مدخل فيما يراد تحقيقه من بيان الحجة أو قصورها ، عما يرام من البلوغ بها ، وهذه آفة معترضة فى أمور الدين والدنيا[3] ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة تحقيق بمعناها الدينى الفقهى وذلك فى تعريفه للتوحيد : قيل : فما التوحيد ؟ قال : اعتراف النفس بالواحد لوجدانها إياه واحدًا ، من حيث هو واحد ، لا من حيث قيل إنه واحد ، وهذا هو الحد بين توحيد الجمهور بالتقليد ، وبين توحيد الخاصة بالتحقيق[4] .

والتحقيق عند الصوفية هو إظهار الحق فى صور الأسماء الإلهية بهذا المعنى ذكر

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص١٨ .

(٢) مثالب الوزيرين ص٢١٨ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص١٣١ .

(٤) المقابسات ص٤٥٧ .

أبو حيان لفظة تحقيق فى نصوص عديدة من كتاباته ، وخاصة ما ذكره فى كتابه الإشارات الإلهية . وفى هذا المعنى الديني الصوفى يقول أبو حيان فى إشاراته : يا هذا اغترب عن وطنك المألوف بالعزم الصحيح إلى وطنك بالتحقيق[١] ويقول أيضا : والتصديق بعلمنا ، والتحقيق بقلوبنا[٢] ويقول أبو حيان فى إشاراته أيضا ذاكرًا لفظة التحقيق بمعناها الصوفى : ألا ذاكر بالتحقيق الله ؟ ألا عابد بالإخلاص لله ؟[٣] ويقول أيضا : ولكن القلوب عن التحقيق بمعرفتها محجوبة[٤] ، ويقول أبو حيان فى إشاراته موردًا لفظة تحقيق بمعناها الصوفى : وافتتنا فى الخير عنك حبًّا لك لا اغترارًا بك ، فقابل ثقتنا بك بالتحقيق ، وحبنا لك بالتصديق[٥] ويقول أيضا : عن حال راثت فى تحقيق الزهادة ونسل عرض فى طلب الزيادة[٦] وفى نص من كتاب الإشارات الإلهية يقول أبو حيان مناجيًا وموردًا لفظة تحقيق بالمعنى الصوفى وهو ظهور الحق : والحال المفروضة بالكمال هى النهاية المنقوضة بالتحقيق عند الخواص[٧] ونكتفى بهذا القدر من النصوص التى ترد فيها لفظة تحقيق بالمعنى الدينى الصوفى .

ومعنى آخر للفظة التحقيق يذكره أبو حيان وذلك فى مجال الألفاظ النفسية الخلقية فيقول ذاكرًا لفظة تحقيق بمعنى الحقيقة والصدق : وليس يعد هذا عليكم إلَّا لأنكم لم ترو صديقا ولا كنتم مع أصدقاء على التحقيق . بل أنتم معارف يجمعكم الجنس المقتبس من الحيوان[٨] ويقول أبو حيان أيضا فى هذا المعنى : إن الأعراب لا تتمادح بتحقيق الوعيد وإنما تتمادح بإنجاز الموعود ، لأن تحقيق الوعيد

---

(١) الإشارات الإلهية ص٢٣٧ .
(٢) الإشارات الإلهية ص٢٥٢ .
(٣) الإشارات الإلهية ص٩٥ .
(٤) الإشارات الإلهية ص١٧٩ .
(٥) الإشارات الإلهية ص١٥٧ .
(٦) الإشارات الإلهية ص٦٢ .
(٧) الإشارات الإلهية ص١١٤ .
(٨) الصداقة والصديق ص٦٧ .

ضرب من اللؤم[1] وترد لفظة «تحقيق» فى بعض نصوص أبى حيان بمعانٍ لغوية تدل على معنى فلسفى وذلك في قول أبى حيان : والنحو تحقيق المعنى باللفظ ، والمنطق تحقيق المعنى بالعقل . وقد يزول اللفظ إلى اللفظ والمعنى بحاله لا يزول ولا يحول[2] ويذكر أبو حيان لفظة تحقيق بمعناها اللغوى الدال على الدليل فى نص يقول فيه : والإحاطة بالمعانى المركبة تحتاج إلى الإحاطة بالمعانى البسيطة ليتوصل بتوسطها إلى تحقيق إثباتها[3] .

وترد لفظة «تحقيق» فى نصوص أخرى من كتابات أبى حيان فى مجال الألفاظ الخاصة بالبلاغة وفنونها وترتبط مرة بالمجاز وأخرى بالتشبيه أو الاستعارة وفى هذا المعنى يذكر أبو حيان لفظة «تحقيق» بمعنى الحقيقة فى مقارنتها بالمجاز ويقول فى حديثه عن الألفاظ : الوعر لا يقال إلّا فى الطريق ، ولا يقال فى الثوب الخشن وعر لا مجازًا ولا تحقيقًا [4] ويقول أيضا بهذا المعنى البلاغى للفظة تحقيق ويقابلها مع فن التشبيه فى نص له يتحدث فيه عن ولوع العرب بالكلام قائلًا : بعد أن أورد آيات من القرآن الكريم : ولو كانت العرب نعمت بهذه المعانى بعبارات دون عبارتها ، أو حلمت بهذه العبارات بمعانٍ دون معانيها لكنا نقف ونترجح ، فأما وشىء لا يصاب لهم لا على وجه التشبيه ، ولا على التحقيق فماذا يبقى ؟![5] .

ويذكر أبو حيان لفظة تحقيق مع فن آخر من فنون البلاغة وهو الاستعارة فيقول ذاكرًا التحقيق بمعنى الحقيقة : وهو أن تعلم أن لغة من اللغات لا تطابق لغة أخرى من جميع جهاتها بحدود صفاتها ، فى أسمائها وأفعالها ، وحروفها وتأليفها وتقديمها وتأخيرها ، واستعارتها وتحقيقها[6] ولفظة تحقيق يذكرها أبو حيان فى

---

(١) البصائر والذخائر جـ١ ص٢١٠

(٢) المقابسات ص١٢٤ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص٨٤ .

(٤) البصائر والذخائر جـ٢ ص٤٩٤ .

(٥) مثالب الوزيرين ص٢٩٧ .

(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص١١٦ .

بعض نصوصه فى مجال الكتابة والخطوط وفى هذا المعنى يقول أبو حيان فى رسالته علم الكتابة ، ذاكرًا لفظة تحقيق أى تحقيق الخط وإبانة حروف الكلمة المكتوبة : أما المجرد بالتحقيق فإبانة الحروف كلها منثورها ومنظومها مفصلها وموصولها[1] ويقول أيضا : سمعت ابن الزهرى يقول : من حقق الحروف المفصلة تحقيقا ثم وصل الاثنين بالثالث ثم وصل الثلاثة بالرابع على هذا إلى آخر متصل بالكلمة ، رجوت له أن يبلغ من رسم الخط الذروة العالية[2] .

وفى مجال الكتابة وتحقيق النصوص يذكر أبو حيان لفظة التحقيق بمعناها اللغوى فيقول : وإذا لم يكن لك بد من قليل هذه اللغة من أجل الترجمة فلا بد لك أيضا من كثيرها من أجل تحقيق الترجمة واجتلاب الثقة والتوقى من الخلة اللاحقة[3] .

من المادة حقق وردت فى كتابات أبى حيان الاشتقاقات والأفعال التالية : حَقَقَ، يُحَقق، حَقّق، تَحَقَّق، مُتحققة، مُتحققات ، مُتحقق، ومُحَقّق، ومحقّقين، وتَحَقق ، وحقيقة .

ورد الفعل **حقق** فى قول أبى حيان بمعنى ثبت وصدق وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : يقال : الحركة كون وفساد ، ونمو ونقصان ، واستحالة وإنما تباينت هذه الأسماء لمعان تحققت فى النفس بالاعتبار الصحيح[4] ويقول أبو حيان أيضا ذاكرًا الفعل حقق بهذا المعنى : فإن من حقق الإخلاص صار من أهل الاختصاص[5] .

والفعل **يحقق** يذكره أبو حيان فيقول : وأصله بالدعاء الذى أسأل الله أن يقبله منك ويحققه لك وبك[6] ويقول أيضا : اختصاص كل موجود يفعل له على حدة يحقق أن وجدانه ليس ببعث[7] .

---

(١) رسالة فى علم الكتابه ص٣١ .

(٢) رسالة فى علم الكتابة ص٣٥ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص١١٥ .

(٤) المقابسات ص٢٠٧ .

(٥) الإشارات الإلهية ص١٣٨

(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص١٨٣ .

(٧) المقابسات ص٣٤٧ .

والفعل تحقق يرد فى قول أبى حيان : والتقريظ البليغ المتقبل على من صدقه وظنه ، وتحقق رجاؤه[1] والفعل حقق يذكره أبو حيان فيقول فى إشاراته : كثرت العبارة فحقق الإشارة[2] ثم الفعل تتحقق يذكره أبو حيان فيقول : آه من أنفاس تتحقق بأسرار الحق فى عرصات الغيب[3] .

وترد من المادة (ح ق ق) عند أبى حيان لفظة **مُحَقَّقَة** يذكرها أبو حيان فى نصوصه فيقول : وإن استمر صاحب هذه الحياة على أخذ الفوائد المجدية واقتباس المعارف المحققة صار شبيهًا بالملائكة[4] ويقول أيضا : وإن كانت الأحكام صحيحة ومدركة ومحققة[5] ولفظة الجمع **محققات** يوردها أبو حيان فى نص له يقول فيه : يقول أبو سليمان : هذه السمات لحقت المركبات من الأوائل المزدوجات ، والثوانى المكررات والثوالث المحققات ، والروابع المتممات[6] .
ومن نصوص أبى حيان يتبين لنا أن لفظة محققة وردت بالمفهوم الصوفى الخاص .

واللفظتان مُحَقِّق ، ومتحقق يذكرهما أبو حيان فى أحد نصوصه قائلا : فاسمع ما أقوله متحققا ، فما قلته إلا محققا[7] .

ثم لفظة «**محققين**» يذكرها أبو حيان قائلا فى مناجاته : فتعال حتى نسكت هائبين ونقول مخبتين ، ونعمل جاهدين ، ونتذاكر مستفيدين ، ونعتقد محققين ، ونحقق معتقدين[8] .

ولفظة تحقيق وردت عند أبى حيان بمعنى الثبوت وذلك فى قوله : الأمثلة به مضروبة والأدلة على نظائره منصوبة ، ولكن القلوب عن التحقيق محجوبة[9] .

---

(١) مثالب الوزيرين ص٣٥٠ .
(٢) الإشارات الإلهية ص٢٣٧ .
(٣) الإشارات الإلهية ص٢١٥ .
(٤) رسالة الحياة ص٥٦ .
(٥) المقابسات ص٦٢ .
(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص١٦١ .
(٧) الإشارات الإلهية ص٣٤١ .
(٨) الإشارات الإلهية ص٣١٠ .
(٩) الإشارات الإلهية ص٣٥٢ .

مما تقدم يتضح لنا أن الألفاظ مُدَقِّق ومُحَقِّق وتَحْقيق جاءت فى كتابات أبى حيان بالمعنى الاصطلاحى الصوفى ، وجاءت أيضا بالمعنى اللغوى وإن كان هذا المعنى أقل ورودًا عند أبى حيان من معناها الخاص بالصوفية . ويتضح أيضا أن اللفظتين مُدَقِّق ومُحَقِّق اللتين ورد ذكرهما فى كتابات أبى حيان أغفلهما صاحب اللسان عند تناوله للمادة (د ق ق) وللمادة (ح ق ق) فاللفظتان **مدقق ومحقق** من الاشتقاقات المستحدثة التى وردت فى كتابات أبى حيان ولم ترد فى اللسان فهى جديدة فى مبناها ومعناها عند أبى حيان .

وفى مجال التغير الدلالى نلاحظ انتقال مجال الدلالة لهاتين اللفظتين من المجال المادى إلى المجال المعنوى ونلاحظ أيضا رقى الدلالة وتخصيصها واضح فى نصوص أبى حيان المتضمنة للفظتين مدقق ومحقق .

ويتضح أيضا أن لفظة «تحقيق» جاءت عند أبى حيان بعدة معانٍ منها المعنى اللغوى العام والاصطلاحى الفلسفى إثبات المسألة بدليلها والفقهى والصوفى وأيضا وردت لفظة التحقيق فى بعض نصوص أبى حيان بالمعنى البلاغى وذلك فى مجال الحقيقة والمجاز وقد تقابلت مع فنون بلاغية كالمجاز والتشبيه والاستعارة .

ثم جاءت فى مجال الكتابة والخطوط وقد ذكرها أبو حيان فى تحقيق الخط وإبانة حروف الكلمة وفى مجال تحقيق النصوص أيضا وكان المعنى الاصطلاحى هو الأكثر ورودًا عند أبى حيان وهذه المعانى التى ذكرها أبو حيان لم ترد عند صاحب اللسان عند تناوله للمادة (ح ق ق) ومر على لفظة التحقيق مرورًا عابرًا فى مجال كلامه على القول وتحقيقه ، وصبغة الثوب صبغا تحقيقًا . وهذه المعانى لم تف بشرح معنى اللفظة كما تناولها أبو حيان فى مجالات مختلفة وبدلالات متعددة . وقد كان مجال التصوف له النصيب الأكبر من لفظة التحقيق ثم المجال الفلسفى والمجالات الأخرى وقد كانت أقل ورودًا .

وفى التغير الدلالى للفظة تحقيق نرى أن دلالة هذه اللفظة انتقلت من المجال المادى القديم إلى المجال المعنوى ، ثم تخصصت دلالة هذه اللفظة عندما استخدمت كمصطلح فلسفى فقهى وازدادت تخصصًا عندما استخدمها أبو حيان كمصطلح صوفى .

عاشرا : الفتوة ، الفتيان :

الفُتُوّة فى الأصل مفهوم خلقى يعنى الخصال التى يطلب أن يتحلى بها فتى من الفتيان فى بلاد العرب قبل الإسلام ، وأبرزها الكرم والشجاعة[1] .

وفى الإسلام أصبح للفتوة مفهوم آخر فقد اعتبرت خصلة من خصال الدين ، وصفة مكملة للعارفين ، فالفتوة فى الإسلام مسلك أخلاقى يؤدى إلى تهذيب الأخلاق . وظلت الفتوة طوال صدر الإسلام ، والعصر الأموى ، وشطرًا من العصر العباسى مسلكًا فرديًا يسلكه بعض الأفراد ، ويتجلى فى أعمالهم[2] ثم اتصلت الفُتُوّة بالتصوف بحيث اعتبرت مرادفة للإيثار بكل معانيه ، فعند ظهور التصوف ظهرت فيه مع فضيلة التقوى مجموعة من الفضائل المستمدة من الفتوة ، ويذكر القشيرى بعضًا من هذه الفضائل والصفات التى وصف بها الفتوة فيقول فى رسالته أصل الفتوة أن يكون العبد أبدا فى أمر غيره وقال ﷺ : لا يزال الله تعالى فى حاجة العبد ما دام العبد فى حاجة أخيه المسلم[3] والفتوة الصفح عن عثرات الإخوان وقيل الفتوة أن لا ترى لنفسك فضلا على غيرك ، وأن يكون خصمًا لربك على نفسك وأن تنصف وتنتصف ، وقيل الفتوة حسن الخلق ، وقيل الفتوة الوفاء والحفاظ وقيل الفتوة فضيلة تأتيها ولا ترى نفسك فيها ، وقيل الفتوة أن لا تهرب إذا أقبل السائل وأن لا تحتجب من القاصدين[4] .

---

(١) الفتوة عند العرب عمر الدسوقى ص ١٣ .
(٢) الفتوة عند العرب عمر الدسوقى ص ٢٢٠ .
(٣) الرسالة القشيرية ص ١٠٣ .
(٤) الرسالة القشيرية ص ١٠٥ .

والفُتُوّة بمعانيها التى تقدم ذكرها صارت المفهوم الأساسى الأخلاق عند الصوفية ، وأصبحت لفظة الفتوة من مصطلحات الصوفية ، وهكذا صارت الفتوة مذهبًا من مذاهب الصوفية وفى نهاية القرن الثانى أخذت الفتوة تلاقى إقبالًا من جماعة عرفت بالشطار والعيَّارين ، وقدظهرت فعالياتها لأول مرة أثناء حصار بغداد سنة ١٩٦ هـ من قبل الجيش الذى أرسله المأمون(١) والذى يعنينا من العيَّارين هنا ما نجده فى تنظيماتهم مما يشير إلى تمسكهم بالفتوة أيضا ، فكانوا يسمون أنفسهم بالفتيان(٢) وابن الأثير فى كتابه الكامل يقول : العيَّار فيه فتوة وله مروءة(٣) .

يقول صاحب اللسان : الفَتَاء : الشباب ، والفَتى والفِتيّة : الشاب والشابة والفعل فَتُو يَفْتُو فَتَاءً . ويقال للجارية الحدثة فتاة وللغلام فتى وتصغير الفتاة فتية والفتى فتى ، والجمع فِتاء ، والاسم من جميع ذلك الفتوة . انقلبت الياء فيه واوا ، وعن السيرافى إنما قلبت الياء فيه واوا لأن أكثر هذا الضرب من المصادر على فعولة ، إنما هو من الواو كالأخوة ، فحملوا ما كان من الياء عليه فلزمت القلب . وليس الفتى بمعنى الشاب والحدث إنما هو بمعنى الكامل الجزل من الرجال . وقوله عز وجل : ﴿ ودخل معه السجن فتيان ﴾ ، جائز أن يكونا حدثين أو شيخين لأنهم كانوا يسمون المملوك فتى والفتى السخى الكريم . يقال هو فتى بين الفُتُوة ، وقد تفتى وتفاتى ، والجمع فتيان وفتية وفتو على فعول والفتى الكريم ، وهو فى الأصل مصدر فتى فتى وصف به فقيل رجل فتى(٤) .

والفُتُوّة كما يعرفها التهانوى فى كشافه هى عند السالكين كف الأذى وترك

---

(١) تارخ الطبرى جـ ٨ ص ٤٤٧ .

(٢) تلبيس إبليس ابن الجوزى ص٣٧٨ .

(٣) الكامل ابن الأثير جـ٩ ص٤٣٩ .

(٤) اللسان جـ٢ ص١٠٥٠ .

الشكوى ، وهى عند أهل التفسير كسر الصنم فى قصة الخليل عن بعض قومه[١] .

والفُتُوّة من الألفاظ التى ترددت كثيرًا فى كتابات أبى حيان . وله فيها أحاديث لا تمل ، ويعرف أبو حيان لفظة الفتوة بتعاريف شتى فى نصوصٍ من كتاباته فيقول فى نص له من كتاب المقابسات ذاكرًا الفتوة ومن يتحلى بها : قيل للنوشجانى ما الفتوة ؟ قال : إظهار الجدة والطراوة فى كل حال مباشرة ، لأنها متى فقدت جاءت الخلوقة والرثاثة . ومن أجل ذلك سمى الفَتى فتيًّا . ولأن الكرم والمجد والجود والعفة والنجدة وكبر النفس وعلو الهمة وسائر خصال النفس والخير غضة فى كل زمان ، طرية فى أى مكان ، كان الظاهر بها والمظهر لها ، والمؤثر لأحكامها ، والمجدد لرسومها ، فتى وصاحب فتوة[٢] ويقول أبو حيان فى إشاراته الإلهية ذاكرًا الفتوة : لا وحق الفتوة فإنها شعار الكرام[٣] .

ويتحدث أبو حيان حديثًا طويلًا عن الفُتُوَّة فيقول فى كتاب الصداقة والصديق: سمعت أبا عثمان أحد الخالدين – يحكى عن أن عيَّارًا سمع رجلا يقول إذا عز أخوك فهن ، فقال للقائل : أخطأت إذا عز أخوك فأهن سياله . وأنا أقول : لو كان هذا الحكم من رجل نبيه له فى الحكمة قدم ، لتأوله متأول على وجه بعيد أو قريب ، ولكنه روى عن عيّار ، وهذا الرهط ليس لأحد فيهم أسوة ، ولا هم لأحد قدوة ، لأن الدّين لا يلتاط بهم والفتوة التى يدعونها بالاسم لا يحلون بها فى الحقيقة[٤] ويستمر أبو حيان فى حديثه عن الفتوة وموقف الدين منها وموقفها من الأخلاق والدين معًا فيقول : كيف تصح الفتوة إذا خالفها الدين ؟ وكيف يستقر الدين إذا فارقته الفتوة ؟ الدين تكليف من الله تعالى والفتوة أخلاق بين الناس ، ولا خلق إلا ما هذبه الدين . ولا دين إلا ما هذبه الخلق[٥] .

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون .

(٢) المقابسات ص٤٥٨ .

(٣) الإشارات الإلهية ص٣٧ .

(٤) الصداقة والصديق ص٥٧ .

(٥) الصداقة والصديق ص٥٨ .

وترد لفظة الفُتُوّة فى بعض نصوص أبى حيان مرادفة للفظة المروءة وفى هذا المعنى يقول أبو حيان موردًا لفظة الفتوة : يقال فلان قد جمع طهارة المروءة وأريحية الفتوة ، وقيل للنوشنجى شيخ خراسان : ما المروءة ؟ قال طهارة الزى ، قيل فما الفُتُوّة قال : طهارة السر[1] ويقول أبو حيان فى هذا المعنى ذاكرًا الفتوة والمروءة : قيل : فما المروءة فإنها تتبع الفتوة ؟ فيجيب : هى القيام بخواص ، للإنسان مما يكون عليه محمودًا وبه ممدوحًا . وهى ، أعنى المروءة ، أشد لصوقًا بباطن الإنسان ، وأمَّا الفتوة فهى أشد ظهورًا من الإنسان وكأن الأولى أخصْ والثانية أعم ، أى لا فتوة لمن لا مروءة له ، وقد يكون ذو مروءة ولا فتوة له[2] .

وفى الصداقة والصديق يذكر أبو حيان لفظة الفتوة بالمعنى الأخلاقى اللغوى فيقول : وأما التجار فكسب الدوافق سد بينهم وبين كل مروءة وحاجر لهم عن كل ما يتعلق بالفتوة[3] .

ويصف أبو حيان من يتخذ الفتوة كمسلك أخلاق فيقول فى الإمتاع والمؤانسة ذاكرًا لفظة الفتوة ومن يتصف بها : الذين لهم اهتمام بصون أعراضهم ، وحرص على إكرام أنفسهم قد عبقوا بفواتح الفتوة وعلقوا بحبائل المروءة[4] وبهذا المعنى الأخلاقى يقول أبو حيان ذاكرًا الفتوة : أحسن آدابك الزندقة ، وأفضل حالاتك الصدقة ، نذل الأبوة ، ورذل الأخوة ، عدو المروءة ، لم تؤمن بنبوة ، ولم تعرف بفتوة[5] ويقول أبو حيان موضحًا معنى الفتوة ومن يدعيها ولا يتخلق بها : وأما الرعونة فما عليه الشطار من هؤلاء الشباب الجلد الذين يرفعون الحجر ويدعون الفتوة ويكثرون ذكرها ، ويحلفون بها ويسمونها الجوامردية[6] ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الفتوة معددًا محاسنها ومبعدًا عنها كل ما يسىء : قال بعض

---

(١) البصائر والذخائر جـ١ ص١١٣ .
(٢) المقابسات ص٤٥٩ .
(٣) الصداقة والصديق ص٦ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص١١ .
(٥) مثالب الوزيرين ص٤٥ .
(٦) مثالب الوزيرين ص١٩٤ .

العرب : ليست الفتوة الفسق ولا الفجور ، ولا شرب الخمور وإنما الفتوة طعام موضوع ، وصنيع مصنوع ، ومكان مرفوع ، ولسان معسول ، ونائل مبذول ، وعفاف معروف ، وأذى مكفوف[1] .

ومع الفتوة ترد الألفاظ **فتى وفتيان** من المادة (ف ت ى) وهذه الألفاظ يذكرها أبو حيان فى نصوص من كتاباته فيقول موردًا لفظة الفتى فى حديثه عن الفتوة ويصفها بالجدة والطراوة فيقول : ومن أجل ذلك سمى الفتى فتيا[2] .

ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة **فتى** بمعنى الحدث الشاب : أفادنا حمزة المصنف جواب القاضى للعميد وذاك أنه كتب : وقد كتبت إلى الفتى أكرمه الله بما أن هدى لرشده ، ووفق لحظه ، غبط واغتبط ، وإن كثر منه اللجاج والمحك خبط واختبط ، والله يفتح بصره[3] ولفظة **الفتيان** جمعًا لفتى ترد فى نصوص عديدة من كتابات أبى حيان بمعنى الشباب وبمعنى الفتيان هم من يتخلقون بالفتوة ويتخذونها مسلكًا أخلاقيًا لهم . يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة فتيان بمعنى الحديثى السن : خرج أبو سليمان يومًا إلى الصحراء فى بعض زمان الربيع قصدا للتفرج وصحبته ، وكان معنا جماعة من أطراف المحلة ، وفتيان السكة[4] ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة فتيان بهذا المعنى : سيماه سيماء الشيوخ ، وقلبه قلب الفتيان[5] ولفظة الفتيان ترد عند أبى حيان بمعنى أصحاب الفتوة ومن يتخلقون بها وهذا هو المعنى الذى يعنينا من لفظة الفتيان ، وفى هذا المعنى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة فتيان : وأن بعض الفتيان إذا قال : والله لأتعرضن لجناية أضرب عليها ألف سوط فيصح عند الفتيان صبرى لأعذر عند الناس ممن يتعرض لحرمان مختبط لمعروف ،

---

(١) الإمتاع والمؤانسة حـ٣ ص٦ .
(٢) المقابسات ص٤٥٨ .
(٣) مثالب الوزيرين ص٢٣٥ .
(٤) المقابسات ص١١٢ .
(٥) البصائر والذخائر حـ١ ص٢٠٧ .

ومنع لمنتجع خير[1] ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة فتيان بمعناها الأخلاقى فيقول فى إشاراته الإلهية : وامتحنت بأن تسمع منى فلا أقل من التعاون الذى هو شيمة الفتيان[2] .

وترد لفظة فتيان فى نص لأبى حيان بالمعنى الدينى أى جماعة المتصوفين فيقول : قدم محمد بن إسحاق البصرة ، وكان فتيانها يضعون له المراثى لبنات عبد المطلب فيصلها هو بالسيرة والغزوات[2] .

ويذكر أبو حيان لفظة الفتيان بمعنى المتمردين على المجتمع والخارجين على تقاليده فيقول : العرب تقول : البازى أعجمى ،والصقر عربى ، والكلاب للصعاليك والفتيان[3] .

ومن مراسيم من يتخذ الفتوة مسلكًا له شُرْع قدح الفتوة الذى يحتوى على الماء والملح بعد الموافقة على دخول الشخص رفيقا فى الفتوة[4] يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الفتيان بهذا المعنى : وبالجملة أسألك بالملح الذى يتقاسم به الفتيان ظرفا ، إن تعذر فى تقصير تعثر عليه ، فوالله ما شرعت فى تحبير هذا الكلام[5] .

مما تقدم نجد أن لفظة الفتوة جاءت فى نصوص أبى حيان بمعنى المفهوم الخلقى الذى يؤدى إلى تهذيب الأخلاق والاتصاف بالصفات الحميدة ، وكذلك جاءت بمعنى صفة من صفات أهل الدين والعارفين من الصوفية وغيرهم . وأصبحت لفظة الفتوة كما ذكرها أبو حيان فى كتاباته مذهبا من مذاهب التصوف ومصطلحا من المصطلحات الخاصة بالصوفية . ولفظة الفتيان جاءت عند

---

(١) مثالب الوزيرين ص٢٤٣ .　　(٢) البصائر والذخائر جـ٣ ص٣١٨ .

(٣) البصائر والذخائر جـ٣ ص١١٢ .

(٤) الفتوة والفتيان مصطفى جواد مجلة لغة العرب مجلد السنة الثامنة ص٢٤١ .

(٥) المقابسات ص٣٥٦ .

أبي حيان بمعنى الشبان الحديثي السن وبمعنى من اتخذ من الفتوة مسلكا له وانتظم تحت لوائها ، وبمعنى المتطرفين والخارجين على القانون وتقاليد المجتمع . هذه المعانى التى ذكرها أبو حيان للفظة الفتوة وللفظة الفتيان ذكر صاحب اللسان بعضها وأغفل بعضها الآخر .

فصاحب اللسان أورد الفتوة فى معجمه بمعنى الحداثة وبمعنى الاتصاف ببعض الأخلاق الفاضلة مثل السخاء والكرم ووصف لفظة الفتيان بهذه الصفات. ووصف الفتيان بحديثى السن وعمومًا لم يذكر صاحب اللسان المعنى الاصطلاحى لكلتا اللفظتين الفتوة والفتيان كما جاء ذكرهما عند أبي حيان وتعدد المعنى للفظة الفتيان واضح فى نصوص أبي حيان فمرة هم أهل الدين والتقوى ومرة هم الصبيان والحديثو السن وأيضا هم الخارجون على القانون والمتمردون وشبههم بالصعاليك أحيانا .

فدلالة هذه الألفاظ ترتقى مرة وتنحط مرة أخرى فهى دلالة غير ثابتة حسب ورودها فى نصوص أبي حيان ثم انتقال مجال الدلالة من المادى إلى المجال المعنوى وهذا ما دلت عليه نصوص أبي حيان .

وقبل أن نختتم الحديث عن الصوفية ومصطلحاتهم نقول مسجلين هذا الرأى فيما تقدم من نصوص خاصة بالمصطلحات الصوفية :

لقد عرضنا للمصطلحات الصوفية وأن بعض هذه المصطلحات لا تفهم إلا ذوقًا وليس عن طريق النظر والبحث فحسب ، ولا أستطيع أن أقول إننى وصلت بهذا البحث إلى ما كنت أصبو إليه ، إذ إنه لبنة متواضعة فى التعريف بمصطلحات الصوفية حيث إن مكتبتنا العربية فقيرة فى هذا المجال ، والحق أننا نعتمد فى دراستنا المتخصصة للألفاظ الصوفية على مصدرين وحيدين ، الأول : هو دراسات

ومؤلفات أئمة الصوفية حتى القرن العاشر الهجرى ، وهى جميعا بأسلوب يصعب على القارىء غير المتخصص أن يتابعه فهمًا وذوقًا ، أما المصدر الثانى : فهو ما كتبه عديد من المستشرقين عن التصوف الإسلامى ، وهذه أبحاث صدرت من غير متذوق لألفاظ ومصطلحات الصوفية ، ومن هنا جاء القصور فى هذه الأبحاث .

* * *

الباب الثالث

مصطلحات العلوم الفلسفية والطبيعيَّة

الباب الثالث

مصطلحات العلوم الفلسفية والطبيعية

كان من أثر اختلاط الثقافة الإسلامية بثقافات الأمم الأجنبية وخاصة اليونانية والفارسية أن ظهرت مصطلحات فلسفية ومنطقية نتيجة لكثرة الجدل والمناقشة بين المذاهب الفكرية الدينية ، وشاعت هذه المصطلحات بمعانيها الجديدة فى القرن الرابع الهجرى وارتبط مفهوم الفلسفة فى هذا العصر بمفهوم الحكمة والعلم وأحيانا الطب والموسيقي . وزادت العناية فى القرن الرابع الهجرى بالفنون الإيقاعية وخاصة الغناء والطرب ، فوردت فى كتابات أبى حيان مصطلحات تعبر عن مجمل المعارف الموسيقية وتعدد آلاتها وتأثر كل ذلك بالغناء الأجنبى لا سيما الفارسى والرومى .

وتناول أبو حيان فى مؤلفاته هذه المصطلحات العلمية الوافدة من الثقافات الأجنبية وخاصة الفلسفية والمنطقية ولم يهمل علوم الطب والموسيقى والفلك والتنجيم وبحثها فى مجال العلوم الطبيعية وهذا هو التقسيم القديم للعلوم حسب ما جاء عند الخوارزمى وابن النديم .

* * *

الباب الثالث

مصطلحات العلوم الفلسفية
والطبيعية

الفصل الأول
المصطلحات الفلسفية والمنطقية

الفصل الثانى
المصطلحات النفسية

الفصل الثالث
المصطلحات الطبية والعلمية

الفصل الأول

المصطلحات الفلسفية والمنطقية

يحتوى هذا الفصل على المجموعات الدلالية الأساسية التالية :

أولا : المصطلحات الخاصة بالفلسفة :

وتحتوى هذه المجموعات الكبيرة على المجموعات الدلالية الفرعية التالية :

١) الفلسفة ، والفيلسوف .

٢) الطبيعة .

٣) العلة .

٤) المبدأ ، الأصل ، المنشأ .

٥) الجنس ، النوع ، الصنف .

٦) الجزء ، الكل .

٧) العنصر .

٨) الجوهر ، العرض .

٩) الهيولى ، الصورة ، المادة ، الاسطقس .

١٠) الأنية ، الأينية ، الأيسية ، الليسية ، الكمية ، الكيفية .

١١) المطلق ، المتناهى ، الأزلى .

١٢) الواجب ، الممتنع ، الممكن .

ثانيا : المصطلحات الخاصة بالمنطق :

وتحتوى هذه المجموعة الأساسية على المجموعات الدلالية الفرعية التالية :

١) المنطق ، علم المنطق .

٢) الحد ، الحدود .

٣) المقدمة ، النتيجة .

٤) الاستقراء .

المصطلحات الخاصة بالفلسفة والمنطق :

مصطلحات الفلسفة والمنطق (١٠١) كلمة وهى :

أجزاء ، أجناس ، أزلى ، استقراء ، اسطقس ، اسطقسية ، اسطقسات ، أصل ، أصناف ، أصول ، أعراض ، امتناع ، أنواع ، آنية ، أيسية ، أينية ، تعالل ، تعليل ، تناهى ، جزء ، جزئية ، جزآن ، جزئيات ، جنس ، جواهر ، جوهر ، جوهرى ، جوهرية ، جوهريون ، حد ، حدود ، صنف ، صنوف ، صورة ، صور ، طباعى ، طباعية ، طبعى ، طبيعة ، طبيعى ، طبيعية ، طبيعيات ، طبيعيون ، عرض ، علالة ، علات ، علة ، علل ، عناصر ، عنصر ، عنصرى ، عنصرية ، فلاسفة ، فلسفة ، فلسفى ، فلسفية ، فيلسوف ، كل ، كلى ، كلية ، كليات ، كمية ، كيفية ، ليسية ، مادة ، مادية ، مبدأ ، مبادئ ، متجزئ ، متفلسف ، متفلسفون ، متناهى ، متناهية ، مستنطق ، مطلق ، مطلقة ، معلل ، معلول ، مقدمة ، مقدمات ، ممتنع ، ممكن ، منشأ ، منطق ، صاحب المنطق ، علم المنطق ، منطقى ، منطقية ، منطقيون ، مواد ، نتائج ، نتيجة ، نوع ، هلية ، هيولى ، هيولانية ، هيولانى ، هيولية ، واجب ، وجوب .

* * *

جدول بنسبة شيوع المصطلحات الفلسفية والمنطقية فى مؤلفات أبى حيان :

الكلمة	عدد مرات ورودها	الكلمة	عدد مرات ورودها	الكلمة	عدد مرات ورودها
طبيعية	٢٠٦	ممتنع	٢٧	متفلسفون	٩
علة	١٨٣	مواد	٢١	جزئ	٩
فيلسوف	١٥٠	حدود	٢١	نوع	٨
جوهر	١٣٠	منطقى	٢١	كل	٨
جنس	٩٧	طبيعية	٢٠	أنية	٨
فلسفة	٩٧	اسطقسات	٢٠	متناهية	٧
جزء	٨٦	واجب	١٨	فلسفى	٦
منطق	٨٠	أجناس	١٤	جزئيات	٦
حد	٨٠	ممكن	١٣	عنصرية	٦
علل	٥٥	كمية	١٣	استقراء	٦
صورة	٥٣	عنصر	١٣	أصل	٦
مادة	٥٢	مبادئ	١٢	مقدمة	٥
مبدأ	٥٢	كيفية	١٠	نتيجة	٥
هيولى	٤٥	أعراض	١٠	منطقية	٥
أجزاء	٤٠	عناصر	١٠	تناهى	٥
صنف	٣٥	منشأ	١٠	صنوف	٥
أصناف	٣٥	كلى	١٠	جزئية	٥
جواهر	٣٣	أنواع	١٠	أصول	٥
عرض	٢٨	طبيعيون	١٠	منطقيون	٤
فلاسفة	٢٧	علم المنطق	٩	فلسفية	٤

الكلمة	عدد مرات ورودها	الكلمة	عدد مرات ورودها	الكلمة	عدد مرات ورودها
طبيعيات	٤	اسطقس	٣	هلية	١
طبيعى	٤	امتناع	٣	مستنطق	١
هيولانية	٤	جزآن	٣	جوهرية	١
متفلسف	٤	وجوب	٣	جوهريون	١
مطلق	٤	نتائج	٣	تعليل	١
أينية	٤	يستقرى	٣	معلول	١
كلية	٤	مقدمات	٢	طبعى	١
كليات	٤	هيولية	٢	طباعى	١
صور	٣	علات	٢	أزلى	١
مادية	٣	أيسية	٢	تعالل	١
متناهى	٣	ليسية	٢	متجزىء	١
جوهرى	٣	عنصرى	٢	مطلقة	١
هيولانى	٣	اسطقس	٢		
علالة	٣	اسطقسية	٢	المجموع الكلى	١٠١
معلل	٣	طباعية	٢		

تنقسم هذه المجموعة الكبيرة من المصطلحات الفلسفية والمنطقية إلى (١٧) مجموعة دلالية فرعية منها ١٢ مجموعة خاصة بالفلسفة والفلاسفة ومصطلحات خاصة بالطبيعة والأصل والعنصر والمنشأ والجنس والنوع والصنف ومصطلحات خاصة بالعلة والمبدأ والجوهر والعرض ومصطلحات خاصة بالهيولى والاسطقس والصورة والمادة ومصطلحات خاصة بالأينية والأنية والأيسية والليسية والمطلق والمتناهى والأزلى وأربع مجموعات خاصة بالمنطق والحد والمقدمة والنتيجة والاستقراء وقد استعملت هذه المصطلحات بمضامينها الدلالية الجديدة فى مؤلفات أبى حيان .

أولا : مصطلحات الفلسفة :

كانت الفلسفة عند أبي حيان طريقا للبحث عن الحقيقة الموضوعية فى الحياة ، ولجأ للفلسفة لعله يجد فى كنفها راحة من ازدحام الأسئلة التى تضج بها نفسه عن الكون ومفرداته ، وعن العالم وقدمه أو حدوثه ، وصلة العالم السفلى بالعالم العلوى ، وعن البارى ومعانى صفاته ، وعن أفعاله ، وعن معنى قصده ومراده فى فعل الأشياء ، وعن معرفة العباد له أهى بالضرورة الفطرية ؟ أم بالاستدلال ؟ وعن النفس وتجردها ، وقواها ، وأخلاقها . هذا بعض ما تناوله فى كتابه المقابسات من مسائل فلسفية وغيرها كثير . ويفزع أبو حيان إلى الفلسفة وأساتذتها لعله يجد فيما عندهم بعضا من أجوبة لأسئلته الكثيرة . فحضر أبو حيان مع البديهى دروس يحيى بن عدى[1] ، ودرس فيما درس كتاب النفس على أبى سليمان السجستانى عالم الفلسفة والمنطق [2] وقد صحبه أبو حيان أمدًا وسمع منه ووصفه فى كتابه الإمتاع والمؤانسة بأنه كان بين المعنيين بالفلسفة أدقهم نظرًا وأصفاهم فكرًا وأظفرهم بالدرر [3] ، وسمع أبو حيان على عديد من أهل المنطق والفلسفة فحفلت كتبه – وعلى التخصيص كتاباه المقابسات والإمتاع والمؤانسة – بجملة مما كان يدور فى نفوس علماء وفلاسفة بغداد [4] فى ذلك العصر من مسائل الفلسفة حتى عدت المقابسات لذلك محضرًا للمجامع الفلسفية فى القرن الرابع الهجرى ، وقد سيطر أبو سليمان المنطقى على كثير من مقابساته ، غير أن أبا حيان كان حريصًا على التعبير عن الآراء التى يسمعها من أساتذته ومن حضر مجالسهم جميعا .

---

(١) يحيى بن عدى هو تلميذ الفارابى وأبى بشر متى بن يونس ترجم إلى العربية من السريانية عددا من كتب الفلسفة وترجمته فى الفهرست لابن النديم ص ٣٤٨ .

(٢) أخبار الحكماء للقفطى ، تحقيق محمد كرد على ص ١٨٥ طبعة دمشق .

(٣) الإمتاع والمؤانسة ج ١ ص ٣٣ .

(٤) البصائر والذخائر ج ٣ ص ٥٤٥ .

وإذا كان أبو حيان يبدو فيما حواه كتاباه المقابسات والإمتاع والمؤانسة مسجلاً لما سمع من شيوخه وناقلاً عنهم ما أقروه من آراء فلسفية فليس معنى ذلك أن رأيه هو قد غاب عن هذه المقررات ، ولكن الحقيقة أن أبا حيان قد اختار مما سمع ماوافق رؤيته هو ، أو على الأقل اقتنع به وتبناه من آراء ، وعلى هذا فإن ما جاء فى كتبه من آراء وإن أسند معظمها لشيوخه فهى بالاختيار آراؤه وتسجيله لها هو دوره بالاجتهاد فيها وصياغتها وتأليفها والفلسفة بحرها واسع ، ومذاهبها متعددة ، ومعرفة أبى حيان غير قاصرة عنها فاختياره لهذا الرأى دون ذاك ليثبته فى كتاباته كان عن اقتناع به وذاهبًا فى مذهبه . اشتغل أبو حيان التوحيدى بالفلسفة ليعرف ، وليرى نفسه ويرى العالم المحيط به ، وليرد عن نفسه ألوانًا من الشك كثيرة . وهو على ذلك ثابت الإيمان ولكنه يريد المعرفة على أصول صحيحة ليزداد إيمانا وبصرًا بخلق الله وصنيعه . ولم يسلك أبو حيان فى هذا السبيل طريقة أصحاب علم الكلام فى جدلهم وتشقيقهم السؤال بعد السؤال ، بل اختار الفلسفة مجالا ومنهجا فقال سائلا أستاذه : قلت لأبى سليمان : ما الفرق بين طريقة المتكلمين وبين طريقة الفلاسفة ؟ فقال : ماهو ظاهر لكل ذى تمييز وعقل وفهم وأدب ، طريقتهم - يعنى المتكلمين - مؤسسة على مكايلة اللفظ باللفظ ، وموازنة الشىء بالشىء ، إما بشهادة من العقل مدخولة ، وإما بغير شهادة منه البتة ، والاعتماد على الجدل ، وعلى ما يسبق إلى الحس أو يحكم به العيان ، وكل ذلك يتعلق بالمغالطة ، وإسكات الخصم بما اتفق ، مع بوادر لا تليق بالعلم ، ومع سوء أدب كثير وقلة تأله ، وسوء ديانة ، وفساد دخلة ، ورفع الورع جملة .

والفلسفة ، أدام الله توفيقك ، محدودة بحدود ستة ، كلها تدل على أنها بحث عن جميع ما فى العالم مما هو ظاهر للعين ، وباطن فى العقل ، ومركب بينهما ، ومائل إلى أحد طرفيهما على ماهو عليه ، واستفادة اعتبار الحق من جملته وتفصيله ، ومسموعه ومرئيه ، وموجوده ومعدومه ، من غير هوى يمال به على العقل ، ولا إلف يفتقر معه جناية التقليد ، مع إحكام العقل الاختيارى وترتيب

الفعل الطبيعي ، وتحصيل ماندر وانقلب من غير أن تكون أوائل ذلك موجودة حسًّا وعيانا مع أشياء كثيرة ، يكثر ذكرها وتعدادها ولا يبلغ أقصى ماذا من حقها في شرفها . [1]

قد يظن من يطلع على نص أبي حيان أنه باتهامه المتكلمين في علمهم بسوء الأدب وقلة التأله وسوء الديانة ورفضهم الورع بجملته ، ثم تعظيمه للفلسفة بمناهجها ودقتها هذا التعظيم الشديد أن أبا حيان هو أقرب إلى التوفيق بين الدين والفلسفة ، وهذا على خلاف ما نجده عند أبي حيان في اتخاذه موقفًا مختلفًا هو وأستاذه أبو سليمان المنطقي ، فنراه يرفض التوفيق بين الدين والفلسفة أو التوحيد بينهما . فنجده يقول في إخوان الصفا ومذهبهم في التوفيق بين الدين والفلسفة : وكانت هذه العصابة قد تآلفت بالعشرة وتصافت بالصداقة فوضعوا بينهم مذهبًا زعموا أنهم قربوا به الطريق إلى الفوز برضوان الله والمصير إلى جنته ، وذلك أنهم قالوا : الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة ، وذلك أنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية وزعموا لهم متى انتظمت الفلسفة اليونانية بالشريعة العربية فقد حصل الكمال ، وصنفوا خمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة علميها وعمليها ، وسموها «رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء» ولقنوها للناس وادعوا أنهم مافعلوا ذلك إلا ابتغاء وجه الله عز وجل . وحشوا هذه الرسائل بالكلم الدينية والأمثال الشرعية والحروف المحتملة ، والطرق الموهمة . [2]

ثم يورد أبو حيان رأى أستاذه أبي سليمان المنطقي ، ورأيه هو كذلك في رسائل إخوان الصفا وما ارتأوا فيها من جمع بين الدين (الشريعة) والفلسفة

---

(١) مقابسات ص ٢٠٣ ، ص ٢٠٤ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة ج ٢ ص ٥ .

فيقول : وحملت عدة منها إلى شيخنا أبي سليمان المنطقي السجستاني وعرضتها عليه ، ونظر فيها أياما واختبرها طويلا ، ثم ردها علي . وقال : تعبوا وما أغنوا . ونصبوا وما أجدوا . ظنوا مالا يكون ولا يمكن ولا يستطاع ، ظنوا أنهم يمكنهم أن يدسوا الفلسفة – التي هي علم النجوم والأفلاك والمجسطي والأوزان ، والمنطق الذي هو اعتبار الأقوال بالإضافات والكميات والكيفيات في الشريعة وأن يضموا الشريعة للفلسفة . وهذا مرام دونه حدد ،وقد توفر على هذا قبل هؤلاء قوم كانوا أحدّ أنيابًا وأحضر أسبابًا وأعظم أقدارًا . فلم يتم لهم ما أرادوه ، وحصلوا على لوثات قبيحة ، وألقاب موحشة وعواقب مخزية[1] .

نجد مما تقدم من نصوص أبي حيان أنه على دينه وإيمانه ثابت لا يزحزحه شيء يرفض النزوع إلى الإلحاد أو الشك ، وهو مع ذلك مشتغل بالفلسفة محب لها ومعظم لقدرها دون أن يفقد إيمانه أو تغلب الفلسفة على عقيدته . ونجده يدين ويرفض دس الشريعة في الفلسفة وضم هذه إلى تلك . ويرفض أبو حيان الرأي الذي يقول : الفلسفة للخاصة والدين للعامة . لقد أدان أبو حيان بما أثبته في كتاباته هذا الموقف أشد الإدانة ، فروى أن واحدًا ممن يرون هذا الرأي ويعتقدون هذا الاعتقاد قد لقي الحريري وهو المقدسي أحد أصحاب التوحيدي ومن مجالسيه عند السجستاني فقال له : الشريعة طبّ المرضى ، والفلسفة طبّ الأصحاء والأنبياء يطبون للمرضى حتى لا يزداد مرضهم وحتى يزول المرض بالعافية فقط . فأما الفلاسفة فإنهم يحفظون الصحة على أصحابها حتى لا يعتريهم مرض أصلًا[2]وقال أيضا : إنما جمعنا بين الفلسفة والشريعة لأن الفلسفة معترفة بالشريعة ، وإن كانت الشريعة جاحدة لها ، وإنما جمعنا أيضا بينهما لأن الشريعة عامة ، والفلسفة خاصة والعامة قوامها بالخاصة . كما أن الخاصة تمامها بالعامة وهما

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٦ . (٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١١ .

متطابقتان إحداهما على الأخرى ، لأنها كالظهارة التى لا بد لها من البطانة ، وكالبطانة التى لا بد لها من الظهارة[١] .

فقال الحريرى ردًّا على كلام المقدسى : أما قولك طبّ المرضى وطبّ الأصحاء وما نسقت عليه كلامك فمثل لا يعبر به غيرك ومن كان فى مشكل ، لأن الطبيب عندنا الحاذق فى طبه هو الذى يجمع بين الأمرين ، أعنى أنه يبرئ المريض من مرضه ، ويحفظ الصحيح على صحته ، فإما أن يكون هاهنا طبيبان يعالج أحدهما الصحيح ، والآخر يعالج المريض ، فهذا مالم نعهده نحن ولا أنت ، وهو شىء خارج عن العادة ، فمثلك مردود عليك ، وتشنيعك فاضح لك[٢] . وأما قولك : الفلسفة خاصة والشريعة عامة ، فكلام ساقط لا نور عليه لأنك تشير به إلى أن الشريعة يعتقدها قوم – وهم العامة – والفلسفة ينتحلها قوم – وهم الخاصة – فلم جمعتم رسائل إخوان الصفا ، ودعوتم الناس إلى الشريعة وهى لاتلزم إلّا العامة ، ولم تقولون للناس : من أحب أن يكون من العامة فليتحل بالشريعة ، فقد ناقضتم لأنكم حشوتم مقالتكم بآيات من كتاب الله تزعمون بها أن الفلسفة مدلول عليها بالشريعة ، ثم الشريعة مدلول عليها بالمعرفة ، ثم ها أنت تذكر أن هذه للخاصة ، وتلك للعامة ، فلم جمعتم بين مفترقتين ومزقتم بين مجتمعين هذا والله الجهل المبين ، والخرق المشين[٣] وهكذا نرى أبا حيان بالإضافة إلى رفضه التوفيق بين الدين والفلسفة أو دس الفلسفة فى الدين يرفض أيضًا أن تكون الفلسفة للخاصة والدين للعامة . ونرى أبا حيان فى موقف آخر موضوعيا يبقى على الدين والشريعة قدسية الوحى الإلهى ، والرسالة المكرمة ، والنبوة الصادقة ويبقى فى الوقت نفسه على الحكمة الفلسفية واجتهاد العقل الإنسانى

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٢ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٢ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣ .

وما لها من شرف عظيم . ويرى أبو حيان وجوب الفصل التام بين الدين والفلسفة وعدم الخلط بينهما ، فليس بينهما عنده وفاق أو صراع ولا كان أحدهما ظهيرًا للآخر ولا مقاودًا له . فيقول فى ذلك : قد حاول هذا الكيد خلق فى القديم والحديث فنكصوا على أعقابهم خائبين منهم أبو زيد البلخى فإنه ادعى أن الفلسفة مقاودة للشريعة ، والشريعة مشاكلة للفلسفة ، وأن إحداهما أم والأخرى ظئر ، وأظهر مذهب الزيدية ، وانقاد إلى أمير خراسان الذى كتب له أن يعمل فى نشر الفلسفة بشفاعة الشريعة ويدعو الناس إليها باللطف والشفقة والرغبة ، فشتت الله كلمته ، وقوض دعامته ، وحال بينه وبين إرادته فلم يتم له من ذلك شىء[1] ورفض أبى حيان إقحام الفلسفة على الدين والمزج بينهما واضح فى نصه مع تفضيله إمكانية أن يجتمع عند أحد العلماء فهم كل من الفلسفة والدين دون أن يدخل هذا على ذاك .

وهذه المواقف التى تقوم على التلفيق بين مختلفين من غير طائل يعتبرها أبو حيان إنما تتخذ زلفى للناس واستجلابا لرضاهم ، وفيها من المداهنة أكثر مما فيها من العلم وفيها من النفاق أكثر مما فيها من الصدق . وفى هذا يقول أبو حيان : قلت إن أبا سليمان يقول : إن الفلسفة حق لكنها ليست من الشريعة فى شىء ، والشريعة حق لكنها ليست من الفلسفة فى شىء . وصاحب الشريعة مبعوث وصاحب الفلسفة مبعوث إليه وأحدهما مخصوص بالوحى ، والآخر مخصوص ببحثه والأول يكفى والثانى كادح . وهذا يقول : أمرت وعلمت وقيل لى وما أقول شيئا من تلقاء نفسى ، وهذا يقول : رأيت ونظرت واستحسنت واستقبحت . وهذا يقول : نور العقل أهتدى به ، وهذا يقول معى نور خالق الخلق أمشى بضيائه . وهذا يقول : قال الله وقال الملك ، وهذا يقول : قال أفلاطون وسقراط ، ويسمع من هذا ظاهر تنزيل وسائغ تأويل وتحقيق سنة واتفاق أمة ، ويسمع من الآخر الهيولى

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٥ .

والصورة والطبيعة والأسطقس ، والذاتىّ والعرضىّ والأيسىّ والليسى وما شاكل هذا مما لا يسمع من مسلم ولا يهودى ولا نصرانى ولا مجوسى ولا مانوى[1] . لا نعجل فنفهم من نصوص أبى حيان أنه يرى أن على الإنسان أن يختار بين الفلسفة والشريعة فهو إن تديَّن فلا يأخذ بطرف الفلسفة ، وإن تفلسف ترك دينه وخرج منه هذا ليس هو رأى أبى حيان ، وإنما أبو حيان يرى أن الإنسان فى تدينه لا يأخذ دينه بالفلسفة ، وإن اشتغل بالفلسفة فلا يدخل عليها شيئا من الدين ، فكل منهما جنس مختلف عن الآخر .

ويرى أبو حيان أنه لا يمنع أن يجمع الإنسان بين إيمانه والاشتغال بالفلسفة فيقول فى نصوصه ذاكرًا الفعل يتفلسف : من أراد أن يتفلسف فيجب عليه أن يعرض بنظمه عن الديانات ومن اختار التدين فيجب عليه أن يعرد بعنايته عن الفلسفة ، ويتحلى بهما متفرقين فى مكانين على حالين مختلفين ، ويكون بالدين متقربا إلى الله تعالى على ما أوضحه له صاحب الشريعة عن الله تعالى ويكون بالحكمة متصفحًا لقدرة الله تعالى فى هذا العالم الجامع للزينة الباهرة ، ولا يهدم أحدهما بالآخر[2] . ولا ضير عند أبى حيان على من فعل ذلك ، بل إنه من نعم الله على الإنسان وفى هذا يقول : فمن فضل نعمة الله تعالى على هذا الخلق أن نهج لهم سبيلين ونصب لهم علمين ، وأبان لهم نجدين ليصلوا إلى دار رضوانه إما بسلوكهما وإما بسلوك أحدهما[3] .

حين ننظر إلى نصوص أبى حيان هذه ينشأ سؤال نتساءل به ترى هل ساوى أبو حيان بذلك بين الفلسفة والدين بحيث يمكن الاستغناء بواحد منهما عن الآخر كما يوحى بذلك قوله وإما بسلوك أحدهما ؟ أو بعبارة أوضح : هل يمكن الاستغناء بالفلسفة عن الدين ما دام الاثنان يوصلان إلى غاية واحدة وهما فى مرتبة واحدة ؟

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٨

(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٨ ، ١٩ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٩ .

وردًا عن هذه التساؤلات حول موقف أبى حيان نقول : حاشاه أن يكون قد زل هذه الزلة بل الأمر عند أبى حيان بين واضح لا لبس فيه . فأين الدين من الفلسفة ؟ وأين الشيء المأخوذ بالوحى النازل من الشيء المأخوذ بالرأى الزائل ؟ فإذا أدلوا (يعنى الفلاسفة) بالعقل فالعقل موهبة من الله جل وعز لكل عبد ، ولكن بقدر ما يدرك به ما يعلوه كما لا يخفى به عليه ما يتلوه وليس كذلك الوحى فإنه على نوره المنتشر وبيانه الميسر : قال (يعنى شيخه السجستانى) : وبالجملة النبى فوق الفيلسوف والفيلسوف دون النبى ، وعلى الفيلسوف أن يتبع النبى . وليس على النبى أن يتبع الفيلسوف لأن النبى مبعوث والفيلسوف مبعوث إليه[1] .

الفلسفة ، الفيلسوف :

جاء فى اللسان : الفلسفة : الحكمة ، أعجمى ، وهو فيلسوف وقد تفلسف[2] وليس هناك تعريف محدد متفق عليه للفلسفة لدى المسلمين ، فهى تعرف عندهم غالبا بمحبة الحكمة[3] وهو التعريف الاشتقاقى للكلمة ، وتعرف أحيانا بمعنى علم حقائق الأشياء والعمل بما هو أصلح أو بمعنى أخلاق فيقال : الفلسفة : التشبه بالأدلة بحسب الطاقة البشرية لتحصيل السعادة الأبدية[4] .

وارتبط مفهوم الفلسفة فى القرن الرابع الهجرى بمفهوم الحكمة والعلم والطب أحيانا وبما أن أصل كلمة الفلسفة يونانى[5] لذلك يجب أن تفهم على أساس ارتباطها الكبير بمفهوم الفلسفة القديمة التى حددت بفلسفة الإغريق ، مع استمرارها خلال الفترة الرومانية إلى عصر المفكرين فى القرون الوسطى سواء كانوا من

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٩ ، ص ١٠ .   (٢) اللسان جـ ٢ ص ١١٢٧ .
(٣) مفاتيح العلوم ص ٧٩ .   (٤) التعريفات ص ٩٠ .
(٥) Philosophy article in Encyclopaedia Britarnica.

العرب أو من اللاتينيين اشتقوا وجهة نظرهم للقضايا والطرق الفلسفية من الإغريق ، لذلك لم تظهر الفلسفة فى تاريخ الحضارة الإسلامية إلّا بقيام حركة الترجمة فى العصر العباسىّ الأول وكان تحديد مسائلها هو التحديد الإغريقى القديم أو بعبارة أدق هو تحديد لفلسفة مابعد سقراط[1] .

ونجد فى كتابات أبى حيان تعاريف متعددة لكلمة الفلسفة سبق ذكرها عند تناولنا لقضية الدين والفلسفة والتوفيق بينهما ونذكر هنا أوضح تعريف ورد عند أبى حيان للفظة **الفلسفة** فيقول فى نص من مقابساته : قيل : ما الفلسفة ؟ قال : قوة الإلهية تنشأ من النفس لها فواتح طبيعية وأوائل حسية[2] وفى هذا المجال يعرف أبو حيان التفلسف فيقول : **التَّفَلْسُف** هو حب الحكمة بالطبع أو بالإيثار[3] ومن لفظة الفلسفة هذه الكلمة المركبة أخذت كلّ الاشتقاقات الأخرى مثل : فلسفى ، فلسفية ، ومتفلسف ، ومتفلسفين وهذه الاشتقاقات ترد فى نصوص متعددة من كتابات أبىَ حيان وفى هذا المجال يذكر لفظة **فلسفىّ** نسبة إلى فلسفة فيقول فى نص من مقابساته : هذه الآداب والعلوم هى قشور الحكمة ، وما انتشر منها على فائت الزمان ، لأن القياس المقصود فى هذه المواضع والدليل المدعى فى هذه الأبواب ، معها ظل يسير من البرهان المنطقى ، والرمز الإلهى ، والإقناع الفلسفى[4] ولفظة **فلسفيّة** يقول أبو حيان ذاكرًا هذه اللفظة فى نصوص له من كتاباته ففى المقابسات يقول فى وصفه للمجالس الثقافية : فقد كانت المجالس لا تنصرم إلّا عن فوائد كثيرة ، فلسفيّة وغير فلسفية[5] وفى الإمتاع يقول : أبو إسحاق معانيه فلسفية ، وطباعه عراقية[6] ويذكر أبو حيان فى كتاباته أيضا لفظة **مُتَفَلْسِف** والجمع متفلسفين فيقول موردًا لفظة متفلسف فى قوله : سمعت على بن

---

(١) تاريخ الحضارة الإسلامية جـ ١ ص ٢١٢ .
(٢) المقابسات ص ٤٧٣ .
(٣) المقابسات ص ٤٧٢ .
(٤) المقابسات ص ٢٠٦ .
(٥) المقابسات ص ٢٧٤ .
(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٦٧ .

المنجم يقول وكان محدِّثًا ، حلو الحديث ، وقد سئل : لم غلب البخل على كل متفلسف فقال : وجدنا الغالب على الناظرين فى حقائق الأمور ، وهم الموسومون بطلب الحكمة التى هى الفلسفة ، التمسك بكل عرض يملكونه حتى إنهم لايفرجون عن شيء إلّا بمشقة شديدة[1] ويذكر أبو حيان لفظة الجمع **متفلسفين** فى وصفه لابن عباد فيقول : ودخل بغداد فتكلف واحتفل وعقد مجالس مختلفة للفقهاء يوما ، وللأدباء يوما ، وللمتكلمين يوما وللمتفلسفين يوما[2] .

ومن الملاحظ أن الألفاظ تفلسف ومتفلسف والجمع متفلسفين وفلسفىّ وفلسفيه نسبة إلى الفلسفة لم ترد فى اللسان عند تناوله مادة (ف ل س ف) فهذه اشتقاقات جديدة أوردها أبو حيان فى كتاباته نتيجة لكثرة تداولها فى عصره .

ومما تقدم يتضح أن لفظة فلسفة ولفظة فيلسوف التى جاءتنا من أصل يونانى هى كلمات مركبة دخلت العربية مع عدد كبير من الألفاظ الثقافية الوافدة من الثقافة اليونانية وعرفتها العربية فى عصر الحضارة الإسلامية وكونت منها كلمات فصاغت الفعل تفلسف وصاغت الكلمات فلاسفة وتفلسف وغيرها من الاشتقاقات الأخرى وكل هذه الكلمات صيغت وفق الضوابط العربية من المادة الأجنبية Phiolosophe أى حب الحكمة ، والفيلسوف هو الذى يتدارس الحكمة واستعملت لفظة الفلسفة بهذه الدلالة وعرفت الحكمة بأنها صناعة يستفيد منها الإنسان تحصيل ما عليه الوجود كله فى نفسه وما عليه الواجب ما ينبغى أن يكسبه فعله لتشرق بذلك نفسه وتصير عالمًا معقولًا مضاهيًا للعالم الموجود وذلك بحسب الطاقة الإنسانية وهذا المعنى هو المعنى الاصطلاحى للحكمة الذى يرادف كلمة الفلسفة حيث إن الحكمة استعملت فى العصر اليونانى القديم مرادفة للفلسفة وترجمت الكلمة اليونانية بلفظة حكمة[3] .

---

(١) المعجم الفلسفى ص ٨٤ .
(٢) مثالب الوريرين ص ٢٧٠ .
(٣) المعحم الفلسفى ص ٨٤ .

(٢) الطبيعة ، طبيعية :

جاء فى اللسان : الطبيعة : الخليقة والسجية التى جُبل عليها الإنسان وطَبْع الإنسان وطِباعه : وهو ما طبعَ عليه فى مأكله ومشربه وسهولة أخلاقه وحُزونتها وعسرها ويسرها وشدته ورخاوته وبخله وسخائه . وَطَبَعَهُ الله على الأمر يَطْبَعه طَبْعًا : فطره . وطبع الله الخلق على الطبائع التى خلقها فأنشأهم عليها هى خلائقهم . وله طابِع حسن ، بكسر الباء أى طبيعة . والطَّبْع : ابتداء صنعة الشيء تقول : طَبَعْتُ اللبن طَبْعًا وطَبعَ الدرهم والسيف وغيرها يَطْبَعُه طَبْعًا : صاغه[1] وجاء فى التعريفات : الطبيعة هى عبارة عن القوة السارية فى الأجسام بها يصل الجسم إلى كماله الطبيعى[2] وهذا المعنى هو الأصل الذى ترجع إليه جميع المعانى الفلسفية التى يدل عليها هذا اللفظ[3] والطبيعة كما عرفها إخوان الصفا فى رسائلهم فى الفصل الخاص عن ماهية الطبيعة : هى قوة من قوى النفس الكليّة ، منبثة منها فى جميع الأجسام التى دون فلك القمر ، سارية فى جميع أجزائها كلها . وإن قوى النفس الكلية الفلكية السارية فى جميع الأجسام المسماة الطبيعة تنقش وتصور وتصوغ من تلك المزاجات والأخلاط أجناس الكائنات التى هى الحيوان والنبات والمعادن ، بإذن الله عز وجل[4] .

وفى كشاف التهانوى يعدد المعانى المختلفة التى يطلقها العلماء على الطبيعة ، فيقول : الطبيعة فى إصطلاح العلماء تطلق على معانٍ منها : مبدأ أول الحركة ما هى فيه وسكونه بالذات لا بالعرض على نهج واحد من غير إرادة هو الطبيعة ولفعيل أسرار ووجوده وإذا لم يكن بد من اعتباره على طريقة هذا السائل فلأن

---

(١) اللسان جـ ٢ ص ٥٦٧ .
(٢) التعريفات للجرجانى ص ١٤٥ .
(٣) المعجم الفلسفى جـ ٢ ص ١٣ .
(٤) رسائل إخوان الصفا جـ ٢ ص ٦٣ ، ٦٥ الرسالة الثامنة .

وبإرادة هو القوة الفلكيَّة . ومنها الحقيقة وهذا هو المراد بالطبيعة الواقعة فى تعريف الخاصة المطلقة . ومنها المفهوم الذى إذا أخذ من حيث هو هو لا يمنع وقوع الشركة وهذا من مصطلحات أهل المنطق . ومنها حقيقة إلهية فعالة للصور كلها . وفى عرف أهل الرسوم الطبيعة قوة من قوى النفس الكليّة سارية فى الأجسام الطبيعية السفلية . وفى عرف أهل الطب الطبيعة على أربعة معانٍ أحدها على المزاج الخاص بالبدن وثانيها على الهيئة التركيبية وثالثها على القوة المدبرة ورابعها على حركة النفس ، والأطباء ينسبون جميع أحوال البدن إلى الطبيعة المدبرة للبدن ، والفلاسفة ينسبون ذلك إلى النفس ويسمون هذه الطبيعة قوة جسمانية(١) .

ولفظة **الطبيعة** عرفها أبو حيان فى كتاباته بتعريفات متنوعة فقال : يقال ما الطبيعة ؟ الجواب صورة عنصرية ذات قوتين متوسطة بين النفس والجرم لها بدء حركة وسكون عن حركة(٢) .

ويقول أبو حيان معرفا الطبيعة : وبحسب موضوع اللغة هى فَعيلَة من الطبع ولذلك ما صار أشبه بالصورة من المادة ، وإن كان المطبوع هو المادة ، إلَّا أن الصورة هى الطابعة ، وهى المعطية ذاتها لها ، وحاصلة فيها(٣) ويقول أبو حيان أيضا فى إحدى مقابساته شارحًا معنى الطبيعة ووزنها الصرفى : سألنى أبو سليمان يومًا عن الطبيعة ، وكيف هى عند أهل النحو واللغة ، أهى فعيلة بمعنى فاعلة ، أو بمعنى مفعولة ؟ فقلت : أكره أن أرتجل الجواب عنها ، وأنا أسأل شيخنا أبا سعيد السيرافى فهو اليوم عالم العالم ، فسألت أبا سعيد عنها فقال : هذا من قبيل الأسماء المحضة لا من قبيل الأسماء المشوبة ، فلا يقال لذلك فعيل بمعنى أنه فاعل كقدير بمعنى قادر ، ولا يقال إنه فعيل بمعنى مفعول كذبيح . ولكن يقال : هو فعيل فى أصله ، كحنين وأنين . ومع هذا فمعنى الفعل به أقرب من معنى الفعل منه ،

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون حـ ٤ ، ص ٩٠٨ ، إلى ص ٩١١ .

(٢) المقابسات ص ٣٧٣

(٣) المقابسات ص ٣١٢ .

ولفعيل أسراره ووجوده وإذا لم يكن بد من اعتباره على طريقة هذا السائل فلأن يكون بمعنى مفعول أولى ، وذلك أنا نقول : طباعه كذا وكذا ، وطبيعته أى ما طبع عليه . وبمعنى فعل ، والمفعول فيه أبين ، وإخواته يدللن على ذاك ، أعنى الضريبة والسليقة والسّجيّة والغريزة والنَّحِيزَة[1] .

وترد لفظة الطبيعة فى نصوص من كتابات أبى حيان بمعنى الصفات الفطرية وفى هذا المعنى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الطبيعة بمعنى الطبع والسجية : وكما أن الإنسان ذو طبيعة لآثارها الظاهرة فى بدنه ، كذلك هو نفس لآثارها الظاهرة فى آرائه[2] وعن فعل الطبيعة يقول أبو حيان : الطبيعة تتدرج فى فعلها من الكليات البسيطة إلى الجزئيات المركبة[3] وترد لفظة الطبيعة مرتبطة بالفلسفة فى نصوص كثيرة من كتابات أبى حيان .

ففى نصٍّ من كتاب الهوامل والشوامل يقول أبو حيان فيه موردًا لفظة الطبيعة بالمعنى الفلسفى : أحببت أن يكون فى هذا الكتاب بعض ما يدل على أصول الشريعة وإن كان جل ما فيه منزوعا من الطبيعة ، ومأخوذًا من علية الفلاسفة وأشياخ التجربة[4] .

ويذكر أبو حيان تعريفات عديدة للفظة الطبيعة بالمفهوم الفلسفى وفى هذا المعنى يقول أبو حيان ذاكرًا حد الطبيعة فى نص له من كتاب المقابسات : وحَدُّ الطبيعة هو المعنى الذى يقال إنها حياة تنفذ فى الأجسام ، فتعطيها التخلق والتصور بالصور الخاصة بواحد واحد منها ، وكأنها القوة السائرة من المبدأ الأول إلى جميع الأشياء المنفعلة لها والمقابلة لها ، الرابطة بينها وبينه[5] .

ويعرف أبو حيان لفظة الطبيعة تعريفًا فلسفيًّا فيقول : الطبيعة هى قوة

---

(١) المقابسات ص ١٢٩ وانظر الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٥٩ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١١٠ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٨٤ .

(٤) الهوامل والشوامل ص ٣٢٩ .

(٥) المقابسات ص ٣١٢ .

نفسية ، فإن قلت عقلية لم تبعد ، وإن قلت إلهيّة لم تُبْعِد ، وهى التى تسرى فى أثناء هذا العالم مُحَرِّكة ومُسَكِّنة ومُجَدِّدة ومبلية ، ومُنْشِئة ومُبيدة ، ومُحْيِيَة ومُميتة ، وتصاريفها ظاهرة للحسّائس ، وهى آخر الخلفاء فى هذا العالم وهى بالمواد أعلق ، والمواد لها أعشق ،[1] ويقول أيضا فى نص آخر من الإمتاع والمؤانسة معرفًا لفظة الطبيعة : الطبيعة قوة إلهية سارية فى الأشياء واصلة إليها ، عاملة فيها بقدر ما للأشياء من القبول والاستحالة والانفعال والمواتاة إما على التمام ، وإما على النقصان[2] ، ويقول أبو حيان معرفًا الطبيعة ومبينًا الفرق بينها وبين الصناعة : وأبين ما سمعته أن الطبيعة فوق الصناعة ، وأن الصناعة تتشبه بالطبيعة ولا تكمل ، والطبيعة لا تتشبه بالصناعة وتكمل ، لأن الصناعة بشرية مستخرجة من الطبيعة التى هى إلهيّة[3] .

وترد فى كتابات أبى حيان اشتقاقات كثيرة من المادة (ط ب ع) منها طبعىّ وطبيعىّ وطباعيّة وطبيعيات وطبيعيين وطباعىّ وغيرها سوف أذكر بعض أماكن ورودها . فلفظة **طبيعىّ** المنسوب إلى الطبيعة ترد فى أماكن متفرقة مَن كتابات أبى حيان ففى المقابسات يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الطبيعى بمعناها الخلقى : الإنسان مضروب بالظن والحدس ، ومصنوع بالعقل والحس ، ومعرض فى كل وقت للشقاء والسعادة ، ولا فكاك له من جميع ذلك ، مادام فى مسكه الطبيعىّ ولبسه البشرى[4] ، ويقول أبو حيان فى مقابساته أيضا موردًا لفظة الطبيعى بمعناها الفلسفى : سمعت أبا سليمان يقول : رأيت ، فيما يرى النائم ، كأنى أُناظر ابن العميد أبا الفضل فى مسائل من السماع الطبيعى[5] .

ولفظة **طبيعيّة** ترد فى كتابات أبى حيان فى أماكن متعددة وباستعمالات

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١٢٣ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٣٩ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٣٩ .
(٤) المقابسات ص ١٣٤ .
(٥) المقابسات ص ٣٢٦ .

متنوعة ، ففى نص من كتاب الإمتاع والمؤانسة يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة طبيعيّة نسبة إلى الطبيعة : الصور أصناف : إلهيّة وعقليّة ، وفلكيّة وطبيعيّة[(١)] ، ويشرح معنى الطبيعيّة بمعناها الفلسفى فيقول : وأما الصورة الطبيعية فتعلقها بالمادة القابلة لآثارها بحسب استعدادها لها ، ولذلك ماهى مزحزحة عن الدرجة العليا[(٢)] . ويذكر أبو حيان لفظة طبيعيّة فى نص من كتاب الإمتاع وذلك فى مجال حديثه عن الأرواح وأنواعها ، فيقول : ولكل واحد من الحيوان ثلاثة أرواح فى ثلاثة أعضاء رئيسية : نفسية فى الدماغ ، وحيوانية فى القلب ، وطبيعية فى الكبد[(٣)] . ويقول أبو حيان أيضا ذاكرا لفظة طبيعية ضد صناعية أى لم تمتد لها يد : مسالك الأشياء فى تكونها صناعية كانت أو تدبيرية أو طبيعية ، أو اتفاقية واحدة[(٤)] ، ويقول أبو حيان : وأبو سليمان يقول : الأمور مقسومة على الحدود الطبيعية والقوى النفسية والبسائط العقلية والغرائب الإلهية[(٥)] .

وعن **المعانى الطبيعية** يقول أبو حيان فى الإمتاع والمؤانسة أيضا : مسلك العقل فى تعرف المعانى الطبيعية مقابل لمسلك الطبيعة فى إيجادها ، لأن الطبيعة تتدرج من الكليات البسيطة إلى الجزئيات المركبة[(٦)] . وبمعنى الوجود فى الحياة ، يقول فى رسالة الحياة ذاكرًا لفظة طبيعية : إن الذى لا يعلم أن له حياة إلا حياة طبيعية فقط فهو شقى ، وذلك أن هذه الحياة الطبيعية شبيهة بالظل الزائل[(٧)] ويذكر أبو حيان لفظة طبيعية فى مجال الفلسفة أى الفلسفة الطبيعية فيقول : هذه مقابسة أثارها قولنا لأبى سليمان : ما أحسن كلمات بطليموس فى الثمرة ، فإنها كالشذور المنتخبة ، والدرر الثمينة ، وما أحوجنا إلى أخواتهن فى الفلسفة الإلهية والطبيعية ،

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١٣٧ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١٣٨ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٤٢ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٨٥ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٦٠ .
(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٨٦ .
(٧) رسالة الحياة ص ٦٥ .

فإنها توعى وتحفظ[1].

وفلسفة الطبيعة هى فلسفة مقصورة على البحث فى المادة وأحوالها. وهى القول بضرورة جمع الطبائع العامة والقوانين الكبرى الضابطة للطبيعة فى نظام كلى واحد[2].

والألفاظ طبيعيات وطباعى وطباعية أقل ورودًا فى كتابات أبى حيان من الألفاظ الأخرى التى مر ذكرها فلفظة **طبيعيات** يذكرها فى كتاباته فيقول: والبدأة فى الطبيعيات وحدة، كما أن الوحدة فى الإلهيات بدأة، وهذا كلام خطير[3]. معنى الطبيعيات هنا هو العلوم الطبيعية.

ويذكر لفظة **طباعىّ** فيقول: قال الجيهانى: ليس للعرب كتاب إقليدس ولا المجسطى ولا الموسيقى ولا كتاب الفلاحة ولا الطب ولا العلاج، فليعلم الجيهانى أن هذا كله لهم بنوع إلهى لابنوع بشرى، كما أن هذا كله لغيرهم بنوع بشرى لابنوع إلهى، وأعنى بالإلهى والبشرى الطباعى والصناعى[4]. والطباعى هنا ضد المكتسب أى الصناعى.

ولفظة **طباعيّة** ترد فى قول أبى حيان فى وصفه لجالينوس وقوله فى منافع الأعضاء فيقول: فجالينوس قد تهجم بنظره وتفحصه عن علتين، إحداهما موضوعة لذاك ومطبوعة على ذاك، والأخرى يدنيها منها، ويضيفها إليها، اقتداء بالعقل البشرى، وتصرفا بالقياس الإنسى، وإثارة للحكمة الإلهية، فالعلة الأولى طباعية، والأخرى صناعية، والقياس المشار إليه من الأولى برهانى والقياس المدلول عليه من الأخرى بيانى[5].

ثم لفظة **طَبْعىّ** ترد فى نص لأبى حيان يقول فيه: فإنه ليس من معلول طبعى أو صناعى تنقطع عنه علته إلّا فسد وباد[6] .

---

(١) المقابسات ص ٢٤٢.

(٢) المعجم الفلسفى جـ ٢ ص ١٥.

(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٣.

(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٨٩.

(٥) المقابسات ص ٤٣٨ .

(٦) المقابسات ص ٤٠١ .

والطبعى كما يفسره التهانوى هو علم من العلوم المدونة الحكمية ، فإن علم الحكمة ينقسم إلى عملى ونظرى والحكمة النظرية تنقسم إلى علم طبعى ورياضىّ وإلهىّ[1] .

والطبيعيون لفظة ترد كثيراً فى كتابات أبى حيان ففى رسالة الحياة يذكر أبو حيان لفظة الطبيعيين فى حديثه عن الحياة الثامنة وهى حياة العاقبة فيقول : وإنما كان كدح الفلاسفة اليونانيين والإلهيين والطبيعيين والمتقدمين والمتأخرين بهذه الحياة الجامعة بين السرور والبقاء السرمدى فى حظيرة القدس ومراد الأنس[2] . الطبيعيون معناها هنا هم أهل العلم الطبيعى . وهم الدهريون الذين ينكرون وجود الصانع المدبر ، ويزعمون أن العالم وجد بنفسه[3] . ويقول أبو حيان فى الإمتاع والمؤانسة مورداً لفظة **الطبيعيين** فى قوله : الجنس أقدم من النوع ، والنوع أقدم من الشخص ، وأعنى بالجنس والنوع الطبيعيين لا المنطقيين[4] ، ويقول فى الإمتاع أيضا : وبالواجب ينبغى أن تخطو على آثار المنطقيين والطبيعيين والمهندسين[5] . وصيغة الجمع هذه لم ترد فى اللسان عن تناوله للمادة (ط ب ع) .

مما تقدم يتضح أن لفظة طبيعية جاءت فى كتابات أبى حيان بمعانٍ منها المعنى اللغوى ، ومنها المعنى الخلقى أى بمعنى الصفات الفطرية وخواص الحياة ومنها المعنى الأخلاقى الدال على المزاج والسجية والغريزة ومنها المعنى الفلسفى ومع لفظة الطبيعة جاءت فى كتابات أبى حيان مجموعة من الكلمات اشتقت من المادة (ط ب ع) مثل : طبيعى ، طبيعية ، طباعى ، طباعية ، طبعى ، طبيعيات وطبيعيون . وهذه الاشتقاقات أوردها أبو حيان فى كتاباته نتيجة لكثرة

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون حـ ٤ ص ٩١١ . (٢) رسالة الحياة ص ٦١ .

(٣) المعجم الفلسفى جـ ٢ ص ١٧ . (٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٨٦ .

(٥) الإمتاع والمؤانسة حـ ١ ص ١٠٧

استخدامها فى عصره وتعتبر من الاشتقاقات الجديدة عند أبى حيان لعدم ورودها فى اللسان فقد أغفل اللسان ذكرها عند تناوله للمادة (ط ب ع) .

وفى مجال التغير الدلالى نجد أنه من معنى الخليقة والسجية اللتين تدلان أيضا على الأصل والعنصر ، اتخذت كلمة الطبيعة مضامين فلسفية ، فدلت على الطبع بمعنى الخلق وهو مجموعة الاستعدادات الفطرية التى تؤلف الهيكل النفسى للإنسان . وقد استخدم أبو حيان لفظة الطبيعة كمصطلح فلسفى فى نصوص كثيرة من كتاباته وكان هذا المعنى هو الأكثر ورودا عنده .

(٣) العلة ، العلل :

العِلّة : ما تتلهى به من شيء ، يقال فلان يُعلل نفسه بعلّة وتعلَّل به أى تلهى به والعُلالَة ما تعلَّلت به أى لهوت به والعِلّة : المرض ، عَلّ يعَلّ واعتل أى مَرِض فهو عليل . والعِلّة : الحَدَث يشغل صاحبه عن حاجته وهذا عِلّة لهذا أى سبب[١] والعلة فى اللغة : عبارة عن معنى يحل بالمحل فيتغير به حال المحل ومنه سمى المرض : وهى ما يتوقف عليه الشيء . وكل أمر يصدر عنه أمر آخر بالاستقلال أو بواسطة انضمام الغير إليه فهو علة لذلك الأمر ، والأمر معلول له فتعلل كل واحد منهما بالقياس إلى تعلل الآخر[٢] والعِلّة عند الأصولى ما يجب به الحكم . والعلّة عند غير الأصولى : ما يحتاج إليه سواء كان المحتاج الوجود أو العدم[٣] .

وفى اصطلاح أهل المنطق العِلّة : ما يتوقف عليه وجود الشيء ويكون خارجًا ومؤثرًا فيه . وعلّة الشيء ما يتوقف عليه ذلك الشيء وهى قسمان : الأول ما يتقوم به الماهية من أجزائها ، ويسمى علة الماهية . والثانى ما يتوقف عليه اتصاف

---

(١) اللسان جـ ٢ ص ٨٦٧ .

(٢ ، ٣) الكليات لأبى البقاء جـ ٣ ص ٢٢٠ ، ١٨٦ ، ٢٨٢ .

الماهية المتقومة بأجزائها بالوجود الخارجي ، ويسمى علة الوجود[1] .

ترد لفظة **العِلّة** فى أماكن كثيرة جدًّا من كتابات أبى حيان ففى نص من مقابساته يذكر علة الشيء فى حديث له مع أستاذه أبى سليمان : قال لى أبو سليمان : قد تجد علة فى شيء من الأشياء تكون ذاتية فلا ثمرة لها عندك إلا أن تعرف أنها كذلك فقط . وقد تجد علة أخرى ، لشيء آخر فلا تكون ذاتية له ، لأن أخرى تزاحمها[2] .

ويقول أبو حيان عن علة الشيء : إنما يدرك الشيء من جهة علته المحيطة به فإذا لم يكن للشيء علة فلا محالة أنه مدرك[3] . وفى نص لأبى حيان عن بعض الأوائل يقول فيه شارحا معنى علة الشيء : قال بعض الأوائل : الطبيعة مكان الأجرام ، والنفس مكان الطبيعة والعقل مكان النفس ، والبارى تعالى محيط بكل ذلك ، وهو بكل مكان ، لا يخلو منه شيء ، وهو العالم بكل شيء ، لأنه علة كل شيء[4] .

والعلة عند الأصوليين ما يجب به الحكم[5] ، وفى هذا المعنى يقول أبو حيان موردا لفظة العلة : وعند ظهور العلة يثبت الحكم ، وبانكشاف الغطاء ينقطع ولوع المستكشف[6] .

وترتبط لفظة العلة بلفظة المعلول وترد هاتان اللفظتان فى نصوص عديدة من كتابات أبى حيان فيقول أبو حيان ذاكرًا لفظة العلة مرتبطة بلفظة المعلول : ولا يتجرد لحظة العلة إلّا بشركة من المعلول ، وإذا علوت عن هذا قليلًا لم تجد ما ينبغى أن يعطى حد العلة ، ولا حد المعلول[7] ويقول موردًا لفظتى العلة

---

(١) التعريفات للجرجانى ص ١٦٠ .
(٢) المقابسات ص ٤٣٩ .
(٣) المقابسات ص ٢٧٨ .
(٤) المقابسات ص ٢٨٩ .
(٥) المعجم الفلسفى جـ ٢ ص ٩٥ .
(٦) الهوامل والشوامل ص ٣١٣ .
(٧) المقابسات ص ٣٠ ، ٤٤ .

والمعلول فأما ما عليه العلة فى وجودها عِلّة ، وما عليه المعلول فى وجوده معلول فأمر لا يتميز إلّا بالترتيب الذى يكون القول فيه[1] ، ويقول أيضا فى شرحه للفظة العلة وارتباطها بلفظة **المَعْلُول** : قال يحيى بن عدى : قول القائل : العلة قبل المعلول ، لا مدخل للزمان فيه . قال البديهى : من جهة لا مدخل للزمان بينهما ، وذلك أن الغرض فيهما أن هذا علة هذا[2] .

والعلة ترادف السبب إلّا أنها قد تغايره ، فيراد بالعلة المؤثر وبالسبب يفضى إلى الشىء فى الجملة أو ما يكون باعثا عليه[3] ومعظم فلاسفة الإسلام يفضلون استعمال لفظ العِلّة على لفظ السبب إلّا الغزالى وعلماء الكلام فإنهم يستعملون لفظ السبب للدلالة على العلة[4] .

ويتساءل أبو حيان عن معنى السبب ومعنى العِلّة فيقول فى الهوامل : وهات السبب فى ذلك والعلة ، وعلى ذكر السبب والعلة فما السبب والعلة ؟ ، وما الواصل بينهما إن كان واصل ؟ وهل ينوب أحدهما عن الآخر ؟ وإن كانت هناك نيابة أفهى فى كل مكان وزمان ؟ أو فى مكان دون مكان ، وزمان دون زمان[5] ؟

وفى المقابسات يقول أبو حيان موردًا لفظة العلة مرادفة للسبب : والتعجب هو طلب السبب والعلة للأمر الوارد[6] ، ويقول أبو حيان فى البصائر عن حد العلة : وعلاقتها بالسبب : وحد العلة : ما طلب الحكم من جهتها بالسبب ، فقد يكون علة له ويكون مضادا[7] .

---

(١) المقابسات ص ٤٣٨ .
(٢) المقابسات ص ١٠٣ .
(٣) الكليات لأبى البقاء جـ ٣ ص ٢٢١ .
(٤) معيار العلم الغزالى ص ٢٥٨ وانظر المعجم الفلسفى حـ ٢ ص ٩٦ .
(٥) الهوامل والشوامل ص ٢٥ .
(٦) المقابسات ص ٢٩٤ .
(٧) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢٨٤ .

وترد لفظة العلة عند أبي حيان مرادفة للسبب فى نصٍّ يقول فيه : إن تاريخ الشهور بالعربية إنما هو بالأهلة فأول الشهر الليلة التى يهل فيها ، ولهذه العلة عبر عن الأيام والليالى[١] .

ولفظة العلة يذكرها أبو حيان فى نصوص من كتاباته بالمعنى المادى أى المرض وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : إن العليل متى طالت علته ، واشتدت وعظمت تلكأ عنه أنس الناس به وهرب منه أحدب الناس عليه[٢]ويقول أبو حيان أيضا ذاكرًا لفظة العلة بمعنى المرض : يقصد بالطب استدامة الصحة مادامت الصحة موجودة ، وصرف العلة إذا كانت العلة عارضة[٣] .

ولفظة العلة لها أنواع يذكرها أبو حيان فى كتاباته عن **العلة الأولى** : يقال ما العلة الأولى ؟ الجواب : مبدع الكل ، متمم الكل ، غير متحرك ، يشتاقه كل شيء سواه ، ولا يشتاق إلى شيء سواه ، وأيضا هو وجود مطلق لكل وجود عقلىّ وحسىّ[٤] .

ويحدثنا أبو حيان عن أنواع العلل كما ذكرها أرسطو فيقول : وقال أرسطاطاليس : القلم **العلة الفاعلة** ، والمداد **العلة العنصرية** ، والخط **العلة الصورية** ، والبلاغة العلة التمامية[٥] .

وفى نص آخر لأبى حيان يذكر أنواع العلل مثل العلة الفاعلة ، والعلة الطينية والعلة الصورية ، والعلة التمامية ، فيقول فى نصه : يقال إن العلة الفاعلة للجواهر المعدنية هى الطبيعة ، **والعلة الطينية** الزئبق والكبريت ، والعلة الصورية دوران الأفلاك وحركات الكواكب حول الأركان الأربعة التى هى النار والهواء والماء والأرض ، **والعلة التمامية** المنافع التى ينالها الإنسان والحيوان[٦] .

---

(١) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢٥٩ .
(٢) المقابسات ص ٢٢٢ .
(٣) المقابسات ص ٥٨ .
(٤) المقاسات ص ٣٧٣ .
(٥) رسالة فى علم الكتابة ص ٤١ .
(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١١١ ، ١١٢ .

ولفظة عِلَل جمعا لعلة ترد فى نصوص كثيرة من كتابات أبى حيان فيقول فى أحد نصوصه موردًا لفظة عِلَل : قلت : لعيسى بن زرعة أبى على : أريد أن أعلم أن الأشياء التى نجدها بالحس والعقل كلها تبعث العلل ، والعلل تبعث الأشياء ؟ وكأن الأشياء على هذا تابعة لعلل ، والتتبع لمقالتك يقضى أن العلل تابعة للأشياء وليس الأشياء تابعة للعلل ، فعلى هذا عللك التى شرحتها ، وحكمك التى استخرجتها ، تابعة لا موجبة[1] ، وتوضيحًا للنص السابق عن العلل والأشياء وأيهما التابع للآخر يقول أبو حيانْ على لسان ابن زرعة : إن الأشياء التى من شأنها أن تكون معلولة هى تابعة لا محالة لعللها ، وإن اختلفت سبلها فى اتباعها كما اختلفت أحوالها فى كونها وفسادها ، فقد قضى العقل أن مرتبة التابع دون مرتبة المتبوع والعلل ، بنظر ما ، على ضربين : علل موضوعة ، وعلل مصنوعة . فالأشياء تابعة لعللها ، ما دامت عللا لها ، والعلة مستتبعة للأشياء ، ما دامت تابعة لها ، فالاتصال بين العلل والمعلول اتصال إلهى ، لا فصل معه ولا بينونة فيه[2]وصيغة الجمع هذه لم ترد فى اللسان عند تناوله للمادة (ع ل ل) .

ومن المادة (ع ل ل) ذكر أبو حيان فى كتاباته الفعل علّل ، يُعَلّل ، وتعلّل ، وذكر أيضا من هذه المادة مجموعة من الاشتقاقات مثل معلول ، ومعلولة ، ومعلل ، وتعليل ، وعلالة ، وعلات ، وتعالل . وسأكتفى بذكر مثال أو مثالين لكل لفظة من هذه الألفاظ . أما معانى هذه الألفاظ فلم أجد لها ذكرًا فى اللسان وفى المعاجم الأخرى .

الفعل (**علّل**) يذكره أبو حيان فى كتاباته فيقول : هو الذى علل الفانى بالفانى وأزعج هذه المعانى [3]ويذكر الفعل يُعَلّل فيقول : يحببها ويؤنسها ، وينفى

---

(١) المقابسات ص ٤٣٦ ، ص ٤٣٧ (٢) المقابسات ص ٤٣٨ .

(٣) الإشارات الإلهية ص ٢٣٣ .

وحشتها ويعللها لتستكمل بذلك شوقها إلى الأول الحق الذى هو أول بالإطلاق[١] ، ويذكر الفعل يتعللون فيقول : فطوى الله تعالى عن الخلق حقائق الغيب ، ونشر لها نبذا فيه ، وشيئا يسيرا ، يتعللون به[٢] ، والفعل تعلل يذكره أبو حيان فى حديثه عن أحدهم فيقول : وتعلل بقية نهاره فى قضاء وطره من صيده[٣] ومعنى علل وتعلل كما يقول صاحب اللسان : تعلل أى تشاغل[٤] وتعلل به أى تلهى به وتجزأ[٥] .

ولفظة **تعالل** يقول أبو حيان موردا هذه اللفظة : وكتب آخر فى بعض العتاب : قد طالت علتك أو تعاللك ، واشتد شوقنا إليك[٦] ، يقول صاحب اللسان تَعالّل : من تعالّلت نفسى تلومتها أى استزدتها ، وتعالّلت الناقة إذا استخرجت ما عندها من السير[٧] ، لم ترد لفظة تعالُل فى اللسان ويفهم من النص الذى أورده أبو حيان أن التعالل هو ادعاء المرض أو ادعاء العلة . ولفظة معلل يقول أبو حيان ذاكرا هذه اللفظة : والأنف راغم ، والهوى مسئول ، والظاهر معلل والباطن مخبل[٨] ، ومعنى المعلل من يسقى مرة بعد مرة وأيضا من يجنى الثمر مرة بعد مرة[٩] .

ولفظة تعليل وردت فى نص لأبى حيان يقول فيه : وكدح الكادح ، لأنه معلل التأميل ، ومؤمل بالتعليل ، والغاية مقصودة ، ولكن بالجهد ، وكذلك قعد القاعد واستسلم المستسلم ، وأمسك الممسك لأنه معلل بالتأميل ومؤمل بالتعليل ، وهو شريك صاحبه فى آخر الحساب ، وأن يأتيه فى أول العمل[١٠] ، ثم لفظة أخرى من اشتقاقات المادة علل وهى لفظة « علالة » ، يقول أبو حيان

---

(١) المقابسات ص ١٨٩ .

(٢) المقابسات ص ٦٩ .

(٣) المقابسات ص ٧٤ .

(٤) اللسان جـ ٢ ص ٨٦٧ .

(٥) تاج العروس جـ ٨ ص ٣٢ .

(٦) الصداقة والصديق ص ٣٧٠ .

(٧) اللسان جـ ٢ ص ٨٦٨ .

(٨) الإشارات الإلهية ص ٢١٢ .

(٩) تاج العروس جـ ٢ ص ٣٢ .

(١٠) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣٣٥ .

ذاكرا هذه اللفظة : ما أعرف فى العدالة إلّا فوت الطلبة والعلالة[1] ، وقال أيضا : ولم ينفع بالطب أحدا ، لهجر الناس الطب هجرا ، بل جعله علالة مرة مع إحصاء أيام العافية وسببا للعافية مرة مع التنبيه على موقع النغمة ولذ ع[2] والعلالة معناها ما يتعلل به وفيه بقية من علالة أي بقية من قوة[3] .

أما لفظة علات فيقول أبو حيان موردا هذه اللفظة بمعنى العيوب : اللهم أن تقبلنا على علاتنا وأن تسد منا خلاتنا[4] ، ويقول أيضا : وعلى علاتى التى وصفتها وخلاتى التى رصفتها ، فإنى أتبدر إليك من جملة ما عناك[5] . وقولهم على علاته بالكسر أى على كل حال[6] .

مما تقدم يتضح أن لفظة العلة جاءت فى كتابات أبى حيان بمعان متعددة منها المعنى اللغوى ، والمعنى المادى ، ومنها المعنى الاصطلاحى الخاص بالفلسفة وهذا المعنى هو الأكثر ورودا عند أبى حيان . ومع لفظة العلة ذكر أبو حيان لفظة العلل جمعا لها وقد جاءت بالمعنى الفلسفى أيضا وهناك مجموعة من الاشتقاقات والأفعال أوردها أبو حيان فى كتاباته من المادة (ع ل ل) مثل معلول ، ومعلولة ، وتعالل ، ومعلل ، وتعليل ، وعلالة ، وعلات والأفعال علل ، يعلل ، يتعلل ، وجميعها جاءت عند أبى حيان بالمعنى الفلسفى وقد استخدمها فى كتاباته كمصطلحات فلسفية ودلت نصوصه على ذلك .

وفى مجال التغيير الدلالى نلاحظ أن لفظة علة والجمع علل ومجموعة الاشتقاقات التى ذكرناها ، هى ألفاظ حضارية استخدمت قديمًا بالمعنى العام وفى العصر العباسى تخصصت دلالات هذه الألفاظ فاستخدمت كمصطلحات فلسفية وكثر استخدامها بهذا المفهوم الفلسفى فى عصر أبى حيان .

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٨٠ .
(٢) المقابسات ص ١٧٨ .
(٣) اللسان جـ ٢ ص ٨٦٨ .
(٤) الإشارات الإلهية ص ٢٢١ .
(٥) الإشارات الإلهية ص ١٨ .
(٦) تاج العروس جـ ٨ ص ٣٣ .

ومن الملاحظ أن هذه الألفاظ جميعها جاءت فى اللسان بالمعنى اللغوى العام ولم ترد بالمعنى الاصطلاحى الذى استخدمه أبو حيّان .

(٤) المبدأ ، الأصل ، المنشأ :

المبدأ اسم ظرف من البَدْء . وكما جاء فى اللسان البدء فِعْل الشيء أوّل[١] ومبدأ الشيء أوله ، ومادته التى يتكون منها[٢] ويطلق على السبب ماديًا كان ، أو صوريًا أو غائيًا وللفظة المبدأ معانٍ كثيرة عند الفلاسفة ، فالحكماء يطلقون لفظة المبدأ على السبب ويسمون السبب مبدأ أيضا . ويطلق المبدأ عند الصوفية على الأسماء الكلية الكونية[٣] .

ويعرف الغزالى المبدأ قائلا : المبدأ اسم لما يكون قد استتم وجوده فى نفسه إما عن ذاته وإما عن غيره ، ثم يحصل منه وجود شيء آخر ، يتقوم به ، ويسمى هذا علة بالإضافة إلى ما هو مبدأ له[٤] .

وترد لفظة المبدأ عند أبى حيان بمعنى المنشأ والأساس والمادة والسبب وهذا ما نجده فى نصوص متعددة من كتاباته المتنوعة ، ففى الإمتاع يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة **المبدأ** بمعنى المثل الأعلى والمقدمة : قال أبو العباس : الناس فى العلم على ثلاث درجات ، فواحد يلهم فيعلم فيصير مَبْدأ ، والآخر يتعلم ولا يلهم فهو يؤدى ما قد حفظ ، والآخر يجمع له بين أن يلهم وأن يتعلم[٥] ، ويقول أبو حيان موردا لفظة المبدأ بمعنى الأصل والمنشأ : وأما قولك : الإنشاء صناعة مجهولة المبدأ ، والحساب معروف المبدأ ، فقد خرقت لأن مبدأها من العقل ومَمرها على اللفظ ، وقرارها فى الخط[٦] .

---

(١) اللسان جـ ١ ص ١٧٠ .

(٢) المعجم الفلسفى جـ ١ ص ٣٢ .

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون جـ ١ ص١٥١ .

(٤) معيار العلم للغزالى ص ٣٣٠ .

(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٤٣ .

(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٠١ .

وترد لفظة مبدأ عند أبى حيان بمعنى المعيار الأخلاقى أى المثل الأعلى فيقول : كل متعقب أمر اقد بدأ به غيره فإنه بتعقيبه يقضى إلى حد ما بدأ به فى تعقيبه ، ويصير ذلك مبدأ له ثم تنقطع المشاكلة بين المبتدأ وبين المتعقب[1] ، وترد لفظة مبدأ بمعنى المنشأ والأساس فيقول أبو حيان فى هذا المجال متسائلا : ما مبدأ العادات المختلفة من هذه الأمم المتباعدة ، فإن العادة مشتقة من عاد يعود ، واعتاد يعتاد ، فكيف فزع الناس إلى أوائلها وجروا عليها ؟[2] .

ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة المبدأ بالمفهوم الفلسفى : حتى تميزت الأشياء بالجنس والنوع والخاصة والعرض والفصل ، وما هو الوضع وما هو الطبع ، وما له مبدأ ، وما خلا من المبدأ ، وما علته فيه وما علته سواه[3] ويقول أيضا : والطبيعة نفس فى الأصل ، والنفس عقل فى الأول ، والعقل هو المبدأ . وكل هذا واحد إذا لحظت القوة الغامضة[4] ويقول أيضا فى هذا المعنى ذاكرًا لفظة المبدأ : الموجود له حقيقة واحدة لا تدرك إلّا عقلًا ، وليس له مبدأ ، ولو كان له مبدأ لشاركه المبدأ فى طبيعة الوجود[5] .

والمبادىء جمع مبدأ وهى التى يتوقف عليها مسائل العلم كتحرير المباحث وتقرير المذاهب ولا تحتاج إلى البرهان بخلاف المسائل فإنها تثبت بالبرهان[6] .

وترد لفظة الجمع مبادىء فى كتابات أبى حيان بمعانٍ متعددة . ففى معنى أوائل الأشياء ومقدماتها يقول أبو حيان : ومتى صدق نظرك فى مبادىء الأحوال وأوائل الأمور وضح لك هذا كله كالنهار إذا متع واستنار كالقمر إذا طلع[7] ، ويقول أبو حيان بهذا المعنى أيضا : ومثال ما يقدم بالزمان الذهب والياقوت

---

(١) المقابسات ص ١٠٢ .
(٢) الهوامل والشوامل ص ١٢١ .
(٣) المقابسات ص ٣٨١ .
(٤) المقابسات ص ٤٦٠ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٨٨ .
(٦) التعريفات للجرجانى ص ٢٠٧ .
(٧) الإمتاع المؤانسة جـ ١ ص ٧٦ .

وما شبهها من الجواهر التى بعد العهد بمبادئها ، وسيمتد العهد جدا إلى نهاياتها[١] ويقول أبو حيان عن المبادئ بمعنى القواعد والمعايير التى تبنى عليها القيم : قال شيخنا أبو سليمان : الكلام ينبعث فى أول مبادئه إما من عفو البديهة ، وإما من كَدِّ الروية[٢] ، ويقول أيضا : إن مبادئ كل صناعة مأخوذة من ناس آخرين قوامين بها عالمين[٣] . ومن الملاحظ أن لفظة مبدأ والجمع مبادئ لم ترد فى اللسان عند تناوله للمادة (ب د ء) .

ولفظة **أصل** والجمع **أصول** ترد عند أبى حيان فى أماكن متعددة من كتاباته وجاء فى اللسان الأصل : أسفل كل شيء وجمعه أُصول لا يُكسر على غير ذلك . والأصل الحسب[٤] والأصل ما يتبنى عليه غيره[٥] ويطلق على الراجح بالنسبة إلى المرجوح وعلى القانون والقاعدة المناسبة المنطبقة على الجزئيات وعلى الدليل بالنسبة إلى المدلول[٦] يقول أبو حيان ذاكرا لفظة الأصل ، وكل متفرد بمزاج وشكل وطباع وخلق ، ونظر وفكر ، وأصل وعرق[٧] .

ويقول أبو حيان فى مقابساته موردا لفظة أصل بالمعنى الفلسفى : فمن استدل ترقى من الجزئيات ومن ادعى الاضطرار ، انحدر من الكليات ، وكلا الطريقين قد وضحا بهذا الاعتبار ، وكفيا مؤنة الخبط والإكثار . وهكذا كل شيء طلب أصله وفصله بالبحث المنطقى[٨] وترد لفظة الأصل مرادفة للفظة المبدأ الأول، والأصل والعلة، مفتقر إليه بالطبع والضرورة[٩] وترد لفظة الجمع أُصول فى نصوص كثيرة من كتابات أبى حيان ففى المقابسات يقول أبو حيان: كان فى نصاب الحكمة

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٣٤ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٣٢ .
(٣) المقابسات ص ١٢٦ .
(٤) اللسان جـ ١ ص ٦٨ .
(٥) التعريفات ص ٢٨ .
(٦) الكليات لأبى البقاء جـ ١ ص ١٨٨ .
(٧) المقابسات ص ٨٩ .
(٨) المقابسات ص ١٧٦ .
(٩) المقابسات ص ١٨٨ .

ثابتًا ، وعلى مدارجها جاريًا وإلى أصولها وفروعها نازعًا[1] ، ويقول أبو حيان : ذاكرًا لفظة أُصول : سمعت شيخنا أبا سليمان يقول : معارف الناس ، بالقول المجمل على التقريب ، تنقسم أصولها إلى الظن والوهم والحس والعقل ، والعلم والحدس[2] وترد لفظة أصول مرادفة للفظة مبادىء وذلك فى قول أبى حيان : إن القوم قد أحدثوا لأنفسهم أصولا ، وجعلوا ما يدعونه محمولا عليها أو مسلولا من عرضها[3] . لفظة الأصل والجمع أصول وردت عند أبى حيان بالمعنى اللغوى العام وبالمعنى الاصطلاحى الخاص بالفلسفة وهذا المعنى هو الأكثر ورودًا عند أبى حيان . ومن الملاحظ أن المعنى الاصطلاحى الفلسفى لم يذكره صاحب اللسان عند تعريفه للفظة الأصل وجمعها الأصول . ولفظة مَنْشأ ترد فى كتابات أبى حيان مرادفة للفظة الأصل والمنشأ من نشأ :أنشاءه الله خَلَقه . ونَشَأ يَنْشأ نشأً و نشوأً ونشاءً ونشأة :حَيِى وأنشأ الله الخلق أى ابتدأ خلقهم . وأنشأ يفعل كذا ويقول كذا : ابتدأ وأقبل . وكل من ابتدأ شيئا فهو أنشأ ، ويقال المنشئات : المبتدئات[4] .

ولفظة مَنْشأ ترد عند أبى حيان مرادفة للفظة مبدأ وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : مبدأ وصال الأحسن هجران الأقبح ، ومنشأ الرأى الأقوم هجران الأرذل[5] .

وترد لفظة منشأ فى نصوصٍ متعددة من كتابات أبى حيان ففى أحد هذه النصوص ، يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة المنشأ بمعنى العادة : لكل إنسان رأى واختيار وعادة ومنشأ مألوف[6] . ويقول ذاكرًا لفظة المنشأ بمعنى السجيّة

---

(١) المقابسات ص ٣١٢ .
(٢) المقابسات ص ١٣٣ .
(٣) المقابسات ص ٢٠٥ .
(٤) اللسان حـ ٣ ص ٦٣٢ .
(٥) المقابسات ص ٣٤١ .
(٦) الإمتاع والمؤانسة حـ ١ ص ١٠٤ .

والأصل : أن اللغة قد عرفتها بالمنشأ والوراثة[1] ، ويقول فى الإمتاع أيضا موردًا لفظة المنشأ بالمعنى الخلقى : إن من يتكلم بالإعراب والصحة ولا يلحق ولا يخطىء ويجرى على السليقة الحميدة والضريبة السليمة ، قليل أو عزيز ، وإن الحاجة شديدة لمن عدم هذه السجية وهذا المنشأ إلى أن يتعلم النحو ويقف على أحكامه[2] ويقول أبو حيان فى الإشارات الإلهية ذاكرًا لفظة منشأ بمعنى الأصل : ولا تجعل منشأك الفاسد حاكمًا[3] ، لفظ المنشأ لم أجده فى المعاجم العربية وأغفل صاحب اللسان ذكره عند تناوله للمادة (ن ش أ) .

ومما تقدم يتضح أن لفظة منشأ جاءت عند أبى حيان بالمعنى اللغوى وبالمعنى الاصطلاحى الفلسفى وهذه اللفظة لم ترد فى اللسان فهى اشتقاق جديد أورده أبو حيان فى كتاباته من المادة (ن ش أ) .

ويتبين لنا من نصوص أبى حيان المتضمنة للألفاظ مبدأ ، وأصل ، ومنشأ أن هذه الألفاظ جاءت فى نصوص كثيرة من كتابات أبى حيان مترادفة وكذلك لفظة الجمع مبادىء جاءت مرادفة للفظة الجمع أُصول . وقد ذكر أبو حيان هذه المجموعة من الألفاظ بالمعنى اللغوى وبالمعنى الفلسفى وكان هذا المعنى هو الأكثر ورودًا عند أبى حيان ، وباستخدام هذه الألفاظ كمصطلحات فلسفية تخصصت دلالاتها بعد أن كانت عامة . وقد وضح تخصيص الدلالة لهذه الألفاظ منذ العصر العباسى الأول ثم توالت عليها السنون وجاء عصر أبى حيان فأصبحت أكثر تخصصًا عما كانت عليه سابقا .

(٥) الجنس ، النوع ، الصنف :

الجِنْس فى اللغة : الضَّرْب من كل شيء وهو من الناس ومن الطير ومن حدود

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١١٦ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٠٦ .
(٣) الإشارات الإلهية ص ٣٤٢ .

النحو والعَروض والأشياء جملة ، والجمع أجناس ، وهو أعم من النوع[1] والجنس عند المنطقيين كما يعرفه ابن سينا فى كتاب النجاة : هو المقول على كثيرين مختلفين بالأنواع فى جواب ما هو ، بالصور والحقائق الذاتية[2] والجنس عند الفقهاء والأصوليين عبارة عن كلى مقول على كثيرين مختلفين بالحقيقة ، فالكلى جنس وهذا يخرج النوع والخاصة والفصل القريب[3] والجنس عند أهل العربية يراد به الماهية ، وفى اصطلاح أهل النحو ما دل على شيء وعلى كل ما أشبهه[4] ولفظة **الجنس** ترد كثيرًا جدًّا فى نصوص أبى حيان ففى نصٍّ له من كتاب المقابسات يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الجنس بالمفهوم الفلسفى : ألا ترى أن الإنسان إذا قدم فكره فى حاله الخالية فى الأيام الماضية قبل أن حوى حده ، وملك صورته ، واقتنى خاصته ونوعه وفصله وجِنْسه وعرضه ، علم أنه كان على حال أخرى[5] ، ويقول فى المقابسات أيضا ذاكرًا الجنس والنوع : تميزت الأشياء بالجنس والنوع والخاصة والعرض والفصل ، وما هو الوضع وما هو الطبع[6] ، ويقول أبو حيان فى إحدى مقابساته ذاكرًا النوع والجنس بالمعنى الفلسفى : وغيرها أن الوحدة التى فى العقل تصور كل شيء بصورته التى لا كثرة فيها ، ولا اختلاف ولا تعاند ، ولا محادة . حتى إذا غلبت الكثرة ، وغمر التضاعف ، وانقسمت الأشياء إلى الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض ، جاء الاختلاف والتعاند إما ظاهرين وإما خفيين[7] .

وفى نص من كتاب الإمتاع والمؤانسة يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الجنس ومبينا مرتبته الراقية بالنسبة للأشياء الأخرى : فليس من شخص وإن كان زريا قميئا إلا وفيه

---

(١) اللسان جـ ١ ص ٥١٤ .
(٢) النجاة لابن سينا ص ٩ .
(٣) التعريفات للجرجانى ص ٨٢ .
(٤) كشاف اصطلاحات الفنون جـ ١ ص ٣١٧ .
(٥) المقابسات ص ١٥٢ .
(٦) المقابسات ص ٣٨١ .
(٧) المقابسات ص ٤٤٩ .

سر كامن لا يشركه فيه أحد وإذا كان هذا فى شخص على ما قلنا ، فكيف إذا نظرت إلى ما يحويه النوع . وهكذا إذا ارتقيت إلى الجنس ، وهذا لأن عرض الجنس أوسع من عرض النوع ، كما أن عرض النوع أوسع من عرض الشخص ، وليس دون الشخص تحت ، كما أنه ليس فوق الجنس فوق ، وعلى هذا لولا الجنس لم يوجد النوع[١].ويذكر أبو حيان لفظة جنس بمعنى الأصل فيقول : وتحصن من نفسك فى نفسك وتبرأ من حبسك فى بنى جنسك[٢] .

ولفظة الجمع **أجناس** يذكرها أبو حيان فيقول : قيل لأبى سعيد هل فى البسائط الإلهية أجناس وأنواع وأشخاص ؟ فقال : لا ، إلّا أن يتخذ شيء من هناك قراره فى معارض العالم السفلىّ بقوة العالم العلوىّ[٣] ويقول أيضا ذاكرًا لفظة أجناس بمعناها عند أهل النحو : سمعت أرباب النحو يقولون : الفعل خمسة أجناس[٤]وترد لفظة أجناس فى حديث لأبى حيان عن اللغة العربية يقول فيه : هذه خاصة ما حازتها لغة على ما قرع آذاننا ، وصحب أذهاننا ، من كلام أجناس الناس ، وعلى ما ترجم لنا أيضا من ذلك[٥] ، وترد لفظة أجناس مع لفظة أنواع فى نص لأبى حيان يعقب فيه على قول أرسطو فى كتاب السماء والعالم فيقول : الفلك المستقيم والفلك المائل هما بنوع الوحدة ونسبة الاتفاق ، فليس لأحدهما اختصاص بالأنواع والأجناس[٦] . **والنَّوع** كما جاء فى اللسان هو أخص من الجنس ، وهو كل ضرب من شيء وكل صنف من الثياب والثمار وغير ذلك حتى الكلام . وله تحديد منطقى . والجمع أنواع ، قلّ أو كثر . وهو أيضا الضرب من الشيء[٧] .

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٢١٣ .
(٢) الإشارات الإلهية ص ٢٥٣ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٢١٣ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢٨٩ .
(٥) المقابسات ص ٣٢٨ .
(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٨٧ .
(٧) اللسان جـ ٣ ص ٧٤٤ .

والنوع فى اصطلاح المناطقة كما يعرفه ابن سينا فى كتابه النجاة : هو الكلىّ الذاتىّ الذى يقال على كثيرين فى جواب ما هو ويقال أيضا عليه وعلى غيره آخر فى جواب ما هو بالشركة ، وقد يكون الشيء جنسًا لأنواع ونوعًا لجنس مثل الحيوان للجسم ذى النفس فإنه نوعه وللإنسان والفرس فإنه جنسهما لكنه ينتهى الارتقاء إلى جنس لا جنس فوقه ويسمى جنس الأجناس ، وينتهى الانحطاط إلى نوع لا نوع تحته ويسمى نوع الأنواع ، ويرسم بأنه المقول على كثيرين مختلفين بالعدد فى جواب ما هو[1] ، وفى مفاتيح العلوم يقول الخوارزمى : وكل نوع هو بين نوع الأنواع وجنس الأجناس قد يكون نوعًا بالإضافة إلى ما هو أعم منه وجنسًا بالإضافة إلى ما هو أخص منه كالحى والجسم[2] .

لفظة النّوع وردت كثيرًا فى نصوص أبى حيان ملازمة للفظة الجنس وقد مر ذكر ذلك عند تناولنا للفظة الجنس ولا يمنع هنا من ذكر بعض الأمثلة على معنى النوع فى علم الحياة وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : الجنس أقدم من النوع ، وأعنى بالجنس والنوع الطبيعيين لا المنطقيين[3] ويقول أيضا : إنكم معمومون بصورة الإنسان من ناحية النوع ، كما أنكم معمومون بصورة الحيوان من ناحية الجنس[4] وبهذا المعنى الخاص بالحياة يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة النوع : ولعله يقال : هذا الحيوان أحيا من هذا الحيوان ، أى أطول مدة فى الحياة ، فأما فى نفس الحياة فهى فى الجنس والنوع واحد[5] .

وفى كتاب الفروق فى اللغة يشرح أبو هلال العسكرى الفرق بين الجنس والنوع فيقول : إن الجنس على قول بعض المتكلمين أعم من النوع ، قال لأن

---

(١) النجاة لابن سينا ص ٩ .

(٢) مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٨٥ ، وانظر معيار العلم ص ١٠٠ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٨٦ .

(٤) الصداقة والصديق ص ٦٧ .

(٥) رسالة الحياة ص ٥٦ .

الجنس هو الجملة المتفقة سواء كان مما يعقل أو من غير ما يعقل قال والنوع الجملة المتفقة من جنس مالا يعقل قال ألا ترى أنه يقال الفاكهة نوع كما يقال جنس ولا يقال للإنسان نوع ، وقال غير النوع ما يقع تحته أجناس بخلاف ما يقوله الفلاسفة إن الجنس أعم من النوع ، وذلك أن العرب لا تفرق الأشياء كلها فتسميها بذلك ، وأصحابنا يقولون السواد جنس واللون نوع ويستعملون الجنس في نفس الذات فيقولون التأليف جنس واحد وهذا الشيء جنس الفعل والحركة ليست بجنس الفعل يريدون أنها كون على وجه ، ويقولون الكون جنس الفعل وإن كان متضادًا لما كان لا يوجد إلا وهو كون ولا يقولون في العلم ذلك لأنه قد يوجد وهو غير علم[1] .

ولفظة الجمع أنواع يذكرها أبو حيان فى نصوصه فيقول : الجنس لا يرتفع بارتفاع واحد من أنواعه ، والأنواع ترتفع بإرتفاع الجنس[2] ويقول أبو حيان ذاكراً لفظة الأنواع فى حديثه عن الجوهر : ومنه أول وهو الشخص ومنه ثان وهو الأجناس والأنواع[3] .

ولفظة **صِنْف** والجمع **أصناف** ترد عند أبي حيان فى أماكن متعددة من كتاباته وجاء فى اللسان الصِّنْف والصَّنف : النَّوع والضَّرب من الشيء . والجمع أصناف وصُنُوف . والصِّنف طائفة من كل شيء ، وكل ضرب من الأشياء صِنْف على حدة[4] وفى كشاف التهانوى يشرح معنى الصنف فيقول : الصِّنْف (بالفتح والكسر وسكون النون) عند المنطقيين هو النوع المقيد بقيد كلّى عرضىّ كالتركى والهندى كما فى شرح كتب المنطق . وإن الجزئيات المندرجة تحت الكلى إما أن يكون تباينها بالذاتيات أو بالعرضيات أو بهما ، والأول يسمى أنواعا والثانى

---

(١) الفروق فى اللغة للعسكرى ص ١٥٧ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة حـ ٢ ص ٨٦ .
(٣) المقابسات ص ٣٢٤ .
(٤) اللسان حـ ٢ ص ٤٨٣ .

أصنافًا والثالث أقسامًا فعلى هذا ، الصنف كلى مقول على كثيرين متفقين بالحقائق دون العرضيات ، والمال واحد[1] .

وترد لفظة صنف والجمع أصناف فى نصوص كثيرة من كتابات أبى حيان ، يقول أبو حيان فى مقابساته : هو نمط ما سمعته من صنف من أصناف الناس[2] ويقول أيضا : إذا كان صنف من أصناف الموجود فى حكم المعدوم لخساسته ونقصه وتهافته ، وبإزائه صنف آخر من المعدوم فى حكم الموجود لصحة صورته ، ونفاسة جوهره[3] ، وفى مجلس من مجالس الإمتاع يورد أبو حيان لفظة صنف مع لفظة الجمع أصناف فيقول : الناس أصناف فى عقولهم : فصنف عقولهم مغمورة بشهواتهم ، وصنف عقولهم منتبهة لكنها مخلوطة بسبات الجهل ، وصنف عقولهم ذكية ملتهبة ، وصنف عقولهم مضيئة بما فاء عملها من عند الله تعالى باللطف الخفى ، وكل صنف من هؤلاء مراتبهم مختلفة وإن كان الوصف قد جمعهم باللفظ . وإنَّا بعد هذا المجلس تركنا صنفًا لم نرسمه بالذكر ، وهم الهمج والرعاع[4] .

وفى هذا المجال أذكر نصًّا لأبى حيان يعدد فيه أصناف الحياة وترد لفظة الصِّنْف فى نصه هذا مرات متعددة ، يقول أبو حيان فى نصه : أصناف الحياة عشرة ، فالصنف الأول يقال له حياة الحس والحركة ، والصنف الثانى يقال له : حياة العلم والبصيرة . والصنف الثالث يقال له : حياة العمل والكدح . والصنف الرابع يقال له : حياة الخلق والسجية ، والصنف الخامس يقال له : حياة التدين والسكينة ، والصنف السادس : يقال له : حياة الكمال الأول ، والصنف السابع يقال له : حياة الظن والتوهم والصنف الثامن يقال له : حياة الكمال الثانى وهى

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون جـ ٤ ص ٢٤٢ . (٢) المقابسات ص ١٤٩ .
(٣) المقابسات ص ١٩٠ . (٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٢٠٥ .

حب العاقبة ، والصنفان الآخران أحدهما حياة الملائكة والاخر يقال له : إن الله عز وجل حى[1] .

والفرق بين الصِّنْف والجنس يوضحه أبو هلال العسكرى فى كتابه الفروق فيقول: الفرق بين الجنس والصنف أن الصنف مايتميز من الأجناس بصفة يقولون السودات الموجودة صنف على حيالها وذلك لاشتراكها فى الوجود كأنها ماصنف من الجنس فلايقال للمعدوم صنف لأن التصنيف ضرب من التأليف فلا يجرى التأليف على المعدوم ويجرى على الموجودات حقيقة وعلى بعضها مجازًا[2] .

وقبل أن أختم الحديث عن لفظة الصنف والأصناف جمعًا لهما أذكر ما ورد عند أبى حيان جمعًا لصنف أيضا وهى لفظة « صُنُوف ». يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة صُنُوف: أما ترى فنون الإشارة إلى غايات الحقيقة، بصنوف العبارة عن الأركان الوثيقة[3] ، ويقول فى نص آخر: وتناغى أسرار قلوبنا بصنوف اللغات[4] ، ويقول فى الإشارات الإلهية أيضا: لقد تناجت الأرواح بصنوف الارتياح[5] ، ونكتفى بهذا القدر من النصوص .

مما تقدم يتضح أن الألفاظ جنس والجمع أجناس ، ونوع والجمع أنواع وصنف والجمع أصناف جاءت فى كتابات أبى حيان مترادفة وظاهرة الترادف كانت واضحة بين الألفاظ جنس وأجناس ونوع وأنواع وأحيانا جاءت متلازمة عند أبى حيان ومترادفة .

وفى مجال التغيير الدلالى نلاحظ أن هذه المجموعة من الألفاظ هى ألفاظ عامة فى دلالاتها ، ومع مرور العصور الإسلامية وبالذات فى العصر العباسى عندما دونت

---

(١) رسالة الحياة ص ٥٤ ، ص ٥٥ .
(٢) الفروق فى اللغة أبو هلال العسكرى ص ١٥٧ .
(٣) الإشارات الإلهية ص ١٧٧ .
(٤) الإشارات الإلهية ص ٢٨٩ .
(٥) الإشارات الإلهية ص ٣٦٦ .

العلوم تخصصت دلالة هذه الألفاظ ، نتيجة للتقدم الحضارى وحركة الترجمة من اليونانية وأصبحت هذه الألفاظ أكثر تخصصًا فى عصر أبى حيان عندما استخدمت كمصطلحات فلسفية .

(٦) الجزء ، الكل :

الجُزْء بالضم والسكون فى اللغة : البعض والقطعة ، والجمع أجزاء ، والجُزْء فى كلام العرب : النصيب[١] والجزء فى اصطلاح العلماء : ما يتركب الشيء عنه وعن غيره . والجزء الذى لا يتجزأ المسمى جوهر ذو وضع لا يقبل الانقسام أصلًا لا بحسب الخارج ولا بحسب الوهم أو الفرض العقلى بتآلف الأجسام من أفراده بانضمام بعضها إلى بعض[٢] .

وترد لفظة جُزْء فى نصوص عديدة من كتابات أبى حيان وخاصة كتاب المقابسات فيقول : فلما قضينا للحرارة بشرف الفعال ، ورأينا الفعال أشرف أفعال الطبيعة ، شهدنا أن روح الحياة جُزء من الحرارة[٣] ، ويقول أبو حيان أيضًا فى مقابساته ذاكرًا لفظة جزء : النقطة هى شيء ما لا جزء له[٤] ، ويقول أبو حيان فى مقابساته ذاكرًا لفظة الجُزْء بمعنى القسم وذلك فى نص يصف فيه الإنسان : فلما كان الإنسان متقوما من جزء ناطق وجزء حى وجزء ميت . حتى إذا قوى الجزء الناطق الإلهى واقتنى خصائصه ، حينئذ أهمل الجزئين[٥] .

وترد لفظة جزء فى نصٍّ من كتاب البصائر والذخائر بمعنى الجوهر أو الجزء الذى لا يتجزأ وفى هذا يقول أبو حيان : قلت يومًا لابن الخليل : حتى تألف عادة الصالحين ، وتأخذ بهدى المسلمين ، وتحسم طبعك عن معرفة أسرار رب

---

(١) اللسان جـ ١ ص ٤٥٠ .

(٢) التعريفات للجرجانى ص ٧٨ .

(٣) المقابسات ص ٤١٢ .

(٤) المقابسات ص ٤١٢ .

(٥) المقابسات ص ٤٧٧ .

العالمين وحتى تترك الخوض فى الجُزْء والطفرة والجوهر والعرض والكُمُون ، وما مراد الله فى كذا وعلته فى كذا[1] وترد لفظة جزء عند أبى حيان بمعنى قسم من كتاب أو أى مؤلَّف علمى وبهذا المعنى يقول أبو حيان فى وصفه لكتابه البصائر والذخائر : وقد مر فى آخر الجزء الثانى فصل فى هذا الباب وسيمر أيضا نوع من الكلام فيه إذا صرنا إلى الجزء الذى نفرده للعارفين وأصحاب الصوف[2] ، ويقول أيضا بهذا المعنى : هذا الجزء – أبقاك الله – الجزء الرابع من كتاب البصائر والذخائر[3] والأجزاء جمع جزء ، وعند المعتزلة المتكلمين كما يقول الخُوارزمى : أن الأجسام مؤلفة من أجزاء لا تتجزأ وهى الجواهر عندهم[4] .

ولفظة الجمع أجزاء ترد عند أبى حيان فى نصوص من مجالس الإمتاع يقول فيها : وقد بان بالاعتبار الصحيح أنه عز وجل لما كان محجبا عن الأبصار ظهرت آثاره فى صفحات العالم وأجزائه ، وحواشيه وأثنائه حتى يكون لسان الآثار داعيًا إلى معرفته[5] وفى مجلس آخر يقول أبو حيان أيضا ذاكرًا لفظة أجزاء : قد يوصف الشىء بأنه واحد بالمعنى وهو كثير بالأسماء ، ويوصف بأنه واحد بالاسم وهو كثير بالمعنى ، ويوصف بأنه واحد بالجنس وهو كثير بالأنواع ، ويوصف بأنه واحد بالاتصال وهو كثير بالأجزاء[6] . وترد لفظة أجزاء فى نصٍّ لأبى حيان من كتاب المقابسات يقول فيه معرفًا الزمان : يقال ما الزمان ؟ الجواب : مدة تعدها الحركة غير ثابتة الأجزاء[7] ولفظة **الكُلّ** جاء فى اللسان الكُلّ : اسم يجمع الأجزاء ، وكل لفظة واحد ومعناه جمع . وقولهم أخذت كل المال وضربت كل

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٩ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ١٣٥ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ٣ ص٤ .
(٤) مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ١٧ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٨٩ .
(٦) المقابسات ص ٣٦٤ .
(٧) اللسان جـ ٣ ص ٢٨٧ .

القوم ، ليس الكل هو ما أضيف إليه ، وإنما الكل عبارة عن أجزاء الشيء ، فكما جاز أن يضاف الجزء إلى الجملة جاز أن تضاف الأجزاء كلها إليها . ولم يجئ كل عند العرب بالألف واللام وهو جائز لأن فيه معنى الإضافة ، أضفت أو لم تضف[1] وجاء فى التعريفات : الكل فى الاصطلاح ما يتركب من أجزاء ، وهو اسم للحق تعالى باعتباره الحضرة الإلهية الجامعة للأسماء ، وكلمة كل عام تقتضى عموم الأسماء[2] والكل عند المنطقيين كما يقول التهانوى فى كشافه يطلق بالاشتراك على ثلاثة مفهومات الكلىّ أى ما لا يمنع نفس تصوره من وقوع الشركة والكل من حيث هو كل أى الكل المجموعى ، وكل واحد واحد أى الكل الإفرادى[3] .

وترد لفظة كُلّ فى كتابات أبى حيان مع لفظة الجزء فى معظم الأحيان فيقول أبو حيان : يقال ما العقل ؟ الجواب : هو الذى من شأن الجزء منه أن يصير كلًّا[4] ، وفى نص آخر من كتاب المقابسات يذكر أبو حيان لفظة كل مع لفظة جزء فيقول : والعقل الإنسانى الذى هو بمنزلة المفعول ، هو فى حيز القوة التى تحتاج إلى أن تخرج إلى الفعل وحَدّه : أنه الشيء الذى من شأن الجزء منه أن يصير كلا[5] .

وفى البصائر والذخائر يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة « كل » مع جزء فى نص للفيلسوف أفلاطون : قال أفلاطون : لست صورة ولكنى مصور ، قال : والدليل عليه أنى جزء ولست بكل[6] وأصل الكل من قولك تكلّلة أى أحاط به ، ومنه الإكليل سمى بذلك لإحاطته بالرأس ، وقد يكون الإحاطة بالإبعاض فى قولك كل الناس ويكون الكل ابتداء توكيد[7] ومع لفظة الجزء ولفظة الكل ترد فى

---

(١) اللسان جـ ٣ ص ٢٨٧ .
(٢) التعريفات للجرجانى ص ١٩٥ .
(٣) كشاف اصطلاحات الفنون جـ ٥ ص ١٣٥٨ .
(٤) المقابسات ص ٣٧٢ .
(٥) المقابسات ص ٣٢٠ .
(٦) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٢٧٧ .
(٧) الفروق فى اللغة للعسكرى ص ١٣٤ .

كتابات أبى حيان مجموعة من الألفاظ من المادتين (ج ز ء) و (ك ل ل) مثل جزئىّ ، وكلىّ ، وجزئيّة وكليّة ، وجزئيّات وكليّات ، ومتجزئ . وهذه الألفاظ ترد فى معظم نصوص أبى حيان متلازمة ومتضادة .

وقبل أن نتناول هذه الألفاظ فى كتابات أبى حيان نذكر ما قاله أبو حيان عن الفرق بين لفظة كُلّ وكُلّىّ ، يتحدث أبو حيان فيقول فى المقابسة الخامسة والثمانين سمعت أبا سليمان يقول : الفرق بين الكُلىّ والكل ، أن الكل متأخر عن أجزائه ، والكلى متقدم على أجزائه ، والفرق الآخر ، طبيعة الكلى ، بمنزلة الحيوان موجودة فى كُلّ واحد من أجزائه ، بمنزلة الإنسان والفرس ، فأما الكل بمنزلة العشرة ، فطبيعته غير موجودة فى كل واحد من أجزائه ، بمنزلة الثلاثة والسبعة . والفرق الثالث ، أنه إن رفع من الكل واحد من أجزائه بطلت صورة الكل ، فأما الكلى فإنه إن رفع جزئياته تبقى طبيعة الكلى محفوظة بمنزلة الحيوان ، فإنه إن رفع الإنسان أو أى واحد من الحيوانات ، لم تبطل طبيعة الحيوان[1] .

وترد لفظة **الكلىّ** فى كتابات أبى حيان مرتبطة مع لفظة **الجزئىّ** فى أكثر النصوص ، وأحيانا ترد منفردة ، فمن النصوص التى وردت فيها لفظة كلى مع لفظة جزئى نص لأبى حيان يقول فيه : فالذى من تلقاء الطبيعة كلىّ ، والذى من تلقائنا جزئىّ[2] وترد هاتان اللفظتان كُلىّ وجُزئىّ فى نص لأبى حيان يقول فيه : الكُلىّ مفتقر إلى الجُزئىّ لا لأن يصير بديمومته محفوظًا بل لأن يصير بتوسطه موجودًا ، والجزئى مفتقر إلى الكلى لا لأن يصير بتوسطه موجودًا ، بل لأن يصير بديمومته محفوظًا[3] ، وفى نص آخر من كتاب المقابسات يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الكلىّ مع لفظة الجزئىّ فى حديث فلسفىّ : استملوا من العقل ما الشىء

(١) المقابسات ص ٣٢٣ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٦٠٥ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة حـ ٢ ص ٨٥ .

الذاتي ، وما ذاك الذى ليس بذاتىّ ، وما الكلىّ ، وما الجزئىّ ، وما الموضوع ، وما المحمول ، وما الأعيان والذوات فى المواد[1] .

ولفظة جزئىّ المنسوبة إلى الجزء ترد أحيانا عند أبى حيان مفترقة عن لفظة كلىّ ففى نص من كتاب المقابسات يقول أبو حيان مورداً لفظة جزئى : الفكر إنما هو العقل الوهمى والعقل النفسانى المدرك بلا وهم ولا فكر ، ولا يقدر الوهم على أن يتوهم شيئا بلا شكل ، ولا قدر جزئى[2] وفى نص آخر من مقابساته يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة جزئى : إن الشيء متى كان مفرطًا فى الحسن فإنه يبهر العقل الجزئى ، فيحتاج فيه إلى التدريج إليه والتمرين عليه[3] ، هذا بعض ما قاله أبو حيان فى كتاباته عن الكلى والجزئى ، وهناك قول كثير لأبى حيان لا يتسع المجال لذكره ، ولنر ما قاله العلماء عن لفظة الكلىّ ولفظة الجزئىّ يقول ابن سينا فى تعريفه للفظة « كلى » : المعنى الكلىّ بما هو طبيعة ومعنى كالإنسان بما هو إنسان شيء وبما هو عام أو خاص أو واحد أو كثير وذلك له بالقوة أو بالفعل شيء آخر[4] ، ويقول ابن سينا : واللفظ المفرد الكلىّ هو الذى يدل على كثيرين بمعنى واحد متفق أما كثيرين فى الوجود كالإنسان أو كثيرين فى جواز التوهم كالشمس ، وبالجملة الكلىّ هو اللفظ الذى لا يمنع مفهومه أن يشترك فى معناه كثيرون فإن منع من ذلك شيء فهو فى غير نفس مفهومه[5] واللفظ المفرد الجزئىّ كما يعرفه ابن سينا هو الذى لا يمكن أن يكون معناه الواحد لا بالوجود ولا بحسب التوهم لأشياء فوق واحد بل يمنع نفس مفهومه من ذلك ، فإنك إذا قلت هذه الشمس أو هذا الإنسان يمنع من أن يشترك فيه غيره الإشارة[6] . وعن الكلىّ

---

(1) المقابسات ص ٣٨١ .

(2) المقابسات ص ٤٠٢ .

(3) المقابسات ص ٣٥٢ .

(4) النجاة لابن سينا ص ٢٢٠ .

(5) النجاة لابن سينا ص ٦ .

(6) النجاة ابن سينا ص ٦ وانظر معيار العلم للغزالى ص ٧٣ .

والجزئىّ يقول الجرجانى فى تعريفاته موضحا معنى هاتين اللفظتين : الجزئىّ فيكون منسوبا إلى الجُزْء والمنسوب إلى الجزء جزئى وبإزائه الكلىّ الحقيقى الجزئى الإضافى عبارة عن كل أخص تحت الأعم كالإنسان بالنسبة للحيوان يسمى بذلك لأن جزئيته بالإضافة إلى شىء آخر وبإزائه الكلى الإضافى وهو الأعم من شىء والجزئى الإضافى أعم من الجزئى الحقيقى فجزء الشىء ما يتركب ذلك الشىء منه ومن غيره[1] .

اللفظة **جزئية** والجمع **جزئيات** ترد فى كتابات أبى حيان ومعها اللفظة **كلية** والجمع **كليات** ويحدثنا أبو حيان عن هذه الألفاظ حديثا مسهبا ففى نص من الإمتاع والمؤانسة يقول أبو حيان موردًا هذه الألفاظ فى نصه : الطبيعة تتدرج فى فعلها من الكليات البسيطة إلى الجزئيات المركبة ، والعقل يتدرج من الجزئيات المركبة إلى البسائط الكلية ، والإحاطة بالمعانى البسيطة يحتاج إلى الإحاطة بالمعانى المركبة[2]ويقول أبو حيان أيضا : مسلك العقل فى تعرف المعانى الطبيعية مقابل لمسلك الطبيعة فى إيجادها ، لأن الطبيعة تتدرج من الكليات البسيطة إلى الجزئيات المركبة والعقل يتدرج من الجزئيات المركبة إلى البسائط الكليّة[3] ، ويقول فى الإمتاع أيضا ذاكرًا لفظة كليّة وجزئيّة : إن نفسك هى إحدى الأنفس الجزئيّة من النفس الكليّة لا هى بعينها ، ولا منفصلة عنها[4] ، ويذكر أبو حيان لفظة كليات مع لفظة جزئيات فيقول : فمن استدل ترقى من الجزئيات ، ومن ادعى الاضطرار انحدر من الكليات[5] .

والكليات الخمس عند المنطقيين وتسمى بايسوغوجى وهى الجنس والفصل

---

(١) التعريفات للجرجانى ص ٧٩ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٨٤ .
(٣) الإمتاع والمؤانسه جـ ٢ ص ٨٦ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١١٤ .
(٥) المقابسات ص ١٧٥ .

والنوع والخاصة والعرض العام[١] والكلّيّة تطلق على كون المفهوم كليًّا حقيقيًا كان أو إضافيًا وعلى قضية حملية حكم فيها على جميع أفراد النوع[٢]، وفى هذا المعنى المنطقى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة **الكليات** : فأما الكليات المنطقية فإن طبيعتها هى القوة القياسية المستتبة لها عند تكون الحس[٣] . وترد لفظة مُتَجَزِئ عند أبى حيان من المادة (ج ز ء) فى نص يقول فيه : يقال واحد بمعنى أنه غير **متجزئ** ، بمنزلة النقطة والآن وعلى هذا الوجه أيضا ، يقال فى الشخص بأنه واحد ، وأنه غير متجزئ ، من قبل أنه جزىء فشذ[٤] .

مما تقدم نجد أن أبا حيان أورد فى كتاباته الألفاظ جُزْء ، وأجزاء ، وكُلّ ، وقد استخدم هذه الألفاظ بالمعنى الاصطلاحى الخاص بالفلسفة وإن ذكر فى بعض نصوصه المعنى اللغوى لهذه الألفاظ وهذا قليل الورود عنده بجانب المعنى الاصطلاحى الفلسفى وهو الأكثر ورودًا فى كتاباته . وفى اللسان لم يرد المعنى الفلسفى لهذه الألفاظ واكتفى صاحب اللسان بذكر المعنى اللغوى العام عند تناوله لمواد هذه الألفاظ .

وهناك مجموعة من الاشتقاقات من المادة (ج ز ء) مثل جزئىّ وجزئيّة ، وجزئيات ، ومتجزئ ، ومجموعة أخرى من المادة (ك ل ل) مثل كلىّ ، وكليّة ، وكليات جاءت هذه الألفاظ فى كتابات أبى حيان وأغفل ذكرها اللسان عند تناوله لهاتين المادتين فإذن هى اشتقاقات جديدة أوردها أبو حيان فى كتاباته نتيجة لكثرة استخدامها فى عصره .

وفى مجال التغير الدلالى نجد أن معظم هذه الألفاظ التى مر ذكرها هى ألفاظ عامة تخصصت دلالاتها فى عصر الحضارة العباسية وأصبحت أكثر تخصصا فى

---

(١) مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٨٥ وانظر النجاة لابن سينا ص ٨ .
(٢) كشاف اصطلاحات الفنون جـ ٥ ص ١٢٦٤ (٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٨٧ .
(٤) المقابسات ص ٣١٦ .

عصر أبى حيان عند استعمالها كمصطلحات فلسفية .

(٧) العنصر ، العناصر :

جاء فى اللسان العُنْصرُ والعُنْصَر : الأصل . والعُنْصَر أصل الحسب . جاء عن الفصحاء بضم العين ونصب الصاد ، ولا يجيء فى كلامهم المنبسط على بناء فُعْلَل إلا ما كان ثانيه نونا أو همزة . وقد تضم الصاد ، والنون مع الفتح زائدة عند سيبويه لأنه ليس عنده فُعْلَل بالفتح[١] وجاء فى تعريفات الجرجانى العُنْصَر : وهو الأصل الذى يتألف منه الأجسام المختلفة الطباع وهو أربعة الأرض والماء والنار والهواء[٢] .

وفى مفاتيح العلوم يقول الخوارزمى : العنصر هو الشيء البسيط الذى منه يتركب المركب كالحجارة والقراميد والجذوع التى منها يتركب القصر ، والإسطقسات الأربعة هى النار والهواء والماء والأرض ، وتسمى العناصر[٣] ، والعنصر عند المنطقيين هو الكيفية الثابتة للنسبة بين طرفى القضية وتسمى مادة القضية[٤] والعنصر أحد أفراد النوع أو الصنف ، ومعنى ذلك أن عناصر الأشياء أجزاؤها البسيطة ، وعناصر اللغة ألفاظها ، وعناصر المعرفة مبادئها ، وعناصر المثلث خطوطه وزواياه ، وعناصر المجتمع أفراده ، ويطلق العنصر فى الكميات على المادة الأولية التى لا يمكن إرجاعها إلى ما هو أبسط منها إما نسبيا وإما مطلقا[٥] .

اللفظة **عُنْصُر** وجمعها **عناصر** ترد عند أبى حيان فى أماكن متعددة من كتاباته وخاصة ما ذكره فى كتابه المقابسات ففى نص له من المقابسات يعرف لفظة

---

(١) اللسان جـ ٢ ص ٩٠٢ .

(٢) التعريفات للجرجانى ص ١٦٣ .

(٣) مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٨٢ .

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون جـ ٤ ص ٩٤١ .

(٥) المعجم الفلسفى جـ ٢ ص ١١٢ .

العنصر فيقول : يقال ما العنصر ؟ الجواب : هو طينة كل ذى طينة[1] ويقول فى المقابسات أيضا ذاكراً لفظة عنصر : ولا تكترث لسيلان طينتك ، وذوى عودك وتعادى أخلاطك ، وتزايل أوصالك ، وارتداد نفسك ، ومفارقة إلفكَ ، واستحالة عنصرك[2] ، وترد لفظة عنصر فى المقابسات أيضا فى تساؤلات أبى حيان : فلماذا ينتظر المرء اللبيب بنفسه ، بعد هذه الآيات المتلوة ، والأعلام المنصوبة ، والحالات المتقلبة ، والأعمار القصيرة ؟ أما يعلم أنه من جنسه ومحمول على تدبيره ، وأنه لا فكاك له مما لا بد من حلوله به من انحلال تركيبه ، واستحالة عنصره ، وانتقاله إلى حال بسيطة[3] . وترد لفظة العُنْصَر فى كتابات أبى حيان بمعنى الأصل أى الحسب وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : التمام كان لنا بالجوهر ، والكمال فينا بالعُنْصَر[4] .

ويقول أبو حيان واصفًا حال الإنسان فى وجوده الثانى موردًا لفظة العنصر فى قوله : قال النوشجانى : وإنما يلطف هذا القول عليك لأنك تنظر إلى هذا الإنسان من قبل وهو أسار الحس ، وحد الجسم ، وقشور البدن ، وتحلل التركيب ، وتصرف الطبيعة ، وسيلان الطين ، وذوبان العنصر[5] .

وترد لفظة الجمع عناصر فى قول أبى جيان : إن الإنسان محدود بأنه حى ناطق مائت ، وبالحال المفروضة بين الطرفين يكون إنسانًا . وهذا الاسم هو له بالحقيقة ما دام فى هذا الجلباب ، أعنى الطبائع والعناصر والشمائل ، وبه يكمل هذا النوع من الكمال[6] ، ويقول أبو حيان فى الإشارات الإلهية ذاكرًا لفظة عناصر فى وصفه للإنسان : أنه مركب من الأخلاط الأربعة التى هى عناصره وأصوله[7] وصيغة

---

(١) المقابسات ص ٣٧١ .

(٢) المقابسات ص ٤٦١ .

(٣) المقابسات ص ١٨٠ .

(٤) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ١٤٥ .

(٥) المقابسات ص ١٩١ .

(٦) المقابسات ص ٢٣١ .

(٧) الإشارات الإلهية ص ٣٩٥ .

الجمع هذه لم ترد فى اللسان عند تناوله مادة (عنصر) .

ومع لفظة عنصر ترد الألفاظ **عُنصرىّ وعُنصريّة** وهى منسوبة إلى العنصر ، وهاتان اللفظتان تردان فى أماكن متفرقة من كتابات أبى حيان ففى المقابسات نجد أبا حيان يذكر لفظة عُنصرىّ فى وصفه للإنسان فيقول : الإنسان مضروب بالظن والحدس ، مصنوع بالعقل والحس ، ومعرض فى كل وقت للشقاء والسعادة ، لا فكاك له من جميع ذلك ما دام فى مسكه الطبيعى ، ولبسه البشرى ، وشكله الفلكى ، وطينه العنصرى ، وعقله الجزئى ، وجهله الكلى ، اللهم إلا أن يلبسه الله تعالى لباس الرحمة[1] ، ويقول أبو حيان أيضا مورداً لفظة عُنصرىّ فى قوله : هذا موضع يزيغ عنه العقل الإنسى ، ويوسوس منه الإنسان العنصرىّ . وذلك لأن العقل يجد العلة الأولى وجدانا ، على أتم صورة ، وأشرف نعت ، وأبلغ قول فيهش إليه[2] .

وترد اللفظة عنصرية فى نص من المقابسات يصف فيه أبو حيان الإنسان المثالى فيقول : إن قال قال الصواب ، وإن فعل فعل الواجب ، وإن اعتقد اعتقد الحق وإن هم هم بالخير ، وإن حث حث على الصلاح ، وإن غض غض عن السفل ، فقال له بعض الحاضرين : فكأنه يفارق الطبيعة البشرية وينسلخ من العوائق العُنْصريّة[3] ؟ وفى المقابسات أيضا ، يذكر أبو حيان لفظة عنصرية فى وصفه للطبيعة فيقول : صورة عنصرية ذات قوتين متوسطة بين النفس والجرم ، ها بدء حركة وسكون عن حركة[4] .

. وترد لفظة عنصرية فى نص من كتاب البصائر والذخائر وفيه يتساءل أبو حيان فيقول : وحركات الكون والفساد اذا إستحوذت على الأجرام الجسمية

(١) المقابسات ص ١٣٤ .
(٢) المقابسات ص ٤٥٧ .
(٣) المقابسات ص ١٣٤ .
(٤) المقابسات ص ٣٧٣ .

فتلاشت قوى الطبيعة هل يكون للحركات العنصرية أعراض بدنية أم جواهر وهمية[1] ؟. وهاتان اللفظتان عنصرىّ وعنصريّة لم يذكرهما اللسان عند تناوله للفظة العنصر فهما إذن اشتقاقان جديدان عند أبى حيان .

ومن الملاحظ أن لفظة عنصر والجمع عناصر جاءت فى كتابات أبى حيان بالمعنى اللُّغوىّ وهو قليل الورود وجاءت بالمعنى الاصطلاحى الفلسفى وهو الأكثر ورودًا عند أبى حيان . وفى اللسان لم يرد المعنى الاصطلاحى عند تعريفه للفظة العنصر كما أغفل صاحب اللسان ذكر صيغة الجمع عناصر . وكذلك الألفاظ عنصرىّ وعنصريّة صيغتا النسب لم تردا فى اللسان فهما إذن اشتقاقان جديدان أوردهما أبو حيان فى كتاباته .

وفى مجال التغير الدلالى نجد أن لفظة العُنْصر والجمع عناصر من الألفاظ العامة وقد تخصصت دلالتها فى العصر العباسى عصر ازدهار الحضارة الإسلامية .

(٨) الجوهر ، العرض :

جاء فى اللسان الجَوْهَر : معروف ، الواحدة جَوْهَرَة :والجَوْهَر : كل حجرٍ يستخرج منه شىء ينتفع به . وجَوْهَرُ كل شىء : ما خُلِقَتْ عليه جِبِلَّتُه وقيل الجوهر فارسى معرب[2] وجاء فى معرب الجواليقى جَوْهَر الشىء : أصله . فارسى معرب وكذلك الذى يخرج من البحر وما يجرى مجراه فى النفاسة . مثل الياقوت والزبرجد . ويقول الجواليقى : ولو حمل على أنه من كلام العرب لكان الاشتقاق دالًّا عليه فإنهم يقولون : فلان جهير أى حسن الوجه والظاهر فيكون الجوهر من الجهارة التى يراد بها الحسن[3] ويؤكد آدى شير فى معجمه بأن الجوهر هو الأصل

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٦٠٧ .　　(٢) اللسان جـ ١ ص ٥٢٢ .

(٣) المعرب للجواليقى ص ١٤٦ . وجاء حاشية المعرب ما نصه قال العلامة السحاوى : جوهر « فوعل » وهو معرب والواحدة جوهرة وأصله فارسى . وجزم ابن دريد فى الجمهرة بأن جوهر معرب وقد كثر حتى صار كالعربى .

وكل حجر كريم تعريب كوهر[١] . ويطلق الجوهر عند الفلاسفة والمتكلمين على معانٍ منها هو كل ما وجود فى ذاته ليس فى موضوع أى فى محل قريب قد قام بنفسه دونه بالفعل لا بتقويمه[٢]فأولى الأشياء بالوجود هى الجواهر ثم الأعراض والجواهر التى ليست بأجسام أولى الجواهر بالوجود إلا الهيولى[٣] . ومنها هو المحتمل للأحوال والكيفيات المتضادات على مقدارها[٤]ومنها الجوهر إسم مشترك : يقال جوهر لذات كل شيء كالإنسان ، ويقال جوهر لكل موجود وذاته لا يحتاج فى الوجود إلى ذات أخرى تقارنها حتى يكون بالفعل ، وهو معنى قولهم الجوهر قائم بنفسه ، ويقال الجوهر لكل ذات وجوده ليس فى موضوع ، وعليه إصطلاح الفلاسفة القدماء[٥]ومنها : ما هو من أقسام الموجود الممكن ، فهو عند المتكلمين لا يكون إلا حادثا ، إذ كل ممكن حادث عندهم ، وأما عند الحكماء فقد يكون قديما كالجوهر المجرد وقد يكون حادثا كالجوهر المادى ، فتعريفه عند المتكلمين الحادث المتحيز بالذات ،.هو القابل للإشارة الحسية بالذات بأنه هنا أو هناك ويقابله العرض[٦] .

وأبو حيان يعرف لفظة **الجوهر** فيقول : يقال ما الجوهر ؟ الجواب : هو القائم بنفسه ، الحامل للأعراض ، لا تتغيير ذاته ، موصوف لا واصف[٧]وترد لفظة الجوهر فى تعريفات أبى حيان لعدد من الألفاظ ، مثل النفس والعقل والكل فيقول أبو حيان فى تعريفه للنفس ذاكراً لفظة الجَوْهَر : تمام لجرم ذى آلة قابلة للحركة . وأيضا هى جوهر عقلى متحرك من ذاته[٨] ، وفى تعريفه للعقل يذكر أبو حيان

---

(١) الألفاظ الفارسية المعرب آدى شير ص ٤٦ .

(٢) النجاة ص ٨٠ .

(٣) النجاة ، إبن سينا ، ص ٢٠٨ .

(٤) مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ١٧ .

(٥) معيار العلم للغزالى ص ٣٠٠ .

(٦) كشاف إصطلاحات الفنون جـ ١ ص ٣٩١

(٧) المقابسات ص ٣٧١ .

(٨) المقابسات ص ٣٧٢ .

لفظة الجوهر فيقول : العقل جوهر بسيط ، مدرك للأشياء بحقيقتها[1] ويقول فى تعريفه للكُلّ ذاكرًا لفظة الجوهر : الكل : هو جوهر يحيط بالأجزاء ، لا شخص له[2] . وفى نصوص أبى حيان نجد أن الجوهر دل على أصل المادة التى تتركب منها الأشياء .

ويذكر أبو حيان لفظة الجوهر فى نصٍّ من مقابساته ويعتبره من إحدى المقولات العشر فيقول : ولهذا ما انساق نظرهم إلى حصر الموجودات فى دائرة العشرة ، حين لحظوا الجوهر ، والكم ، والكيف ، والمضاف ، والأين ، وكذلك متى ، والموضوع له ، والوضع ، ويفعل ، وينفعل[3] .

ويحدثنا أبو حيان عن فيلسوف عصره يحيى بن عدى وترد لفظة الجوهر فى حديثه فيقول : قال يحيى بن عدى فى درس البديهى عليه سنة إحدى وستين وثلثمائة وأنا حاضر مبدأ الجوهر الصورة والمادة . ثم قال : النقطة فى الجوهر صورة ، والصورة هى فى الكل نقطة[4] ، ويقول أبو حيان فى المقابسات أيضا معرفا لفظة الجوهر : أملى علىَّ أبو سليمان : الجوهر اسم مشترك يدل ، على سبيل العموم ، على الذات أى ذات كان جوهرًا أو كان عَرضًا ، كما يقال جوهر الحرارة وجوهر البياض ، بمعنى ذات البياض وذات الحرارة[5] ويقول أبو حيان نقلًا عن أستاذه أبى سليمان معرفًا الجوهر : وهو القائل : إن الجوهر هو الذى ليس فى موضوع ، وهذا الصنف ينقسم أقسامًا ، بحسب أحوالها فى الوجود ، فيقول : منه بسيط ومنه مركب[6] ، ويصف أبو حيان علاقة الجوهر بالنفس فيقول : النفس جوهر قائم بنفسه لا حاجة بها إلى ما تقوم به[7] وترد لفظة جوهر عند أبى

---

(١) المقابسات ص ٣٧٢ .
(٢) المقابسات ص ٣٧٤ .
(٣) المقابسات ص ٣٨٠ .
(٤) المقابسات ص ١٠٤ .
(٥) المقابسات ص ٣٢٤ .
(٦) المقابسات ص ٣٢٤ .
(٧) المقابسات ص ٤٧٠ .

حيان بمعنى المعدن النفيس وفى هذا المعنى يقول : لِمَ لَمْ يتفق الناس فى التعامل على المثامنة بالياقوت والجوهر ، أو بالنحاس والحديد والرصاص دون الفضة والذهب ؟[1] .

ولفظة الجمع **جَواهِر** يذكرها أبو حيان بمعانٍ متعددة فى كتاباته فيقول ذاكرًا لفظة الجَواهِر بمعنى المعادن الثمينة : وصف بعض العلماء الذهب فقال : هو أبقى الجواهر على الدفن ، وأصبرها على الماء[2] .

يذكر أبو حيان لفظة جواهر فى أماكن كثيرة من كتاباته معددًا أنواعها مثل الجواهر الشخصية ، والمعدنية ، والعلوية وغيرها من الأنواع التى يذكرها أبو حيان للفظة الجواهر ، فيقول : هذه العلوم والمعارف كلها من آثار هذه الأجرام العلوية ، وسهام هذه الجواهر الشريفة الأبدية[3] ، ويقول ذاكرًا الجواهر الشريفة فى الإشارات : وكيف تفرقت تلك الأجسام الكثيفة ، واضمحلت تلك الجواهر الشريفة[4] . ويذكر أبو حيان **الجواهر الشخصيّة** فيقول : فإن من الناس من رأى أن هذا الرسم مشتمل على جميع الجواهر الشخصية ، ومنهم من قال إنه يخص الجواهر الشخصية المركبة من المادة والصورة[5] ، **والجواهر المعدنيّة** يذكرها أبو حيان قائلًا : من الجواهر المعدنية ما هو صلب لا يذوب إلّا بالنار الشديدة ، قالوا : وهكذا أيضا وصف الجواهر المعدنية ، كالذهب[6] ويقول أبو حيان أيضا عن الجواهر المعدنية : جميع الجواهر المعدنية ، فإن مادتها إنما هى رطوبات مائية ، وأنداء وبخارات تنعقد بطول الوقوع ومر الزمان[7] ، وهذا المفهوم الفلسفى للفظة الجوهر والجمع الجواهر لم يرد فى اللسان .

ولفظة العَرَض من الألفاظ الفلسفية وقد جاء فى اللسان عدة معانٍ للعرض

---

(١) الهوامل والشوامل ص ٣٤٦ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٤٦٣ .
(٣) المقابسات ص ٦٣ .
(٤) الإشارات الإلهية ص ٣٢٣ .
(٥) المقابسات ص ٣٢٥ .
(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٠١ .
(٧) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٠٨.

فهو من أحداث الدهر كالموت والمرض ونحو ذلك وهو ما عرض للإنسان من أمر لم يحتسبه من الهموم والأشغال . وجمع العَرَض أعراض . والعَرَضُ بالتحريك : متاع الدنيا وحطامها . وعن معنى العرض فى الفلسفة يقول صاحب اللسان : هو ما يوجد فى حامله ويزول عنه من غير فساد حامله ، ومنه ما لا تزول عنه ، فالزائل منه كالأدمة والشحوب وصفرة اللون وحركة المتحرك وغير الزائل كسواد القار والسبج والغراب[1] فكأن المتكلمين والفلاسفة استنبطوا معنى العرض من أحد هذه المعانى فقال ابن سينا : كل ذات لم يكن فى موضوع فهو جوهر ، وكل ذات قوامها فى موضوع فهى عرض[2] وقال الخوارزمى : العَرَض هو ما يتميز به الشيء عن الشيء لا فى ذاته كالبياض والسواد والحرارة والبرودة ونحو ذلك[3] ، وقال أيضا فى تعريفه للعَرَض : والعرض أحوال الجوهر كالحركة فى المتحرك والبياض فى الأبيض والسواد فى الأسود[4] .

وقال الغزالى فى تعريفه للفظة العرض : « العرض اسم مشترك » فيقول لكل موجود فى محل عرض ، ويقال (عرض) لكل موجود فى موضوع ، ويقال (عرض) للمعنى الكلى المفرد المحمول على كثيرين حملًا غير مقوم وهو العرض الذاتى فى اصطلاح النظار ، ويقال (عرض) لكل معنى موجود للشيء خارج عن طبعه ، ويقال (عرض) لكل معنى يحمل على الشيء لأجل وجوده فى آخر يفارقه ، ويقال (عرض) لكل معنى وجوده فى أول الأمر لا يكون[5] وقال الغزالى عن العرض : هو الذى ليس وجوده شرطا لوجود شيء ، وهو ينقسم إلى لازم وإلى مفارق ، وإلى ما يعم الشيء وغيره ، فيسمى عَرَضًا عاما ، وإلى

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون جـ ١ ص ٣٩١ . (٢) النجاة لابن سينا ص ١٧٤ .
(٣) مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٨٦ . (٤) مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ١٨ .
(٥) معيار العلم الغزالى ص ٣٠١ .

ما يخص الشيء فيسمى خاصة[1] ، وقال ابن سينا عن العرض العام : وأما العرض العام فهو كلّ كليّ مفرد عرضيّ أو غير عرضيّ يشترك فى معناه أنواع كثيرون كالبياض للثلج والقنى ولا تبال بأن يكون ملازمًا أو مفارقًا لكل واحد من النوع أو البعض جوهرًا كان فى نفسه كالأبيض أو عَرَضًا كالبياض بعد أن لا يكون مقومًا للماهية[2] .

ترد لفظة **العرض** ملازمة للفظة الجوهر فى نصوص كثيرة جداً من كتابات أبى حيان سأذكر بعضا من هذه النصوص ، من مثل قول أبى حيان فى المقابسات : الفصل بين الجوهر والعرض ، أن الجوهر لا يقبل الزيادة ولا النقصان والعرض يقبلهما[3]ويقول أيضا : قد يلحظ العرض فى الجوهر ، ويلحظ البسيط فى المركب[4] ، ويقول فى المقابسات موردًا لفظتى العرض والجوهر فى وصفه للطبيعة : الطبيعة اسم مشترك يدل على معانٍ ، أحدهما ذات كل شيء ، عَرَضًا كان أو جوهرًا وبسيطًا كان أو مركبا[5] ، ويقول أبو حيان : الإصابة فى هذه الأمور السيالة المتبدلة عرض ، والإصابة فى أمور الفلك جوهر ، وقد يكون هناك ما هو كالخطأ ولكن بالعرض لا بالذات[6] ، وترد لفظة الجوهر ملازمة للفظة العرض فى قول أبى حيان : العلم جوهرًا راسخًا ، والظن عرضًا زائلاً[7] ، ويقول أيضا : إن الحسّ محطوط عن سماء العقل ، والعقل مرفوع عن أرض الحسّ ، فمجال الحسّ فى كل ما ظهر بجسمه وعرضه ومجال العقل فى كل ما بطن بذاته وجوهره[8] .

---

(١) معيار العلم العراقى ص ٩٩ ، ص ١٠٧

(٢) النجاة ابن سينا ص ١٠ .

(٣) المقابسات ص ٢٧٩ .

(٤) المقابسات ص ٣٠٥ .

(٥) المقابسات ص ٣١١ .

(٦) المقابسات ص ٦٦ .

(٧) المقابسات ص ٦٦ .

(٨) المقابسات ص ١٧١ .

ولفظة **الأعراض** جمع عرض ترد ملازمة للفظة **الجواهر** فى نصوص كثيرة من كتابات أبى حيان ففى نص من مقابساته يقول ذاكرًا الجواهر والأعراض : وما أحسن ما قال بعض بلغاء الحكماء ، فإنه قال : لأمر ما ربطت الجواهر بالأعراض[١] . ويقول أبو حيان فى نص آخر من رسالة الحياة متسائلًا عن الجواهر والأعراض : أين القشور من اللب ، وأين الجواهر الباقية من الأعراض الفانية[٢] . ويذكر أبو حيان بعض الاشتقاقات للمادة (جوهر) مثل جوهرىّ ، جوهريّة ، فيقول موردًا لفظة النسب **جوهرى** : واللسان لا يأتى على خواصه ومعانيه ، وهو متحسر فى قوله على هيئة مجنون ، لغلبة الإرادة الطبيعية ، وقوة الحركة الحيوانية ، وموت العقل الإنسانى وبطلان الشرف الجوهرىّ[٣] ، وفى نص آخر يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة جوهرىّ : وأحلى جوهرىّ بأدبه[٤] ، ولفظة جوهريّة نسبة إلى الجوهر ترد عند أبى حيان فى قوله : وتقولوا الهليّة والأينيّة والماهيّة . والكيفيّة والكميّة والذاتيّة والعَرَضيّة والجوهريّة والهوليّة والصوريّة والأيسيّة والليسيّة والنفسيّة[٥] ؟ .

هاتان اللفظتان جوهرى وجوهرية المنسوبتان إلى الجوهر لم يذكرهما اللسان . وهما اشتقاقان جديدان عند أبى حيان .

وفى ختام العرض للفظتى الجوهر والعرض نشير إلى قضية مهمة وهى أهمية الجوهر بالنسبة للعرض كما جاءت فى كتابات أبى حيان طبقا للمفهوم الفلسفى عند فلاسفة المسلمين .

يتضح لنا من نصوص أبى حيان أن أهمية الجوهر بالنسبة للعرض تتركز فى أمرين الأول أن للجوهر قيمة منطقية حينما يكون الجسم -مثلا- سابقًا على اللون من

---

(١) المقابسات ص ٤٤٥ .
(٢) رسالة الحياة ص ٧٦ .
(٣) المقابسات ص ١٩٣ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٣٤٨ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٢٣ .

الناحية المنطقية فهو من حيث علاقته به يعد جوهرًا ، كما أن اللون من حيث علاقته بالجسم يعد عرضًا ، والأمر الثانى أن الجوهر ثابت دائم والعرض لا دوام له . ومن دلالته على ما لا دوام له خصص بالمفهوم الفلسفى بما يتميز به الشيء عن الشيء لا فى ذاته كالبياض والحرارة والبرودة .

ومن الملاحظ فى تناولنا للفظة الجوهر والجمع جواهر ولفظة العرض والجمع أعراض نجد أن ظاهرة التضاد واضحة بين هذه الألفاظ .

(٩) الهيولى ، الصورة ، المادة ، الأسطقس :

جاء فى اللسان الهَيُول : الهَباء المنبثّ وهو ما تراه فى البيت من ضوء الشمس يدخل فى الكوة ، عبرانيّة أو روميّة معربة[١] والهَيُوَلى لفظ يونانى بمعنى الأصل والمادة ، وفى الاصطلاح هى جوهر الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال ، محل للصورتين الجسمية والنوعية[٢] قال الخوارزمى فى تعريفه للهَيُولى : الجسم مؤلف من الهيولى والصورة ولا وجود لهيولى يخلو عن الصورة إلّا فى الوهم وكذلك لا وجود لصورة تخلو عن الهيولى إلّا فى الوهم والهيولى يسمى المادة والعنصر والطينة ، وقال الخوارزمى : هَيُولى كل جسم هو الحامل لصورته كالخشب للسرير والباب ، فأما الهيولى إذا أطلقت فإنه يعنى بها طينة العالم أعنى جسم الفلك الأعلى وما يحويه من الأفلاك والكواكب ثم العناصر الأربعة وما يتركب منها الصورة هى هيئة الشيء وشكله التى يتصور الهيولى بها ، وبها يتم الجسم[٣] .

وقال ابن سينا فى النجاة : اعلم أن العلل القريبة التى لا واسطة بينها وبين الأجسام الطبيعية هى الهيولى والصورة[٤] والهيولى أصله الشيء ووزنه فيعولى[٥] .

---

(١) اللسان جـ ٣ ص ٨٥٧ . (٢) التعريفات للجرجانى ص ٢٧٩ .
(٣) مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٨٢ وانظر الكليات لأبى البقاء جـ ٥ ص ٦٤ ، ٧٠ ، ٨٢ .
(٤) النجاة لابن سينا ص ٢١٣ . (٥) الكليات لأبى البقاء جـ ٥ ص ٧٠ .

وقال أبو حيان التوحيدى معرفا الهيولى : قوة موضوعة لحمل الصور منفعلة[١]

وترد لفظة الهيولى عند أبى حيان بمعنى الجوهر فى الجسم وفى هذا المعنى يقول : إن الجوهر هو الذى ليس فى موضوع . وهذا الصنف ينقسم أقسامًا بحسب أحوالها فى الوجود ، فيقال : منه بسيط ، ومنه مركب . وهو القسمة بحسب الوجود الطبيعى ، ويقال : منه هَيُولى ، ومنه صورة ، وهذا بحسب حالها فى ذاتها ، وإضافة بعضها إلى بعض[٢] .

ولفظة الهيولى ترد عند أبى حيان بمعنى أصل الشىء ومادته وذلك فى حديثه عن نشأة الإنسان فيقول : كان الإنسان أجزاء مبثوثة فى هذا العالم ، فلما صعدت النفس لها ، حركت الطبيعة على تأليفها ، وتوزيع الحالات المختلفة فيها ، وأعطتها النفس بوساطة الطبيعة صورة خصتها بها ، ودبرت أخلاطها ، وهيأت مزاجها ، فظهر الإنسان فى الثانى بشكل غير الشكل الذى كان لأجزائه ، التى مردها فى آخر البحث إلى الهيولى ، بالقول المجمل[٣] .

وعن ارتباط الهيولى بالصورة يقول الغزالى : الهيولى المطلقة فهى جوهر ، وجوده بالفعل إنما يحصل بقبوله الصورة الجسمانية كقوة قابلة للصور وليس له فى ذاته صورة إلَّا بمعنى القوة[٤] .

وعن ارتباط الهيولى بالصورة يقول أبو حيان فى مقابساته : من الصورة والهيولى يكون الحَدّ ، ومن الصورة والعلة يكون الإيضاح ، لأنه لا وجود لشىء إلَّا بصورته وهيولاه ، فأما الهيولى بذاتها فغير موجودة ، وكذلك الصورة . فكل ما يقوم فإنما يتقوم بهما ، ثم يصير بذلك المتقوم صورة أخرى محفوظة الظاهر والباطن إلى الأولين الذين هما الهيولى والصورة . ثم على حسب ما عليه الصورة فى هذا المتقوم يكون شرف جوهره ، لأنه يستفيد البساطة من الصورة ، والتركيب

---

(١) المقاسات ص ٣٧١ .
(٢) المقابسات ص ٣٢٤ .
(٣) المقابسات ص ١١٧ .
(٤) معيار العلم للغزالى ص ٢٩٧ .

من الهيولى وكذلك على حسب غلبة هيولاه فيه يكون ضعة جوهره ، وسيلان عنصره[1] . فى نص أبى حيان يتبين لنا أن الهيولى قابلة من جهة استعدادها للصور وهى عنصر من جهة ابتداء التراكيب فيها .

ويقول أبو حيان فى حديثه عن ارتباط الهيولى بالصورة : الهيولى عاشقة للصورة مع المنافاة بينهما لأنها بها تكمل . والصورة قابلة للهيولى لأنها تحسن ، إلَّا أن يكون المقوم منهما وافر النصيب من الصورة[2] وفى هذا المعنى أى مدى ارتباط الهيولى بالصورة يقول أبو حيان فى نص من مقابساته : إن كل هَيُوَلى مهيأة لصورتها الخاصة لها ، وكل صورة مهيأة لهيولاها الخاصة لها ، فلا تعادى ولا فساد[3] . وفى نص آخر من مقابساته يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الهَيُولى مرادفة للمادة : فعلى هذا كل ما انتشر واشتهر وفشا وكثر ، فإنما ذلك بمعونة الطبيعة ، وكثرة المادة ، وغلبة الهيولى ، واختلاف النفوس بأصناف الروح والرتبة[4] .

هناك اشتقاقات متنوعة لمادة (هـ ى ل) وردت عند أبى حيان فى نصوص كثيرة من كتاباته وخاصة ما جاء فى المقابسات . ومن هذه الاشتقاقات الهيولانى والهيولانية ، والهيولية والهلية .

لفظة **هيولانيّ** وهو المنسوب إلى الهيولى تقول العقل الهيولانى ، وهو قوة للنفس مستعدة لقبول ماهيات الأشياء مجردة عن المادة[5] . وبهذا المعنى يعرف أبو حيان لفظة هيولانى فيقول : قال أبو سليمان : اسم العقل يدل على معانٍ ، وتنقسم تلك المعانى إلى أقسام ، بحسب ما ينقسم كل ذى عقل ، وذلك أن له ابتداء وإنتهاء ووسطا . فأحدها ، وهو بمعنى الابتداء بالطبع ، هو العقل الفعال وهو فى نسبة الفاعل . والثانى ، بحسب الانتهاء ، وهو العقل الإنسانى ، ويسمى

---

(١) المقابسات ص ٢٨٤ ، ص ٢٨٥ . (٢) المقابسات ص ٢٥٠ .
(٣) المقابسات ص ٤٤٤ . (٤) المقابسات ص ٣٧٦ .
(٥) المعجم الفلسفى جـ ٢ ص ٥٣٧ نقلا عن ابن سينا ، رسالة الحدود .

هيولانيا ، وهو فى نسبة المفعول[1] ويقول أبو حيان فى نص آخر معرفا لفظة الهيولانى : إن خفايا الأشياء وأسرارها ودقائقها فى أعماقها كثيرة والعقل الهيولانى لا يضىء فى هذا الجزء كل الإضاءة ، ولا يرى كل ذلك ، فلذلك ما نرى صاحب العقل يطمئن مرة ويقلق مرة ، لأن اليقين يمر به كالبرق إذا استشرى . وكالنجم إذا هوى والكلام فى هذا الباب أطول مما نظن[2] .

ولفظة **هيولانية** وهى معرفة هل الشىء[3] من الألفاظ الفلسفية التى ذكرها أبو حيان فى نصوص من كتابه المقابسات فقال : إنما صرنا فى هذا العالم الحسى واختلطنا بالأشياء الهيولانية ، وفارقنا ذلك العالم ، لأنا لا نقدر أن نكون هناك البتة ، لاستيلاء الهيولى علينا . وصرنا كأنما بدئنا من هذا العالم لشدة ميلنا إليه ، وإلى الآثار التى كانت منا ، فإن هذه الأشياء الهيولانية إنما هى آثارنا[4] .

وقال أبو حيان فى المقابسات أيضا ذاكرًا لفظة هيولانية : العقل الأول يدرك الأشياء بغتة . والعقل الثانى يدركها أيضا بغتة ، إذا كان متحدًا بالعقل الأول ، لا تعوقه عنه الأشياء الهيولانية ، فإذا عاقته احتاج إلى أن يتوصل بالمقاييس[5] .

وترد لفظة **الهليّة والهيوليّة** فى نص لأبى حيان من كتاب الإمتاع والمؤانسة يقول فيه : غايتكم أن تهولوا بالجنس والنوع والخاصة والفصل والعرض ، والشخص ، وتقولوا الهلية والأينيّة والماهيّة ، والكيفيّة ، والكميّة والذاتيّة والعرضيّة والجوهريّة والهيوليّة والصوريّة والأيسيّة والليسيّة والنفسيّة[6] .

لفظة **صورة** ولفظة **مادة** من الألفاظ التى وردت عند أبى حيان متلازمة أحيانا ومنفردة فى أحيان أخرى وهما مصطلحان فلسفيان يرتبطان مع لفظتى

---

(١) المقابسات ص ٣٢٠ .
(٢) المقابسات ص ٤٣٩ .
(٣) مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٩١ .
(٤) المقابسات ص ٣٩٩ .
(٥) المقابسات ص ٤٠١ .
(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٢٣ .

الهيولى والأسطقس فى نصوص عديدة من كتابات أبى حيان .

الصورة فى اللغة الشّكل ، والهيئة ، والصفة . يقال : صورة الفعل كذا وكذا أى هيئته ، وصورة الأمر كذا وكذا أى صنعته ، والجمع صُوَر ، وصِوَر ، وكل جمع على لفظ الواحد الذكر سبق جمعه واحدته ، فواحدته بزيادة هاء فيه[1] وقد تطلق الصورة على ترتيب الأشكال ووضع بعضها من بعض واختلاف تركيبها وهى الصورة المخصوصة وقد تطلق على تركيب المعانى التى ليست محسوسة فيقال صورة المسألة ، وصورة الواقعة ، وصورة العلوم الحسابيّة والعقليّة[2] ، وصورة الشيء ما يؤخذ منه عند حذف المشخصات ويقال : صورة الشيء ما به يحصل الشيء بالفعل[3] .

يعرف أبو حيان لفظة الصورة فى كتاباته فيقول : هى التى بها الشيء هو ما هو[4] ويذكر تعريفًا آخر للصورة قيل فى مجلس الإمتاع بحضور أستاذه أبى سليمان المنطقى وقد جاء فى النص : الصورة هى التى بها يخرج الجوهر إلى الظهور عند اعتقاب الصور[5] إياه وتعليق أبى سليمان على هذا التعريف يورده أبو حيان فى كتاب الإمتاع ذاكرًا أنواع الصور كما يعددها الفلاسفة فيقول : قال أبو سليمان : هذه الفتيا جزافية ، الصور أصناف : إلهية وعقلية ، وفلكية ، وطبيعية ، وأسطقسية وصناعية ، ونفسية ولفظية ، وبسيطة ومركبة ، وممزوجة وصافية ، ويقظية ونومية وغائبية وشاهدية[6] وترد لفظة الصورة عند أبى حيان بمعانٍ منها الشكل والنوع والصفة ففى المقابسات يقول ذاكرًا لفظة الصورة بمعنى الشكل : إن صورة العالم فى كل وقت وساعة على حال لم يكن عليها قبل[7] ،

---

(١) اللسان حـ ٢ ص ١٩١ .

(٢) الكليات حـ ٣ ص ١١٤ وانظر النجاة لابن سينا ص ٢٠٨ ومعيار العلم للغزالى ص ٣٦٠ ، ص ٢٩٧ .

(٣) التعريفات للجرجانى ص ١٤١ .

(٤) المقابسات ص ١٠١ .

(٥) الإمتاع والمؤانسة حـ ٣ ص ١٣٦ .

(٦) الإمتاع والمؤانسة حـ ٣ ص ١٣٧ .

(٧) المقابسات ص ٣٢٩ .

وبمعنى النوع يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الصورة : كل حيوان غير ناطق عادم لشرف الصورة ، وكل حيوان ناطق واجد لشرف الصورة[1] .

ويرى أبو حيان أن للفكر وللفن صورة ومادة فيقول فى هذا المعنى : اللُّغة مادة الكلام ، والنَّحْو صورة من صورها[2] ويقول أيضا عن **الصورة السمعية** : المُوسيقار إذا صادف طبيعة قابلة ، ومادة مستجيبة أفرغ عليها تأييد العقل والنفس لبوسا مونقا ، وتأليفا معجبا ، وأعطاها صورة معشوقة[3] .

الصورة عند الفلاسفة مقابلة للمادة ، وهى ما يتميز به الشىء مطلقًا فإذا كان فى الخارج كانت صورته خارجية ، وإذا كان فى الذهن كانت صورته ذهنية . غير أن المادة فى نظرهم لا تتعرى عن الصورة الجسمية[4] ، ويرى الفلاسفة أن للفكر مادة وصورة أما مادته فهى الحدود التى يتألف منها ، وأما صورته فهى العلاقات الموجودة بين هذه الحدود[5] ، وفى هذا المجال ترد نصوص متعددة لأبى حيان يذكر فيها الصورة والمادة فيقول فى مقابساته : مبدأ الجوهر الصورة والمادة . ومبدأ الكم النقطة والوحدة . والنقطة فى الجوهر صورة ، والصورة هى فى الكلّ نقطة[6] ، ويقول أيضا : الحركة والسكون والنقطة والوحدة والصورة والمادة لم تختلف فى أعيانها ، بل للقوابل التى هى بها[7]وقد تطلق الصورة على ما به يحصل الشىء بالفعل كالهيئة أو الشكل وبهذا المعنى تسمى العلة أى العلة الصورية ويقابلها العلة المادية وفى هذا المجال يذكر أبو حيان لفظتى الصورة والمادة موضحا معنى المادة الحسىّ : أما الصورة فهى الشكل الذى يسوى به المادة فيقول : وكل صانع من الناس فليس يستغنى فى إظهار مصنوعه عن خمسة أشياء تكون عللاً لها :

---

(١) المقاسات ص ٢٨٥ .
(٢) رسالة فى ثمرات العلوم ص ١٩٣ .
(٣) المقاسات ص ١١٣ .
(٤) النجاة ابن سينا ص ٢٠٨ .
(٥) معيار العلم الغزالى ص ٣٦٠ ، ص ٣٦١ ، ص ٢٩٧ .
(٦) المقابسات ص ١٠٤ .
(٧) المقابسات ص ١٠٤ .

أحدها مادة له آلة ، ومادة يعمل بها ، والثانى : صورة ينحو بفعله نحوها ، والثالث حركة يستعين بها فى توحيد تلك الصورة بالمادة ، والرابع : غرض ينصبه فى وهمه من أجله يفعل ما يفعل ، والخامس : آلة يستعملها فى تحريك المادة ، ومثال ذلك من صناعة البناء ، إن المادة التى يعمل منها البناء هى التراب والطين والحجارة والخشب ، والصورة التى ينجزها بوهمه صورة البيت[1] .

ويحدثنا التوحيدى فى مقابسته الثمانين عن **الصورة والمادة** ويعقد مقابلة بين اللفظين فيقول : قال أبو سليمان : الموجود هو الذى من شأنه أن يفعل ، أو ينفعل . وكل ذات موجودة ، فإما أن تكون فاعلة فقط ، أو منفعلة فقط ، أو فاعلة ومنفعلة . فالمنفعلة فقط هى المادة الموضوعة لقبول الصورة . والفاعل فقط هو المعطى صورة كل ذى صورة . والفاعل المنفعل هو المركب من مادة وصورة ، يفعل بصورته ، وينفعل بمادته ، ويقول أيضا فى مقابسته عن الصورة والمادة : الذات الأبدية الوجود ، التى هى سبب كل موجو

والموجودة بالقوة تارة وبالفعل أخرى هى المركبات من المادة

لها القوة من جهة الهيولى ، والفعل من جهة الصورة[2] .

لفظة المادة معناها فى اللغة كل شيء يكون مَدَدًا لغيره والمادة الزيادة المتصلة[3] ومادة الشيء عناصره التى يتركب منها حسيّة كانت أو معنويّة كمادة البناء ومادة البحث[4] وللمادة فى اصطلاح الفلاسفة عدة معانٍ : يقول الخُوارزمى : والهَيُولى يسمى المادة والعنصر والطينة[5] ، ويقول الجرجانى : مادة الشيء وهى التى يحصل الشيء معها بالقوة وقيل المادة الزيادة المتصلة[6] وابن سينا

---

(١) البصائر والدخائر حـ ٢ ص ٧٦٤ .

(٢) المقابسات ص ٣١٣ .

(٣) اللسان حـ ٣ ص ٤٥٢ .

(٤) المعجم الفلسفى حـ ٢ ص ٣٠٦ .

(٥) مفاتيح العلوم ، الخوارزمى ص ٨٢ .

(٦) التعريفات للجرجانى ص ٢٠٥ .

فى النجاة يقول : المادة إنما تقوم بالفعل بالصورة ، ولا يجوز أن يقال إن الصورة بنفسها موجودة بالقوة وإنما تصير بالفعل بالمادة ، لأن جوهر الصورة وهو الفعل وبالفعل وما بالقوة محله المادة فتكون المادة هى التى يصلح فيها أن يقال لها أنها فى نفسها بالقوة تكون موجودة وأنها بالفعل بالصورة[١] .

وترد لفظة « مادة » فى كتابات أبى حيان بمعنى العنصر والهيولى وفى هذا المعنى يقول أبو حيان فى نص من مقابساته : كل ما انتشر واشتهر ، وفشا ، وكثر ، فإنما ذلك بمعونة الطبيعة ، وكثرة المادة ، وغلبة الهيولى ، واختلاف النفوس بأصناف الروح والرتبة[٢] وبمعنى الجسم الطبيعى يقول أبو حيان موردًا لفظة المادة : الإنسان هو الشيء المنظوم بتدبير الطبيعة للمادة المخصوصة بالصور البشرية[٣] ، ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة المادة بمعنى المَدَد : ولا حرفت منك مادة تحفظ مهجتى ، وتحوط بغيتى ، لأفوز مستمتعا بذكرك[٤] ، ويقول ذاكرًا مادة الحياة أى المدركات الحسية للحياة : يا هذا انظر إلى حيرة العقل فى سر هذه الحياة ثم اعجب مما صحب الكون من مادة الحياة[٥] .

ولفظتا الجمع صُوَر ومَواد يذكرهما أبو حيان فى كتاباته فيقول : فاختلاف الصور نشأ من اختلاف المواد ، وهذا أصل لا أصل له ، وعلة لا علة لها ، لأنه لم يفعله فاعل على ذلك ، بل الصورة من شأنها هذا ، والمادة من شأنها ذاك[٦] .

لفظة **الأسطقس** من الألفاظ التى يكثر ورودها فى كتب الفلسفة والطبيعة وعلوم الهيئة ، ونجد أن الخُوارزمى قد صنفها فى كتابه مفاتيح العلوم فى الفصل

(١) النجاة ... سينا ص ٢٠٧ . (٢) المقابسات ص ٣٧٦ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١١٢ . (٤) الإشارات الإلهية ص ٢٠٢ .
(٥) الإشارات الإلهية ص ٢٣٤ ويتكرر ذكر مصطلح مادة الحياة كثيرا عند أبى حيان انظر المقابسات ص ١٤٠ ، ورسالة الحياة ص ٥٩ وغيرها .
(٦) المقابسات ص ١٠١ .

الذى خصصه للألفاظ التى يكثر ذكرها فى الفلسفة وفى كتبها . يقول الخوارزمى معرفًا الأسطقس : بأنه الشىء البسيط الذى منه يتركب المركب كالحجارة والقراميد والجذوع التى منها يتركب القصر ، وكالحروف التى منها يتركب الكلام وكالواحد الذى منه يتركب العدد ، وقد يسمى الأسطقس الركن والاسطقسات الأربعة هى النار والهواء والماء والأرض وتسمى العناصر[1] ويعرف الجرجانى الأسطقس فيقول : هو لفظ يونانى بمعنى الأصل وتسمى العناصر الأربع التى هى الماء والأرض والهواء والنار إسطقسات لأنها أصول المركبات التى هى الحيوانات والنباتات والمعادن[2] ويعرف الغزالى معنى الأسطقس فيقول : الأسطقس هو الجسم الأول الذى باجتماعه إلى أجسام أُوَل مخالفة له فى النوع ، يقال له إسْطَقس فلذلك قيل : إنه آخر ما ينتهى إليه تحلل الأجسام فلا توجد عند الانقسام إليه قسمة إلا إلى أجزاء متشابهة ، فالشىء بالقياس إلى العالم ركن ، وبالقياس إلى ما يتركب منه إسْطَقس[3] ويعرف التوحيدى **الأسطقس** فيقول : هو ما يكون منه الشىء ، وينحل إليه ومنه الكائن بالقوة[4] ولفظة الأسطقس ترد عند أبى حيان بمعنى العنصر والمادة وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : وكذلك صورة الأرض مخالفة لصورة النار ، فتحديدها بما يقررها مع غوصها فى كل إسطقس شديد[5] ويذكر أبو حيان لفظة الاسطقس مع مجموعة من الألفاظ الفلسفية فيقول عن صاحب الفلسفة : ويسمع منه الهيولى والصورة والطبيعة والاسطقس والذاتى والعرضى والأيسىّ والليسىّ[6] لفظة الاسطقس لم ترد فى اللسان فهى جديدة فى مبناها ومعناها عند أبى حيان وعن علم الاسطقسات يقول أبو حيان :

---

(١) مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٨٢ .

(٢) التعريفات للجرجانى ص ٢٤ انظر غرائب اللغة رفائيل نخلة ص ٢٥٢ .

(٣) معيار العلم للغزالى ص ٢٩٨ . (٤) المقابسات ص ٣٦٤ .

(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١٤١ . (٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٨ .

علم الطبائع سبعة أقسام : علم الاسطقسات وعلم المزاج ، وعلم الأخلاط ، وعلم القوى ، وعلم الأفعال ، وعلم الأرواح[١] .

ولفظة الجمع **الاسطقسات** تتردد كثيرًا فى كتابات أبى حيان فيقول ذاكرًا لفظة الاسطقسات بمعنى العناصر الأربعة : الاسطقسات أربعة : النار ، والهواء ، والماء ، والأرض[٢] ، ويشرح لنا أبو حيان فى حديث ممتع من أحاديث مجالس الإمتاع والمؤانسة قصة هذه الاسطقسات مع الإنسان ولماذا سميت إسطقسات لأنها أصول المركبات فيقول : الإنسان مركب من الأعضاء الآلية بمنزلة الرأس واليدين وغيرها ، ثم كل واحد من هذه الأعضاء مركب من الأعضاء المتشابهة الأنواع بمنزلة اللحم والعظم والعصب ، ثم كل واحد من هذه الأعضاء مركب من الأخلاط الأربعة التى هى الدم والبلغم والشريان ، ثم كل واحد من هذه الأخلاط مركب من الاسطقسات الأربع التى هى النار والهواء والأرض والماء ، ثم كل واحد من هذه الاسطقسات مركب من الهيولى والصورة[٣] .

ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الاسطقسات وعلاقتها بالنفس : ويكفى أن تعلم أن النفس قوة إلهية واسطة بين الطبيعة المصرفة للاسطقسات والعناصر المتهيئة وبين العقل المنير لها[٤] ، ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الإسطقسات بمعنى العناصر الأربعة وذلك فى حديثه عن الطبيعة : صاحب الطبيعة الناظر فى آثارها ، وأشكال الاسطقسات[٥] .

وترد لفظة الاسطقسات بمعنى العناصر الأربعة أى أصول المركبات فى نص لأبى حيان يبين فيه علاقة الاسطقسات بالروح فيقول : الروح قوة منبثة فى الجسم وبها قوامة فى الحس والحركة والسكون والطمأنينة ومبدؤها من ائتلاف

---

(١) البصائر والذخائر حـ ٢ ص ٨٤٥ .
(٢) البصائر والذخائر حـ ٢ ص ٨٤٥ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة حـ ٢ ص ٨٧ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة حـ ٣ ص ١١٠ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة حـ ٢ ص ٧ .

الاسطقسات[1] ويذكر أبو حيان لفظة الاسطقسات بمعنى الأخلاط والأمزجة فيقول : قرأت على أبى سليمان من كلام أنبادقليس : إذا استولت المحبة على الأجسام التى منها تركب العالم كان منها العالم الكرى ، وإذا استولت الغلبة كان منها الاسطقسات والعالم الكائن الفاسد[2]، ومع الاسطقسات يذكر أبو حيان لفظة **اسطقسية** فيقول : الصور أصناف ، إلهية ، وعقلية ، وفلكية ، وطبيعية ، واسطقسية ، وصناعية ، ونفسية ولفظية[3]، ويوضح معنى الاسطقسية قائلا : أما الصورة الأسطقسية ، فهى لائحة لكل ذى حسن ، بالتناظم الموجود فيها والتباين الآخذ بنصيبه منها ، ولها انقسام إلى آحادها ، أعنى أن صورة الماء مباينة لصورة الهواء ، وكذلك صورة الأرض مخالفة لصورة النار ، فتحديدها بما يقررها مع غوصها فى كل اسطقس شديد[4] .

ومن الفلاسفة من وضح معنى الاسطقسات والاسطقسية فى كتاباته كما قال ابن سينا فى كتابه النجاة معرفا لفظة الأسطقسيّة : إذا استوفت الكرات السماوية عددها لزم بعدها وجود الاسطقسات وذلك لأن الأجسام الاسطقسية كائنة فاسدة فيجب مباديها القريبة أشياء تقبل نوعًا من التغير والحركة وأن لا يكون ما هو عقل محض وحده سببًا لوجودها وهذا يجب أن يتحقق من الأصول[5] .

مما تقدم يتبين أن الألفاظ هيولى ، وصورة ، ومادة ، واسطقس ألفاظ فلسفية كثر استخدامها عند أبى حيان كمصطلحات خاصة بالفلسفة وفى اللسان لم ترد هذه الألفاظ بالمعنى الاصطلاحى الفلسفى ، ففى تناول اللسان للمادتين (ص و ر) و (م د د) لم يتطرق للمعنى الفلسفى للفظتين صورة ومادة . وعند ذكر اللسان للمادة (هـ ى ل) أغفل اللفظ هَيُولى فهى من الألفاظ المعربة عن اليونانية وقد ورد ذكرها عند أبى حيان ومعها اشتقاقات متنوعة . أما لفظة

---

(١) المقابسات ص ٤٦٩ . (٢) المقابسات ص ٣٠٨ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة حـ ٣ ص ٣٧ . (٤) الإمتاع والمؤانسة حـ ٣ ص ١٤١ .
(٥) النجاة ابن سينا ص ٢٨٠ ، وانظر الإشارات والتنبيهات حـ ٢ ص ٣٠١ .

الإسْطَقس فلم ترد فى اللسان وهى معربة عن اليونانية . وجاءت هذه اللفظة **مرادفة** للفظة الهيولى والمادة فى نصوص كثيرة من كتابات أبى حيان فإذن ظاهرة الترادف واضحة بين الألفاظ هيولى ، ومادة واسطقس . وفضل أبو حيان استخدام جمع المؤنث السالم اسطقسات جميعا لاسطقس . واستخدم أبو حيان أيضا نون الإلحاق فى النسب فجاءت لفظة **هيولانى** ولفظة هيولانية .

وهناك عدد من المصادر الصناعية أوردها أبو حيان فى نصوص من كتاباته وقد أتى بها من الأسماء مثل الهيوليّة ، والأسطقسيّة ، وأتى بها من الأداة البسيطة مثل – هليّة من هل مضافة إلى يّة . وهذه المصادر الصناعية لنا معها وقفة متأنية فى أماكن أخرى من بحثنا هذا .

(١٠) الإنيّة ، الأينيّة ، الأيسيّة ، الليسيّة ، الكميّة ، الكيفيّة:

جاء فى الكليات إنَّ : بالكسر والتشديد هى فى لغة العرب تفيد التأكيد والقوة فى الوجود وبهذا أطلق الفلاسفة لفظ الإنيّة على واجب الوجود لذاته لكونه أكمل الموجودات فى تأكيد الوجود ، وفى قوة الوجود ، وهو لفظ محدث ليس من كلام العرب[١] .

ويؤكد الجرجانى فى تعريفاته معنى الإنيّة بأنها تحقق الوجود العينى من حيث رتبته الذاتية[٢] ولفظة **الإنيّة** ترد فى كتابات أبى حيان فى مجال الألفاظ الخاصة بالفلسفة وفى هذا المعنى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الإنيّة : إن القوة التى تلحظ سائر الأشياء ومعانيها ليست معلولة ، ولحظها لها إنما هو على سبيل ما يلحقه من الفيض وإفادة الوجود من تلك الإفادات فتثبت عندها إنيّة ذلك فقط ، من غير أن يمكنها نقل شيء من أحكامها ، وأحكام ما تحيط به مما دونها إليها[٣] ويقول أبو

(١) الكليات لأبى البقاء جـ ١ ص ٣١٨ .
(٢) التعريفات للجرجانى ص ٣٩ .
(٣) المقابسات ص ٣١٧ .

حيان ذاكرًا الإنية : معنى قولنا وحد أى عرفه واحدًا ، وأثبت واحدًا ، لا لأنه نفى عنه الثانى والثالث فصاعدا ، وكيف ذلك ولا ثانى له فينفى ، ولكن لأنه واحد وحده ، بل هو وحده واحد ، لا على سبيل نسق فى عادة أصحاب اللفظ ، بل على لحظ ذات لا شوب فيها ، وتجريد إنيّة ، لا نعت لها ، وإشارة إلى هوية لا عبارة عنها[1] ومما يزيد معنى الإنيّة وضوحًا عند أبى حيان أنه قرنها بمعنى الطينة ، والعنصر ، والجوهر ، والذات ، فقال فى نص من مقابساته : لا تكترث لسيلان طينتك ، وذوى عودك ، وتعادى أخلاطك ، وتزايل أوصالك ، وارتداد نفسك ، واستحالة عنصرك ؛ فإنك باق بحقيقتك ، دائم بجوهرك ، موجود بذاتك ، واحد بإنيتك ، كامل فى جملتك[2] .

ولفظة **الأينية** نسبة إلى أين ، والأين المكان وهو اسم لأنك تقول من أين وهى مؤنثة والتذكير جائز[3] والأين المقولة السادسة من مقولات أرسطو وهى نسبة الشىء إلى مكانه[4] والأين أطلقه الفلاسفة على المحل الذى ينسب إليه الجسم ، فقال ابن سينا : الأين : هو كون الجوهر فى مكانه الذى يكون فيه[5] وقال الغزالى : من الأين ما هو أين بذاته ومنه ما هو مضاف ، ولكن لا يكون للجسم أين مضاف ما لم يكن له أين بذاته[6] والأين عرفه الجرجانى فقال : هو حالة تعرض للشىء بسبب حصوله فى المكان[7] وقال التهانوى معرفا الأين بأنه هيئة تحصل للجسم بالنسبة إلى مكانه الحقيقى ، أى هو الهيئة المترتبة على الحصول فى الحيز والمتكلمون يسمون الأين بالكون[8] ولفظة الأينيّة ترد عند أبى حيان بهذا المفهوم الفلسفى فيقول فى نصوص من مقابساته موردًا لفظة الأينية : وأما من أشار إلى

---

(١) المقابسات ص ٤٥٧ .

(٢) المقابسات ص ٤٦٢ .

(٣) اللسان جـ ١ ص ١٤٧ .

(٤) مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٨٧ .

(٥) النجاة لابن سينا ص ١٢٨ .

(٦) معيار العلم للغزالى ص ٣٥٢ ، ص ٣٢٤ .

(٧) التعريفات للجرجانى ص ٤٢ .

(٨) كشاف اصطلاحات الفنون جـ ١ ص ١٤٧ .

الذات فقط بعقله البرىء السليم من غير تورية أو تحلية برسم ، مخلصا مقدسا فقد وفى حق التوحيد بقدر طاقته البشرية ، ونفى الأينيّة والكيفيّة ، وعلاه عن كل فكر وروية[1] .

ويقول أيضا ذاكرًا لفظة الأينيّة : قال البخارى لأبى سليمان أفدنا كلامًا فى التوحيد . فقال : أما من أشار إلى الذات فقط بعقله البرىء السليم ، من غير تورية باسم أو تحلية برسم ، مخلصًا مقدسًا ، فقد وفى حق التوحيد بقدر طاقته البشرية ، لأنه أثبت الإنيّة ، ونفى الأينيّة والكيفية ، وعلاه عن كل فكر وروية[2] .

وترد لفظة الأينيَّة عند أبى حيان فى نصٍّ من كتابه الإمتاع ومعها مجموعة من الألفاظ الفلسفية المتنوعة . يذكر أبو حيان اقتران معنى الأينية بمعنى الجنس والنوع والخاصة فيقول : وغايتكم أن تهولوا بالجنس والنوع والخاصة والفصل والعرض والشخص ، وتقولوا : الهليّة والأينيّة والماهيّة والكيفيّة والكميّة والذاتيّة والعَرَضيّة والجوهريّة والهَيُوليّة والصوريّة والأيسيّة والليسيّة[3] .

الأيسية ، والليسية :

ومن الألفاظ الفلسفية التى ترد فى نصوص أبى حيان **الأيسيّة والليسيّة** من نسبتهما إلى أيس وليس ، والأيس لفظ عربى مهجور ، تقول جىء به من حيث أيس وليس أى من حيث هو وليس هو[4] ويقول صاحب اللسان عن الليث أيس كلمة قد أُميتت ، إلّا أن الخليل ذكر أن العرب تقول : جىء به من أيس وليس أى من حيث هو موجود وغير موجود لم تستعمل أيس إلا فى هذه الكلمة[5] ويقول الخوارزمى هو خلاف ليس قال الخليل بن أحمد : ليس إنما كان . لا . فى أيس

---

(١) المقابسات ص ٢٦٨ .
(٢) المقابسات ص ٢٦٢ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٢٣ .
(٤) الكليات لأبى البقاء جـ ٤ ص ١٦٧ .
(٥) اللسان جـ ١ ص ١٤٤ .

فأسقطوا الهمزة وجمعوا بين اللام والياء والدليل على ذلك ايتنى بكذا من حيث أيس وليس[1] .

هاتان اللفظتان ورد ذكرهما فى نص سابق لأبى حيان مع مجموعة من الألفاظ الفلسفية ونعيد هذا النص هنا لقلة ورود هاتين اللفظتين عند أبى حيان . ففى نص من كتاب الإمتاع والمؤانسة جاء على لسان أبى سعيد السيرافى فى مناظرته مع متى يقول له مخاطبًا : وتقولوا : الهليّة والأينيّة ، والماهيّة ، والكيفيّة ، والذاتيّة والعرضيّة ، والجوهريّة ، والهيوليّة ، والصوريّة ، والأيسيّة ، والليسيّة والنفسية[2] استخدام الأيسية والليسية هنا للإثبات والنفى .

الكمية ، والكيفية :

اللفظتان كميّة وكيفيّة من الألفاظ الفلسفية التى وردت عند أبى حيان فى نصوص كثيرة من كتاباته وقد مر ذكر هاتين اللفظتين مع الإنيّة والأينيّة .

كمّ : اسم ناقص مبهم مبنى على السكون وهى سؤال عن عدد ، مغنية عن الكلام الكثير ، وإن جعلته اسمًا تامًا شددت آخره وصرفته . فقلت : أكثرت من الكم ، وهى الكمية[3] والكمّ المقولة الثانية من المقولات العشر[4] والكمّ عرفه القدماء بقولهم . قال الخوارزمى : الكمّ بتشديد الميم لأن كم اسم ناقص عند النحويين والأسماء الناقصة وحروف المعانى إذا سيرت أسماء تامة بإدخال الألف واللام عليها أو بإعرابها يشدد ما هو منها على حرفين فكل شىء يقع تحت جواب كمّ فهو من هذه المقولة وكل شىء أمكن أن يقدر جميعه بجزء منه كالخط والبسيط والمصمت والزمان والأحوال[5] وقال الجرجانى معرفًا الكمّ : هو العرض الذى

(١) مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ١٨ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٢٣ .

(٣) اللسان جـ ٣ ص ٢٩٧ .

(٤) المقابسات ص ٣٨٠ .

(٥) مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٨٦ .

يقتضى الانقسام لذاته وهو إما متصل أو منفصل لأن أجزاءه إما أن تشترك فى حدود يكون كل منها نهاية جزء وبداية آخر وهو المتصل والمنفصل هو العدد فقط كالعشرين والثلاثين[١] .

وقال التوحيدى فى هذا المجال معرفًا الكمّ : مبدأ الكمّ النقطة والوحدة[٢] فالوحدة هى مبدأ الوحدات وهى للكمّ المنفصل بمنزلة العدد المؤتلف من الوحدات التى تجمع من غير اتصال إحداهما بالأخرى . والنقطة هى مبدأ للكمّ المتصل بمنزلة الخط الذى تتصل أجزاؤه بعضها ببعض بحد مشترك هو النقطة[٣] .

وقال التوحيدى فى كتاباته ذاكرًا **الكمّ** مع **الكيف** : ومبدأ الكيف السكون والحركة[٤] والكيف من الموجودات العشر[٥] وهو المقولة الثالثة من مقولات أرسطو[٦] وهو كل شيء يقع تحت جواب كيف ، أعنى هيئات الأشياء وأحوالها والألوان والطعام والروائح والملموسات كالحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة والأخلاق وعوارض النفس كالفزع والخجل ونحو ذلك[٧] .

ومن القدماء من عرف الكيف الجرجانى فقال فى تعريفاته بأن الكيف هيئة قارة فى الشيء لا يقتضى قسمة ولا نسبة لذاته . والكيف هى كل هيئة قارة فى الجسم لا يوجب اعتبار وجودها فيه نسبة للجسم إلى الخارج ، ولا نسبة واقعة فى أجزائه[٨] . وكَيف كما جاء فى اللسان : اسم معناه الاستفهام . ونصب الفاء فرارًا به من الياء الساكنة فيها لئلا يلتقى ساكنان . ومصدر كَيف : الكيفيّة[٩] وفى الكليات قال أبو البقاء معرفا الكيفية : قد يراد بها ما يقابل الكم والنسب وهو

---

(١) التعريفات للجرجانى ص ١٩٦ ، وانظر معيار العلم ص ٣٦٧ .

(٢) المقابسات ص ١٠٤ .

(٣) المقابسات ص ٣٠٣ .

(٤) المقابسات ص ١٠٤ .

(٥) المقابسات ص ٣٨٠ .

(٦) مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٨٧ .

(٧) التعريفات للجرجانى ص ١٩٨ .

(٨) معيار العلم للغزالى ص ٣١٩ .

(٩) اللسان جـ ٣ ص ٣٢٢ .

المعنى المشهور . وقد يراد بها معنى الصفة . والكيفية : اسم لما يجاب به عن السؤال بكيف أخذ من كيف بإلحاق ياء النسبة وتاء النقل من الوصفية إلى الاسمية بها كما أن الكمية اسم لما يجاب به عن السؤال بالكم بإلحاق ذلك أيضا[١] . وقال أبو حيان التوحيدى معرفا **الكيفيّة** : ما هو شبيه وغير شبيه[٢] وقال معرفا **الكميّة** : ما احتمل المساواة وغير المساواة[٣] .

واللفظتان كمية وكيفية تردان عند أبى حيان فى نصوص متعددة من كتاباته وقد أفرد أبو حيان لهاتين اللفظتين المقابسة الخامسة عشرة بأكملها فقال فى مقابسته هذه : قلت لوهب بن يعيش الرق : لم صارت الكيفيّة تسرى من المكيف إلى الأول والثانى ؟ ... وليس كذلك الكميّة فى ذى الكم فقال : الكمية أقرب إلى الجوهر ، وأشد توحدًا به ، وأدل على المواصلة والتشبث والوحدة . وليس كذلك الكيفيّة ، لأنها أبعد من الجوهر ، وأقرب إلى الكثرة ، فلذلك صار مقتضى الكيفيّة بحسب الكثرة ، مخالفًا لمقتضى الكميّة بحسب الوحدة ويواصل كلامه مع ابن يعيش فيقول : ألا ترى أن الكيفيّة تابعة لما تراءى فى الحس واتسق عن الطبيعة ؟ ألا ترى أن الكميّة تابعة لما تراءى للعقل واتصل بالنفس[٤] .

وفى الإمتاع يقول أبو حيان نقلًا عن أحد الفلاسفة قائلا : العلم صغير فى الكميّة ، كبير فى الكيفيّة[٥] ، وفى نص آخر من الإمتاع المؤانسة يقول أبو حيان موردًا اللفظتين الكمية والكيفية : قال البخارى : فشىء كهذا بدقيقه وأشكاله وغموضه وخفائه كيف يظهر على جبلة بشرية وبنية طينية و**كمية** مادية وكيفيّة عنصرية ؟[٦] .

---

(١) الكليات لأبى البقاء جـ ٤ ص ٩٢ .

(٢ ، ٣) المقابسات ص ٣٧١ .

(٤) المقابسات ص ١٠٦ .

(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص .

(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٢٠٧ .

(١١) المطلق ، المتناهى ، الأزلى :

جاء فى اللسان أطْلَقَه فهو مُطْلَق وطَلِيق : سرّحه[١] وجاء فى الكليات المطلق : هو المتعرى عن الصفة والشرط والاستثناء . وهو الدال على الماهية من غير دلالة على الوحدة والكثرة[٢] فالمطلق إذن فى اللغة هو المتعرى عن كل قيد . والمطلق ما يدل على واحد غير معين[٣] وقال ابن سينا فى كتاب النجاة : فظاهر أن ها هنا علمًا باحثًا عن أمر الموجود المطلق ولواحقه التى له بذاته ومباديه ولأن الإله تعالى على ما اتفقت عليه الآراء كلها ليس مبدأ لموجود معلول دون وجود معلول آخر بل هو مبدأ للوجود المعلول على الإطلاق فلا محالة أن العلم الإلهى هو هذا العلم فهذا العلم يبحث عن الموجود المطلق وينتهى فى التفصيل إلى حيث تبتدئ منه سائر العلوم[٤] المطلق عند ابن سينا هو علم ما بعد الطبيعة أى العلم الإلهى وفى هذا المعنى ترد لفظة المطلق فى نص لأبى حيان يقول فيه : الدهر هو إشارة إلى امتداد وجود ذات من الذوات وهو ينقسم قسمين ، أحدهما مطلق ، والآخر بشرط . من قبل أن الذات أما أن تكون موجودة وجود إطلاق بالحقيقة من غير أن تقترن ببداية ونهاية ، وإما أن تكون متناهية . فالدهر إذا فهم منه امتداد وجود ذات لا ابتداء لها ولا انتهاء ، فهو الدهر المطلق ، وإذا فهم منه امتداد وجود ذات ذى نهاية يكون الدهر الذى بالإضافة والشرط[٥] وفى نص آخر من مقابسات أبى حيان يقول معرفًا القول المطلق : وموردا لفظة المطلق بالمعنى الأخلاقى : يقال ما القول المطلق ؟ الجواب : ما لا يثبت بثباته آخر[٦] وفى نص آخر يقول أبو حيان معرفا معنى العلة الأولى وموردا لفظة المطلق فى تعريفه : يقال ما العلة الأولى ؟ والجواب : مبدع الكل ، متمم الكل ، غير متحرك . وأيضا إنية فقط . وأيضا

---

(١) اللسان حـ ٢ ص ٦٠٧ .
(٢) الكليات حـ ٤ ص ٢٦١ .
(٣) التعريفات للجرجانى ص ٢٣٣ .
(٤) النجاة لابن سينا ص ١٩٨ .
(٥) المقابسات ص ٣٠١ .
(٦) المقابسات ص ٣٧١ .

هو وجود مطلق لكل وجود عقلى وحسى . وأيضا الواحد بالقول المطلق ، لا كالجنس الواحد ولا كالشخص الواحد[1] . يرى أبو حيان أن معايير الأخلاق معايير موضوعية مطلقة ثابتة على الدهر ، لا معايير ذاتية متغيرة . والألفاظ متناهى ومتناهيّة وتناهى ترد عند أبى حيان فى مجال الألفاظ الخاصة بالفلسفة ويذكر أبو حيان الفعل تناهى بالمعنى الفلسفى أيضا .

لفظة مُتناهى من النَّهْىُ خلاف الأمر ،، ونَهاه يَنهاه نَهيًا فانتهى وتناهى : كفّ . وانتهى الشىء وتناهى ونهى : بلغ غايته . وقال بعض أهل اللغة : ذو النُّهْية الذى ينتهى إلى رأيه وعقله فيقول هو نَهِىّ من قوم أنهياء ، ونَهٍ من قوم نَهين ، كل ذلك مُتناهى العقل[2] وقال ابن سينا معرفا المتناهى : من قال إنه متناه عنى إنه محدود فى نفسه[3] والتناهى صفة كل متناه ، ومن جهة التناهى فإنه قد يصح أن يقال للأشياء التى فى طريق التكون إنها تناهت بالفعل لا بحسب النهاية التى لا نهاية بعدها . نقول إن العدد لا يتناهى والحركات لا تتناهى بل لها ضرب من الوجود[4] ولفظة **المُتناهى** ترد فى نصوص أبى حيان بمعنى ما له نهاية وهو المحدود وفى هذا المعنى يقول أبو حيان : وليس متناهٍ ذو أشكال كثيرة إلا وأشكاله منفصلة[5] ، ويقول أيضا فى تعريفه للحق ذاكرًا لفظة متناهى : قيل : فما الحق ؟ قال : صورة العقل مشهود بالحس المتناهى ، مطلوب بكل عناية ، محفوظ بكل رعاية[6] ولفظة **المتناهيّة** منسوبة للمتناهى الذى له نهاية وفى معنى المتناهية قال ابن سينا فى النجاة : يقال قوة متناهيّة وغير متناهيّة لا لأن القوة ذات كميّة فى نفسها البتة[،] لكن لأن القوة مختلفة فى الزيادة والنقصان ، بالإضافة إلى شدة ظهور الفعل

---

(١) المقابسات ص ٣٧٣

(٢) اللسان جـ ٣ ص ٧٣٤ .

(٣) الشفاء لابن سينا جـ ٤ ص ٤٨٥ .

(٤) النجاة لابن سينا ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٥) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٦٠٥ .

(٦) المقابسات ص ٤٧٥ .

عنها ، أو إلى عدة ما يظهر عنها أو إلى مدة بقاء الفعل منها[١] وفى هذا المعنى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة متناهية : إن الحركة يلزمها الخفة والثقل من جهة الإبطاء والسرعة وهى متناهية ، ذات أشكال كثيرة[٢] وترد لفظة متناهية فى نص لأبى حيان يتحدث فيه عن الحياة فيقول فى رسالة الحياة : وأما الموت الطبيعى فهو غير مشكوك فيه ، لأنه حائل الأخلاط ، ذو قوة متناهية والأخلاط مقاديرها محدودة[٣] .

ولفظة متناهية ترد عند أبى حيان فى قوله : إن الذات إما أن تكون موجودة وجود إطلاق بالحقيقة من غير أن تقترن ببداية ونهاية ، وإما أن تكون متناهية[٤] ويقول أبو حيان أيضا موردًا لفظة متناهية : والحركة والسكون والنقطة والوحدة والصورة والمادة لم تختلف فى أعيانها ، بل للقوابل التى هى لها ، وبحسبها انقسمت النعوت عليها ، واشتركت العبارات عنها . ومتى أمكن تسديد اللحظ إلى الغاية العالية ، وإلى النهاية المتناهية ، لم يوجد إلا الحق الذى هو هو ، لا شيء هو به هو ، بل كل شيء هو به ، وهو له[٥] .

ولفظة **التَّناهى** ترد عند أبى حيان فى نص من مقابساته يعرف فيه الحكمة فيقول : هى القيام بحقائق الاعتقاد فى العلم والتناهى فى الاجتهاد ببذل الوسع فى صلاح العمل[٦] ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة التناهى ، وقدرة الإنسان محدودة ، واستطاعته متناهية ، واختياره قصير ، وطاقته معروفة وكل ما جاوز الحد وهذا التناهى فهو الذى يجرى على الإنسان شاء أو أبى[٧] . والفعل تناهى يرد فى أماكن متعددة من كتابات أبى حيان وتناهى الشيء بلغ غايته وفى هذا المعنى يقول أبو حيان ذاكرًا الفعل تناهى : وما رأيت أحدا تناهى فى وصف النثر بجميع ما فيه

---

(١) النجاة ص ١٢٧ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٦٠٥ .
(٣) رسالة الحياة ص ٦٧ .
(٤) المقابسات ص ٣٠١ .
(٥) المقابسات ص ١٠٤ .
(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٤ .
(٧) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١٥١ .

وعليه غير قدامة بن جعفر فى المنزلة الثالثة من كتابه[1] ، وفى الإشارات يقول أبو حيان موردًا الفعل تتناهى : لعلك تؤهل لما هو أرأف منها وآنق ، فما تناهت القدرة ولن تتناهى[2] .

ولفظة **أزلى** منسوبة إلى الأزل وهو القدم ، والأزلى : أعم من القديم ، لأن إعدام الحوادث أزليّة وليست قديمة . وقيل الأزلى : هو الذى لم يكن ليسًا ، والذى لم يكن ليسًا لا علة له فى الوجود[3] .

وقال الجرجانى فى التعريفات : الأزل هو استمرار الوجود فى أزمنة مقدرة غير متناهية فى جانب الماضى كما أن الأبد استمرار الوجود فى أزمنة مقدرة غير متناهية فى جانب المستقبل . والأزلى ما لا يكون مسبوقا بالعدم[4] .

ويعرف أبو حيان لفظة **الأزلى** فى نص له أورده فى المقابسات فقال : يقال ما الأزلى ؟ الجواب : الذى لم يكن ليسا ، وما لم يكن ليسا لا يحتاج فى قوامه إلى غيره ، والذى لا يحتاج فى قوامه إلى غيره لا علة له[5] .

(١٢) الواجب ، الممتنع ، الممكن :

جاء فى اللسان : وَجَبَ الشيء يجب وجُوبًا إذا ثبت ، ولزم . والواجب ، هو كل ما يعاقب على تركه[6] والواجب فى عرف الفقهاء على اختلاف العبارات فى تفسيره هو ما ثبت بدليل فيه شبهة متنا[7] كخبر الواحد ، والعام المخصوص والآية المؤولة[8] ويستحق تارك الواجب الذم فى العاجل والعقاب فى الآجل[9] ،

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٤٥ .
(٢) الإشارات الإلهية ص ٢٢٢ .
(٣) اللسان جـ ١ ص ١١٥ .
(٤) التعريفات للجرجانى ص ١٦ .
(٥) المقابسات ص ٣٧٢ .
(٦) اللسان جـ ٣ ص ٨٧٨ .
(٧) الكليات لأبى البقاء جـ ٣ ص ٣٤١ .
(٨) التعريفات ص ٢٦٩ .
(٩) كشاف اصطلاحات الفنون جـ ٢ ص ١٤٤٦ طبعة كلكتا .

والممتنع جاء من المنع خلاف الإعطاء وهو تحجير الشيء . ومانعته الشيء مُمانعة ومَنُع الشيء مناعة فهو منيع : اعتز وتعسّر . والمنيع أيضا الممتنع[١] ، والواجب والممتنع بينهما غاية الخلاف مع اتفاقهما فى معنى الضرورة فذاك ضرورى فى الوجود وذا ضرورى فى العدم[٢] أما الممكن فيقول من أمكننى الأمر يمكننى فهو مُمكِن[٣] .

عرف ابن سينا فى كتاباته الألفاظ واجب ، وممتنع ، وممكن فقال : فى كتاب النجاة فى القسم الذى خصصه للمنطق : الجهات ثلاثة واجب ويدل على دوام الوجود وممتنع ويدل على دوام العدم ، وممكن ويدل على لا دوام وجود ولا عدم[٤] وقال ابن سينا فى الشفاء : إن الممكن عند العامة مطابق لمعنى غير الممتنع ، وعند الخاصة لغير الضرورى[٥] وأما الممكن العامى فهو ما ليس بممتنع . وتصور الممتنع إنما هو من حيث هو واجب أن لا يوجد ، وتصور الواجب هو من حيث هو موجود يستحق الدوام[٦] .

وقال الجرجانى فى تعريفاته للممتنع والممكن : الممتنع بالذات ما يقتضى لذاته عدمه ، والممكن بالذات ما يقتضى لذاته أن لا يقتضى شيئا من الوجود والعدم كالعالم[٧] . وهذه الألفاظ يتناولها أبو حيان فى كتاباته فيقول فى مقابساته معرفا لفظة **الواجب** : هو الذى بالفعل فيما وصف به أبدا[٨] ويعرف **الممكن** فيقول : هو بالقوة تارة ، وبالفعل تارة ، فيما يوصف به أبدا[٩] ويقول شارحًا معنى الممتنع : يقال ما الممتنع ؟ الجواب : الذى ليس بالفعل ، ولا بالقوة ، فيما

---

(١) النسان حـ ٣ ص ٥٣٤ .
(٢) المحاد ص ٢٠ .
(٣) النسان جـ ٣ ص ٥١٨ .
(٤) المجاة لابن سينا ص ١٧ .
(٥ ، ٦) الشفاء لابن سينا (حـ ٤ المنطق) ص ١٦٢ .
(٧) التعريفات للجرجانى ص ٣٤٩ .
(٨) المقانسات ص ٣٧٠ .
(٩) المقابسات ص ٣٧١ .

وصف به أبدا[1] ، ويعرف أبو حيان هذه الألفاظ فى نصوص من كتاب الإمتاع فيقول : والواجب لا عَرَض له لأنه حدّ واحد وله نصيب من الوحدة بدليل أنه لا تغيره ولا حيلولة لا بالزمان ولا بالمكان ولا بالحدثان ولا بالطبيعة ولا بالوهم ولا بالعقل ، وصورة الواجب لا يَحْدُسُها الظنّ ، ولا يتحكم فيها تجويز ، ولا يتسلط عليها دامغ ولا ناسخ ، وهذا الحكم يطرد على الممتنع ، لأنه فى مقابلته على الضد ، أعنى أنه لا بد له ، فيكون له عَرَض ، والعَرض كلُّه للممكن بالنعت الذى من الكثرة والقلة والمساواة[2] ، ويقول أبو حيان فى مقابسته الرابعة والأربعين موردًا ما قاله الفلاسفة عن الواجب والممكن والممتنع : إنك إذا قلبت هذه الألفاظ الثلاثة ، وفحصت عناصرها ، ورتبت معنى كل اسم منها ، ومن جهة وزنه ومرتبته وصنعته وخلقته ، وجدت وجوهها المختلفة دالة على معانيها المختلفة ، وذلك أنك إذا قلت هذا واجب ، فهذا الوزن وزن فاعل من جهة اللفظ . والممتنع ، إذا قلبت معناه من ناحية وزنه ، وجدت فيه معنى من معانى الانفعال ونظائره فالبنية تشهد بذلك[3] وخرج حكم الممكن من الحكم الذى للواجب ، وللممتنع ، لأن الممكن كأنه طالب لمكانة ، والداعى إلى نفسه ليكون إمكانًا ، وهذا كله لقلقه فى نصابه ، لأنه عادم لحدّه وطبيعته[4] ويقول أبو حيان فى نص آخر من مقابسته هذه : ومما جرى بين هؤلاء الأفاضل يقصد الفلاسفة - فى هذا الفصل مما يدخل فى حاشية هذا الكلام ، الذى قد أعجزنى عن أدائه على وجهه بالقسطاس المستقيم سوء التأنى فيما يحقق المراد ، قول آخر : إن الواجب واجب أن يكون واجبًا ، والممكن واجب أن يكون ممكنًا ، والممتنع واجب أن يكون ممتنعًا . فالوجوب صورة الجميع ، لأنه نعت العلة الأولى ، وإما الإمكان والامتناع فإنه يشار إليهما بعد الاعتراف بالوجوب الذى قد نفذ سلطانه

---

(1) المقابسات ص ٣٧١ .
(2) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٢١٧ .
(3) المقابسات ص ١٨٢ .
(4) المقابسات ص ١٨٤ .

فيهما[1] والواجب لطبيعته لم ينقسم ، لأن الوحدة تامة فيه ، وكذلك الممتنع لأنه يكون فى الطرف الآخر يعطى صورة الانتفاء من نفسه توفيرًا لحد الواجب عليه ، والممكن لما خلا من طبيعته تقله ، انقسم ، وهو قوة مأخوذة فى الوهم من حقيقة الواجب ولا خير أن يختصر لهذه الجملة مثال : واجب أن يكون الفاعل قبل المفعول ، وممتنع أن يكون المفعول قبل الفاعل ، وممكن أن لا يكون فاعلان معا فى مكان أو منفعلان معا فى زمان[2] ويقول أبو حيان ليس لشىء وجود ، ولا وجوب إلا للبارى الحق . فلا حقيقة إذن لشىء إلّا له ، لأنه هو الواجب وكل ما عداه فإنّما هو به واجب ، وبه ممتنع ، وبه ممكن[3] وفى ختام مقابسته يقول أبو حيان هذا مبلغ حاصلى من أفواه هؤلاء المشائخ ،وجل النظر فى هذه المسألة على ما نفرشت من الفلسفة الداخلة ، أعنى الإلاهية المحضة[4] .

ويقول أبو حيان فى نص له من بصائره ذاكرًا الألفاظ **واجب** ، **وممتنع وممكن** : إن الأمور ثلاثة : واجب ، وممتنع ، وهما الطرفان ، وممكن بينهما ، وهذا الموضع صحيح وقصرتها على ما انقسمت عليه حتى لا ينقلب الواجب عن حد الوجوب إلى حد الإمكان ، وإنك متى فرضت الواجب واجبًا لم تقسمه إلى واجب دون واجب[5] ويقول أبو حيان فى نصه هذا ذاكرا اللفظتين **الوجوب والامتناع** : وترد اللفظتان الوجوب والامتناع فى نص لأبى حيان من كتابه البصائر والذخائر يقول فيه معرفًا لفظة الممكن : فقد وضح لك أن الممكن موقوف على توهمك وحرصك ، وأنه لم يستقل بنفسه ، ولم يتحيز بطبيعته ، ولم ينفرد بقوامه ، ولسنا نريد بالممتنع عينا شأنها الامتناع ، فإنه لو كان كذلك كان لا يبعد أن ينقلب ما شأنه الامتناع مرة إلى ما شأنه الوجوب مرات[6] .

(١ ، ٢) المقابسات ص ١٨٥ .
(٣) المقابسات ص ١٨٧ .
(٤) المقابسات ص ١٨٧ .
(٥) المقابسات ص ١٨٧ .
(٦) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ١٥٣ .

مما تقدم نجد أن الألفاظ واجب وممتنع وممكن وردت فى كتابات أبى حيان بالمعنى الاصطلاحى الفلسفى ، وقد بينت نصوص أبى حيان المعنى الاصطلاحى لهذه الألفاظ ، وهذا المعنى لم يقف عنده صاحب اللسان وأورد المعنى اللغوى العام لهذه المجموعة من الألفاظ ، فهى جديدة فى معناها عند أبى حيان نتيجة لكثرة شيوعها فى عصره ذلك العصر الذى ازدهر فيه التفكير الفلسفى المنطقى ونتائج هذا الازدهار دلت عليها كتابات أبى حيان فى تناولها لهذه الألفاظ الفلسفية .

وفى التغير الدلالى نجد أن الألفاظ واجب وممتنع وممكن قد تخصصت دلالتها عندما استخدمت كمصطلحات خاصة بالفلسفة وهذا التخصص الدلالى وضحه أبو حيان فى نصوص كثيرة من كتاباته المتضمنة لهذه المصطلحات . ومن الملاحظ أن ظاهرة التضاد واضحة بين الواجب والممتنع .

ثانيا : مصطلحات المنطق :

المنطق قديم العهد لأنه أصيل فى الإنسان . أما علم المنطق فقد دونه وخرج فنونه وأقسامه الفيلسوف أرسطو[1] وهو رجل من اليونان من أهل اسطاخرا ، وهو المقدم المشهور والمعلم الأول ، والحكيم المطلق عندهم ، وإنما سموه المعلم الأول ، لأنه واضع التعاليم المنطقية ومخرجها من القول إلى الفعل[2] .

وعن ابتداء دخول المنطق فى ملة الإسلام يقول السيوطى عن الشيخ نصر المقدسى قال : سمعت أبا محمد عبد الله بن أبى زيد الفقيه المالكى بالقيروان يقول : رحم الله بنى أمية لم يكن فيهم قط خليفة ابتدع فى الإسلام بدعة ، فلما زالت الخلافة عنهم ودارت إلى بنى العباس فأول الحوادث التى أحدثوها إخراج كتب

---

(١) الملل والنحل التهرستانى جـ ٣ ص ١٧٨ .

(٢) مفتاح السعادة طاش كبرى زاده حـ ١ ص ٢٩٤ .

اليونانية إلى أرض الإسلام فترجمت بالعربية وشاعت فى أيدى المسلمين ، وقوى انتشارها فى زمن المأمون لما أثاره من البدع وحث عليه من الاشتغال بعلوم الأوائل وإخماد السنة[١] . ويعتبر المنطق عند المسلمين المدخل إلى علم الكلام والفلسفة وموضوعاته أو قوانينه المعقولات من حيث تدل عليها الألفاظ . والألفاظ من حيث هى دالة على المعقولات لأن الهدف منه تصحيح أفكارنا وأفكار غيرنا[٢] . كان للمنطق سلطان كبير على العقول فى العصر العباسى ، وكان من جراء ذلك أن اصطبغت طريقة الجدل والبحث والتعبير والتدليل صبغة غير التى كانت تعرف من قبل حتى أصبح الفرق كبيرًا بين أسلوب القرآن الكريم وأسلوب المتكلمين ، إذ إن أساليب المتكلمين أصبحت جارية على أساليب منطق أرسطو وكذلك تعبيرات الفقهاء ، تغيرت تغيرًا كبيرًا فنجد أن قواعد الجدل التى وضعها أرسطو ، وقواعد البرهان مطبقة فى دقة تامة فمقدمة صغرى ، ومقدمة كبرى ، ونتيجة[٣] .

أما أهل العقول المتزنة فإنهم لزموا مذهب أرسطو فى الأمور التى وافقت آراءهم الخاصة أو تمشت مع عقيدة أهل السنة ، وأخذ أغلبهم بمذهب ابن سينا[٤] الذى يقول : المراد من المنطق أن يكون الإنسان آلة قانونية تعصمه مراعاتها من أن يضل فى فكره[٥] .

وفى القرن الرابع الهجرى ترى العلماء يرتبون كتبهم ترتيبًا منطقيًا وعنوا بمنطق أرسطو عناية فائقة حتى نجد أن عالما كالخُوارزمى جعل للمنطق مكانًا فى كتابه الجامع المسمى « مفاتيح العلوم » أكبر مما جعل للطبيعة أو الإلهيات فجعل

---

(١) صون المنطق والكلام للسيوطى ص ٩ ، ص ١٢ .

(٢) إحصاء العلوم ص ٧٤ . (٣) ضحى الإسلام أحمد أمين جـ ١ ص ٢٧٦ .

(٤) تاريخ الفلسفة فى الإسلام دى بور ترجمة أبو ريدة ص ٣٥٩ .

(٥) الإشارات والتنبيهات ابن سينا جـ ١ ص ١٦٧ .

للمنطق تسعة فصول[1] .

ومما يلاحظ فى العصر العباسى أو بالتحديد فى القرن الرابع الهجرى أن العلماء أصبحوا يستخدمون الأساليب الفلسفية وما يستتبعها من ألفاظ وتعبيرات مأخوذة من الفلسفة اليونانية وكتابات التوحيدى خير شاهد على ذلك ففى هذه الكتابات يطلعنا أبو حيان على ما كان يدور بين الفلاسفة والعلماء فى بغداد وخاصة المناظرة الكبرى التى دارت بين أبى سعيد السيرافى النحوى وبين متى بن يونس القنائى فى المنطق اليونانى والنحو العربى[2] ويتحدث أبو حيان فى كتاباته عن العديد من المسائل الخاصة بالمنطق وترد فى أحاديثه الألفاظ والتعابير المنطقية التى سنتعرض لها لاحقًا .

(١) المنطق ، علم المنطق ، المنطقى ، صاحب المنطق ، المنطقية :

نَطَق الناطِق يَنْطِق نُطْقًا : تكلم . والمَنطِق : الكلام والمِنْطِيق : البليغ ، وأَنْطَقَه الله واستنطقه أى كلمه وناطقه . وصوت كل شيء منطقه ونطقه[3] والنطق فعل من أفعال النفس الإنسانية ، وهذا الفعل نوعان : فكرى ، ولفظى ، فالنطق اللفظى هو أمر جسمانى محسوس ، وأن النظر فى هذا المَنْطِق والبحث عنه والكلام على كيفية تصاريفه وما يدل عليه من المعانى ، يسمى علم المنطق اللغوى[4] وعرف المَنْطِق بأنه علم يتعلم فيه ضروب الانتقالات من أمور حاصلة فى ذهن الإنسان إلى أمور مستحصلة[5] وهذا العلم يسمى باليونانية لوغيا وبالسريانية مليلوثا ، وبالعربية المَنْطِق[6] وهناك تعريفات أخرى متشابهة تتضمن

---

(١) مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٨٤ .
(٢) المقابسات ص ١١٦ وانظر الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٠٨ .
(٣) اللسان حـ ٣ ص ٦٦٢ .
(٤) رسائل إخوان الصفا جـ ١ ص ٣٩٢ .
(٥) الإشارات والتنبيهات لابن سينا جـ ١ ص ١٧٧ .
(٦) مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٨٥ .

معنى مراعاة الذهن عن الخطأ[1] وعلم المنطق سماه العرب بعلم الميزان[2] ويوافق الغزالى الفلاسفة ، فى أن ما يسمى المنطق أو كتاب النظر أو كتاب الجدل أو مدارك العقول أو معيار العلم أمر ضرورى لا غنى عن أحكامه فهو كالآلة ، يتوقف عليها فهم الفلسفة عند الفلاسفة[3] .

أما التوحيد فله تعريفات متناثرة بين طيات كتاباته يخص بها لفظة **المَنْطِق وعلم المنطق** . وكان أوضح وأشمل تعريف للفظة المنطق هو ما ذكره أبو حيان فى رسالته المسماة فى ثمرات العلوم فقال : أنا أصف لك المنطق وصفاً عامًّا فهو اعتبار معانى الكلام فى اعتدالها وانحرافها ، واختلافها وائتلافها ، وإبهامها وإيضاحها ، وإغماضها وإفصاحها ، وتميزها والتباسها ، واطرادها وانعكاسها واستمرارها واستقرارها ، وبه تفصل الحجة من الشبهة وتنفى الشبهة عن الحجة وتعرف حيلة المغالط ونصيحة المحقق . وهو آلة عند أربابه كالميزان يزنون به كل مختلف فيه ومتفق عليه وليس فيه كفر ولا جهل ولا دين ولا مذهب ولا نحلة ولا مقالة وإنما هو تصفية المعانى وتنقية الألفاظ فمن غمره الشك فى هذا القول واعتراه الريب عند هذا الوصف فليتقدم ناظِرًا فيه متصفحا لأوائله وثوانيه ، فإنه يجد بيان هذا القول حاضرًا والشاهد فيه ظاهرًا ، وقد عابه ناس ولكن كانوا عامة وأشباه عامة فأما الخاصة وأشباه الخاصة فلا يعيبونه ولا يجيزون عيبه . والصور الماثلة

---

(١) من هذه التعريفات : المنطق آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ فى الفكر فهو علم عملى آلى كما أن الحكمة علم نظرى غير آلى فالآلة بمنزلة الجنس والقانونية يخرج الآلات الجزئية لأرباب الصنائع وقوله تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ فى الفكر يخرج العلوم القانونية التي لا تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ فى الفكر بل فى المقال كالعلوم العربية . التعريفات ص ٢٥١ وعلم المنطق هو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد فى الحدود المعرفة للماهيات والحجج المفيدة للتصديقات المقدمة ص ٤٨٩ وموضوعه المعقولات الثانية من حيث الإيصال إلى المجهول أو النفع فيه أبجد العلوم حـ ٢ ص ٦٤٨ .

(٢) مفتاح السعادة طاش كبرى راده جـ ١ ص ٢٩٥ .

(٣) معيار العلم للغزالى ص ١٩ .

للعين والأحوال الجارية فى العالم والمعانى القائمة بالعقل والأمور الثابتة فى النفس هى كلها لا تخرج عن هذا الاعتبار المنطوى على الإضافات والتخصيصات والتعميمات وهذا لأن العالم منوط بعضه ببعض ومنسوب بعضه إلى بعض ومقيس بعضه على بعض[1] وقال فى مقابساته معرفا المَنْطِق : هو صناعة أدوية يتميز بها الصدق والكذب فى الأقوال والحق والباطل فى الاعتقادات ، والخير والشر فى الأحوال[2] ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة المنطق بالمعنى اللغوى نقلًا عن أستاذه أبى سليمان المنطقى : قال أفلاطون : من ملك منطقه سمى حكيما ، ومن ملك غضبه سمى شجاعا ، ومن ملك شهوته سمى عفيفا[3] .

والحديث عن المنطق بين أبى حيان وأستاذه أبى سليمان المنطقى حديث طويل ومتشعب ولا يمكن ذكره هنا لضيق المجال . هذا وكتاب المقابسات ملىء بأحاديث أبى سليمان التى تتناول عددًا كبيرًا من قضايا الفلسفة والمنطق . وفى كتاب المقابسات هناك جملة من القضايا الأدبية التى لها علاقة بالأبحاث المنطقية وهذا ما صرح به أبو حيان فى ختام المقابسة الرابعة والعشرين فقال : تابعت حاطك الله ، بين هذه المقابسات الثلاث – يقصد المقابسات السابقة على المقابسة المذكورة – لأنها متواخية فى بابها ، أعنى أنها فى حديث اللغة والنحو ، والمنطق والنظر ، وبهذا يتبين لك أن البحث عن المنطق قد يرمى بك إلى جانب النحو ، والبحث عن النحو قد يرمى بك إلى جانب المنطق . ولولا أن الكمال غير مستطاع ، لكان يجب أن يكون المنطقى نحويًا ، والنحوى منطقيًا ، خاصة واللغة عربية ، والمنطق مترجم بها ، ومفهوم عنها ، والخلل على قدر ذلك قد دخل فيها بنقل بعد نقل وشرح بعد شرح[4] .

---

(١) رسالة فى ثمرات العلوم ص ١٩٤ .
(٢) المقابسات ص ٣٦٦ .
(٣) المقابسات ص ٢٨٣ .
(٤) المقابسات ص ١٣٢ .

وعن المنطق وقضاياه المتنوعة نقل أبو حيان ما دار فى مجالس الإمتاع وما قاله أعلام عصره من آراء تعالج هذه القضايا المنطقية وأخص بالذكر المجلس الذى انعقد سنة ست وعشرين وثلاثمائة ودار الحديث فيه بين أبى سعيد السيرافى النحوى وبين متى ابن يونس القنائى فى المنطق اليونانى والنحو العربى ، وكانت مناظرة كبرى احتشد لها عدد كبير من العلماء يذكرهم التوحيدى فردًا فردًا نقلًا عن على بن عيسى النحوى الشيخ الصالح[1] . وقد روى المناظرة مشروحة .

يقول أبو حيان : لما انعقد المجلس سنة ست وعشرين وثلاثمائة قال الوزير ابن الفرات للجماعة – وفيهم الخالدى وابن الأخشاد والكتبى وابن أبى بشر وابن رباح وابن كعب وأبو عمر وقدامة بن جعفر والزهرى وعلى بن عيسى الجراح وابن فراس وابن رشيد وابن عبد العزيز الهاشمى وابن يحيى العلوى ورسول ابن طنج من مصر والمرزبانى صاحب آل سامان : ألا ينتدب منكم إنسان لمناظرة متى فى حديث المَنْطِق ، فإنه يقول : لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل والصدق من الكذب والخير من الشر والحجة من الشبهة والشك من اليقين إلّا بما حويناه من المنطق وملكناه من القيام به[2] . وكان أبو سعيد السيرافى يرى أن هذه الأمور تعرف بالعقل الفطرى من غير حاجة إلى المنطق ، لأن فاسد المعنى من صالحه يعرف بالعقل إذا كنا نبحث بالعقل[3] .

وذكر السيرافى فى مناظرته هذه مسائل كثيرة ليس المجال هنا لسردها وأذكر منها نصوصًا تناول فيها المَنْطِق من بعض جوانبه كقوله لمتى : إذا كان المنطق وضعه رجل من يونان على لغة أهلها واصطلاحهم عليها وما يتعارفونه بها من رسومها وصفاتها ، فمن أين يلزم الترك والهند والفرس والعرب أن ينظروا فيه ، ويتخذوه قاضيًا وحكمًا لهم وعليهم[4] فيجيبه متى : المنطق بأنه بحث فى الأعراض

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٠٨ إلى ص ١١٨ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٠٨ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٠٩ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١١٠ .

المعقولة والمعانى المدركة ، والناس فى المعقولات سواء[1] ، ثم يسأل السيرافى متى فى مناقشته فيقول : وليس واضع المنطق يونان بأسرها ، إنما هو رجل منهم ، وقد أخذ عمن قبله كما أخذ عنه من بعده ، وليس هو حجة على هذا الخلق الكثير ، وله مخالفون منهم ومن غيرهم ، ومع هذا فالاختلاف فى الرأى والنظر والبحث والمسألة والجواب سنخ وطبيعة ، فكيف يجوز أن يأتى رجل بشىء يرفع به هذا الخلاف ، أو يحلحله أو يؤثر فيه ؟ هيهات هذا محال ، ولقد بقى العالم بعد منطقه على ما كان عليه قبل منطقه[2] ، وتتوالى الأسئلة مثل قول السيرافى : أسألك عن حرف واحد ، وهو دائر فى كلام العرب ، ومعانيه متميزة عند أهل العقل ، فاستخرج أنت معانيه من ناحية منطق أرسطاطاليس الذى تدل به وتباهى بتفخيمه ، وهو الواو ما أحكامه ؟ ، فبهت متى وقال : هذا نَحو والنَّحْو لم أنظر فيه لأنه لا حاجة بالمنطقىّ إليه ، وبالنحوىّ حاجة شديدة إلى المنطق لأن المَنْطِق يبحث عن المعنى والنَّحو يبحث عن اللفظ[3] فيرد عليه أبو سعيد : أخطأت لأن الكَلام والنطْق واللُّغة واللَّفْظ والإفصاح والإعراب والإبانة والحديث والأخبار كلها من وادٍ واحد بالمُشاكلة والمُماثلة[4] ، ويقول أبو سعيد : والنَّحو مَنْطِق ولكنه مملوخ من العربية والمنطق نحو ، ولكنه مفهوم باللغة ، وإنما الخلاف بين اللفظ والمعنى ، أن اللفظ طبيعى والمعنى عقلى[5] ، وتحولت المناقشة إلى مسائل فرعية لا نطيل بها ..

وعلم **المنطق** يعرفه أبو حيان فى قوله : ولولا أن النقص من سوس هذا العالم ونوسه ، لكان علم المنطق تهيئة الطبيعة بالعربية ، أو كانت الطبيعة تسوق العربية ، أو كانت الطبيعة تسوق العربية إلى طباع اليونانية فكانت المعانى طباقًا

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١١١ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١١٣ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١١٤ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١١٤ .

(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١١٥ .

للألفاظ ، والألفاظ طباقًا للمعانى[١] .

ويذكر أبو حيان علم المنطق فى الإمتاع فى نصٍّ ورد عند أبى سعيد السيراف فى مناقشته مع متى : فقال : أنت إذًا لست تدعونا إلى علم المنطق ، إنما تدعونا إلى تعلم اللغة اليونانية وأنت لا تعرف لغة يونان ، على أنك تنقل من السريانية ، فما تقول فى معانٍ متحولة بالنقل من لغة يونان إلى لغة أخرى سريانية ، ثم من هذه إلى أخرى عربية[٢] ؟ .

وصاحب المنطق يذكره أبو حيان فى نصوص كثيرة من كتاباته أذكر بعضًا من هذه النصوص كقول أبى حيان فى نص من كتاب البصائر والذخائر وقال صاحب المنطق : العاقل بخشونة العيش مع العقلاء آنس منه بلين العيش مع السفهاء[٣] وكقوله فى البصائر أيضا ذاكرًا صاحب المنطق : وقال صاحب المنطق : الأفلاك حصن للعاقل من الرذائل[٤] وقول آخر فى البصائر أيضا : لأن صاحب المنطق قديم ، ومن عزا إليه صواب قوله حديث[٥] وكقوله فى الإمتاع والمؤانسة يذكر صاحب المنطق : وصاحب المنطق يرى أن الطبيب والمنجم والمهندس وكل من فاه بلفظ وأم غرضا فقراء إليه[٦] .

ولفظة مَنْطِقىّ هو المنسوب إلى المنطق ، وهو المشتغل بالمنطق ، ويطلق كذلك على من يتقيد بأحكام المنطق فى تفكيره واستدلاله[٧] ، وترد هذه اللفظة بمعانيها المتعددة فى كتابات أبى حيان فيقول موردًا لفظة منطقى — وهو المنسوب إلى المنطق ، وفى هذا المعنى يقول أبو حيان فى إحدى مقابساته ذاكرًا لفظة **المَنْطقىّ** : هو بحث عما تتصور غايته ، ويطمأن إليه ، تارة بالبرهان المنطقى ، وتارة

---

(١) المقابسات ص ٣٢٨ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١١١ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١٤٧ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١٠٧ .
(٥) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١٢٤ .
(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٨ .
(٧) المعجم الفلسفى جـ ٢ ص ٤٣١ .

بالدليل العقلى ، وتارة بالإيماء الحسى ، والأمر إلا هى[1] . وفى كتاب الإمتاع والمؤانسة ترد لفظة المنطقى فى أماكن كثيرة ، وذلك فى مثل قول أبى حيان : وأنت إذا قلت لإنسان : كن منطقيًّا فإنما تريد : كن عقليًّا أو عاقلًا أو اعقل ما تقول لأن أصحابك يزعمون أن النطق هو العقل ، وهذا قول مدخول لأن النطق على وجوه[2] . وبمعنى المشتغل بالمنطق ترد لفظة المنطقىّ فى نص لأبى حيان يقول فيه : ألا ترى أن المنطقىّ يقول : ينحرق وهو ينفعل ، والنحوى : يقول يحترق وهو يفتعل ؟ لأن نظر المنطقى فيما حلاه العقل ، ونظر النحوى فيما حلاه اللفظ[3] وهناك نصوص كثيرة جدًّا فى كتاب الإمتاع وكتاب المقابسات ترد فيها لفظة منطقى بمعنى المشتغل بالمنطق ومن يتقيد بأحكامه . وفى هذا المعنى يذكر أبو حيان لفظة « منطقى » فى وصف أستاذه أبى سليمان : قال الوزير : ما عجبى من جميع هذا الكلام إلا من أبى سليمان فى هذا الاستحقار والتغضب والاحتشاد والتعصب ، وهو رجل يعرف بالمنطقىّ وهو من غلمان يحيى بن عدى النصرانى[4] . ويذكر لفظة المنطقى لقبا لأحد أعلام عصره فيقول : قال أرسطاليس ، فيما ترجم من كلامه عيسى بن زرعة المنطقىّ البغدادى أبو على ، الإنسانية أفق ، والإنسان متحرك إلى أفقه بالطبع[5] ولفظة الجمع **منطقيون** ترد فى نصوص عديدة من كتابات أبى حيان فيقول فى بصائره : قال المنطقيون : ليس ما يزعم أنه مَنْطِق ، منطقًا عندنا[6] . ويذكر أبو حيان لفظة المنطقيين فيقول : وأعنى بالجنس والنوع الطبيعيين لا المنطقيين[7] ، ويقول أيضًا : فإذن بالضرورة

---

(١) المقابسات ص ١١٧ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٢٤ .
(٣) المقابسات ص ١٢١ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٨ . وانظر جـ١ ص٢٩ .
(٥) المقابسات ص ١٦٤ .
(٦) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١٧١ .
(٧) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٨٦ .

والواجب ينبغى أن تخطو على آثار المنطقيين والطبيعيين والمهندسين[1] ، ويقول أبو حيان فى وصفه لطريقة المنطقيين فى جدلهم : وإنما دخل العجب على المنطقيين لظنهم أن المعانى لا تعرف ولا تستوضح إلا بطريقهم ونظرهم وتكلفهم[2] .

ولفظة **المَنْطِقيّة** من الألفاظ التى تتعلق بموضوعات المنطق وترد هذه اللفظة عند أبى حيان فى نص له من كتاب الإمتاع والمؤانسة يقول فيه : فأما الكليات المَنْطِقيّة فإن طبيعتها هى القوة القياسية المستتبة لها عند تكوّن الحسّ على واحد منها[3] . وترد أيضا لفظة منطقيّة فى قول أبى حيان : وما المعانى المنطقيّة التى إنَّما تطيف بالإضافة ، وكيف حصل معنى به عم الحيوان الذى هو جنس للثور والفرس والإنسان[4] ويقول أبو حيان فى رسالة الحياة موردًا لفظة منطقية : والمعانى قد تنتظم فى أماكن وأسماؤها منتشرة ولهذا احتيج إلى الآلة المنطقية والأمثلة القياسية فى الأمور الجزئية[5] .

مما تقدم يتضح أن أبا حيان استعمل لفظة المنطق فى كتاباته بالمعنى اللغوى العام ، وهذا قليل الورود عنده ، وبالمعنى الاصطلاحى الخاص وهذا المعنى هو الأكثر ورودًا عند أبى حيان . وقد أهمل اللسان ذكر هذا المعنى الاصطلاحى الفلسفى .

وهناك عدد من الألفاظ لم ترد فى اللسان عند تناوله للمادة (ن ط ق) وقد كثر ورودها فى كتابات أبى حيان مثل المنطقىّ ، والمنطقيّة نسبة إلى المنطق وأيضا صيغة الجمع منطقيين وردت فى كتابات أبى حيان . فهذه الألفاظ تعتبر اشتقاقات جديدة فى مبناها ومعناها عند أبى حيان نتيجة لكثرة استخدامها فى عصره وذكر أبو حيان فى كتاباته تعبيرات سياقية خاصة بالمنطق مثل **علم المنطق، وصاحب المنطق.**

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٠٧ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٢١ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٨٧ .
(٤) المقابسات ص ٣٨١ .
(٥) رسالة الحياة ص ٦٧ .

أما فى مجالات التغير الدلالى فيتضح لنا أن لفظة المَنْطِق من الألفاظ العامة التى تخصصت دلالتها فى العصر العباسى بعد أن استخدمت كمصطلح فلسفى . ومن معنى الكلام اتخذ المنطق اصطلاحا خاصا فى الفلسفة .

(٢) الحد ، الحدود :

الحَدُّ فى اللغة : المَنْع والفَصْل بين الشيئين لئلا يختلط أحدهما بالآخر ، وجمعه حدود ، ومنتهى كل شىء حَدّه . وحَدّ كل شيء : منتهاه لأنه يرده ويمنعه عن التمادى . والحَدّ فى الشرع هى العقوبة ، ومنه أقمت عليه الحد وحدود الله : الأشياء التى بيّن تحريمها وتحليلها ، فكأن حدود الشرع فصلت بين الحلال والحرام[١] والحد فى الاصطلاح قول يشتمل على ما به الاشتراك وعلى ما به الامتياز . والحد فى اصطلاح الفلاسفة هو القول الدال على ماهية الشيء[٢] والحد أيضا النهاية التى ينتهى إليها تمام المعنى ، وما يوصل إلى التصور المطلوب . وحَدّ الشيء : هو الوصف المحيط بمعناه ، المميز له من غيره[٣] والحَدّ فى اصطلاح المنطقيين يطلق فى باب القياس على ما ينحل إليه مقدمة القياس كالموضوع والمحمول يسمى حدًّا لأنه طرف النسبة تشبيهًا له بالحد الذى هو فى كتب الرياضيين والحَدّ عند المهندسين نهاية المقدار ويسمى طرفًا[٤] وعرف أبو حيان التوحيدى **الحَدّ** فى كتاباته فقال فى نصٍّ له من بصائره : الحَدّ بالحاء هو امتناعُه ومنعُه ومنه سُمِيّ البوّاب : حدادًا لأنه يمنع ، كذا قال ثعلب ، ومنه قيل حدود الله عز وجل أى محَارمُه ، كأنها مانِعَة من التعدى ، ومنه حدود الدار كأنها حائزة لما أحاطت به ، ومانعة من أنفسها ما ليس فيها ، والحَدَّاد البحر كأنه مانع

---

(١) اللسان جـ ١ ص ٥٨٣ .

(٢) التعريفات للجرجانى ص ٨٧ .

(٣) الكليات لأبى البقاء جـ ٢ ص ٢٣٨ .

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون جـ ٢ ص ٢٨٥ .

من الطريق ، والحُدودُ : المُصورُ ، والمِصْرُ : الحاجز[1] .

وقال فى مقابساته معرفا الحد : يقال ما الحَدّ ؟ الجواب : هو قول دال على طبيعة الشيء الموضوع من غير مركب من صفات عرضية أكثر من واحد[2] وقال أيضًا ذاكرًا المعنى الفلسفى للحدّ : من الصورة والهيولى يكون الحد ، ومن الصورة والعلة يكون الإيضاح[3] ويقول أبو حيان فى توضيحه للفظ الحد : قال بعض المتكلمين : حدّ الشيء حقيقته ، ومعناه أنه ليس يدخل فيه ما ليس منه ، ولا يخرج ما هو فيه[4] .

وعرف أبو حيان معنى الحدّ عند المنطقيين وأورد مثالًا على ذلك نقلًا عن أستاذه أبى سليمان المنطقى شيخ أهل المنطق فى عصره فقال فى المقابسة الثامنة والسبعين : أملى على أبو سليمان فيما أملى : السلب هو نفى شيء من شيء . والإيجاب هو إثبات شيء لشيء. والحد ليس فيه حكم لإثبات شيء لشيء، ونفى شيء عن شيء، لكنه قول دال على أمر دلالة مفصلة مثال ذلك النقطة، فإنه سواء قلت شيء ما لا جزء له، أو قلت نقطة، من قبل إن قولى نقطة ليس فيه حكم، كذلك قولى شيء ما لا جزء له لا حكم فيه. فأما إن جعلت أحدهما موضوعا، والآخر محمولا حتى تقول النقطة هى شيء ما لا جزء له، يصير حينئذ الحد محمولا على النقطة، وتختلف دلالته عما كانت عليه[5] . وللحد بحسب هذا التعريف معنى مجازى، وهو دلالته على النقطة التى ينتهى عندها إمكان الفعل. وبهذا المعنى الفلسفى ترد لفظة الحد فى نصوص عديدة من كتابات أبى حيان وخاصة ما أورده أبو حيان فى المقابسات وفيها يقول ذاكرًا لفظة الحد بمعنى تعريف الشيء بالذات : فأما الإنسان فلا شرف له أيضا على إنسان آخر من جهة حده الذى هو الحياة

---

(١) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٥٠ .
(٢) المقابسات ص ٣٦٩ .
(٣) المقابسات ص ٢٨٤ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٥١ .
(٥) المقابسات ص ٣١٠ .

والنطق والموت ، لأن الحد فى كل واحد واحد[1] ، ويقول أيضا بهذا المعنى للفظة الحد : لأن الإنسان اسم للحد المعروف ، أعنى الحد الناطق المائت ، فإذا ارتفع الحد ارتفع الاسم[2] . وينقسم الحد إلى نوع آخر من القسمة إلى حدّ بحسب الاسم ويسمى الحدّ اللفظى أو الاسمى وإلى حد بحسب الذات ويسمى الحدّ الذاتى والحد الذى بحسب الاسم هو القول المفصل الدال على مفهوم الاسم عند مستعمله[3] .

ويوضح أبو حيان معنى لفظة الحد بالنسبة للاسم فيقول : ويقال على ما هو واحد فى الحد وكثير فى الاسم ، كما يقال إن الثوب والرداء ، والإنسان والبشر ، واحد فى الحد كثير فى الاسم وكذلك سائر الأسماء المترادفة على معنى واحد[4] .

وترد لفظة الحد بمعنى التعريف بحسب الاسم أو ما يسمى بالحد اللفظى فى نص لأبى حيان يوضح فيه المشترك اللفظى فيقول : ويقال على ما هو واحد فى الاسم كثير فى الحد بمنزلة الكلب والعين ، فإن الكلب يدل على الناتج ، والكوكب وحديدة الحداد ، وكذلك العين على العضو الذى يبصر ، وعلى عين الذهب ، وعين الماء وعين الركية ، وغير ذلك . وأليق بهذه المعانى أن يوصف به ما كان واحدا بالموضوع وكثيرًا بالحد والصفة[5] . وعن أقسام الحدّ والحدّ الاسمى قال ابن سينا فى النجاة : والحدّ يقال على خمسة أشياء ، فمن ذلك الحد الشارح لمعنى الاسم ولا يعتبر فيه وجود الشىء فإن كان فى وجود الشىء شك أخذ الحد أولا على أنه شارح للاسم ، ويقال حد لما كان بحسب الذات ، فمنه ما هو نتيجة برهان ، ومنه ما هو مبدأ برهان ، ومنه حد تام مجتمع منهما ، ومنه ما هو حد للأمور لا علل لها ولا أسباب أو أسبابها وعللها غير داخلة فى جوهرها مثل تحديد

---

(١) المقابسات ص ٩١ .
(٢) المقابسات ص ١٥١ .
(٣) المعجم الفلسفى جـ ١ ص ٤٤٧ .
(٤) المقابسات ص ٣١٦ .
(٥) المقابسات ص ٣١٧ .

النقطة والوحدة والحد وما أشبه ذلك فإن حدودها لا بحسب الاسم فقط ولا مبدأ برهان ولا نتيجة برهان ولا مركب منهما[١] .

وترد لفظة الحد بالمعنى المجازى فى نص لأبى حيان يقول فيه : الكلام كما ترى مرهف الحد ، مسنون الشباه وإلى الله المعز وعليه التوكل[٢] وبهذا المعنى يذكر أبو حيان لفظة الحد فى تعريفه للعلم فيقول : ما العلم ؟ وما حده وطبيعته ؟ ويجيب أبو حيان على سؤاله قائلا : لو كان حد العلم معرفة الشيء على ما هو به لكان حد المعرفة علم الشيء على ما هو به ، والحاجة إلى تحديد المعرفة كالحاجة إلى حد العلم[٣] .

ويستخدم الصوفية معنى الحد للفصل بين مقامى الربوبية والعبودية[٤] ، وفى هذا المعنى يقول أبو حيان فى الإشارات الإلهية ذاكرًا لفظة الحد : إن أدهشك فضاء الإلهية فاستأمن إلى حدّ العبودية[٥] ، ويقول أيضا فى إشاراته : فالزم — هداك الله — حدك فى العبودية ، واستعصم فى نفسك من آفات البشرية[٦] ، ويقول أبو حيان فى نص آخر من الإشارات الإلهية موردًا لفظة حد بهذا المعنى الصوفى : الزم حدك فى العبودية التى فطرت عليها ، إلى أن تصطفق من أمر الألوهية التى عساك ترقى إليها[٧] . بينّ أبو حيان فى نصوصه معنى الحَدّ عند أهل الله وهو الفصل بين المتعبد ومولاه وإنحصاره فى الزمان والمكان المحدودين . والحَدّ فى الشرع يرد فى نص لأبى حيان من كتاب البصائر يذكر فيه لفظة الحد بالمعنى الفقهى معددا أنواع هذا الحد بالمعنى الدينى الفقهى فيقول : سمعت أبا الحسين

---

(١) النجاة لابن سينا ص ٨٣ وانظر معيار العلم للغزالى ص ٢٧٣ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٤٤٢ .
(٣) الهوامل والشوامل ص ١٣٤ .
(٤) ألفاظ الصوفية ومعانيها حسن الشرقاوى ص ١٣٦ .
(٥) الإشارات الإلهية ص ١١٢ .
(٦) الإشارات الإلهية ص ٣٦ .
(٧) الإشارات الإلهية ص ١٥١ .

القطان يقول : حد النص : مساواة باطنه لظاهره ، وحد الظاهر ما كان أحد الاحتمالين أولى منه الآخر ، وحد العموم مساواة بعض ما تناول لبعض بغير مزية ، وحد الخصوص : ما تناول شيئا واحدا ، وحد المجمل : ما لا يفهم المراد به ، وحد الأمر : ما لا يجوز تركه بحال ، وحد المندوب إليه : ما كان فعله أفضل من تركه ، وحد الجائز : ما كان فعله وتركه سواء ، وحد النهى : الامتناع وحد الشرط : ما يقر الحكم بوجوده وعدمه ، وحد العلة : ما طلب الحكم من جهتها بالسبب ، وحد السبب ما وافق الحكم . وحد المطلق : إرسال الكلام وحد المقيد حصر الكلام ، وحد الإجماع عدم الخلاف بين من يسمع وينسب القول إليهم وحد التخصيص : بيان المراد باللفظ العام ، وحد التفسير : بيان المراد بالمجمل ، وحد النسخ : بيان مدة التعبير به وانقضاء وقته[1] .

ولفظة الجمع **حُدود** يذكرها أبو حيان فى كتاباته بمعان متنوعة وفى مجالات متعددة ، ففى نص من كتاب البصائر والذخائر يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الحدود بالمعنى الفلسفى : وسيمر فى الكتاب فن آخر من حدود الفلاسفة للأمور الطبيعية والمنطقية ، والإلهية[2] وترد لفظة الحدود عند أبى حيان بالمعنى المنطقى فى نصوص كثيرة جدًا من كتاب المقابسات وبهذا المعنى يقول أبو حيان ذاكرًا الحدود للمقولات العشر : ولهذا ما انساق نظرهم إلى حصر الموجودات فى دائرة العشرة ، حين لحظوا الجوهر ، والكم والكيف ، والمضاف والأين ، وكذلك متى ، والموضوع له ، والوضع ، ويفعل وينفعل ، وفصلوا خواصها ، وحققوا حدودها ، وأوضحوا علاماتها ، واستوفوا جميع أحكامها المفصلة بين المعانى اللفظية[3] وقال أبو حيان أيضا ذاكرًا لفظة الحدود بالمعنى المنطقى : وإذا صح

---

(١) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢٨٤ ، ص ٢٨٥ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢٨٥ .
(٣) المقابسات ص ٣٨٠ .

التأثير من المؤثر وقبول القابل ، صح الاعتبار ، واستّن القياس ، وصدق الرصد ، وثبت الألف ، واستحكمت العادة ، وانكشفت الحدود ، وانثالت العلة ، وتعاضدت الشواهد ، وصار الصواب غامرًا ، والخطأ مغمورًا[1] .

ويذكر أبو حيان لفظة الحدود بمعنى حدود الشرع أى أحكام الله تعالى فيقول : قيل حدود الله عز وجل أى محارمه ، كأنها مانعة من التعدى ، ومنه حدود الدار كأنها جائزة لما أحاطت به ، ومانعة من أنفسها ما ليس فيها[2] ، ويقول أيضا ذاكرًا لفظة الحدود بهذا المعنى الدينى الفقهى : فإن الأشكال والحدود من الأقوال والأغراض منفية فى ساحة الألوهية[3] وبالمعنى الصوفى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الحدود : احذر التخطى إلى سياج ربك ، ومعالم إلهك ، والزم حدودك فى عبوديتك[4] ويقول أبو حيان أيضا موردًا لفظة حدود بالمعنى مجازى : وهذا فن لايتسع القول فيه لضيق حدوده وإشكال حقائقه[5]. وترد لفظة حدود أيضا بالمعنى المجازى عند أبى حيان فى نص يصف فيه اللغة العربية فيقول : ومن الدخلاء إليها الذين يستعملون الألفاظ ولا يعرفون موقعها ، أو يعجبهم الاتساع ، ويجهلون مقداره ، أو يروقهم المجاز ، ويتعدون حدوده أو يحسن فى حكمهم التصريح[6] .

يتبين **مما تقدم** من نصوص أبى حيان المتضمنة للفظ الحَدّ والجمع حُدُود أن أبا حيان استخدم لفظة الحد فى كتاباته بمعان متنوعة منها المعنى اللغوى أى المنع ، ومنها المعنى الفقهى أى العقوبة ، ومنها المعنى الاصطلاحى الفلسفى أى التعريف وهذا المعنى المنطقى هو الأكثر ورودًا عند أبى حيان ، وإن أهمل اللسان ذكر هذا المعنى الفلسفى عند تعريفه للحد .

---

(١) المقابسات ص ٦٥ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٥٠ .
(٣) المقابسات ص ١٦٢ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ١٠ .
(٥) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٤١٣ .
(٦) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٢٨٥ .

أما فى مجال التغير الدلالى فيتبين لنا أن لفظة الحد قد مرت بعدة أطوار فى استخدامها اللغوى . فقد انتقلت دلالتها من مجال مادى إلى مجال مادى آخر ، فحد الشيء منتهاه لأنه يرده ويمنعه عن التمادى ومنه أطلق الحد على العقوبة لأنه يمنع عن المعاودة ، فانتقال الدلالة من مجال مادى إلى مجال مادى مع اشتراك الدلالتين بجزء من المعنى وهو « المنع » وهذا واضح فى استخدام لفظة الحد . ثم تخصصت الدلالة بعد أن استخدم الحد كمصطلح فلسفى وقد دلت نصوص أبى حيان على هذا التخصيص الدلالى للفظة الحد .

(٣) المقدمة/المقدمات ، النتيجة/النتائج :

المُقدِّمة من قَدَّم بمعنى تَقدَّم ، وقد استعير لكل شيء ، ومنه قولهم : المُقدمة والنتيجة ، ومُقدِّمة الكتاب ومُقدِّمة الكلام ، بكسر الدال . ومُقَدِّمة كل شيء أوله ، والمُقدِّمة الناصية والجبهة[(١)] والمقدمة هى القضية تقدم فى صنعة القياس[(٢)] قال ابن سينا : المقدمة قول يوجب شيئا لشيء ، أو يسلب شيئًا عن شيء جعلت جزء القياس[(٣)] وتطلق المقدمة على عدة معانٍ كما عددها الجرجانى فى تعريفاته فقال : المقدمة تطلق تارة على ما يتوقف عليه الأبحاث الآتية ، وتارة تطلق على قضية جعلت جزء القياسى ، وتارة تطلق على ما يتوقف عليه صحة الدليل ، وتطلق أيضا على ما يتوقف عليه الشروع فى العلم وعلى ما يتوقف عليه المسائل بواسطة أو لا واسطة[(٤)] .

ولفظة **المُقدِّمة** ترد فى كتابات أبى حيان مع لفظة الجمع مقدمات بالمعنى الاصطلاحى الخاص بالمنطق وفى هذا المعنى يقول أبو حيان موردًا لفظة المقدمة :

---

(١) اللسان جـ ٣ ص ٣٤ . (٢) مفاتيح العلوم ص ٨٩ .

(٣) النجاة لابن سينا ص ٢٣ وانظر الشفاء جـ ٤ (القياس) ص ١٩ .

(٤) التعريفات ص ٢٤٢ وانظر معيار العلم وفيه يقسم العزالى المقدمات إلى يقينية صادقة واجبة القبول ، وإلى ليست يقينية ولا تصلح للبراهين ص ١٨٦ ، ص ١٩٢ .

قد وجدنا فى أفعالنا ما يندر فى بعض الزمان من غير قصد مفروض ، ولا عرض مستصحب ويشتمل مع ذلك على النظم والإتقان والصواب والأحكام الملائمة ، وليس منا أحد إلا وهو يجد هذا بعينه من فعله أعنى النادر الخارج عن قصد متقدم ، وعزم مستحكم ورأى مثبت ومُقدِّمة مرتبة[1] وترد لفظة المقدمة فى نص آخر من المقابسات يتحدث فيه أبو حيان عن إنسان متناسك تمنى أن يكون حمارا فيعلل أبو حيان أمنية هذا الرجل قائلا : فعجبت منه فضل العجب ، وانكشف لى أنه يتمنى ذلك ، لأنه كان جاهلًا بالجوهر الذى هو أشرف من الإنسان بحده الخالص ، وتمنى أن يكون حيوانًا هو أخس من الإنسان عند كل إنسان . لا يحتاج فى تسليم هذا ومعرفته إلى مقدمتين ونتيجة ، بل العلم به أدل ، والتسليم له ضرورة ، لا لشيء إلّا ليخلص من عوارض الدنيا وكلف الحياة[2] . ومع لفظة المقدمة وردت فى نص أبى حيان لفظة النتيجة وهى من الألفاظ التى ترتبط بالمقدمة وتدور فى مجالها المنطقى وكما يقول الخوارزمى النتيجة ما ينتج من مقدمتين[3] والنتيجة قضية تلزم عن قضايا أخرى تسمى المقدمات[4] .

وجاء فى اللسان يقال للشاتين إذا كانتا سنا واحدة : هما نتيجة وكذلك غنم فلان نتائج أى فى سن واحدة[5] .

والنتيجة على وزن فعلية وهى عند المنطقيين القول اللازم من القياس[6] وترد لفظة **النتيجة** فى نصوص أبى حيان مرتبطة مع لفظة المقدمة ففى نص من كتاب الإمتاع يدور حول الفلسفة والشريعة والفرق بينهما يتحدث فيه أبو حيان عما قيل فى مجلس الإمتاع فيقول نقلًا عن الحريرى : وأما قولك إن إحدى الفضيلتين

---

(١) المقابسات ص ١٤٢ .

(٢) المقابسات ص ١٩٥ .

(٣) مفاتيح العلوم ص ٨٩ .

(٤) المعجم الفلسفى جـ ٢ ص ٤٥٩ .

(٥) اللسان جـ ٣ ص ٥٧٤ .

(٦) كشاف إصطلاحات الفنون جـ ٦ ص ١٣٧٥ .

تقليدية ، والأخرى برهانية ، فكلام مدخول ، ألا تعلم أن البرهانية هى الواردة بالوحى ، الناظمة للرشد ، الواعدة بحسن المآب ، وأن التقليدية هى المأخوذة من المقدمة والنتيجة والدعوى التى يرجع فيها إلى من ليس بحجة ، وإنما هو رجل قال شيئا فوافقه آخر وخالفه آخر ، والعجب أنك جعلت الشريعة من باب الظن ، وهى بالوحى ، وجعلت الفلسفة من باب اليقين وهى من الرأى[(١)] .

وترد لفظة الجمع **مقدمات** عند أبى حيان فى قوله : وقد يتصل بعض أفعالنا وأعمالنا أيضا بالقصد والعزم والرأى والهمة والروية وسائر مقدمات الفعل وأوائله ودواعيه وبواعثه ، ومع ذلك يزل عن شرح النظام ، ويعد عن طريق التمام[(٢)] ، ويقول أبو حيان موردًا لفظة المقدمات مرتبطة بلفظة **النتائج** بالمعنى الفلسفى : وربما تحولت القوة إلى ما يرقد العقل فقط ، باستخراج الدقائق ، وتأليف المقدمات ، واستنباط النتائج[(٣)] وترد لفظة المقدمات فى حديث لأبى حيان عن النفس يذكر فيه هذه اللفظة بالمعنى الخاص بالمنطق فيقول : النفس لها عدم فى أحد الموجودين وهو الحسىّ ، ولها وجود فى القسم الآخر وهو العقلىّ . وقد كان الدليل على هذه الحال حاضرًا فى هذا العالم ، وذلك أنها كانت تتفكر وتبسط ، وتعقل ، وتستبطن ، وتنظم المقدمات[(٤)] .

ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظتى الجمع مقدمات ونتائج : وإنما الأمور بعواقبها والمذاهب بشواهدها ، والنتائج بمقدماتها[(٥)] .

مما تقدم يتبين لنا أن الألفاظ مقدمة والجمع مقدمات ونتيجة والجمع نتائج وردت فى كتابات أبى حيان بالمعنى الاصطلاحى الفلسفى الخاص بالمنطق وهذا المعنى الاصطلاحى لم يرد فى اللسان عند تناوله للمادتين (ق د م) و (ن ت ج) فقد

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٢ .
(٢) المقابسات ص ١٤٣ .
(٣) المقابسات ص ١٥٣ .
(٤) المقابسات ص ١٥٧ .
(٥) مثالب الوزيرين ص ٥٤ .

جاء فى اللسان المعنى اللغوىّ والمادىّ للفظة المقدمة ، وجاء المعنى المادى فقط للفظة النتيجة وذلك فى مجال الحديث عن الإبل والغنم ونتاجها ، فهذه الألفاظ التى مر ذكرها هى ألفاظ جديدة فى معناها عند أبى حيان .

وفى مجال التغير الدلالى نجد أن الألفاظ مقدمة ومقدمات ونتيجة ونتائج قد تخصصت دلالاتها عندما استخدمت كمصطلحات فلسفيّة وهذا التخصص الدلالى واضح لهذه الألفاظ فى نصوص أبى حيان نتيجة لكثرة استخدامها فى عصره بهذا المفهوم الفلسفىّ وهاتان اللفظتان انتقلتا من المجال المادى إلى المعنوى قبل تخصصهما .

(٤) الاستقراء :

قرأت الشىء قُرْآنا : جمعته وضممت بعضه إلى بعض . وقَريت الماء فى الحوض جمعته . وقرأت القرآن لفظت به مجموعًا . والقراءة ، والإقتراء والقارئ ، والقرآن ، الأصل فى هذه اللفظة الجمع وكل شىء جمعته فقد قرأته . وقارَأه : دَارَسه . واستَقْرأه : طلب إليه أن يقرأ . وقرأه : تلاه وقيل إن الأصل فى تلا معنى تبع[١] وقروت الأثر واقتريته : تتبعته وهو يغزو الأرض ويقتريها ويتقرأها أى يتتبعها[٢] والاستقراء فى اللغة هو التتبع[٣] وعند المنطقيين هو الحكم على كلىّ لوجوده فى أكثر جزئياته[٤] قال الخوارزمى : الاسْتقراء هو تعرف الشىء الكلى بجميع أشخاصه[٥] وقال ابن سينا : الاستقراء هو حكم على كلىّ لوجود ذلك الحكم فى جزئيات ذلك الكلى أما كلها وهو الاستقراء التام ، وأما أكثرها وهو الاستقراء المشهور[٦] .

---

(١) اللسان جـ ٣ ص ٤٢ ، وانظر تاج العروس جـ ١ ص ١٠١ .
(٢) المخصص لابن سيده جـ ١٣ ص ١٤٩ . (٣) الكليات جـ ١ ص ١٥٩ .
(٤) التعريفات ص ١٨ . (٥) مفاتيح العلوم ص ٩١ .
(٦) النجاة ، ص ٥٨ ، والشفاء جـ ٤ (القياس) ص ٥٦٦ .

ولفظة **الاستقراء** من الألفاظ المنطقية وقد كثر ورودها فى نصوص عديدة من كتابات أبى حيان وخاصة ما جاء فى كتابه المقابسات يقول أبو حيان فى مقابساته ذاكرًا لفظة الاستقراء : وإن كان البرهان فى الصناعة موجودًا إذا أخذت على ترتيبها الخاص لها فى معرفة المنطق ، الذى هو آلة فى استقراء الطبيعيات التى هى مراق ، وفى معرفة النفس التى هى طلبة كل ناظر فى علم[1] ، وفى نص آخر من كتاب المقابسات ترد لفظة الاستقراء فى حديث أبى حيان عن النفس الناطقة فيقول : النفس الناطقة ، بها باينوا كل حيوان دونها مباينة تامة من وجه ، وضارعوا كل حيوان دونها مضارعة ، مختلفة من وجه . فأما وجه المباينة فظاهر بالشكل والتخطيط ، وانتصاب القامة ، وسائر الخواص الدالة على ذلك الحد الذى هو للجنس بالنظر المنطقىّ . وأما المضارعة المختلفة فمعترف بها بشهادة التصفح ، وثمرة الاستقراء[2] وترد لفظة الاستقراء فى سؤال لأبى حيان عن العلل والأشياء وأيهما تتبع الأخرى فيقول فى إحدى مقابساته موجهًا سؤاله لابن زرعة : قلت لعيسى بن زرعة أبى على : التتبع لمقالتك يقضى أن العلل تابعة للأشياء ، ليس الأشياء تابعة للعلل ، بدليل ما ضربنا من المثل ، لأنك هكذا وجدتها فعلى ما وجدتها بينتها ، ولو وجدتها على غير ما هى عليه لكان استنباطك على ما كنت تجدها عليه ، بفضل فحصك واستقرائك فعلى هذا عللك التى شرحتها ، وحكمك التى استخرجتها ، تابعة لا موجبة[3] .

والاستقراء التام كما مر تعريفه وهو الاستقراء بالجزئىّ على الكلىّ وبهذا المعنى يذكر أبو حيان اصطلاح الاستقراء التام فى مقابساته ويورد مثالا على ذلك فيقول : ها هنا مثل ينزع إلى الحسّ ضرورة ويعترف به العقل اضطرارًا . انظر إلى السماء نظرًا شافيًا ، وتأملها تأملًا بليغًا ، وجل فى آفاقها ببحثك ونظرك مليا ،

---

(١) المقابسات ص ١١٦ .

(٢) المقابسات ص ٢٢٤ .

(٣) المقابسات ص ٤٣٧ .

واستقر صورها **استقراء تاما** ، فإنك تجد نجومها منتشرة متساقطة ، كأن سلكها قد وهى ، ونظمها قد انخرط[1] . ولفظة الاستقراء ترد عند أبي حيان في مجال اللغة فيقول في هذا المعنى : إن كنت غريبا في هذه اللغة فاصحب أهلها ، واستدم سماعها ، واشغل زمانك باستقرائها واستبرائها[2] .

ومن المادة (ق ر ء) يورد أبو حيان الفعل يستقرى بمعنى يتتبع[3] وفي هذا المعنى يقول أبو حيان في مقابساته : إن معرفة الله اكتساب واستدلال لأن الحسّ يتصفح ويستقرى بمؤازرة العقل ومظاهرته وتحصيله[4] ، ويقول أيضا ذاكرًا الفعل يستقرى : قوة المنجم متتبعة لآثار الكواكب تتبعًا ضعيفًا ، لأن الآلة لاتساعده والصبر لايوافيه، وذلك أنه يستقرى هذه الأمور المنتثرة من تلقاء نفسه[5] واستقريتهم: مررت بهم واحدًا واحدًا، وهو من الاتباع[6]، ويقول الخُوارزمي : يقال استقرى فلان القرى وبيوت السكة إذا طافها ولم يدع شيئا منها[7] .

مما تقدم يتبين لنا أن لفظة الاستقراء وردت في كتابات أبي حيان بالمعنى الاصطلاحي الفلسفي . ومن الملاحظ أن لفظة الاستقراء لم ترد في اللسان عند تناوله للمادة (ق ر ء) فهي إذن اشتقاق جديد في مبناه ومعناه عند أبي حيان نتيجة لكثرة استخدامه في عصره .

وفي مجال التغير الدلالي نجد أن لفظة الاستقراء من الألفاظ الحضارية التي استحدثت مع انتشار الفلسفة في الدولة الإسلامية . وكثر استخدام هذه اللفظة في العصر العباسي بين أوساط المشتغلين بالعلوم الفلسفية : ثم تخصصت دلالة لفظة الاستقراء بعد أن استخدمت كمصطلح فلسفي خاص بالمنطق وقد دلت نصوص أبي حيان على هذا التخصيص الدلالي .

---

(١) المقابسات ص ٤٢٤ .
(٢) الإشارات الإلهية ص ٢٢٣ .
(٣) مفاتيح العلوم ص ٩١ .
(٤) المقابسات ص ١٧٤ .
(٥) المقابسات ص ٢١٠ .
(٦) اللسان جـ ٣ ص
(٧) مفاتيح العلوم للخوارزمي ص ٩١ .

الفصل الثانى
المصطلحات النفسية

يحتوى هذا الفصل على المجموعات الدلالية الأساسية التالية :

(١) النفس
(٢) المزاج
(٣) الاعتدال
(٤) الانفعال
(٥) الأريحية
(٦) البديهية

المصطلحات النفسية :

المصطلحات الخاص بالنفس (١٤) كلمة وهى :

أريحية ، أريحى ، اعتدال ، أمزجة
انفعال ، أنفسى ، بديهة ، مزاج
نفس ، نفسى ، نفسانى ، نفسية
نفسانية ، نفوسى .

وفيما يلى جدول بنسبة شيوع هذه المصطلحات فى كتابات أبى حيان :

الكلمة	عدد مرات ورودها	الكلمة	عدد مرات ورودها
نفس	١٥٤	نفسانية	٣
مزاج	٨١	أريحى	٣
انفعال	٤٤	نفسية	١
		نفسى	١
اعتدال	٣٣	أنفسى	١
بديهة	٢٦	نفوسى	١
أريحية	١٢		
أمزجة	٨		
نفسانى	٧	المجموع	١٤

حفلت كتابات أبى حيان التوحيدى بعدد وفير من المصطلحات الخاصة بالنفس وانفعالاتها ، والمزاج واعتداله والأريحية والبديهة . وكانت معظم هذه المصطلحات قد استقرت دلالتها فى القرن الرابع الهجرى واتخذت مصطلحا فى العلوم الطبيعية . وقد أمكن تقسيم هذه المجموعة إلى ست مجموعات دلالية فرعية .

المصطلحات النفسية

(١) النفس :

جاء فى اللسان : النَّفْس : الروح . والنَّفْس فى كلام العرب يجرى على ضربين : أحدهما قولك خَرجَت نَفْس فلان أى روحه ، وفى نفس فلان أن يفعل كذا وكذا أى فى روعه ، والضرب الآخر معنى النَّفْس فيه معنى جملة الشيء وحقيقته . والجمع من كل ذلك أنفس ونفوس . والنَّفْس يعبر بها عن الإنسان جميعه . والنفس العظمة والكبر والعِزة والهِمة والعين التى تصيب المعين . وسميت النَّفْس نَفْسًا لتولد النَّفَس منها واتصاله بها ، كما سموا الروح روحا لأن الروح موجود به . ومن اللغويين من سوى النَّفْس والروح وقال هما شيء واحد إلا أن النفس مؤنثة والروح مذكر . والعرب تقول رأيت نَفْسًا واحدة فتؤنث فإذا قالوا رأيت ثلاثة أنفس وأربعة أنفس ذكروا ، وقد يجوز التذكير فى الواحد والاثنين والتأنيث فى الجمع[١] .

استطاع أبو حيان أن يقدم لنا فى ثنايا رسائله ومؤلفاته الكثير من الملاحظات الدقيقة التى تتعلق بالنفس الإنسانية وتصرفاتها الخارجية ، وأسرارها الباطنية وأمراضها وعلاجها ، وعاداتها ، وانفعالاتها إلى آخر تلك الدراسات النفسية التى تضعه فى الصف الأول بين فلاسفة الإنسان أو علماء النفس المهتمين بتعمق أسرار الوجود البشرى ، وقد استخدم أبو حيان فى دراسته هذه مصطلحات نفسية ذات مفاهيم علمية سائدة فى ذلك العصر ، ويؤكد أبو حيان على ضرورة تقديم مشكلة الإنسان على كل ما عداها من المشكلات ، فنراه يقول فى الإشارات الإلهية : زعمت الحكماء على ما أوجبته آراؤها ودياناتها أن من الوحى القديم النازل من الله قوله للإنسان : « اعرفك نفسك ، فإن عرفتها عرفت الأشياء كلها »[٢] .

---

(١) اللسان جـ ٣ ص ٦٨٨ .

(٢) الإشارات الإلهية ص ٣٩٤ .

وهذا إنما يدلنا بوضوح على أن أبا حيان قد وجد معرفة **النَّفْس** أسمى ضرب من ضروب المعرفة ، بدليل أن من جهل نفسه جهل كل ما عداها . وتبعا لذلك فقد تساءل أبو حيان : ما النَّفْس ؟ وما كمالها[1] ويجيبه أستاذه أبو سليمان : ما النفس ، فإن التحديد يعوز ، والرسم لا يشفى ، والوصف مقصر عن الغاية ، لأنها ليس لها جنس ، ولا فصل فينشأ الحد بهما ، والاسم الشائع – أعنى النفس – أخلص إلى المطلوب ، وأحضر للمقصود من التحديد ، ولهذا ما اختلفت الناس قديما وحديثا فى حدها فقال قائل : النفس مزاج الأركان ، وقال قائل : النفس تألف الاسطقسات ، وقال قائل : النفس عرض محرك بذاته ، وقال قائل : النفس هوائية وقال قائل : النفس روح حارة ، وقال قائل : النفس طبيعة دائمة الحركة ، وقال قائل : النفس تمام لجسم طبيعى ذى حياة ، وقال قائل : النَّفْس جوهر ليس بجسم محرك للبدن[2] .

تعريف النفس من الصعب تحديده والدليل على ذلك أن للنفس عند الفلاسفة تعريفات مختلفة منها : قول أرسطو : إن النفس كمال أدل لجسم آلى ، وصورة لما هو بالقوة مستعد لقبول طبيعة معينة[3] .

وقول ابن سينا بأن النفس جوهر قائم بذاته ، فهى فى آن واحد جوهر وصورة[4] ويضيف ابن سينا إلى جوهرية النفس مميزًا آخر وهو روحيتها فالنفس عنده جوهر روحى[5] وقول الغزالى النَّفْس : هى عندهم اسم مشترك يقع على معنى يشترك فيه الإنسان والحيوان والنبات . وعلى معنى آخر يشترك فيه الإنسان

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١٠٦ . (٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١٠٨ .

(٣) كتاب النفس أرسطو طاليس ترجمة د . الأهوانى ص ٤٣ ، ص ٤٩ .

(٤) كتاب الشفاء جـ ٦ النفس ابن سينا ص ٩ ، ص ١٠ وهناك أقوال كثيرة لابن سينا يعرف بها النفس وقد ذكرها فى كتاب الشفاء فى الجزء المخصص للنفس .

(٥) كتاب الشفاء جـ ٦ النفس ابن سينا ص ٩ ، ص ١٠ وهناك أقوال كثيرة لابن سينا يعرف بها النفس وقد ذكرها فى كتاب الشفاء فى الجزء المخصص للنفس .

والملائكة السماوية عندهم . فحد النفس بالمعنى الأول ، أنه كمال جسم طبيعى آلى ذى حياة وقوة وحدُّ النفس بالمعنى الآخر ، أنه : جوهر غير جسم ، هو كمال أول للجسم ، محرك له بالاختيار ، عن مبدأ نطقى ، أى عقلى ، بالفعل أو بالقوة(١) .

وقول الجرجانى : النفس وهى الجوهر البخارى اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة والإرادة وسماها الحكيم الروح الحيوانية فهو جوهر مشرق للبدن فعند الموت ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن وباطنه(٢) .

وقول أبى البقاء فى الكليات : النفس هى ذات الشىء وحقيقته وبهذا تطلق على الله تعالى . وتطلق على الجسم الصنوبرى ، لأنه محل الروح عند أكثر المتكلمين أو معلقة عند الفلاسفة(٣) .

وجمع التهانوى بين هذه الأقوال فقال فى كشاف اصطلاحات الفنون : النفس يطلق عند الحكماء بالاشتراك اللفظى على الجوهر المفارق عن المادة فى ذاته دون فعله وهو على قسمين نفس فلكية ، ونفس إنسانية وعلى ما ليس بمجرد بل قوة مادية وهو على قسمين أيضا نفس نباتية ونفس حيوانية ، فالنفس النباتية كمال أول لجسم طبيعى آلى من حيث يتولد ويتغذى وينمو فالكمال جنس بمعنى ما يتم به الشىء المدرك للكليات والجزئيات مطلقا هو النفس الناطقة ، والنفس الإنسانية تسمى بالنفس الناطقة والروح أيضا(٤) .

ونجد فى كتاب الإمتاع والمؤانسة وصفًا مفصَّلًا لما كان يدور فى مجلس أستاذه أبى سليمان السجستانى الفيلسوف المشهور الذى التف حوله علماء عصره فى بغداد فى القرن الرابع الهجرى ، ونرى مسألة النفس الإنسانية تستأثر بالمكان

---

(١) معيار العلم للغزالى ص ٢٩٠ . (٢) التعريفات للجرجانى ص ٢٦٢ .
(٣) الكليات لأبى البقاء جـ ٤ ص ٣٤٧ .
(٤) كشاف إصطلاحات الفنون جـ ٢ ص ١٣٩٧ ، طبعة كلكتا .

الأول لما كان يدور فى تلك المجالس العلمية ، ويقول أبو سليمان معرفًا النفس : ويكفى أن تعلم أن النفس قوة إلهية واسطة بين الطبيعة المصرفة للاسطقسات والعناصر المتهيئة ، وبين العقل المنير لها الطالع عليها ، الشائع فيها ، المحيط بها[1] .

وفى كتاب المقابسات خصص أبو حيان جزءًا كبيرًا للبحث فى معنى النفس وماهيتها وكيفية إدراكها فتساءل قائلا : ما النفس ؟[2] وكان الجواب متنوعًا متعدد الأطراف مثلا : النفس روح الله منبجسة بتوسط العقل[3] ، وجواب آخر : النفس تمام لجرم ذى آلة قابلة للحركة وأيضا هى جوهر عقلى متحرك من ذاته بعدد مؤتلف ، وأيضا هى جوهر علامة مؤلفة بالعقل[4] .

ويقول أبو حيان فى المقابسات واصفًا النفس : ووصفوها بصفة فقالوا : النفس نور ، مفرد ، لا حر فيه ولا برد ، ولا عرف ، ولا صوت[5] . ويذكر أبو حيان لفظة النفس فى نصٍ من مقابساته يرد على لسان أستاذه أبى سليمان فيقول : قال أبو سليمان ، وأنا أقرأ عليه كتاب النفس للفيلسوف سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة بمدينة السلام ، إن النفس قابلة للفضائل والرذائل والخيرات والشرور[6] .

وفى ختام مقابسته السابعة والتسعين التى خصصها للحديث عن النفس يقول أبو حيان : قد حوت هذه المقابسة ضروبًا من الكلام فى النفس مختلفة مؤتلفة[7] ، والحديث عن النَّفس يطول عند أبى حيان ولا يسع المجال لذكره وسوف نذكر بعضًا من أطراف هذا الحديث ولفظة النفس ترد فى كتابات أبى حيان بأقسامها المتعددة وبمعانيها المتنوعة فيقول أبو حيان معرفًا النفس الناطقة : فأما النفس الناطقة

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١١٠ .
(٢) المقابسات ص ٣٧٢ ، ص ٣٧٣ .
(٣) المقابسات ص ٣٧٣ .
(٤) المقابسات ص ٣٧٢ .
(٥) المقابسات ص ٤١٢ .
(٦) المقابسات ص ٢٤١ .
(٧) المقابسات ص ٤١٣ .

فإنها جوهر إلهى ، وليست فى الجسد ، ولكنها مدبرة للجسد[١] ويقول أيضا عن النفس الناطقة : إن النفس الناطقة لا تعطيك مكنون ما فيها إلا بتصفحك كل ما هو دونها من أجلها[٢] وعن النفس الناطقة يقول أبو حيان أيضا فى رسالة الحياة : قلت : خافوا موت النفس ، والنفس الناطقة لا تموت عندك[٣] ويشرح معنى النفس الناطقة أو النفس الإنسانية فيقول : إذا إنتقلت النفس الناطقة من حد النطق إلى الحد البهيمى وإن كان جوهرها لا يبطل فإنها قد ماتت من العيش العقلى[٤] .

والنَّفس مبدأ الأخلاق هذا ما أكده إخوان الصفا فى رسائلهم فذكروا أن فى النفس الساكنة فى الجسد قوى طبيعية وأخلاقا غريزية منبثة فى أعضاء هذا الجسد ، وأن لتلك القوى وتلك الأخلاق أفعالًا وحركات منبثة فى أوعية هذا الجسد فأما القوى الطبيعية والأخلاق الغريزية فهى ثلاثة أجناس : فمنها قوى النفس النباتية ونزعاتها وشهواتها . ومنها قوى النفس الحيوانية وحركاتها وأخلاقها وحواسها . ومنها قوى النفس الناطقة وتمييزاتها ، ومعارفها . وأن هذه النفوس الثلاث كلها كالفروع من أصل واحد متصلات بذات واحدة[٥] .

وبيّن أبو حيان فى كتاباته علاقة الأخلاق بأقسام النفس الإنسانية فقال : أخلاق الإنسان مقسومة على أنفسه الثلاث : أعنى النفس الناطقة ، والنفس الغضبية والنفس الشهوانية ، وسمات هذه الأخلاق مختلفة بعرض واسع فمن أخلاق النفس الناطقة – إذا صفت – البحث عن الإنسان ثم عن العالم ، لأنه إذا

---

(١) الإمتاع والمؤانسة حـ ٢ ص ١١٣ .
(٢) المقابسات ص ٤٥٥ .
(٣) رسالة الحياة ص ٦٥ .
(٤) البصائر والذخائر حـ ١ ص ٤١٠ .
(٥) رسائل إخوان الصفا حـ ٢ ص ٣٨٦ . انظر الشفاء حـ ٦ النفس ص ٣٢ والنجاة ص ١٥٨ يقول ابن سينا : النفس الإنسانية هى كمال أول لجسم طبيعى آلى من جهة ما يفعل الأفعال الكائنة بالاختيار الفكرى والاستنباط بالرأى .

عرف الإنسان فقد عرف العالم الصغير ، وإذا عرف العالم فقد عرف الإنسان الكبير ، وإذا عرف العالمين عرف الإله[١] . ويقول أبو حيان أيضا فى حديثه عن النفس والأخلاق : على أن مراتب هذه الأخلاق مختلفة ، فيبعد أن يعمها حد واحد ، وإنما اختلفت منازلها لأنها تارة تصفو بقوة النفس الناطقة ، وتارة تكدر بالقوتين الأخريين[٢] .

والنفس فى اصطلاح الصوفية خمسة أضرب حيوانية وأمارة وملهمة ولوامة ومطمئنة وكل أسماء الروح إذ ليس حقيقة النفس إلّا الروح وليس حقيقة الروح إلّا الحق[٣] .

ويعدد أبو حيان فى كتاباته أنواع النفس كالمنطقية ، والغضبية ، المغتذية والشهوية والنامية ، والجزئية والكلية[٤] فيقول ذاكرًا النفس المنطقية فى مجال تعريفه للعلم والنوم واليقظة : يقال ما العلم ؟ : وجدان **النفس المنطقية** الأشياء بحقائقها[٥] ، ويقال ما النوم ؟ الجواب ترك النفس المنطقية استعمال آلات البدن[٦] . ويقال ما اليقظة ؟ الجواب : هى استعمال النفس المنطقية لآلات البدن نحو الخارجات عن البدن ، وتصريفها الحواس نحو محسوساتها[٧] .

وعرف أبو حيان **النفس الكريمة** فقال : النفس العزيزة هى التى لا تؤثر فيها النكبات والنفس الكريمة هى التى لا تثقل عليها المؤونات[٨] ، **والنفس الفاضلة** يذكرها أبو حيان فيقول : للنفس الفاضلة مباحث كثيرة فى شأن من هذا نعته واتيه وتلك المباحث هى مسالك الخير المأمول ، ومراقى السر المعلوم

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٤٧ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٥٤ .
(٣) كشاف اصطلاحات الفنون حـ ٢ ص ١٤٠٢ طبعة كلكتا .
(٤) المقابسات ص ٣٩٥ ، وانظر الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١١٩ جـ ١ ص ٤٠ والاشارات الإلهية ص ٣٩٥ والمقابسات أيضا ص ٩٠ ، ص ٣٤٣ .
(٥) المقابسات ص ٣٦٢ .
(٦) المقابسات ص ٣٦٧ .
(٧) المقابشات ص ٣٦٧ .
(٨) المقابسات ص ٣٤٣ .

المجهول[1] ومن أنواع النفس التى تطرق لها أبو حيان فى كتاباته **النفس العالمة والنفس البهيمية** يذكرهما فى مجال حديثه عن الذكر والنسيان فيقول : وأما الذكر والنسيان فليسا خلقين محضين ، ومنشؤهما بالمزاج ، وأحدهما من علائق النفس العالمية ، والآخر ، من علائق النفس البهيمية وهكذا أمر النفس ، فإنها واحدة بالذات ، وإنما تقع عليها هذه الأسماء[2] .

ولفظة النفس ترتبط بلفظة الروح وهما لفظتان مترادفان ، إلا أن بعض الفلاسفة يفرق بينهما بقوله إن معنى النفس يتضمن معنى الجوهرية الفردية ، وأن مفهومها أغنى من مفهوم الروح . وبعضهم الآخر يقول إن الروح قسمان : روح حيوانىّ ينبث فى شرايين البدن من القلب فيفعل الحياة ، والنبض ، والتنفس ، وروح نفسانىّ ينبث من الدماغ فى الأعصاب ، فيفعل الحس ، والحركة والفكر والذكر ، والروية[3] .

وأبو حيان يتطرق لمسألة النفس والروح ويطرحها فى مجلس من مجالس الإمتاع بحضرة الوزير صاحب المجالس يقول أبو حيان : قال أدام الله دولته – هل تعرف العرب الفرق بين الروح والنفس فى كلامها ؟ وهل فى لفظها من نظمها ونثرها ما يدل على ما بينهما ، أو هما لشيء واحد لحقه اسمان ؟ فكان الجواب : إن الاستعمال يخلط هذا بهذه وهذه بهذا فى مواضع كثيرة وإذا جاء الاعتبار أفرد أحدهما من الآخر بالحد والاسم ، وعلى هذا اتفق الحكماء ، لأنهم حكموا بأن الروح جسم لطيف منبث فى الجسد على خاص ما له فيه ، فأما النفس الناطقة فإنها جوهر الهى ، وليست فى الجسد ، ولكنها مدبرة للجسد ، ولم يكن الإنسان إنسانًا بالروح بل بالنفس . فأما النفسان الأخريان اللتان هما الشهوية والغضبية فإنهما أشد اتصالا بالروح منهما بالنفس ، وإن كانت النفس الناطقة تدبرهما وتمدهما

---

(١) المقابسات ص ٢٩٩ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٥٤ .
(٣) المعجم الفلسفى جـ ٢ ص ٤٨٢ .

وتأمرهما وتنهاهما ، فهذا أيضا يوضح الفرق بين الروح والنفس ، فليس كل ذى روح ذا نفس ، ولكن كل ذى نفس ذو روح . وقد وجدنا فى كلام العرب مع هذا الفرق بينهما[١] .

ويقول أبو حيان فى الفرق بين النفس والروح وذلك فى نص له من كتاب الإمتاع والمؤانسة : وأما قوله : بأى شيء باينت النفس الروح فهو ظاهر وذلك أن الروح جسم يضعف ويقوى ، ويصلح ويفسد ، وهو واسطة بين البدن والنفس وبه تفيض النفس قواها على البدن . والنفس شيء بسيط عالى الرتبة ، بعيد عن الفساد منزه عن الاستحالة[٢] .

ولفظة أنفس جمع نفس ترد عند أبى حيان فى أماكن كثيرة جدا من كتاباته ففى نص من المقابسات يقول فيه أبو حيان موردًا لفظة الأنفس : حركة النفس فى الأرواح الشريفة وشى معشوق ، وحركة العقل فى الأنفس الفاضلة معنى أنيق[٣] ، ويقول أبو حيان أيضا موردا لفظة أنفس فى قوله : إذا أردنا أن نحس بأنفسنا وأن نعلّم العلوم الشريفة حرصنا على أن نفارق أنفسنا الهيولانية ، فنصير كانا نصير خالصة نرى ذاتنا[٤] . ويقول أبو حيان أيضا ذاكرًا لفظة أنفس أول طبقات الأنفس وهى النامية[٥] ، ويذكر أبو حيان لفظة الجمع نفوس فيقول : النفوس معادن[٦] .

وهناك عدد من الاشتقاقات للمادة (ن ف س) يوردها أبو حيان فى كتاباته مثل نفسانىّ ، ونفسانيّة ، ونفسىّ ونفسيّة وقد وردت هذه الألفاظ فى نصوص متعددة من مؤلفات أبى حيان لا يسع المجال لذكرها هنا وسأكتفى بذكر بعض أماكن ورودها .

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١١٣ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١١١ .
(٣) المقابسات ص ٢٥٧ .
(٤) المقابسات ص ٤٧٧ .
(٥) المقابسات ص ٣٩٦ .
(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١٠٦

لفظة **نفسانيّ** وهو المنسوب إلى علم النفس ، أو المتعلق بعلم النفس وهو المدرك لأحوال النفس ، ويطلق على كل من رزق قدرة طبيعية على الكشف عن الأحوال النفسية التى يشعر بها غيره من الناس والنفسانى هو العالم المتخصص فى البحوث والدراسات النفسية(١) .

وترد لفظة النفسانى عند أبى حيان بمعنى المنسوب للنفس وفى هذا المعنى يقول فى مقابساته : انبعاث الخاطر النفسانى وإن عرض منه التأدى إلى الوسواس ، فلن يجوز أن يعد مرذولا ، وانبعاث الشوق النفسانى وإن عرض منه التأدى إلى الحرص ، فلن يجوز أن يعد مرذولا ، فإن لكل واحد منهما مقصودًا آخر ، عظيم الجدوى ، ذاتيًّا له ، وبمثله الحال فى كافة ما ينبعث فى النفس(٢) ، ويقول أبو حيان أيضا ذاكرًا لفظة النفسانى : وقال للعقل النفسانى طرفان ، أحدهما يلى الوهم ، والآخر يلى العقل الأول ، فالفكر إنما هو العقل الوهمى ، والعقل النفسانى المدرك بلا وهم ولا فكر(٣) .

ولفظة **نفسانيّة** يذكرها أبو حيان فيقول : الروح النفسانية التى تكون فى الدماغ(٤) ويقول أيضا: يقال ما الإرادة ؟ الجواب هو بدء حركة بسيطة نفسانية عن فهم نعمة الشوق(٥) .

ولفظة نفسى منسوبة إلى النفس من جهة ماهى مجموعة من الظواهر التجريبية والنفسى هو المتعلق بظواهر السلوك من جهة ماهى تابعة لتجربة الفرد ، لا من جهة ماهى ثابتة فى النوع(٦) . يذكر أبو حيان لفظة النفسى فيقول الإحساس حفظك الله للنفس وروائد لها وطلائع من جهتها . وليس لها حكم على شىء من

---

(١) المعجم الفلسفى حـ ٢ ص ٤٨٦ .
(٢) المقابسات ص ٣٤٥ .
(٣) المقابسات ص ٤٠٢ .
(٤) البصائر والذخائر حـ ٢ ص ٤٨٧ .
(٥) المقابسات ص ٣٧٤ .
(٦) المعجم الفلسفى حـ ٢ ص ٤٩٤ .
(٨) الإمتاع والمؤانسة حـ ٢ ص ١١٥ .

أحواله ، إلّا من جهة النطق النفسيّ[1] . ثم لفظة **نفسيّة** منسوبة إلى النفس ترد عند أبي حيان فى قوله : يكون مبدأ الحياة النفسيّة موصولا بالأبد بعد الأبد[2] .

ومما تقدم يتضح أن أبا حيان اهتم بتقصي أسرار الوجود البشرى ، وعنى أيضا باستقصاء الكثير من الظواهر النفسية ، وملاحظاته التى ترد فى كتاباته تدلنا على عمق فهمه للطبيعة البشرية وحسن إدراكه لحقيقة البواعث النفسية . وقد استخدم أبو حيان فى مجال حديثه عن النفس الإنسانية وطبائع البشر المصطلحات النفسيّة التى تبين مدى فهمه للناس ، وقوة بصيرته فى الحكم على مبررات الأفعال الإنسانية ، وهذه المصطلحات التى استخدمها أبو حيان فى حديثه عن النفس هى المزاج ، والاعتدال والانفعال ، والبديهة والأريحية وغيرها من المصطلحات النفسية .

(٢) المزاج :

لفظة المزاج من الألفاظ المستخدمة فى وصف طبائع الإنسان وصفاته . وقد جاء فى اللسان : المَزْج : خَلْط المِزاج بالشيء . ومَزج الشيء يمزجه مزجا فامتزج : خلطه . ومِزاج الجسم ما أسس عليه البدن من الدم والمرتين والبلغم[3] .

والمِزاج فى الأصل مصدر بمعنى الامتزاج هو عبارة عن اختلاط أجزاء العناصر بعضها ببعض[4] .

والمِزاج عن الفلاسفة تحدده مجموعة من الصفات الجسمية والنفسية . قال ابن سينا : إن المِزاج يحدث بين استقصات متضادة متنازعة إلى الانفكاك

---

(١) المقابسات ص ١٧٢ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١١٥ .
(٣) اللسان جـ ٣ ص ٤٧٦ .
(٤) كشاف اصطلاحات الفنون جـ ٢ ص ١٣١٨ (طبعة كلكتا) ٣٢٨ ، ص ٣٢٠ .

لاختلاف ميولها إلى أمكنتها ، فالمِزاج المستمر الوجود يحتاج إلى جامع وحافظ وأصل القوى المحركة والمدركة والحافظة للمزاج ، شيء آخر لك أن تسميه بالنفس[١] .

وقال ابن سينا فى وصفه للمِزاج المعتدل : وأليق الأمزجة هو المزاج المعتدل الذى تكون بسائطه متساوية كيفًا وكمًّا حتى يحصل منها كيفية عديمة الميل إلى الأطراف المتضادة . انظر إلى حكمة الصانع بدأ فخلق أصولا ، ثم خلق منها أمزجة شتى ، وأعد كل مزاج لنوع وجعل إخراج الأمزجة عن الاعتدال ، لإخراج الأنواع عن الكمال وجعل أقربها من الاعتدال الممكن مزاج الإنسان[٢] .

وقال الجرجانى : المِزاج كيفية متشابهة يحصل من تفاعل عناصر متصرفة الأجزاء المماسة بحيث تكثر سورة كل منها سورة كيفية الآخر[٣] . ويذكر أبو حيان لفظة **المِزاج** فيقول : وقد صح أن الإنسان ذو طبيعة ومزاج وشكل وأعراض متفاوتة[٤] .

وترد لفظة المزاج فى كتابات أبى حيان مقترنة بلفظة النفس أحيانا وخاصة ما ورد فى كتاب المقابسات وفى هذا المجال يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة المزاج : إن النفس شأنها غريب ، وإن سرها عجيب وإنى لأعجب ممن يظن أنها تابعة للمزاج[٥] ، ولا حادثة بالأخلاط بل هى مستتبعة للمزاج ومقومة للأخلاط[٦] . وفى مقابسته العشرين يتحدث أبو حيان عن حال النَّفْس بعد الموت وتكوين الإنسان وعن علاقة النفس بالمزاج فيقول : كان الإنسان أجزاء مبثوثة فى هذا

---

(١) الإشارات والتنبيهات ابن سينا جـ ٢ ص ٣٢٨ ، ص ٣٢٠ .

(٢) الإشارات والتنبيهات ابن سينا جـ ٢ ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ وانظر الشفاء جـ ٤ ص ٥٧٩ .

(٣) التعريفات للجرجانى ص ٢٣٤ وانظر المواقف للإيجى ص ٢٢٥ .

(٤) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٨٤٥ . (٥) المقابسات ص ٣٠٧ .

(٦) المقابسات ص ١١٧ .

العالم ، فلما صمدت النفس لها ، حركت الطبيعة على تأليفها ، وتوزيع الحالات المختلفة فيها ، وأعطتها النفس ، بوساطة الطبيعة صورة خصتها بها ودبرت أخلاطها ، وهيأت مزاجها ، فظهر الإنسان فى الثانى بشكل غير الشكل الذى كان لأجزائه[1] ، ويقول أبو حيان فى الإمتاع والمؤانسة ذاكرًا لفظة المزاج وعلاقتها بالنفس : فقال قائل : النفس مِزاج الأركان[2] . وعن علاقة المِزاج بالطبيعة يقول أبو حيان : الطبيعة تسوس مِزاج البدن[3] .

ويخالف أبو حيان القدماء بعدد الأمزجة فيقول : المِزاج تسعة : واحد معتدل وثمانية غير معتدلة[4] ، وفى سؤاله لأستاذه أبى سليمان عن الخلق المحمود فيجيبه أستاذه قائلا : ما أنشأته النفس الفاضلة فى المزاج المعتدل[5] استخدم أبو حيان فى نصه التعبير السياقى **المزاج المعتدل** .

وعن المزاج والأخلاق يقول أبو حيان : والأخلاق تابعة للمزاج فى الأصل ، ولذلك قلنا : إن الخُلُق ابن الخَلْق ، والولد شبيه بوالده[6] . وعن أثر المزاج يقول أبو حيان : للمزاج أثرين قويين : وأحدهما عدم ، والآخر وجدان ، والعدم لا يكون أعدم من عدم ، والوجدان : يكون أبين من وجدان[7] . وقد يطلق أحيانا اسم المزاج مجازا على الاستعدادات النفسية التى يتميز بها الفرد ، ومنه قولهم : صعب المِزاج ، والأولى أن يطلق على الاستعدادات النفسية المكتسبة والموروثة اسم الطبع[8] وعن المزاج والطبع يقول أبو حيان : وصحة الطباع من موافقة المزاج ، وموافقة المزاج بالمدد الاتفاق والاتفاق الغيبى[9] . وعن المزاج وارتباطه بالأخلاق يقول أبو حيان : كما أن بين آحاد نوع الإنسان تفاوتا فى الأخلاق

---

(١) المقابسات ص ١١٧ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٠٨ .
(٣) المقابسات ص ٢٥٩ .
(٤) المقابسات ص ٤٤٩ .
(٥) المقابسات ص ٨٨ .
(٦ ، ٧) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٥٢ .
(٨) المعجم الفلسفى جـ ٢ ص ٣٦٦ .
(٩) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٤٥ .

كذلك بين آحاد نوع الحيوان تفاوت وأصناف الحيوان من الناس وغير الناس تتقاسم هذه الأخلاق بضروب المزاج المختلفة فى الأزمان المتباعدة ، والأماكن المتمازجة تقاسما محفوظ النسب بالطبيعة والمسئولية[1] ثم يختم أبو حيان كلامه عن المزاج فى نص له من كتاب الإمتاع والمؤانسة فيقول ذاكرًا لفظة الجمع **أمزجة** : إن الناس قديما وحديثا قد خاضوا فى هذا الفن خوضًا بعيدًا ، وما وقفوا منه عند حدّ ، لأن الحديث عن الأخلاق المختلفة بالأمزجة المتباينة ، والطبائع المتنائية لا يكاد ينتهى[2] وصيغة الجمع أمزجة لم ترد فى اللسان عند تناوله للمادة « مزج »

(٣) الاعتدال :

جاء فى اللسان الاعتدال : توسط حال بين حالين فى كم وكيف ، وكل ما تناسب فقد اعتدل ، وكل ما أقمته فقد عدلته[3] . وعن اعتدال المزاج يقول التهانوى فى كشافه : لكل مزاج حدان متى فقدهما لم يصلح ذلك أن يكون مزاجًا لذلك النوع وأيضا لكل نوع مزاج واقع فى وسط ذلك العرض هو أليق الأمزجة به ويكون حاله فيما خلق له من صفاته وآثاره المختصة به أجود مما يتصور منه وذلك اعتداله النوعى بالنسبة إلى ما يدخل فيه من صنف أو شخص[4] .

ويقول التهانوى : اعلم أن كلا من الأمزجة الثمانية الخارجة عن الاعتدال قد يكون ماديا بأن يغلب على البدن خلط يغلب عليه كيفية فيخرجه عن الاعتدال الذى هو حقه إلى تلك الكيفية[5] ، وفى المواقف يقول الايجى فى وصفه للاعتدال : اتفقوا على أن أعدل أنواع المركبات أى أقربها إلى الاعتدال الحقيقى

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٠٦ . (٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١ .
(٣) اللسان جـ ٢ ص ٧٠٧ .
(٤ ، ٥) كشاف اصطلاحات الفنون جـ ٢ ص ١٣٢٠ ، ص ١٣٢١ طبعة كلكتا .

نوع الإنسان واختلفوا فى أعدل الأصناف ، قال ابن سينا : سكان خط الاستواء لتشابه أحوالهم فى الحر والبرد . وقال الإمام الرازى : هم سكان الأقاليم الرابع لأنا نرى أهله أحسن ألوانًا ، وأطول قدودًا ، وأجود أذهانًا ، وأكرم أخلاقًا ، وكل ذلك يتبع المزاج . قلنا : تابع للاعتدال بمعنى آخر(١) .

ولفظة **الاعتدال** ترد كثيرًا فى كتابات أبى حيان بالمعنى الخاص بالنفس والطبائع الإنسانية فيقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الاعتدال بهذا المعنى : قيل لفيلسوف : ما العقل ؟ قال اعتدال الطبائع(٢) وترد لفظة الاعتدال فى نص لأبى حيان يصف فيه أستاذه أبا سليمان فيقول : إن شيخنا أبا سليمان غزير البحر ، واسع الصدر ، لا يغلق عليه من الأمور الروحانية والأنباء الإلهية والأسرار الغيبية ، وهو طويل الفكرة ، كثير الوحدة ، وقد أوتى مزاجًا حسن الاعتدال ، وخاطرًا بعيد المنال وترد لفظة الاعتدال بالمعنى النفسىّ عند أبى حيان فيقول متحدثًا عن اعتدال المزاج فى أماكن كثيرة من كتاباته : السكينة الطبيعيّة اعتدال المزاج بتصالح الاسطقسات(٣) ، ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الاعتدال وعلاقتها بالمزاج يا هذا ، إنما يشع من هذه السكينة على قدر ما استودع صاحبها من نور العقل وقبس النفس وهبة الطبيعة ، وصحة المزاج ، وحسن الاختيار واعتدال الأفعال(٤) وفى حديثه عن الكون يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الاعتدال : لا يوجد الاعتدال فى علم الكون والفساد لأنه واسطة(٥) . ويصف أبو حيان حدوث الاعتدال عند الإنسان فيقول : القوة الحيوانية عندما تنبعث من النفس فإنها إما أن تتحرك إلى داخل ، وإما أن تتحرك إلى خارج وإذا تحركت إلى خارج فإما أن يكون دفعة فيحدث منها الغضب ، وإما أولا فأولا وباعتدال فيحدث السرور

---

(١) المواقف للايجى ص ٢٢٧ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٢٣ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٢٠٦ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٢٠٨ .

(٥) المقابسات ص ٢٥٠ .

والفرح[1] ، ويوصى أبو حيان فى اختيار الصديق موردًا لفظة الاعتدال فى نصه فيقول : فاجتهد بالاختيار الرشيد والرأى السديد أن تجعل طبائعك الأربع طبقا لطبائعه الأربع ، فإنك إذا قدرت على ذلك ، قدرت بعده على أن تتعرف روائد هذه الأربع ذاهبا بها نحو الاعتدال[2] .

ويقول أيضا موردًا لفظة الاعتدال فى نص من كتاب الصداقة و الصديق يصف فيه العلاقات الإنسانية مثل الصداقة والعلاقة والشغف والعشق وغيرها : تسرع هذه الأعراض إلى الشباب من الذكران والإناث ، وتنال منهم ، وتملكهم ، وتحول بينهم وبين أنوار العقل وأداء النفوس ، ولهذا وأشباهه يحتاجون إلى الزواجر والمواعظ ليفيئوا إلى ما فقدوه من اعتدال المزاج والطريق الوسط[3] ، وعن اعتدال الطبائع عند العرب يحدثنا أبو حيان عن صفاتهم فيقول : إنهم أعقل الأمم لصحة الفطرة ، واعتدال البنية ، وصواب الفكر ، وذكاء الفهم[4] والاعتدال هنا بمعنى الاستقامة والتناسب واعتدال البنية تعبير سياقى .

ويذكر أبو حيان أيضا فى وصفه للعرب لفظة الاعتدال وذلك فى حديثه عن العباس ابن مرداس السلمى فيقول : ولقد قرع العباس الكلام فى باب الغيب ، وشعر بالمستور ، وأحس بالخافى ، وأطلع عقله على المستتر ، واهتدى بلطف هاجسه إلى الأمر المزمع ، والحادث المتوقع ، وهذا شىء فاش فى العرب ، لطول وحدتها ، وصفاء فكرتها ، وجودة بنيتها ، واعتدال هيئتها ، وصحة فطرتها[5] . الاعتدال هنا بمعنى الطبائع البشرية المتناسبة المتناسقة **واعتدال الهيئة** أيضًا تعبير سياقى . ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الاعتدال : وأما الاعتدال والانحراف فهما يدخلان فى الخلق بوجه ، ويخلصان منه بوجه ويعمان أعراض البدن وأعراض

---

(١) المقابسات ص ٢٩٤ .
(٢) الصداقة والصديق ص ٧١ .
(٣) الصداقة والصديق ص ١١٤ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٧٣ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٧٦ .

النفس[1] . ويذكر أبو حيان لفظة الاعتدال بالمعنى النفسيّ في حديثه عن الإنسان فيقول : إن الإنسان وإن كان واحدا بوجه ، فإنه كثير بوجه آخر ، ما لكثرة التي أحالت بينه وبين صديقه في جمهور أحواله . فلولا التفرق الذي فيه والكثرة التي تتوزعه ما كنت تجد إنسانًا إلا على هيئة واحدة وشكل واحد ، أعني أنك كنت تجده أبدا ماطلق الوجه مبتسم الثغر سهل الخلق ، وأما خلاف ذلك كله عابس الوجه منغلق الثغر ، شرس الخلق ، عديم البشر ، بخيلًا بالماء ، عسر المرام ، أو فيما بين هذه الأضداد بالزيادة والنقصان والانحراف والاعتدال[2] وترد لفظة الاعتدال بالمعنى المادى في نص لأبي حيان يقول فيه : قداح النبل في أوزانها ، وقصب الخيزران في اعتدال قوامها ، فهي أحسن اعتدالا من الأسل الخطية وأنقى وأبهى من الصفائح اليمانية[3] وهذا المعنى المادى اللغوى قليل الورود في كتابات أبي حيان .

(٤) **الانفعال** :

فَعَل يَفْعَل فَعْلًا وفِعْلًا ، الاسم مكسور والمصدر مفتوح ، وفَعَله وبه . وفَعَلْت الشيء فانْفَعَل[4] والانفعال هو قبول أثر المؤثر وقد أطلق على المقولة التاسعة من مقولات أرسطو مقولة ينفعل[5] والانفعال وأن ينفعل وهما الهيئة الحاصلة للمتأثر عن غيره بسبب التأثير أولا كالهيئة الحاصلة للمنقطع مادام منقطعا[6] والانفعال هيئة نفسانية تقترن بأحوال البدن وتختص بها[7] . قال ابن سينا في شرحه للانفعال : وهذه الانفعالات والملكات ، قد تكون أقوى ، وقد تكون أضعف . ولولا هذه الهيئات ، لما كان نفس بعض الناس أسرع إلى التهتك والاستشاطة غضبا

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ١٥٣ .
(٢) المقابسات ص ٤٥١ .
(٣) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣١ .
(٤) اللسان جـ ٢ ص ١١١٢ .
(٥) مفاتيح العلوم ص ٨٧ .
(٦) التعريفات ص ٤٠ .
(٧) الشفاء جـ ٤ (المنطق) ص ٥٧٩ وانظر الإشارات والتنبيهات لابن سينا جـ ٢ ص ٣٣٣ .

من نفس بعض[1] وقال إخوان الصفا فى رسائلهم : انفعالات الحواس تشبه أفعال الذين يعملون الأذهان اللطيفة ، كدهن البنفسج ، ودهن النيلوفر[2] .

وقال الغزالى معرفا الانفعال : هو نسبة الجوهر المتغير إلى السبب المغير ، فإن كان منفعل فعن فاعل . وكل متسخن أو متبرد فعن مسخن ومبرد بحكم العادة المطردة ، عند أهل الحق . وبحكم ضرورة الجبلة عند المعتزلة والفلاسفة والانفعال على الجملة تغير ، وأنواع التغير كثيرة ، وهى أنواع الانفعال بعينه[3] .

ويعرف أبو حيان **الانفعال** بقوله : بأنه شيء يجرى على خلاف ما يجرى به الأمر الذى هو بالتمييز والفكر[4] هذا المعنى الذى ذكره أبو حيان للفظة الانفعال هو من المعانى القريبة إلى مفهوم الانفعال فى الفلسفة الحديثة[5] . ترد لفظة الانفعال بالمعنى النفسّى فى نص لأبى حيان يقول فيه : العلم انفعال ما ولكن باستكمال يؤدى إلى النفس سرورها وحبورها اللذان هما خاصان لها[6] ويقول أيضا معرفًا الانفعال وأنواعه بالمعنى الاصطلاحى النفسىّ : تقبل العقل انفعال ، ولكن فى الأفق الأعلى ، وشوق النفس انفعال ، ولكن فى الرتبة الوسطى ، وبث الطبيعة انفعال ولكنه فى السياج الأول من ذى الطبيعة[7] وفى هذا المجال يسأل أبو حيان أستاذه أبا سليمان عن العقل وهل هو انفعال حقا فيقول فى سؤاله : قلت لأبى سليمان : بأى شيء يعرف أن فى العقل ، مع شرفه وعلو مكانه ، انفعالًا ؟ فقال : باستحسانه واستقباحه ، لأن هذين انفعالان ، ولكنهما انفعالان على طريق الاستكمال لا على طريق الاستحالة ، فهذا يوسم الانفعال على جهة التقريب لأن

---

(١) الشفاء حـ ٤ (المنطق) ص ٥٧٩ وانظر الإشارات والتنبيهات لابن سينا حـ ٢ ص ٣٣٣ .
(٢) رسائل إخوان الصفا جـ ٢ ص ٣٩٢ .
(٣) معيار العلم ص ٣٢٨ .
(٤) المقابسات ص ٣٦٩ .
(٥) المعجم الفلسفى حـ ١ ص ١٦٦ .
(٦) المقابسات ص ٤٥٦ .
(٧) المقابسات ص ٢٥٨ .
(٨) مقابسات ص ٢٠١ .

مرتبة هذا الانفعال فوق مرتبة كل فعل مما دون العقل[١] . وفى أحد مجالس الإمتاع والمؤانسة يثير الوزير صاحب هذه المجالس سؤالا عن العقل وهل هو انفعال وأسئلة أخرى عن الانفعال يوردها أبو حيان فى حديثه فيقول : وقال ليلة ما العقل ؟ وما أنحاؤه ؟ وما صنيعه ؟ وما مرتبته (أعنى العقل) عند الإله ؟ وهل ينفعل ؟.وإن كان ينفعل ويفعل فقسط الفعل فيه أكثر من قسط الانفعال ؟[٢] يقول أبو حيان فعرضت هذه المسائل كما رسم الوزير على أبى سليمان وقرأتها عليه ، وتمهلت فى إيرادها بحضرته ، فلما فهمها ووقف عليها عجب وقال كلامًا كثيرًا واسعًا وأنا أحكيه على وجه من طريق المعنى وإن انحرفت عن لفظه فإن ذلك لم يكن إملاءً ولا نسخًا[٣] وما قاله عن العقل والانفعال يورده أبو حيان فى مجلسه فيقول : ونحن إذا قلنا : عقل العاقل معقوله، فإنما نصفه بأنه انفعل انفعال كال، والعقل يرى من هذا الانفعال ألا يتوخى أنه يعقل الإله الذى هو به ما هو ، فإنه يجوز أن يضرب به انفعال لائق به يكون عبارة عن شوقه إليه[٤] ، ويقول أيضا موردًا لفظة الانفعال فى قوله : فقسط الفعل أكثر ، أم قسط الانفعال ، فإن هذا يلحظ من وجهين ، إذا لحظ قبوله من فيض الإله فقسط الانفعال أظهر ، وإذا لحظ فيضه على النفس فقسط الفعل فيه أكثر[٥] . ويذكر أبو حيان لفظة الانفعال فى نصوص من مقابساته موضحًا معناها كحالة نفسيّة وجدانية قوية مصحوبة بحركات تعبيرية فيقول : إن المحرك هو المسكن ، والمسكن هو المحرك لا لانقسام الموجودات التى من شأنها الانفعال بالحركة مرة وبالسكون مرة[٦] ، ويقول أيضا عن الانفعال : الفعل يعم كل معنى صادر عن ذات وحَدّ الفعل أنه كيفية صادرة عن ذات ، والانفعال كيفية واردة عن ذات[٧] ، فالانفعال هنا بمعنى التأثر وهو

---

(١) المقابسات ص ٢٠١ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١٠٧ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١٠٨ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١١٨ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١٢٠ .
(٦) المقابسات ص ٤٤٢ .
(٧) المقابسات ص ٣٠٤ .

الذى يزيد من قدرة الجسم على الفعل .

ويوضح أبو حيان معنى الانفعال فى المجال الفلسفى فيقول : قد صح بالبرهان أن فعل الله تقدس وعلا ليس باضطرار لأن هذا فعل عاجز ، ولا دافع لهذا القول وليس باختيار أيضا لأن فى الاختيار معنى قويا من الانفعال . وهذا مسلم عند من ألف شيئا من الفلسفة(١) ، ويقول أيضا : فإنك تجد المواد التى من شأنها أن تنفعل على مراتب الانفعال وتجد الصورة التى من شأنها أن تفعل على مراتب الفعل(٢) .

ويصف أبو حيان الظواهر الانفعالية عند الإنسان فيقول ذاكرًا أنواع الانفعال النفسىّ : إن الانفعال على ثلاثة أنحاء : منحو ينحط به المنفعل عن خاصة جوهره باستحالة صورته وانحلال كينونته ، وضرب يتحرك به المنفعل على نفسه إما نقضا لما اجتمع واستخلافا لما انحل عنه ، وضرب يتطاول به المنفعل إلى ما فوقه مقتبسًا لنوره وتسوقًا إلى كماله(٣) .

ويذكر أبو حيان نوعًا آخر من أنواع الانفعال فيقول : فقولك علم ويعلم وعالم ، خبر عن ضرب من ضروب الانفعال ، والبارى ، تقدس اسمه ، لا انفعال له بوجه ألبته(٤) وفى مجال حديثه عن أنواع الانفعال يقول أبو حيان أيضا : وينبغى أن يعلم أنه لا فاعل إلا وهو يعتريه نوع من أنواع الانفعال فى فعله ، كما أنه لا منفعل إلا وهو يعتريه نوع من أنواع الفعل فى انفعاله ، إلا أن الانفعال فى الفاعل خفى جدا ، والفعل فى المنفعل خفى جدا ، فلهذا لا يطلق على الفاعل إلا الاسم الأخص له(٥) . ومن الملاحظ أن لفظة الانفعال هذه لم ترد فى اللسان عند تناوله مادة « فعل » فهى اشتقاق جديد عند أبى حيان .

---

(١) المقابسات ص ١٧ .
(٢) المقابسات ص ٤١٨ .
(٣) المقابسات ص ٢٧٦ .
(٤) المقابسات ص ٢٨٩ .
(٥) المقابسات ص ٩٨ .

(٥) الأريحية ، الأريحى :

رحت للمعروف أراح رَيْحًا وارتحت ارتاح ارتياحًا إذا ملت إليه وأحببته ، ومنه قولهم : أريحىّ إذا كان سخيًّا يرتاح للندى . وراح لذلك الأمر يراح رواحا ورُؤوحا ، ورواحا وراحة وأريحية ورياحة : أشرق له وفرح به وأخذته له خفة وأريحية . والأريحى مأخوذ من راح يراح ، كما يقال للصُّلْب المُنْصَلِت : أصْلَتِيّ والمجتنب : أجنبى ، والعرب تحمل كثيرًا من النعت على أُفْعَلِى فيصير كأنه نسبة . والاسم الأريحية والترَيُّح . ويقال أخذته الأريحية إذا ارتاح للندى[1] ولفظة **الأريحية** ترد فى نصوص كثيرة من كتابات أبى حيان فى مجال الألفاظ النفسية وفى هذا المعنى يقول أبو حيان فى مقابساته : المحبة أريحية متنفثة من النفس نحو المحبوب لأنها تغزو الروح ، وتضنى البدن[2] ويقول فى الإشارات الإلهية : الأريحية هبة الكرامة[3] ، ويقول أبو حيان أيضا ذاكرًا لفظة الأريحية بمعناها النفسىّ :، أكتب لك فى هذا الموضع ما يغذو روحك ويحدث الأريحية فى نفسك ، ويشحذ ما كلّ من ذهنك[4] ، ويقول أيضا فى المقابسات موردًا لفظة الأريحية كصفة من صفات النفس أى بمعنى الانفعال : إذا أنشدنا ترنحنا . هذا فى أغلب الأمر ، وفى أعم الأحوال ، وفى أكثر الناس . وقد نجد أيضا فى أنفسنا مثل هذا الطرب والأريحية والنشوة والترنح ، عند فصل منثور[5] ، ويقول أبو حيان فى الإمتاع موضحًا معنى لفظة الأريحية : فإنا نرى العاقل تعتريه دهشة وأريحية واهتزاز ، فلهذا برزت الأريحية والهزة ، والشوق والعزة ، فالأريحية للروح والهزة للنفس[6] وترد لفظة الأريحية بمعنى التأثر والانفعال فى قول أبى حيان : على أن من وصف كريمًا أطرب ، ومن أطرب طرب ، والطرب خفة وأريحية ، تستفزان الطباع ،

---

(١) اللسان جـ ١ ص ١٢٤٩ .

(٢) المقابسات ص ٤٢٥ .

(٣) الإشارات الإلهية ص ٢٤٩ .

(٤) المقابسات ص ٢٢٣ .

(٥) المقابسات ص ٢٧٢ .

(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٨٣ .

وتشبهان الحصيف بالسخيف[١] ، ويقول ذاكرًا لفظة الأريحية بالمعنى الأخلاقى : على أن الكرم والعطاء والبذل وحب الثناء والهزة والأريحية أمور قد فقدت منذ زمان وقامت عليهاالنوادب[٢] ولفظة **الأريحىّ** يقول أبو حيان معرّفًا هذه اللفظة بالمعنى اللغوى : فلان يراح للمعروف ويرتاح له ، وهو أريحى كل هذا أكرم وكريم ، وكأنه إشارة إلى طيب ريحه[٣] .

ويقول أبو حيان فى وصفه للأريحى : ولولا أن عمر الفتى الأريحى قصير ، لكنا لا نبتلى بفقده[٤] والأريحى فى اللغة مأخوذ من راح يراح ، كما يقال للصلب المنصلت : أصلنى[٥] .

(٦) البديهة :

جاء فى اللسان : البَدْه أن تستقبل الإنسان بأمر مفاجأة ، والاسم البديهة وبَدهَه بالأمر : استقبله به . وفلان صاحب بديهة : يصيب الرأى فى أول مايفاجأ به[٦] والبديهية هى المعرفة الحاصلة ابتداء فى النفس ، لابسبب الفكر . وسميت بديهة لأنها قضية أولية صادقة بذاتها يجزم بها العقل من دون برهان[٧] .

ترد لفظة **بَديهة** عند أبى حيان فى نصوص كثيرة من كتاباته بالمعنى النفسىّ ففى المقابسات يقول موضحا معنى لفظة البديهة : والبديهة منوطة بالحس ، وإن كانت معانة من جهة العقل[٨] ، ويقول فى الإمتاع والمؤانسة ذاكرًا لفظة البديهة بالمعنى النفسىّ : الكلام ينبعث فى أول مبادئه إما من عفو البديهة ، وإما من كد الروية ، وقد يجوز أن تكون صورة العقل فى البديهة أوضح[٩] من النصوص السابقة نجد

---

(١) مثالب الوزيرين ص ٢٨ .
(٢) مثالب الوزيرين ص ٣٢٢ .
(٣) البصائر والذخائر حـ ١ ص ٣٦٩ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة حـ ١ ص ٣ .
(٥ ، ٦) اللسان حـ ١ ص ١٢٤٩ ، ص ١٧٧ .
(٧) الكليات حـ ١ ص ٤٣٠ وانظر المعجم الفلسفى حـ ١ ص ٢٠٢ .
(٨) المقابسات ص ١٢٢ .
(٩) الإمتاع والمؤانسة حـ ٢ ص ١٣٢ .

لفظة البَديهة تلازمها لفظة الروية وترد هاتان اللفظتان فى مجال الألفاظ النفسية وبهذا المعنى يقول أبو حيان فى رسالة الحياة ذاكرا اللفظتين البديهة والروية : وكل أحدٍ يتوهم نوعًا غير نوع صاحبه بقدر مزاجه ونقصه وزيادته وعقله ورأيه وبديهته ورويته وعلى هذا وهم الناس[١] ، ويقول أيضا فى نص من كتاب الإمتاع والمؤانسة ، والسكينة النفسية مماثلة الروية للبديهة ، ومواطأة البديهة للروية[٢] .

وخصص أبو حيان إحدى المقابسات للحديث عن البديهة والروية لا يسع المجال هنا لذكر الحديث بتمامه وإنما سأكتفى بذكر جزء مما قاله أبو حيان فى مقابسته هذه يقول أبو حيان سئل أبو سليمان فقيل له : لم وجد فينا شيء لا يبرز إلا بالروية والفكر والتصفح والمقياس ، وشيء بالخاطر والبديهة والإلهام والوحى والفلته . فقال : البديهة تحكى الجزء الإلهى بالانبجاس ، وتزيد على ما يروض عليه بالقياس ، والروية تحكى الجزء البشرى[٣] ، وقال أيضا : فمن أجل انقسام الإنسان بين شيء ينبعث به مشتاقًا إلى مطلوبه ، وبين شيء يبعثه شائقًا إلى مطلوبه ما وجب أن يكون له روية هى به ، وبديهة هى إليه[٤] .

ثم يقول : لا يوجد الإنسان غاية فى البديهة ، غاية فى الروية ، لأن إحدى القوتين إذا استعملت قمعت الأخرى ، إلا أن البديهة أبعد من معانى الكون والفساد ، والروية ألصق بكمال الجوهر[٥] . وترد اللفظتان بديهة وروية فى نص لأبى جيان يقول فيه : على أن للإنسان حالات بحسب المواد الحاضرة ، والأسباب المؤثرة القابلة ، تعتدل بديهته ورويته فيهما ، أو تسبق إحداهما ، وهما قوتان إلهيتان إلا أن إحداهما متصلة به ، والأخرى واصلة إليه[٦] .

---

(١) رسالة الحياة ص ٥٩ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٢٠٦ .
(٣) المقابسات ص ٢٢٨ .
(٤) المقابسات ص ٢٢٨ .
(٥) المقابسات ص ٢٢٨ .
(٦) المقابسات ص ٢٢٩ .

مما تقدم يتبين لنا أن الألفاظ التالية: نفس، نفسانىّ، نفسانيّة، نفسىّ، نفسيّة، مزاج وأمزجة، اعتدال، انفعال، أريحية، بديهة، وردت فى كتابات أبى حيان بالمعنى الاصطلاحى الفلسفى الخاص بالألفاظ النفسية. ومن الملاحظ أن هذه الألفاظ جاءت فى اللسان بالمعنى اللغوى العام، ولم يذكر اللسان المعنى الاصطلاحى الخاص.

وهناك عدد من الألفاظ التى مر ذكرها فى مجال الألفاظ النفسية لم ترد فى اللسان ، مثل لفظة انفعال لم يذكرها اللسان عند تناوله للمادة « فعل » فهى إذن لفظة جديدة فى مبناها ومعناها عند أبى حيان . كما أغفل اللسان أيضا ذكر الألفاظ نفسانىّ - المنسوب إلى النفس بزيادة الألف والنون للمبالغة فى النسب - ولفظة نفسانيّة - المصدر الصناعى - ونفسىّ ونفسيّة المنسوبة إلى النفس لم يذكر اللسان هذه الألفاظ عند تناوله للمادة « نفسى » وتعتبر اشتقاقات جديدة عند أبى حيان وقد كثر استعمال هذه الألفاظ فى عصره . وأهمل اللسان ذكر اللفظة أمزجة - صيغة الجمع للفظة مزاج - عند تناوله للمادة « مزج » وقد ذكر أبو حيان أمزجة جمعا لمزاج .

وفى مجال التغير الدلالى يتبين لنا أن الألفاظ نفس، ومزاج ، واعتدال ، وانفعال ، وأريحية ، وبديهة ألفاظ عامة تخصصت دلالاتها عندما استخدمت بالمفهوم الفلسفى كمصطلحات نفسيّة . وقد دلت نصوص أبى حيان على هذا التخصيص الدلالى لهذه الألفاظ كما مر سابقًا عند تناولنا لنصوص أبى حيان المتضمنة لهذه المجموعة من الألفاظ النفسيّة . وفى مجال التغير الدلالى نذكر أيضا أن اللفظتين مزاج واعتدال مرت عليهما تطورات حتى تخصصت دلالتهما فى العصر العباسى . فلفظة المزاج انتقلت دلالتها من المجال المادى أى خلط الأشياء المحسوسة إلى المجال المعنوى أى الخلط لطبائع الإنسان. وكذلك لفظة الاعتدال - وهذه اللفظة لم أجد لها ذكرًا فى المعاجم الفلسفية - انتقلت د ها من المجال المادى أى عدل الأشياء وموازنتها ، إلى المجال المعنوى أى موازنة صـ ـ الإنسان وتقويم طباعه . ثم تخصصت دلالة هاتين اللفظتين عندما استخدمتا كمصطلحين نفسيين .

الفصل الثالث

المصطلحات الطبّية والعلمية

يحتوى هذا الفصل على المجموعات الدلالية الأساسية التالية:

أولا: المصطلحات الخاصة بالطب:

وتحتوى هذه المجموعة الدلالية الأساسية على المجموعات الدلالية الفرعية التالية:

(١) الطب ، الطبيب.

الأدوية ، العقاقير.

ثانيا: المصطلحات الخاصة بعلم الرياضيات:

وتحتوى هذه المجموعة الدلالية الأساسية على المجموعات الدلالية الفرعية التالية:

(١) الحساب ، العدد.

(٢) الهندسة.

ثالثا: المصطلحات الخاصة بعلم الفلك والتنجيم:

وتحتوى هذه المجموعة الدلالية الأساسية على المجموعات الدلالية الفرعية التالية:

(١) علم النجوم والتنجيم.

(٢) الفلك.

(٣) الأجرام.

رابعا: المصطلحات الخاصة بعلم الموسيقى:

وتحتوى هذه المجموعة الدلالية الأساسية على مجموعتين دلاليتين وهما:

(١) الموسيقى.

(٢) الآلات الموسيقية.

أولا : المصطلحات الخاصة بالطب :

المصطلحات الطبية « ١١ » كلمة وهى :

أدوية ، أشفية ، أطباء ، صيدلانى ، صيدنانى ، طب ، طبيب ، عقاقير ، متطبب ، متطببون ، مطبوب .

ثانيا : المصطلحات الخاصة بالعلوم « الرياضيات ، الفلك ، الموسيقى » :

المصطلحات العلمية «٣٧» كلمة وهى :

أجرام ، ألحان ، أفلاك ، إيقاع ، إيقاعات ، تنجيم ، تقويم ، جرم ، حساب ، دستنبان ، زيج ، شبابير ، طالع ، طوالع ، طلسم ، طلسمات ، عدد ، عود ، فلك ، فلكية ، فلكيات ، فلكى ، كواكب ، لحن ، لحون ، منجم ، منجمون ، مهندس ، مهندسون ، موسيقى ، موسيقى ، موسيقار ، نجوم ، « علم النجوم » ، « أصحاب النجوم » ، نغم ، هندسة .

وفيما يلى جدول يبين نسبة شيوع هذه المصطلحات فى كتابات التوحيدى :

الكلمة	عدد مرات ورودها	الكلمة	عدد مرات ورودها	الكلمة	عدد مرات ورودها
طبيب	٣٧	جرم	٤	حساب	٢
طب	٢٩	عقاقير	٣	زيج	١
هندسة	٢٦	ألحان	٣	طلسمات	١
أجرام	٢٤	فلكية	٣	علم النجوم	١
فلك	١٥	عدد	٣	أصحاب النجوم	١
منجم	١٥	كواكب	٣	متطبب	١
تقويم	١٤	أفلاك	٣	متطببون	١
نجوم	١١	طوالع	٣	أشفية	١
أطباء	١٠	طلسم	٢	صيدناني	١
موسيقى	١٠	مطبوب	٢	إيقاعات	١
لحن	٩	صيدلاني	٢	لحون	١
أدوية	٧	موسيقى	٢	شبابير	١
مهندس	٧	مهندسون	٢	دستبان	١
طالع	٧	فلكي	٢	عود	١
نغم	٧	فلكيات	٢		
إيقاع	٥	منجمون	٢	المجموع الكلي	٤٨
موسيقار	٤	تنجيم	٢		

أمكن تقسيم هذه المجموعة من المصطلحات الطبية والعلمية إلى أربع مجموعات دلالية أساسية وهى المصطلحات الخاصة بالطب والأدوية ومصطلحات علوم الرياضيات وتشمل العدد والحساب والهندسة ، ومصطلحات علوم الفلك والتنجيم وغيرها من العلوم الفلكية الموروثة عن العرب منذ أقدم العصور بالإضافة إلى بعض المصطلحات المعربة عن اليونانية والفارسية مثل الزيج والطلسم ، ثم المصطلحات الخاصة بالموسيقى والآلات الموسيقية وقد حفلت كتابات أبي حيان بمصطلحات كثيرة تعبر عن مجمل المعارف الموسيقية وتعدد آلاتها وتطور الإحساس الموسيقي باختيار الألحان والإيقاعات .

أولا : مصطلحات الطب :

ازدهرت العلوم اليونانية فى المنطقة التى تتكلم السريانية والفارسية الوسطى وفى القرن الثانى الهجرى كان لمدرسة جنديسابور أهمية كبرى ،إذ إن الطب كان يدرس عمليا فى بيمارستان كبير كان نموذجًا لما كانت عليه الدراسة من بعد فى العالم الإسلامى . ومن هذه المدرسة أيضا اتصل العلماء اليونانيون والسريان والفرس بعلماء الهند وتأثر بعضهم بعضًا ، وفى الطب العربى الإسلامى بقايا هذا التأثر[1] ومن المعلوم أن دراسة الطب والفلسفة ، خصوصا دراسة كتب بقراط وجالينوس ومنطق أرسطو ، دخلت من الاسكندرية إلى الامبراطورية الفارسية الساسانية قبل ظهور الإسلام بزمن طويل ، وأنها رسخت فى القرن الثانى الهجرى عن طريق الترجمات السريانية والعربية وكان منصب رئيس الأطباء والفلاسفة قد أصبح منذ القرن الثالث منصبا رسميًّا يمنحه الحكام ، وكان لقب رئيس الفلاسفة لقبًا خصوصيًا يطلق باعتراف المتفلسفة به لأكبر الحكماء والعلماء[2] وكان معظم مترجمى القرن الثالث الهجرى من الأطباء[3] . ويظهر أن علم الطب كان أكبر نفعا عند الخلفاء العباسيين ، وقد عنى به الخلفاء لأسباب غنية عن البيان ، وكانت عنايتهم بالطب لذاته من أكبر الأسباب التى جعلتهم يعهدون إلى كثير من المترجمين بنقل كتب اليونان إلى اللسان العربى فلا عجب بعد هذا أن يظهر فى الطب تأثير النظريات الرياضية والطبيعية والمنطقية أيضا ، فبينما كان الطبيب إلى ذلك العهد يكتفى بما انتهى إليه من التعاويذ السحرية ومن وسائل أخرى عجنتها التجارب ، إذا بالمجتمع الجديد الذى نشأ فى القرن الثالث الهجرى يوجب على الطبيب معرفة الفلسفة ، فصار يجب عليه الإلمام بطبائع الأغذية والأطعمة والأدوية والأمزجة ،

---

(١) التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية عبد الرحمن بدوى ص ٥٨ .

(٢) التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية عبد الرحمن بدوى ص ١٠٠ .

(٣) تاريخ الفلسفة فى الإسلام ترجمة أبى ريدة ص ٣٦ .

كان يلزمه فوق هذا ، أن يلم بفعل الكواكب فى كل ما يعرض له من حالات ، وكان الطبيب أخا للمنجم ، وكان علم المنجم يرغمه على الاحترام له[1] . وعن معرفة الطبيب والمامه العلمى يقول أبو حيان فى مقابساته : قال العامرى : الطبيب أخو المنجم ، ونظيره وشبيه الحال به[2] ، ويقول أيضا : يقال واحد فى الموضوع وكثير فى الحد ، كما يقال إن زيدًا الكاتب ، اذا كان طبيبًا ومنجمًا وذا صناعات كثيرة ، إنه الطبيب والمنجم والكاتب ، واحد فى الموضوع[3] .

١) الطب ، الطبيب :

الطِّبُّ : علاج الجسم والنفس . والطَّبُّ بالفتح : الحذق بالأشياء والمهارة بها والطبيب فى الأصل : الحاذق بالأمور العارف بها . وكل حاذق بعلمه طبيب عند العرب ، وبه سمى الطبيب الذى يعالج المرض . والمتطبب الذى يتعاطى علم الطب . وجمع القليل أطبة والكثير أطباء . والطَّبّ والطُّبّ : السِّحْرُ ، والمطبوب : المسحور . والطِّبّ : الرِّفق ، والطبيب : الرفيق . والطِّب : الطوية والشهوة والإرادة . وطبيب السقاء : رقعته وقد طب السقاء وطببه شُدِّد للكثرة[4] ويعرف أبو حيان **الطِّبّ** . فيقول : يقصد بالطب استدامة الصحة ما دامت الصحة موجودة ، وصرف العلة إذا كانت العلة عارضة[5] ، ويقول فى مقابساته ذاكرًا لفظة الطّب بالمعنى العلمى : إن الطب قد يرسم بأنه حفظ الصحة بالتدبير المحمود ، وإزالة العلة بالرأى الصحيح[6] ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الطب : لأن الله تقدس كما أراد بالعافية والبرء والسلامة والنجاة ، إنعامًا وامتنانا

---

(١) تاريخ الفلسفة فى الإسلام ترجمة أبى ريدة ص ١٤٦ .
(٢) المقابسات ص ١٧٧ .
(٣) المقابسات ص ٣١٦ .
(٤) اللسان حـ ٢ ص ٥٦٤ .
(٥) المقابسات ص ٥٨ .
(٦) المقابسات ص ١٧٧ .

كذلك أراد العلة والمرض والنكس اختبارًا وامتحانًا ثم أشاع الله العلم بالطب[١] .

وفى الإمتاع والمؤانسة يقول أبو حيان شارحًا لفظة الطب : انظر إلى حديث الطب فإن هذه الصناعة توسطت الصواب والخطأ ، لتكون الحكمة سارية فيها ، واللطف معهودًا بها ، لأن الطب كما يبرأ به العليل ، قد يهلك معه العليل[٢] .

ويقول أبو حيان فى نص من كتاب البصائر والذخائر ذاكرًا لفظة الطّب وأقسام هذا العلم : قال بعض شيوخ الطب : الطب ينقسم قسمين وهما العلم والعمل . قال : والعلم ثلاثة : علم الطبائع وعلم الأسباب ، وعلم العلامات[٣] ، ويستمر أبو حيان فى حديثه طويلًا معددًا أقسام الطب وعلومه ويقول فى نهاية حديثه : وقد يقول العائب أطلت هذا الفصل فى الطب حتى كأن الكتاب نصب لهذا الغرض ، وأريد به هذا الباب[٤] .

وترد اللفظتان **طِبّ وطَبيب** فى نصوص عديدة من كتابات أبى حيان ، ففى أحد هذه النصوص يقول أبو حيان : ولوعًا فى الله تبارك وتعالى بالطب أبدا لا يتخذ الناس الطبيب ربًا ، ولو لم ينفع بالطب أحدًا ، لهجر الناس الطب هجرًا[٥] ، وفى نص آخر يقول أبو حيان ذاكرًا لفظتى طبّ وطبيب : إن الطبيب عندنا الحاذق فى طبه هو الذى يجمع بين الأمرين أعنى أنه يبرىء المريض من مرضه ويحفظ الصحيح على صحته[٦] . ويقول أبو حيان شارحا عمل الطبيب : إن المادة التى يفعل بها الطبيب بوهمه إنما هى الصحة ، والفاعل هو الطبيب المعالج والغرض الذى بسببه يفعل الطبيب إنما هو بقاء جسم المعالج المدة التى تتهيأ له أن يبقاها[٧] ، وعن طريقة العلاج التى يتبعها الطبيب مع مرضاه ، يقول أبو حيان : الطبيب

---

(١) المقابسات ص ١٧٨ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٤٠ .
(٣) البصائر والدخائر جـ ٢ ص ٨٤٥ .
(٤) البصائر والدخائر جـ ٢ ص ٨٤٨ .
(٥) المقابسات ص ١٧٨ .
(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٢ .
(٧) البصائر والدخائر جـ ٢ ص ٧٦٤ .

الذى يجمع معالجة كثيرة بضروب الأدوية المختلفة والأغذية المتباينة هذا والطبيب فقير إلى تقديم النظر فى نفسه وبدنه[1] ، ويقول أبو حيان أيضا : والشيء الذى يتخذه الطبيب آلة فى المعالجة ، وإفادة الصحة هو كالعضد ، وسقى الأدوية[2] ، ويقول أبو حيان ناصحًا لمن يريد العلاج عند الطبيب : إذا وجدت طبيبًا يجمع لك بين الحذق والنصح فارفع إليه داءك[3] ولفظة **أطباء** جمع طبيب[4] ترد فى نصوص عديدة من كتابات أبى حيان فيقول ذاكرًا لفظة أطباء بالمعنى العلمى : قال بعض الأطباء : وأما العمل فيقسم إلى قسمين : أحدهما : حفظ الصحة ، والآخر : اجتلاب الصحة[5] .

ويذكر أبو حيان نوعا آخر من الأطباء وهم **أطباء النفوس** : ومن المتفلسفين الذين هم أطباء النفوس ، من كان يذم مقابح الأخلاق ومفاحش الأفعال فيرتكبها فى خلواتها[6] ، ويقول أيضا مواصلًا حديثه عن أطباء النفوس : وإذا كان الإنسان قد علم أنه مركب من شيئين : أحدهما شريف وهو النفس ، والآخر دنىء وهو الجسم فاتخذ للدنىء منها أطباء يعالجونه من أمراضه ، ويتعاهدونه بأدويته ، وترك أن يفعل بالشيء الشريف مثل ذلك فقد أساء الاختيار عن بينة ، وأطباء هذه النفوس هم أهل الفضل ، وأدويتهم المنقية هى النواهى والمواعظ المسموعة منهم[7] ومن المادة « طبب » يذكر أبو حيان فى مجال حديثه عن الطب والأطباء ألفاظًا مثل مطبوب ومتطببين .

ترد لفظة **مطبوب** فى قول أبى حيان : ياهذا ! إذا وجدت طبيبًا يجمع لك بين الحذق والنصح فارفع إليه داءك ، هذا إن كنت تحس بدائك ، وتحن إلى شفائك ، وتعلم أنك مطبوب ومحتاج إلى قيم بك[8] .

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٣٢ .
(٢) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٧٦٤ .
(٣) الإشارات الإلهية ص ١١٨ .
(٤) البصائر والذخائر جـ ٢ ص ٨٠ .
(٥) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٢٦٥ .
(٦) الإشارات الإلهية ص ٣٩٩ .
(٧) الإشارات الإلهية ص ٣٣٩ .
(٨) الإشارات الإلهية ص ١١٨ .

ويذكر أبو حيان لفظة **متطبب** والجمع متطببين فى حديثه مع خبير فى الهندسة : إن أمرك لعجب ، لم أر فى أميال المتطببين كميلك ، اتفقأ به الأعين ؟ فقال : لست متطببا ، ولكنى أخط به الهندسة وأقيم عليها البرهان بالقياس والفلسفة[1] ، ويقول أيضا ذاكرًا لفظة **متطببين** : ويعرف من المتطببين من كان ينهى عن يسير التخليط فى المآكل وينهمك فى كثيره[2] .

مما تقدم نجد أن الألفاظ طب ، وطبيب ، وأطباء ، ومطبوب ، ومتطبب ومتطببين وردت فى كتابات أبى حيان بالمعنى الاصطلاحى الخاص بالعلوم الطبية ، وهذا المعنى يطابق ما جاء فى اللسان عند تناوله لهذه الألفاظ من المادة (ط ب ب) .

وفى مجال التغير الدلالى نجد أن لفظة الطب استعملت فى العصور العربية القديمة بمعنى الحذق بالأشياء والمهارة بها . وأن لفظة طبيب أطلقت قديما على الحاذق من الرجال الماهر بعلمه ، ثم تطورت دلالة هذه الألفاظ عبر العصور وتخصصت بعد أن كانت عامة فلفظة الطب خصصت بعلم الطب الذى يبحث فيه عن بدن الإنسان من جهة إزالة المرض وحفظ الصحة ، وتخصصت لفظة الطبيب بمن يتقن علم الطب ويزاول هذه المهنة . وأصبحت لفظة الطب ولفظة الطبيب أكثر تخصيصًا فى الدلالة عندما استخدمت هاتان اللفظتان كمصطلحات طبية . هذا وقد دلت نصوص أبى حيان على هذا التخصيص الدلالى .

(٢) الأدوية ، العقاقير ، الصيدلانى :

لفظة دواء والجمع أدوية تدخل فى مجال الألفاظ الطبية وكذلك لفظة عقاقير ولفظة صيدلانى .

والدَّواء ممدود واحد الأدوية ، والدِّواء بالكسر لغة فيه . يقال داويت العليل

---

(١) مثالب الوزيرين ص ١٦٢ .

(٢) الإشارات الإلهية ص ٣٩٩

دَوِى بفتح الدال ، إذا عالجته بالأشفية التى توافقه ودُووى الشىء أى عولج[1] .

وفى معنى الدواء والأدوية يقول التهانوى فى كشاف اصطلاحات الفنون : الدواء بالحركات الثلاث ، والفتح أشهر وبالمد فى اللغة دواء والجمع أدوية وعرفه الأطباء بما يؤثر فى البدن أثرا ما بكيفيّة أى بسبب كيفية وهى احتراز عما يؤثر فيه بمادته أو بصورته النوعية فإن كلا منهما خارج عن حكم الدواء المطلق ويدخل فيه الدواء المطلق والدواء السمى وكذا الدواء الغذائى والغذاء الدوائى لأن كلا منهما دواء من وجه وغذاء من وجه ، والدواء إما مفرد وهو الدواء الواحد وإما مركب وهو ما يكون مركبًا من دوائين أو أكثر ومن الأدوية ما هو مركب[2] .

ويقول التهانوى : اعلم أنه لا يوصل إلى تحقيق درجة الدواء إلا بالتناول والمراد به المعتدل فى نوعه والمأخوذ بمقدار مخصوص وهو المقدار المستعمل منه عادة وذلك لأن الشيخ قال فى طبيعيات الشفاء إن كمية الشىء إذا ازدادت ازدادت الكيفية[3] .

وترد لفظة **الدّواء** والجمع **أدوية** فى نصوص متعددة من كتابات أبى حيان ففى نص له من كتاب الإمتاع والمؤانسة يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الدواء : ليس دواء المبرسم إلّا الموت حتى تقل حرارة صدره ثم حينئذ يعالج بالأدوية الباردة حتى يستبل[4] ويقول ذاكرًا لفظة أدوية : والأشفية : الأدوية ، وأشفى فلان : أى قرب من المحذور[5] ويقول أيضا ذاكرًا لفظة أدوية : خير الأدوية ما نجع ، خير الكلام ما نفع[6] .

---

(١) اللسان جـ ١ ص ١٠٤١ .

(٢ ، ٣) كشاف اصطلاحات الفنون جـ ٢ ص ٥٠٤ وانظر صناعة الدواء وتعاطى الأدوية المقدمة لابن خلدون ص ٤١٥ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٥ .

(٥) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٤١٦ .

(٦) الإشارات الإلهية ص ٤٢ .

ولفظة عَقاقِير وهى أصول الأدوية وكما جاء فى اللسان العَقّار والعِقّر : ما يُتَداوى به من النبات والشجر[1] .

وترد لفظة **عقاقير** فى نصوص أوردها أبو حيان فى كتاباته فقال : وكان بقراط يقول : يجب أن يداوى كل عليل بعقاقير أرضه[2] ، وفى نص من الإشارات الإلهية يذكر أبو حيان لفظة عقاقير فيقول : يا هذا ! إنما احتجت إلى تهذيب الأخلاق لأنك معجون من عقاقير كثيرة ، ومركب من أضداد متعادية ، وأشكال متوافية[3] .

ولفظة **الصّيدلانى** من الألفاظ العلمية وتدخل فى مجال الألفاظ الطبية والصيدلانى هو الذى يقوم بتركيب المركبات الدوائية من جهة الوزن والوقت والتقديم والتأخير إلى غير ذلك من الأحوال التى يعرفها من يزاولها[4] . والصيدلانى كما جاء فى اللسان : فارسيّ معرب والجمع صَيادِلة[5] .

ترد لفظة صيدلانى عند أبى حيان بلغتين صيدلانى ، وصيدنانى ، ويعرف آدى شير فى معجمه : الصيدلانى والصيدنانى فيقول : الصيدنانى بياع العطر والعقاقير والأدوية قيل هو فارسيّ معرب ولم أجده . وأظن أن أصل الصيدلانى صندلانى أى بياع الصندل ثم أطلق على كل من يبيع أى جنس كان من العطر والعقاقير والأدوية[6] .

ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة **الصيدلانى** : قال عثمان الصيدلانى : شهدت إبراهيم الحرانى وقد أتاه حائك فى يوم عيد[7] ويقول أيضا : ويقال له – يقصد الصاحب – اجلس فى الأسواق عند الباقلانى ، وعند الصيدلانى ، وعند المراق ، وعند الهراس واطرح له حسن العدل والتوحيد ، وادعه إلى المذهب[8] .

---

(١) اللسان حـ ٢ ص ٨٤٠ .
(٢) البصائر والدخائر حـ ٢ ص ٦٩٥ .
(٣) الإشارات الإلهية ص ١٧٢ .
(٤) أبجد العلوم للقنوجى قسم ٢ حـ ٢ ص ٥٣٢ .
(٥) اللسان حـ ٢ ص ٤٣٢ .
(٦) الألفاظ الفارسية المعربة آدى شير ص ١٠٩ .
(٧) البصائر والدخائر حـ ٤ ص ١٤٦ .
(٨) مثالب الوزيرين ص ٣٠٧ .

ويذكر أبو حيان لفظة **صيدناني** فيقول : سمعت على بن عيسى يقول : كان عندنا صيدناني يقال له أبو شجاع ، وكان يتمثل بدوائه ودواء غيره[1] .

يتضح من نصوص أبي حيان المتضمنة للألفاظ دواء ، وأدوية ، وعقاقير ، وصيدلاني أن هذه الألفاظ جاءت عند أبي حيان بالمعنى الاصطلاحي العلمي الخاص بالعلوم الطبية وهذا المعنى واضح في اللسان عند تناوله لهذه الألفاظ .

وفي مجال التغير الدلالي يتضح أن هذه المجموعة من الألفاظ العلمية هي ألفاظ عامة تخصصت دلالتها عند استخدامها كمصطلحات طبية ونصوص أبي حيان تبين هذا التخصص الدلالي .

ثانيا : علوم الرياضيات :

قال الخوارزمي في كتابه مفاتيح العلوم : وأما العلم التعليمي والرياضي فهو أربعة أقسام أحدها علم الأرثماطيقي وهو علم العدد والحساب ، والثاني الجومطريا وهو علم الهندسة ، والثالث علم الأسطرنوميا وهو علم النجوم والرابع علم الموسيقى وهو علم اللحون[2] وجعل إخوان الصفا القسم الرياضي أول أقسام رسائلهم فمن قولهم في الرسالة الثانية : الرياضيات أربعة أنواع : أولها الأرثماطيقي ، وهو معرفة العدد وكمية أجناسه وخواصه وأنواعه وخواص تلك الأنواع ، ومبدأ هذا العلم من الواحد الذي قبل الاثنين . والثاني الجومطريا هو علم الهندسة ، وهي معرفة المقادير والأبعاد وكمية أنواعها وخواص تلك الأنواع ، ومبدأ هذا العلم من النقطة التي هي طرف الخط أي نهايته ، والثالث الأسطرنوميا ، يعني علم النجوم ، وهو معرفة تركيب الأفلاك وتخطيط البروج وعدد الكواكب وطبائعها ودلائلها على الأشياء الكائنات في هذا العلم من حركة

---

(١) البصائر والذخائر جـ ٣ ص ٣٠٩ . (٢) مفاتيح العلوم للخوارزمي ص ٨٠ .

(٣) رسائل إخوان الصفا جـ ١ ص ٧٨ ، ص ٧٩ .

الشمس . والرابع الموسيقى ، وهو معرفة التأليفات والنسب بين الأشياء المختلفة والجواهر المتضادة القوى ، ومبدأ هذا العلم من نسبة المساواة نسبة الثلاثة إلى الستة كنسبة الاثنين إلى الأربعة[1] .

والتهانوى فى تعريفه للعلم الرياضى قال فى مقدمة كشافه : العلم الرياضى هو علم بأحوال ما يفتقر فى الوجود الخارجى دون التعقل إلى المادة ويسمى أيضا بالعلم التعليمى . وأصوله أربعة ، وذلك لأن موضوعه الكم وهوإمامتصل أو منفصل ، والمتصل إما متحرك أو ساكن ، فالمتحرك هو الهيئة ، والساكن هو الهندسة ، والمنفصل إما أن يكون له نسبة تأليفية أولا فالأول هو الموسيقى ، والثانى هو الحساب[2] وكان الحساب يضعونه فى مرتبة أعلى من الهندسة ، لأن الحساب أقل تعلقا بالحسّ ، وأحرى أن يدنوا بالعقل من جوهر الأشياء ، حتى كان تفضيل علماء المسلمين له مما يسر للخيال التلاعب الغريب بالأعداد . وبديهى أن يكون الله عندهم هو الواحد الأكبر الذى عنه يصدر كل شيء وهو ليس عددًا ، بل هو خالق العدد ، على أنه كان للأربعة ، وهو العدد الدال على العناصر الأربعة وغيرها[3] وأبو حيان فى كتاباته يذكر العلوم بأنواعها المختلفة فيقول : وإلى التوحيد تنتهى الفلسفة بأجزائها الكثيرة ، وأبوابها المختلفة ، وطرقها المتشعبة ، وأعوذ بالله من صناعة لا تحقق التوحيد ولا تدل على الواحد . ووجدت أرباب هذه الصناعات ، أعنى الهندسية والطب والحساب والموسيقى والمنطق والتنجيم معرضين عن تجشم هذه الغايات ، بل وجدتهم تاركين الإلمام بهذه الحافات ، وهذه آفة نسأل الله السلامة منها[4] ، ويقول أبو حيان أيضا معددًا العلوم الفلسفية ونص من كتاب الإمتاع يصف فيه ابن عباد : هو شديد التعصب على أهل الحكمة والناظرين فى أجزائها ، كالهندسة والطب ، والتنجيم والموسيقى

---

(١) رسائل إخوان الصفا جـ ١ ص ٧٨ ، ص ٧٩ . (٢) كشاف اصطلاحات الفنون جـ ١ ص ٥٩ .
(٣) تاريخ الفلسفة فى الإسلام دى بور ص ١٤٢ . (٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١٣٥ .

والمنطق والعدد[1] من تقسيمات أبى حيان لهذه العلوم العقلية نجد أن الهندسة والموسيقى والتنجيم من العلوم الفلسفية .

وعلم العدد الذى ورد فى نصوص أبى حيان يعرفه الخُوارزمى فى مفاتيح العلوم فيقول : الأرثماطيقى علم العدد ، العدد هو الكثرة المركبة من الآحاد فالواحد إذا ليس بالعدد وإنما هو ركن العدد[2] ، وعن علم العدد يقول التهانوى فى كشافه : علم العدد هو من أصول الرياضى ، ويسمى بعلم الحساب أيضا وهو نوعان : نظرى وعملى .

١) **العدد ، والحساب :**

وأما العدد المطلق فإنما هو موضوع علم الحساب النظرى[3] وعلم **الحساب والعدد** يتحدث عنهما أبو حيان فى رسالته ثمرات العلوم فيقول : وأما الناظِر فى الحساب المفرد بالعدد فهو شريك صاحب النجوم اللهم إلَّا أن يتفرد فى الحساب بالعمل فحينئذ لا يستحق شرف العلماء لأنه يكون فى درجة الصناع كالكاتب والماسح[4] .

معنى الحساب والعدد كما جاء فى اللسان : الحساب والحسابة : عدك الشيء وحسب الشيء يحسبه حسبا وحسابا : عده[5] والعد : إحصاء الشيء ، والعدد : مقدار ما يعد ومبلغه والجمع أعداد[6] ولفظة الحساب ترد عند أبى حيان فى نص يصف فيه ابن العميد فيقول : ويتشبع بالهندسة وهو منها بعيد ، ولم يكن معه من صناعة الكتابة الأصل وهو الحساب[7] بيّن أبو حيان فى نصه هذا بأن الحساب هو الأصل فى الكتابة بفنونها المختلفة .

---

(١) الإمتاع والمؤانسة حـ ١ ص ٥٤ .

(٢) مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ١٠٨ . وانظر اللسان جـ ٣ ص ٨٣٨ .

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون جـ ١ ص ٦٤

(٤) رسالة فى ثمرات العلوم ص ١٩٥ .

(٥) اللسان حـ ١ ص ٦٣٠ .

(٦) اللسان جـ ٢ ص ٧٠٢ .

٢) الهندسة :

قال الخوارزمى : هذه الصناعة تسمى باليونانية جومطريا وهى صناعة المساحة والهندسة كلمة فارسية معربة وأصلها بالفارسية إندازه [١] وقال إخوان الصفا فى رسائلهم فى فضل الهندسة وبيان ما هيتها : إن النظر فى الهندسة الحسية يؤدى إلى الحذق فى الصنائع العملية ، والنظر فى الهندسية العقلية يؤدى إلى الحذق فى الصنائع العلمية . لأن هذا العلم هو أحد الأبواب التى تؤدى إلى معرفة جوهر النفس التى هى جذر العلوم وعنصر الحكمة ، وأصل الصنائع العلمية والعملية جميعا[٢] وقال القنوجى الحسينى فى أبجد العلوم معرفا علم الهندسة : هو علم بقوانين تعرف منه الأصول العارضة للكم من حيث هو كم ، ويعرف منه أحوال المقادير ولواحقها وأوضاع بعضها عند بعض ونسبتها وخواص أشكالها والطرق إلى عمل ما سبيله أن يعمل بها واستخراج ما يحتاج إلى استخراجه بالبراهين اليقينية واتفقوا على أن أقوى العلوم برهانًا هى العلوم الهندسية[٣] .

وجاء فى اللسان الهندسة معربة عن الفارسية وأصلها أندازه ، فصيروا الزاى سينا لأنه ليس فى كلام العرب زاى قبلها دال ، فقالوا هندسة[٤] .

وقال أبو حيان عن **الهندسة** ومن يحترف هذه الصناعة : وأما الناظر فى الهندسة فإنه إن سلك الصنائع بها فهو نظير حافر الأنهار ومجرى الأودية وبانى الحمامات ومن قام بمصالح العباد وعمل البلاد وإن سلك طريق من يفرض المقادير فرضًا ويتكلم عليها كلامًا فهو العالم العارى عن العمل[٥] وضح أبو حيان فى نصه هذا معنى الهندسة كمصطلح علمى ومعناها أيضا كحرفة ثقافية .

---

(١) مفاتيح العلوم للخوارزمى ص١١٧ .
(٢) رسائل إخوان الصفا جـ١ ص٨٠ وانظر المقدمة لابن خلدون ص٤٨٥ .
(٣)أبجد العلوم جـ٢ قسم ٢ ص٦٨٨ .   (٤) اللسان جـ٣ ص٨٣٨ .
(٥) رسالة فى ثمرات العلوم ص١٩٥ .

ويعرف أبو حيان علم الهندسة فيقول : لأن الإنسان وإن بلغ المنتهى فى أمانى نفسه من كل علم كالهندسة والحساب والنجوم ، والطب وسائر أجزاء الفلسفة فإن آخر مطالبه أن يعلم معاده ويعرف منقلبه[1] ، ويخصص أبو حيان إحدى مقابساته لتعريف علم الهندسة والتعليم الهندسى نسبة إلى الهندسة فيقول : هذه مقابسة رسمنا منها كلمات نافعة ولم ننسبها إلى شيخ واحد ، قال قائل : **التعليم الهندسى** صناعة من الصناعات العقلية والإنسية ويقع تحتها علم المقادير والأبعاد والأشكال والزوايا ، وما يقع تحت كل مقدار وبعد من الزوايا الخطية والسطحية والجسمية . والهندسة صناعة معرفة المقادير وطبائعها وخواصها وما يقع تحتها من أجزائها وأشخاصها والمقادير هى الأشياء ذوات الأبعاد ، وهى ثلاثة : خطوط ، وبسائط ، وأجسام . كذلك الأبعاد ثلاثة : طول ، وعرض ، وعمق ، فللمقدار الخطى بعد واحد وهو الطول ، وللمقدار السطحى بعدان وهما الطول والعرض ، وللمقدار الجسمى ثلاثة أبعاد وهى : الطول والعرض والعمق . فالجسم المقدار التام[2] التعلم الهندسى تعبير سياق مستحدث فى عصر أبى حيان . وعلوم أخرى من علوم الهندسة يذكرها أبو حيان فى نص يرد على لسان العامرى مخاطبًا أبا الفتح بن العميد فيقول : لقد قصدتك من خراسان لأقرأ عليك علم الحيل وجر الثقيل ، ومراكز الأثقال ، وهو فى أواخر علم الهندسة[3] . .

وترد لفظة هندسة كثيرًا فى كتابات أبى حيان ففى نص له من رسالة الكتابة يذكر هندسة الخط فيقول أبو حيان : والخط فى الجملة كما قال اقليدس : هندسة روحانية بآلة جسمانية[4] ويقول أبو حيان أيضا ذاكرًا لفظة الهندسة فى مجال الخط والكتابة : سمعت ابن المرزبان الكاتب البليغ يقول : الخط هندسة صعبة ،

---

(١) المقابسات ص٤٤٧ . (٢) المقابسات ص٣٩٢ .

(٣) مثالب الوزيرين ص٢٢٧ .

(٤) رسالة فى علم الكتابة ص٣٢ كتاب اقليدس فى هذه الصناعة هو أول ماترجم من كتب اليونانيين فى أيام أبى جعفر المنصور . انظر المقدمة ص٤٨٦ .

وصناعة شاقة(١) ويذكر أبو حيان لفظة هندسة فى نصوص يصف فيها أعلام عصره فيقول عن أستاذه أبى سعيد السيرافى : وكان أبو سعيد بعيد القرين ، لأنه كان يقرأ عليه القرآن والفقه ، والحساب والهندسة والحديث والأخبار ، وهو فى كل هذا إما فى الغاية وإما فى الوسط(٢) ، ويقول ذاكرًا لفظة الهندسة فى حديثه عن الهروى : وأما الهروى فإنه ارتبط بأمر ركن الدولة ، وكان يمده فى ماله لأنه حمد فى طبّه الذى كان يتكثر به بعد هندسته التى كان فيها أبدع وبها أعرف(٣) وترد لفظة هندسة أيضا فى نص لأبى حيان يصف فيه الوزير ابن الفرات فيقول : إن له خبرة بالتصرف ، وهناك أيضا قسط من العلم بأوائل الهندسة(٤) ويذكر أبو حيان لفظة الهندسة فى تعريفه للأمم التى اشتهرت بالهندسة ، وقد جاء هذا على لسان ابن المقفع فى سؤاله عن أعقل الأمم ، قال أبو حيان : فقلنا : فارس أعقل الأمم ، نقصد مقاربته ، قال : كلا . فقلنا له : الروم . فقال ليس ذلك عندها بل لهم أبدان وثيقة وهم أصحاب بناء وهندسة(٥) .

ويقول أبو حيان ذاكرًا الهندسة كعلم من العلوم الفلسفية : ولكنى أخط به الهندسة وأقيم عليها البرهان بالقياس والفلسفة(٦) ، وبعد هذا الوصف الممتع لعلم الهندسة وفروعه وفوائده وكيفية تناوله كما جاء فى كتابات أبى حيان نذكر لفظة **المهندس** والجمع مهندسين والمهندس معرب . وأصله بالفارسية المهندز أى المقدر لمجارى المياه والقنى واحتفارها حيث تحفر وهو مشتق من الهنداز وهى فارسية أصلها أو إنذار وقد أبدلت الألف الأولى بالهاء والزاى بالسين ، وحذفت الألف الثانية فصار هندسة . ومهندس لأنه ليس فى كلام العرب زاى قبلها دال(٧)

---

(١) رسالة فى علم الكتابة ص٣٦ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة حـ١ ص١٣٣ .
(٣) مثالب الوزيرين ص٢٢٨ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة حـ٣ ص١٣٥ .
(٥) الإمتاع والمؤانسة حـ١ ص٧١ .
(٦) مثالب الوزيرين ص١٦٢ .
(٧) اللسان حـ٣ ص٨٣٨ وانظر مفاتيح العلوم ص١١٧ وكشاف اصطلاحات الفنون حـ١ ص٦٤ .

ويعرف أبو حيان المهندس فى كتاباته فيقول : المهندس الباحث عن المقادير[١] .

وترد لفظة مهندس فى نصوص كثيرة من كتابات أبى حيان فمن قوله : وصاحب المنطق يرى أن الطبيب والمنجم والمهندس وكل من فاه بلفظ وأم غرضا فقراء إليه[٢] وقوله أيضا ذاكرًا لفظة مهندس : وكان أبو سليمان يقول : هذا آخر ما فى الجواب ، وهو حسرة الطبيب ، والمهندس ، والمنجم ، والموسيقار ، والمنطقى ، والكلامى ، وجميع أصحاب النظر والقياس[٣] . وردت لفظة مهندس فى نصوص أبى حيان مرادفة للفظة الطبيب والمنجم والموسيقار والمنطقى أيضا .

ولفظة الجمع **مهندسون** ترد عند أبى حيان فى مثل قوله : بالضرورة وبالواجب ينبغى أن تخطو على آثار المنطقيين والطبيعيين والمهندسين بالزحف والعناء[٤] وعلى لسان ابن عباد يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة مهندسين : أعوذ بالله وأبرأ إليه من الهندسة ومما تدل عليه ، وترشد إليه ، وإنى برىء من المهندسين ومما يعلنون ويسرون[٥] .

يتبين مما تقدم أن الألفاظ التالية مثل الحساب والعدد والهندسة والمهندس وردت عند أبى حيان بالمعنى الاصطلاحى العلمى الخاص بعلوم الرياضيات . وجاءت هذه الألفاظ العلمية فى اللسان بالمعنى اللغوى العام . ومن الملاحظ أن لفظة الهندسة المعربة عن الفارسية الهنداز قد اشتقت منها لفظة المهندس ، وقد أورد أبو حيان صيغة الجمع مهندسين جمعا لها . وهذه الصيغة لم ترد فى اللسان وذكر عوضًا عنها صيغة هنادسة ، وكلمة هندسة جاءت عند أبى حيان بمعنى الحرفة الثقافية وبمعنى المصطلح العلمى الرياضى .

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص٧ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص٧ .
(٣) المقابسات ص٣٠٧ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص١٠٧ .
(٥) مثالب الوزيرين ص١٦٢ .

وفى مجال التغير الدلالى يتبين لنا أن الألفاظ حساب ، وعدد ، وهندسة ، ومهندس ألفاظ عامة تخصصت دلالتها عند استخدامها كمصطلحات علمية خاصة بمجال العلم الرياضي وهذا ما دلت عليه نصوص أبى حيان المتضمنة لهذه الألفاظ .

ثالثا : علم النجوم والتنجيم ، والفلك ، والأجرام :

علم النجوم يسمى بالعربية التنجيم وباليونانية اصطرنوميا : واصطر هو النجم ونوميا هو العلم[1] والاسطرنوميا هى الرسالة الثالثة من رسائل إخوان الصفا الموسومة بالاسطرنوميا فى علم النجوم وتركيب الأفلاك وقد جاء فى هذه الرسالة أن علم النجوم ينقسم ثلاثة أقسام : قسم منها هو معرفة تركيب الأفلاك ، وكمية الكواكب ، وأقسام البروج ويسمى هذا القسم علم الهيئة . وقسم منها هو معرفة حل الزيجات وعمل التقاويم واستخراج التواريخ . وقسم منها هو معرفة كيفية الاستدلال بدوران الفلك وطوالع البروج وحركات الكواكب على الكائنات ويسمى هذا النوع علم الأحكام[2] ويعد ابن سينا ومعه أكثر فلاسفة العرب أن علم أحكام النجوم من الأقسام الفرعية للحكمة الطبيعية كالطب والفراسة[3] أما أصحاب علم النجوم قد اتفقوا أن أحكام النجوم فرع أو قسم من علم النجوم وأنه من الرياضيات كالهيئة لا من الطبيعيات[4] .

وفى مفتاح السعادة قال طاش كبرى زاده : إن أحكام النجوم غير علم النجوم ، لأن الثانى يعرف بالحساب فيكون من فروع الرياضي ، والأول يعرف بدلالة الطبيعة على الآثار فيكون من فروع الطبيعى[5] ، وفى كشاف اصطلاحات

---

(١) مفاتيح العلوم ص١٢٢ .

(٢) رسائل إخوان الصفا حـ١ ص١١٤ ..

(٣) علم الفلك بليبو حـ١ ص٢٩ .

(٤) علم الفلك بيليبو حـ ١ ص ٣٠ .

(٥) مفتاح السعادة طاش كبرى زاده حـ١ ص٣٥٩ .

الفنون موضوعه النجوم من حيث يمكن أن تعرف بها أحوال العالم[١] ، وفى أبجد العلوم أن علم النجوم أربع طبقات الأولى معرفة رقم التقويم ، والثانية معرفة المدخل إلى علم النجوم ومعرفة طبائع الكواكب والبروج والثالثة معرفة حسنات أعمال النجوم وعمل الزيج والرابعة معرفة الهيئة والبراهين الهندسية على صحة أعمال النجوم[٢] .

ويذكر أبو حيان فى كتاباته بأن علم الهيئة على أنه أحد الأقسام الأصلية للعلوم الرياضية فيقول : كالصناعات كلها كالهندسة فى شرفها ، والهيئة فى علو رتبتها وحدود هذه العلوم بعيدة وفوائدها جمة[٣] .

وفى عصر أبى حيان نرى أن الناس قد ازدادوا كلفا بأحكام النجوم وحبا للاطلاع على الكتب فى هذا الفن حتى صار جاريا على ألسنة الناس القول الذى أورده أبو حيان فى نص له من كتاب البصائر والذخائر والذي يقول فيه : العلوم أربعة : الفقه للأديان ، والطب للأبدان ، والنجوم للأزمان ، والنحو للسان[٤] ومما ساعد على الاشتغال بعلم النجوم فى ذلك العصر هو شغف الخلفاء العباسيين بهذه العلوم ، ففى خلافة المنصور نقل أبو يحيى البطريق كتاب الأربع مقالات لبطليموس فى صناعة أحكام النجوم[٥] ، وفى أيام المأمون انتشر مذهب بطليموس فى الحساب والجداول الفلكية[٦] .

كان لرجال الدين موقف من علم النجوم والتنجيم وعن موقفهم هذا يقول نلينو فى كتابه علم الفلك : قال إخوان الصفا فى رسائلهم : اعلم أن الفقهاء

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون حـ١ ص٧٢ .
(٢) أبجد العلوم القنوجى جـ٢ ص٦٢٤ .
(٣) المقابسات ص٦٠ .
(٤) البصائر والذخائر جـ١ ص١١٣ .
(٥) علم الفلك نلينو جـ١ ص١٤٦ .
(٦) علم الفلك نلينو جـ١ ص١٥٠ وانظر المقدمة لابن خلدون ص٤٨٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأصحاب الحديث وأهل الورع والمتنسكين قد نهوا عن النظر فى علم النجوم ، وإنما نهوا عنه لأن علم النجوم جزء من علم الفلسفة ، ويكره النظر فى علوم الفلسفة للأحداث والصبيان وكل من لم يتعلم علم الدين ، ولا يعرف من أحكام الشريعة قدر ما يحتاج إليه وما هو فرض عليه[1] ، وأدى التنجيم إلى آراء تعارض العقيدة الدينية ، فلم ينل تأييد حماة الدين ، وذلك أنه لم يكن عند المؤمن من أنواع التقابل إلّا ما يكون بين الله والعالم أو بين هذه الحياة والحياة الآخرة ، أما عند المنجم فهناك عالمان : عالم علوى وعالم سفلى ، أما الله وأما الحياة الآخرة فكانا بعيدين من ميدان بحثه[2] ، وفى هذا يقول أبو حيان : قال : إن الشريعة مأخوذة عن الله عز وجل ليس فيها حديث المنجم فى تأثيرات الكواكب وحركات الأفلاك ومقادير النجوم[3] . ولكن نلينو فى كتابه علم الفلك يقول غير هذا القول بأن ارتباط بعض أحكام الشريعة بالمسائل الفلكية زاد المسلمين اهتماما بمعرفة أمور السماء والكواكب وحمل أصحاب العلوم الدينية على مدح منفعة علم النجوم ، فلم يذهب إلى ذمه إلا نفر قليل خوفًا من ولوع الناس بأحكام النجوم وبغضا لما سمعوا من وقوع بعض أصحاب الرياضيات فى الكفر والجحد[4] مما حرض أرباب الدين على الالتفات إلى علم الهيئة ما أنزل فى القرآن من الآيات التى تبين ما جعل الله فى الأجرام السماوية وحركاتها من المنفعة الجليلة لكل الناس وتدعو البشر إلى التأمل والتفكر فترون التفاسير الكبرى مثل كتاب مفاتيح الغيب للرازى وتفسير نظام الدين النيسابورى متوسعة فى شرح الفلكيات عند كل سنوح الفرصة[5] .

ولو تصفحنا كتابات أبى حيان لوجدنا العدد الهائل من المصطلحات والألفاظ الخاصة بعلم النجوم مثل : التنجيم وأصحاب النجوم ، والمنجم ، والكواكب

---

(١) علم الفلك نلينو ص٢٣١ .

(٢) تاريخ الفلسفة فى الإسلام دى بور ص١٤٣ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص٨ .

(٤،٥) علم الفلك نلينو ص٢٣١-٢٣٣ .

والأجرام ، والجرم ، والأفلاك ، والفلك ، والتقويم والطالع . جاء فى اللسان : النّجْم فى الأصل : اسم لكل واحد من كواكب السماء ، وهو بالثريا أخص . والنجوم تجمع الكواكب كلها . والنَّجم ما ينبت على وجه الأرض وما طلع من نجوم السماء . ونجم الشيء ينجم نجومًا : طلع وظهر . والنجم : الوقت المضروب وبه سمى المنجم . وتنجيم الدين : هو أن يقدر عطاؤه فى أوقات متتابعة ومنه تنجيم المُكَاتِب ونجوم الكتابة . والمنجم والمتنجم : الذي ينظر فى النجوم بحسب مواقيتها وسيرها . ونجوم الأشياء وظائفها[1] .

ويحدثنا أبو حيان فى مقابساته عن علم النجوم والحديث فى علم النجوم كما يقول أبو حيان ذو شجون ، فيقول فى مقابسته الثانية : قيل لم خلا **علم النجوم** من الفائدة والثمرة وليس علم من العلوم كذلك ؟[2] فإن الطب ليس على هذا وكذلك النحو والبلاغة والهندسة والهيئة[3] ، إن هذه العلوم كثيرة المنافع ، عامة المصالح ، وليس علم النجوم كذلك . فإن صاحبه إن استقصى وبلغ الحد الأقصى فى معرفة الكواكب ، وتحصيل سيرها ، واقترانها ورجوعها ومقابلتها وتربيعها وتثليثها وتسديسها وضروب مزاجها فى مواضعها من بروجها وأشكالها ومقاطعها ومطالعها ومضاربها ومشارقها ومذاهبها ، حتى إذا حكم أصاب ، وإذا أصاب حقق ، وإذا حقق جزم ، وإذا جزم حتم ، فإنه لا يستطيع البتة قلب شيء عن شيء ، أعنى أنه لا يقدر على أن يجعل الإقامة سفرًا ، ولا الهزيمة ظفرًا ، ولا العقد حلًّا ، ولا البعيد قريبًا ولا القريب بعيدًا ، وهذا باب طويل ، والحديث فيه ذو شجون[4] . وفى نص من كتاب البصائر والذخائر يقول أبو حيان معرفًا علم النجوم : وعلم النجوم حق ، أعنى أن آثار الأسباب العلوية ، والمواد السفلية

---

(١) اللسان حـ٣ ص٥٨٩ ، ص٥٩١ .
(٢) المقابسات ص٥٨ .
(٣) المقابسات ص٦٠ .
(٤) المقابسات ص٦١ .

بعضها مرتبط ببعض ، ولكل فاعل منها مفعول[١] .

ويذكر أبو حيان مصطلح علم التنجيم فيقول فى مقابساته : وكمال علم الطبيب أشرف من موضوعه ، وموضوع علم التنجيم أشرف من كماله[٢] .

ثم نأتى إلى من يشتغل بعلم النجوم أو صناعة النجوم وعلم التنجيم أو صناعة التنجيم إذ إن هذا العلم سمى فى القرون الوسطى بأسماء مختلفة ، وهذه الأسماء الأربعة أعم معنى من الأسماء الباقية . ويقول نلينو : والمنجم والمنجمون ألفاظ كان القدماء يطلقونها على من يشتغل بعلم الهيئة وعلم أحكام النجوم أما لفظ الفلك فهو نادر الاستعمال فى ذلك العصر[٣] . والمشتغلون بعلم النجوم ذكرهم أبو حيان فى كتاباته ومنهم : أهل النجوم ، وأصحاب النجوم والمنجم والمنجمين يقول أبو حيان فى كتابه البصائر والذخائر ذاكرا مصطلح أصحاب النجوم : قال **أصحاب النجوم** : إنما جعل البيت الأول هو الطالع لأنه خروج من ظلمة إلى ضياء[٤] ، ويقول ذاكرًا أهل النجوم : وقال بعض **أهل النجوم** : إن الملة الإسرائيلية انعقدت فى نوبة زحل ، وزحل صاحب يوم السبت[٥] .

ويقول أبو حيان عن المشتغل بعلم النجوم : والناظر فى النجوم ينقسم نظره إلى أحد غرضين إما إلى علم أحوال الكواكب فى اختلاف مسيرها ووقوفها وطلوعها وغروبها واقترانهاواختلافها فيكون اطلاعه على ذلك اطلاع رب البيت على زوايا بيته واختلاف متاعه وأثاثه وله فى هذا النظر تعجب يفتح قلبه ويشرح صدره ويقوى توحيده ، وفى القسم الآخر يريد الناظر أن يقتبس الأحكام فى الأمور المستقبلة وهذا عزيز جدا كتمازج صور الكواكب ودقة أفعال النجوم واختلاف

---

(١) البصائر والذخائر جـ٣ ص١٤٧ .
(٢) المقابسات ص١٧٧ .
(٣) علم الفلك نلينو جـ١ ص١٩ ، ص٢٤ .
(٤) البصائر والذخائر جـ٣ ص٤٥٤ .
(٥) البصائر والذخائر جـ٤ ص١٠٤ .

أشكال الفلك وصاحب هذا الغرض شديد التعب قليل الدرك خطؤه أكثر من إصابته والأول أقرب إلى الرشد من الثانى[١] .

ويقول أبو حيان ذاكرًا **عالم النجوم** : كان عالم النجوم ، وصاحب الشغف بالأحكام يريد أن يقف على أحداث الزمان فى مستقبل الوقت من خير وشر[٢] .

ويذكر أبو حيان لفظة **المنجم** فى نصوص كثيرة جدا من كتاباته أذكر منها ما قاله فى البصائر والذخائر وبعض كتبه الأخرى . يقول أبو حيان موردًا لفظة مُنَجِّم فى وصفه لابن معشر عالم أهل الإسلام بأحكام النجوم[٣] وقال أبو حيان ذاكرا المُنَجِّم : كان أبو معشر على علمه وفهمه وتقدمه فى الصناعة يصيبه الصرع عند امتلاء القمرين كل شهر مرة ولا يعرف لنفسه مولدًا ، ولكنه كان قد عمل مسألة عن عمره وأحواله وسأل عنها الزيادى المنجم لتكون أصح دلالة ، فخرج طالع تلك المسألة السنبلة[٤] هذا بعض ما أورده أبو حيان فى البصائر والذخائر وهناك الكثير والكثير جدا عن المنجم والمنجمين لا يسع المجال لذكره .

وقال أبو حيان فى المقابسات ذاكرًا لفظة المنجم : وقد يغفل المنجم اعتبار حركات كثيرة من أجرام مختلفة ، لأنه يعجز عن نظمها وتقويمها ومزجها وتسيرها وتفصيل أحوالها[٥] .

ويقول فى المقابسات أيضا ذاكرا المنجم : قال العامرى : الطبيب أخو المنجم ونظيره[٦] ويذكر أبو حيان لفظة الجمع **منجمين** فيقول : وزعم المنجمون أن العلم نفاع فى حساب الجمل[٧] ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة منجمين : مر فى مذكرات

---

(١) رسالة فى ثمرات العلوم ص١٩٤ ، ص١٩٥ .

(٢) المقابسات ص٧٦ .

(٣) تاريخ الحكماء للقفطى ص١٥٢ .

(٤) البصائر والذخائر حـ٣ ص٥٠٣ .

(٥) المقابسات ص٦٧ .

(٦) المقابسات ص٧٤ .

(٧) رسالة فى علم الكتابة ص٤٣ .

أبى معشر قال : أخبرنى محمد بن موسى الجليس قال حدثنى يحيى بن أبى منصور قال : دخلت وجماعة من المنجمين على المأمون وعنده إنسان قد تنبأ . ونحن لا نعلم ، فقال لى ولمن حضر من المنجمين : اذهبوا وخذوا لى طالعا لدعوى هذا الرجل وعرفونى ما يدل عليه الفلك من صدقه وكذبه[1] .

يتبين **مما تقدم** أن أبا حيان ذكر الألفاظ التالية : نجوم ، وتنجيم ، ومنجم ومنجمين بالمعنى الاصطلاحى العلمى الخاص بعلم النجوم وعلم التنجيم وهذا المعنى الاصطلاحى أشار له اللسان إشارة عابرة عند تناوله للمادة (نجم) ، وفى هذا المجال الخاص بعلم النجوم ذكر أبو حيان التعابيرالسياقية مثل عالم النجوم والناظر فى النجوم وأصحاب النجوم وأهل النجوم للدلالة على المشتغلين بعلم النجوم والتنجيم .

وفى مجال التغير الدلالى يتبين أن الألفاظ نجوم وتنجيم ومنجم ألفاظ عامة تخصصت دلالتها بعد أن استخدمت كمصطلحات علمية وهذا ما دلت عليه نصوص أبى حيان .

وفى مجال العلوم الخاصة بالنجوم ترد لفظة **الفَلَك** وهو مدار النجوم ، والجمع أفلاك . ويجوز أن يجمع على فُعْل . وفلك كل شيء : مستداره ومعظمه . والفَلَك كما جاء فى الحديث أنه دوران السماء[2] .

ولفظة **فلك** استعملها المنجمون المسلمون للدلالة على السماء لأنهم يسمون السموات بالأفلاك وهى عندهم تدور بكليتها وقد قال الخليل الفلك هو دوران السماء[3] ويقول أبو حيان عن **الفَلَك** : واجب أن يكون الفلك محيطًا بالأرض وممتنع أن يكون المركز محيطًا بالفَلَك[4] ، ويذكر أبو حيان لفظة الفلك بمعنى

---

(١) البصائر والذخائر حـ٣ ص٥٠١ .
(٢) اللسان حـ٢ ص١١٢٩ .
(٣) مفاتيح العلوم للخوارزمى ص١٢٥ .
(٤) المقابسات ص١٨٦

السماء فيقول : ومن التمس أن لا تجرى عليه أحكام الفلك ، فليختر سقفا غير هذا السقف[1] .

وقد تستعمل كلمة فَلَك بمعنى أخص فالعرب كانوا يسمون سماء كوكب فلكه[2] ولفظ الفَلَك مأخوذ كما يقول نلينو من كلمة بابلية ولكن لا نعرف شيئا مما كانت العرب يفتكرون فى طبيعة تلك السموات[3] .

وكان اختلاف النظر إلى علاقة الأجرام السماوية بما تحت فلك القمر من موجودات مؤديا إما إلى ظهور علم فلك قريب إلى فهم العقل ، أو إلى علم تنجيم مادته الأوهام[4] ، وفى هذا المعنى يقول أبو حيان موردًا لفظة الفلك : سمعت ابن بكير يقول : دون فلك القمر فلكان ، هما سبب المد والجزر ، يقطعان الفلك فى كل يوم وليلة مرتين وكان هذا من آرائه التى تفرد بها ، ولم أجد أحدًا يوافقه على شىء منها[5] .

ويذكر أبو حيان لفظة الفلك فيقول : قلت لأبى بكر القومسى ، وكان كبيرا فى علم الأوائل ، بأى معنى يكون هذا الزمان أشرف من هذا الزمان ؟ فقال : هذا يسوغ بإضافة الزمان إلى سعادة سابقة وخير غامر ، من جهة شكل الفلك بما يقتضيه بعض أدواره ، فالزمان الذى هو رسم الفلك بحركته الخاصة ، فليس فيه جزء أشرف من جزء[6] ، ويقول أبو حيان معرفًا لفظة الفلك ومكانته بين العلوم : الزمان منسوب إلى حركات الفلك فجوهره شريف ، والفلك أقرب إلى الأمور العالية ، فكذلك مرسومه الذى هو الزمان[7] .

---

(١) المقابسات ص٢٩٣ .

(٢) علم الفلك نلينو جـ١ ص١٠٥ .

(٣) علم الفلك نلينو جـ١ ص١٠٦ .

(٤) تاريخ الفلسفة فى الإسلام دى بور ص١٤٢ .

(٥) المقابسات ص٢١٨ .

(٦) المقابسات ص٢١٨ .

(٧) المقابسات ص١٢٦ .

وفى نص من كتاب الصداقة والصديق يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الفنك : الأمكنة فى الفلك أشد تضاما من الخاتم فى أصبعك[1] .

ولفظة الجمع **أفلاك** يذكرها أبو حيان فيقول : قال صاحب المنطق : الأفلاك حصن للعاقل من الرذائل[2] ، ويقول في المقابسات ذاكرًا لفظة أفلاك : وما أحسن ما قال بعض بُلغاء الحُكماء : فإنه قال : لأمر ما ربطت الجواهر بالأعراض ، ولأمر ما تحركت الكواكب والأفلاك ، ولأمر ما تباينت العقول والأزمان[3] .

ومن المادة (ف ل ك) يذكر أبو حيان فى كتاباته الألفاظ **فلكىّ وفلكيّة** نسبة إلى الفلك وفلكيات صيغة الجمع . فيقول فى نص من مقابساته ذاكرًا لفظة فلكىّ المنسوب إلى الفلك : قد يقوى هذا العلم – علم الفلك – فى بعض الوقت حتى يشغف به ويدان بتعلمه ، بقوة سماوية وشكل فلكى ، فيكثر الاستنباط والبحث وتشتد العناية والفكر فتغلب الإصابة حتى يزول الخطأ[4] .

ولفظة فَلَكيّة ترد عند أبى حيان فى أماكن متعددة من كتاباته ففى الإمتاع والمؤانسة يقول أبو حيان : وفى الحركة والسكون كلام واسع ، وذلك أن ههنا حركة إلهيّة ، وحركة عقليّة ، وحركة نفسيّة ، وحركة طبيعيّة ، وحركة بدنيّة ، وحركة فَلكيّة[5] . وترد لفظة فلكيّة فى قول أبى حيان : الكهانة قوة إلاهية ، توجد فى شخص بعد شخص ، بسهام سماوية وأسباب فلكيّة ، وأقسام علويّة[6] . ويقول أبو حيان فى الهوامل ذاكرًا لفظة فَلَكيّة فى وصفه لسبب افتتان الناس ببعض العلوم : قال قائلون : هى طبائع مختلفة وعروق نزاعة ، ونفوس

---

(١) الصداقة والصديق ص٤ .

(٢) البصائر والذخائر جـ١ ص١٠٧

(٣) المقابسات ص٥٤٤ .

(٤) المقابسات ص٧٧ .

(٥) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص١٥٥ .

(٦) المقابسات ص٢٠٩ .

أباءة ، وقال آخرون : إنما هى تأثيرات علوية ، ومقابلات سفلية ، واقترانات فلكية[1] . ومن الملاحظ أن لفظة فلكىّ نسبة إلى فَلَك ولفظة فلكيّة لم تردا فى اللسان ، ثم لفظة الجمع **فلكيات** يذكرها أبو حيان فيقول : وكنت سمعت الحرانى الصوفى يقول قديما بمكة . وكان قد شام شيئا من الحكمة ، وعرف ذروا من حديث الأوائل ، فقال : هذه الأمور ، وإن كانت منوطة بهذه العلويات ، مربوطة بالفلكيات ، عنها تحدث ، ومن جهتها تنبعث ، فإن فى عرضها ما لا يستحق أن ينسب إليها ولا إلى شىء منها إلّا على وجه التقريب[2] . ولفظة الجمع هذه لم يذكرها اللسان عند تناوله للمادة فلك فهى اشتقاق جديد عند أبى حيان .

ومع الأفلاك ترد لفظة كواكب وقد قسمها علماء المسلمين إلى ثابتة وسيارة والكواكب الثابتة هى النجوم كلها التى فى السماء ما خلا السبعة السيارة[3] . جاء فى اللسان الكوكب من كواكب السماء ويشبه به النور[4] وكوكب معرب عن الآرامية[5] ولفظة الجمع كواكب ذكرها أبو حيان فقال : إن الإنسان لا يكون فى هذا العالم مالكا للتمام جامعًا لأدوات الكمال ، وسببه أنه نتيجة الكواكب الغالية والأجرام الشريفة من المواد المختلفة ، والعناصر الصافية الكدرة[6] . وترد لفظة الكواكب فى نص لأبى حيان يتحاور فيه مع السجستانى فسأله عن السبب فى الصداقة الوثيقة بينه وبين ابن سيار فيجيبه السجستانى قائلا : فبيننا بالطالع ومواقع الكواكب مشاكلة عجيبة ، ومظاهرة غريبة حتى أنا نلتقى كثيرًا فى الإرادات والاختيارات والشهوات والطلبات[7] . ومع الأفلاك والكواكب نذكر لفظة «الجِرْم» والجِرْم ، بالكسر : الجسد . والجمع القليل

---

(١) الهوامل والشوامل ص١٦٤ .
(٢) المقابسات ص٧٥ .
(٣) مفاتيح العلوم للخوارزمى ص١٢٢ ، ١٢٣ .
(٤) اللسان جـ٣ ص٣١٥ .
(٥) غرائب اللغة ص٢٠٤ .
(٦) مثالب الوزيرين ص٢٠٢ .
(٧) الصداقة والصديق ص٢ .

أجرام والكثير جُرُوم وجُرُم . والجِرْم : البدن ، واللون والصوت ، وألواح الجسد وجثمانه[1] وترد لفظة **الجِرْم** والجمع **أجرام** فى نصوص كثيرة من كتابات أبى حيان فيقول معرفًا الجِرْم : هو ما له ثلاثة أبعاد : طول وعرض وعمق[2] ، ويقول أيضا ذاكرا لفظة جِرْم : كن بطبيعتك إنسانًا فاضلًا وبنفسك جرمًا عاليًا[3] ولفظة أجرام جمع جِرْم ترد فى قول أبى حيان : العلوم والمعارف كلها من إثارة هذه الأجرام العلوية ، وسهام هذه الجواهر الشريفة الأبدية[4] ويذكر أبو حيان الأجرام العلوية فيقول : ولهذا نجد الأجرام العلوية نواطق لأنها عادمة للمزاج والتركيب والشوب[5] . ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الجمع أجرام : فأما من أراد معرفة الخفايا والأسرار فى هذه الأجرام والأنوار على ماهيئة له ، وعبيت عليه ، ورتبت فيه ، وزينت بمحاسنه ، فهو حرى جدير أن يعرى من جميع ما وجده صاحب كل علم فى علمه من المرافق[6] ولفظة أخرى من الألفاظ الخاصة بعلم النجوم وهى الطالِع والجمع طوالع . والطالع هو كل بادٍ من عُلُو . وأطلع رأسه إذا أشرف على شيء . وطَلَع على الأمر يَطْلُع طُلُوعًا واطَّلع عليهم اطلاعًا وأطلعه وتَطَلَّعه : عَلِمَه ، وطالعَه إياه فنظر ما عنده . والطَالِع من السهام الذى يقع وراء الهدف ويعدوه . وفى حديث السحور : «لايهيدنكم الطالع» . يعنى الفجر الكاذب[7] .

ولفظة **طالِع** ترد فى نصوص عديدة من كتابات أبى حيان بمعنى البرج الخاص بالإنسان وفى هذا المعنى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة طالع : قال حدثنى أصحابنا منهم الهروى أن طالعه الجوزاء[8] وقال أيضا : قد علمت أن طالِع الدنيا

---

(١) اللسان حـ١ ص٢٤٥ .
(٢) المقابسات ص٣٦٤ .
(٣) المقابسات ص٢٥٥ .
(٤) المقابسات ص٦٣ .
(٥) المقابسات ص٤٧٧ .
(٦) المقابسات ص٨٢ .
(٧) اللسان حـ٢ ص٦٠٤ ، ص٦٠٥ .
(٨) مثالب الوزيرين ص٨٩ .

السرطان[١] ، ويحدثنا أبو حيان فى مقابساته عن لفظة الطالع وتأثيرها فى تصرفات الإنسان فيقول : قال النوشجانى : إنما يؤتى أحد الحاكمين لأحد الملكين لا من جهة غلط فى الحساب ، ولا لقلة مهارة فى العمل ، ولكن يكون فى طالعه أن يصيب ذلك الحكم ، ويكون طالع ذلك الملك أن لا يصيب منجمه فى ذلك الحكم ، ويكون الآخر مع صحة حسابه ، وحسن إدراكه ، قد وجب فى طالع نفسه وطالع صاحبه ضد ذلك ، فيقع الأمر الواجب ، ويبطل الآخر الذى ليس بواجب[٢] ولفظة الجمع **طوالع** ترد فى نص لأبى حيان يقول فيه متحدثًا عن الكواكب والأفلاك والأجرام : إن الشريعة مأخوذة عن الله عز وجل ليس فيها حديث منجم فى تأثيرات الكواكب وحركات الأفلاك ومقادير الأجرام ومطالع الطوالع ومضارب الغوارب[٣] من نص أبى حيان هذا يتبين لنا أن الطالع يكون بمعنى برج الإنسان الذى يراه المنجم فى كتابه لأن الاطلاع عليه هو اطلاع على بواطن الأمور لاتصنال الأبراج الفلكية والأجرام السماوية بحياة الإنسان ماضيها وحاضرها ومستقبلها كما يزعم البعض وهذا الرأى لا يتفق مع رأى أبى حيان المتمسك بالشريعة وما جاءت به من تعاليم وأن الله وحده هو الذى عنده علم الغيب وبيده مستقبل البشر . ونترك الطالع جانبا ونأتى إلى لفظة أخرى وهى التقويم جاء فى اللسان : قَوَّم السلعة واستقامها : قدّرها . والاستقامة : التقويم وهو من قيمة الشىء . والقيمة : ثمن الشىء بالتقويم . وقومت الشىء ، فهو قويم أى مستقيم ، وقولهم ما أقومه شاذ وقياسه أن يقال فيه ما أشد تقويمه لأن تقويم زائد على الثلاثة[٤] .

ولفظة **التقويم** ترد عند أبى حيان فى مجال الألفاظ الخاصة بالتنجيم والكشف

---

(١) البصائر والذخائر جـ ١ ص ٣٩١ .
(٢) المقابسات ص٦٧ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص٧ .
(٤) اللسان جـ٢ ص١٩٢ .

عن الطالع وفى هذا المعنى يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة التقويم فى وصفه لابن عباد : وليس هذا بأعجب من عيبه لعلم النجوم وذمه لأهله ، وهو لا يفارق التقويم ولا يخلو يوما من النظر فيه مرات ، لأنه كان لا يركب إذا وجد نحسًا[1] ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة التقويم بهذا المعنى الخاص بعلم النجوم وذلك فى رده على من سأله عن أبى سليمان ومدى معرفته بعلم النجوم فقال أبو حيان مجيبا إن علم أبى سليمان بالنجوم وأحكامها بأنه لا يتجاوز التقويم[2] وترد لفظة تقويم عند أبى حيان بمعنى التهذيب والإصلاح فيقول فى هذا المعنى : من أراد أن يكسب نفسه هيئة جميلة ، وسجية محمودة ، بتهذيب الأخلاق وتقويمها من الأدناس التى تعتريها تقسمه أمران متباينان[3] ويقول أيضا ذكرًا لفظة التقويم بمعنى الإصلاح : ومن عجز عن تقويم نفسه الخاصة فهو عن تقويم غيره أعجز[4] .

وعلم التقويم والزيجات كما يعرفه التهانوى فى كشافه هو علم تتعرف منه مقادير حركات الكواكب السيارة منتزعا من الأصول الكلية ، ومنفعته معرفة موضع كل واحد من الكواكب السبعة بالنسبة إلى فلكه ، وإلى فلك البروج[5] .

ولفظة الزِّيج ترد عند أبى حيان فى نص له يقول فيه واصفا علم النجوم : ولعل توكل الجاهل به أحسن من توكل العالم ، ورجاءه فى الخير المتمنى والشر المتوفى أقوى وأفسح من رجاء هذا المدل بزيجه وحسابه وتقويمه واصطرلابه[6] ومع الطالع والتقويم نذكر لفظة الزيج كما جاء فى اللسان هو خيط البناء وهو المِطْمَرُ ، فارسى معرب[7] والزِّيج عند المنجمين كتاب تعرف به أحوال حركات الكواكب مأخوذ من زيك[8] .

---

(١) مثالب الوزيرين ص٨١ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة جـ١ ص٣٩ .
(٣) المقابسات ص٨٥ .
(٤) البصائر والذخائر جـ٢ ص٧٦٧ .
(٥) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى جـ١ ص٧٠ .
(٦) المقابسات ص٦١ .
(٧) اللسان جـ٢ ص٦٩ ، وانظر المعرب ص٢١٧ .
(٨) الألفاظ الفارسية المعربة آدى شير ص٨٢ .

ولفظة **طِلَّسم** والجمع **طلسمات** ترد عند أبي حيان فى حديثه عن علم النجوم والمنجمين ومعنى الطلسم هو عقد لا ينحل . وقيل : هو مقلوب اسمه ، أعنى : مسلط لأنه من جواهر القهر والتسلط[١] ، وعلم الطلسم هو علم يتعرف منه كيفية تمازج القوى العالية الفعالة بالقوى السافلة المنفعلة ليحدث عنها فعل غريب فى عالم الكون والفساد[٢] .

والطلسم لفظة معربة عن اليونانية ومعناها فى الأصل اليونانى فى كتابة يستعملها الساحر زاعمًا أنه يدفع بها الأذى[٣] وبهذا المعنى يذكر أبو حيان لفظة الطلسم فى حديث أبي معشر الفلكى عن أحد المنجمين فيقول : قال أبو معشر هو الذى عمل طِلّسم الخنافس فى دور كثيرة من دور بغداد[٤] ويذكر أبو حيان لفظة الطلسم بمعنى السحر فى الكتابة فيقول : قال بليناس : القلم الطلسم الأكبر ، والخط نتيجته[٥] ولفظة الجمع طلسمات يذكرها أبو حيان فى بصائره فيقول : قال أبو معشر حدثنى يحيى بن أبي منصور قال دخلت وجماعة من المنجمين على المأمون وعنده إنسان قد تنبأ ونحن لا نعلم ، فقال لى ولمن حضر من المنجمين : اذهبوا وخذوا لى طالعًا لدعوى هذا الرجل فى الذي يدعيه وعرفونى ما يدل عليه الفلك من صدقه وكذبه .. فأحكمنا الطالع فقال كل من حضر غيرى : كل ما يدعيه صحيح ، وقلت أنا هو فى طلب تصحيحه ، وتصحيح الذى يطلبه لا يتم ولا ينتظم فقال لى المأمون أنت لله درك ، إنه يزعم أنه نبى ، فقلت : يا أمير المؤمنين أفمعه شيء يحتج به ، ففعل ، وعلم أنه من علاج الطلسمات ، فما زال المأمون به أياما كثيرة حتى تبرأ من دعوى النبوة[٣] . ومن الملاحظ أن لفظة طلسم والجمع طلسمات لم ترد فى اللسان عند تناوله للمادة «طلسم»[٦] فهى إذن لفظة جديدة فى مبناها ومعناها عند أبي حيان .

---

(١) مفتاح السعادة حـ١ ص٣٣٩ .
(٢) كشاف اصطلاحات الفنون حـ١ ص٦٢ .
(٣) غرائب اللغة ، رفائيل خلة ص٢٦١ .
(٤) البصائر والذخائر حـ٣ ص٥٠٢ .
(٥) رسالة فى علم الكتابة ص٤٢ .
(٦) اللسان جـ٢ ص٦٠٤ .

يتضح **مما تقدم** أن الألفاظ فلك ، أفلاك ، كواكب ، جرم ، أجرام ، طالع ، تقويم ، واللفظة المعربة زيج وردت فى كتابات أبى حيان بالمعنى الاصطلاحى العلمى . وجاءت فى اللسان بالمعنى اللغوى فقط وأهمل اللسان ذكر المعنى الاصطلاحى . وكذلك لم يذكر اللسان الألفاظ فلكىّ ، وفلكيّة نسبة إلى فلك وصيغة الجمع فلكيات عند تناوله للمادة «فلك» ولم يذكر اللسان أيضا صيغة الجمع طوالع عند تناوله للمادة «طلع» فهذه الاشتقاقات إذن هى جديدة فى مبناها عند أبى حيان . وهناك لفظة طلسم المعربة عن اليونانية والجمع طلسمات لم ترد فى اللسان عند تناوله للمادة «طلسم» فهى إذن لفظة جديدة فى مبناها ومعناها عند أبى حيان .

وفى مجال التغير الدلالى يتضح لنا أن هذه الألفاظ العامة قد تخصصت دلالتها حين استخدمت كمصطلحات علمية وقد تم هذا الأمر نتيجة لمقتضيات حضارية ونصوص أبى حيان خير شاهد على استخدام هذه الألفاظ بالمفهوم العلمي وتخصيصها الدلالى .

رابعا : مصطلحات الموسيقى :

قال الفارابى : لفظ الموسيقى معناه الألحان ، واسم اللحن قد يقع على جماعة نغم مختلفة رتبت ترتيبًا محدودًا ، وقد يقع أيضا على جماعة نغم أُلفت تأليفًا محدودًا وقرنت بها الحروف التى تركب منها الألفاظ الدالة المنظومة على مجرى العادة فى الدلالة بها على المعانى ، وقد يقع أيضا على معانٍ أُخر غير هذه[1] .

وإخوان الصفا خصصوا رسالة عن الموسيقى فى القسم الرياضى من رسائلهم فقالوا : نذكر فى هذه الرسالة الملقبة بالموسيقى الصناعة المركبة من الجسمانيّة

---

(١) الموسيقى الكبير للفارابى ص٤٧ .

والروحانيّة التي هي صناعة التأليف فى معرفة النسب . وعلم النسب الذى يعرف بالموسيقى ، وهذا العلم محتاج إليه فى الصنّائع كلها ، وإنما خص هذا العلم باسم الموسيقى الذى هو تآلف الألحان والنغم ، لأن المثال فيه أبين ، وذلك أن القدماء من الحكماء إنما استخرجوا أصول الألحان والنغم من المعرفة بالنسبة العددية والهندسية ، لما جمعوا بينهما خرجت النسبة الموسيقية[1] ، وصناعة الموسيقى بالجملة هى الصناعة التى تشتمل على الألحان وما بها تلتئم وما بها تصير أكمل وأجود[2] والموسيقى علم رياضىّ يبحث فيه عن أحوال النغم من حيث الإتقان والتنافر وأحوال الأزمنة المتخللة بين النقرات من حيث الوزن وعدمه ليحصل معرفة كيفية تأليف اللحن[3] . ويشتمل علم الموسيقى على بحثين البحث الأول عن أحوال النغم ويسمى علم التأليف وهو القسم النظرى ، والثانى عن الأزمنة ويسمى علم الإيقاع[4] وهو القسم المختص بالصناعة العملية أو الآلية وقال الفارابى : إن صناعة الموسيقى النظرية متأخرة بالزمان تأخرا كثيرا عن صناعة الموسيقى العملية ، وإنها إنما استنبطت أخيرا بعد أن كملت الصناعة العملية ، منها وفرغت واستخرجت الألحان التى هى محسوسات طبيعية للإنسان على التمام[5] . وموضوع علم الموسيقى : الصوت من جهة تأثيره فى النفس ، باعتبار نظامه فى طبقته وزمانه : ومنفعته : بسط الأرواح وتقويتها وقبضها أيضا لذلك يستعملون النغم تارة فى الأفراح والحروب وعلاج المرضى، وتارة فى المآتم وبيوت العبادات[6] وقد اتفق الجمهور على أن واضع هذا الفن أولا فيثاغورس[7] .

---

(١) رسائل إخوان الصفا جـ١ ص٢٥٥ . (٢) الموسيقى الكبير ص٤٩ .

(٣،٤) أبجد العلوم جـ٢ مجلد ٢ ص٦٥٧ .

(٥) الموسيقى الكبير للفارابى ص٩٩ .

(٦) مفتاح السعادة طاش كبرى زاده جـ١ ص٣٧٤ .

(٧) أبجد العلوم جـ٢ مجلد ٢ ص٦٥٨ .

والقدماء من اليونانيين الذين وضعوا قواعد العلم والمعرفة بهذه الصناعة كانوا يعدون معرفتهم بالموسيقى من مستلزمات التعاليم النظرية والفلسفة ، لارتباطها بالعلوم الطبيعية وعلوم المنطق وهذا ما أكده الفارابى فى كتابه فقال : وكان أقدم ما تشتمل عليه هذه الصناعة فى الوجود هى المبادىء المأخوذة من العلم الطبيعى ثم المبادىء الهندسية ثم العددية[1] ويُصنِّف أبو حيان علم الموسيقى مع العلوم الفلسفية فيقول فى نص من كتاب الإمتاع : وأنا أعوذ بالله من صناعة لا تحقق التوحيد ولا تدل على الواحد ولا تدعو إلى عبادته والاعتراف بوحدانيته ، ووجدت أرباب هذه الصناعات أعنى الهندسة والطب والحساب والموسيقى والمنطق والتنجيم معرضين عن تجشم هذه الغايات[2] .

١) الموسيقى :

ويقول أبو حيان فى تصنيفه للعلوم بأن **الموسيقى** جزء من بين أجزاء الفلسفة[3] ويقول أيضا عن علم الموسيقى باعتباره جزءا من العلوم الفلسفية وذلك فى وصفه لرسائل إخوان الصفا : ظنوا أنهم يمكنهم أن يدسوا الفلسفة – التى هى علم النجوم والأفلاك والمجسطى والمقادير وآثار الطبيعة ، والموسيقى التى هى معرفة النغم والإيقاعات والنقرات والأوزان ، والمنطق الذى هو اعتبار الأقوال بالإضافات والكميات والكيفيات – فى الشريعة ، وأن يضموا الشريعة للفلسفة[4] ويحدثنا أبو حيان عن صناعة الموسيقى فى إحدى مقابساته وعن أثر الموسيقى فى النفس فيقول : قال أبو سليمان : حدثونى ، عن الطبيعة لم احتاجت إلى الصناعة ؟ وقد علمنا أن الصناعة تحكى الطبيعة ، وهذا

---

(١) الموسيقى الكبير ص٢١١ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة حـ٣ ص١٣٥ .

(٣) مثالب الوزيرين ص٢١٧ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة حـ٢ ص٦ .

رأى صحيح . فقلنا : لا ندرى فإنها لمسألة[1] فقال : إن الطبيعة إنما احتاجت إلى الصناعة فى هذا المكان ، لأن الصناعة ها هنا تستملى من النفس وتكمل بإكمالها ، والموسيقى حاصل للنفس وموجود فيها ، على نوع لطيف وصنف شريف ، والموسيقار إذا صادف طبيعة قابلة ، ومادة مستجيبة وآلة منقادة ، أفرغ عليها تأييد العقل والنفس لبوسًا مونقًا ، وتأليفًا معجبًا ، وقوته فى ذلك تكون بمواصلة النفس الناطقة ، فمن ها هنا احتاجت الطبيعة إلى الصناعة[2] .

بيّن أبو حيان أهمية علم الموسيقى ومنزلة هذا العلم بين العلوم عامة وبين العلوم الفلسفية بصورة خاصة ، وأعطى لصناعة الموسيقى وفنونها أهمية مميزة ألا وهو القائل من لا طاقة له يكره الموسيقى[3] وبعد أن حدد أبو حيان مكانة علم الموسيقى بين العلوم العقلية نقف قليلًا عند المعنى اللغوى للفظة الموسيقى كما تناولتها المعاجم اللغوية وبعد البحث والتنقيب تبين أن لفظة الموسيقى لم ترد فى اللسان وكذلك لم ترد فى المعاجم الأخرى . ولنر ما قاله القدماء فى كتاباتهم عن الموسيقى .

قال الخُوارزمى فى تعريفه للفظة الموسيقى : معناها تأليف الألحان ، واللفظة يونانية وسمى المطرب ومؤلّف الألحان الموسيقور والموسيقار[4] وقال إخوان الصفا فى رسائلهم : الموسيقى هى الغناء والموسيقار هو المغنى ، والموسقات هو آلة الغناء[5] وقال التوحيدى معرفًا الموسيقى : هى معرفة النغم والإيقاعات والنقرات والأوزان[6] وقال أبو حيان عن الموسيقى وآلاتها : لما أبرزت

---

(١) المقابسات ص١١٢ . (٢) المقابسات ص١١٣ .

(٣) البصائر والذخائر جـ٣ ص٢٧٧ .

(٤) مفاتيح العلوم ص١٣٦ وانظر غرائب اللغة وقائيل حلة ص٢٧٠ .

(٥) رسائل إخوان الصفا جـ١ ص١٣٥ ، ص١٨٧ .

(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص٦ .

الطبيعة فى عرض الصناعة بالآلات المهيأة ، وتحركت بالمناسبات التامة والأشكال المتفقة أيضا حدث الاعتدال[1] لفظة الموسيقى لم ترد فى اللسان . وهناك عدد من الألفاظ تدخل فى مجال الموسيقى وفنونها ورد ذكرها فى نصوص أبى حيان مثل النغم ، والإيقاع ، واللحن والجمع اللحون ، والألحان ، ومن الآلات الموسيقية ذكر أبو حيان العود والشبابير وغيرها من الألفاظ والنغم كما جاء فى اللسان : النَّغْمَة جَرْسُ الكلمة وحُسْن الصوت فى القراءة وغيرها والجمع نَغْم وكذلك نَغَم . وقد تنغم بالغناء وغيره[2] .

ولفظة **النَّغَم** يذكرها أبو حيان فى قوله : إذا ثنى المجموع – أعنى توحد النغم بالنغم – قوى الحس المدرك ، فنال مسموعين بالصناعة ومسموعًا واحدًا بالطبيعة[3] ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة نغم فى تعليقه على غناء مطرب حَسن الصوت : فقلت لصاحب لى ذكى : أما ترى ما يعمل بنا شجا هذا الصوت ، وندى هذا الحلق ، وطيب هذا اللحن ، ونفث هذا النغم ؟[4] ويذكر أبو حيان نوعًا معينا من النغم فيقول : يقال ما النغم الوترية ؟ الجواب استحالة الصوت من نسبة سريعة إلى نسبة غير سريعة المقاطع ومواضع استراحات الأنفاس ، مع تمام دور من أدوار الإيقاع[5] ويرد الفعل نَغَم في نص لأبى حيان يقول فيه : إذا نغم لك بألحان التوحيد ، فأطرب عليه بأصناف التمجيد[6] ومع النغم ترد لفظة الإيقاع والجمع إيقاعات .

والإيقاع كما جاء فى اللسان من إيقاع اللحن والغِناء وهو أن يوقع الألحان ويبينها ، وسمى الخليل كتابًا من كتبه فى ذلك المعنى كتاب الإيقاع[6] والإيقاع

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص٨٣ .
(٢) اللسان جـ٣ ص٦٨٢ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص٨٢ .
(٤) المقابسات ص١١٢ .
(٥) المقابسات ص٣٥٩ .
(٦) الإشارات الإلهية ص١٧٦ .
(٧) اللسان جـ٣ ص٩٦٩ .

كما عرفه ابن سيده هو حركات متساوية الأدوار لها عودات متوالية[١] وقال الخوارزمى : الإيقاع هو النقلة على النغم فى أزمنة محدودة المقادير والنسب[٢] وقال الفارابى فى شرحه للفظة الإيقاع : لما كانت كل نقلة فى زمان ، لزم أن تكون الانتقالات على النغم فى أزمنة ، أو تكون الأزمنة التى فيها الانتقال محدودة المقادير وتكون مع ذلك نسبها نسبًا محدودة ، والانتقال الذى هو بهذه الصفة يسمى الإيقاع[٣] ويدرك تساوى تلك الأدوار والأزمنة الطبع السليم المستقيم[٤] .

وقال أبو حيان معرفًا **الإيقاع** : هو فعل يكيل زمان الصوت ، بفواصل متناسبة متشابهة ، متعادلة[٥] ويقول أبو حيان ذاكرًا لفظة الإيقاع : من فضائل النظم أنه لا يغنى ولا يحدى إلا بجيده ولا يؤهل للحن الطنطنة ، ولا يحلى بالإيقاع الصحيح غيره ، لأن الطنطنات والنقرات والحركات والسكنات لا تتناسب إلَّا بعد اشتمال الوزن والنظم عليها[٦] ولفظة الجمع إيقاعات ذكرها أبو حيان فى تعزيفه للموسيقى وقد مر ذكرها[٧] .

ولفظة أخرى من الألفاظ الموسيقية يذكرها أبو حيان فى كتاباته ، لفظة **الدستنبان** وهى من اصطلاحات الموسيقى ومعناها بالفارسية النغمة[٨] ، يقول أبو حيان : إن الإنسان وإن التذ بالدستنبان فلن يعد مُوسيقارًا إلَّا إذا تحقق بمبادئه الأول التى هى الطنينات وأنصاف الطنينات[٩] .

---

(١) المخصص السفر الثالث عشر ص٩ .
(٢) مفاتيح العلوم ص١٤٠ .
(٣) الموسيقى الكبير ص٤٣٦ .
(٤) قاموس الموسيقى العربية حسين محفوظ ص٢٥٧ .
(٥) المقابسات ص٣٥٩ .
(٦) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص١٣٦ .
(٧) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص٦ .
(٨) الألفاظ الفارسية المعربة ص٦٤ .
(٩) الإمتاع والمؤانسة جـ٢ ص٨٥ .

ولفظة اللَّحْن من الألفاظ ذات المجالات المتعددة الاستعمال ففى مجال الموسيقى يكون النَّغم واللَّحْن بمنزلة الحروف للكلام منه يتركب وإليه ينحل ، ومن جماعات النغمات يؤلف اللحن[1] واللحن كما قال ابن سيده هو صوت ينتقل من نغمة إلى نغمة أشد أو أحط[2] وجاء فى اللسان : اللَّحْن هو التطريب وترجيع الصوت وتحسين القراءة والشعر والغناء ، وجمعه ألحان ولحُون[3] وقال الفارابى فى شرحه للفظة اللَّحْن ونشأة الألحان : اللحن هو جماعة نغم تسمع من حيث كانت وفى أى جسم كانت ، ويمكن أن تقترن بها الحروف التى تركب منها ألفاظ دالة على معانٍ[4] ، وقال الفارابى عن نشأة الألحان الغنائية : والتى أحدثت الألحان هى فطر ما غريزية للإنسان ، ومنها الهيئة الشعرية التى هى غريزية للإنسان ومركوزة فيه من أول كونه ، ومنها الفطرة الحيوانية ، ومنها محبة الإنسان الراحة بعقب التعب[5] ، والألحان وما ينسب إليها هى من الأشياء التى تحس وتتخيل وتعقل ، وصناعة الموسيقى هى الصناعة التى تشتمل على الألحان[6] .

ولفظة **اللَّحْن** عرفها أبو حيان فى مقابساته فقال : يقال ما اللَّحْن ؟ الجواب : صوت بترجيع ، خارج من غلظ إلى حدة ، ومن حدة إلى غلظ ، بينة للسمع واضحة للطبع[7] . ولفظة اللَّحْن هذه تستخدم فى مجال الألفاظ اللغوية وقد مر ذلك عند تناولنا هذه اللفظة فى مجال ألفاظ اللغة وعيوب الكلام .

أما لفظة الجمع **ألحان ولحون** فقد ورد ذكر هاتين اللفظتين فى قول أبى حيان : يا هذا ! إن الألحان مصطحبة بالبدائع ، فلا عين إلّا وهى عبرى ، ولا نفس

---

(١) مفاتيح العلوم للخوارزمى ص١٣٨ ، ص١٣٩ .
(٢) المخصص السفر الثالث عشر ص١٠ .
(٣) اللسان ج٣ ص٣٥٢ .
(٤) الموسيقى الكبير ص٤٧ .
(٥،٦) الموسيقى الكبير ص٧٠ ، ٤٩ .
(٧) المقابسات ص٣٥٩ .

إلّا وهي حيرى[1] وفي قوله : يا هذا ! لما نبست بحرف من هذه الغرائب ولا ترنمت بشيء من هذه اللحون[2] وبعد الحديث عن النغم والإيقاع والألحان نذكر الآلات الموسيقية .

٢) آلات الموسيقى :

ذكر أبو حيان في كتاباته عددًا من الآلات الموسيقية أهمها العود والشبابير . أما كيف نشأت هذه الآلات فهذا ما حدثنا به الفارابي في الموسيقى الكبير فقال : ولما كانت هذه الألحان إذا حوكيت بنغم آخر مسموعة عن سائر الأجسام وما وقتها صارت أغزر وأفخم وألذ مسموعا ، أخذوا بعد ذلك يطلبون أمثالها والمساويات لها في المسموع من سائر الأجسام التي تعطي النغم، إلى أن حدث العود وسائر هذه الآلات وكملت صناعة الموسيقى العملية واستقر أمر الألحان[3] وقال الفارابي عن أشهر هذه الآلات وهي آلة العود : ونبتدئ بالعود إذ كان أشهر الآلات ، وهذه الآلة من الآلات التي تحدث فيها النغم بقسمة الأوتار الموضوعة فيها ، وتشد على المكان المستدق منها دساتين تحت الأوتار تحدد أقسامها التي تسمع منها النغم[4] .

والعود كما جاء في المخصص فارسي معرب[5] وهو عود الغناء[6] ويسمى البربط والكلمة فارسية وهي بربت أي صدر البط لأن صورته تشبه صدر البط وعنقه أوتار العود الأربعة[7] وترد لفظة **العود** في نصوص عديدة من كتابات أبي حيان فيقول في نص من كتاب البصائر والذخائر معرفا هذه الآلة

---

(١) الإشارات الإلهية ص٣٧٦ .

(٢) الإشارات الإلهية ص٣٦٧ .

(٣) الموسيقى الكبير ص٧٥ .

(٤) الموسيقى الكبير ص٤٩٨ .

(٥) المخصص السفر ١٣ ص١٢ .

(٦) اللسان جـ٢ ص٩٢١ .

(٧) مفاتيح العلوم ص١٣٧ .

الموسيقية : العود يونانى صنعه أصحاب الهندسة على هيئة طبائع الإنسان ، فإن اعتدلت أوتاره على الأقدار الشريفة جانس الطبائع ، فاطرب ، والطرب رد النفس إلى الحال الطبيعية دفعه . هذا كله من كتاب أدب النديم لكشاجم[1] ولفظة الشبابير وهى من الآلات الموسيقية[2] ومفردها شبور وهو البوق ويقال هو معرب . وفسره أيضا بالقبع ، واللفظة عبرانية[3] .

وفى الختام نذكر الألفاظ الخاصة بالمشتغلين بالموسيقى وهم الموسيقار والموسيقى ، ولفظة الموسيقار مر ذكرها فى مجال الألفاظ الخاصة بالمشتغلين بالثقافة وإن كان ذكرها هنا هو المجال الأكثر تخصصا لعمل الموسيقار . وهذا ما وضحه أبو حيان فى كتاباته .

يقول أبو حيان ذاكرًا لفظة **المُوسيقار** ومبينا عمله : الموسيقار يزن الحركات المختلفة فى الموسيقى فتارة يخلط الثقيلة بالخفيفة وتارة يجرد الخفيفة من الثقيلة وتارة يرفع إحداهما على صاحبتها بزيادة نقرة أو نقصان نقرة ، ويمر فى أثناء الصناعة بألطف ما يجد من الحس فى الحس ، ولطيف الحس متصل بالنفس اللطيفة ، كما أن كثيف النفس متصل بكثيف الحس[4] .

وعن عمل الموسيقار وموهبته قال إخوان الصفا فى رسالة الموسيقى : ومن حذق الموسيقار أن يكسو الأشعار المفرحة الألحان المشاكلة لها ، وأن يستعمل الألحان المشاكلة للأزمان ، فى الأحوال المشاكلة بعضها لبعض[6] . وعن علاقة نغمات المُوسيقار فى النفوس قال إخوان الصفا فى رسائلهم : اعلم بأن

---

(١) البصائر والذخائر جـ٣ ص٥٧٣ .
(٢) قاموس الموسيقى العربية حسين محفوظ ص٩٠ .
(٣) اللسان جـ٢ ص٢٦٢ وانظر المعرب ص٢٥٧ وغرائب اللغة ص١٩٠ .
(٤) الإمتاع والمؤانسة ص٢٥٢ . (٥) رسالة فى علم الكتابة ص٣٤ .
(٦) رسائل إخوان الصفا جـ١ ص٢٣٢ .

تأثيرات نغمات الموسيقار فى نفوس المستمعين مختلفة الأنواع ، ولذة النفوس منها وسرورها بها متفننة متباينة ، كل ذلك بحسب مراتبها فى المعارف وبحسب معشوقاتها المألوفة من المحاسن(١) .

ويبين أبو حيان فى نصوصه علاقة الموسيقار بالألفاظ فيقول : الصورة اللفظية مسموعة بالآلة التى هى الأذن ، فإن كانت عجماء فلها حكم ، وإن كانت ناطقة فلها حكم وعلى الحالين فهى بين مراتب ثلاث : إما أن يكون المراد بها تحسين الإفهام وإمّا أن يكون المراد بها تحقيق الإفهام ، ولهذه الصورة بعد هذا كله مرتبة أخرى إذا مازجها اللحن والإيقاع بصناعة الموسيقار ، فإنها حينئذ تعطى أمورًا ظريفة ، أعنى أنها تلذ الإحساس ، وتلهب الأنفاس(٢) .

ولفظة الموسيقىّ نسبة إلى الموسيقى ، وهو اللاعب بالآلة الموسيقية(٣) ، ويذكر أبو حيان **الموسيقىّ** فى نص من كتاب الإمتاع والمؤانسة يتحدث فيه عن الشريعة والفلسفة فيقول : قد اختلفت الأمة ضروبًا من الاختلاف فى الأصول والفروع وتنازعوا فيها فنونًا من التنازع فى الواضح والمشكل من الأحكام ، فما فزعوا فى شيء من ذلك إلى منجم ولا طبيب ولا منطقى ولا مهندس ولا موسيقى ولا صاحب عزيمة وشعبذة ، وسحر وكيمياء ، لأن الله تعالى تمم الدين بنبيه ﷺ ولم يحوجه بعد البيان الوارد بالوحى إلى بيان موضوع بالرأى(٤) .

يتبين مما تقدم أن الألفاظ المعربة مثل الموسيقى ، والموسيقى ، والموسيقار ، والدستنبان ، والشبابير جاءت فى كتابات أبى حيان بالمعنى

---

(١) رسائل إخوان الصفا ج١ ص٢٤٠ . (٢) الإمتاع والمؤانسة ج٣ ص١٤٤ .

(٣) قاموس الموسيقى العربية حسين محفوظ ص٥١ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة ج٢ ص٩ .

الاصطلاحى الخاص بعلم الموسيقى . ويتبين أيضا أن هذه الألفاظ لم نرد فى اللسان – وإن كان اللسان ذكر شبور مفرد شبابير – فهى إذن ألفاظ جديدة فى معناها ومبناها عند أبى حيان . وكذلك الألفاظ نغم ، وإيقاع والجمع إيقاعات ، ولحن والجمع لحون وألحان ، واللفظة المعربة عود جاءت جميع هذه الألفاظ بالمعنى الاصطلاحى الموسيقى فى اللسان وفى كتابات أبى حيان .

وفى مجال التغير الدلالى نجد أن هذه الألفاظ الحضارية انتشرت مع ازدهار الثقافة وأصبحت دلالتها أكثر تخصصا فى عصر أبى حيان .

الخاتمــة

نتائــج البحث

نتائج الدراسة

أولا : الخصائص المعجمية العامة :

١ – أوضح البحث أن توزيع ألفاظ الحياة الثقافية فى مؤلفات التوحيدى على النحو التالى :

(أ) الألفاظ الثقافية العامة ١٩٦ كلمة بنسبة ٢٨٪ .

(ب) مصطلحات العلوم العربية والإسلامية ٣٥٩ كلمة بنسبة ٥٠٪ .

(جـ) مصطلحات العلوم الفلسفية والطبية ١٥٦ كلمة بنسبة ٢٢٪ .

وفى هذا كله فإن الكلمات المعربة لا تزيد نسبتها عن ٢٪ ، فى حين أن الاشتقاق نسبته ٣٠٪ ، أما باقى الكلمات فقد تكونت دلالتها الاصطلاحية عن طريق التغير الدلالى .

٢ – تضمنت كتابات أبى حيان أسماء متعددة للفرق الإسلامية وغير الإسلامية فمن الفرق الإسلامية : الإمامية ، الغالية ، الرافضة ، الزيدية ، الجبرية ، الحشوية والجهمية . وهذه الألفاظ هى أعلام منقولة عن صفات (ثم تحولت هذه الصفات إلى أسماء ، فاسم كل فرقة من هذه الفرق هو وصف تحول من الاستعمال الوصفى إلى الاستعمال الاسمى وهذا ما نسميه بالعلم المنقول ، وهذا ينطبق على كل أسماء الفرق) ما عدا الزيدية ، لأن الزيدية علم وهو أصل الإطلاق ، ثم وصف للنسب ، ثم تحولت الصفة إلى علم للفرقة . وهذه الألفاظ تدل على المصطلحات التى تحددت فى عصور متأخرة (عن الرسول ﷺ) ، لقد ظهرت ألفاظ المذاهب الإسلامية فى فترة الصراع بين هذه المذاهب ومحاولة كل مذهب الطعن على المذهب الآخر والحط من قيمته دينيا . ونمو المذاهب الفقهية الإسلامية عامة فى الفترة السابقة على هذه الفترة وهى الواقعة بين سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية ، وفى العصر العباسى ظهرت الفرق الكلامية التى كثيرًا ما كانت تظهر فى أول أمرها أحزابا سياسية .

٣) هناك مجموعة من الألفاظ استخدمها أبو حيان فى مجال المصطلحات الصوفية مثل : مقام ، مقامات ، درجة ، درجات ، مرتبة ، مراتب ، رتبة ، رتب ، سلاليم ، سلالم ومن صفات هذه الألفاظ أنها تشترك بخاصية معينة تؤدى إلى العلو والارتقاء ، وقد استخدمت هذه المجموعة لتبين علو منزلة الصوفية وقد اكتسبت هذه الألفاظ رقيا فى دلالاتها فى استخدامها بالمفهوم الصوفى .

٤) الإشارة والرمز ، أكثر الصوفية من استخدام هاتين اللفظتين فى كلامهم وهذا راجع إلى أن التصوف حالات وجدانية . وبصفة عامة نجد أن المصطلحات الصوفية استعملت بمعان محددة فى الإطار الصوفى ولم يطرأ عليها تغير كبير عبر الأجيال المتعاقبة لأن المعانى الصوفية متوارثة لا تتعرض لعمليات التغير الإبداعى فهى كلمات قديمة استعملت بنفس المعنى دون تغير يذكر عند استعمالنا الحديث لها .

٥) وردت فى مؤلفات التوحيدى الألفاظ التالية : الإلهية ، والربوبية ، والعبودية ، والربانية ، والروحانية ، والربانى ، والروحانى ، والربوبى ، وغيرها من المصطلحات الصوفية التى كثر ورودها عند أبى حيان ، وقد جاءت هذه الألفاظ فى مجموعتين الأولى منها صيغ للنسب والثانية مصادر صناعية ، فمن صيغ النسب الصيغ الناشئة من إضافة الألف والنون مع ياء النسب مثل : ربانى روحانى ، (الألف والنون من زيادات النسب للمبالغة) .

ومن المصادر الصناعية وهذه ناشئة من إضافة ياء النسب المشددة مع التاء مثل الألوهية ، الإلهية ، الربوبية ، الربانية ، العبودية ، الروحانية وهذه الصيغ ظهرت فى العصر العباسي مع بدء تدوين العربية ، وكثر استخدامها فى عصر أبى حيان وأصبحت من الظواهر اللغوية المميزة فى هذا العصر .

٦) ومن الخصائص المعجمية الخاصة بمؤلفات أبى حيان نجد أن معظم المصطلحات الفلسفية والمنطقية وردت فى كتابيه المقابسات – وهو الأكثر ذكرًا

هذه المصطلحات – وكتاب الإمتاع والمؤانسة . وفى كتاب البصائر والذخائر نجد العدد الوفير من النصوص المتضمنة للمصطلحات العلمية المتعلقة بعلوم النجوم والفلك والتنجيم والطالع ، وكذلك الألفاظ الخاصة بعيوب اللسان والنطق وقد عرفها تعريفا دقيقا ، وفى كتابه هذا أورد مصطلحات كثيرة للشعر وفنونه وللأدب ومصادره ، واختص كتاب البصائر بذكر العدد الوفير من المصطلحات الثقافية الخاصة بدور العلم مثل المسجد ، والمساجد ، والجامع ، والتعبير السياقى الوصفى المسجد الجامع .

٧) إن معظم ألفاظ الحياة الثقافية فى مؤلفات أبى حيان التوحيدى قد تغيرت دلالاتها بتخصص المعنى أو بتعميمه أو بانتقال الكلمة من مجال دلالى إلى مجال دلالى آخر . وكان التخصيص الدلالى سمة بارزة لألفاظ كثيرة. معظمها من المصطلحات العلمية والثقافية كالألفاظ المتعلقة بالعلوم العقلية وبعلوم اللغة والأدب وعلوم الدين كالفقه والكلام وعدد كبير من مصطلحات الصوفية .

٨) أثبت البحث أن بعض الألفاظ الثقافية هى وليدة القرن الرابع الهجرى لفظا ودلالة وأمثلتها : مقابسة والجمع مقابسات ، ومذكرات ، ومحقق ، ومدقق ، ومريد ، وأديبة ، ومؤدب ، ومتأدب .

٩) وردت فى مؤلفات أبى حيان ألفاظ خاصة بالعلوم العقلية (الفلسفة والمنطق وعلم الكلام) بمضامين جديدة تحددت فى هذه الفترة وأمثلتها : المنشأ والمبدأ ، والمتكلم .

١٠) التراكيب السياقية : تحفل كتابات أبى حيان باستخدام التراكيب السياقية التى تدل على معانٍ اصطلاحية نتيجة ورودها بسياق معين ، ونلاحظ هنا أن عناصر التركيب تحتفظ بمعناها اللغوى دون أى تغير فى الدلالة ولكن المعنى الاصطلاحى ينشأ من اجتماع عناصر التركيب وخضوع هذا التركيب لتأثير السياق الذى يرد فيه ، وقد لوحظ أن هذه التراكيب السياقية تأتى على نمطين :

١) النمط الأول : التركيب الوصفي ، الموصوف + الصفة :

يتضح هذا من التراكيب التالية : الكتابة الديوانية ، التعليم الهندسي ، المسجد الجامع ، الكتاب المنزل ، الأسفار الصحيحة ، الأقلام النبطية ، الخطوط العربية ، الرسوم الخراجية ، التأليف الصناعي ، اللغة العربية ، اللغة اليونانية ، القول المطلق ، النحو العربي ، العجمة المخلوطة ، الأدب المقتبس ، الفنون العقلية ، اللفظ المزخرف ، اللفظ اللغوي ، اللفظ الجريشي ، اللفظ الغريب ، المعاني اللفظية ، المعاني البسيطة ، المعاني المركبة ، المعاني الجزئية ، المعاني الكلية ، اللفظ الحر ، المعنى الحر ، الإمام المفضول ، القياس الحسي ، القياس الإنسي ، القياس البرهاني ، القياس الصحيح ، العقائد اليقينية ، الإشارات الإلهية ، الحياة الإلهية ، المذهب الكلامي ، المعنى الربوبي ، العبارات الإنسية ، الشيخ المرشد ، الإقناع الفلسفي ، البرهان المنطقي ، السماع الطبيعي ، المعاني الطبيعية ، العلة الأولى ، العلة الفاعلة ، العلة العنصرية ، العلة الصورية ، العلة التمامية ، الكليات البسيطة ، الجزئيات المركبة ، البسائط الكلية ، الأنفس الجزئية ، النفس الكلية ، الجواهر الشخصية ، الجواهر المعدنية ، الصورة الاسطقسية ، الصورة الطبيعية ، النهاية المتناهية ، المعاني المنطقية ، النظر المنطقي ، استقراء تام ، النفس الناطقة ، العقل النفساني ، الحياة النفسية ، النطق النفسي ، المزاج المعتدل ، المقدار الخطي ، الأجرام العلوية ، لهجة معربة ، لسان معرب ، لسان ألكن ، لفظ ملحون ، لفظ مشترك ، متكلم معتزلي ، قياس جلي ، قياس خفي .

النمط الثاني : مضاف + مضاف إليه :

وهذا النمط هو الأكثر ورودًا عند أبي حيان ويأتي في ثلاثة أشكال :

الشكل الأول : الذي تتغير فيه الكلمات الأولى والثانية بدون قيد مثل : شيخ الدنيا ، أشياخ العلم ، شيخ الإسلام ، تأليف العبارات ، تأليف الكلام ،

شرح المنطق ، إنشاء الكتب ، مسجد الكوفة ، مجلس الإمتاع والمؤانسة ، اقتباس العلم ، مجالس العلماء ، كتاب النوادر ، ديوان الرسائل ، ديوان المرحومين ، ديوان النقد والعيار ، فصول الكتاب ، فقر البلغاء ، لغات العرب ، لغة تميم ، لغات العجم ، غريب اللغة ، معانى النحو ، حركات اللفظ ، لحن العامة ، فن الفلسفة ، أدب القاضى ، أصناف النظم ، أديب الشعر ، علم العروض ، بلاغة اللسان ، كتاب البلاغة ، علم اللفظ ، ألفاظ الفلاسفة ، عالم العالم ، متكلم الشيعة ، إمام المسلمين ، إمام الرافضة، أصول الفقه ، أصول الشريعة ، أحكام الشريعة ، أنصار الشريعة ، علم الكلام ، تفسير القرآن ، توحيد الخاصة ، علم الزهاد ، درجات المعارف ، مراتب الانفعال ، خاص الخاص ، مناهج الأديان ، منهاج التأديب ، أديان العرب ، حضيرة القدس ، محلة القدس ، روح القدس ، إشارات الألسنة ، تحقيق الترجمة ، تحقيق المعانى ، مبدأ الجوهر ، علم الطبائع ، علم الاسطقسات ، علم المزاج ، علم المنطق ، مزاج البدن ، اعتدال المزاج ، صحة المزاج ، أطباء النفوس ، علم المقادير ، علم الهندسة ، علم النجوم ، علم التنجيم ، أحكام الفلك ، حركات الفلك ، مطالع الطوالع ، مقادير الأجرام ، أدوار الإيقاع .

٢) **الشكل الثانى** : وهو الذى تثبت فيه الكلمة الأولى وتتغير الثانية ويتضح هذا النوع فى ورود الكلمات التالية بشكل واضح مثل كلمة «أهل» : أهل الكتابة ، أهل الأدب ، أهل اللغة ، أهل اللغات ، أهل اللسان ، أهل النحو ، أهل العلم ، أهل الكلام ، أهل الكتابين ، أهل الاختصاص ، أهل النجوم ، أهل الزهد .

وقد وردت تراكيب أخرى تبدأ بكلمة صاحب ، وأصحاب فى الكلمات التالية : صاحب الديوان ، صاحب اللغة ، صاحب الرأى والقياس ، صاحب النجوم ، صاحب المنطق ، صاحب الطبيعة ، صاحب الشريعة ، صاحب

الفسفة ، أصحاب الدواوين ، أصحاب الأقلام ، أصحاب المحابر ، أصحاب الاشتقاق ، أصحاب النظم ، أصحاب البلاغة ، أصحاب الكلام ، أصحاب الحديث ، أصحاب الشرائع ، أصحاب الصوف ، أصحاب النسك ، أصحاب النجوم . وتراكيب أخرى تبدأ بكلمة «أرباب» فى الأمثلة التالية : أرباب الأقلام والخطوط ، أرباب النحو ، أرباب الكلام ، أرباب المقالات .

وتراكيب تبدأ بكلمة مشايخ فى مثل الأمثلة التالية : مشايخ العراق ، مشايخ البصرة ، مشايخ الصوفية ، مشايخ الوقت ، مشايخ النصارى ، مشايخ الفلسفة .

وتراكيب تبدأ بكلمة فنون فى مثل الأمثلة التالية : فنون القول ، فنون الكلام ، فنون اللغات ، فنون البلاغة ، فنون النظم والنثر ، فنون القريض ، فنون الحديث ، فنون العلم .

ومجموعة أخرى من التراكيب تبدأ بكلمة « حَدّ » فى مثل : حَدُّ الشيء ، حَدُّ العلم ، حَدُّ المعرفة ، حَدُّ النص ، حَدُّ العموم ، حَدُّ الخصوص ، حَدُّ الشرط ، حَدُّ العلة ، حَدُّ المطلق ، حَدُّ المقيد ، حَدُّ الإجماع ، حَدُّ التفسير ، حَدُّ النسخ .

وتراكيب أخرى تبدأ بكلمة مذهب ومذاهب ومن أمثلتها ما يلى :

مذهب الزهاد ، مذهب العرب ، مذهب الجمع ، مذهب النوح ، مذهب الجاحظ ، مذهب المصنفين ، مذهب المتكلمين ، مذهب الثنوية ، مذهب الخُرَّمِيّة ، مذهب النساك ، مذاهب المتكلمين ، مذاهب الكرام ، مذاهب النسك ، مذاهب الصوفية .

٣) **الشكل الثالث** : تثبت فيه الكلمة الثانية وتتغير الأولى مثل : ورود الكلمات مثل كلمة «كلام» فى الأمثلة التالية : تأليف الكلام ، تحبير الكلام ، اشتقاق الكلام ، فنون الكلام ، علم الكلام .

وتراكيب أخرى فيها الكلمة الثانية : «أدب» فى مثل : تنقيح الأدب ، اقتباس

الأدب ، ديوان الأدب ، حسن الأدب ، سوء الأدب ، فرسان الأدب . ومجموعة أخرى من التراكيب ترد فيها كلمة «لفظ» الكلمة الثانية فى مثل : حركات اللفظ ، اشتقاق اللفظ ، تشقيق اللفظ ، وزن اللفظ ، علم اللفظ ، مراتب اللفظ ، الاشتراك باللفظ ، حواشى اللفظ ، غريب اللفظ ، تأليف اللفظ ، تخبير اللفظ ، معانى اللفظ ، تنقيح اللفظ ، وتراكيب ترد فيها الكلمة الثانية «لسان» وذلك فى مثل الأمثلة التالية : أئمة اللسان ، فصيح اللسان ، صوغ اللسان ، بلاغة اللسان .

وقد يأتى من هذا النوع مصطلحات مكونة من موصوف وصفة فى مثل : الأمر الإلهى ، التأييد الإلهى ، الناموس الإلهى ، الكمال الإلهى ، الجزء الإلهى ، التأهيل الإلهى ، النطق الإلهى ، الرمز الإلهى .

١١) قلة الألفاظ المعربة فى مؤلفات أبى حيان وتأتى الفارسية فى المرتبة الأولى وتليها اليونانية ثم السريانية . وقد تناولت الدراسة هذه الألفاظ ضمن مجالاتها الدلالية ، والبحث فى القضايا اللغوية المترتبة على استخدامها كالتغير فى الأصوات والبنية الصرفية وخضوعها للاشتقاق والتغير الدلالى الذى طرأ عليها بانتقالها من لغاتها الأصلية إلى مجال اللغة العربية . وكان مجال المعرب السريانى الألفاظ الخاصة بالديانة المسيحية واليهودية . والمعرب الفارسى كانت أهم مجالاته الألفاظ المتعلقة بالعقائد الفارسية القديمة وبعض الألفاظ الخاصة بوسائل العمل الثقافى والأحجار الكريمة . والمجال الدلالى للمعرب اليونانى فى مؤلفات أبى حيان ألفاظ متعلقة بالفلسفة والعلوم الطبيعية والموسيقى .

أما الألفاظ الخاصة بالموسيقى فأكثرها معرب من اليونانية ثم الفارسية وهذا يدل على أنها من العلوم الوافدة على الثقافة الإسلامية .

١٢) تعرضت معظم الألفاظ المعربة إلى تغير فى البنية الصوتية بتحول وحدات صوتية من هذه الألفاظ إلى وحدات صوتية عربية وسجل البحث بعض

القوانين الصوتية العامة للمعرب كان أهمها تحول التاء إلى طاء والشين إلى سين والكاف إلى قاف والهاء إلى قاف أو جيم . وتمثل التغير فى البنية الصرفية بزيادة أو بحذف بعض الوحدات الصوتية أو بحذفها مثل اللغة . وتغيرت معانى بعض الألفاظ بانتقالها إلى العربية بتخصص أو تعميم أو بانتقال دلالة الكلمة من مجال إلى آخر .

١٣) خضعت بعض الألفاظ المعربة للاشتقاق ، ونسبة هذه الألفاظ قليلة فى مؤلفات أبى حيان مثل لفظة زنديق وهى من (المعرب الفارسى) والجمع : زنادقة ، والاسم : الزندقة ، والفعل : يتزندق ، والصفة : متزندق . وذكر أبو حيان أيضا من المعرب اليونانى كلمة (فيلسوف) ، وكونت منها العربية كلمات جديدة ذكرها أبو حيان فى كتاباته منها الفعل تفلسف ، والكلمة فلسفة ، والكلمات المتفلسفة ، والتفلسف ، وفلسفى وفلسفية صيغتا النسب وهذه الكلمات كلها صيغت وفق الضوابط العربية .

ثانيا : التقارب فى المعنى :

ألفاظ اللغة المتقاربة فى معانيها أو التى يرى الكثير من الناس أنها متطابقة أو مترادفة ، فيها لأبى حيان نظر ورأى . ولا يترك أبو حيان شكا فى أنه ينفذ بعقله الاستقصائى من خلال المنافذ الدقيقة القائمة بين الكلمات المتقاربة المعنى ، وذلك حين يسأل مسكويه : قلت أعزك الله ، ما الفرق بين العجلة والسرعة ؟ وهل يجب أن يكون بين كل لفظتين – إذا توافقتا على معنى وتعاورتا غرضا – فرق ؟ لأنك تقول : سر فلان وفرح ، واشر فلان ومرح ؟ وهل يشتمل السرور والحبور ، والفرح والارتياح على معنى واحد أو معان مختلفة ؟ وخذ على هذا فإن بابه طويل ، فإن كان بين كل نظيرين من ذلك فرق يفصل معنى عن معنى ، ويفر مرادا من مراد ، ويبين غرضا من غرض ، فلم لا يشترك فى معرفته كما اشترك فى

معرفة أصله ؟[١] ويحاول أبو حيان فى كتابه الهوامل والشوامل أن يدعو الناس إلى توخى الدقة فى تعبيراتهم التى تفصل بين الكلمات المتقاربة فى المعنى . وهذه الأسئلة التى ترد فى الهوامل تدلنا على أن أبا حيان مقتنع بأن وجود (المترادفات) أو على الأصح الألفاظ المتقاربة فى المعنى كثيرة فى اللغة وهذا ليس من قبيل العبث أو السرف الفكرى ، بل هو ضرورة منطقية أوجبتها الحاجة إلى التمييز بين الفروق الدقيقة القائمة بين المعانى المتشابهة أو المتداخلة ولعل هذا ما عبر عنه أبو حيان حينما قال فى المسألة الأولى من كتابه الهوامل والشوامل : إنه لا بد من أن يكون ثمة فرق بين اللفظتين إذا تواقعتا على معنى وتعاورتا على غرض . وقضية الترادف أو التقارب فى المعنى نتناولها فى كتابات أبى حيان من خلال الألفاظ ترادف[٢] وارتداف[٣] ومترادفة[٤] ، وروادف[٥] وغيرها من الاشتقاقات الأخرى لمادة (ر د ف) ومعنى الردف هو ما تبع الشيء وكل شيء تبع شيئا فهو ردفه وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف[٦] وقد جاءت كثير من المترادفات فى كتابات أبى حيان غير متحدة المعنى اتحادا كاملا ونجد ذلك واضحا فى عدد كبير من الألفاظ وقد بلغت (٨٠) الثمانين لفظا ونذكر هذه الألفاظ وقد قسمت حسب مجالاتها الدلالية .

الألفاظ المتقاربة فى المعنى من الظواهر اللغوية البارزة فى مؤلفات أبى حيان وقد شملت معظم المجالات الدلالية التى تناولها البحث ومن هذه المجالات الألفاظ الثقافية العامة ونجد ظاهرة التقارب فى المعنى فى الألفاظ التالية :

---

(١) الهوامل والشوامل ص ٥ .

(٢) البصائر والذخائر حـ١ ص٥٣٧ وانظر الإمتاع حـ٣ ص١١٧ ، ص١٢٤ .

(٣) البصائر والذخائر حـ١ ص٣٧١ . (٤) المقابسات ص٣١٦ .

(٥) الإمتاع والمؤانسة حـ١ ص١٢٥ . (٦) اللسان حـ٣ ص١٦٢٥ .

١) الكاتب ، المُنشِئ ، المُحَرِّر ، المُؤَلِّف . فى هذا العدد من الألفاظ نجد اختلافا بسيطا فى المدلول ولكنها تشترك جميعا فى الدلالة على من يقوم بتأليف الكتب .

٢) المُعَلِّم ، المُؤَدِّب ، المُدَرِّس ، الأُستاذ . فى هذه الألفاظ تتركز الدلالة على من يقوم بعملية التعليم والتهذيب .

٣) الباحِث ، النَّاقِد ، المُصَنِّف . وهذه الألفاظ تشير إلى من ينسق الكتب والآثار العلمية .

٤) النَّاسِخ ، الخطَّاط ، الوَرَّاق . التقارب فى معنى هذه الألفاظ يشير إلى العمل اليدوى الذى يؤديه هؤلاء المشتغلون بنسخ الكتب وكتابتها .

٥) المُطْرِب ، المُهَوِّد هنا الترادف واضح بين اللفظين فالمطرب هو المغنى أى المهود كما جاء فى اللسان .

٦) الضَّارِب ، الزمار . هاتان اللفظتان متقاربتان فى المعنى فى مجال العزف على الآلات الموسيقية ومجال آخر من مجالات الألفاظ الثقافية العامة نجد فيه مجموعة من الألفاظ المتقاربة فى المعنى وهى :

٧) التحرير ، الكتابة ، الإنشاء ، التأليف . هذه الألفاظ تتقارب معانيها فى الدلالة على مهنة الإبداع بتأليف وإنشاء المؤلفات . ونلاحظ أن لفظة الكتابة متقاربة جدا من لفظة الإنشاء ومن معانى الكتابة الإنشاء .

٨) الترجمة ، النقل ، هاتان اللفظتان تردان أحيانا مترادفتين وأحيانا أخرى متقاربتين فى المعنى وهما تستعملان فى نصوص كثيرة من كتابات أبى حيان بنفس المعنى .

٩) النَّسْخ ، الوراقة ، الكتابة . هذه الألفاظ لا يخرج معناها عن إعادة كتابة

الكتب ونقلها من نسخة إلى أخرى وهى من المهن الثقافية التى أصبحت أكثر انتشارا فى عصر أبى حيان وإن كان هو نفسه ينتمى هذه المهنة .

١٠) تأديب ، تعْليم . اللفظتان متقاربتان فى المعنى إلى أبعد الحدود فى المجال التربوى .

١١) تنقيح ، تصحيح ، تبيض . وهذه المجموعة من الألفاظ تتقارب فى المعنى لأن كلا منها تشير إلى تخليص العمل الأدبى من أخطائه وإبرازه بأحسن صورة ممكنة .

١٢) كتاب ، ديوان ، رسالة ، صحيفة . فى هذه الألفاظ تتركز الدلالة على معنى رئيسى وهو الدال على الأثر العلمى ذلك المؤلف الذى نسميه الكتاب .

١٣) ورق ، قرطاس ، كاغد . فى هذه الألفاظ قد نجد اختلافا طفيفا فى مدلولها لأنها تختلف فى طريقة الصنع والإعداد ومع ذلك نجد أنها متقاربة فى المعنى الدال على استخدامها كوسيلة من وسائل العمل الثقافى .

ونجد ظاهرة التقارب فى المعنى واضحة فى مجموعة من المصطلحات الدالة على العلوم العربية والعلوم الإسلامية ، ومن هذه الألفاظ التى تقاربت فى معناها ما يلى :

١) اللغة ، اللسان : نجد هاتين اللفظتين مترادفتين فى نصوص كثيرة عند أبى حيان وتستعمل إحداهما بدل الأخرى فى أكثر الأحيان ولكن من الأفضل أن نطلق عليهما الألفاظ المتقاربة فى المعنى حتى لا نلتزم بشروط الترادف وهو اتّحاد المعنى اتّحادًا كليًّا ، وهذه ظاهرة تختلف باختلاف الشعوب والعصور .

٢) الكلام ، القول . هاتان اللفظتان متقاربتان فى المعنى وإن كانت كل منهما تستعمل بدل الأخرى فى مجالات عديدة .

٣) الفن ، النمط ، الطراز . ألفاظ مترادفة أو على الأصح متقاربة فى المعنى

إلى حد بعيد بحيث لو أننا استبدلنا أحد هـذه الألفاظ بغيرها من اللفظتين لما اختل المعنى غير أن أبا حيان اقتصر بلفظة فن على ما يخص الأدب والعلم فى حين أنه أطلق لفظة نمط وهو يريد أمورًا كثيرة تخص فنونا متنوعة .ولفظة الطراز هى الأقل استعمالا عنده فى هذه المجموعة .

٤) الشعر ، النظم : جاءت هاتان اللفظتان فى مجال التقارب فى المعنى وإن كانت تستعمل الواحدة بدل الأخرى فى بعض الأحيان وهذا كثير الورود عند أبى حيان .

٥) المذهب ، المنهج ، المِنْهَاج : هذه الألفاظ لا تخرج عن مدلول الطريق والطريقة التى تستخدم فى قطع هذا الطريق الدال على المعتقد الدينى والفكرى .

٦) الصوفىّ ، الزاهد ، الناسِك : فى هذه الألفاظ نجد صفات العابد المنقطع لله تعالى .

٧) المَقَام ، الدرجة ، المرتبة ، الرُّتْبَة : هذه الألفاظ ظلت غير واضحة الدلالة فى المعاجم العربية وخصصت هذه الألفاظ عند أبى حيان لتدل على الرفعة ، والعلو ، والارتقاء فى المنازل المقربة من الله جل شأنه فهى من صفات المتصوفة المتطلعين للمكانة الرفيعة .

٨) الرمز ، الإشارة متقاربة المعنى تماما .

وفى مجال المصطلحات الفلسفية والطبيعية نجد ظاهرة تقارب المعنى واضحة فى الألفاظ التالية :

١) المبدأ ، المنشأ ، الأصل : هذه الألفاظ تشير دلالتها إلى الأصل فهى متقاربة المعنى فى مجالات عديدة خاصة فى استعمالها للدلالة على ابتداء الشيء .

٢) الجنس ، النوع ، الصنف : هذه الألفاظ تدل دلالة واضحة على الضرب من الشيء وفى بعض الأحيان تستخدم لفظة نوع بدل لفظة صنف لأنها تؤدى نفس المعنى .

٣) عنصر ، هيولى ، مادة ، اسطقس : هذه الألفاظ دلالتها محصورة فى عنصر الشيء ومادته فهى متقاربة المعنى إلى أبعد حدود واستخدامها فى مجال الألفاظ الفلسفية جعلها أكثر تقاربا فى معناها .

والتقابل فى المعنى ظاهرة قليلة الورود فى مؤلفات أبى حيان وانطلاقا من تناولنا لظاهرة التقارب فى المعنى نذكر بعض الأمثلة على التقابل تشير إلى قضية التضاد وهذه ليس مجالها هنا وهذا لا يمنع من ذكر بعض الألفاظ المتقابلة فى المعنى وهى :

١) تعميم، تخصيص ، عموم : خصوص ، معموم ،مخصوص، عام، خاص ، عامة : خاصة ، فى هذه المجموعة من الألفاظ ظاهرة التقابل واضحة فى هذه الألفاظ المتضادة ، فالتقابل أصح أن يطلق على هذه المجموعة من المصطلحات التى كثر استخدامها فى مجال المصطلحات الصوفية .

٢) **جوهر** : **عرض** تقابل المعنى واضح فى هذين اللفظين .

٣) **جزئى** : **كلى** ، جزئيات : كليات ، جزئية : كلية هذه المجموعة من الألفاظ تظهر فيها الفروق التى أدت إلى التقابل فى معانيها .

٤) **ظاهر** : **باطن** تقابل المعنى واضح هنا .

٥) **توحيد** : إلحاد وهنا أيضا التقابل واضح فى هاتين اللفظتين ذات المعنى الدينى وليس هنا أبعد من التوحيد إلّا الإلحاد .

٦) واجب : ممتنع فى هاتين اللفظتين التقابل من أبرز سماتهما وذلك فى مجال الفلسفة والمنطق .

٧) قدرية ، جبرية مصطلح الجبرية سار فى خطين الأول ناس ينكرون القدر يسمون قدرية والثانى ناس يؤمنون بالقدر يسمون قدرية ، ومن المحتمل أن يكون فيه تضاد . ومن معنى القدر والجبر نجد أن لفظة قدرية تقابل فى المعنى لفظة الجبرية وهما تدلان على فرقتين دينيتين والتقابل بين معتقديهما .

ثالثا : تعدد المعنى :

إن المعنى المتعدد يتحقق فى صورتين هما : أولًا : ارتباط عدد من الألفاظ بمدلول واحد وهذا ما تناولناه فى الألفاظ المتقاربة فى المعنى . والثانى : ارتباط عدد من المدلولات بلفظ واحد وهذا ما سوف نتناوله فى الجزء المخصص لتعدد المعنى لمجموعة من الألفاظ وردت فى كتابات أبى حيان التوحيدى فى مواضع متعددة لاستعمال الكلمة فى عدة مجالات ، وهذه الألفاظ التى لها أكثر من معنى هى :

الكِتَاب : كلمة الكتاب مرت فى مجال وسائل العمل الثقافى بمعنى المؤلف الذى يقوم على وضعه وتأليفه شخص واحد أو عدة أشخاص ، وجاءت بمعنى الكتاب المنزل أى القرآن ، وبمعنى صحيفة أعمال البشر فى الآخرة ، وبمعنى الأجل وكتاب فيه علم الغيب .

الرسالة : هذه الكلمة وردت فى مجال وسائل العمل الثقافى بمعنى المؤلف وبمعنى البلاغ الذى يرسل الرسول به ، وبمعنى الخطاب أى الكتاب المتبادل بين اثنين .

الباب : جاءت هذه الكلمة فى مجال أقسام الكتاب بمعنى الجزء أو القسم من الكتاب ومن معانيها باب البيت ، وباب الخروج من المأزق ، ومورد الرزق .

الفصل : وردت هذه الكلمة فى مجال أقسام الكتاب وهو القسم المحدد من الكتاب أو الرسالة ، ومن معانيها تلخيص الكلام ، والحكم بالبنية واليمين والتغير الذى يحصل فى قوافى الشعر ، والحقبة من الزمن . والبون بين الشيئين .

الديوان: وردت فى مجال وسائل العمل الثقافى بمعنى الكتاب أى (المؤلف) وبمعنى اللوح المحفوظ ومن معانيها أيضا وظيفة إدارية لتنظيم الشؤون المالية للدولة الإسلامية. وديوان الشعر الخاص بشاعر معين، والسجل الذى يحفظ فيه واردات وصادرات الدولة. وبمعنى الذاكرة الخاصة بالإنسان. وكتاب الملكوت.

الحاشية : كلمة الحاشية جاءت فى مجال أقسام الكتاب أى الجزء المخصص من الصفحة المكتوبة من أجل أن تدون فيه بعض الملاحظات وبمعنى طرف الثوب وذيله المهدب ، وأيضا بمعنى الخدم والأتباع ، وبقية الكلام والمستدرك على القول .

الورق : جاءت هذه الكلمة بمعنى الورق المعد للكتابة وبمعنى النقد .

الورقات : كلمة الورقات وردت فى مجال وسائل العمل الثقافى بمعنى الكتاب ، وبمعنى الورقات المعدة للكتابة أى أدوات الكتابة وأيضا بمعنى ورق الأشجار .

الرَّسْم : هذه الكلمة وردت فى مجال الألفاظ الثقافية بمعنى الكتابة وبمعنى السك (مبلغ يمثل نفقات سك النقود) وبمعنى الضريبة المالية التى تدفع للدولة من أجل خدمات معينة ، وبمعنى فلسفى مقابل للحد فى اصطلاح المنطقيين ، وأيضا بمعنى العادة والخلق وصفاته وهذا المعنى متعارف عليه عند الصوفية .

الإنشاء : هذه الكلمة جاءت فى مجال أشكال العمل الثقافى بمعنى التأليف وجاء أيضا بمعنى الابتداء .

التأليف : وكلمة التأليف وردت فى مجال المهن الثقافية أى بمعنى وضع الكتب والمؤلفات وأيضا بمعنى الجمع بين القلوب والأشياء .

التأديب ، التعليم : تعددت المعانى لهاتين اللفظتين فقد جاءتا بمعنى العامل الثقافى الخاص بمهنة تدريس الطلبة . ومن معانى لفظة التأديب تهذيب النشء وتربيتهم وتعليمهم . وتعدد المعانى هنا لا يخرج هاتين اللفظتين من دائرة المعنى الأخلاقى التربوى والعلمى .

الشَّيْخ : هذه الكلمة جاءت فى مجال المشتغلين بالثقافة بمعنى أستاذ العلم ، وكبير مجالس الثقافة والمعرفة ، ومن معانيها الكبير فى السن ، والكبير فى المقام عند

قومه ، ومن له مكانة عالية بين أعلام عصره من المفكرين وأيضا عالم الدين الذى له أتباع ومريدون .

الجامع : هذه الكلمة وردت فى مجال دور العلم والثقافة بمعنى المكان الذى يتلقى فيه العلم وتعقد فيه الحلقات الدراسية وأيضا موضع العبادة وهذا هو المعنى الأكثر بروزا ومن معانيها أيضا الذى يجمع ما بين الأشياء المتفرقة .

النادى : وردت كلمة النادى لتدل على موضع الاجتماع وأيضا بمعنى جماعة الناس الذين يحضرون الاجتماع .

المجلس ، المجالس : من الألفاظ التى تناولها أبو حيان فى مجال المؤسسات الثقافية واستخدمت عنده بهذا المعنى الثقافى الذى يدل على مكان اجتماع القوم والقوم أنفسهم . وبمعنى الحديث الذى يدور بين الناس والمكانة الرفيعة للشخص وهذان المعنيان استخدما لأول مرة عند أبى حيان . وأيضا من معانى لفظة المجلس والجمع مجالس ، مقاعد الجلوس ، والسجلات والمحاضر التى تكتب للضبط وإن كان المعنى الثقافى هو الأكثر استعمالًا فى عصر أبى حيان .

اللغة : هذه الكلمة وردت فى مجال العلوم العربية ومن معانيها اللسان واللهجة ، والكلام ، وطريقة القراءة والكلمة ، والخطأ فى تهجى اللفظ ووسيلة من وسائل التعبير .

اللسان : وهذه الكلمة وردت فى مجال المصطلحات اللغوية بمعنى إحدى الحواس وعضو التكلم ، واللغة والكلام الذى يراد به نقل أفكار المتكلم إلى السامع وأيضا بمعنى الذكر الحسن ، والمتكلم عن القوم .

القياس : كلمة القياس وردت فى مجالات متعددة وبمعانى متنوعة فمن معانيها التقدير وقد جاءت بهذا المعنى فى مجال المنطق والفقه وعلم اللغة ففى المنطق دلت على القول المؤلف من قضايا ، وفى الفقه دلت على المعنى المستنبط من النص لتعديه الحكم ، وفى اللغة دلت على رد الكلمة غير المسموع بها عن العرب إلى نظيرها المسموع بها .

النحو : وردت كلمة النحو فى مجال المصطلحات الخاصة بالعلوم العربية وهو علم النحو ، ومن معانيها أيضا القصد ، والطريق والجهة .

البناء : هذه الكلمة جاءت فى مجال المصطلحات الصرفية بمعنى لزوم آخر الكلمة ضربا واحدا من الحركة أو السكون . ومن معانيها أيضا البناء المشيد للسكنى أى موضع السكن . والبناء بمعنى التشيد للشيء وإقامة أساسه .

الإعراب : هذه الكلمة استخدمت فى مجال المصطلحات اللغوية بمعنى النحو ، وبمعنى حركات الكلمة (المعربة) ومن معانيها التى وردت عند التوحيدى الإبانة والإفصاح ، والأصالة .

التصريف : هذه الكلمة وردت بمعنى التصرف فى الأمور حسب ما يقتضيه الأمر ، وبمعنى تصريف الكلمة حسب الصيغ والأوزان المتبعة فى العربية وإن كان هذا المعنى هو الأكثر استعمالا .

اللحن : جاءت كلمة اللحن فى مجالات متعددة وبمعان مختلفة منها اللحن بمعنى التطريب والغناء وفى مجال المصطلحات اللغوية جاءت بمعنى الخطأ فى الإعراب ، والخطأ فى القراءة ، وبمعنى الخطأ فى النطق ، وهذا من أبرز معانيها عند أبى حيان .

الأدب : هذه الكلمة لها معان متعددة وقد جاءت فى مجال المصطلحات البلاغية ومن معانيها المعنى الأخلاق الذى يدل على الظرف والكياسة ، والمعنى الثقافى ضروب متعددة من الفنون والعلوم وأيضا معنى اصطلاحى تحدد فى فنى النثر والشعر والتأليف فيهما وهذا هو المعنى الأكثر استعمالا .

الوزن : جاءت هذه الكلمةفى مجال مصطلحات العلوم العربية الخاصة بوزن الشعر بواسطة التفعيلة والزحاف وهذا المعنى فى اصطلاح العروضيين ، ومعنى آخر لكلمة الوزن وهو الثقل والخفة .

النَّمَط : هذه الكلمة لها عدة معان فقد جاءت فى مجال مصطلحات العلوم

العربية بمعنى الأسلوب ، واللغة ، وطريقة النظم ، ومن معانيها أيضا المذهب ، والنوع ، والضرب .

الطِّرَاز : كلمة الطراز وردت بمعان متنوعة منها الجماعة من الناس ، والنوع ، والضرب ، وصبغة الثوب ونسجه ، وبمعنى أداة من أدوات الرى لرفع مستوى المياه . وأيضا المعنى الخاص بالأسلوب وطريقة التعبير فى الكتابة وهو المعنى الجديد للكلمة عند أبي حيان .

النَّهْج : جاءت هذه الكلمة فى مجال المصطلحات الدينية بمعنى المذهب والمعتقد ، ومن معانيها أيضا الطريق ، والشكل الواضح ، والطريقة المتبعة السالكة .

المذهب : كلمة المذهب استخدمت فى عدة مجالات وأبرزها المجال الخاص بالمصطلحات الدينية فمن معانيها المعتقد ، والطريقة وخاصة فى مجال الفرق الدينية ، والآراء والنظريات الفلسفية ، وجاءت كلمة المذهب أيضا بمعنى الطريق ، والفن ، والمنهج . وبمعنى العادة ، والصفة الأخلاقية .

الإمام : هذه الكلمة وردت فى مجال المصطلحات الدينية بمعنى رجل الدين الذى يتقدم المسلمين فى الصلاة ، وبمعنى المرشد الديني وهذا (معنى خاص عند الشيعة) ومن معانيها قائد الجماعة ، وعالم اللغة ، والرائد فى علم الفلسفة وأيضا جاءت بمعنى كتاب الله (القرآن) وبمعنى الشريعة ومن الملاحظ أن أكثر معانى هذه اللفظة تدور حول المعنى الديني وإن كان المعنى الاصطلاحى الدينى هو أبرزها .

الغاليّة : هذه الكلمة من المصطلحات الخاصة بالفرق الدينية وقد جاءت بمعان عديدة منها الارتفاع فى الثمن ، ونوع من الطيب ، والفرقة التى تتبع مذهب الشيعة وتغالى فى حب علي بن أبي طالب .

الشّيعة : كلمة الشيعة لها معان متعددة منها الفرقة من الناس ، وأتباع الرجل

وأنصاره ، وبمعنى الحزب السياسى ، وبمعنى المذهب الدينى وقد عرفت بهذا المعنى الأخير واختصت به .

المَقام : هذه الكلمة لها مفهوم خاص عند الصوفية وتعنى مقام العارفين بالله ، وقد جاءت كلمة المقام أيضا بمعنى الموضع والمجلس ، والجماعة من الناس ، والمنزلة والمكانة الرفيعة .

الشريعة : جاءت كلمة الشريعة بمعان متنوعة فى مجال المصطلحات الدينية ومن معانيها المذهب والملة ، والطريقة المتبعة بين الناس فى سلوكهم وعاداتهم وأيضا بمعنى مورد الماء .

المقالة : هذه الكلمة لها عدة معان وقد جاءت فى مجالات متعددة منها مجال المصطلحات الدينية ومن معانيها المعتقد ، والمبحث الكلامى ، والرأى والفكرة ، والقول وفى مجال الألفاظ الثقافية جاءت بمعنى الجزء من المؤلف أو المُؤَلَّف والأثر العلمى .

الزندقة : جاءت هذه الكلمة بمعان متعددة وإن كانت تدور كلها حول معنى الخروج عن الدين وأصوله فمن معانيها التهتك والاستهتار ، والمجون ، والكفر والإلحاد ، وبمعنى أتباع الديانة المانوية .

المَرْتَبة : كلمة المرتبة جاءت فى مجال المصطلحات الصوفية بمعنى المكانة الرفيعة الموقرة وأيضا جاءت بمعان منها الطبقة من الدرج والعرش ، ونوع من الفرش خاص بالجلوس . وإن كان المعنى الصوفى هو الأكثر استخداما عند التوحيدى .

التحقيق : هذه الكلمة وردت فى عدة مجالات وتحدد معناها بالمجال الذى استخدمت فيه ففى مجال الصوفية هو ظهور الحق فى صور الأسماء الإلهية وفى مجال الفلسفة إثبات المسألة بالدليل وهذا هو أيضا المعنى الفقهى لكلمة التحقيق . وفى

مجال الألفاظ الثقافية بمعنى جمع النصوص وإصلاح الخط فى الكتابة .

الفتوة : جاءت لفظة الفتوة فى مجال المصطلحات الصوفية بمعنى الخصال والأخلاق الرفيعة ، ومن معانيها أيضًا الشباب والحداثة . وإن كان المعنى الصوفى هو الأكثر ورودا .

الإشارة : لفظة الإشارة لها معان متعددة منها المعنى الصوفى أى معنى الرمز والإرسال ، ومن معانيها أيضا التلويح بالشيء واليد ، وبمعنى فحوى الكلام ، والتصريح .

التقويم : وردت كلمة التقويم فى مجال المصطلحات العلمية بمعنى العلم الخاص بالأفلاك ، ومن معانيها أيضا التهذيب والإصلاح الأخلاقى .

الجوهر : كلمة الجوهر وردت فى مجال المصطلحات الفلسفية بمعنى كل شيء ما خلقت عليه جبلته أى أصل الشيء ، ومن معانيها أيضا الوضوح ، والتنقية والمعدن الثمين . وكل هذه المعانى تدور حول نفاسة الشيء .

العرض : جاءت كلمة العرض بمعان متنوعة منها بمعنى خلاف الطول ، وبمعنى الحاجز أى ما يعرض للإنسان . وأيضا بالمعنى الفلسفى الدال على مالا دوام له .

العلة : هذه الكلمة وردت فى مجال المصطلحات الفلسفية بمعنى ما يتوقف عليه وجود الشيء ويكون خارجا مؤثرا فيه ، ومن معانيها أيضا السبب ، والمرض ، والحدث الذى يشغل صاحبه . هذا ومعنى العلة بالمفهوم الفلسفى أكثر تداولا عند أبى حيان .

الحدّ : كلمة الحد وردت فى عدة مجالات ومنها المجال الدينى بمعنى العقوبة والمجال الفلسفى بمعنى منتهى الشيء ، وجاءت أيضا بمعنى الفصل بين الشيئين لئلا يتعدى أحدهما على الآخر . ومن أكثر المعانى ورودا عند أبى حيان ، المعنى الفلسفى حد كل شيء : منتهاه .

رابعا : التخصيص الدلالى :

يتناول التغير الدلالى ألفاظ الحياة الثقافية فى مؤلفات أبى حيان التى تضمنت دلالات جديدة لم تعرف من قبل . وقد أمكن بيان الحد الفاصل بين المعنى القديم والمعنى الجديد إن الأول يمثله الاستعمال اللغوى فى الجاهلية أما المعنى الجديد الذى بدأ فى القرن الأول الهجرى بظهور الألفاظ الإسلامية ، فقد اتسع فى القرون التالية للعصر الإسلامى الأول ، وازداد وضوحا فى القرن الرابع الهجرى ، واتخذ التغير الدلالى للألفاظ الواردة فى مؤلفات التوحيدى الاتجاهات التالية : التخصيص الدلالى ، تغير المجال الدلالى ، رقى الدلالة .

يتناول التخصيص الدلالى الألفاظ التى تحولت من معانيها العامة إلى معانيها الخاصة واكتسبت بذلك خصوصية الدلالة وتحديدها . وأغلب ألفاظ الحياة الثقافية فى مؤلفات أبى حيان من هذا النوع خاصة ما تعلق منها بالدين والفلسفة واللغة والأدب والفن والطب والفلك بما تتضمنه من مصطلحات ثقافية وعلمية ، وشملت – أيضا – الألفاظ الدينية .

(أ) هناك ألفاظ كانت تدل على معنى عام قد تخصص بظهور الإسلام وتكون الحضارة والعلوم الإسلامية . وفيما يلي هذه الألفاظ وبيان معانيها العامة والخاصة . ويتضح هذا كله من الأمثلة التالية :

١) **الكِتاب** ، **الكَاتِب** ، **الكُتَّاب** ، **المكتب** : مادة كتب معروفة ، يقال كتب الشيء يكتبه كتبا وكتابا وكتبه : خطه ، ولهذه المادة اشتقاقات كثيرة خصص بعضها تخصيصا دلاليا فالكتاب الذى هو اسم لما كتب مجموعا خصص بالمؤلف الذى يقوم بتأليفه واحدًا أو أكثر ، والكاتب – صيغة اسم الفاعل من كتب – أطلقت على وظيفة إدارية كان لها شأن خطير فى الدولتين الأموية والعباسية وخصصت كلمة الكتاب والمكتب بموضع تعليم الكتاب وهما يقتربان فى الاستعمال من معنى كلمة المدرسة بالمفهوم الحديث فى عصرنا . وكلمة

(الكتاب) استعملت فى مواضع كثيرة من كتابات أبى حيان تحمل تخصصا دلاليا فالكتاب بمعنى الأجل ، وبمعنى صحيفة أعمال البشر ، وبمعنى كتاب فيه علم الغيب ، وأصبحت دلالة لفظة الكتاب أكثر تخصصا عندما استعملت بمعنى المؤَلَّف .

٢) **الفقه** : هو العلم بالشيء والفهم له واختص الفقه بعلم الدين وبذلك اكتسبت الدلالة خصوصية بتحديدها فى الذهن .

٣) **العَالِم** : عَلِم علما وعَلَّم هو نفسه ، ورجل عالم من قوم علماء ، وأطلقت كلمة العالم على الخبير الفاهم لأمور الدين عامة وخصصت دلالة لفظة العالم عندما حدد استعمالها فى مجال العلوم الشرعية .

٤) «**الرسالة**» : الإرسال هو التسليط والإطلاق والتوجيه والإهمال والاسم الرسالة ، وأرسل الشيء : أطلقه وأهمله ، والرسالة فى الأصل الكلام الذى أرسل إلى الغير وقد تخص الرسالة بالتبليغ ثم أطلقت الرسالة على العبارات المؤلفة والمعانى المدونة لما فيها من إيصال الكلام المُؤَلَّف ومن هنا تخصصت دلالة هذه اللفظة وأصبحت أكثر تخصصا عندما استخدمت عنوانا لمؤلف علمى ، أو أدبى ومن الملاحظ أن أبا حيان له فى هذا المجال رسائل كثيرة تحمل عناوين مثل رسالة الحياة ، ورسالة فى علم الكتابة ، وغيرهما من الرسائل التى تتناول شتى نواحى المعرفة .

٥) **الجامع** : **الجمع** : مصدر قولك جمعت الشيء ، وأمر جامع : يجمع الناس والمسجد الجامع : الذى يجمع أهله ، نعت له لأنه علامة للاجتماع . وقد تخصصت دلالة لفظة الجامع عندما أضيفت وإن أنكر هذه الإضافة بعض النحويين ولكن ، معظم النحويين أجازوا هذه الإضافة ، والعرب تضيف الشيء إلى نفسه وإلى نعته إذا اختلف اللفظان . وفى القرن الرابع الهجرى أصبحت دلالة هذه اللفظة أكثر تخصصا عندما استخدمت فى مجال الألفاظ الثقافية الخاصة بدور العلم .

٦) **الخازن** : خزن الشيء يخزنه خزنا واختزنه : أحرزه وجعله فى خزانة

والخزانة عمل الخازن ومن هذا المعنى أخذت لفظة الخازن كمصطلح ثقافى بعد أن خصصت اللفظة بإضافتها للكتب فحدد مجال استخدامها بمن يشتغل بحفظ الكتب وصيانتها ، وهذه المهنة الثقافية استحدثت فى العصور الإسلامية التى ازدهرت فيها الثقافة وبالتحديد فى العصر العباسى وامتدادا إلى عصر أبى حيان التوحيدى عصر ارتقاء المشتغلين بالثقافة .

٧) **مُهَوِّد** : التهويد الترجيع بالصوت فى لين والمُهَوِّد : المطرب المُلْهى وتخصصت دلالة لفظة المهود بعد أن استخدمت كمصطلح فى علم الموسيقى .

٨) **شيخ ، شيوخ ، أشياخ** : الشيخ : التى استبانت فيه السن وظهر عليه الشيب والجمع أشياخ وشيوخ . وشيخته : دعوته شيخا للتبجيل . ولفظة الشيخ استخدمها أبو حيان بكل هذه المعانى وأضاف إليها تخصصا بعد أن وصفها بصفات عديدة ، وأضافها إلى ألفاظ متنوعة فجعلتها أكثر تخصصا وهذا التخصص الدلالى واضح فى معظم نصوص أبى حيان المتضمنة لهذه اللفظة ، ولا يمنع تخصص اللفظة من كثرة استخدامها فى مجالات متعددة .

٩) **ورَّاق** : رجل وراق : وهو الذى يُورِّق ويكتب ، والوراق : الرجل الكثير الورق والمال وتخصصت دلالة هذه اللفظة بعد أن استخدمت فى مجال المشتغلين بالثقافة كمصطلح ثقافى .

١٠) **إنشاء** : أنشأ الله الخلق أى ابتداء خلقهم ، والإنشاء : الابتداء وقيل فى تأدية الأمثال على ما وضعت عليه : يؤدى ذلك فى كل موضع على صورته التى أنشىء فى مبدئه عليها فاستعمل الإنشاء فى العرض الذى هو الكلام ، وتخصصت دلالة لفظة الإنشاء بعد أن استخدمت كمصطلح خاص بالمهن الثقافية .

١١) **تحبير** : حَبَّرت الشىء تحبيرا إذا حسنته ، وتحبير الخط والشعر والكلام : تحسينه ، وخصصت لفظة التحبير باللفظ واستخدمت كمصطلح ثقافى خاص بتحسين الكتابة وإعداد المؤلفات بصورة جيدة .

١٢) **الطَّالِع** : كل بادٍ من علو ، طلعت الشمس والقمر والنجوم فهى طالعة ، وأطلع رأسه إذا أشرف على شيء ، واطّلَعْت على باطن أمره ، وأطلعه على الأمر : أعلمه . ومن هذا المعنى يكون الطالع هو برج الإنسان الذى يراه المنجم فى كتابه لأن الاطلاع عليه هو إطلاع على بواطن الأمور لاتصال الأبراج الفلكية بحياة الإنسان ومن هنا تخصصت الدلالة .

١٣) **الضارب** : من مادة ضرب ودلالاتها المختلفة معروفة ومنها الضرب على الشيء ، ولما كان العزف على الآلات الوترية أو الدفوف يتم بالنقر عليها بالأصبع لذلك قيل : ضرب فلان على العود ، وخصص الضارب بالعازف على العود والمزمار ونحوهما .

١٤) **طب ، الطبيب** : تطلق كلمة الطبيب عند العرب على الحاذق من الرجال الماهر بعلمه ، واستعمل الطب فى العربية القديمة بمعنى الحذق بالأشياء والمهارة بها لذلك قيل للسحر طِبّ ، وطُبّ ، وقد طَبّ الرجل ، والمطبوب : المسحور ، ودل الطب عندهم أيضا على الطوية والإرادة ، وتطورت هذه الكلمة حتى خصصت بعلم الطب الذى فيه عن بدن الإنسان من جهة ما يصح ويمرض لحفظ الصحة وإزالة المرض ، والطبيب هو من يزاول هذه المهنة .

١٥) **العدد** ، الحساب بِمقدار ما يُعَدُّ ومَبْلَغُه والجمع أعداد ، والعدُّ : إحصاء الشيء . والحساب : عدك الشيء ، وحسب الشيء يحسبه حسبا . وحسابا : عده . وخصصت دلالة هاتين اللفظتين بعد أن اتخذتا كمصطلحين من المصطلحات العلمية الخاصة بعلوم الرياضيات . وعلم العدد والحساب كان له شأن كبير فى العصور الإسلامية لعلاقته بعلم الفلك والنجوم والتقاويم .

١٦) **الإيقاع** : من إيقاع اللحن والغناء وهو أن يوقع الألحان ويبينها . وتخصصت دلالة هذه اللفظة عندما استخدمت كمصطلح موسيقى له قواعد وأصول تتبع بين المشتغلين بالآلات الموسيقية .

١٧) **النجم ، النجوم** : النجم فى الأصل : اسم لكل واحد من كواكب السماء والمُنَجِّم الذي ينظر فى النجوم بحسب مواقيتها وسيرها ، والنجم : الوقت المضروب وبه سمى المنجم ومن هذا المعنى تخصصت دلالة لفظة النجوم بأن اتخذت كمصطلح علمى خاص بعلوم الفلك ، والتنجيم وظهر علم النجوم فى العصور الإسلامية وكثر استخدامه فى العصر العباسى .

١٨) **إله** : الإله كل ما اتخذ من دونه معبودًا إله عند متخذ والجمع آلهة والإله كلمة مشتركة فى اللغات السامية وكانت العرب فى الجاهلية يدعون معبوداتهم من الأوثان آلهة ، والإله أصله على فعال بمعنى مفعول لأنه مألوه أى معبود ، وقيل مأخوذ من أله تأله ألها أى تحير . وقيل مأخوذ من أله يأله إلى كذا أى لجأ إليه لأنه سبحانه المفزع الذى يلجأ إليه كل أمر والتأله : التنسك والتعبد ، ومن كل هذه المعانى عرفت لفظة الإلهيات وتخصصت دلالتها عندما ارتبطت بعلم العقائد واتخذت كمصطلح عقائدى .

١٩) **المِلَّة** : الطريقة والسُّنة ، والملَّة الشريعة والدين ، وقيل هى معظم الدين وجملة ما يجىء به الرسل ومن هذا المفهوم الديني تخصصت دلالة لفظة الملة بعد أن اتخذت كمصطلح دينى خاص بالمذاهب والنحل .

٢٠) **السُّنة** : سن الله سُنة أى بين طريقًا قويمًا ، والسُّنة الطريقة المحمودة وهى مأخوذة من السنن وهو الطريق ، وتخصص معنى السنة بعد أن أطلقت فى الشرع على ما أمر به النبى ﷺ ونهى عنه وندب إليه قولا وفعلا وأصبحت السنة من أدلة الشرع وبهذا تخصصت دلالة هذه اللفظة بعد أن كانت من الألفاظ العامة وكذلك لفظة الناموس وهو السنة والطريقة التى تضعها الحكماء للعامة لوجه من المصلحة ، والجمع نواميس وقد تخصصت هذه اللفظة بعد أن أضيفت لألفاظ دينية واستخدمت كمصطلح دينى خاص بعلم الشرائع .

(ب) هناك ألفاظ عامة تخصصت دلالتها بعد أن استخدمت كمصطلحات ثقافية خاصة بالكتاب وأجزائه ومن هذه الألفاظ :

- **الفصل** : وهو الحاجز بين الشيئين ، والفصل من الجسد : موضع المفصل وفصلت الشيء فانفصل أى قطعته فانقطع واتخذت لفظة الفصل للدلالة على قسم من الكتاب أى قطعه منه وبهذا المعنى تخصصت الدلالة عندما استخدمت كمصطلح ثقافى والحاشية وهى طرف الشيء وجانبه ، والحاشية : الأهل والخاصة وحاشيتا الثوب جنباه الطويلتان ، ومن هذا المعنى اتخذت لفظة الحاشية كمصطلح ثقافى خاص بجانب وطرف الورقة المكتوبة من الكتاب تشبيها بحاشية الثوب ، وتخصصت دلالة اللفظة عندما كثرت الشروح فى حواشى الكتب وهذه من مظاهر ازدهار الثقافة فى العصر العباسى ، وأصبحت الدلالة أكثر تخصصا فى عصر أبى حيان

١) **الورق** من أوراق الشجر والكتاب ، والورق أدم رقاق ، والورق الدراهم ، وتخصصت دلالة لفظة الورق عندما استخدمت كمصطلح ثقافى بمعنى نوع من أنواع الكتب .

٢) **المداد** : سمى بذلك لأنه يمد القلم أى يعينه ، وكل ما مددت به شيئا فهو مداد ، وتخصصت دلالة هذه اللفظة عندما استخدمت فى مجال الأدوات الخاصة بالكتابة .

٣) **أما الحبر** : فأصله اللون ، يقال فلان ناصع الحِبْر يراد به اللون الخاص الصافى من كل شيء وتخصصت لفظة الحِبْر بعد استخدامها فى مجال الكتابة .

(جـ) ثمة ألفاظ عامة استعملت فى كتابات أبى حيان ودل البحث على أن معانيها تخصصت فى عصر أبى حيان ومعظمها من المصطلحات الثقافية والفلسفية والعلمية وأيضا مصطلحات دينية متعلقة بالجماعات الإسلامية وغير الإسلامية وفيما يلى تناول هذه الألفاظ :

١) **المنطق** : المنطق الكلام ، وأنطقه الله استنطقه : أى كلمه وناطقه ومن معنى الكلام اتخذ المنطق اصطلاحا خاصا فى الفلسفة تفيد معنى القياس العقلى ، بعد أن كانت فى الجاهلية وصدر الإسلام تفيد معنى الحديث والكلام .

٢) **الكلام** : القول ، ومنه اختصت الكلمة بعلم الكلام وهو مصطلح فقهى إسلامى ومصطلح لغوى .

٣) **القياس** : معنى القياس التقدير ، يقال قاس الشيء يقيسه قيسا وقياسا : إذا قدره على مثاله ، ومن معنى التقدير دخلت كلمة القياس مصطلحا فى المنطق والفقه وعلم اللغة . ففى المنطق دلت على القول المؤلف من قضايا وفى الفقه دل القياس على المعنى المستنبط من النص لتعدية الحكم من المنصوص عليه إلى غيره . وفى اللغة دل على رد الكلمة أو الصيغة غير المسموع بها عن العرب إلى نظيرها المسموع بها ويكون ذلك على مستوى الكلمات والتراكيب .

٤) **العَرَض** : من معانى مادة «عرَض» ما يَعْرَض للإنسان من مرض ونحوه واسم لما لا دوام له ، ومن دلالته على ما لا دوام له خصص العرض فى المفهوم الفلسفى بما يتميز به الشيء عن الشيء لا فى ذاته كالبياض والحرارة . وبهذا المفهوم الفلسفى للفظة عرض والجمع أعراض استخدمها أبو حيان فى كتاباته كمصطلح فلسفى .

٥) **العلة** : ما تتلهى به من الشيء ، والعلة الحدث يشغل صاحبه عن حاجته ، وهذا علة لهذا أى سبب ، وفى اصطلاح أهل المنطق العلة : ما يتوقف عليه وجود الشيء ويكون خارجا مؤثّرا فيه وبهذا المفهوم استعملت كلمة العلة والجمع علل كمصطلحات فلسفية .

٦) **الطبيعة** : الطَّبْع والطبيعة : الخلقية والسجية التى جبل عليها الإنسان ، ومن معنى الخلقية والسجية اللتين تدلان أيضا على الأصل والعنصر اتخذت كلمة الطبيعة مضامين فلسفية فدلت على الطبع بمعنى الخلق وهى ملكة يصدر بها عن النفس الأفعال من غير تقدير وروية .

٧) **فقيه ، فقهاء** : الفقه العلم بالشيء والفهم له ، وفَقِه فِقْهًا : بمعى عَلِم عِلمًا . ورجل فقيه : عالم ، وكل عالم بشيء فهو فقيه ، وقد تخصصت دلالة هذه اللفظة بعد أن تحدد معناها بالعالم بأحكام الشريعة وتخصصا بعلم الفروع منها .

٨) **إجماع** : الإجماع الإعداد والعزيمة على الأمر ، والإجماع أن تجمع الشيء المتفرق جميعا ، فإذا جعلته جميعا بقى جميعا ولم يكد يتفرق كالرأى المعزوم عليه المُمْضى ومن معنى العزم والاتفاق تخصصت دلالة هذه اللفظة بعد أن استخدمت فى العصور الإسلامية كمصطلح فقهى .

٩) **الاجتهاد** : بذل الوسع فى طلب الأمر ، وهو افتعال من الجهد ، ومن معنى بذل المجهود فى طلب المقصود استخدمت كلمة الاجتهاد مصطلحا فقهيا أى بذل الفقيه الوسع ليحصل له ظن بحكم شرعى ، ومن هذه الدلالة خصص الاجتهاد فى المفهوم الفقهى .

١٠) **التفسير** : فسر الشيء يفْسُرُه فسرا : أبانه والتفسير مثله . والفسر : كشف المُغَطّى ، والتفسير كشف المراد عن اللفظ ، ومن هذا المعنى اتخذت لفظة التفسير كمصطلح فقهى له شروط لا يمكن تجاوزها وهذا التحديد أدى إلى تخصيص أكثر وضوحا فى دلالة اللفظة بعد أن ظهر علم التفسير فى العصور الإسلامية .

١١) **التأويل** : فى الأصل الترجيح وفى الشرع صرف الآية عن معناها الظاهر إلى معنى تحتمله إذا كان المحتمل الذى يراه موافقا بالكتاب والسنة والتفسير والتأويل واحدا – كما أكد صاحب اللسان – أى هو كشف المراد عن المشكل ، ورد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر ، وقد تخصصت لفظة التأويل بعد أن أصبحت مصطلحا فقهيا كعلم من العلوم الدينية لا يمكن جوازه دون استيفاء شروطه .

١٢) **الإمام** : كل من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين .

والأمّ : القصد ، أمه يؤمُّ أمّا إذا قصده . والإمام بمعنى فعال على مفعول لأنه مؤتم به ، وما ائتم به من رئيس وغيره والجمع أئمة ، ومن هذا المعنى دل الإمام على إمام الجماعة فى الصلاة لأنه يتقدمهم . وخصصت دلالة لفظة الإمام بإضافتها إلى الرافضة أو وصفها بالمفضول ، وقد انتقلت لفظة الإمام من العام إلى الخاص ثم إلى العام الشامل والخاص المحدد بفرقة دينية معينة وهى الشيعة الذين أطلقوا لفظة الإمام على علي وبنيه وأولادهم ، وهو معنى دينى محض قائم على مفهوم الخلافة .

١٣) **الزُّهْد** : الإعراض عن الشيء احتقارا له وتخصصت دلالة الكلمة بالإعراض عن الدنيا ثم اتخذت كلمة الزهد مصطلحا في التصوف الإسلامى .

١٤) **الزُّبُر** : الزَّبْر الكتابة ، والزَّبور الكتاب المزمور والجمع زُبُر وترجع دلالة هذه الكلمة إلى العصر الجاهلى وهى بذلك كلمة عربية قديمة وإن استعملت مادة زبر بمعنى الحجارة ، وهو استعمال حسى ، واتخذت كلمة الزبر خصوصية الدلالة بإطلاقها على الكتاب .

١٥) **النِّحْلة** : الدَّعْوة من نَحَلُه القول يَنْحَلُه نَحْلًا : نسبه إليه ، وفلان ينتحل مذهب كذا إذا انتسب إليه ، ومن معنى الدعوى أخذت النِّحْلة وهى المذهب والمعتقد الدينى .

١٦) **المقالة ، المقال** : من القول وهو الكلام على الترتيب ، قال يقول قَوْلا وقَوْلَةً ومقالًا ومقالة . وخصصت المقالة بالمذهب أو المعتقد .

١٧) **الظاهر والباطن** : أطلق الظاهر فى مقابل الباطن على ما يبدو من الشيء فى مقابل ما هو عليه فى ذاته وهو تخصيص للكلمة حيث تضمنت مفهوما فقهيا .

١٨) **المُرْجئة** : أرجأ الأمر : أخره ، والإرجاء التأخير ، وإعطاء الرجاء ، ومن هذين المعنيين اشتقت كلمة «المُرْجئة» وأطلقت على فئة من المسلمين والنسبة إليهم مُرْجئى إذا همزت .

١٩) **المَذْهَب** : المُعْتَقَد الذى يُذْهَب إليه ، والمَذْهَب : المتوضأ ، لأنه يذهب إليه ، وهو مَفْعَل من الذَّهاب . وقد تخصصت هذه اللفظة بعد أن ارتبطت بمجموعة من الألفاظ الدالة على الآراء الدينية ، والفلسفية المنسوبة لرؤساء الفرق الدينية وعلماء الدين والمفكرين من الفلاسفة وأصحاب المذاهب العلمية . وبهذا تخصصت لفظة المذهب بالإضافة والوصف ، وأصبحت لفظة المذهب والجمع مذاهب أكثر تخصصا فى عصر أبى حيان عندما حدد أصحاب المذاهب والآراء الفكرية .

٢٠) **المنهج** ، **المنهاج** ، **النهج** : مَنْهَج الطريق : وضَحه ، والمِنْهاج : الطريق الواضح ، ونهجت الطريق : أبنته وأوضحته ومن هذا المعنى اتخذت لفظة المنهج كمصطلح دينى ومعها اشتقاقات أخرى للمادة «نهج» — وخصصت دلالة الألفاظ منهج ، منهاج ، نهج عندما حددت بإضافتها إلى أشخاص يحملون آراء دينية ، أو نظريات علمية ، فالتخصص الدلالى جاء من هذا الارتباط وأصبحت هذه الألفاظ أكثر تخصصا فى عصر أبى حيان لكثرة الآراء الفكرية والفرق الدينية .

٢١) **الجنس** : الضَّرب من كل شىء ، وهو من الناس ومن الطير ومن حدود النحو والعروض والأشياء جملة والجمع أجناس . وتخصصت دلالة هذه اللفظة عند استخدامها كمصطلح فلسفى .

والنوع : أخص من الجنس وهو أيضا الضرب من الشىء . كالثمار والثياب وغير ذلك حتى الكلام ، وقد تنوع الشىء أنواعا وتخصصت دلالة لفظة النوع باستخدامها بالمفهوم الفلسفى .

والصِّنف : النوع والضرب من الشىء ، وقد تخصصت دلالة لفظة الصنف عندما استخدمت كمصطلح فلسفى .

٢٢) **العُنْصر** : الأصل ، جاء بضم العين ونصب الصاد ولا يجىء على بناء فُعْلَل إلا ما كان ثانيه نونا أو همزة وقد تخصصت دلالة اللفظة عندما استخدمت بالمفهوم الفلسفى .

الأصل : أسفل كل شيء ، وهو ما يتبنى عليه غيره وقد تخصصت دلالة لفظة الأصل عندما اتخذت كمصطلح فلسفى .

٢٣) **المادة** : الزيادة المتصلة ، وكل شيء يكون مددا لغيره فهو مادته وكل ما أعنت به قوما فى حرب أو غيره فهو مادة لهم . وقد خصصت دلالة هذه اللفظة عندما استخدمت بالمفهوم الفلسفى .

٢٤) **الجُزء** : البعض ، والجمع أجزاء ، والجزء فى كلام العرب النصيب والقطعة من الشيء وقد خصصت دلالة هذه الكلمة عندما اتخذت كمصطلح فلسفى ، وكذلك لفظة الكل وهو اسم يجمع الأجزاء ، والكل لفظة واحد ومعناه جمع ، وفيه معنى الإضافة وقد تخصصت هذه اللفظة عندما اتخذت مصطلحا فلسفيا .

٢٥) **المِزاج** : المَزج : خلط المِزاج بالشيء . ومَزْج الشراب : خلطه ، ومِزاج الجسم ما أسس عليه البدن ومن هذا المعنى اتخذت لفظة المزاج كمصطلح خاص بالعلوم الفلسفية .

٢٦) **فن ، فنون** : الفَنُّ : الحال ، والضرب من الشيء ، والرجل يفتن الكلام أى يشتق فى فن بعد فن ، وافتن أخذ فى فنون من القول ، وتخصصت دلالة لفظة الفن بعد أن أضيفت إلى مصطلحات علوم العربية مثل الكلام والقول واللغة والبلاغة والأدب وقد ظهر هذا التخصص الدلالى فى أوضح صورة عندما استخدمت لفظة الفن كمصطلح بلاغى .

٢٧) **النَّفْس** : **الروح** ، والنَّفْس يعبر بها عن الإنسان جميعه ، وسميت نَفْسًا لتولد النَّفَس منها واتصاله بها ، ومن هذا المعنى اتخذت النفس كمصطلح فلسفى خاص بالعلوم النفسية ، وقد خصصت دلالة هذه اللفظة عندما أضيفت أو وصفت وهذا التخصص الدلالى من أبرز الخصائص المعجمية عند أبى حيان فى تناوله للفظة النفس .

٢٨) **الاعتدال** : العَدْل تقويمك الشيء بالشيء من غير جنسه حتى تجعله له مثلا ، والاعتدال : تَوَسط حال بين حالين فى كم وكيف ، ومن معنى التقويم والموازنة اتخذت لفظة الاعتدال كمصطلح فلسفى نفسى .

٢٩) «**الأريحية**» : الرَّوْح : السرور والفرح ، يقال فلان يراح للمعروف إذا أخذته أريحية وخفة ، وراح لذلك الأمر ، يراح روحا ورُووُحًا ، وراحة وأريحية : أشرق له وفرح به ، وتخصصت دلالة هذه اللفظة العامة بعد أن استخدمت فى مجال الفلسفة والعلوم النفسية .

٣٠) «**البديهة**» : البده والبديهة والبُداهة : أول كل شيء ، والبَدْهُ أن تستقبل الإنسان بأمر مفاجأة والاسم البديهة ، وفلان صاحب بديهة : يصيب الرأى فى أول ما يُفاجأ به ، ومن هذا المعنى اتخذت لفظة البديهة كمصطلح نفسى وقد اكتسب تخصيصا دلاليا بهذا المفهوم الخاص بعلوم النفس .

(د) تخصصت دلالة عدد من الألفاظ عندما أطلقت على الفرق الدينية وهى أعلام تحولت عن صفات تحولت إلى أسماء فرق :

١) **الشيعة** : أتباع الرجل وأنصاره ، واستعملت مادة شيع فى القرآن باختلاف صيغها للدلالة على : شاع الخبر وشاع القوم : انتشر ، والفرقة من الناس يتابع بعضها بعضا ، واختص هذا الاسم وغلب على من أحب عليا ونصره وفضله على سائر الصحابة ، ومرت لفظة شيعة بعدة مراحل دلالية :

١) الشيعة بمعنى المحبة والانتصار لعلي .

٢) الشيعة بمعنى الحزب السياسي .

٣) الشيعة بالمعنى الفقهى كمذهب من المذاهب الإسلامية .

٢) **الرافضة** : الرفض تركك الشيء ، وغلب اسم الرافضة على فئة من الشيعة واختص بهم ، وقيل فى مسبب تسميتهم بذلك أنهم رفضوا زيد بن علي فسماهم أصحاب زيد الرافضة .

٣) **الغالية** : الغُلُوُّ الارتفاع ومجاوزة الحد والمقدار ، وغلت الدابة فى سيرها غُلوّا واغتلت : ارتفعت فجاوزت حسن السير ، واختص اسم الغالية بفئة من الشيعة تجاوزت الحد فى أئمتها وأضفت عليهم مما ليس فيهم من الصفات الإلهية والمعجزات الخارقة .

٤) **القَدَريّة** : القَدَر الاسم والقَدْر : المصدر ، ومادة «القدر» تدل على عدة معان منها القضاء المُوفَّق ، والحكم أى الحكم والقضاء فى تقدير الأشياء وهو ما يقدره الله عز وجل من القضاء ويحكم به من الأمور ، والقَدَريّة : قوم ينسبون إلى تكذيب بما قدر الله من الأشياء ، وقال بعض متكلميهم : لا يلزمنا هذا اللقب ، وهذا تمويه منهم لأنهم يثبتون القدر لأنفسهم ولذلك سموا بالقدرية .

٥) **الجبرية** : الجَبْر تثبيت وقوع القضاء والقدر ، والجَبْريّة الذين يقولون أجبر الله العباد على الذنوب أى أكرههم ومعاذ الله أن يكره أحدًا على معصية ، وقيل للجَبْرية جَبْرية لأنهم نسبوا إلى القول بالجَبْر .

٦) **الدَّهْريّة** : الدَّهر الأمد الممدود ، والزمان الطويل ومدة الحياة الدنيا ورجل دهرى : مُلْحِد لا يؤمن بالآخرة ، يقول ببقاء الدَّهْر ، والدهرية الفرقة الدينية التى تنسب إلى الدَّهْر وهى جمع دهرى .

وهذه الألفاظ الخاصة بالفرق الدينية تخصصت دلالتها عندما أطلقت على الفرق الدينية فى ذلك العصر وهى أعلام منقولة عن صفات تحولت إلى أسماء فرق .

(هـ) حدث تخصيص دلالى فى كلمات تدخل فى مجال علوم اللغة :

١) **القول** : الكلام على الترتيب ، قال يقول قولا وخصص القول باستخدامه كمصطلح لغوى .

٢) **الاشتقاق** : اشتقاق الشيء : بنيانه من المرتجل ، واصطلح بالاشتقاق فى علم اللغة باشتقاق الكلام أى الأخذ فيه يمينًا وشمالًا واشتقاق الحرف من الحرف

أى أخذه منه واتخذ الاشتقاق علما خاصا بعلوم اللغة وهو من العلوم المستحدثة فى القرن الرابع الهجرى وقد كثر استخدامه فى عصر أبى حيان للضرورة العلمية من أجل حفظ اللغة العربية .

٣) **لَحْن** : من الأصوات المصُوغة الموضوعة ، واللَّحن : الميل عن جهة الاستقامة يقال : لحن فلان فى كلامه إذا مال عن صحيح المنطق ، واستعملت لفظة اللحن فى مجالات متعددة ومرت بأطوار مختلفة وهذا لا يمنع من تخصيص دلالة هذه اللغة بعد أن استخدمت كمصطلح لغوى خاص بعيوب الكلام .

وهناك ألفاظ تختص بعيوب اللسان مثل **التَّمْتَمة** وهى رد الكلام إلى التاء والميم ، **والرُّتّه** ، وهى عجلة وقلة أناة ، وقيل هو أن يقلب اللام ياء ، والفأفأة : الترديد فى الفاء ، والفأفاء : الذي يعثر عليه خروج الكلام ، **والحُبْسة** : تعذر الكلام عند إرادته ، **والعُقْلَة** : التواء اللسان عند إرادة الكلام ، **واللُّكْنَة** : وهى عُجْمة فى اللسان وعى ، واللفف : أى الثقل العى فى الكلام مع الضعف ، ورجل ألف أى عى بطيء الكلام إذا تكلم ملأ لسانه فمه واللُّثْغة : وهى أن تعدل الحرف إلى حرف غيره ، **واللُّثْغة** ثقل اللسان بالكلام ، والنَّغْنَغَة بالفتح : وهى غدة تكون فى الحلق وهذه الألفاظ تخصصت دلالتها بعد أن استخدمت كمصطلحات فى علم اللغة تختص بعيوب اللسان وقد بين أبو حيان التخصص الدلالى لهذه المصطلحات فى أماكن عديدة من كتاباته ، وشرحها شرحا مفصلا لم تتطرق له المعاجم اللغوية .

٤) **النَّسْخ** : نقل الشيء من مكان إلى مكان وهو هو ، والشيء ينسخ الشيء نسخا أى يزيله ويكون مكانه . ومن معنى النقل أخذت كلمة النسخ مفهوما ثقافيا للدلالة على انتقال الكلمات كتابة من نص إلى نص آخر .

٥) **النّحو** : القصد والطريق وأصل استعماله المصدر ، ومن معنى القصد أطلق على علم اللغة العربية «نحو» لأنه انتحاء سمت كلام العرب .

٦) **الصرف والتصريف** : رد الشيء عن وجهه ، وصرَّف الشيء : أعمله فى غير وجه كأنه يصرفه عن وجه ، وتصاريف الأمور : تخاليفها . واصطلح بالتصريف والصرف فى علم اللغة بصرف الكلمة بمعنى إجرائها بالتنوين ، والتصريف بحث فى أصول أبنية الكلمة وأحوالها .

٧) **الإعراب** : معنى الإعراب الإبانة والإفصاح عن الشيء ، وأعرب الكلام وأعرب به بينه . ومن هذا المعنى أطلق الإعراب على النحو لأنه إبانة وإفصاح عن المعانى بالألفاظ .

٨) **الخفض ، الرفع ، النصب** : الخفض ضد الرفع ، والرفع ضد الوضع ، رفعته فارتفع فهو نقيض الخفض فى كل شيء ، والنَّصب : مصدر نَصَبْت الشيء إذا أقمته . وتخصصت هذه الكلمات الثلاث فى اصطلاح النحويين بحيث دلت على ما وقع فى أعجاز الكلم منونا ، وهى الحركات الثلاث للكلمة المعربة .

٩) **الفتح** : نقيض الإغلاق ، واختص الفتح فى النحو بما وقع فى أعجاز الكلم غير منون ، والفتح فى البناء كالنصب فى الإعراب .

الحركات ، الحركة : ضد السكون ، حرك يحرك حركة والجمع حركات وهى التى تلزم أواخر الكلمات ، وخصصت لفظة الجمع حركات عندما ارتبطت بالمفهوم الخاص بحركات الإعراب .

١٠) **الإعجام** : تدل مادة (عَجْم) على الإبهام لذلك يقال استعجم عليه الكلام استبهم ، والأعجم الأخرس ، وخصص «الإعجام» بدلالة لغوية هى نقط الحروف ، لأن فى ذلك رفعا للإبهام عنها .

١١) **النَّقْط** : نقط الحرف يَنْقُطُه نَقْطًا : أعْجَمه ، والاسم النُّقْطة ونَقَّط ويقال ما اختلفا فى نقطه يعنى نَقَّط الحروف والكلمات وتخصصت دلالة هذه اللفظة فى العصور الإسلامية وهى من المصطلحات المستحدثة فى الحياة الثقافية فى العصر العباسى وكثر استخدام هذا المصطلح فى القرن الرابع الهجرى وأصبح علما

له أصول وقواعد يتبعها المعنيون بالثقافة وأصبحت لفظة النقط أكثر تخصصا بعد أن تغير شكل المدلول ، أى من استخدام النقط إلى استخدام الحروف .

١٢) ناسخ : نسخ الشيء ينسخه نسخا : اكتتبه عن معارضة . والكاتب ناسخ ومنتسخ ولفظة الناسخ تذبذبت دلالتها بين الارتقاء فى العصر الإسلامى الأول فالنبى ﷺ ناسخ الشرائع ، ثك تدهورت دلالة هذه اللفظة إلى الانحطاط بعد أن أصبح الناسخ هو الذى يكتب كتابا عن كتاب حرفا بحرف ، وتخصصت الدلالة بعد أن استخدمت كمصطلح ثقافى ، وبهذا تكون لفظة الناسخ قد مرت بأطوار مختلفة فى عصور متباعدة .

١٣) القافية : تعنى القافية مؤخر الشيء ، وتدل مادة « قفا » على الترتيب واختص هذا المعنى حينما أطلقت القافية على الشعر لأنه كلام منظوم على ترتيب معين ، أما القافية التى هى الحرف الأخير من البيت أو الكلمة الأخيرة فمشتقة من معنى مؤخر الشيء ، ولما كانت القافية هى آخر الأجزاء فى البيت سميت بهذا الاسم وخصصت بهذا المعنى فى اصطلاح العروضيين .

(و) تخصصت الدلالة لمجموعة من الألفاظ الثقافية العامة التى تختص بأنشطة دور العلم والثقافة والتخصيص الدلالى حدث بإضافة هذه الألفاظ أو وصفها وهذا يتضح فى كلمات كثيرة منها :

١) المُجالسة : الجلوس : القعود ، وقد جالسه مُجالسة وجلاسا . ثم تخصصت الدلالة بعد أن أطلقت لفظة المجالسة على الجلوس من أجل تلقى العلم ، أو المشاركة والمطارحة العلمية .

٢) المُدارسة : من درس الكتاب وحفظه وتذليله بكثرة القراءة والمدارسة والدراسة القراءة ، ومن هذا المعنى اتخذت المدارسة كمصطلح ثقافى .

٣) المُذاكرة : والذِّكر الحفظ للشيء ، والذكر الكتاب الذى فيه تفصيل الدين ، والذكر ما ذكرته بلسانك وأظهرته . وتخصصت لفظة المذاكرة بأنشطة المجالس الثقافية واتخذت كمصطلح يدل على المشاركة العلمية .

٤) **المُناظرة** : النَّظَر : حِسُّ العين ، وتأمل الشيء بالعين ، ومن معنى النَّظر أى النظر بالبصيرة أو من النظير الذى هو الشبيه والمماثل أخذت المناظرة لتدل فى الجدل على النظر بالبصيرة من الجانبين فى النسبة بين الشيئين إظهارًا للصواب .

٥) **المُقابسة** : قبست العلم وأقبسته فلانًا ، وأتانا فلان يقتبس العلم فأقتبسناه أى علمناه ، ومن هذا المنطلق اتخذت لفظة المُقابسة لتدل على المشاركة فى أخذ العلم وإعطائه لطالبيه .

ونستنتج مما تقدم من الألفاظ الثقافية أنها جاءت على صيغة مُفَاعَلَة لتدل على المشاركة ، وأن هذه الألفاظ هى مصطلحات مستحدثة فى القرن الرابع الهجرى وإن عرفت بمعناها العام من قبل ولكن دلالة هذه الألفاظ تخصصت بعد أن كانت عامة ، وهذه من أبرز ظواهر عصر أبى حيان التوحيدى خاصة وأن لفظة مقابسة هى مصطلح مستحدث عند التوحيدى .

خامسا : تغير المجال الدلالى :

يتناول هذا الجزء الألفاظ التى تغيرت مجالاتها الدلالية فانتقلت من مجال دلالى إلى مجال دلالى آخر . ويتم هذا الانتقال بين مستويات دلالية منها :

(أ) الانتقال من المادى إلى المعنوى : وهو أن تنتقل دلالة الكلمة من مجال الدلالة المادية إلى مجال الدلالة المعنوية لوجود قرينة تربط بين الدلالتين .

١) **الفُتْيا** : فى الاصطلاح هى تبين المشكل من الأحكام ، وهو الاستعمال المعنوى للكلمة وأصلها من الفتى ، وهو الشاب الحدث الذى شب وقوى فكأنه يقوى ما أشكل ببيانه فيشب ويصير فتيا قويا .

٢) **النُسْك** : من نَسَكَ يَنْسُك نَسْكًا : إذا ذبح ، ونسك الثوب : غسله بالماء وطهره فهو منسوك . ومن الذبح أو التطهير بالماء أخذ النسك بمعنى العبادة والانقطاع لله . لأن القرابين لها دلالات دينية قديمة حيث كانت تقدم للآلهة

وكذلك التطهير بالماء . ودل المنسك فى استعماله المادى على الموضع المعتاد للذبح والتطهير ومنه أخذ النسك دلالته المعنوية .

٣) **استقراء** : القَرْءَ الجمع ، وقريت الماء فى الحوض : جمعت . وقرأت القرآن : لفظت به مجموعا أى ألقيته . ومن الأصل المادى للمادة «قرء» انتقلت دلالة لفظة الاستقراء من المجال المادى إلى المجال المعنوى وهو جمع الكلمات واللفظ بها ، ثم انتقلت الدلالة إلى تتبع الجزئيات للأشياء ، وتربط بين الدلالة المادية والمعنوية قرينة وهى التتبع .

٤) **الأدب** : تدل مادة (أَدْب) فى استعمالها الحسى القديم على ترويض البعير وتذليله ويقال للبعير إذا ريض وذلل : أديب مُؤَدَّب ، وتدل هذه المادة أيضا على الدعاء بمعنى الدعوة ومنه قيل للصنيع يدعى إليه الناس مدعاة ومأدبة . وانتقلت كلمة الأدب من مجالها المادى إلى المجال المعنوى فدلت على معنى الأدب الذى هو الشعر والنثر وهو المعنى الخاص للكلمة لأن صناعة الشعر والنثر ترويض وتذليل للألفاظ والمعانى لكى تنقاد حسب ذوق الشاعر ، أو الناثر ، وإحساسه للتعبير عن أفكاره ، فهى بذلك أشبه بترويض البعير على السير . وقد مرت كلمة الأدب بعدة مراحل دلالية لكى تصل إلى معناها الخاص ومن هذه المراحل الدلالية : الأدب بالمعنى الأخلاقى وهو حسن الخلق والسيرة ، والأدب بالمعنى الثقافى وهو الوقوف على ضروب متعددة من الفنون والعلوم ، والأدب بالمعنى الخاص وهو المعنى الاصطلاحى للكلمة والذى تحدد فى فنى الشعر والنثر والتأليف فيهما .

٥) **الوزن** : الوزن ثَقْل شىء بشىء مثله كأوزان الدراهم . ومنه أخذ الوزن فى اصطلاح العروضيين لأن الشعر يوزن به فتعرف بواسطته التفعيلة والزحاف والعلل وسلامة البيت أو نقصه وكأنه فى ذلك يشبه عمل الميزان فى وزن الأشياء المادية .

٦) **العَروض** : عَرُوض الشعر وهى فواصل أنصاف الشعر ، وسمى عَرُوضًا

لأن الشعر يعرض عليه ، فالنصف الأول عَروض لأن الثانى يُبنى على الأول . وإنما سمى وسط البيت عَرُوضا لأن العروض وسط البيت من البناء ، والبيت من الشعر مبنى فى اللفظ على بناء البيت المسكون للعرب ، فقوام البيت من الخرق العارضة التى فى وسطه ، فهى أقوى ما فى بيت الخرق ، وقوام البيت من الكلام عَرُوضه لأنه ميزان الشعر . فانتقلت دلالة لفظة العروض من المجال المادى القديم وهى العارضة التى هى قوام البيت من الخرق إلى المجال المعنوى خاص بأوزان الشعر العارضة للألفاظ مع ارتباط الدلالتين بقرينة وهى العارضة .

٧) **القافية** : آخر كلمة فى البيت من الشعر ، وإنماقيل لها قافية لأنها تقفو الكلام ، وقيل القافية من آخر حرف فى البيت إلى أول ساكن يليه مع الحركة التى قبل الساكن ، وقيل العرب تسمى البيت من الشعر قافية وربما سموا القصيدة قافية ، والقافية هى آخر الأجزاء من البيت المبنى فانتقلت دلالة لفظة القافية من المعنى المادى القديم إلى المجال المعنوى وهو اللفظ الأخير من البيت ، أو الحرف الأخير منه مع وجود قرينة مكانية تربط بين الدلالتين .

٨) **الدَّرْس** : **المُدارسة** : من درس الطعام يدرسه : داسه ، ودرس الناقة يدرسها درسا : راضها ومن هذا المعنى قيل درس الكتاب يَدْرُسه دَرْسًا ودراسة وداسه كأنه عانده حتى انقاد لحفظه ، ودرست الكتاب أدرسه درسا ذللته بكثرة القراءة حتى خف حفظه على من ذلك . ومن معنى دراسة الكتاب دل الدرس على الدرس الذى يعطى فى الكتاب .

٩) **المُقدِّمة** : الناصية والجبهة ، ومُقدِّمة الجيش ، أوله الذين يتقدمون الجيش من قدم بمعنى تقدم ، وقد استعير لكل شيء فقيل : مُقَدِّمة الكتاب ومُقَدِّمة الكلام ، فانتقلت الدلالة المادية للكلمة إلى الدلالة المعنوية مع وجود قرينة تربط بين الدلالتين وهى «أول الشيء» ثم تخصصت دلالة لفظة المقدمة عندما استخدمت كمصطلح فى علم المنطق .

١٠) **النتيجة** : أنتج القوم : نتجت إبلهم وشاؤهم ، ويقال للشاتين إذا كانتا سنا واحدة : هما نتيجة وكذلك غنم فلان نتائج أى فى سن واحدة ، ومن هذا المعنى المادى الخاص بالسن انتقلت دلالة كلمة النتيجة إلى مجال معنوى وهو القول اللازم من القياس أى ما يحصل من القول بعد الانتهاء من أمر أو عمل .

١١) **اعتدال** : اعتدل الميزان ، ومن معنى الاعتدال وهو غالبا ما يستعمل فى معنى الأشياء المادية أطلق الاعتدال على الأشياء المعنوية واستخدم كمصطلح خاص بالأمور النفسية .

١٢) **مُنْشِيء**: النَّشْيء بسكون الشين : صِغار الإبل ، وأنشأت الناقة . وهى مُنْشيء : لقحت ، وأنشأ يحكى حديثا : جعل . وفلان منشيء الأحاديث أى يضعها . ومن هذا المعنى دلت لفظة المُنْشيء على من يضع الكتب والمؤلفات وبهذا انتقلت الدلالة من مجال مادى إلى مجال معنوى ثم تخصصت فى القرن الرابع الهجرى بعد أن اتخذت كمصطلح ثقافى .

١٣) **مُدَرِّس** : درست الكتاب أدرسه درسا أى ذللته بكثرة القراءة حتى خف حفظه على ، ودرس الطعام يدرسه : داسه ، ودرس الناقة يدرسها : راضها ومن هذا المعنى قيل دَرَّس الكتاب فهو مُدَرِّس ، أى الذى يعطى الدرس . وهذه اللفظة لم ترد فى اللسان فهى اشتقاق جديد فى مبناه ومعناه عند أبى حيان .

١٤) **باحث** : البَحْث : طلبك الشيء فى التراب ، وبحث عن الخبر يبحث بحثا : سأل وفى المثل : كالباحث عن الشَّفْرة . تغيرت دلالة الكلمة من المعنى القديم وهو البحث فى التراب إلى البحث فى جوهر الأشياء وفى معانى الكلمات والألفاظ فانتقلت الدلالة من المجال المادى إلى المجال المعنوى لوجود قرينة بين الدلالتين وهو الطلب .

١٥) **الطَّابع**: الطَّابع والطَّابَع بالفتح والكسر: الخاتم الذى يختم به. ومن هذا المعنى أخذت لفظة الطَّابع دلالتها فانتقلت من مجال مادى وهو الختم إلى مجال معنوى

وهو من يقوم بمهنة الختم فاختلاف الدلالة واضح بين ما جاء فى المعاجم تفسيرا للفظة الطَّابع وبين ما أورده أبو حيان من معنى لهذه اللفظة التى استخدمها كمصطلح ثقافى يدل على المشتغل بأمور الثقافة فى ذلك العصر .

١٦) **النقل** : تحويل الشيء من موضع إلى موضع ، نَقَلَه يَنْقُلُه نَقْلًا . والنَّقْل مادة عربية الأصل وتفيد النقل المادى أى نقل شيء من مكان إلى آخر ، وتطور معنى لفظة النقل إلى المفهوم الثقافى أى نقل الفكرة من لغة لأخرى وهنا نجد أن دلالة هذه اللفظة قد انتقلت من مجال مادى (نقل الأشياء) إلى مجال معنوى نقل الأفكار مع وجود قرينة ربطت بين الدلالتين وهى التحويل .

١٧) **التنقيح** : التشذيب ، تنقيح الجذع : تشذيبه ، وتنقيح الشعر تهذيبه ، ونَقَّح الكلام أصلحه وأزال عيوبه وهذبه ، ومن هذا المعنى يتبين أن الدلالة انتقلت من مجال مادى وهو (تشذيب الغصن) إلى مجال معنوى وهو (تهذيب الكلام) مع وجود قرينة تربط بين الدلالتين وهى التشذيب .

١٨) **اللسان** : آلة القول ، وإحدى الحواس واللسان اللغة ، والمتكلم عن القوم وقد استعمل اللسان فى القرآن الكريم مفردًا وجمعا بهذه المعانى . وترجع لفظة اللسان فى الأصل إلى المعجم الأساسى المشترك للغات السامية فكلمة اللسان فى العبرية لاشون وفى الآرامية لشانا وهذه الكلمات الثلاث تعتبر كلمة واحدة من الناحية الاشتقاقية . ومن الملاحظ أن هذه الفتحة الطويلة التى هى أداة التعريف فى الآرامية قدطورتها العربية إلى أداة(ال)تدخل فى أول الكلمة لتفيد التعريف . وكلمة اللسان انتقلت دلالتها من المجال المادى (كجزء من الفم) إلى المجال المعنوى (القوة النطقية القائمة بالجارحة) واستخدمت لفظة اللسان فى القرن الرابع الهجرى صفة وموصوف اللسان العربى واللسان اليونانى ، هذا ما وجدناه عند ابن النديم وأيضا وجدناه حذف الموصوف والاكتفاء بالصفة أى العربى واليونانى . وقد استخدم أبو حيان لفظة اللسان بكل هذه المستويات والتراكيب السياقية .

١٩) **المعنى** : عنت الأرض أى أنبتت وأظهرت نباتًا ، وعَنَيْت بالقول كذا : أردت ، ومعنى كل كلام : مقصده . وعَنَيْت الشيء أعنيه إذا كان قاصدا له ومن معنى القصد انتقلت دلالة لفظة **المعنى** من المجال المادى القديم الخاص بإظهار نبات الأرض ، إلى مجال معنوى خاص بإظهار ما تضمنه اللفظ من قصد . ثم تخصصت دلالة هذه اللفظة عندما استخدمت كمصطلح بلاغى خاص بمضمون الكلام .

٢٠) **اللَّفْظ** : أن ترمى بشيء كان فى فيك ، يقال لفظت الشيء من فمى ألفظه لفظا رميته . ولفظت بالكلام وتلفظت به أى تكلمت به ، واللَّفْظ : واحد الألفاظ وهو فى الأصل مصدر ، ومن المعانى القديمة لمادة «لفظ» : «اللافظة» الشاة إذا اشلوها تركت جرتها وأقبلت إلى الحلب لكرمها ، ويقال الدنيا لافظة بمن فيها إلى الآخرة أى ترمي بهم ، ومن اللفظ الذى بمعنى رميك بشيء مادى إلى رميك بالكلام وهذا هو المجال المعنوى لكلمة اللفظ مع وجود قرينة بين الدلالتين وهى الرمى واستعمل اللفظ كمصطلح بلاغى يمثل الشكل .

٢١) **أديب ، أدباء** : الأَدَب : الذى يتأدب به الأديب من الناس ، سمى أدبًا لأنه يأدب الناس إلى المحامد ، وينهاهم عن المقابح ، وأصل الأَدب الدعاء وتدل مادة الأدب – كما وردت فى اللسان – فى استعمالها الحسى القديم على ترويض البعير وتذليله ومن هنا أخذت لفظة الأديب دلالتها على ترويض الألفاظ فانتقلت من مجال مادى إلى مجال معنوى ثم تخصصت فى استعمالها كمصطلح ثقافى .

٢٢) **كتابة ، مكاتبة** : كتب الشيء يكتبه كَتْبًا وكِتابا وكتابة : خطّه والكتابة لمن تكون له صناعة ، والمُكاتَبة أن يكاتب الرجل عبده على مال ينجمه عليه . والأَصل القديم للفظة الكتابة من المادة «كَتَب» وتعنى الضم والخرز للأديم ثم انتقلت لفظة الكتابة إلى الدلالة المعنوية وهى ضم الحروف لتكوين الكلمات المعبرة عن المعانى وبهذا انتقلت دلالة لفظة الكتابة من مجال مادى إلى مجال معنوى مع وجود قرينة بين الدلالتين وهى الضم .

٢٣) **تأليف** : ألفت الشيء تأليفا إذا وصلت بعضه ببعض ومنه تأليف الكتب فانتقلت الدلالة من مجال مادى وهو جمع الأشياء المتناسبة إلى مجال معنوى وهو جمع الحروف لتصير كلمات مع وجود قرينة بين الدلالتين وهى الجمع . ثم خصصت الدلالة باستخدامها فى مجال المهن الثقافية الخاصة بالمؤلفات والكتب .

٢٤) **تصنيف** : صَنَّف الشيء : ميز بعضه من بعض ، وتَصْنيف الأشياء جعلها صنوفا وميز بعضها عن بعض ، ومنه تصنيف الكتب ومن هذا المعنى انتقلت دلالة لفظة التصنيف من مجالها المادى الحسى إلى المجال المعنوى لتتخذ كمصطلح ثقافى يعد من أبرز سمات القرن الرابع الهجرى مع تعدد الاستعمال لهذه اللفظة فى المجالات المختلفة للحياة الثقافية فى عصر أبى حيان .

٢٥) شرح : **الشَّرح والتشريح** : قَطْع اللحم من العضو قَطْعًا ، والشَّرح : الكشف وشرح الشيء يَشْرَحُه شَرْحًا : فتحه وبينه وكشفه ومنه شرح الكتب والمؤلفات العلمية وبهذا انتقلت دلالة لفظة الشرح من المجال المادى القديم وهو تقطيع اللحم والكشف عن دخيلته إلى المجال المعنوى وهو شرح النص وبسطه وكشف الغامض من معانيه مع وجود قرينة تربط بين الدلالتين وهى الكشف .

٢٦) **الإملاء** : الإمهال والتأخير وإطالة العمر ، وأملى للبعير فى القيد : أرخى ووسع فيه ، وأخذ الإملاء من الملا ، وهو ما اتسع من الأرض ومنه هذا المعنى اتخذ الإملاء على الكاتب ، فانتقلت الدلالة من المعنى الحسى القديم إلى المجال المعنوى الخاص بإملاء الكتب ، وهذه الظاهرة أيضا من أبرز الظواهر الثقافية فى القرن الرابع الهجرى وقد عايش أبو حيان هذه المهنة الثقافية معايشة طويلة مع أساتذته من أعلام ذلك العصر الزاهر ثقافيا .

٢٧) **البناء ، الأبنية** : البناء من الخباء والجمع أبنية وهى البيوت التى تسكنها العرب فى الصحراء ويكون البناء لازما موضعا لا يزول من مكان إلى غيره ، والبناء : لزوم آخر الكلمة ضربا واحدًا من السكون أو الحركة وكأنهم إنما سموه

بناء لانه لما لزم ضربا واحدًا فلم يتغير تغير الإعراب ، ومن هذا المعنى انتقلت دلالة لفظة البناء من المعنى المادى القديم إلى المعنى الخاص ببناء الكلمة فكان انتقال الدلالة من مجال مادى إلى مجال معنوى مع وجود قرينة مكانية بين الدلالتين .

٢٨) العُجْمَة : ما تعقد من الرمل ، أى المتراكم من الرمل المُشرف على ما حَوْله ، والعَجْمُ : عَضّ شديد بالأضراس دون الثنايا . ورجل أعجم إذا كان فى لسانه عُجْمَة أى الذى فى لسانه حُبْسَة وإن كان عربيا ، والعُجْمَة بهذا المعنى هى تعقيد معنوى أى استعمال الكلمات استعمالا لا يتفق مع معايير الفصاحة والبلاغة فى لغة ما . وهنا نلاحظ انتقال دلالة هذه اللفظة من المجال المادى القديم وهو تعقد الرمل إلى المجال المعنوى وهو تعقيد الكلام لعيب فى اللسان مع وجود قرينة تربط بين الدلالتين وهى التعقيد والغلظة .

٢٩) النَّمَط : هو الطريقة ، والضرب من الضروب والنوع من الأنواع يقال الزم هذا النمط أى الزم هذا المذهب والفن والطريق ، والنمط : ضرب من البسط والثياب المصبغة ولا يقولون نمط إلا لما كان ذا لون من حمرة أو خضرة أو صفرة من الثياب وهذه هى الدلالة المادية لكلمة النمط ثم انتقلت إلى الدلالة المعنوية عندما أطلقت على المذهب ، والأسلوب الأدبى ، والضرب من القول . وأدى انتقال الدلالة من مجال مادى إلى مجال معنوى مع وجود رابطة بين الدلالتين وهى الضرب ، إلى تخصص هذه اللفظة بعد أن استخدمت كمصطلح بلاغى خاص بالإنتاج الأدبى .

٣٠) الشريعة : موضع على شاطىء البحر تشرع فيه الدواب ، والشريعة : ما سن الله من الدين وأمر به كالصوم والصلاة والزكاة وسائر أعمال البر مشتق من البحر ، وانتقلت دلالة الشريعة من المجال المادى القديم وهى مورد الإبل وطريقها إلى شاطىء البحر ، إلى المجال المعنوى أى الطريقة الموضوعة بوضع إلهى ليتهذب بها الناس .

٣١) العقيدة : العَقْد نقيض الحل ، والعقد العهد وعقد الحبل والبيع والعهد

يعقد : شدَّه واعتقد كذا بقلبه وليس له معقود أى عقد رأى وبهذا انتقلت لفظة العقيدة من المجال المادى ، ويرجع فى الأصل إلى عقد الحبل ، إلى المجال المعنوى وهو ما عقد عليه القلب والضمير ، وما يدين به الإنسان مع وجود قرينة تربط بين الدلالتين وهى العَقْد .

٣٢) **الاستنباط** : الاستخراج ، وأصله من النبط ، وهو الماء الذى يخرج من البئر أول ما تحفر . ومن هذا المعنى أخذ الفقيه يستخرج الفقه الباطن باجتهاده وفهمه فانتقلت دلالة لفظة الاستنباط من مجال مادى وهو استخراج الماء من منبعه إلى مجال معنوى وهو استخراج المعانى من النصوص ، مع وجود قرينة تربط بين الدلالتين وهو الاستخراج لما بطن .

٣٣) **الملة** : الشريعة والدين والطريقة والسُّنة والمِل : عدو الذئب على شيء ضربا من العدو ومن هذا المعنى المادى انتقلت لفظة الملة إلى المجال المعنوى ، فدلالة هذه اللفظة كانت فى الأصل من المِل وهو نوع من العدو والسير ثم انتقلت الدلالة إلى مجال معنوى يعنى الاستمرار على سلوك معين ، والرابطة بين الدلالتين وجود قرينة تفيد الاستمرار .

٣٤) **المقام** : المقامة : المجلس ، والموضع الذى تقوم فيه ، والمنزلة الحسنة وهو الوصف الذى يثبت على العبد ويقيم وهذه هى الدلالة المعنوية للفظة المقام ، والدَّرجة : المرقاة ، وواحدة الطبقات من المراتب ، والرفعة فى المنزلة وبهذا المعنى الدال على الارتقاء استخدمت هذه اللفظة كمصطلح صوفى .

والرُّتبة والمرتبة : المنزلة عند الملوك ونحوها ، والمَرْتبة مفعلة من رَتَب إذا انتصب قائمًا ، والمَرْتَبة المرقبة وهى أعلى الجبل ، والجمع مراتب ، والمراتب فى الجبل والصحارى : هى الأعلام التى ترتب فيها العيون والرقباء . والمَراتب : مضايق الأودية . والمراتب العبادات الشاقة ومن هذا المعنى الدال على العناء والشدة أخذت لفظة المرتبة والجمع المراتب المعنى الاصطلاحى الخاص عند السالكين لطريق التصوف واستخدمت بهذا المفهوم الدينى كمصطلح صوفى .

ونستنتج مما تقدم أن الألفاظ مقام ، ودرجة ، ورتبة ومرتبة كانت تستخدم فى استعمالها القديم بالمعنى المادى وهو الموضع ، والمكان الذى يوطأ من أجل الصعود ، ثم انتقلت إلى المجال المعنوى بمعنى الموضع العالى ، والمكانة الرفيعة مع وجود قرينة بين الدلالة المادية والدلالة المعنوية وهو العلو والرفعة .

٣٥) إشارة: أشارَ إليه باليد: أومأ وأشار عليه بالرأى، وأشار يشير إذا ماوجه الرأى. والشَّوْر عرض الشيء وإظهاره، ومن معنى الشَّوْر وهو الأصل القديم للكلمة انتقلت لفظة الإشارة من مجال مادى وهو الإيماء باليد والعين إلى المجال المعنوى وهو أن يشير المتكلم إلى معان كثيرة بكلام قليل يشبه الإشارة باليد. وبهذا ارتبطت الدلالتان بقرينة وهى عرض الشيء وإظهاره .

٣٦) عبارة : عَبَر الرؤيا يَعْبُرُها عَبْرًا وعِبارة وعَبَّرها : فسرها ، وقد أُخذ هذا كله من العَبِر وهو جانب النهر، ومادة «عبر» تفيد الانتقال والعبور، فانتقلت دلالة لفظة عبارة من المجال المادى وهو (عبر جانب النهر) إلى المجال المعنوى وهو (العبور من المعنى إلى اللفظ) بالنسبة للمتكلم وبالعكس للمخاطب مع وجود قرينة تربط بين المجالين وهو الانتقال .

(ب) **الانتقال من المادى إلى المادى** : وهو أن تنتقل دلالة الكلمة من مجال مادى إلى مجال مادى آخر ، ويحدث الانتقال لوجود صلة بين الدلالتين فى المكان أو الزمان أو اشتراك الدلالتين فى جزء من المعنى ، وهذا النوع من التغير الدلالى أقل ورودا عند أبى حيان من القسم الأول وهو الانتقال من المادى إلى المعنوى .

١) انتقال الدلالة من مجال مادى إلى مجال مادى لارتباط الدلالتين بعلاقة مكانية يتضح من الأمثلة التالية :

١) النادى : النَّادى المَجْلِس يَنْدو إليه من حواليه ، والنَّادى : مجتمع القوم وأهل المجلس ، فيقع على المجلس وأهله ، والجمع أندية . والنوادى النواحى ، ونوادى الإبل : شَوَاردها . حدث تغير فى دلالة الكلمة بانتقالها من مجال إلى آخر

يتضح فى انتقال الدلالة من المجال المادى (شوارد الإبل) إلى مجال مادى آخر (أهل المجلس ومكانه وهنا نلاحظ اشتراك الدلالتين فى العلاقة المكانية) .

٢) **المَجْلِس** : موضع الجلوس وهو من الظروف غير المتعدى إليها الفعل بغير فى . والمجلس : جماعة الجلوس . والجَلَس بالفتح الغليظ من الأرض وهذا هو أصل المادة ومنه سمى الجلوس وهو أن يضع مقعده فى جَلَس من الأرض فانتقلت الدلالة للفظة المجلس من مجال مادى وهو الغليظ من الأرض إلى مجال مادى آخر وهو مكان الجلوس مع وجود علاقة مكانية بين الدلالتين .

٣) **المَسْجِد** : «بكسر الجيم» : كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد وهو أحد الحروف التى شذت فجاءت على مَفْعِل وذلك أن المواضع والمصادر فى غير هذا الباب ترد كلها إلى فتح العين إلا حرفا من الأسماء ألزموها كسر العين من ذلك المسْجِد ، والمساجد جمعها وهى الآراب التى يسجد عليها وقيل هى مواضع السجود من الإنسان . وانتقلت دلالة المسجد من مجال مادى وهو موضع العبادة إلى مجال مادى آخر وهو البناء المشيد من أجل العبادة وتلقى فنون المعرفة مع وجود علاقة مكانية بين الدلالتين وهى الموضع ، وقد تخصصت دلالة هذه اللفظة بعد أن استخدمت فى مجال الألفاظ الثقافية الخاصة بدور العلم والمؤسسات الثقافية . وقد جاء هذا التخصص الدلالى بالإضافة والوصف للفظة المسجد .

٤) **الخزانة** : خزن الشيء يخزنه : أحرزه ، والخزانة اسم الموضع الذى يخزن فيه الشيء وهى من الألفاظ المعروفة واستعملت للدلالة على المكان الذى تحفظ فيه الكتب وبهذا انتقلت الدلالة من مجال مادى إلى مجال مادى آخر مع ربط الدلالتين بعلاقة مكانية .

٢) **انتقال الدلالة من المادى إلى المادى** : «لاشتراك الدلالتين بجزء من المعنى» :

ويتناول الألفاظ التى انتقلت بدلالتها من مجال مادى إلى مجال مادى آخر

لاشتراك الدلالتين فى جزء من المعنى ، وهذا النوع من التغير فى المجال الدلالى كثير الورود فى اللغة .

١) **الخطّ** : الطريقة المستطيلة فى الشيء ، ومنه الخط فى الكتابة لأنه طريقة مستطيلة فى الورق أو القرطاس .

الرَّسم ، الرسوم : الرَّسم الأثر ، ورسم الدار : ما كان من آثارها لاصقا بالأرض ومن معنى الأثر دل الرسم على الكتابة لأنه أثر لاصق بالقرطاس .

٢) **الشَكْل** : الشُّكْلة الحمرة تختلط بالبياض ، ومنه قيل للأمر المشتبه : مشكل ، ومنه قيل أيضا للإعجام (الشَّكْل) لأنهم كانوا ينقطون الحروف غالبا بالشكلة .

٣) **الحد ، الحدود** : الحَدّ الفصل بين الشيئين لئلا يختلط أحدهما بالآخر أو يتعدى على الآخر ، ومنتهى كل شيء حَدّه ، وحَدّ كل شيء منتهاه لأنه يرده ويمنعه عن التمادى ، ومنه أطلق الحد على العقوبة لأنه يمنع من المعاودة . فدلالة اللفظة انتقلت من مجال مادى إلى مجال مادى آخر لاشتراك الدلالتين بجزء من المعنى وهو المنع .

٤) **القِطّ** : النصيب ، والصك بالجائزة والكتاب ، وقيل هو كتاب المحاسبة وأصل القِط من قطط قطوطا وقد أراد بها الجوائز والأرزاق لأنها تخرج مكتوبة ، فانتقلت الدلالة من مجالها المادى القديم إلى المجال المادى الخاص بالكتاب مع اشتراك الدلالتين بجزء من المعنى وهو الكتابة .

٥) **السطر** : الصف من الشجر ، والسكة من النخل ، والسطر : الصف من الكتاب ، والخط والكتابة ومن هذا المعنى اتخذت لفظة السطر كمصطلح ثقافى بعد أن تغيرت دلالتها من مجال مادى قديم يتعلق بالنخل والشجر إلى مجال مادى يختص بالكتاب وغيره من المؤلفات الخاصة بوسائل الثقافة مع اشتراك الدلالتين القديمة والحديثة بجزء من المعنى وهو الصف .

٦) **التصحيح** : الصَحّ والصّحة : خلاف السقم ، وذهاب المرض ، ومنه أخذ تصحيح الكتاب إذا كان سقيما فأصلحت خطأه ، والصّح مادة عربية الأصل تفيد معنى الإزالة للعيوب . وقد انتقلت دلالة لفظة التصحيح من المجال المادى القديم وهو إزالة السقم من المريض إلى مجال مادى آخر وهو إزالة الأخطاء النحوية واللغوية وعيوب الخط عن الكتاب هذا وقد اشتركت الدلالتان بجزء من المعنى وهو الإزالة .

٧) **الفِقَر** : خرزات الظهر الواحدة فِقْرَة ، وأجود بيت فى القصيدة يسمى فقرة تشبيها بفقرة الظهر واستخدمت لفظة الفقرة بمعنى الجزء من الصفحة المكتوبة وبهذا انتقلت الدلالة من مجال مادى إلى مجال مادى آخر مع اشتراك الدلالتين بجزء من المعنى وهو الجودة .

٨) **التجليد** : الجِلْد : المَسْك من جميع الحيوان ، والتجليد للإبل بمنزلة السلخ للشاة ، وانتقلت الدلالة إلى مجال مادى آخر وهو تجليد الكتاب أى قطعة من الجلد تمسك بدفتى الكتاب من أجل الحفظ وحسن المظهر وهذا جزء من المعنى اشتركت فيه الدلالتان بعد انتقال الدلالة من مجال مادى إلى مجال مادى آخر .

٣) انتقال الدلالة من مجال مادى إلى مجال مادى آخر لاشتراك الدلالتين بجزء من المعنى :

١) **الضَّارب** : المتحرك ، يقال ضرب فى الأرض إذا سار فيها مسافرًا فهو ضارب ، ويقال للعامل ضارب لأنه هو الذى يضرب فى الأرض ، والضارب المكان المطمئن من الأرض به شجر ، والضارب السابح فى الماء ، والضارب : الليل الذى ذهبت ظلمته يمينًا وشمالًا وملأت الدنيا ومن كل هذه المعانى القديمة للفظة الضارب انتقلت دلالة هذه اللفظة من المجال المادى القديم إلى المجال المادى الخاص بالعازف على الآلة الموسيقية مع اشتراك الدلالتين بجزء من المعنى وهو «الضرب» .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢) **المُغَنِّى** : الغناء ، بالكسر : من السماع ، والغناء من الصوت : ما طرب به ، والمغنى قديما كانت تطلق على الفصيل الذى يصرف بنابه هكذا فسرها اللسان ، وانتقلت دلالة لفظة المغنى إلى مجال مادى آخر خاص بالشخص الذى يجيد الغناء ، مع اشتراك الدلالتين فى جزء من المعنى وهو إصدار الصوت سواء كان من الحيوان أم من الإنسان الذى يطرب الآخرين بصوته .

٣) **الحَلقة** : حلقة الإناء : ما بقى بعد أن تجعل فيه من الشراب أو الطعام إلى نصفه ، فما كان فوق النصف إلى أعلاه فهو حلقة ، وحلقة الحوض امتلاؤه ، والحلقة كل شىء استدار كحلقة الحديد والفضة وكذلك هو فى الناس ومن هذا المعنى اتخذت الحلقة استخدامها بالمفهوم العلمى بعد أن انتقلت دلالتها من مجال مادى قديم إلى مجال مادى آخر مع اشتراك الدلالتين بجزء من المعنى وهو الاستدارة .

٤) «**تحرير**» الحر : الخالص من كل شىء ، ومنه تحرير الرقبة وهى عتقها وتخليصها من العبودية وهذا هو المعنى المادى القديم للمادة «حرر» ومن هذا المعنى أخذ تحرير الكتابة وهو إقامة حروفها وإصلاح السقط أى تنقيتها من الأخطاء وبهذا انتقلت الدلالة من مجال مادى وهو عتق الرقبة إلى مجال مادى آخر وهو عتق الكتابة أى تبيضها وإصلاح الخطأ فى حروفها مع اشتراك الدلالتين بجزء من المعنى وهو العتق .

٥) **تسويد** : السواد نقيض البياض ، سود الإبل تسويدا إذا دق المسح البالى من شعر فداوى به أدبارها ، وسودت الشىء إذا غيرت بياضه سوادا ، ومن هذا المعنى المادى العام انتقلت لفظة التسويد إلى مجال مادى آخر خاص بالكتب والمؤلفات التى يعمل لها مسودات مبدئية تحتاج إلى تصحيح وتنقيح قبل أن يتداولها طلاب العلم والمهتمون بشئون الثقافة . وبهذا تكون دلالة لفظة التسويد قد تم انتقالها من مجال مادى إلى مجال مادى آخر مع اشتراك الدلالتين بجزء من المعنى وهو التغير إلى السواد .

٦) **الباب** : معروف والفعل منه التبويب ، وباب للسلطان يبوب : صار له بواب ملازم للباب ، وكانت البيوت ذوات أبواب ، وبابات الكتاب سطوره . والبابْ والبابة فى الحدود والحساب ونحوه : الغاية ، وانتقلت لفظة الباب من مجال مادى وهو باب البيت الذى ندخل منه للدار إلى مجال مادى آخر وهو باب الكتاب أى مدخل الكتاب والجزء الكبير منه ونلاحظ اشتراك الدلالتين بجزء من المعنى وهو المدخل . وتعتبر لفظة باب من المشترك اللغوى السامى فهى لفظة قديمة لها دلالات متعددة ومرَت بأطوار مختلفة فقد انتقلت دلالتها من مجال مادى إلى مجال مادى آخر ثم إلى معنوى ومنها تخصصت عندما استخدمت بالمفهوم الدينى وهو التوبة التى يدخل بها العبد إلى حضرة الرب .

سادسا : رقى الدلالة :

ترتقى دلالة بعض الألفاظ فتنتقل من الضعف إلى القوة . ومفهوم الضعف والقوة فى الدلالة ينبغى أن يفهم على أن الكلمات لها معان متفاوتة من حيث وقعها فى النفس فتتصف بعضها بوقع ضعيف بينما تتصف الأخرى بوقع شديد ، وهناك أيضا بعض الألفاظ لها دلالة عادية فى المستوى الحضارى ويحدث أن تحصل متغيرات اجتماعية حضارية معينة فتكسب هذه الألفاظ دلالة أقوى مما كانت عليه ولدينا بعض الأمثلة فى كلمات مثل :

١) **المُحَدِّث** : الحديث : الخبر ، والمُحَدِّث : المُخبر واكتسبت كلمة المحدث - وهو من رجال الدين - دلالة قوية حين أطلقت فى الاصطلاح على العالم بأمور الدين والشارح لها . والذي ينقل أحاديث الرسول ﷺ ، ومن هنا ارتقت دلالة هذه اللفظة مما رفع من شأن المحدث إلى درجة عالية من الاحترام والتقدير .

٢) **العقيدة** : من عقد الحبل والبيع والعهد ومادة «عقد» قديمة وعند

استخدامها فى مجال الألفاظ الدينية أضاف إليها هيبة وإجلالا وأكثر استخدامها بين رجال الد. ـ والمكر فأدى ذلك إلى ارتقاء دلالتها .

يدخل فى ـ ر .:دلالة أيضا تلك الألفاظ التى كانت قائمة فى الاستعمال الدينى قديما وقد اتخذت معنى القدسية الدينية قبل عهد القرآن الكريم ، وهذه الألفاظ اتخذت كمصطلحات عقائدية واسعة الانتشار بعد ظهور الإسلام وخاصة فى العصر العباسى ومن هذه الألفاظ مجموعة من المصطلحات الصوفية المتوارثة .

٣) **«التقدس» التقديس** : التطهير والتبريك ، والقُدْس : البركة ، وأرض مقدسة : أى مباركة وبيت المقدس من ذلك ، ويقال للراهب مُقَدِّس وهو الحَبْر . وروح القدس : جبريل عليه السلام . معناه روح الطهارة أى خلق من الطهارة ومن هذه المعانى أخذت لفظة القدس والتقديس معناها الاصطلاحى وهو تنزيه الحق عن كل النقائض الكونية ، وتبعيد الرب عما لا يليق بالألوهية .

٤) « **حضرة** » الحضور : نقيض المغيب والغيبة ، وحضرة الرجل غربه وفناؤه والحضرة قرب الشىء ، وبهذا المعنى القريب استخدمت كلمة الحضرة بالمفهوم الصوفى وهو القرب من الله تعالى ، والمثول فى حضرته المقدسة، وقد قصد بها التحدث عن الله بصورة مباشرة وغير مباشرة وهذا مما أدى إلى ارتقاء دلالتها .

٥) **المُرْشد الرَّشاد** : نقيض الغىّ ، ورشد الإنسان يَرْشُد رُشْدًا : إذا أصاب وجه الأمر والطريق ومن معنى الهداية والدلالة اتخذت لفظة المرشد كمصطلح خاص بالصوفية. ومع المرشد جاءت كلمة المُريد فلكل مرشد عدد من المريدين يتبعون طريقه ويمشون على هداه . والمُريد : اسم فاعل من الإرادة . واستخدمت لفظة المريد بالمفهوم الصوفى بمعنى المُحب ، وبمعنى المقتدى وهو الذى يتوجه إلى الله ويجعل قلبه مع شيخه بسبب فرط إرادته .

٦) **تحقيق ومحقق** : حققت الأمر وأحققته إذا كنت على يقين منه وحقق قوله وظنه تحقيقا : أى صدق ، ومن الصدق واليقين أخذت لفظة التحقيق وأيضا

لفظة المحقق الارتقاء فى دلالتها واكتسبت القدسية فى استخدامها الصوفى . وهناك لفظة أخرى أعلى مرتبة من المحقق – وهذا فى عرف الصوفية – وهى :

٧) **المدقق** : ومعنى هذه اللفظة فى اصطلاح الصوفية هو الكامل الذى تظهر عليه ...ائق الأشياء كما ينبغى ، ويكون هذا الشخص قد تجاوز مرحلة الحجة والبرهان ووصل إلى مرتبة الكشف الإلهى .

سابعا : الاشتقاق :

يتناول هذا الجزء بعض ألفاظ الحياة الثقافية الجديدة الناشئة عن طريق الاشتقاق ، واعتبار الكلمة جديدة يعنى عدم استخدام صيغتها وحدها أو صيغتها ودلالتها معا فى القديم على أساس أنها مشتقة قديما من مادة لغوية ولم تخرج عن الأوزان العربية المعروفة . ويحدث أن تكون الصيغة قياسية أغفلتها المعاجم ، فأذكرها وأشير إلى ذلك لأنى أصف ما هو موجود من خلال استقرائى للمادة اللغوية فى مؤلفات أبى حيان التوحيدي، ونظرا إلى قلة هذه الكلمات آثرت ترتيبها على أساس التجرد والزيادة .

١) اسم الفاعل :

١) وردت من صيغة **فاعل** ثلاث كلمات هى :

ناظم ، ناثر ، ناقد .

ناظم :

النَّظْم : الشك والغرز ، من نظم العقد أى سلك خرزه فى خيط وأخذت لفظة الناظم دلالتها المعنوية من نظم الكلمات فانتقلت الدلالة من مجال مادى إلى مجال معنوى مع وجود رابطة بين الدلالتين ، وتخصصت دلالة الناظم بالمعنى الاصطلاحى الخاص بفنون البلاغة .

ناثـر :

النَّثْر نثرك الشيء بيدك ترمى به مفترقا مثل نثر الجوز والسكر ومن هذا المعنى اتخذت دلالة الناثر معناها وهو نثر الكلام وبهذا انتقلت دلالة الكلمة من مجال مادى قديم إلى مجال معنوى ثم تخصصت الدلالة باستخدام كلمة الناثر كمصطلح بلاغى .

ناقـد :

النقد غنم صغار حجازية ، والنَّقاد : راعيها ، والنَّقاد صاحب مُسُوك النقد . ومن المادة «نقد» اشتق أبو حيان لفظة الناقد وهو الفاحص للأعمال الأدبية فهى لفظة جديدة مبنى ومعنى من المصطلحات المستحدثة فى القرن الرابع الهجرى . فقد انتقلت دلالة هذه اللفظة من مجال مادى فحص النقود إلى مجال معنوى فحص الأعمال الأدبية ، مع وجود رابطة بين الدلالتين وهى الفحص ثم تخصصت الدلالة .

٢) صيغة **مُفعِل** وردت من هذه الصيغة كلمة مُطْرب ، الطَّرب :

خِفة تعترى عند شدة الفرح أو الحزن والهم . وقيل الطرب هو حلول الفرح وذهاب الحزن ومن هذا المعنى أخذت لفظة المطرب وهو الذى يشجى الناس بصوته ويثير فى نفوسهم الشجون ويؤدون حركات مصاحبة لما يتملكهم من شوق . واستخدمت لفظة المطرب فى مجال المصطلحات الخاصة بالموسيقى وعلومها .

٣) صيغة **مُفْعِلَة** وردت من هذه الصيغة كلمة واحدة هى «مُجْبِرة» الإجبار هو القهر والإكراه ، والمُجْبرة الذين يقولون أجبر الله العباد على الذنوب أى أكرههم ، واستخدمت هذه اللفظة كمصطلح خاص بالفرق الدينية فى العصور الإسلامية .

٤) صيغة **مُفعِّل** وردت من هذه الصيغة تسع كلمات هى :

مُحَرِّر ، مُؤَدِّب ، مُدَرِّس ، مُؤَلِّف ، مُصَنِّف ، مُذَهِّب ، مُدَقِّق ، مُحَقِّق ، ومُعَلِّم ، مُلَحِّن .

مُحَرِّر : تحرير الكتابة : إقامة حروفها وإصلاح السقط ، وتحرير الرقبة : عتقها وأخذت لفظة المحرر معناها من الكتابة ، واستخدمت فى مجال الثقافة مصطلحا خاصا بمن يمارس مهنة تحرير الكتب ، وبهذا تخصصت دلالتها بعد أن مرت بأطوار منذ أصلها القديم وهو العتق .

مُؤَدِّب : الأَدَب الذى يأدب الناس إلى المحامد ، وينهاهم عن المقابح ومن هذا المعنى أخذت كلمة الأديب دلالتها المتخصصة بمن يقوم بتربية أولاد الخلفاء والميسورين فى العصر العباسى ، فهى لفظة جديدة فى استعمالها أوجدت لتساير متطلبات ذلك العصر الزاهر .

مُدَرِّس : دَرَس الكتاب يَدْرُسُه دَرْسًا ودِراسة ، كأنه عانده حتى انقاد لحفظه ومن هنا اكتسبت دلالة لفظة المدرس معناها وهو من يقوم على تدريس الطلاب ويذلل العقبات ، من أجل تحفيظهم العلم .

مُؤَلِّف : ألفت الشيء تأليفا إذا وصلت بعضه ببعض ، ومنه تأليف الكتب والمؤلف هو الذى يقوم بتأليف الكتب والرسائل وغيرها من الوسائل الثقافية وبهذا تخصصت دلالة هذه اللفظة واتخذت مصطلحا ثقافيا .

المُصَنِّف : تَصْنيف الشيء جعله أصنافا ومنه تصنيف الكتب ، والآثار العلمية ومن يقوم بهذا العمل الثقافى هو المصنف وبهذا تخصصت دلالة هذه اللفظة عندما استخدمت بهذا المفهوم الثقافى .

مُذَهِّب : ذَهَّبْت الشيء فهو مُذَهَّب إذا طليته بالذهب ومنه المُذَهِّب الذى يقوم بتذهيب خطوط الكتاب ، أى من يخط بالذهب جلدة الكتاب وهذه من المهن الثقافية المستحدثة فى العصر العباسى .

مُدَقِّق : دَقَّ الشيء يدقه إذا أظهره ، والمدقق فى اصطلاح الصوفية الكامل الذى تظهر عليه حقائق الأشياء .

المُحَقِّق : حقق قوله وظنه تحقيقا أى صَدَّق ويتحقق هذا المعنى للفظة المُحَقِّق للشخص الذى يكون قد تجاوز عن مرتبة الحجة والبرهان ، ووصل إلى مرتبة الكشف الإلهى على وجهها الحق فيشاهد جميع الأشياء بعين الحقيقة ، ولفظة المحقق أقل مرتبة من المدقق وهما اصطلاحان استخدما فى مجال التصوف ويتحدد معناهما فى هذا المجال فى أبرز صورة . وتكون بهذا دلالة اللفظتين أكثر تخصيصا فى القرن الرابع الهجرى .

مُعَلِّم : يقال علَّمه العِلْم وأعلمه إياه فتعلمه . والمُعَلِّم : الذى يعلم الصبية فى الكتاب وهذه الكلمة من الألفاظ التى تضمنت معنى جديدا، واستعملتْ للدلالة على مهنة التعليم التى ارتقت فى القرن الرابع الهجرى . وهذه الصيغة قياسية ولكن لم أجدها فى المعاجم .

مُلَحِّن : اللَّحْن التطريب وترجيع الصوت وتحسين القراءة والشعر والغناء ويقال لحن فى قراءته إذا غرد وطرب فيها بألحان . ويقتضى القياس ذكر المُلَحِّن لأنها صيغة قياسية من « لَحَّن » ولكن هذه الصيغة لم ترد عند صاحب اللسان فهى كلمة جديدة فى مبناها وقد كثر استخدامها فى مجال العلوم الموسيقية .

ونستنتج مما تقدم أن صيغة مُفَعِّل من فَعَّلَ قياسية ولكن لم يذكرها اللسان عند تناوله لمواد عديدة منها الألفاظ التى مر ذكرها وعند تناول هذه الصيغة نجد أنها تختص بالمشتغلين بالثقافة وهذه الصيغة تتردد كثيرا فى مؤلفات أبى حيان .

٥) صيغة **مُفْتَعِل** وردت من هذه الصيغة كلمة واحدة هى : مُقْتَبِس : اقتبس منه علما استفدته ، وأتيناك زائرين ومُقتبسين أى طالبى العلم وبهذا المفهوم العلمى استخدمت لفظة المُقْتَبِس فى مجال الألفاظ الثقافية العامة .

٦ صيغة **مُفْتَعِلة** وردت من هذه الصيغة كلمة واحدة هى مُقْتَبِسة وهذه

الصيغة هى المفردة المؤنثة للفظة مُقْتَبِس وقد اكتسبت تخصيصا لدلالتها عندما استخدمت فى مجال العلم واقتباس الثقافة .

صيغة **فاعِلة** وردت كلمة واحدة هى « راهبة » .

الراهب واحد رهبان النصارى والراهبة المفردة المؤنثة الخاصة بالديانة المسيحية .

٢) صيغ المبالغة :

١) صيغة **فَعَّال** وردت من هذه الصيغة كلمتان هما خطَّاط ، وبَحَّاث : خطّ القلم : كتب وخَطّ الشيء يخطه خطًّا : كتبه بقلم أو غيره واخذت كلمة الخطاط من الخط وهو الكتابة ، وهذه اللفظة من المصطلحات المستحدثة فى عصر أبى حيان .

بَحَّاث من البَحْث وهو طلبك الشيء فى التراب ومن معنى الطلب عن الشيء استخدمت لفظة البحاث بمعنى من يطلب العلم ويرتاد مجالسه ويقصد أساتذته من أجل الحصول على أنواع المعرفة .

٢) صيغة **فعِّيل** وردت كلمة واحدة هى « خصِّيص » « الخص » أصل مطرد منقاس وهو يدل على الفرجة والثلمة . وخصصت فلانا بشيء خصوصية وهو القياس إذا أفرد واحد فقد أوقع فرجة بينه وبين غيره ، ويقال اختص فلان بالأمر وتخصص له إذا انفرد ومن هذا المعنى اتّخذت لفظة خصيص مفهوما اصطلاحيا خاصا بالصوفية .

٣) صيغة **فِعلل** وردت كلمة واحدة وهى « طِلسم »

طلْسمَ الرجل : كرّه وجهه وقطّبه . وطِلسم : كتابة يستعملها الساحر زاعما أنه يدفع بها الأذى ، وهو مأخوذ من طلس الكتابة أى محاها ، كما يفعل الساحر فى رسمه الحروف الدالة على الأعداد المتحابة ومحوها ليهول على الناس، وطلاسم

منحوت من طَلّس الاسم ليتم التهويل واستخدمت لفظة الطلسم كمصطلح علمى فى مجال الألفاظ الخاصة بالفلك والتنجيم (وهو لفظ عربى محض) .

٤) صيغة **فَعيلة** وردت كلمة واحدة هى « أديبة » .

الأدب : الذى يتأدب به الأديب من الناس ، وأدب الرجل يأدب أدبًا ، فهو أديب من قوم أدباء ، وكلمة أديبة المفردة المؤنثة لم تتناولها المعاجم عند ذكر المادة أدب ، فهى كلمة جديدة فى مبناها واصطلاح مستحدث فى عصر أبى حيان يدل على الوسط الثقافى الراقى فى ذلك العصر .

٣) اسم المفعول :

١) صيغة **مَفْعُول** وردت من هذه الصيغة خمس كلمات هى : مَرْسُوم ، مَخْطُوط ، مَلْحُون ، مَخْصُوص ، معموم .

مرسوم : الرَّسْم هو العلامة وعند المنطقيين قسم من المعرف مقابل للحد ، وعند الصوفية هو العاد ومن هذا المعنى استخدمت لفظة مرسوم فى اصطلاحات الصوفية فتخصصت دلالتها .

«**مخطوط**» الخَطّ : الطريقة المستطيلة فى الشيء . وخط الشيء يخطه خطا : كتبه وجاءت لفظة المخطوط لتدل على الأثر العلمى الذى كتبه بالقلم . وهذه اللفظة جديدة فى مبناها عند أبى حيان .

«**ملحون**» اللحن التطريب ، واللحن الخطأ فى القراءة ، ومن معنى الخطأ والميل عن الصواب جاءت لفظة الملحون للدلالة على اللفظ الذى أصابه الخطأ أى الذى أخطأ فى نطقه ، فهو غير سليم وفيه عيب من عيوب اللسان .

« **مخصوص** » « ومعموم » من المادة خصص ، وعمم وقد استخدمت هاتان اللفظتان فى مجال التصوف وفى مجال الفقه وقد عنى المؤلفون فى أصول الفقه بهذه الألفاظ عناية خاصة وأفردوا لها فى كتبهم فصولا ، وذلك لأن دلالة الألفاظ من

أهم موضوعات علم الأصول فبحثوا فى المخصوص والمعموم واتخذت مصطلحات خاصة بالفقه والتصوف .

٢) صيغة **مَفْعولة** وردت من هذه الصيغة كلمتان هما مشروحة ومخصوصة .

مَشْرُوحة : من الشَّرْح وهو القطع والكشف ، وشرح فلان أمره أى أوضحه وشرح الشيء يَشْرَحه شَرْحا وشَرَّحه : فتحه وبينه وكشفه ومن هذا المنطلق أخذت لفظة المشروحة دلالتها المعنوية الخاصة بشرح الكتب ، وتفسيرها وهى من الألفاظ المستحدثة فى القرن الرابع الهجرى .

«مخصوصة» من اختص بالأمر وتخصص له إذا انفرد ، ومن مادة «خصص» أخذت لفظة مخصوصة دلالتها وهى المنفردة بالشيء واتخذت هذه اللفظة فى مجال المصطلحات الصوفية فاكتسبت دلالة محددة بهذا الخصوص .

٣) صيغة **مُفْتَعَل** وردت من هذه الصيغة كلمة واحدة هى مُقْتَبَس . أقبسته علما وقبسته نارا وخيرًا إذا جئته به فإن كان طلبها له قال : اقتبسته بالألف . واستعملت لفظة مقتبس فى مجال الألفاظ الخاصة بالأدب . وفنون البلاغة وبهذا تحددت دلالتها وتخصصت فى هذا المفهوم الأدبى عندما وصف الأدب بالمقتبس .

٤) صيغة «**مُفَعْلَلَة**» وردت من هذه الصيغة كلمة واحدة هى مُتَرْجَمَة : يقال قد ترجم كلامه إذا فسر بلسان آخر ومنه أخذت اللفظة مترجمة معناها الاصطلاحى الدال على نقل المعارف من لغة إلى أخرى وتخصصت دلالة هذه اللفظة باقترانها بالكتب وباللغات .

٤) المصـادر :

١) صيغة **مُفاعلة** وردت منها كلمتان مُذاكرة ، ومُقابسة :

وصيغة المُفاعلة هذه وردت منها كلمات عديدة تدل على أنشطة المجالس الثقافية ودور العلم وقد ذكر اللسان بعضا منها وأهمل البعض الآخر ومن الكلمات التى لم ترد فى اللسان على هذه الصيغة الدالة على المشاركة :

«**مذاكرة**» الذِّكْر : الحفظ للشيء ، والذكر : جرى الشيء على اللسان . واستذكر الشيء : درسه للذكر ، وقوله تعالى : ﴿ واذكروا ما فيه ﴾ : معناه ادرسوا ما فيه وجاءت لفظة المُذاكرة بمعنى الدرس والحفظ بين يدى الأساتذة وأعلام المعرفة واستخدمت لفظة المُذاكرة فى مجال أنشطة المؤسسات الثقافية وهى من الألفاظ المستحدثة فى العصر العباسى .

«**مُقَابسة**» قبست العلم وأقبسته فلانا ، وأتانا فلان يقتبس العلم فأقبسناه أى علمناه ومن هذا المعنى الدال على العلم وتلقيه أخذت لفظة المقابسة معناها واستخدمت فى مجال الألفاظ الثقافية الدالة على أنشطة دور العلم والثقافة ولفظة المقابسة من الألفاظ التى استحدثها أبو حيان فى كتاباته واتخذها عنوانا لأهم كتاب من مؤلفاته (المقابسات) وهى جديدة مبنى ومعنى عند أبى حيان فلم يسبقه أحد إلى استعمال كلمة المقابسة . وتعطينا لفظة المقابسة صورة صادقة إلى أهم أنشطة القرن الرابع الهجرى وما يدور فى المجالس الثقافية .

٢) صيغة **فُعول** وردت كلمة واحدة هى «عُموم» .

العمم : عظم الخلق فى الناس وغيرهم ، وشىء عميم أى تام ، وأهل العموم هم عامة الناس عند الصوفية لاشتراكهم فى كثير من الأخلاق والعادات والسلوك واتخذت لفظة العموم تخصيصا دلاليا باستخدامها كمصطلح بالمفهوم الصوفى .

٣) صيغة **فَعْلَلَة** وردت كلمة واحدة هى «تَرْجَمة» .

تَرْجَمَ كلامه إذا فسره بلسان آخر ومنه التّرجمان وجاءت لفظة ترجمة بالمعنى الثقافى الدال على النقل من لغة إلى أخرى وهى لفظة مستحدثة فى العصر العباسى لازدهار الثقافة فى ذلك العصر واستخدمت لفظة الترجمة بمعنى العنوان ومنها قولهم فقه البخارى فى تراجمه أى فى عناوين أبواب كتابه فى الحديث واستعملت بمعنى تاريخ الرجال وأحوالهم ، ومن ذلك كتب التراجم وبهذه المعانى المتعددة استعمل أبو حيان لفظة الترجمة فهى لفظة جديدة فى مبناها فى مجال الألفاظ الثقافية .

٤) صيغة **تَفَعُّل** وردت من هذه الصيغة ثلاث كلمات هى :
« تَشَيُّع ، تَصَوُّف ، تَدَرُّج » .

تشيع أصله من المشايعة والمتابعة والمطاوعة من شايعه شياعًا وشَيَّعه : تابعه ، وتَشَيَّع فى الشيء : استهلك فى هواه وغلب هذا اللفظ على من تابع عليا وأهل بيته وقد انتقلت دلالة هذه اللفظة من معنى عام المتابعة والوداع فى الرحيل حتى يبلغ المنزل أو الموضع المراد ثم تخصصت الدلالة باستعمالها الديني الخاص بفرقة الشيعة .

تدرج : درجه إلى كذا واستدرجه بمعنى أدناه منه على التدريج . والدرجة : الرفعة ، ومنه التدرج وهو الصعود إلى المراتب العليا وقد اكتسبت هذه اللفظة مفهوما خاصا باستعمالها فى مجال اصطلاحات التصوف والمتصوفة .

تَصَوّف : استخدمت لفظة التصوف بالمعنى الاصطلاحى فى العصر العباسى فتضمنت هذه الكلمة معنى جديدا وقد اشتقت فى الأصل من الصوف والمستعمل من هذه المادة : صاف الكبش يصوف صوفا ، وكذلك صُوف الكبش فهو كبش صوف بين الصوف ، ومن هذا نجد أن لفظة تصوف لم تستخدم من الصوف فالكلمة إذن جديدة فى مبناها ومعناها فى القرن الرابع الهجرى وقبله قليلا .

٥) صيغة **تفعيل** وردت من هذه الصيغة خمس كلمات هى : تأديب ، تدريس ، تبيض ، تأليه ، تخصيص ، تأديب : الأَدَب أدب النفس والدرس ومن هذا المعنى التعليمي التهذيبي أخذت لفظة التأديب دلالتها المعنوية الدالة على شكل من أشكال العمل الثقافى الذى كان يمارس فى عصر أبى حيان خاصة وفى العصر العباسى بصفة عامة وتخصصت دلالة لفظة التأديب بعد أن اتخذت مصطلحا ثقافيا .

تدريس : من المادة «درس» وهى مادة قديمة لها معنى الطريق الخفى والحفظ

والتعهد للشيء ومن هذه المعانى أخذت لفظةالتدريس معناها الخاص بتعليم طلاب العلم وتحفيظهم أنواع المعرفة فانتقلت دلالتها من مجال مادى قديم إلى مجال معنوى خاص بالتعليم فى جميع أشكاله .

تأليه : من ألَهَ يألَه إلى كذا أى لجأ إليه لأنه سبحانه المفزع الذى يلجأ إليه فى كل أمر والتَّألُّه : التنسك والتعبد وأخذت لفظة التأليه من هذا المعنى الخاص باسم البارى سبحانه واستخدمت فى مجال الألفاظ الخاصة بالعبادة وأصبحت أكثر تخصيصا فى مجال التصوف .

تخصيص : اختص فلان بالأمر وتخصص له إذا انفرد ولفظة التخصيص لها معنى اصطلاحى عند الصوفية وهم **أهل الاختصاص** كما يطلق عليهم فى عصر أبى حيان وبهذا تخصصت دلالة هذه اللفظة عندما استخدمت بالمفهوم الصوفى .

٦) صيغة **افْتِعَال** وردت من هذه الصيغة خمس كلمات هى :

اعتقاد ، احْتجاج ، اعْتزال ، اخْتصاص ، انْتساخ .

اعتقاد : العقد : نقيض الحل ، والعقد : العهد واعتقد ضيعة ومالا أى اقتناهما ومنه أخذت لفظة الاعتقاد دلالتها المعنوية بانتقالها من مجال مادى (عقد الحبل) إلى مجال معنوى عقد الرأى على الإيمان مع وجود قرينة بين الدلالتين وهى الثبات وبهذا تخصصت لفظة الاعتقاد بالمفهوم الدينى وإن كانت تستخدم فى مجالات عديدة أخرى تدل على كثرة استخدامها وانتشارها .

احتجاج : احتج بالشيء : اتخذه حُجة ، والحُجة : البرهان وهى مأخوذة من الحجة : الطريق المستقيم ومنه أخذت لفظة الاحتجاج أى الاستقامة فى النظر سواء كان من جهة ما يطلب معرفته أو من جهة غيره وهذا هو المعنى الاصطلاحى لهذه اللفظة ذات المفهوم الفقهى .

«**اعتزال**» : العَزْل هو التنحية والإبعاد ، والمعزِل اسم مكان العزلة ، وعَزْل :

اسم مكان واسم زمان العزلة ومنه أخذ المعنى الخاص بالاعتزال كمصطلح دينى خاص بإحدى الفرق الدينية وهم المعتزلة .

اختصاص : من خصّه بالشيء يخصه خَصًا : أفرد به دون غيره واختص بالأمر : انفرد ، واستخدمت لفظة الاختصاص بهذا المعنى المختص بالمفهوم الصوفى وأطلق على الصوفية لقب أهل الاختصاص .

انتساخ : النَّسْخ : نقل الشيء من مكان إلى مكان وهو هو ، والنسخ اكتتابك كتابا عن كتاب حرفا بحرف وهذا هو المعنى الدال على لفظة الانتساخ كمصطلح ثقافى خاص بأشكال العمل الثقافى وقد كثر استخدام هذه اللفظة بين أوساط المشتغلين بالثقافة من وراقين ونساخ وكتاب وأصحاب مراكز رفيعة فى العصر العباسى .

٧) صيغة **انْفِعَال** وردت من هذه الصيغة كلمة واحدة هى «انفعال» الفعل : كناية عن كل عمل ، وافتعل عليه كذبا ، أى اختلق وفعلت الشيء فانفعل ومن هذه المعانى أخذت لفظة الانفعال معناها بالمفهوم الفلسفى النفسى واستخدمت فى مجال المصطلحات النفسية بعد أن تخصصت دلالتها .

٨) صيغة **اسْتِفْعَال** وردت من هذه الصيغة كلمتان هما : استقراء ، استدلال :

«استقراء» القرء فى اللغة الجمع ، وكل شيء جمعته فقد قرأته ، ومنها قريت الماء فى الحوض جمعته ، وقرأت القرآن لفظت به مجموعا واستخدمت لفظة الاستقراء بالمعنى الدال على الجمع والتتبع بعد أن تخصصت فى مجال الفقه واتخذت كمصطلح فقهى وإن كانت دلالة اللفظة قد مرت فى أصلها القديم بتطورات عديدة منها انتقالها من مجال مادى وهو الجمع للماء إلى مجال معنوى وهو جمع الألفاظ والنطق بها مع وجود رابطة بين الدلالتين وهى التتبع .

«استدلال» الدليل ما يستدل به ، ومن هذا المعنى أخذت لفظة الاستدلال المعنى الفقهى فتحددت دلالة هذه اللفظة باستخدامها فى مجال المصطلحات الفقهية .

٩) **المصدر الصناعى** : من الصيغ الجديدة التى ظهرت فى العصر العباسى ويؤخذ المصدر الصناعى من الاسم والمصدر بعد أن يزيد بالياء المشددة على نحو ياء النسب مع تاء فى الآخر . وإذا تأملنا بعض الأمثلة للمصدر الصناعى كما وردت عند أبى حيان نجده يأتى به من الأسماء مثل : التوحيديّة ، والمعتزليّة والشيعيّة ، والإماميّة ، والزيديّة والدهريّة والنصرانيّة ، واليهوديّة والروحانيّة والطبيعيّة ، والجزئيّة ، والعنصريّة ، والمنطقيّة ، والنفسانيّة ، والفلكيّة ، والصوفيّة .

ويأتى به من الأداة البسيطة مثل : الكميّة ، والكيفيّة ، والهليّة والأينيّة ، والآنية ، والأيسيّة ، والليسيّة .

وجاءت مصطلحات معربة ، مزيج من الكلمة واللاحقة (يّة) وهى كلمات شائعة فى عصر أبى حيان اعتمد فى تعريبها على إلحاق أداة المصدر الصناعى بالكلمة الأصلية مثل : هيولانيّة ، هيوليّة ، اسطقسيّة ، فلسفيّة ، ديوانيّة .

٥) اسم المكان :

صيغة **مفعل** وردت من هذه الصيغة كلمتان هما مَنْشأ ، ومَبْدأ . والمستعمل من مادة «نشأ» نشأ ينشأ نشأ ونشوءا ونشأة : حى وأنشأ الله الخلق أى ابتداء خلقهم ، وصيغة نشأ ونشأة ونشوءا هى المستعملة بكثرة خاصة فى العصور الإسلامية الأولى . أما المنشأ وهو مِفعل من أنشأ يفعل كذا أى ابتدأ وأقبل فصيغة مولدة لم تسمع فى كلام العرب .

«مبدأ» البدء : فعل الشيء أوله ، ومن هذا المعنى استخدمت لفظة المبدأ كمصطلح فلسفى يدل على أصل الشيء وابتداء وجوده وهذه اللفظة من الألفاظ التى استحدثت فى العصر العباسى مع ظهور العلوم العقلية وانتشارها ولفظة المبدأ جديدة فى معناها ومبناها فى عصر ازدهار الثقافة الإسلامية .

٦) **النسب** :

من أشكال النسب التى وردت فى كتابات أبى حيان ولم ترد فى اللسان عند تناوله لموادها هناك ثلاثة أشكال للنسب :

١) المنسوب القياسى بزيادة ياء مشددة وكسر آخره مثل :

عنصرىّ ، منطقىّ ، جزئىّ ، كلىّ ، خاصى ، عامىّ ، حضرىّ ، معتزلىّ ، طبيعىّ (منسوب للطبيعة) طباعىّ (منسوب للطبائع) طبعى (منسوب للطبع) .

٢) المنسوب القياسى بالياء المشددة وزيادة ألف ونون للإلحاق وهذا من نادر معدول النسب مثل :

نفسانى ، هيولانى ، روحانى .

ومن الملاحظ أن نون الإلحاق هذه لعبت دورًا كبيرًا فى إبداع الكلمات الجديدة .

٣) صيغة **فُعْلىّ** وردت كلمة واحدة وهى «صُوْفىّ» اشتقاق هذه الكلمة من الصوف الذى هو للغنم كالشعر للمعز والوبر للإبل ثم اتخذت دلالتها المعروفة فى التَّصَوُّف ، واشتق منها الفعل «تَصَوَّف» ونسب إليها «صُوفىّ» وجميع هذه الاشتقاقات لم ترد فى اللسان فهى كلمات مولدة .

٤) صيغة **فَعالىّ** وردت من هذه الصيغة كلمة واحدة هى «كَلامىّ» الكلام : القول . ورجل تكلام وتكلامه وكلمانىّ : جيد الكلام فصيح حسن الكلام منطيق . ولم تستعمل النسبة كلامىّ فى اللسان ، وبهذا تكون هذه الكلمة جديدة فى مبناها ومعناها .

٥) صيغة **فَعُولىّ** وردت من هذه الصيغة كلمة «عَرُوضىّ» .

العروض فى الاصطلاح ميزان الشعر ، سمى بذلك لأنه به يظهر المتزن من المنكسر أو لأنها ناحية من العلوم أو لأنها صعبة أو لأن الشعر يعرض عليها . وكلمة

عروض قديمة ولها دلالات مختلفة منها تسمية الحجاز أو مكة بالعروض وهو الصعب الملتوى من الأرض . إلا أنها ضمنت هذا المعنى الاصطلاحى الجديد فى العصور الإسلامية وبظهور علم العروض على يد الخليل بن أحمد فكانت النسبة إليه «عروض» من الصيغ المولدة التى لم تستخدم بهذا المعنى الاصطلاحى من قبل فهى جديدة مبنى ومعنى .

٦) ومن الصيغ الجديدة أيضا الصيغة الناشئة من إضافة الألف والنون مع ياء النسب مثل : روحانى ، نفسانى ، ربانى ، هيولانى ، وهنا قد تجاوز أبو حيان فى النسب القيوذ الصرفية واستخدم نون الإلحاق فى النسب . وهذه الأبنية الجديدة يكون فى تسجيلها إضافة جديدة يقدمها البحث للمهتمين بموضوع المصطلحات الثقافية مثل صيغة مُفاعلة التى تدل على المُشاركة وقد وردت منهاالكلمات مُقابسة ، ومُناظرة ، ومُجالسة ، ومُذاكرة ، ومُدارسة وكانت من المميزات البارزة فى عصره .

٧) الجموع :

١) تتميز المصطلحات الثقافية عند أبى حيان بكثرة ورودها مجموعة حتى ليستعمل الكلمة مفردة مرة ومجموعة جمع تكسير مرة ثانية وجمع مؤنث سالما مرة ثالثة مثل - كتاب ، كتب ، كتابات وقد يقتصر لصيغة جمع واحدة لبعض المفردات مثل كراريس ، كما يستخدم الجمع دون المفرد مثل شبابير ، كما يستخدم الجمع ومفرده ولكن على غير ما جاءت به المعاجم مثل مكاتب جمع كتب (وهذا ما جاء فى المعاجم) وقد ذكر صاحب اللسان مفرد مكاتب مكتب ، ولكن أبا حيان ذكر مفرده كتاب ، وهو جمع غير مألوف .

٢) يطرد عنده صيغة الجمع فواعل فى جمع مفردات مختلفة :

١ - هو جمع لفاعلة اسما أو وصفا مثل - رافضة - روافض .

٢ - وهو جمع لاسم فوعل مثل جوهر وجواهر .

٣ - وهو جمع لوصف على فاعل لغير عاقل من المذكر مثل طالع - طوالع .

٤ - وهو جمع لاسم على فاعل - ظاهر - ظواهر ، باطن - بواطن .

٣) صيغة **فُعَّال** وردت من هذه الصيغة كلمة واحدة هى «نُقَّاد» ، النقد : الأموال ، والناقد وهو الذى يتعامل بالنقود والنُّقَّاد جمع ناقد وقد استخدمت هذه اللفظة بالمفهوم الثقافى الدال على من يشتغل بالأعمال الأدبية وبهذا نجد أن دلالة لفظة النُّقَّاد انتقلت من مجال مادى وهو فحص النقود إلى مجال مادى آخر هو فحص الأعمال الأدبية مع وجود اشتراك بين الدلالتين بجزء من المعنى وهو «الفحص» ثم تخصصت دلالة هذه اللفظة باستخدامها كمصطلح خاص بالمشتغلين بالثقافة .

ثامنا : الألفاظ ذات الأصول الأجنبية :

من الظواهر اللغوية التى اعتاد الباحثون فى اللغة دراستها الكلمات الوافدة من الأمم الأجنبية ، أو ما يسمى بالمعرب ، ولقد لفت نظرى وجود الكلمات الأعجمية فى مؤلفات أبى حيان . والحديث عن المعرب يبدأ منذ أن اهتم مفسرو القرآن الكريم بالكلمات التى شُك فى أصالة عروبتها ، وقام جدل بين المفسرين ، ولقد أثار ذلك علماء اللغة ، فتصدى كل منهم لطرح آرائه فى هذا الصدد . ومذهبهم فى التعريب هو إلحاق الكلمة بأبنية العربية ، وتغير الحروف والحركات ثم الاشتقاق وتصرف الكلمة تصرفا حسب أوزان العربية وقد اتخذ التعريف جميع أشكاله التى مر ذكرها . وفى هذا القسم من البحث سأتناول الألفاظ المعربة وتأصيلها والمجالات الدلالية لهذه الألفاظ كما وردت فى كتابات أبى حيان .

١) «الألفاظ السريانية المعربة» :

توجد ألفاظ كثيرة فى العربية من السريانية . ارتبطت الألفاظ السريانية المعربة فى كتابات أبى حيان بمجالات دلالية متعددة أبرزها المجال الدينى وبالتحديد ، رجال

الدين غير الإسلامى ، وهذه الألفاظ السريانية على قسمين الأول منها نقل من السريانية نقلا مباشرا ، واستعمل بلفظة السريانى والثانى معربة ومستخدمة فى العربية بكثرة ومن الألفاظ التالية :

الرَّق : r.go جلد رقيق يكتب عليه وكان من الأسباب التى أدت إلى انتشار الثقافة واتخذ مصطلحا ثقافيا .

الربانى : الكلمة من مادة سامية مشتركة وهو المنسوب إلى الرب ومعناها السيد والمالك وفى السريانية الرب هو الكبير . والربانى هو العالم الراسخ فى العلم والدين ، وقيل هو العالى الدرجة فى العلم وهو أيضا الحبر ، ورب العلم ، وزادوا الألف والنون للفظة الربانى إذا أرادوا تخصيصا بعلم الرب دون غيره من العلوم هذا وقد ذكر صاحب اللسان أن العرب لا تعرف الربانيين وإنما عرفها الفقهاء وأهل العلم .

العَبد : الكلمة سامية مشتركة ، بدلالة : أطاع ، عَمِل ، والعبد : المملوك وبوجود هذه اللفظة إلى العربية واستخدامها فى مجال الدين ارتقت دلالة لفظة العبد عندما استخدمت بالمفهوم الصوفى ، والعبد فى الأصل صفة استعمل استعمال الأسماء .

دَيْصَانيّة : الديصانية عقيدة دينية ومذهب فكرى نسبة إلى ابن ديصان وهو صاحب مذهب دينى أطلق المسلمون على أتباعه الديصانية وقد نقلت هذه الكلمة من السريانية بلفظها .

الحِبْر : من الألفاظ التى تتعلق بالكتابة وهى معربة من السريانية وأيضا الحبر ، العالم . وفى ديوان الأدب بالكسر أفصح لأنه يجمع على أحبار والأحبار مختص بعلماء اليهود من ولد هارون . وتطلق أيضا على العالم فى شريعة النصارى . والحَبْر : العَالِم الذى صناعته تحبير المعانى بحسن البيان عنها وإتقانها .

النَّصارى : ومفردها نَصْرانى وهو الذى يدين بالنصرانية (دين المسيح) وقد ارتبطت كلمة النصارى بالمعيار الحضارى البعيد عن الجزيرة العربية ونستدل من

هذا على كون الكلمة دخيلة على العربية لأن الجزيرة العربية هى موطن اللغة القديمة فما كان غريبا عنها فهو غريب بالضرورة عن لغتها وقد حدث تغير فى البنية الصرفية لهذه الكلمة حيث زيدت نون فى الكلمة المعربة .

روح القدس : أحد الأقانيم الثلاثة عند المسيحيين والعبارة منقولة عن السريانية وهو واحد من التالوث المقدس ، وفى العربية روح القدّس هو جبريل عليه السلام .

القَسّ : اشتقت من الكلمة السريانية قسيس ، والقسى من مراتب رجال الكنيسة وعمل القسى تقديس القرابين وعماد المعتمدين ويكون تحت يد الأسقف .

القُمسّ : الرجل الشريف وفسر بالسيد والجمع قمامس وقمامسة أدخلوا الهاء لتأنيث الجمع ، وأطلقت فى العربية على مرتبة عالية من مراتب رجال الكنيسة وبهذا انتقلت دلالة لفظة القمس بعد تعريبها من مجال مادى إلى مجال مادى آخر لاشتراك الدلالتين بجزء من المعنى وهو المكانة الرفيعة (الشرف) .

كُرّاسة ، كراريس : والكراسة معربة من السريانية وهى جزء من الكتاب وسميت بذلك لتكرسها أى انضمام بعضها إلى بعض هذا ما قاله ابن سيده عن هذه اللفظة فى مخصصه .

ومما تقدم نستنتج أن بعض الألفاظ المعربة من السريانية كان قد حدث لها فى السريانية تغيرات فى البنية الصرفية فقد زادت على الكلمة وحدة صوتية مثل «النون» فى كلمة نصرانى ، وربانى وهذه الزيادة كثيرة فى الألفاظ المعربة من السريانية .

ومن الملاحظ أن الألفاظ السريانية لم تبق جامدة بعد تعريبها بل خضعت طائفة منها للاشتقاق وأصبحت أساسا يشتق منه فى العربية مثل كراسة وغيرها على أن

القول الفصل فى كثير من الكلمات من حيث كونها موروثة فى اللغات السامية المفردة عن اللغة السامية الأولى أو من حيث كونها دخلت من السريانية فى إطار الاتصال الثقافى يتطلب بحثا لغويا مقارنا فى ضوء اللغات السامية كلها .

٢) «الألفاظ الفارسية المعربة» :

ارتبطت الألفاظ المعربة من الفارسية فى كتابات أبى حيان بمجالات دلالية معينة وشملت هذه المجالات الألفاظ الإسلامية والألفاظ المتعلقة بأتباع الديانات الإيرانية والكتابة والطب والفلسفة .

وسأصنف هذه الألفاظ مع بيان أصولها ومعناها فى العربية ، هذا وقد تغيرت دلالة بعض الألفاظ الفارسية حينما انتقلت إلى مجال اللغة العربية فبعض هذه الألفاظ المعربة تخصصت دلالتها وبعضها تعممت ، وأخرى انتقلت من مجال إلى آخر .

مهندس : المقدر لمجارى المياه والقنى واحتفارها وهو مشتق من «الهندار» وهى فارسية أصلها « آو أندازه » فصيرت الزاى سينا لأنه ليس فى شىء من كلام العرب زاى بعد الدال ، والاسم هندسة ، و «مهندر» صارت فى العربية «مهندس» ومن الواضح أن سبب هذا الإبدال أن العربية لا تميل إلى بناء الكلمة من حروف متجانسة المخرج ، وأن الكلمة فى العربية تحسن كلما تباعدت مخارج حروفها وقد أكدت الدراسات التجريبية لحروف العربية هذه الملاحظة فالدال لا تتبعها فى العربية «زاى» .

أستاذ : المُعَلِّم ، وأستاد الصناعة ورئيسها فارسيته أستاد وهو العامل الماهر ، ونلاحظ تحول الوحدة الصوتية الفارسية (الدال) إلى الوحدة الصوتية العربية (الذال) وهى قريبة المخرج من الدال العربية فالدال صوت ما بين أسنانى والدال صوت أسنانى لثوى . وكلمة أستاد انتقلت دلالتها بعد دخولها العربية من مجال مادى وهو (العامل الماهر) إلى مجال مادى آخر وهو (رئيس المهنة الحاذق) مع اشتراك الدلالتين بجزء من المعنى وهو المهارة ، وبهذا الانتقال من مجال إلى آخر

ارتقت دلالة هذه اللفظة إلى مستوى اجتماعى وعلمى له مكانته الراقية فى المجتمع العباسى .

ديوان : من الألفاظ المتعلقة بالإدارة و (الدِّيوان) : "dayvan" شياطين جمع ديو ، أو من (ديوانه) : مجانين وقد استعملت فى الأصل الفارسى كناية عن سرعة الكتاب ونفوذهم فى فهم الأمور ، أو اسم أطلق لمحادثتهم أنفسهم فى حساب الدخل والخرج . ثم أطلقت فى العربية لفظة الديوان على تنظيم إدارى عام لحساب واردات الدولة ومصروفاتها تشرف عليه هيئة من موظفين ورؤساء لهم مواضع وسجلات خاصة تسمى الدواوين ، وقد انتقلت دلالة لفظة الديوان بعد تعريبها من مجال مادى وهو كتاب البلاط إلى مجال مادى آخر وهو الكتاب الخاص بأمور الدولة على اختلاف أنواعها : وتخصصت هذه الدلالة عندما أُطلقت لفظة الديوان على كتاب الشعر الخاص بشاعر معين هذا وقد مرت دلالة هذه اللفظة بأطوار متعددة من التغير الدلالى منذ أن عربت واستخدمت فى مجالات متعددة بعد انتقالها إلى العربية .

جوهر : معدن ثمين ، وكل ما يقوم بذاته وهو فى الأصل الفارسى «كَوْهَر» : كل حجر كريم ، والخلاصة والعقل والمعرفة . وفى هذه الكلمة قلبت الوحدة الصوتية الفارسية «ك» إلى الوحدة الصوتية العربية «ج» وتحولت كلمة الجوهر بعد تعريبها من مجال مادى وهو الحجر النفيس إلى مجال معنوى خاص بإحدى المقولات العشر فى الفلسفة وهو ما يقوم بذاته والعلاقة بين الدلالتين قائمة فى دلالة الجوهر على مادة نقية خالصة .

زنديق : من الألفاظ التى تتصل بأتباع الديانات الإيرانية وعقائدهم ومعربها «زنديك» وهو الذى يعمل بأوامر ونواهى كتاب «الزند» شرح لكتاب «الأفستا» ونلاحظ أن هذه الكلمة بانتقالها إلى العربية تحولت الوحدة الصوتية الفارسية «ك» إلى الوحدة الصوتية العربية «ق» وهذه من الظواهر الهامة للقوانين الصوتية فى

المعرب الفارسي . وتحولت دلالتها من المعنى الخاص إلى المعنى العام فدلت على الملحد أو المسلم الذى يبطن المانوية وعلى المتمنطق الظريف أى الماجن ففقدت هذه اللفظة معناها الدقيق بعد أن عربت واتخذت مدلولا عاما هو الإلحاد والخروج على الدين والمعايير الخلقية السائدة فى ذلك العصر . وبهذا أصبحت لفظة الزنديق والجمع زنادقة فتغيرت الدلالة من خاصة إلى عامة .

ونستنتج مما تقدم أن الوحدة الصوتية الفارسية «ك» تحولت إلى الوحدة الصوتية العربية «ج» الذى هو المقابل المعطش للكاف ، وإلى الوحدتين الصوتيتين العربيتين «ك» «ق» وهما صوتان متقاربان فى المخرج حيث إن الكاف من أصوات الحنك والقاف من الأصوات اللهوية .

ومن الألفاظ الفارسية المعربة وتدخل فى مجال الألفاظ الدينية الألفاظ التالية :

مزدك : داعية وصاحب نحلة المزدكية ، **ومانى** : نبى عند الفرس وصاحب مذهب المانوية ، ومانى معناها النادر الفريد الذى ليس له نظير .

وألفاظ أخرى معربة من الفارسية تختص بالكتاب والأدوات الكتابية وهى :

دفتر : جماعة الصحف المضمومة . وأصل كلمة الدفتر فينيقية ذكرها هرودط المتوفى سنة ٤٠٨ قبل المسيح قال إن الفينيقيين الذين أدخلوا حروف الهجاء إلى بلادنا أدخلوا معها بعضا من ألفاظهم نحو «ديفتارا» ''difthera'' أى كتاب صغير وهو الدفتر . ثم أصبح الدفتر من أدوات الكتابة فتخصصت دلالته .

رُوزْنامج : مركبة من روز أى يوم ومن نامة أى كتاب وتفسيره كتاب اليوم لأنه يكتب فيه ما يجرى كل يوم من الخراج أو نفقة أو غير ذلك .

كاغد : ورقة عليها معلومات وتقيم أعمال كان يستعملها ملوك الفرس كشهادات شرف أو تشريف لأشخاص معينين قدموا خدمات مشرفة ، تسلم الورقة حسب مراسيم معينة وتنتقل عن طريق مندوبين خاصين بهذه التشريفات

من مقاطعة إلى أخرى ، وبعد أن عربت لفظة الكاغد انتقلت دلالتها إلى الانحسار وفقدت مكانتها الراقية واستخدمت فى العربية بمعنى أداة الكتابة .

الدّواة : الزجاجة أو الإناء الذى يوضع به الحبر ويكتب منه فارسيتها : دوات .

والفِهْرس : الفِهْرس الكتاب الذى تجمع فيه الكتب وعندما انتقلت هذه اللفظة إلى العربية خصصت بمعنى جدول فيه ملخص الكتاب للإشارة عن مكان محتويات الكتاب ومواضعه أى هو جدول لمحتويات الكتاب وبهذا انتقلت الدلالة من العامة إلى الخاصة بعد تعريب اللفظة «فهرست»

وألفاظ أخرى من الفارسية تختص بالعلوم والفنون وهذه الألفاظ كثيرة وهى :

طراز : البز والهيئة . فارسى . وأصله «تِرْز» والطَّرز : بيت إلى الطول فارسى ، وقيل هو البيت الصيفى . والطرز والطراز هو الجيد من كل شىء وهو الموضع الذى تنسج فيه الثياب والطراز : تفرعات صغيرة أو قنوات متفرعة من النهر وهذا المعنى لم يرد فى المعاجم وذكره الخُوارزمى فى الألفاظ الخاصة بالرى وبهذا انتقلت لفظة الطراز بعد انتقالها إلى العربية من مجال مادى وهو البيت فى الأصل الفارسى إلى مجال مادى آخر وهو موضع مقسم المياه من أجل تنظيم الرى مع وجود علاقة تربط بين الدلالتين وهى المكان . ثم تطورت لفظة الطراز فى استخدامها بعد التعريب إلى مجال معنوى خاص بالأسلوب الأدبى وهذا المعنى هو الأكثر تداولا فى عصر أبى حيان .

ومن الملاحظ أن الوحدة الصوتية الفارسية «التاء» قلبت إلى الوحدة الصوتية العربية «الطاء» .

زيج : أصله الفارسى «زيك» وهو جدول يستدل به على حركات الكواكب ومواقعها ، وهو أيضا خيط البناء الذى يمد على الحائط والمعنى الأول هو أقرب المعانى إلى العربية بعد أن عربت هذه اللفظة وأصبحت لفظة الزِّيج تستخدم عند

المنجمين بمعنى الكتاب الذى تعرف به أحوال الكواكب .

صيدلانى : معروف فارسى معرب ، والجمع صيادلة . وفى العربية صيدلى فحذفت من بنية الكلمة الفارسية «الألف والنون» بعد أن انتقلت إلى العربية .

دَسْتِبان : من دستنبد وهو ضرب من رقص الفرس بحيث يمسك بعضهم بيد بعض . وانتقلت هذه الكلمة إلى العربية بمعنى الآلة موسيقية أو جزء من الآلة الموسيقية تعطى نغمة خاصة تثير الرقص والاهتزاز للطرب ، أو هو النغمة التى تثير الطرب .

٣) «الألفاظ اليونانية المعربة» :

ارتبطت الألفاظ اليونانية المعربة فى مؤلفات أبى حيان ببعض المجالات الدلالية ومن هذه المجالات الفلسفة وعلوم اللغة والطب والفلك والموسيقى والجماعات الدينية إسلامية وغير إسلامية . وسأبحث هذه الألفاظ ومعناها فى العربية .

اللغة : اللسن ، اشتقاق هذه الكلمة مشكلة يختلف فيها الرأى ، وثمة رأى بأن كلمة اللغة ترجع إلى أصل غير سامى ، فهى من الكلمة اليونانية Logos (loyos) ومعناها : كلمة ، كلام ، لغة ، وقد دخلت هذه الكلمة إلى العربية فى وقت مبكر ، ومن الملاحظ أن لفظة لغة بعد أن عربت تغيرت بنيتها فقد حذفت من الكلمة الوحدتان الصوتيتان (O S) وهو المقطع الأخير للكلمة ، وتحولت الوحدة الصوتية اليونانية (Y) (g) إلى الوحدة الصوتية العربية (غ) . وتحولت دلالة كلمة لغة إلى الارتقاء فلم تعد مجرد اللهجة المحلية بل أصبحت تدل على اللغة الفصيحة المشتركة وحلت بذلك محل كلمة لسان وفى القرن الرابع الهجرى نجد اللسان العربى ، ونجد اللغة العربية .

فيلسوف : Philosorhos أى الذى يحب الحكمة ومن هذه الكلمة حدث تغير فى بنيتها عندما عربت فقد حذفت من بنية الكلمة وحدتان صوتيتان (O S) وهو المقطع الأخير فى الكلمة ، وقد كثر هذا الحذف فى المعرب اليونانى .

قرطاس : Karitas معناه ما يكتب به ورقة أو صحيفة تصنع من طبقات منفصلة ونلاحظ فى هذه الكلمة تحول الوحدة الصوتية اليونانية "K" إلى الوحدة الصوتية العربية «ق» وهذه من الظواهر الهامة للقوانين الصوتية للمعرب اليونانى .

«**جاثليق**» : Kathalikos من مراتب رجال الدين المسيحى وقد حدث تغير للكلمة بعد انتقالها إلى العربية فقد تحولت الوحدة الصوتية اليونانية (K) إلى الوحدة الصوتية العربية (ج) والمعنى الأصلى لهذه الكلمة اليونانية عام وقد خصص فى العربية بعد أن أطلق على أعلى مرتبة من مراتب رجال الكنيسة النساطرة ، وكان يمثل النصارى فى بلاط الخليفة العباسى .

ونستنتج مما تقدم أن الوحدة الصوتية اليونانية "K" تحولت فى مواضع عديدة إلى الوحدة الصوتية العربية «ق» وإلى الوحدة الصوتية العربية «ج» .

طومار : Tomarion صحيفة ملفوفة كتيب ، قسم من مؤلف Tomar لقد تغيرت بنية الكلمة بعد انتقالها إلى العربية فتحولت الوحدة الصوتية اليونانية " t " إلى الوحدة الصوتية العربية «ط» وهذه من الظواهر الهامة للقوانين الصوتية للمعرب اليونانى ، والطاء العربية تعد النظير المفخم للتاء . واستخدمت هذه اللفظة فى مجال الألفاظ الثقافية العامة .

اسطقس : Stoicheion معناه عنصر واصل وهو الشيء البسيط الذى منه يتركب المركب والاسطقسات الأربعة هى أصول المركبات وهى النار والهواء والماء والأرض . نلاحظ تغير الوحدة الصوتية اليونانية " t " إلى الوحدة الصوتية العربية «ط» وهى النظير المفخم للتاء . ولفظة الاسطقس خاصة بالعلوم الفلسفية .

هيولى : لفظ يونانى بمعنى الأصل والمادة ، وهى جوهر فى الجسم وهذا هو معنى الكلمة بالمفهوم الفلسفى ، ويسمى المادة والعنصر والطينة .

موسيقى : mousikè (techné) ومعناه صناعة الغناء والألحان والترنم . وهى من الألفاظ المستحدثة فى الثقافة الإسلامية .

٨) الاشتقاق من الكلمات الأجنبية :

خضعت بعض ألفاظ الحياة الثقافية من المعرب الفارسى واليونانى فى مؤلفات

أبى حيان للاشتقاق وهذه الألفاظ قليلة جدا وتتلخص مجالاتها الدلالية فيما يلى : العلوم العقلية ، والموسيقى ، والدين وسأورد هذه الألفاظ مع ذكر معناها وأصلها .

١) التَّفَلْسُف :

جاءت من الكلمة اليونانية «فيلسوف» وهى كلمة مركبة ومعناها فى اليونانية «محب الحكمة» وقد دخلت هذه الكلمة إلى العربية مع عدد كبير من ألفاظ الثقافة اليونانية وعرفتها العربية فى عصر الحضارة الإسلامية ، ولم تكتف العربية باستخدام الكلمة بل كونت منها كلمات جديدة فصاغت الفعل «تفلسف» وصاغت الكلمات «الفلسفة» «والتفلسف» وكل هذه الكلمات صيغت وفق الضوابط العربية من المادة الأجنبية ـ«فلسف» وأيضا نسب إلى الفاسفة فقيل فلسفى ، وفلسفية .

٢) متزندق «متفعل» :

جاءت هذه اللفظة من الفعل الرباعى «تَزَنْدق» وهذا الفعل مشتق من زنديق فارسى معرب وهو بالفارسية (زَيدكِر) أى يقول بدوام بقاء الدهر وقلبت إلى (زنديك) فى الفارسية وبعد أن عربت اشتقت منها الزندقة وهى الاسم ، وجمع الزنديق زنادقة ، وجاء من الزنديق الفعل «**تزندق**» ، **ويتزندق** والاشتقاق **متزندق** .

٣) موسيقىّ :

اللفظة اليونانية موسيقى معناها تأليف الألحان ، وقد استخدمت فى العربية بنفس اللفظ والمعنى وهى من الألفاظ المستحدثة فى العصر العباسى وكثر استخدامها فى عصر أبى حيان وذلك لكثرة الاهتمام بالفنون ونسب إلى هذه اللفظة الموسيقىّ (وهو المنسوب إلى الموسيقى) .

***

الفهــرس

فهرس الموضوعات

التمهيـــد

الباب الثانى

الباب الثالث

رقم الايداع
٨٩ / ٣٥٨٥

مطابع الاهرام التجارية القاهرة - مصر

الدكتورة طيبه صالح الشذر ، أول متخصص من الكويت فى علم الدلالة ، تخرجت فى جامعة الكويت (١٩٧٥) قسم اللغة العربية ، ونالت الماجستير (١٩٧٨) عن « ألفاظ الحضارة العباسية فى كتابات الجاحظ » بتقدير ممتاز ، ثم الدكتوراه (١٩٨٥) عن « ألفاظ الحياة الثقافية فى مؤلفات أبى حيان التوحيدى » ، بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى والتوصية بطبع الرسالة ، أعدت الرسالتين بإشراف الأستاذ الدكتور محمود فهمى حجازى أستاذ علم اللغة بكلية الآداب جامعة القاهرة .

وهذا الكتاب أول دراسة لغوية عن أكبر كُتّاب العربية فى القرن الرابع الهجرى . يتناول مصطلحات الحياة الثقافية ، ومنها ألقاب المشتغلين بالثقافة ، وأشكال العمل الثقافى ومؤسساته ووسائله . يتسع مفهوم الثقافة فى الكتاب ليشمل مجالات العلوم العربية الإسلامية ، والعلوم الطبيعية والفلسفية التى تجمع بين تراث الأوائل وإضافات الحضارة الإسلامية .

يوثق الكتاب للمصطلحات ويبحث دلالاتها فى ضوء النصوص ، ويؤرخ لها فى نسق الحضارة الإسلامية .

للمؤلفة - تحت الطبع - كتاب ألفاظ الحضارة العباسية فى كتابات الجاحظ ، ومعجم الحضارة العربية الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى .

مطابع الأهرام التجارية القاهرة - مصر